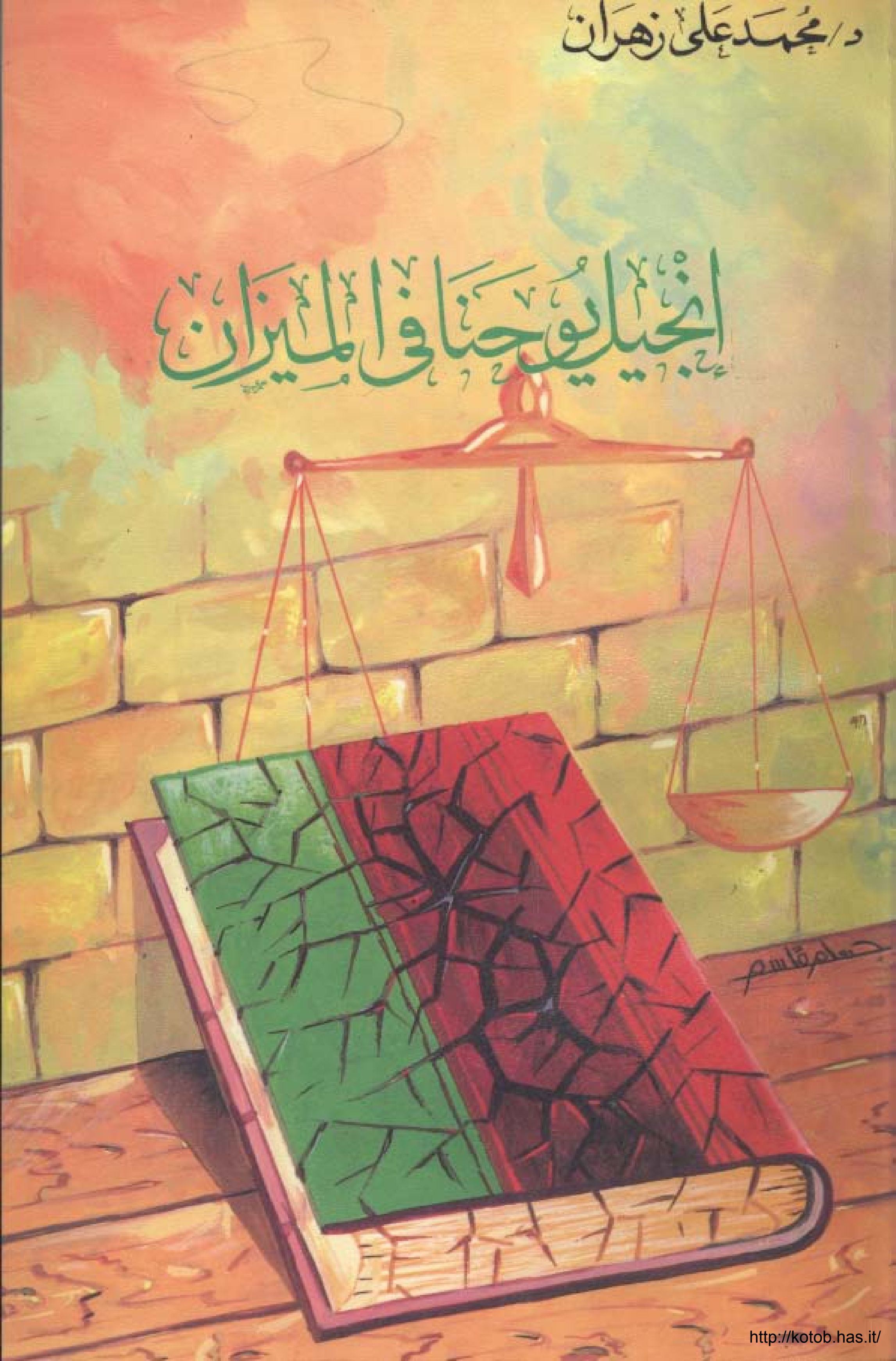

د/ محمد علي زهران
إنجيل يوحنا في الميزان
جمال قاسم
http://kotob.has.it/

إنجيل يوحنا في الميزان

د/ محمد علي زهران

تقديم

الدكتور
سعد الدين السيد صالح
عميد كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

تقـــديـــم

بقلم الأستاذ الدكتور / سعد الدين السيد صالح

عميد كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أما بعد

فإن البحث العلمي يحتاج إلى موهبة خاصة يمنحها الله لمن يشاء من عباده ، فهو عبارة عن عملية خلق وابداع وإضافة جديدة ، ولايملك كل باحث هذه الموهبة ، وهذا هو الفرق بين كتاب يُعْجِبُ القاريء ويستحوذ على مشاعره وبين كتاب يمله ويقرأه على مضض ، لأنه كالجسد الذي لا روح فيه .

ومن هنا امتاز هذا السفر القيم الذي بين أيدينا بقدرته الفائقة على امتلاك المشاعر والأحاسيس ، وعلى اقناع العقل به ، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

١ - أنه موضوع جديد وطريف لم يتناوله أحد من قبل بالبحث والدراسة ، فهو يتحدث عن أخطر الأناجيل الأربعة ، وهو انجيل (يوحنا) هذا الإنجيل الذي انفرد بتقرير عقيدة تأليه المسيح ، وقد تناوله الباحث تاريخياً وموضوعياً وبين كل الملابسات التي تضع هذا الإنجيل في موضعه الصحيح كأنجيل محرف مقطوع الصلة بالإنجيل الحقيقي المنزل على عيسى عليه السلام .

٢ - المادة العلمية الغزيرة التي احتوى عليها هذا السفر والتي استقاها الباحث من مئات المراجع والمصادر الأصيلة في مجال البحث . وقد استطاع من خلال هذه المراجع أن يجد اجابات وتفسيرات مقنعة لكثير من علامات الاستفهام التي وضعت حول انجيل يوحنا ، ولم يجب عنها أحد من قبل .

٣ - ومن الصفات التي تَحلَّى بها هذا الباحث «أمانة العلم» والتي تمثلت في دقة نقلة للنص عن الخصوم إما صراحة وإما بالتعبير عن مضمونه دون لبس أو تحريف أو زيادة أو نقصان يخل بمقصود النص .

٤ - كذلك وهو بحث يدل على فطنة مؤلفه وحضور بديهته فهو يربط بين الأفكار ويوازن بينها ويحللها ثم يستنتج ما يمكن استنتاجه منها من خلال بديهته المتوقدة .

٥ - وقد تحلى المؤلف أيضاً بالموضوعية والواقعية فهو لايتعصب لرأيه ويهمل آراء الآخرين أو يخطئها بلا مبرر ولابرهان صحيح ، ومن هنا كان باحثاً عادلاً منصفاً حتى وهو يضع معايير للحكم على انجيل يوحنا ، عرض القرآن الكريم على نفس المعايير

واستمع إلى عبارة الكاتب وهو يبين منهجه في نقد انجيل يوحنا «إنني لن أطلب في هذا الإنجيل الذي نحن بصدد بحثه شرطًا نعفي القرآن منه حتى نعامل الناس بما نحب أن يعاملونا به ، ولن أخاصم هذا الإنجيل أمام قاض أرفض مثول القرآن أمامه» وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على السماحة وعلى الروح العلمية المقصودة من وراء هذا الحوار بين الإسلام والنصرانية .

فما كُتِبَ في هذا السفر لم يكن مجرد افتراءات أو دعاوي باطلة - على طريقة المستشرقين الغربيين في الحوار مع الإسلام - وإنما هي الحقائق العلمية الدامغة التي تهدف - أول ما تهدف - إلى بيان الحق للمسترشدين، وإلزام المتعصبين وهداية الضالين .

فلا ينبغي أن يضيق صدر النصارى بما كُتِبَ في هذا السفر القيم ، وإنما عليهم أن يقرأوه بعناية وأن يحللوا كل ما ورد فيه من حقائق علمية ، وأن يردوا عليها - إن استطاعوا - بنفس الروح العلمية التي كُتِبَتْ بها هذه الحقائق - بعيداً عن التعصب ، وبعيداً عن الأهواء والمصالح الخاصة ، حتى نعود جميعًا إلى كلمة التوحيد خالصة نقية مما شابها من شوائب الشرك والوثنية ، وها نحن نجدد دعوة القرآن الكريم التي أطلقها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

فهي دعوة مخلصة للرجوع إلى الحنيفية السمحة دين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل نبي أرسله ربه إلى هداية الناس ، وهو الإسلام الخالص والتوحيد النقي .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

ولعلنا بهذا نكون قد ألقينا ضوءًا بسيطًا على هذا السفر القيم ، إلا أن قراءته سوف تكشف للقاريء عن كثير من الجوانب الهامة التي سيشعر معها بلذة القراءة ، وسلاسة الأسلوب، وتسلسل الأفكار وتنظيمها، وإيصالها إلى ذهن القاريء دون تشويش أو تكرار .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي مؤلفه خير الجزاء وأن يجعله في ميزان حسناته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.د/ سعد الدين السيد صالح

عميد كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

في ١٢ / ١٢ / ١٩٩١م

---

(١) آل عمران [٦٤] .

(٢) آل عمران [٦٧]

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا هو الحي القيوم ، الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وهو العلي العظيم .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين والمرسلين . اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى جميع النبيين والمرسلين .

وبعـــد

فمنذ أن خلق الله آدم ، وعرفه بنفسه ، وتكاثرت ذريته ، توالت رسالات الله إلى بني آدم على أيدي الذين يختارهم الله من بينهم لتبليغ رسالاته إلى خلقه .

ومن المألوف أن يتعدد الرسل على امتداد التاريخ والأماكن ، وأن ينتج عن ذلك الإختلاف الزماني أو المكاني اختلاف في الجانب التشريعي بين رسالة وأخرى مراعاة لظروف الناس . مع أن جوهر العقيدة ثابت لا يتغير بين رسالة وأخرى مهما تغير الزمان أو المكان .

ذلك لأن الله تعالى واحد لا شريك له تتصف ذاته بكل الكمال وتتنزه عن النقائض والمشابهة ، وهو الذي يختار رسله للتبليغ عنه لخلقه ، وهو تعالى حكيم عليم . لا يتناقض في تعريف نفسه لخلقه ، ومن حيث أن قضية الرسالات واحدة وهي تعريف الخلق بالحق ، الواحد الذي يختار ويرسل ، حيث أن المرسل هو الله الواحد فلا مجال لاختلاف رسول عن رسول في القضية والتبليغ لأن الرسل معصومون عن ذلك .

ومن هنا نجد أن كل رسول يؤيد من سبقه ، ويحله من نفسه وأتباعه المنزلة السامية التي تليق به ، وكأن كل رسول حلقة في سلسلة الرسالة الإلهية ، وهذا الإعلان يوجد بأجلى بيان في مثل قول الله تعالى في القرآن تأسيسا وتأكيدا لمعني هذه الوحدة بين رسالات جميع الرسل .

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذين أوحينا إليك وما

وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [1] .

كما أمر المسلمين بأن يؤدوا ذلك بالقول لغيرهم :

﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [2] .

وقد جاء هذا الإعلان كثيرا على لسان المسيح في روايات الأناجيل ومن ذلك قوله:

" لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل " [3].

وإن الطالب للهداية الإلهية ليجد في اللاحق من الرسالات الإلهية ما يغنيه عن طلب السابق ، فما دام المرسل هو الله الواحد ورسالاته واحدة فيما تدعو إليه من العقيدة ، فإن في الرسالة الخاتمة ما يغني ويكفي بل إنه لو طلب التحكيم فلا ينبغي أن يحتكم إلا إليها .

بل إن الواقع لينطق بأن كل رسالة تناولت عقائد السابقين عليها بالتأييد أو الإكمال أو الرفض أو التصحيح . ولو أننا سألنا أحد المسيحيين الآن مثلا ما رأى المسيحية - لا المسيحيين - في الإسلام ، لما وجد في كتبه التي يقدسها ما يسمى " إسلاما " أو " مسلمين " . وهكذا الحال إذا طلبنا من يهودي رأي - العهد القديم في " المسيحية " أو " الإسلام "

وعلى العكس من ذلك نجد لكتب " العهد الجديد " التي يقدسها المسيحيون رأيها في اليهودية واليهود ، كما نجد في القرآن رأيه وموقفه من الهيودية واليهود والنصرانية والنصارى في شئ من التوضيح .

فهو يتناول الفريقين من ناحية العقائد والكتب والرسل ... إلخ .

ولعل ذلك يوضح لنا سبب الاهتمام الذي حظيت به دراسات الأديان عند المسلمين

---

(١) القرآن الكريم : [الشورى : ١٣] .

(٢) القرآن الكريم : [البقرة : ١٣٦] .

(٣) (متى ٥ - ١٧) .

مع بداية القرن الثالث الهجري . فإن الإسلام جاء خاتما للرسالات الإلهية وقد تناولها وحدد مواقفه منها في وضوح تام إما مؤيدا أو مصححا ، وكذلك حدد مواقفه من عقائد الشرك والمشركين في حرية وتكريم للإنسان .

وفي مثل هذا المناخ يمكن للمقارنة بين الأديان أن تنشأ في جو من التسامح الديني الذي يحرر العقول من العصبية الدينية والذي في ظله يأمن المشتغل بها علي نفسه وماله ، لأن في تحرير العقول سمو بها لكي تتبوأ مكانتها اللائقة بها ولا عصبية... ولا إكراه في الدين . وإذا كان هذا المناخ أمنا وحصنا للمشتغل بمقارنة الأديان ، فإنه من ناحية أخري يوحي بالثقة في إنتاجه .

ولذا كان من المنطقي أن نجد لعلم " مقارنة الأديان " والمسمى الملل والنحل " مكانة خاصة عند المسلمين ، فهم الذين ابتكروه ، وكانت كتاباتهم فيه علمية وصفية خالية من التعصب والهوى .

منهج هذا البحث :

وحيث أن قضية تحريف التوراة والإنجيل لا تزال وستظل كما كانت من أهم القضايا بيننا وبين أهل الكتاب ، إن لم تكن أهمها وأخطرها علي الإطلاق ، بل إنها لتحتل هذه المنزلة عند المشتغلين بمقارنة الأديان وتاريخها .

فإن في تقديري وخطتي بالنسب للكتاب المقدس أنه ينبغي أن ندرسه دراسة كافية لنقول فيه كلمة الحق سفرا سفرا .

وقد استقر عزمي على أن يكون بحثي المستقبل في كتب العهد الجديد التي لا يؤمن بها إلا المسيحيون ، وليس مبالغة مني أن أقول :

إن إنجيل يوحنا أخطر وأهم كتب العهد الجديد على الإطلاق ، وذلك لما يحويه من فلسفة لعقائد القائلين بألوهية المسيح ، حتي أنه يصح وصفه بأنه " إنجيل الفلسفة " أو " فلسفة الأناجيل " وهو موضوع رسالتي هذه وبالله التوفيق .

ولسوف أعتمد منهجا علميا في بحثي هذا الذي جعلت عنوانه " إنجيل يوحنا تاريخيا وموضوعيا " لتكون النتائج سليمة خالية من الهوى والتعصب . وقد رأيت أن لمناهج التي يقيم الكتاب في الأديان أبحاثهم على أساسها لا تخرج عن أربعة :

فهناك أولا :

تلك الكتب التي يكتبها المسيحيون والمسلمون ، والتي يحاول كل فيها شرح دينه ومعتقداته وإثباتها ، فما هو لمسيحيين من هذه الكتب إنما يحاول شرح المسيحية بمفهومها لدي المسيحيين دون أن تتعرض للإسلام في شئ ، أما ما هو لمسلمين من هذا النوع من تلك الكتب فإنما يحاول شرح الإسلام ومعتقداته دون أن يتعرض للمسيحية في شئ فإذا ما نفت هذه الكتب صلب المسيح ، أو ألوهيته فليس ذلك منها محاولة للطعن في المسيحية وإنما هو محاولة لشرح ما يقول الإسلام ، في شأن هذين الأمرين.

وهناك ثانيا :

كتب لمسيحيين تتعرض للإسلام إما بنفي تنزيل القرآن من عند الله ، وإما بمحاولة إثبات مفاهيم المسيحية بالتدرج من القرآن إلى الكتاب المقدس ثم نفي تنزيل القرآن من عند الله ، وهو ما ينفي بالتالي عن الإسلام حقيقته كدين من عند الله . يقابل هذه الكتب كتب لمسلمين تحاول إثبات مفاهيم الإسلام عن المسيحية بنفي صحة الأناجيل الأربعة التي يتداولها المسيحيون ويعتقدون صحتها ، والتمسك بإنجيل آخر والقول بصحته.

وهناك ثالثا :

كتب أخري يستشعر القارئ لها بمدى الألم الذي يحسه كاتبوها مسحيين كانوا أو مسلمين لأن يروا أناسا اجتمعوا على الإيمان بالله وكتبه ورسله ثم انتهوا بعد ذلك إلى فرقة هي أبعد ما تكون عن أي لقاء ، ولذلك يقومون بما يرونه واجبهم في محاولة لجمع الشمل وتوحيد الكلمة .

وهناك أخيرا :

طائفة أخرى يبين من منهجها أنها لا تستحق التفكير في بحثها وهي تلك الكتب التي لا هم لها إلا التعرض للدين الآخر بالهزء والتجريح دون أن تتبع أي أسس سليمة أو مقبولة للبحث (١) .

---

(١) منصور حسين عبد العزيز : دعوة الحق أو الحقيقة بتصرف .

وهذا البحث ليس موضوعه بحث ديانة بأكملها ولا هو بحث في عقيدة وبيان مواقف الناس منها ، ولا بحث لاستقصاء العقائد ، وإنما هو بحث جزء من كتب عقيدة معينة يعتمده أتباعها كوحي إلهي من الدرجة الأولى وليس منهجي : إثبات صحة الدين الإسلامي من خلال بحث إنجيل لكي أسير بالبحث للوصول إلى نفي صحة العقيدة المسيحية بطريق أو بآخر لأنني باحث عن الحقيقة في هذا الإنجيل بمنهج علمي غير خاضع للهوى بل يقوم على أسس لابد منها لنزاهة البحث العلمي المجرد ، ولا أبغي هدفا من المدح أو القدح ، غير إظهار الحق فوق ميزان الحق .

وليس بحثي كتابا لمحاولة ادعاء التوافق وتقريب وجهات النظر مع تناسي موطن الخلاف الأساسية في أهم ركائز الأديان ، وليس من النوع الرابع وما ينبغي له أن يكون كتابا للطعن والتجريح ، ولن يخرج عن الأسس السليمة للبحث المقبول . لأنه بحث عن الحقيقة ، وبيانها وتوضيحها تحت أضواء العلم وعلى أساس متين منه ، ولا يهم البحث بعد ذلك ما يترتب على النتائج التي توصل العلم إليها وجلاها ، فللبحث كلمة حرة عن القيود ، وللناس حريتهم بعدها في مواقفهم

وحرية الفكر لا تمثل خطرا على الإيمان ، فإن إثبات أي عقيدة إيمانية لابد أن يكون نتيجة للبحث العلمي .

ومن عادة الكتاب في علم " مقارنة الأديان " أن يعلنوا حيادهم بين عقائدهم وبين ما يبحثونه من عقائد الآخرين ، وبعض من هؤلاء يغالي حتى أنه ليخيل إلينا أننا أمام كاتب لا دين له . وكأن هذا العلم لا يقبل فيه إلا كلام الملحدين .

ويقابل هؤلاء بعض المتعصبين الذين لا هم لهم إلا النقد والهجاء والذم .

وهؤلاء يخرجون أنفسم من حيث يشعرون أولا يشعرون من حيز العلم إلى سوق الجدل العقيم ، وهؤلاء نماذج غير مشرفة لأديانهم وأتباعهم لأنهم يجلبون الضرر من حيث يطلبون النفع وهذا المسلك لا نرتضيه ولا هو مقبول لدى طلاب هذا العلم . والمشتغلين به فإن غشاوة التعصب تمنع المتعصب من النظر الثاقب وتحول بينه وبين الصواب والرشاد ، وقل أن يرى المتعصب الحق حقا والباطل باطلا ، لأنه أسير لما يتعصب له من عقيدة أو مبدأ

يقول الدكتور نظمي لوقا :

" وما أرى الشانئ يضير خصمه حين يجور في الحكم عليه إلا كما يفقأ أمرؤ عين نفسه كيلا يرى من يسوؤه مرآه " (١) .

ويقول الدكتور حسن حنفي :

" إن سيادة الإنفعال وغياب العقل أحد مظاهر التخلف ، والقضاء على السلوك الإنفعالي إذن خطوة نحو العقلانية " (٢).

وليس معني رفضي للتعصب أنني أرضي لنفسي ذلك المسلك الآخر الذي يسلكه غلاة الحياد تشبها بالملحدين . فلست أزعم أنني فاقد لشخصيتي كمسلم يعتز بعقيدته، ولا أزعم التجرد من العاطفة الدينية ، ولا من أسمي عقائدها تجاه الخالق الأعظم ..

فمزاعم الملحدين إن كذبت كانت تزييفا وخداعا ولا يقبل لكاذب قول ، وإن صدقت فمعني صدقها أننا أمام ملحد لا يعترف بدين ، ولا يدين بعقيدة ولئن كان خلوا من التعصب لدين – أي دين – فمعناه أنه متعصب لإلحاده ، وإنكاره لكل الأديان ، وهو في هذه الحالة خصم عنيد لجماعتها وأفرادها ، فكيف نقبل منه أن يكون حكما ؟! بل كيف نسمح للأعمى أن يقارن بين الألوان ؟! أم كيف نسمح للأصم أن يميز بين الأصوات ؟!

وهؤلاء الملحدون صم بكم عمي عن الهداية الإلهيـة ، بل إن الاحتكام لو جاز – جدلا– أن يكون للدواب العجماوات لما وقع من ذلك ضرر مثل ما يقع إذا نحن احتكمنا إلى الملحدين في مقارنة الأديان . ﴿ **إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهـم لا يؤمنون** ﴾ (١) .

إن الحاسة الدينية شرط أساسي لابد من توفره في شخص الذي يقوم بالمقارنة بين الأديان ، فإن من المعلوم بداهة : أن فاقد الشئ لا يعطيه ، وأن الحكم علي الشئ فرع عن تصوره .

---

(١) نظمي لوقا : محمد الرسالة والرسول .

(٢) حسن حنفي " سبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسه . مقدمة المرجم :
د. حسن حنفي : تحت عنوان موضوع الرسالة .

(١) القرآن الكريم " [الأنفال : ٢٢] .

وإن واجب علماء الأديان ورجالها أن لا يتشاغلو فيما بينهم عن هذا العدو الألد وأن يعطوا قضية مواجهة الإلحاد حقها من العناية ، فإن هذا التيار يخشى منه أن يجرف الجميع .

لذا أحببت أن أعلن عن شخصيتي . أني باحث مسلم يعتز بدينه ، ولا يمنع ذلك من أن يقع بحثي موقع الرضى والقبول . إذا كان أهلا لا ستحقاق ذلك . فليس الإلحاد أو ادعاؤه شرط القبول ، والبحث شاهد على نفسه ، وقد دفعني إلى توضيح ما رأيته من اضطراب بعض الكتاب في هذا العلم حين يوضحون مناهجهم في البحث . يقول الأستاذ منصور حسين في نقده للمناهج الأربعة السابقة التي أشرنا إليها في موضوعنا هذا :

" وهكذا نجد أن كل المناهج إنما تقوم على أساس افتراض كل كاتب ابتداء صحة ما يؤمن به ويعتقده ، وما ذلك منهم إلا مصادرة للحقيقة التي لا يمكن أن يكون ذلك سبيلا صحيحا للوصول إليها . فافتراضها على نحو معين إنما يعني أن ندور في حلقة مفرغة لا توصل إلى شئ ....

ومن ذلك يبين أن أول ما يجب أن يراعي في البحث عن الحقيقة هو عدم افتراضنا لها على نحو معين على الإطلاق إنما يجب أن يجري البحث مجردا عن أي فرض لها .

فإذا كان المسيحيون يقولون بأن المسيح عليه السلام قد صلب ، بينما يقول المسلمون بأنه لم يصلب فإن الوصول إلى الحقيقة في هذا الأمر لا تكون بافتراض أنه صلب ، أو لم يصلب ، وإنما بأن نضع هذين الفرضين أمام أعيننا ، ثم نبحث في الحقيقة بينهما [(١)]...

ولا أرى أنه من دواعي القبول لبحث في علم المقارنة أن الكاتب مطالب أن يسلم بصحة كتب دين غيره ، في الوقت الذي لا يقبل من الكاتب نفسه أن يطلب من غيره المتدين بدين آخر – غير دين الكاتب – أن يسلم بصحة كتاب دينه دون تقديم الدليل . فمن حقه أساسا أن يبحث كتب دين غيره ويطلب الدليل على صحتها وهذا عدل لا جور فيه فإن الدعوة بلا دليل لا تثبت بل ترد .

---

(١) منصور حسين عبد العزيز : دعوة الحق أو الحقيقة .

وليس معني الإنصاف والعدل أن أجحف بحق طرف في الوقت الذي أوفي فيه الطرف الذي يقابله حقه غير منقوص ، بل إن معني العدل وغايته أن يوفى كل ذي حق حقه حتى لو كان أحد الطرفين هو نفس الإنسان ...

وقد التزمت بالمنهج الإسلامي في البحث والمقارنة ، وأنا أعلن عن شخصيتي كناقد مسلم ، وكباحث مسلم ، وأنا راض عن ذلك كل الرضا ، لأنني به أكون مع الحق والصدق والحق دائما .

فإن كنت قاضيا فإن منهجي واضح في القرآن الكريم :

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ (١) .

وإذا كان موقعي هو موقع الشاهد فإن الله يأمرني أيضا بالعدل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا ، فإن الله كان بما تعلمون خبيرا ﴾ (٢) .

والمبدأ الإسلامي العام :

﴿ لا تظلمون ولاتظلمون ﴾ (٣) وأيضا :

الحق أحق أن يتبع

بل إن المسلم لا ينبغي له إذا كان خصما إلا أن يكون محقا ، ولو كان خصما بهذه الصفة وكان خصمه شانئا فإن شنآن الخصم لا يعفيه من مسئولية اتباع العدل والحق، ولا يسوغ له ذلك أن يجور ، وهاك قول الله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونو قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (٤) .

---

(١) القرآن الكريم : [النساء : ٥٨] .
(٢) القرآن الكريم : [النساء : ١٣٥] .
(٣) القرآن الكريم : [البقرة : ٢٧٩]
(٤) القرآن الكريم [المائدة : ٨] .

وخلاصة القول :

أنني لن أطلب في هذا الإنجيل الذي نحن بصدد بحثه شرطا نعفي القرآن منه ، حتي نعامل الناس بما نحب أن يعاملونا به ، ولن أخاصم هذا الإنجيل أمام قاض أرفض مثول القرآن أمامه .

وليس من سبيل للحكم على أي بحث إلا البحث نفسه ، ومنهجه ، وسبيل الكاتب في البحث الذي يتحدث عن نفسه بنفسه، فيكشف عما إذا كان كاتبه يستهدف الحقيقة وحدها أم لا . ويكشف منهجه وسبيله للقارئ عما إذا كان الكاتب قد اتبع المنهج الصحيح والسبيل الحق إلى الحقيقة وحدها أم لا .

ومن أجل استيفاء دراسة الموضوع كان لابد من اتباع الخطة التالية :



خطة البحث

الباب الأول : إنجيل يوحنا تاريخيا

وقد تضمن تمهيدا وفصلين :

والتمهيد : بنظرة وصفية للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، لأن إنجيل يوحنا واحد من أسفاره ، وبيان مكانة إنجيل يوحنا بينها .

وفي التمهيد وصف لبيئة الإنجيل الرابع وأحوالها السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، والفكرية بما فيها من المذاهب الفلسفية ومدارسها ، وكذلك ظهور المسيح بدعوته ، وأفكار تلاميذه من بعده ، وكذلك ظهور بولس ودعوته ، ونشاطه . وكذلك ظهور التيارات المناهضة لأن ذلك سبق تأليف إنجيل يوحنا .

وينتهي التمهيد بوصف الحالة الدينية للبيئة خلال القرن الميلادي الأول قبل ميلاد الانجيل .

ويتناول **الفصل الأول** من هذا الباب الظروف التاريخية لإنجيل يوحنا ، وهي : سبب التأليف والهدف من ورائه ، والزمن الذي ألف فيه ، والمكان ، واللغة التي كتب بها، وأقدم النسخ الموجودة منه .

أما الفصل الثاني : فيتناول موضوع الاختلاف في تحديد شخصية المؤلف ، لأن رأي الكنيسة التقليدي يقول أن المؤلف هو يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح ، ويناقض هذا الرأي رأى علماء الكتاب المقدس القائل بأن المؤلف هو يوحنا الشيخ اللاهوتي الذي كان قسيسا لكنيسة أفسس والذي كان صاحب أحد القبرين اللّذين يحمل كل منهما اسم " قبر يوحنا " .

ثم بحث أدلة كل من الفريقين ، ثم تناولنا علة تعدد الآراء في شخص المؤلف ، وتاريخ تأليف الإنجيل ، وعلة تمسك التقليد بالإنجيل وكذلك علة الاتفاق على السبب والمكان .

وينتهي الفصل إلى تقييم الرأي التقليدي ، وبيان موقف العلم من تقديس المسيحيين لهذا الإنجيل ، وتقييم الرأي العلمي . وإبداء رأينا ووجة نظرنا ، وبذلك ينتهي الباب الأول .

الباب الثاني: إنجيل يوحنا موضوعيا:

وقد مهدنا له بكلمة عن مصادر الأناجيل ، وأخرى عن مدينة أفسس ، والثالثة عن أسلوب الإنجيل وصياغته .

ثم تناولنا موضوع الإنجيل بالدراسة في سبعة فصول :

الفصـــل الأول : ملخص لمحتوى النص .

الفصل الثاني : محور الإنجيل اللاهوتي . محاولة تأليه المسيح لدراسة النصوص التي يتمسك بها مؤلهوا المسيح بهذا الإنجيل مع توضيح المقصود ببعض الألفاظ . مثل : الله - الآب - الآبن - الكلمة - التجسد ، ومناقشة ذلك .

الفصل الثالث : النظريات الفلسفية التي استعارها مؤلف الإنجيل من الفلسفة اليونانية .

الفصل الرابع : الأفكار الوثنية المشتركة بين المسيحية وما سبقها من عقائد الوثنية .

الفصل الخامس : قصص يوحنا بين الحقيقة والرمز .

الفصل السادس : الآب هو الإله الحقيقي وحده والمسيح عبده ورسوله وذلك بالإستدلال من واقع النص .

الفصل السابع : الإختلاف بين إنجيل يوحنا وبين الأناجيل الثالثة وما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد .

خاتمة وتشمل نتائج البحث ..

ولا يفوتني أن أشير إلى أن بعض المراجع المسيحية التي أنقل منها آراء أصحابها لحاجة البحث ، توجد به أخطاء في قواعد اللغة العربية ، وقد رأيت تركها في أصل النقل مع الإشارة إلى صوابها في الهامش ، احتراماً لحق لغة القرآن الكريم وكذلك احتراما لحق المرجع بعد حقها وإذا فاتني تصويب بعضها فذلك لسهوي وغفلتي وأملي

كبير في فطنة القارئ الكريم والكمال لله وحده ، وكثير ما أقوم بتصويبها دون إشارة لذلك .

كما لا يفوتني التنبيه إلى أن أسفار الكتاب المقدس التي نحيل إليها نذكر أسماءها متبوعة برقم الإصحاح ، ثم برقم الفقرة ، فإذا كانت الفقرتان متتاليتين ذكرنا رقم الثانية بعد الأولى مفصولا بينهما بواو العطف وإذا كانت الفقرات أكثر من واحدة فإننا نفصل بين رقم الأولي ورقم الأخيرة بخط أفقي صغير على السطر .

أما إذا كان الحديث دائراً عن الإنجيل موضوع البحث ومعالجة نصوصه ، فإننا نضع رقم الإصحاح والفقرة في الهامش فقط ونترك الإسم اعتمادا على أصل حديثنا عنه ، وأحيانا نرمز إليه برمز مختصر، وذلك اتباعا لما يعمد إليه كثير من المراجع . وقد نكتفي بذكر رقمي الإصحاح والفقرة في الهامش إذا كان الحديث عن سفر ذكر اسمه بالأصل .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا ، وإليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم





الباب الأول

إنجيل يوحنا تاريخيًا

« تمهيد »

نظرة وصفية للكتاب المقدس

الكتاب المقدس :

يطلق هذا الإسم على مجموعة الكتب التي يعظمها المسيحيون ويعتقدون أنها بوحي من الله ، لكتابها ومؤلفيها .

وينقسم إلى قسمين :

العهد الجديد : وهو ما كان من الكتاب بعد ميلاد المسيح ولا يؤمن اليهود بشئ منه .

والعهد القديم : وهو مدار إيمان اليهود ، ويؤمن المسيحيون به كتمهيد للجديد.

أولا: العهد القديم:

هو مجموع الأسفار والكتب التي يعظمها اليهود والمسيحيون . مما كتب بعد موسى . ويلاحظ أن أحدث أسفار العهد القديم ينسب إلى القرن الثالث الميلادي وذلك لأن الإصحاحين الأخيرين من كتاب عزرا الرابع كتبا بين سنة ٢٦٠م - ٢٧٠م [(١)].

وأبسط تقسيم لأسفار العهد القديم ما يلي :

أ- الأسفار التاريخية : وعددها سبعة عشر سفرا هي :

١- التكوين .	٢- الخروج .	٣- اللاويون .	٤- العدد.
٥- التثنية .	٦- يشوع .	٧- القضاة .	٨- راعوث .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ، ص١٨٩ .

٩، ١٠ صموئيل الأول والثاني . ١١، ١٢ - الملوك الأول والثاني .

١٣ ، ١٤ - أخبار الأيام الأول والثاني . ١٥- عزرا . ١٦- نحميا .

١٧- أستير .

ب- الأسفار الشعرية : وعددها خمسة وهي :

١- أيوب . ٢- المزامير . ٣- الأمثال . ٤- الجامعة .

٥- نشيد الأنشاد .

جـ- أسفار الأنبياء : وعددها سبعة عشر وهي :

١- أشعياء . ٢- أرميا . ٣- مراثي أرمياء . ٤- حزقيال.

٥- دانيال . ٦- هوشع . ٧- يوئيل . ٨- عاموس .

٩- عوبديا. ١٠- يونان . ١١- ميخا . ١٢- ناحوم.

١٣- حبقوق.. ١٤- صفنيا . ١٥- حجي . ١٦- زكريا .

١٧- ملاخي .

وقد كان للأسفار الخمسة الأولى من القسم الأول . وضع خاص . فكانت تسمى : « أسفار موسى الخمسة » نظرا لاعتقاد الأقدمين من أهل الكتاب أن موسى كاتبها . إلا أنه قد ثبت لعلماء الكتاب لمقدس أن هذا الاعتقاد لا مبرر له فأصحبت هذه النسبة محل شك . ظل يتزايد حتي ساد الاعتقاد أن موسى ليس كاتبها ولا ممليها وأن الأسفار الخمسة (التكوين - الخروج - اللاويون - العدد - التثنية) إنما هي لأكثر من كاتب واحد (١) ويرجح علماء الكتاب المقدس الرأي الثاني(٢) .

موقف اليهود من العهد القديم :

لم تعترف طائفة السامريين [التي انشقت عن اليهود سنة ٤٣٧ق.م] ، بشئ من كتب العهد القديم يزيد على هذه الأسفار الخمسة . (٣) ولا يرون غيرها كتابا

---

(١) سيكل سيل : المرشد إلى الكتاب المقدس [ص٧٤ ، ٨٢] .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٧٠ ، ٧٢ ، ٩٠] .

(٣) سيكل سيل : المرشدإلي الكتاب المقدس [ص٢٨] .

مقدسا ، ويضيف بعض السامريين سفري يوشع والقضاة لأسفار (موسى) ويرون في هذه الأسفار السبعة كتابهم المقدس » [1].

وكان الشائع بين اليهود أن الكتب المقبولة تعتبر كتبا طاهرة مقدسة ، أما الكتب التي يرفضونها ولا يقبلونها فكان الإصطلاح الشائع بينهم أن يطلقوا عليها عبارة «تدنس الأيدي » .

وكان ليهود الإسكندرية رأي آخر وموقف مختلف دعاهم إلى الإختلاف في اعتبارهم للكتب التي يقدسونها والتي تدنس الأيدي ، وذلك في نسختهم التي يعتمدونها مما يطلق عليه اسم " الكتاب المقدس الإسكندري " مقابل ما يمسي " الكتاب المقدس العبري " الخاص باليهود الفلسطينيين .

فكان الإسكندري يختلف مع العبري في ترتيب الأسفار ، وهذا هين ، ولكن الأشد هو أنه يضم بين الأسفار القديمة كثيرا من الكتابات المتأخرة كتبت في الأصل بالعبرانية مثل : سفر المكابيين الأول ، وحكمة يشوع بين سيراخ ، وطوبيا ، ويهوديت وباروخ ، والبعض الاخر كتب في الأصل باليونانية مثل حكمة سليمان ، والمكابيين الثاني ، ونشيد الفتيان الثلاثة [2].

وقد كان يهود فلسطين يعتبرون هذه الأسفار الزائدة بالنسخة الإسكندرية «تدنس الأيدي » بينما يقدسها هؤلاء .

والسامريون يعتقدون أن ما عدا الأسفار الخمسة (التكوين - وإخوته) يدنس الأيدي ، وبعضهم يعتبرون أن ما عدا هذه الخمسة مضافا إليها يوشع والقضاه أي ما زاد على هذه السبعة « يدنس الأيدي » .

ثانيا: القسم الثاني - العهد الجديد :

يطلق على مجموع الأسفار التي يقدسها المسيحيون فقط هذا الإسم في مقابل ما يسمى العهد القديم ، ومعلوم أن اليهود لا يؤمنون بشئ من العهد الجديد .

---

(١) أحمد شلبي : اليهودية . الطبعة الثالثة [ص٢٣١] ، مطبعة النهضة المصرية .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص.١٨- ١٨١] .

وهو يتكون مما يطلقون عليه الأناجيل الأربعة - إنجيل متي ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ، وهذا الأخير هو موضوع بحثنا هذا .

وسفر خامس يطلقون عليه " أعمال الرسل : واثنتان وعشرون رسالة :

منها أربع عشرة رسالة لبولس ، وواحدة ليعقوب ، ورسالتان لبطرس ، وثلاث ليوحنا ، وواحدة ليهوذا ، ورؤيا يوحنا وهي آخر أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين ..

(١) تقسيم أسفاره إلى فقرات وإصحاحات :

ونحن نلفت النظر إلى أن تقسيم أسفار العهد القديم إلى فصول (إصحاحات) يرجع الفضل فيه إلى لنغران رئيس أساقفة كنتر بري المتوفي سنة ١٠٨٩م .

وأما طريقة تقسيم الفصول (بالعهد الجديد) فيرجع الفضل فيها إلى الكردينال (هوجو) سنة ١٢٣٨م . وقد قسم هذا الكاردينال أيضا كل إصحاح إلى فقرات موسومة بحروف .

أما تقسيم " العهد الجديد " إلى فقرات عددية فقد وضعه (روبرت ستيفانوس) سنة ١٥٥١م وهو المحرر الشهير صاحب النصوص اليونانية المطبوعة ، وقيل إنه رتب تقسيم الفقرات العددية أثناء رحلة من باريس إلى ليون [١].

وقد وضع " ستيفن لنجلتون " وهو أيضا رئيس أساقفة كنتربري تقسيم الكتاب المقدس اللاتيني في وضعه المعروف الآن سنة ١٢٢٨م، وكان أول كتاب مقدس لاتيني ، شامل لتقسيم الفقرات من وضع استيفانوس المشار إليه هنا في سنة ١٥٥٥م . وقد ظهرت طريقة تقسيم الفصول لأول مرة في الكتاب المقدس العبري في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وطبعت أول نسخة بهذا التقسيم في سنة ١٥١٤م وأضيفت إليها فيما بعد طريقة الفقرات العددية [٢] .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل [ص ٤٢] .

(٢) حبيب سعيد : المدخل [ص ٤٣] والفقرات العددية وهي : الجملة من الكلام يوضع لها رقم عددي يبدأ برقم (١) للجملة الأولى ورقم (٢) للجملة الثانية وهكذا من كل إصحاح.

ونحن نلفت النظر إلى أمر هام هو :

" التأكيد على مغايرة أسفار الكتاب المقدس الحالي بالشكل الذي توجد عليه من التبويب والترقيم العددي للفقرات ، عن وضعها في نسخها الأولية . وأنها كتبت على غير ما نراه . وأن هذا التنسيق من وضع أهل الكتاب المتأخرين. عن مؤلفي هذه الأسفار ، وأن هذا التنسيق الذي نراه الآن لم يوجد إلا بعد أن مضت عشرة قرون بعد الميلاد . (١) .

وهذا هو السبب في الإختلاف بين النسخ في التقسيم والترقيم . مما حدا بالأستاذ حبيب سعيد إلى القول : " ومما يؤسف له أن تقسيم الفصول والآيات ليس واحدا في كل الكتب المقدسة ، ولا في الكتب المستعملة في العبادات الكنسية . وهذا يجعل الرجوع إلى الشواهد عسيرا . فمثلا تقسيم المزامير في نسخة الفولجات اللاتينية يختلف عن التقسيم المتبع في الكتب المقدسة العبرية والإنكليزية والعربية . كذلك يختلف تقسيم الآيات العددي في كثير من المزامير (٢).

وقد جاء في هذا النص قوله : الكتب المستعملة في العبادات الكنسية . بعد الكتب المقدسة . وعطف كتب العبادات الكنسية على الكتب المقدسة بالواو والعطف يقتضي المغايرة . فهل هما نوع واحد ؟؟ أم هما متغايران ؟؟

والنوعان متغايران كما يقتضي العطف ...

---

(١) من الثابت سبق القرآن لأهل الكتاب المقدس في تنظيمه بالتقسيم إلى سور وآيات بل نؤكد أن تقسيم القرآن (توقيفي على الرسول الكريم محمد ﷺ ولا دخل لأحد من الأمة الإسلامية فيه) .

راجع الإتقان في علوم القرآن ... [جـ ١ ص ٨٠ ، ٨١ للسيوطي] دار المعرفة بيروت ، وبذلك يكون القرآن قد سبق أهل الكتاب في هذا الباب وثبت أنهم مقلدون للقرآن .

(٢) حبيب سعيد : المدخل [ص ٤٣] ، وقوله ... الآيات ... يقصد به : الفقرات العددية التي سبق لنا تعريفها .

(٢) التعريف بأسفار العهد الجديد .

أ - إنجيل متى : وهو سرد لسيرة المسيح .

قال الأستاذ حبيب سعيد :

أما متي فلا ينعقد الإجماع على أنه مؤلف البشارة التي تحمل اسمه ذلك لأن واضع هذه البشارة كان يهوديا غير معروف ، ربما من مدينة أنطاكية ، كتب سيرة يسوع في اللغة اليونانية ، وأدمج فيها أجزاء كثيرة من بشارة مرقس ومن المصادر الأخرى التي أشرنا إليها من قبل ...

على أن كون متى ليس هو واضع هذه البشارة الأولي ، لا يؤثر مطلقا في صحة هذا الكتاب ومحتوياته وقيمته التاريخية ، ومن السخف أن نثير حوله الشك لأن ، التقاليد وضعت له عنوانا غير اسم المؤلف الحقيقي " (١).

وقال القس سيكل سيل وهو أستاذ بمدرسة اللاهوت ببيروت :

" كثيرون من علماء العصر الحاضر يعتقدون أن ما كتبه متي في الأصل كان مجموعة من أقوال يسوع ، وقد ترجمت هذه المجموعة إلى اليونانية وأضيف إليها بعض فقرات منقولة من إنجيل مرقس .

ولا يمكن الجزم في تاريخ كتابة الأصل العبراني (٢) .

وقال العلامة رحمة الله الهندي :

" إن إنجيل متي كان باللسان العبراني ، وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية والموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة حتى لم يعلم باليقين اسم المترجم أيضا إلى ذلك الحين كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم (٣) .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل [ص ٢٢٢] .

(٢) سيكل سيل : المرشد [ص٢١٨] .

(٣) رحمة الله الهندي : إظهار الحق [ص٧٦] .

ب - إنجيل مرقس : وهو كسابقه لسيرة المسيح .

مؤلف هذا الإنجيل لم يجتمع بالمسيح ، اسمه بالعبرانية . يوحنا [1] قيل إنه آمن بواسطة بطرس ، وصار تابعا له ومصدر علمه هو ما سمعه يروي من سيرة المسيح . لأنه لم يسمع ولم يكن من أتباعه .

وقد نقل العلامة رحمه الله الهندي عن علمائهم قول بعضهم :

" إن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الباب الأخير من إنجيل مرقس [2].

وقال القس سيكل سيل :

" بعض النسخ القديمة من هذا الإنجيل لها خاتمة تختلف عن خاتمته المعروفة [3] وأقصر منها . وهذا جعل كثيرين يستنتجون أن خاتمته الأصلية فقدت من زمن بعيد ، وأن الإثنتي عشرة آية الأخيرة أضيفت بعدئذ لتحل محل القطعة المفقودة » [4] .

جـ - إنجيل لوقا : وهو كذلك لسيرة المسيح .

لوقا لم يجتمع بالمسيح ، كان صديقا لبولس وسمع سيرة المسيح ورأى أن كثيرين بدأوا في تأليف قصة حياة المسيح ، فأراد أن يكتب هو الآخر . فكتب سفرين . سيرة المسيح ، وسيرة أتباعه وكانا سفراً واحداً في أصل كتابته . ثم قامت الكنيسة بفصلهما بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا ثم دعت الأول « إنجيل لوقا » والآخر « أعمال الرسل » .

ويقرر القس الأستاذ حبيب سعيد : أن السفرين قصة مسلسلة وتاريخ واحد لنشأة وانتشار المسيحية . فبشارته أو ما يدعي " انجيل لوقا " خاص بالنشأة ، وسفر " أعمال الرسل " خاص بالإنتشار ولما قررت الكنيسة فيما بعد إدماج بشارة لوقا ضمن بشائر الإنجيل الأربع القانونية ، انفصلت عن سفر الأعمال بعد أن كان السفران قصة مسلسلة [5] .

ويقول القس الأستاذ سيكل سيل :

إن لوقا لم يكن من الرسل الإثني عشر ، وهو لا يدعي أنه شاهد بعينه الأمور التي

---

(١) أعمال الرسل [١٥ : ٣٧] .
(٢) إظها الحق : [ص٧] .
(٣) [مرقس ١٦ : ٩ - ٢٠]
(٤) [المرشد ص٢٢٢] .
(٥) المدخل [ص ٢١٨] .

كتبها ، بل صرح بأنه جمع كل ما كتبه بإجتهاد وتدقيق ، من الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة [1] يوضح لنا أنه بذل عناية كبيرة للحصول على مادته من شهود عيان يوثق بهم [2].

د - **إنجيل يوحنا** : وهو كتاب لتأليه المسيح في صورة تاريخية .

يقول القس حبيب سعيد :

" أما عن مؤلف البشارة الرابعة فقد ثار حوله جدل كثير [3] ولأن هذا الإنجيل هو موضوع بحثنا في هذه الرسالة . فقد اكتفينا بنقل هذه العبارة لإثبات أنه لا إجماع على شخصية المؤلف ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

ولتفصيل ذلك موضعه في الرسالة إن شاء الله .

هـ - **أعمال الرسل** : وهو كتاب لسيرة التلاميذ بعد المسيح .

وينسب هذا السفر إلى لوقا الذي ينسب إليه إنجيله ، وما قيل هناك يقال أيضا هنا فقد كانا في الأصل سفرا واحدا ثم فصلتهما الكنيسة .

٦- ٢٧ باقي الرسائل :

أما عن الرسائل ، فليست من الأهمية بالمكان الذي يسمو بها في نظر مقدسيها إلى منزلة الأناجيل ، ولم يطلب فيها ما افتقد في الأناجيل يكفي أن سبع رسائل منها لم يكن معترفا به حتي عام ٣٦٤ الميلادي ، وكانت قبل ذلك تعد من أسفار الأبوكريفا .

ونحن نستغنى عن الإستقصاء في سرد باقي الرسائل والحديث عنها من ناحية السند فهي مكاتبات بين بعض الأتباع وبعض آخر ، ولا ندري كيف أغفل النساخ الرد على هذه الرسائل من مكاتبات المرسل إليهم ..

فالأناجيل الأربعة عبارة : عن سيرة شخصية المسيح كما سطرها يراع المؤلفين الذين كتبوها ... أما سفر الأعمال فهو عبارة عن سيرة زعماء أتباعه بعد ارتحاله وأما الرسائل فهي للوعظ والتعليم ..

---

(١) لوقا [١ : -٤] .
(٢) المرشد : [ص٢٢٣] .
(٣) المدخل : [ص٢٢٢] .

ونحن لا نغفل : أن أقوال المسيح التي كشف عنها مؤخرا باسم « أقوال المسيح غير المدونة في الإنجيل » [التي أصدرتها دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة في كتيب صغير] .. هي أقرب من الأناجيل الحالية في وضعها الراهن إلى إنجيل المسيح ، الذي كان منطلق دعوته ولب رسالته ، ونوقن أن هذه الرسائل أبعد أسفار العهد الجديد الراهن عنه .

لأنها ترجمات لإيمان مؤلفيها بما انطوت عليه جوانحهم وانطبعت عليه قلوبهم .

يقول حبيب سعيد :

ويسوع المسيح – نفسه لم يكتب شيئًا ، ولا فكر أتباعه في تدوين قصة مكتوبة عن سيدهم وتسليمها للأجيال اللاحقة ، ونظرًا لعدم وجود أدلة مباشرة نسترشد بها من هذه الناحية ، فإننا مضطرون إلى أن نلجأ إلى الحدس والتخمين .

ومن المرجع جدًا أن بعض تلاميذ يسوع الأولين ، قد جمعوا لاستعمالهم الخاص مجموعات من أقوال يسوع والحوادث التي رأوها ذات شأن خطير ونحن نعلم أن شيئًا من هذا القبيل قد عمله المسيحيون في مصر في القرن الثاني ، وذلك لأنه قد كشف قبل حوالي أربعين سنة عن مجموعة من أوراق البردي تشتمل على بعض أوقال مختصرة تبدأ بعبارة : «يقول يسوع»[1] .

و " أقوال يسوع " هذه هي عمدة رسالة عيسى ، والتي في غيابها أصبح الرخيص ذا ثمن ، فلئن صحت الكتب الحالية من ناحيةالإسناد وهذا الفرض على خلاف الواقع – فإن أعلي ما توصلنا إليه هو التلاميذ الذين كانوا حول الرجل وخذلوه في النهاية .

نحن نطالب بالسند الصحيح أهل الكتاب ... وهذا أقل ما يطلب لكي يقتنع العقل البشري في الربع الأخير من القرن العشرين بعد ميلاد المسيح . بهذا الكتاب . وإلا فلا حرج إذا رفضت أسفار العهدين القديم والجديد !!

ونحن نطالب أهل هذا الكتاب : إن طلبتـم من غيركم قبوله « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس [ص : ٢٦١] .

ثالثا: مكانة إنجيل يوحنا في الكتاب المقدس:

يحتل هذا الإنجيل موقع القمة السامقة بين أسفار الكتاب المقدس ، فلا نظير له ولا مثيل من بينها ؛ وذلك لأنه السفر الوحيد الذي ادعى ألوهية المسيح وتجسد الله فيه وذلك ظاهر فيه من بداية الإصحاح الأول إلى آخر إصحاح فيه .

(وسيأتي لذلك مزيد من البيان من خلال الدراسة الموضوعية) ، وهذا ما لم يجرؤ عليه أحد من كتاب أسفار العهد الجديد غيره ، بل ولا من كتاب أسفار الكتاب المقدس.

وصاغ النص بأسلوب فلسفي بليغ . مما حدا ببعض علماء الكتاب المقدس إلى تسميته " إنجيل الأناجيل " أو إنجيل الفلسفة : أو " تاج الأناجيل " . ولهذه الأسباب أصبح هذا الإنجيل من الخطورة بمكان ، وهو عمدة الكنيسة في ادعائها كمؤلفه " تأليه المسيح " بحيث أنه لو سقط لسقطت تلك الدعوي وعادت للمسيح صورته الحقيقية كرسول اختاره الله من البشر لتبليغ رسالته إلى خلقه .

لا إلهـا ولا ابنا لله . فما كان لله أن يتخذ من ولد ، لأنه لم يلد ولم يولد . وهذه الخطورة تبدو في أقوال الكثيرين من علماء الكنيسة ورجالها حينما يتحدثون عن هذا الإنجيل ، وهاك بعض الأقوال وهي قليل من كثير .

قال متى هنري في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا : يلاحظ بعض الآباء الأولين أن الإنجيليين الآخرين كتبوا أكثر عن الأشياء الجسدية المتعلقة بالمسيح .

أما يوحنا فقد كتب عن الأشياء الروحية المتعلقة بالإنجيل عن حياته وروحه ، ولذلك دعا البعض هذا الإنجيل بأنه « مفتاح الإنجيليين » ، هنا نرى بابا مفتوحا في السماء وأول صوت نسمعه هو : اصعد إلى هنا ، وارتفع إلى ما هو أعلى ويظن بعض الأقدمين أن يوحنـا هــو : « النسـر الطـائر » أحد الأربعة حيوانـات التي رآهـا في رؤيـاه [1].

---

(١) يدعي مؤلف سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي أنه في رؤياه رأى الله جالسا على العرش في السماء ويدعي أن الله « الجالس في المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش في المنظر شبه الزمرد » (رؤيا ٤ : ٣) ثم جعل يصف ما حول العرش إلى أن قال : « وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيونا من قدام ومن وراء ، والحيوان الأول شبه أسد ، والحيوان الثاني شبه عجل ، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان ، والحيوان الرابع شبه نسر طائر ، والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها، ومن داخل مملوءة عيونا " (رؤيا ٤ : ٦ – ٨) وقد اختلف المفسرون في المراد بالحيوانات الأربعة وما ترمز إليه ، فمنهم من قال بأنها ترمز إلى أوجه مختلفة لحياة المسيح كما يبدو من الأناجيل التي تختلف مواقفها من تصوير حياة المسيح ، ومنهم من قال : إنها تشير إلى عهود زمنية أربعة عملها الله مع =

والمعتقد بأنها تمثل الإنجيليين الأربعة [1] فإنه قد حلق إلى أسمي السموات، واستطاع أن يرى السماويات والإلهيات بوضوح .[2] .

وقال وليم باركي في مقدمة تفسيره لإنجيل يوحنا :

« بشارة يوحنا بالنسبة للكثيرين من المسيحيين هي أثمن سفر بين أسفار الإنجيل بل هي قدس أقداس العهد الجديد . فهو السفر الذي يغذي العقل ويملأ القلب وتستريح إليه النفس » .. إلى أن قال :

أما النسر فهو الرمز الذي يشير إلى كاتب البشارة الرابعة ، لأن النسر بين كافة المخلوقات الحية ، هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يتطلع بعينين مفتوحتين إلى وهج الشمس الساطع، وهو يشق طريقه إلى العلاء ، ويوحنا بين كافة كتاب العهد الجديد هو الوحيد الذي استطاع بنظرته الثابتة أن يفتح عينيه على سعتهما في نور شمس البر أن يخترق أسرار الحق الخالد ، ويصل إلى قلب الله . لذلك لا غرابة أن نقول أن كثيرين يقتربون أكثر إلى معرفة الله ، في شخص المسيح ، عن طريق بشارة يوحنا من أي إنجيل أخر [3] .

= البشر : عهد الله لآدم قبل الطوفان وعمله مع نوح بعد الطوفان والثالث عمله مع موسى بإعطاء الناموس والرابع هو العهد الجديد بالمسيح ، كما أولت بغير ذلك . ولم يسلم القائلون بأنها ترمز إلى كتاب الأناجيل من الإختلاف ونحن نضع هذه الآراء في جدول لنبين أهم ما جاء في تأويل ما ترمز إليه الحيوانات الأربعة فى آراء ثلاثة من كبار علمائهم كما نقل وليم باركلى فى تفسيره لهذه الرؤيا [ترجمة القس منيس عبد النور نشر دار الثقافة المسيحية بالقاهرة] .

اسم صاحب الرأي	رمز متى	رمز مرقس	رمز لوقا	رمز يوحنا
إيريناوس	الإنسان	النسر	الثور	الأسد
اثناسيوس	الإنسان	الأسد	الثور	النسر
أغسطينوس	الأسد	الإنسان	الثور	النسر

---

(١) (رؤيا : ٤) .

(٢) متى هنري : تفسير الكتاب المقدس . إنجيل يوحنا – ترجمة مرقس داود طبع ونشر مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة .

(٣) وليم باركلي – تفسير العهد الجديد – إنجيل يوحنا – ترجمة عزت زكي ص٩ .

أما الدكتور القس إبراهيم سعيد فقد قال في مقدمة شرح إنجيل يوحنا :

" بشارة يوحنا هي فريدة الفرائد . فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة ، أهذه البشارة مقالة تاريخية أمي بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي ؟ أم هي حجة لاهوتية جمعت بين ثناياها دقائق التاريخ وجمال الفلسفة ؟ أم هي كل هذه مجتمعة معا . بشارة يوحنا هي بشارة خاصة ولكنها في نفس الوقت بشارة العالم أجمع .

فمن قائل إنها بشارة الأبدية إلى قائل إنها " تعبير قلب الله " إلى قائل " أنها بشار الحب الخالص " .

هذا ما حدا بأوريجانوس إلى القول : إن بشارة يوحنا هي تاج البشائر ، كما أن- البشائر هي ختم الكتب المقدسة " [1].

ويقول الأب يؤانس أسقف الغربية :

الإنجيل الرابع ، إنجيل يوحنا هو إنجيل الأناجيل ، قدس أقداس العهد الجديد ، ويشبهه " إكليمنضس " الإسكندري بالروح بينما الأناجيل الثلاثة الأخري هي الجسد ، ويدعـوه أوريجيـنوس " تاج الأناجـيل . كما أن الأناجيل هي تاج جميع الكتابات المقدسة [2].



---

(١) د/ ابراهيم سعيد : شرح بشارة وحنا ص٩ : ١٣ .

(٢) الأنبا يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص٢٨٦ .

دراسة وصفية لبيئة الإنجيل الرابع وأحوالها :

(١) طبيعة البيئة :

فلسطين هضبة تعلوها سلسلة من الجبال ترتفع عن مستوى ساحل البحر المتوسط في الغرب وعن مستوى صحراء الشام في الشرق ويخترقها نهر الأردن من الشمال إلى الجنوب ويتخلل أراضيها كثير من السهول والوديان وأظهر أقسامها :

١- منطقة السهول :

وهي سهول محصورة بين هضبة اليهودية وساحل البحر المتوسط .

٢- الهضبة الغربية :

وهي سلسلة تلال يطلق عليها تلال اليهودية .

٣- وادي نهر الأردن والبحر الميت :

هذا الوادي خندق جيولوجي عظيم . أخدود يمتد من آسيا الصغري - تركيا - إلى خليج العقبة . ووسطه وادي البقاع بين سلسلة جبال لبنان ، ولبنان الشرقي ، ويبلغ الخندق أقصي انخفاضه جنوبا في حوض الأردن وهو أعمق منخفض بري في العالم ، وبين بحيرة طبرية والبحر الميت يوجد (الغور) وهي كلها تحت مستوي سطح البحر وتبلغ أعمق نقطة فيها ١٣٠٠ قدم تحت مستوى سطح البحر عند ساحل البحر الميت . ومن هنا يأتي ذكر المياه والسفن والصيد في ثنايا الأناجيل .

ونهر الأردن له ثلاثة منابع من سفح جبل حرمون والرابع يصب فيه من الغرب ويمر ببركة حيروم الضحلة ، ويستمرحتى يصب في بحر الجليل ، ومنه يخرج في طريق متعرج إلى البحر الميت في سرعة عظيمة لإنحدار المياه من المنابع المرتفعة إلى البحر الميت . وبين الجليل والبحر الميت يمر الأردن بمنطقة غنية بالخضرة .

أرض ميلاد المسيح وتلاميذه :

ولد المسيح عليه السلام في قرية (بيت لحم) من إقليم اليهودية وهي تبعد ٦ أميال جنوبي أورشليم ، وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة ومياهها عذبة وكانت السيدة مريم قد جاءت إليها . فأدركتها آلام المخاض فمكثت فيها حتى ولدت المسيح عليه السلام .

وكان اليهود يلقبون المسيح عليه السلام " الناصري " إشارة إلى مدينة الناصرة التي ولدت فيها أمه وخطيبها يوسف ، والتي عادا بالمسيح إليها بعد فترة من غيابهم عنها . حيث نشأ المسيح فيها وترعرع . وقد لقب تلاميذه أيضا بالناصريين . وهي مدينة في الجليل . تقوم على جبل مرتفع ، يري منها جبل الشيخ والكرمل ومرج بن عامر وتبعد ١٤ أربعة عشر ميلا إلى الغرب من بحيرة طبرية ، ١٩ وتسعة عشر ميلا شرقي عكا ، ٨٦ وستة وثمانين ميلا إلى الشمال من القدس ، وهي ذات حجارة بيضاء. تحيط بها كروم العنب والزيتون والتين ، ولم تكن ذات أهمية بل كانت تحتقر على حد قول اليهود : « أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح » (١)

والجليل اسم عبري معناه :" دائرة " أو مقاطعة . وكان اليهود يطلقون عليه " جليل الأمم " (٢) لأنه كان إقليما مفتوحا لجميع الشعوب الشرقية والغربية . وهو أحد الأقاليم الشمالية التي كانت تسمى قديما باسم " كنعان " ذلك لأنه كان يقيم بها كثير من الكنعانيين . وقد أطلق عليها اليونان أسم (فينيقية) من اللون الأحمر على ما يظهر ، وهو لون الصخور والجبال .

والجليل أرض خصبة وغنية بخيراتها . ولها موانئ صالحة على البحر الأبيض المتوسط مثل صور وصيدا وحيفا ، ولم يكن بالجزء الجنوبي من فلسطين وهو اليهودية مواني تصلح لرسو السفن بها .

ولهذا الموقع الفريد حفلت أرض الجليل من قديم الزمن بالسياح والمقيمين من أمم الحضارة في المشرق والمغرب ، وتوثقت صلاتها بجميع الحضارات الإنسانية وراجت فيها الصناعات والمعارف العملية والنظرية ، ولا سيما المعارف التي لها علاقة بالملاحة كفن بناء السفن ورصد الكواكب والكتابة . حتى تواتر أن تجار الفينيقيين وملاحيهم هم الذين نشروا الأبجدية في بلاد البحر الأبيض المتوسط ومنها انتقلت إلى سائر الأمم الأوربية (٣).

ومن مدن الجليل " كفر ناحوم " التي تحدث المسيح في مجمعها مرارا ، وكانت مركزا تجاريا هاما ، ويشتغل أهلها بالتجارة والصيد ، وهم خليط من اليهود الأصلاء

---

(١) [يوحنا ١ : ٤٦] .
(٢) [متى ٤ : ١٥] .
(٣) العقاد – حياة المسيح – ص٧٩ – طبعة الهلال .

ويهود الشتات . وهي أكبر من الناصرة التي عاش فيها المسيح في طفولته وعاصرها في شبابه . وتقع كفر ناحوم على بحر الجبل "

ومن هذه المدن " طبرية " التي بناها هيروديس الكبير ، وجعلها أقوى قلعة في الجليل ولما اتسعت امتدت إلى بقايا « جبانة » قديمة للموتى ، ولذا كان بعض اليهود يعتبرون تلك المنطقة نجسة ، ويحكمون بنجاسة من يدخلها ويأمرونه بالتطهير وقد كان سكانها لذلك من يهود الشتات والمتساهلين في أحكام الشريعة ومن الأمم الأخرى أيضا ..

ولعل هذا التساهل كان سببا في نقمة اليهود المتعصبين في الجنوب على الجليل وأهله ، وقد كان من الأمثال السائرة على ألسنتهم أنه " لا خير يأتي من الجليل " وقد كان اعتقادهم " أنه لم يقم نبي من الجليل " [1].

ومن مدن الجليل (بيت صيدا) أو بيت الصيد وهي تقع شرقي نهر الأردن شمال بحيرة طبرية ، ومن المدن الجليلية أيضا قانا الجليل ، وبتولمايس ، (عكا) .

ويقع إقليم السامرة جنوب الجليل ومن أهم مدنه قيصرية ، وسوخار ، والسامرة ، وإلى الجنوب من السامرة تقع اليهودية ، ومن أهم مدنها أريحا ، ويافا ، وبيت عنيا وبيت لحم التي ولد فيها المسيح ، وبئر سبع ، وأشدود ، وعمواس ، وحبرون وأورشليم التي أمضي المسيح أيامه الأخيرة فيها ، وقد كانت يهوذا عاصمة اليهودية وفلسطين السياسية لزمن طويل ، وتسمى أيضا بيت المقدس ، والقدس ، وكان يوجد بها هيكل سليمان قديما ، وقد دمرت على يد القوات الرومانية عام ٧٠ بعد الميلاد ، وهجرت ثم عاد الناس إليها شيئا فشيئا وفي عام١٢٢م بعد الميلاد أمر هارديان بأن يعاد بناء المدينة . لكن على الطراز الروماني ، فثار اليهود من أجل ذلك فأخمدت ثورتهم بالقوة ، ثم بني هارديان معبدا وثنيا وأحاطه بأسوار عالية . وذلك على تل الجلجثة الذي تقول الأناجيل إنه كان مسرحا لحادثة الصلب ، وقد أقام هارديان بهذا المعبد تمثالاً للإلهة (جوبيتر) وعلى أعلى قمة بالتل أقام تمثالا للإلهة (فينوس) وكلاهما من معبودات الرومان الوثنيين .

إلى أن جاء عهد قسطنطين فأمر بهدم هذا المعبد ، وإقامة كنيسة مكانه .

ويوجد بأورشليم كثير من الآثار المسيحية ومنها كنيسة القيامة ، كما يوجد بها كثير من الآثار الإسلامية، وأعظم هذه الآثار المسجد الأقصى الذي وقع في أسر اليهود

---

(١) [يوحنا ٧ : ٥٢] .

منذ عشرة أعوام وبضع عام ، وسندخله تحقيقا لوعد الله لنا متى شاء كما دخلناه أول مرة .

وبعد سقوط أورشليم أصبحت أنطاكيه مركز الإشعاع المسيحي ، وكانت في ذلك الوقت المدينة الثالثة بعد روما والإسكندرية ، وإن كانت سمعتها الأخلاقية سيئة وهي ذات موقع هام بين الشام وأسيا الصغرى وتقع على نهر الأورنط ، وتبعد عشرين ميلا عن البحر الأبيض وكان لأسقف كنيستها المركز الثالث في مجمع نيقية المشهور ، وفي رحلات الرعيل الأول من حملة لواء المسيحية الحالية ودعوة الناس إليها ، وتبرز لنا أسماء مدن كثيرة مثل مدينة درية وتقع مع أنطاكية بمفيلية وقونية ولسترة في دائرة غلاطية . وقد خضعت للرومان عام ٦٤ق.م ، وأنطاكية بمفيلية غير أنطاكية السورية ويرجع أن رسالة بولس إلى أهل غلاطية كانت إلى المسيحيين من هذه المدن الأربع .

ومنها مدن فليبي ، وأثينا ، وكورنثوس عاصمة اليونان التجارية . التي يوجد لها رسالتان من رسائل بولس .

مدينة الإنجيل الرابع :

مدينة « أفسس » بالواو أو بدونها ترجمة لكلمة يونانية معناها « المرغوبة » وهي عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا على نهر الكايستر ، وكانت في عصر الحواريين تعد مع أنطاكية والإسكندرية بين مدن الشرق العظمى . وكان لها مرفأ على البحر إلا أن الطمي الذي كان يحمله نهر الكايستر ملأ الميناء ، وظل يزداد حتى أنها تبعد الآن عن بحر إيجة بمسافة ثلاثة أميال ، ووادي الكايستر هو المدخل الطبيعي لقلب أسيا الصغرى .

وقد احتل الأغريق الأيونيون مدينة أفسوس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأصبحت عاصمته أيونيا ، وقد وجد اليونانيون تشابها بين الإلهة الأم التي تعبد عندهم وبين الإلهة « أرطاميس » التي كان لها هيكل بأفسوس مما جعلها مركزا دينيا ومزار الكثيرين من الوثنيين .

وقد وقعت المدينة تحت حكم كريسس ملك ليديا ، وكورش العظيم ملك الفرس والإسكندر الأكبر وخلفائه ، ومملكة برغامس وفي النهاية وقعت المدينة تحت حكم الرومان عام (١٣٣) ق م [1] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس [ص٩٢] .

وقد كان هيكل أرطاميس المذكور أحد عجائب الدنيا السبع وكان طوله (٣٤٢) قدما وعرضه (١٦٤) قدما ، وكان فيه مائة عمود من الرخام طول كل منها (٥٥) قدما وقد عمل الفن اليوناني عمله في زخرفته وتزيينه .

وكان يوجد بها مسرح من أكبر مسارح العالم القديم يسع قرابة (٢٥) خمسة وعشرين ألف نفس . كما كان من حرف أهلها ما تقوم به طائفة الصياغ من صنع تماثيل لهيكل أرطاميس من الذهب والفضة وغيرهما .

ويقول التقليد الكنسي أن يوحنا بن زبدي قضى السنوات الأخيرة من حياته بين أهل أفسوس . وقد لحق بها بعد أن أفرج عنه من سجنه في منفى جزيرة بطمس . تجاه أفسوس .

وقد ذكر يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة . أنه " كان هنالك قبران في أفسس لا يزال إلى الآن كل منهما يدعي قبر يوحنا " [١] وهذه ملاحظة جديرة بالأهمية سنتناولها فيما بعد : ويقول مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس :

« وبعد أن أخذ الأتراك مدينة أفسوس عام ١٣٠٨م لم يُعَدْ بناؤها وأهملت ومكانها في هذه الأيام ملئ بالخرب البارزة التي يسميها الأتراك « أفيس » [٢] . أ.هـ .

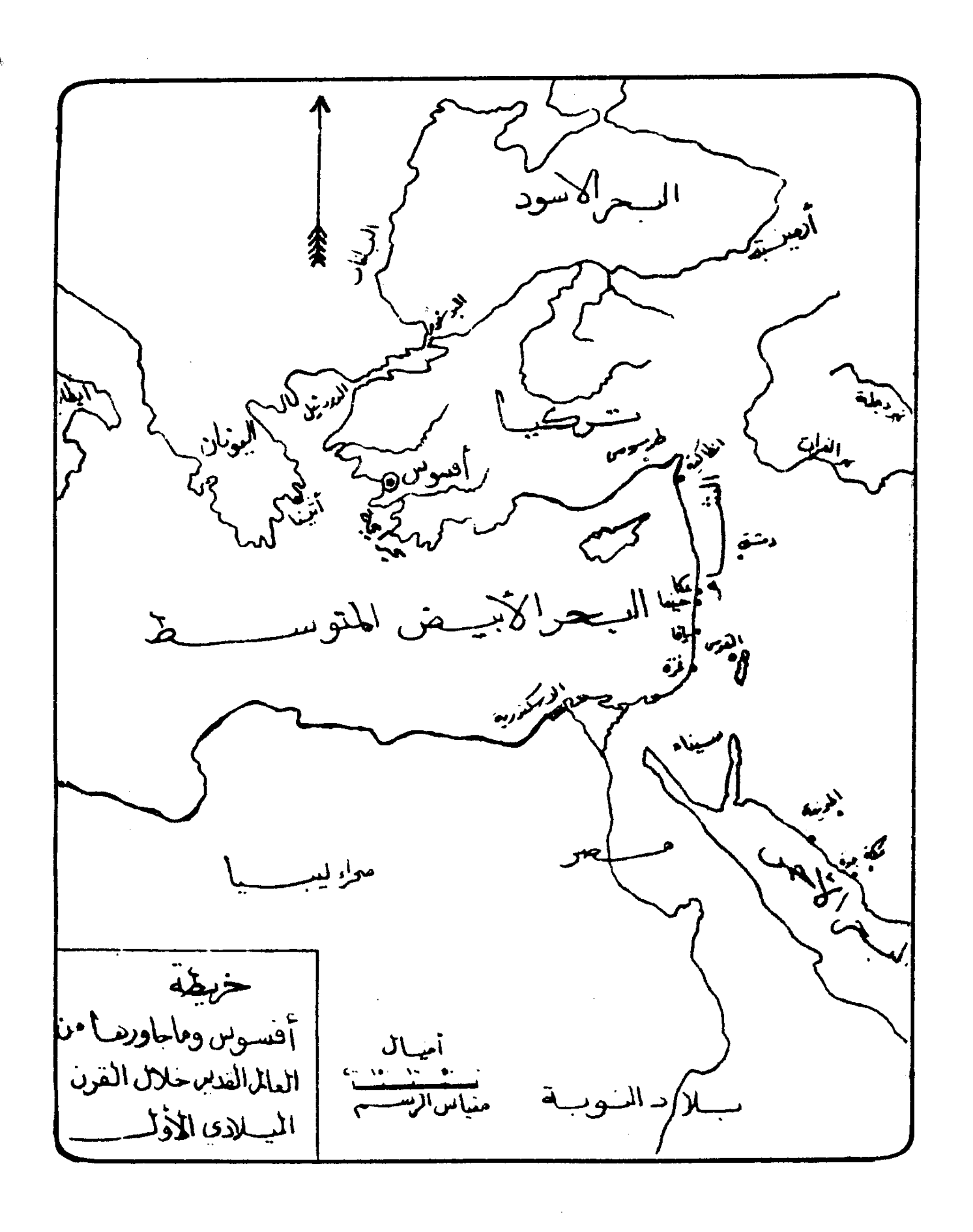
إلا أنه من الجدير بالذكر أن البابا " يوحنا الثاني " بابا الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان قد قام بزيارة مدينة أفسوس وتفقد البيت الذي يقال إن السيدة مريم دفنت فيه بمدينة أفسوس ، وكان ذلك يوم ١١ المحرم عام ١٤٠٠هـ الموافق ٧٩/١١/٣٠م وقد استمرت الزيارة لمدة ثلاثة أيام زار خلالها الكنيسة الأرثوذكسية الموجودة في تركيا ، داعيا للوحدة بين الكنيستين ، وهذا يدل على أنها لا تزال مدينة عامرة آهلة ، على خلاف ما ذكر في القاموس وربما صح ما جاء فيه ثم عمرت بعد حين .

وهذه المدينة هي التي طلب أبناء كنيستها تأليف إنجيل يقول بألوهية المسيح ، ويرد على معتقدي البدع و (الهرطقات) . وأتباع يوحنا المعمدان . وتوضح الخريطة التالية موقعها وما جاورها من العالم القديم .

---

(١) يوسابيوس القيصري . تاريخ الكنيسة [٣ : ٣٩ ، ١٩] ترجمة مرقس داود طبع ماهر نسيم .

(٢) قاموس الكتاب المقدس – مادة أفسوس [ص٩٣] .


البحر الاسود
أرمينية
البلقان
الدردنيل
اليونان
أثينا
تركيا
أفسوس
طرسوس
انطاكية
دمشق
البحر الأبيض المتوسط
عكا
يافا
القدس
غزة
الاسكندرية
سيناء
مصر
صحراء ليبيا
بلاد النوبة
أميال
مقياس الرسم
خريطة
أفسوس وما جاورها من
العالم القديم خلال القرن
الميلادي الأول

(٢) حالة العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية :

فتحت سوريا وفلسطين للدولة الرومانية على يد القائد الكبير (بومباي) الذي قضي على ثورة العبيد الثالثة بقيادة (سبارتكوس) المشهور .

وكانت روما قد استولت على إيطاليا كلها وصبغت كل مدنها بالصبغة الرومانية وبذلك اتسعت رقعة روما فشملت شبه الجزيرة الإيطالية كلها . وقد استولت بعد ذلك على الدول المحيطة بها من سوريا شرقا إلى بريطانيا غربا ومن ألمانيا وبلچيكا شمالا إلى شمال أفريقيا جنوبا حيث ضمت جميع دوله . واستعبدت هذه الشعوب ونهبت خيراتها ومن ثم بلغت من القوة والسطوة ما لم تبلغه دولة في التاريخ القديم كله بعد سقوط الإمبراطورية المصرية ، وقد استخدمت في حكم الشعوب التي وقعت تحت ربقتها أبشع صنوف الوحشية التي لم يعرف العالم لها مثيلا . على حد تعبير الأستاذ زكي شنودة [١].

كان نظام الحكم فيها ملكيا ثم أصبح جمهوريا عام (٥١٠ قبل الميلاد) ثم انقلبت الجمهورية إلى دكتاتورية عقب انتصار (أوكتافيوس) في موقعة أكتيوم عام (٣١ق.م).

وكان المجتمع الروماني مجتمعا طبقيا يتكون من طبقتين متميزتين : طبقة الأشراف وهم كبار الملاك وأبناء العائلات العريقة ، وطبقة العامة . وهم أصحاب الثروات الصغيرة والحرف البسيطة . أما المعدمون والغرباء والعبيد فكانوا غير معتبرين ، من المواطنين وكانوا محرومين من حقوق المواطنين ، ومعرضين لكل صنوف الظلم والهوان .

وكان الأشراف هم الطبقة الحاكمة ، وقد نشأت بمرور الزمن طبقة إلى جانبها وإن كانت أقل منها وهي طبقة الفرسان ، فلما اتسعت الإمبراطورية وزادت ثروتها نشأت ثالثة وهي طبقة رجال الأعما ل. وكانت هذه الطبقات الثلاث تشكل جبهة دائمة ضد العامة . وكان الصراع بين الجانبين لا يهدأ .

وكان القانون الروماني خادما لمشرعيه ممن ذكرنا فكان شديد الصرامة ولا سيما على الفقراء ، فكان يبيح للدائن أن يسحن المدين ، وأن يبيعه بيع الرقيق بل وأن يقتله وكان في وسع الدائنين المتعددين لشخص واحد إذا عجز عن أداء ديونهم أن يمزقوا

---

(١) زكي شنودة . تاريخ الاقباط [جـ٦ ص٩٩] الطبعة الأولى .

جسده ، ويوزعوا أشلاءه فيما بينهم . وكان العامة يحاولون الثورة من حين إلى آخر فكان مجلس الشيوخ يقضي عليهم أو يهادنهم حتى يتمكن من التنكيل بهم .

وقد تمكن " سبارتكاكوس " من أن يجمع حوله ٧٠٫٠٠٠ سبعين ألف عبد قادهم وقهر بهم جيوش رومة ثلاث سنوات قبل أن يتمكن " بومبي " من القضاء عليه مما دفع الأستاذ العقاد إلى القول بأنه " لولا خلل في كيان المجتمع لمااشتمل على أضعاف هذا العدد من الأرقاء المسخرين الذين ينظرون إلى مجد رومة نظرة الحقد ويجازفون بالحياة ليهبطوا به إلى الحضيض .

وقد كان سبارتكوس من أهل تراقية ولم يكن أول " عبد " شرقي ثائر على الدولة الرومانية . بل سبقه رقيق آخرون من البلاد الشرقية إلى الثورة في صقلية سنة ١٤٣ق.م واستطاع أن يقيم له عرشا استقر في الجزيرة عشر سنين . وهذه هي الثورة التي تجلي قائدها " أونس " لأتباعه في صورة النبي المرسل وفي شارة الملك المتوج بيد الله وكان أصله في سوريا وكثيرون من أتباعه شرقيون .

وقد سبقت ثورة أونس السوري ولحقت به ثورات من قبيلها لم تبلغ مبلغها من العنف ولم تخل إحداها من صبغة دينية فيما تدعيه لقادتها ، وكانت واحدة منها في أسيا الصغرى تنشئ لها حكومة تسميها حكومة " الشمس " رمزا إلى عبادة النور والحرية ، وتقيم هذه الحكومة والثوار المنهزمون في صقلية يعلقون بالألوف على أخشاب الصلبان (١).

ويقول الأستاذ زكي شنودة : " كانت الظاهرة التي يتميز بها المجتمع الروماني ولا سيما في عصر التوسع والثراء هي العدد الضخم الذي به من العبيد ، حتي لقد كان العبيد في روما أكثر من الأحرار . " وحتي قيل : " إن الدولة الرومانية هي دولة عبيد وكان عدد العبيد في حكم الإمبراطور كلوديوس (حوالي منتصف القرن الأول الميلادي) يوازي نصف سكان الإمبراطورية الرومانية كلها أي حوالي ستين مليونا حسب تقدير المؤرخ جيبون " (٢) .

وكان الاستعباد في روما أكثر وحشية من الاستعباد في بابل . إذ كان القانون

---

(١) العقاد : حياة المسيح [ص ٥٢] .

(٢) الأنبا يؤانس : الكنيسة المسحية في عصر الرسل [ص١٤٨] .

الروماني يعتبرالعبد " شيئا " وليس "شخصا " أي جمادا ، وليس إنسانا ، فكان من حق سيده أن يتصرف فيه كما يتصرف في أي متاع يملكه ، فيبيعه أو يؤجره أو يرهنه أو يعدمه (١).

ولم يكن للعبد أي حقوق لأنه لا قيمة له ، فقد كان العبيد يساقون بعشرات الألوف أسرى إلى رومة بعد كل غزو تقوم به جيوشها ، وعلى سبيل المثال (أسرت الجيوش الرومانية (١٧٧ قبل الميلاد) ٤٠ر٠٠٠ أربعين ألفا من أهل سردينيا وأسرت عام (١٦٧ قبل الميلاد) ١٥٠ر٠٠٠ مائة وخمسين ألفا من أهل أبيروس وقد أصبح هؤلاء كما أصبح مئات الألوف غيرهم من الأسرى عبيدا بيعوا بأبخس الأثمان إذ كان ثمن الواحد منهم لا يزيد عما يعادل خمسين قرشا (٢) .

وبالإضافة إلى الحروب كمورد للعبيد ، كان هناك ضحايا القراصنة الذين كانوا يقتنصون الأحرار من سواحل البحار ويبيعونهم في أسواق العبيد حيث يجلبونهم من سواحل أفريقيا وآسيا وبلاد اليونان وأسبانيا وألمانيا وبلاد الغال والبلاد الواقعة على صفتي نهر الطونة والروسيا وغيرهم .

كما كان حكام الولايات يوردون للأسواق أعداداً كبيرة من الأحرار الذين يحكمون عليهم بالعبودية في ولاياتهم لسبب أو لغير سبب .

وكان من الأمور المألوفة أن يباع في أسواق البلد الواحد في اليوم الواحد ١٠و٠٠٠ مائة ألف من العبيد ، ولم يكن هؤلاء العبيد جميعا من السذج البسطاء بل كان بينهم المثقفون والفلاسفة ، والشعراء ، والعلماء ، والزعماء الذين قهروا على الاسترقاق .

وبلغ الترف بالرومان إلى حد إلقاء العبيد للوحوش المفترسة في أماكن الاحتفالات لكي ينعم المتفرجون بهذه المتعة الوحشية ، ومما يذكر في هذا الصدد أنه في الاحتفال الذي أقيم ابتهاجا بانتصار القائد الروماني " أكويلوس " عام (١٠٣ قبل الميلاد) ألقي للوحوش بعدد هائل من العبيد للمصارعة . فلم يصارعوا الوحوش وإنما أغمد كل منهم خنجره في صدر زميله حتي يموتوا بأيديهم ولم يكن ذلك حبا في الموت

---

(١) زكي شنودة : تاريخ الاقباط [حـ٦ ص٨٧] .

(٢) زكي شنودة تاريخ الاقباط [حـ٦ ص٨٨ ، ٩٢] ، والخمسون قرشا هي نصف جنيه مصري .

فإنه مضمون بمخالب الوحوش ، وإنما لكي يحرموا المتفرجين من المتعة الوحشية .

ولم يكن ذلك مقصورا على الأفراح وأيام الابتهاج فقد جرت التقاليد القديمة لدي الرومان على أنهم إذا مات أحد رؤسائهم جاءوا بعدد عظيم من الأسرى وذبحوهم في جنازته ، وفي الاحتفالات الدينية كانوا يقدمون ذبائح بشرية للآلهة (١).

وكانت مظاهر الترف والاسراف بادية على مجتمع روما بالإضافة إلى الجشع في اكتناز الأموال وإنشاء القصور الفاخرة التي تقام فيها المآدب في بذخ شديد .

وكانت تكاليف ذلك تعود على المستعمرات التي لم تلق من العناية بمرافقها حظا يذكر . فكلما احتاجت روما للمال للإنفاق على القصور أو لتسيير الجيوش ، زادت من فرض الضرائب فأرهقت كاهل الرعايا .

وامبراطورية رقعتها بهذا الاتساع ، ومجتمعها بهذه الأحوال لم تكن بالتي تنعم بالأمن وتخلو من الثورات والاضطراب .

وقد صدر الأمر بالإحصاء العام في فلسطين ، وأمر المواطنون أن يسجلوا أسماءهم حوالي السنة السابعة لميلاد المسيح ، فاجتاحت البلاد ثورة شديدة خوفا من أن تكون الدولة تنوي زيادة الضرائب ولأنه لا ينبغي الاعتراف بملك غير (يهوا) وهو الإله فكانت الثورة غضبة للأرزاق والعقيدة .

ومما لا خلاف عليه بين المؤرخين الشرقيين والأوربيين أن الحالة السياسية في فلسطين خاصة كانت على أسوأ ما تكون . ولكنها على إفراطها في السوء لم تبلغ مبلغ الحالة لاجتماعية في الدلالة على القنوط وعموم البلاء . وحسب القارئ أن يتصفح الأناجيل كائنا ما كان اعتقاده فيها من الوجهة الدينية ، لكي تتمثل له حالة البؤس واليأس التي كانت ترين على القري والمدن في أقاليم فلسطين . ولا سيما إقليم الجليل الذي تواترت الروايات عنه ، فحيثما كتب الإنجيليون رحلة من رحلات السيد المسيح بين القري فهناك أخبار عن العجزة والمرضي الذين يتعرضون لطلب الشفاء بعد اليأس من كل علاج ، وبين هؤلاء مشلولون ومفلوجون ومصابون بالخرس والصمم والعمى ويبس المفاصل والأطراف ، وبينهم من يقال عنه إن جسده تسكنه الشياطين أو يتناوب سكناه جملة من الشياطين بالليل والنهار وكان بعض هؤلاء المرضى أطفال

---

(١) زكي شنودة : تاريخ الأقباط [حـ٦ ص٨٨ ، ٩٢] .

وبعضهم من الشبان والكهول في مختلف الأعمار وهذا إلى أمراض البرص والنزيف والصرع الذي لايقترن بالجنون .

وإذا كانت هذه الحالات البارزة فإلى جانبها ولا شك حالات أخرى دونها في الشدة والبروز تنم على الآفات الجسدية والنفسية التي فشت في ذلك المجتمع وتركته مهيض الأعصاب عرضه للسخط والهياج [1].

الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون من جرّاء عداء السلطة الرومانية واليهود :

لقى المسيحيون صنوفا من الاضطهاد ، بأمر القياصرة . كان أشهرها اضطهاد نيرون سنة (٦٤م) وقد نسب إليهم حريق روما في عهده ، فشن عليهم حملة شعواء في كل أنحاء الامبراطورية . وابتكر في تعذيبهم أبشع الوسائل فكان يضع المسيحيين أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب الجائعة تنهشهم ويطلي بعضهم الآخر بالقار ويعلقهم على المشانق ثم يضرم فيهم النار ، ويجعل منهم مشاعل بالليل . ثم جاء دومتيانوس فنكل بهم هو الآخر (٩٠م) وكان من بين من عذبهم يوحنا بن زبدي إذ نفاه في جزيرة بطمس للعمل في المناجم [2].

(٣) الحالة الفكرية :

أولا : كانت بلاد فلسطين جزءا من الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف ، وكانت بحكم موقعها مكانا صالحا لاختلاط الأجناس والشعوب يفدون إليها فيقيمون أو يرتحلون محاربين أو تجارا .

وقد كانت المذاهب الفكرية المنتشرة في القرن الميلادي الأول وبضعة قرون من قبله تتمثل في ثلاثة اتجاهات رئيسية :

---

(١) العقاد : حياة المسيح [ص٥٨] .

(٢) زكي شنودة : تاريخ الأقباط [حـ١ ص١٠١] بتصرف .

أولا - المذاهب الفكرية

الفيثاغورية - الأبيقورية - الرواقية :

وهذه الثلاثة أشهر المذاهب وأكثرها شيوعا في ثقافة العالم في ذلك الحين وقد خضع للرومان أمم وشعوب وكانت هذه الأمم والشعوب ذات حضارات وثقافة وعلوم ومنها اليونان التي نشأت بها الفلسفة التي كانت اشعاعاتها منارات هدي المفكرين .

أ- الفيثاغورية :

مثل للمذاهب التي تحاول التأليف والمزج بين عقائد وفلسفات مختلفة، والأبيقورية مثل للمذاهب الإلحادية وتشترك مع الرواقية في أن كلا منها يدعو إلى الزهد والتقشف في مواجهة شيوع البذخ والترف الذي اتخمت به السلطات ورجال الدولة وكان لأتباع فيثاغوراس شعائر وصلوات وكانوا يعتقدون في رئيسهم فيثاغوراس أنه ابن الإله (أبولون) ، وكانوا يعتقدون بأنه سيبعث لأنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح ، وأن الروح في الجسد غريبة تلتمس الفكاك ولا فكاك بغير العمل الصالح ، ويحرمون أكل اللحوم ويستحسنون اجتناب أكل البقول ولهم مجموعة من المعتقدات العجيبة مثل وعظ بعضهم للحيوانات وذلك كنتيجة لاعتقادهم بتناسخ الأرواح .

كان فيثاغوراس يقبل الرجال والنساء في إخوته ويوجب المشاركة في الأقوات والمقتنيات التي تصل إلى أيدي الجماعة ويؤمن أتباعه بعد موته بأنه يلهمهم الكشوف العلمية ويلقنهم عظات الحكمة ، والخلائق الحسنة ، وأن الحياة كانت (فرجة) عنده وهي كذلك عند من يشبهونه فالعالم في رأي الفيثاغوريين كساحة الألعاب الأولمبية يقصدها أناس للتكسب وهم أخس الزائرين ، ويقصدها أناس للمباراة وهم فوق ذلك ، ويقصدها أناس للفرجة وهم أرقى منهم جميعا وكذلك الفلاسفة الذين يزورون العالم للتأمل والنظر هم أرفع من المتكسبين والمتنازعين على جوائز الميدان .

والأفكار الفلسفية نفسها هي وحي من الله ، ويردون اشتقاق الكلمة Thiory إلى اسم الله Thoes ثيوس باليونانية فكل حكمة عندهم فهي من الحكمة الإلهية يتلقاها الباحث بالرياضة والمناجاة و " الانسجام " بينه وبين موسيقى الكون إذ الكون كله عندهم نسب عددية موسيقية وضرورة كماله عدد الأربعة ، ولعله كذلك عندهم لأنه يجمع العناصر الأربعة التي تخلق منها جميع الأشياء . وقيل إن لهم أغراضا سياسية وأنهم كانوا يتآمرون على الدولة في اجتماعاتهم السرية ، وقد عاش فيثاغوراس في القرن

السادس قبل الميلاد وساح في بقاع العالم المعمور كله وبقيت نحلته أو أخوته في جميع الأقطار ، ولا سيما الأقطار التي أقام فيها اليونان المستشرقون .

ب - الأبيقورية :

كان الهدوء وطلب السكينة والأمان مطلب المذاهب الثلاثة التي نتناولها وقد كانت الأبيقورية تعتبر (التماس الأمان مثلها الأعلى ، فأدى بها هذا النظر إلى أن التوقف عن الاعتقاد في الدين ، أدعى للأمان من الإيمان به ومن ثم يصبح الإيمان بالدين خطية ، بل أضحى عند بعضهم مبعث كل شر [1] ، ولعل هذا يفسر لنا موقف الأبيقورية من الدين وكفرها به .

وتنسب الأبيقورية إلى " أبيكورس " الفيلسوف اليوناني الذي أسس مذهبا تسمى بأسمه وكان أبيكورس " أبيقور " من أصل أثيني وولد في جزيرة ساموس عام (٣٤١ق.م) ومات عام (٢٧٠ق.م) وفحوى مذهبه الفلسفي في الأخلاق أن اللذة غاية ما يريده الإنسان فعليه أن يبحث عنها ويتجنب الألم .

وقد لاذ بآسيا الصغرى هربا من الإضطهاد ، وقد تعلم الفلسفة في شبابه ثم افتتح مدرسته الشهيرة بعد ذلك في حديقته المشهورة بأثينا عام (٣١١ق.م) وهو في نحو الثلاثين .

وكان يقبل في مدرسته كل طوائف المجتمع وكان يعلم تلاميذه فيه فلسفته ويحثهم فيها على طلب السرور واللذة وأن من أعرض عن سرور يستطيعه في غير ألم ولا ندم فهو أحمق .

ولا يقارن عمله بتعاليمه فقد كان يعيش معيشة النساك والزهاد ويقضي معظم أيامه على الخبز والجبن والماء ، ولقد (ظن البعض أنه كان خلوا من كل ميل شهواني) [2] وذلك لعفته وطهره .

ومما كان يعلمه أن الآلهة موجودة ولكنها تعيش بمعزل عن الناس في شغل بسعادتها ، لا تعبأ بأمورهم ولا تعني بحياتهم ، ولا يليق بالبشر أن يرهبوا تلك الآلهة ،

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ٣٧] .

(٢) قاموس الكتاب المقدس [ص٢٢] .

كما رفضت الأبيقورية القول بالعناية الإلهية .

وقد كانت الأبيقورية هي المذهب لكل ملحد مكذب بالدين خاصة في عصور الشك والسآمة والظلم .

ومع هذا فقد كانت الأبيقورية (لا تعفي أصحابها من التكاليف ولا تفرض على عقولهم أو ضمائرهم واجبا يثقل على كواهلهم ولكنها مع هذا كانت تجمع قواعدها ووصاياها في أصول منظومة أشبه بالأوراد الدينية التي يستظهرها المريد ويترسمها ترسم الإيمان والعبادة [(١)].

على أن الفلسفة الأبيقورية كما مارسها الرومان ، كانت عقيدة سلبية إذ خلت من كل رجاء في الخلود ، ومن كل دافع من دوافع الخير وكان شعارها (لنأكل ونشرب ونطرب فغدا نموت) [(٢)].

وقد جاء في سفر أعمال الرسل أن بولس الرسول التقى في أثينا ببعض فلاسفة الأبيقوريين وعرض عليهم دعوته ، ووجدوها مناقصة لتعاليمهم وظنوه متخلفًا عن ركب الفكر يريد أن يعود إلى الخرافات والشعوذات القديمة فيعلم عن إله صار إنسانا لخلاص البشر وفدائهم [(٣)] .

جـ- الرواقية :

والرواقية نسبة إلى " رواق السوق العام " بمدينة أثينا الذي ظل مؤسس الرواقية يعلم فيه الفلسفة لتلاميذه مدة تقرب من نصف قرن من الزمن في حياته . وأستاذ الرواقية الأول هو " زينون " الذي ولد في " قبرص " عام (٣٤٠ ق.م) تقريبا ومات عام (٢٧٠ ق.م) ثم انتقل بعد ذلك إلى أثينا .

والرواقية في جانبها الأخلاقي تلتزم بفضيلتي الصبر والعفة ويعتقدون أن الكون كله نظام متناسق يجري على حسب المشيئة الإلهية ، والوحي والرؤيا والفأل ، وطوالع النجوم من وسائل العلم بأسراره وخفاياه ، ويلتقي الإنسان بالعقل مع الآلهة وبالجسد مع الحيوان الأعجم وفضيلته الإنسانية هي أن يطيع العقل ، وعصيانه الجسد

---

(١) العقاد : حياة المسيح [ص٧] .

(٢) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ٣٧] .

(٣) [أعمال الرسل [١٧ : ١٨] .

هو مقاومة الشهوات ، وطاعته العقل هي طلب المعرفة ، وسعادة الإنسان كلها هي : السعادة التي تتهيأ له من الاستغناء عن الشهوة وتحصيل العلم ، فما زاد على ذلك من السعادة فهو وهم لا يدرك أو فضول لا خير فيه .

وقد نشأ الرواقيون الأول ماديين يؤمنون بأن الوجود كله أصل واحد ولكنهم تدرجوا إلى الروحانية وانتهى خلفاؤهم في عصرالميلاد وما بعده إلى الإيمان بحرية الروح في مواجهة المادة ، فالإله الأكبر " زيوس " لا يستطيع أن يجعل الجسد حرا من قيود المادة ، لكنه يعطينا قبسا من روحه الإلهية فنصبح بنعمته إخوانا ، لا يفرق بينهم وطن ولا جنس ولا لغة ، وأينما يكونوا فهم مع الله ، لا حاجة بهم إلى هيكل أو معبد ، فإنما القداسة في النفس التي تعبد وليست القداسة في مكان للعبادة يصنعه البناء والحداد . ومذهب الرواقية في الألوهية أن الإله جوهر ذو مادة ، وأن الكون كله هو قوام جوهر الإله ، وأن الإله يتخلل أجزاء الكون كما يتخلل العسل قرص الخلايا وأن الناموس – وهو بعبارة أخري مرادف للعقل الحق أو الكلمة الحقة – وهو لا إله إلا زيوس شئ واحد يقوم على تصريف مقادير الكون .

ويترادف عنده معني الله ، والعقل ، والقدر ، وزيوس ، فكلها وما شابهها من الأسماء التي تدل على موجود واحد ، وقد كان هذا الموجود الواحد منفردا لا شريك له فشاء أن– يخلق الدنيا، فأصبح هواء ، وأصبح الهواء ماء وجرت في الماء مادة الخلق ".

وآخر الأقطاب الرواقيين قبل الميلاد – بوزيدون – وكان يعلم تلاميذه أن الروح لا تفنى بفناء الجسد وإنما ترتقي صعدا في السماء على حسب ارتقائها في المعرفة والفضيلة فمن الأرواح ما يرفرف على مقربة من الأرض، ومنهاما يحلق بين الأفلاك العلي ويسبح معها وينعم بالنظر إليها والإستماع إلى ألحانها في مسارها إلى يوم القيامة.

ويتفق مؤرخوا الفلسفة على قوة الأثر التي أعقبته المذاهب الرواقية في العالم الروماني إلى أقصي أطرافه حتي أصبح أئمته عبد من العبيد وزعماء وأحد الأباطرة [(١)].

وإذا تتبعنا أشهر هذه المذاهب في فلسطين وجدنا : أن الصدوقيين من اليهود يميلون إلى الأبيقورية ، والفريسيين يأخذون بالحكمة الرواقية على كراهيتهم للتشبه بالأجانب

---

(١) العقاد : حياة المسيح [ص٧٣] بتصرف .

وقد أنجب عصر الميلاد – يهوذا فيلون (٣٠ ق.م – ٥٠ب م) الذي يعد في نظر الأستاذ العقاد أكبر فلاسفة الإسرائيليين في العصر القديم . وقد ولد بالإسكندرية «وقد مزج في فلسفته بين عقائد عصره ومذاهبه الفلسفية من كل منبت ولا سيما منبت الإغريقيةالإسكندرية وقد أخذ القول بالكلمة Logos من الرواقيين عن هيرقليطس أول القائلين بها في الزمن القديم وقال إنها هي واسطة الله في علاقته بهذا العالم ، وأخذ تفسيرالرموز الدينية من العبادات السرية كعبادة إيزيس ، وعبادة أوزوريس سرابيس التي تأسست بالإسكندرية وتفرعت في أثينا وبومبي وروما . وبعض المواني الآسيوية، ثم طبق هذا التفسير على التوراة فشرحها شرحا عقليا يخالف في كثير من المسائل شروحها التقليدية . " وينقسم الإنسان عند فيلون إلى ثلاثة أقسام : وليد الأرض ، ووليد السماء ، ووليد الله ؛ فوليد الأرض من يطلب متاع الجسد ، ووليد السماء من يطلب متاع الفكر ، ووليد الله من تجرد عن الدنيا وأقبل بجملته على عالم فوق هذا العالم المعصوم من الفناء ، براء من المادة في زمرة الهداة والمرسلين [١].

دور التعليم والفكر :

كان بالإسكندرية مدرستان أو جامعتان :

أولاهما :

الجامعة الوثنية أنشئت قبيل بداية القرن الثالث قبل الميلاد وظلت إلى منتصف القرن السابع الميلادي ولم تكن جامعة بالمفهوم العصري لنا ، وإنماكانت حلقات متتابعة من العلماء والفلاسفة وكانت تدرس فيها علوم أخري بجانب الفلسفة إلى كانت تلقى أعظم اهتمام . وكانت حلقاتها تعقد بدور المكتبات والمتحف ، ومن أشهر مآثرها ترجمة كتب العهد القديم من العبرية إلى اليونانية . ومن مفكريها فيلون الذي كان زعيما بارزا من الفكر اليهودي عامة وكان معاصراً للمسيح [٢] ، وقد مزج في فلسفته بين عقائد عصره ومذاهبه الفلسفية من كل منبت ولا سيما منبت الإغريقية الإسكندرية وأخذ القول بالكلمة (Logos) من الرواقيين عن هيراقليطس أول

---

(١) العقاد : حياة المسيح [ص ٧٤] بتصرف . (٢) [٢٠ ق.م – ٥٤م] .

القائلين بها في الزمن القديم وقال إنها واسطة الله في علاقته بهذا العالم ، وأخذ تفسير الرموز الدينية من العبادات السرية كعبادة إيزيس وعبادة أوزيريس سرابيس كما يقول الأستاذ العقاد [١].

الثانية :

الجامعة المسيحية - مع التجاوز في إطلاق اسم الجامعة وهي المدرسة اللاهوتية التي أنشأها بالإسكندرية مرقس الذي ينسب إليه تأليف الانجيل الثاني في منتصف القرن الأول الميلادي أو نحوه وقد اشتغلت في أول عهدها بتدريس مبادئ المسيحية ثم اشتغلت بعد ذلك بالدراسات الفلسفية والعلمية والأدبية .

وقد توثقت العلاقات بينها وبين علماء الجامعة الوثنية حتى قيل : " إن عباد سيرابيس بالإسكندرية مسيحيون ، كما أن أساقفة النصرانية يعبدون سيرابيس .

وقد أسفرت دراسات هذه الجامعة المسيحية عن وضع أصول علم اللاهوت الذي جابهت به الفلسفة الوثنية اليونانية الرومانية وهي في أوجها .

وإلى هذه المدرسة يرجع الفضل في انتشار المسيحية ، وقد برز من تلاميذها عدد كبير من فلاسفة المسيحية مثل إثناسيوس وديونسيوس وكيرلس وديسقورس وأكليمندوس وأوريجانوس .

ولم تكن الإسكندرية وحدها بين مدن الإمبراطورية الرومانية التي تعني بالمدارس الفلسفية ، وإنما كان هناك مدارس في مدن أخري كثيرة مثل أثينا .

وكان في أفسس التي دفن فيها يوحنا بن زيدي مدرسة لتعليم الفلسفة والخطابة تحدث عنها سفر أعمال الرسل [٢] وكان صاحبها رجلا يدعي (تيرانس) ويرجح أنه كان معلما فيها . [٣]وكان بولس عندما أقام بأفسس يعلم يوميا في هذه المدرسة لمدة سنتين . ثم رحل عنها .

وقد ذكر الأنبا يؤانس في كتابه " الكنيسة المسيحية في عصر الرسل " أن يوحنا بن زيدي أنشأ مدرسة في أفسس [٤] ولم نر لرأيه هذا وجها ، كما لم نر أثرا لهذه

---

(١) حياة المسيح [ص٧٤] .
(٢) أعمال الرسل [١٩ : ٩ : ١٠]
(٣) قاموس الكتاب المقدس [ص٢٢٦] .
(٤) الأنبا يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل - [ص٣٠٥] .

المدرسة في كلام غيره . وربما كانت هي مدرسة (تيرانس) وكان يوحنا يتردد عليها .

وربما كانت على غرار مدارس أفسس مدارس أخرى ببعض المدن الكبيرة ، وقد لا يكون فإن التاريخ لم ينقل إلينا شيئا عن مثل تلك المدارس التي أنشأها دعاة المسيحية في ذلك العصر . والله وحده أعلم . فإن المادة التاريخية عن هذا العصر ضئيلة جدا ، وليس السبب في ذلك قلة ما كتب . بل في ندرة ما حفظ ونقل وسلم من الإتلاف عمدا أو بدون قصد . وهذا هو سبب الغموض الكثيف الذي يكتنف تلك الفترة من تاريخ الكنيسة في عهد طفولتها .

وترتب على هذا فقدان الثقة لدى كثير من الباحثين ، في روايات تاريخ هذه الفترة على قلتها . فأن أمورا كثيرة ما كان ينبغي أن تهمل أو يختلف فيها ، فيما أهمل تحديده بالضبط أو بالتقريب . كالخلاف حول تاريخ وفاة العذراء مريم أم عيسي المسيح يقول الأنبا يؤانس " تضاربت الآراء بخصوص نياحة السيدة العذراء مريم منها ما يذكر أنها عاشت خمس سنوات فقط بعد صعود المخلص ، ومنها ما يجعل مدة هذه السنوات عشرة ، ورأي يجعل نياحتها سنة ٦٢ ، وآخر يذكر أنها تنيحت في شيخوخة في سنة (٤٨) م.[١] .

ومن ذلك اختلافهم حول صلة يعقوب البار - الذي يدعي أخا الرب - هل هو أخو عيسى ؟ أم لا ؟ وهل كان من الإثنى عشر ؟ أم لا ؟[٢]

ومن ذلك اختلاف المؤرخين القدامى والمحدثين حول الإجابة عن هذا السؤال : هل زار بطرس روما ؟ أم لا ؟[٣] .

وليس سهلا على من يكتب عن تاريخ ذلك العصر ما يكابد من مشقة وما يعتريه من شكوك وحيرة ، والقارئ صنو الكاتب فإن بدا من قصور لم يستكمل أو غموض لم يوضح . فغير ما بدا أردت وقصدت والكمال لله وحده .

---

(١) أعمال الرسل [١٩ : ٩ ، ١٠] .

(٢) قاموس الكتاب المقدس . [ص ٢٢٦] .

(٣) الأنبا يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ٣٠٥] .

ثانيا : ظهور المسيح ودعوته :

كان المسيح إسرائيلي المولد ، أجرى له الختان حسب تقاليد اليهود وفي عامه الثلاثين دعا الناس إلى اتباعه لأنه رسول الله .

ولم يزعم المسيح عيسى أنه جاء بدين جديد ، بل جاء على درب الأنبياء السابقين إلى بني سرائيل " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أوالأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل " [١] وظل يعظ مدة لا تبلغ ثلاثة أعوام ويبشر الناس بالإنجيل الذي تلقاه من الله. وكان محبا للمساكين والفقراء متواضعا ، وكان حديثه كمعيشته معهم بسيطا .

ولكنه لم يلبث أن اصطدم باليهود الذي كانوا يعيشون على أمل " المسيح المنتظر أو الرسول الظافر الذي يطرد المستعمر الروماني ، ويقيم لهم دولة وطنية تحقق أملهم في السيادة على شعوب الأرض وأممها .

أما هم المجتمعون فسألوه قائلين يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل [٢] أما هو فكان رجاؤه في مملكة السماء وليس على هذه الأرض فخالف ما انتظروه ثم مضى – وسنعود إلى تفصيل ذلك في موطن آخر بهذا البحث إن شاء الله– لكننا هنا نهتم بالأثر الفكري الذي أنشأه أو أضافه من الناحية الفكرية . فلا نجد جديدا مما نسب إليه بعد ذلك في كتب المنتسبين إليه .

ونخلص إلى أن الأثر الذي أحدثه : أنه رسول من الله لبني اسرائيل جاء ليكمل ويقوم على نهج من سبقه من أنبيائهم . " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " [٣] و " ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله [٤].

يقول شارل جنيبير أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس في كتابه " المسيحية نشأتها وتطورها " والذي ترجمه الإمام الأكبر عبد الحليم محمود : إنه لم يؤسس شيئا : لم يأت بدين جديد ، ولا حتى بأي طقس من طقوس العبادة جديد. لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوى في إطار الديانة اليهودية تلك الديانة التي لم يزعم قط أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو شرعها وشعائرها واعتمدت

---

(١) متى [٥ : ١٧] .
(٢) أعمال الرسل [١ : ١٦] .
(٣) يوحنا [١٧ : ٣] .
(٤) يوحنا [١٣ : ١٦] .

تعاليمه على فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها كما آمن بها سائر مواطنيه إلا أنه فهمها وعبر عنها بطريقته الخاصة [1].

ثالثا : أفكار التلاميذ بعد غياب المسيح :

لقد كان اليأس ، والشك والحيرة ، والضعف ، والخذلان . نتائج واقعية لرحيل المسيح المفاجئ ، ولم يملك تلاميذه شيئا غير الذكريات . التي حاولوا التثبث بها يسترجعونها كعزاء وحيد وسلوى عن الحلم الذي عاشوه مع أستاذهم ومعلمهم .

وشاعت فكرة بعثه بينهم . فراودهم الأمل في عودته يوما ما . فكان ذلك تطويرا لفكرة « مملكة الله » التي نادى بقرب حلولها إلى فكرة " الحواريين" في الأمل في عودة المسيح إلى هذه الدنيا مرة ثانية وانتظاره[2].

ويمكن القول إن الحواريين بذلك بدأو في وضع " البذرة الأولى " لديانة جديدة منفصلة عن اليهودية [3] التي مكثوا في بلادها بعد الاختفاء المفاجئ مدة تتراوح بين ١٢ اثني عشر عاما ، و ١٥ خمسة عشر عاما [4] - وسنزيد هذا الأمر إيضاحا في موضع آخر من الرسالة إن شاء الله - لأن ما يهمنا هنا هو تسجيل الحالة الفكرية بما هي عليه فقط ، لا بما هي به من علل ومنابع .

وتحت وطأة قسوة اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى . حاول التلاميذ المحافظة على كل ما يربطهم بالشعب من صلات ومواظبتهم على زيارة المعبد اعتمادا على ما كان بيديه أستاذهم من محافظة على الشريعة ومحبة للهيكل " لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة "[5] ولكنهم لم يلاقوا من النجاح بين أبناء البلاد من اليهود الأصلاء نجاحا يذكر نظرا لأن فكرة اليهود في " المسيح المنتظر " لم تتحقق . فقد كانوا ينتظرونه قائدا وملكا فأين ما يدعيه الحواريون من أن عيسى حقق ذلك ؟

فكان ذلك بمثابة صدام للفكرتين ، كذب اليهود الحواريين في دعواهم أنه هو

---

(١) شارل جنيير : المسيحية نشأتها وتطورها [ص٤٨] المكتبة العصرية - صيدا بيروت .
(٢) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل - يؤانس [ص٣٠٢] .
(٣) شارل جنيير : المسيحية نشأتها وتطورها [ص ٥٣] .
(٤) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل - يؤانس [ص٦٥] .
(٥) يوحنا [٢ : ١٧] .

عيسى ، وعاش الحواريون ومن آمن معهم على أمل العودة .

ويضن التاريخ بالمادة التي كان وجودها لازما لإعطاء هذه الفترة التاريخية حقها من الوضوح وخصوصا شخصيات الحواريين وإنا لنعجب من ذلك الغموض الذي يحيط بالصفوة المختارة من هؤلاء الرجال . فإنه لم يقدم لنا سوى الإصحاحات الأولى من مجموعة أعمال الرسل .

وقد يكون ذلك نتيجة لظهور شخصية بولس الطرسوسي . لأنه ما إن ظهر حتي كانت شخصيته مصار الإهتمام وأصبح هو المركز للدائرة التي كانت حول المسيح من الأتباع . وأصبحوا وليس بينهم من يماثله أو يستطيع أن يلاحقه .

يقول الأنبا يؤانس :

موضوع حياة الرسل وكرازتهم وأعمالهم، أمر يكتنفه كثير من الغموض - وثمة أمر آخر ينبغي أن نشير إليه ، وهو ضآلة تاريخ الرسل جميعا إذا ما قورن بتاريخ بولس الرسول - أما السبب في ذلك فيرجع إلى ضآلة ما حفظه لنا التاريخ عنهم على عكس بولس الذي لدينا سجل - يكاد يكون وافيا عنه - فيما كتب عنه رفيقه في الأسفار القديس لوقا في سفر الأعمال ، وما كتبه هو نفسه في رسائل للكنائس والأشخاص [(١)].

رابعا - بولس ودعوته :

لا تسلم دراسة للمسيحية من التعرض لشخصية بولس الطرسوسي سواء - كانت لأبرز رجالها ، أو لكتابها ، أو لتاريخها وتطورها ، أو لعصرها الذي ولدت فيه وبيئتها.

فقد كادت حرارة الدعوة البسيطة لعيسى تقتل في نفوس تلاميذه الذين لم يستطيعوا أن يتحركوا بها بين اليهود فضلا عن الأمم ، حتي ظهر بولس فكان بمثابة القوة المحركة التي تدفع العجلة وتحملها على الحركة في أي اتجاه كيفما أراد لها القائد ، وكان بولس من الذكاء بحيث أعاد تصميم المركبة ومخربها العباب .

ويرى كثير من مؤرخي الأديان . أن بولس هو المؤسس الحقيقي للمسيحية التي

---

(١) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٣٠٨] .

عرفت للعالم بعد المسيح .[1] الذي ليس له فيها إلا الإسم بل إنّ أتباعه لم يعرفوا باسم "المسيحيين" في حياته . وإنما أطلق عليهم بعد ارتحاله المفاجئ . في أنطاكية [2] « ودعى التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا » [3].

ونحن نرى أن شخصية بولس كانت في وزن جميع التلاميذ ، وكم من الأكاليل وضعت لذاك الذي تعب أكثر من جيمع الرسل [4] بحيث يمكن لنا أن نقول مع الأستاذ شارل جنيير " أنه كان منشئ المستقبل " كما قال أيضا إنه " بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية [5].

ونحن نلفت النظر قبل إلقاء الضوء على شخصية بولس . إلى أمر بالغ الأهمية لم نر أحداً تنبه إليه رغم أهميته ، وهو أن " بولس " لم يكن شخصية فريدة بل كان علما على ظاهرة حفل بها العصر البولسي في حقول الدعوة الجديدة ولا نبالغ في القول بأن الظاهرة حفلت بأفراد في وزن شخصية بولس ، بل نكتفي بالقول بأنه كان قمة الهرم ، وعلما على منهج ، وأنموذجا يحتذى .

أ - يهود الشتات - أنصاف اليهود :

ومن الواجب أن نلقي بعض الضوء على القاعدة العريضة التي ظهر فيها مثل هذا العلم فنؤل ما نري . اليهود وقد انتشروا في أرجاء العالم المعمور إما لعدم عودة بعض أسلافهم من السبي أو الهجرة بسبب كثرة الحروب ، بين الروم والفرس والتي كانت تتخذ من المنطقة الأصلية لليهود ميدانا لها وإما بسبب ضيق موارد ثروة البلاد وغير ذلك . وبسبب نشاط الجنس اليهودي وجريه وراء أسباب الثروة كان اليهود يهاجرون إلى مكان الثروات حتى قال المؤرخ اليهودي يوسيفوس " لا يوجد شعب في العالم لا يضم جزءاً منا " ويقول المؤرخ الجغرافي سترابون : " ليس من السهل أن نجد بقعة في العالم لم تستقبل هذا الجنس " اليهود " [6]وكان الرومان قد أعطوا اليهود -

---

(١) أحمد شلبي : المسيحية [ص١٠٩] .
(٢) يؤانس الكنيسة المسيحية في عصرالرسل [ص٦٧ ، ١٢٥] .
(٣) أعمال الرسل [١١ : ١٢] .
(٤) يؤانس الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص - ٣٤٠] .
(٥) المسيحية : نشأتهاوتطورها [ص١١١] .
(٦) يؤانس : الكنيسية المسيحيحة في عصر الرسل [ص٣٣] .

ما لم يسمحوا به لغيرهم - الحرية في ممارسة شعائر عباداتم ، بل وأن يدعوا إليها غيرهم .

وكان الذين يرغبون في دخول اليهودية من أبناء الأمم أحيانا يقبلهم كهنة المجمع وأحيانا لا يسمح بقبولهم ، ويطلق عليهم « الدخلاء » ، وأحيانا لا يقبلهم كهنة اليهود أو يحجمون هم عن بعض تعاليم اليهودية المتشددة كالختان ؛ فكان يسمح لها بحضور المجمع وبالاختلاط باليهود ، مقابل التزامهم ببعض التعاليم حتى ولو كانت بالإمتناع عن تناول بعض الأطعمة المحرمة ، وكان يطلق على هؤلاء " المتعبدون " [١] أو (المتقون الله) .

وقد حفل سفر أعمال الرسل بالحديث عن الدخلاء المتعبدين [٢] .

وكان ليهود الشتات اسم خاص بهم يطلق عليهم في سفر أعمال الرسل وهو (اليونانيون) .

وقد كانت جماعات كبيرة من اليونانين هؤلاء يسكنون أورشليم ، وكانت لهم مجامع خاصة بهم ضمن المجامع العديدة . كمجمع [٣] يهود القيروان والإسكندرية وكليكلة وإقليم آسيا .

وقد كان يهود الشتات أكثر تسامحا من يهود فلسطين (الأصلاء) وذلك في معاملتهم مع أبناء الأمم ، وتقبل أفكارهم ، والتساهل في أحكام الشريعة اليهودية ويزداد هذا التسامح والتساهل كلما ابتعدت مواطنهم عن أورشليم .

وقد كانت وفود الحجاج من يهود المهجر تفد إلى أورشليم سنويا فكانت بمثابة موصل جيد لكثير من الآراء والأفكار والعادات والطقوس التي كانت عرضة للإختلاف بإختلاف المواطن .

وقد كان لأولئك (المتعبدين) أو « المتقين الله » وهم أبناء الأمم الذين لم يلتزموا بالشريعة اليهودية كاملة كالدخلاء ، أو «أنصاف اليهود» [كما يسميهم الأستاذ شارل جنيبير] [٤] . دور فعال في بعض مناطق المهجر ، فهم لم يكتفوا بالتطور الإجتماعي والثقافي بل راحوا يخلطون ويمزجون بين اليهودية وبعض عقائد الوثنية .

فقد ظهر ببلاد ما بين النهرين بالقرب من إيران وبابل نحلة " الماندائية " وهي نوع

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٣٤] .

(٢) انظر أعمال الرسل [١٣ : ٤٢ - ٥٠] و [١٧ : ٤] و [١٨ : ١٧]

(٣) المجمع : مكان العباده .

(٤) شارل جنيير : المسيحية نشأتها وتطورها [ص٦٤] .

من التوحيد بين اليهودية والعقائد البابلية ومثل عقيدة المنقذ الإلهي التي شاعت في بلاد الفريجيين .

كما ظهرت فرقة " الناظوريين " على ضفاف نهر الأردن قبل مولد المسيح التي لم يعترف أتباعها بمعبد اليهود كمركز لطقوسهم ، ولكنهم ساروا على تقاليدهم الأخري ولم يقبلوا الشريعة اليهودية على أنها شريعة ، إلهية متأثرين في ذلك بالتيارات الفكرية الخارجية ، ثم إنهم كانوا يعتبرون أنفسهم (قديسين) بالنسبة إلى بقيةالبشر وكان هذا رأي المسيحيين الأول أيضا في بدء دعوتهم ، ومن ناحية أخرى يمكن أن نفسر الإسم الذي اتخذوه لفرقتهم بالرجوع إلى كلمة " ناظر " العبرية ، والتي ترجمها اليونان بكلمة " هاجيوس " أي : " قديس " وينطبق هذا التفسير أيضا على اللقب الذي أطلق على عيسى – وكان هؤلاء الناظريون في أغلب الظن شديدي التحمس لفكرة حلول مملكة الله .

ولعلهم كانوا السابقين إلى التفكير في " المسيح المنتظر " وإلى القيام بطقوس معينة من أجله ، على غرار ما كانت تقوم به فرق أخري أكثر إغراقا في الشرك منهم بالنسبة إلى الإله المنقذ " متأثرة في ذلك بإتجاهات دينية مختلفة [1] لذلك كان يهود الشتات وأنصاف اليهود أكثرا استعداداً من يهود فلسطين وأكثر تقبلا لدعوة أصحاب عيسى ، بل إنهم حملوها بعد التقائهم بتلاميذه في مواسم الحج ، ورجعوا يبشرون بها في مهاجرهم .

ومن ذلك ما رواه سفر الأعمال (الإصحاح الحادي عشر) أن التلاميذ سمعوا أن الأمم بدأت تقبل الدعوة من هؤلاء الدعاة الجدد فأرسلوا أحدهم وهو برنابا ليستطلع الخبر إلى أنطاكية . فتأكد من صحة الخبر ثم خرج إلى طرسوس حيث التقى ببولس وعاد به إلى أنطاكية ، ومكثا هناك سويا سنة كاملة [2] .

ب – شخصية بولس ، وأمثلة للإستدلال على الظاهرة البولسيّة :

ولد بعد ميلاد عيسى بخمس سنوات تقريبا ، في مدينة طرسوس ، ومن أبوين يهوديين . وكانت طرسوس عاصمة ولاية كيليكية جنوبي آسيا الصغرى وهي مدينة

---

(١) المصدرالسابق : [ص٦٣] .

(٢) أعمال الرسل [١١ : ١ – ٢٦] .

نشطة نظرا لموقعها بين الشام وآسيا الصغرى فكانت مفترقا للطرق التجارية وكان التجار لا ينقطعون منها من أجناس كثيرة من حوض البحر الأبيض المتوسط وما وراءه، وكانوا يحملون مع تجارتهم أفكارهم وعقائدهم ومع ذلك ظلت محتفظة بطابعها كمدينة شرقية وخصوصا في عقائدها .

وقد انتشرت فيها مدارس كثيرة لتعليم الفلسفة اليونانية والخطابة ، وكان أساتذتها ينتمون إلى المذهب الرواقي ، وكان لهذه المدارس دورها الشعبي في نشر ثقافتها بين الجماهير أيضا . وربما كان ذلك وراء إلمام بولس بمبادئ الفلسفة الرواقية .

وقد تلقى تعليمه الديني في مدرسة بأورشليم " غمالائيل " [1] وكان يجيد اللغة اليونانية ويحمل لقب " مواطن روماني " وهو لقب لم يكن أبناء الأمم من غير الرومان أهلا للتشرف به إلا القليل " وكان بكل ذلك معدا إعدادا تاما لإدراك وتفهم التطلعات الدينية لدي يهود المهجر الذين يؤمنون بعيسي كما آمن به هو . ولدى المتتلمذين عليهم من الطوائف الدينية المختلفة [2] وكان بولس في بداية حياته شديد البطش بالمسيحيين ثم تحول فجأة إلى صفهم على أثر أزمة نفسيةحادة (خيل إليه فيها أنه يرى المسيح وقد أمره فيها بأن يتحول إلى التأييد والدعوة بدل التنكيل والعداء للأتباع . وليس من اللازم أن نتعرض لقصة التحول وبحثها فإنما نعنى هنا بالنتائج التي أحدثها بولس في الفكرة المسيحية ومن شاء ذلك فإننا نحيله إلى الكتاب القيم " المسيحية نشأتها وتطورها » لشارل جنيبير (الفصل الخامس) ..

المهم من علمية التحول المفاجئ : أنه جعل من بولس مسيحيا بالقوة داعيا بالإرادة.

" كان لبولس إلمام كبير بالثقافة اليونانية واللغة اليونانية بفضل البيئة الهلينية التي نشأ وترعرع فيها في طرسوس - يشهد الجغرافي سترابون بأن مدارس مقاطعة كليكية كانت تنافس مدارس أثينا والإسكندرية - وكان يجيد اليونانية إجادة تامة ويظهر ذلك من أسلوبه في حديثه ورسائله ووقوفه على بعض آداب الديانة الوثنية وأقــوال فلاسفتـها وشعرائـها واشتشهاده بها ، كمـا كـان يجيد العـبرية الفصـحي

---

(١) أعمال الرسل : [٢٢ : ٣] .

(١) أعمال الرسل : [٢٢ : ٣] .

بالإضافة إلى الآرامية وكذا العبرية الدارجة حتى أثاردهشة سامعيه في الهيكل .[(١)]
وهكذا جمع بولس في شخصه اليهودية والهلينية - اليونانية الرومانية بما أهله أن يصبح رسولا للعالم ، وإلي جانب هذه الثقافة تعلم صناعة الخيام حسب تقليد معلمي اليهود - حتى تكون عونا له في مواجهة الحياة ومصاعبها إذا تطلب الأمر [(٢)].

ومن السهل علينا أن نحدد المصادر التي استقى بولس ثقافته منها كما يلي :

١- أفكار يهودية ويمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- أفكار قديمة عن " المسيح المنتظر : كما تؤول نصوص كتب اليهود .

ب- أفكار عن الشريعة اليهودية كما تنص على ذلك كتبهم .

جـ- أفكار النزعات التأليفية المزجية لدى يهود المهجر وأنصاف اليهود مثل عقيدة المنقذ الإلهي " الفريجية ، ومثل عقيدة فرقة الناظوريين في " المسيح المنتظر " وهي نزعات حديثة نسبيا .

٢- دعوة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في " قرب حلول مملكة الله " .

٣- دعوي التلاميذ الإثنى عشر في اعتقادهم " قيام المصلوب " وانتظار " عودة المسيح القريبة " .

٤- الذكريات الإنجيلية .

٥- المفاهيم والأفكار المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية .

٦- الأساطير الدينية الشرقية .

وذلك يبدو لمن يدرس الرسائل المنسوبة لبولس إذا حاول تحديد المنابع . لثقافة المؤلف البارع. يقول الأستاذ شارل جنيير : إن عبقرية بولس في التفكير الديني لا جدال فيها غير أننا إذا بحثنا هذا التفكير لديه لوجدنا أنه ينطوي على آراء ومدركات ليست كلهامن وحي عبقرية صاحبها الخاصة بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة وإن كان له الفضل في التعبير عنها ونقلها إلينا ، على غرار ما فعل فيلون الإسكندري في مؤلفاته التي انتظمت بين دفتيها جهودا كثيرة لسابقيه [(٣)] .

---

(١) أعمال الرسل : [٢٢ : ٢] .
(٢) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٣٢٨] .
(٣) شارل جنيير : المسيحية . نشأتها وتطورها [ص٧٠] .

أما عن النوع الأول من المصادر ، فالأفكار اليهودية استمد نوعيها الأولين بحكم تكوينه اليهودي الديني ، وأما النزعات فلقرب طرسوس من بلاد الفريجيين ولموقعها التجاري وأيضا لمكثه في أورشليم مدة تعليمه الأولى .

وأما عن دعوة المسيح ودعوة تلاميذه فنتيجة لما قام به يهود الشتات وأنصاف اليهود في أرض المهجر ومنها طرسوس . وقد قصت عليه الذكريات بعد الإنقلاب من التلاميذ عن أستاذهم .

وأما المفاهيم والأفكار المنتشرة في أوساط الوثنية اليونانية فبحكم موقع طرسوس ولأنه أيضا يوناني (عاش في وسط يتحدث اليونانية ويستخدم كلمات مثل «الله » ، « عقل » ، « منقذ » ، « منطق » ، « روح » ، « ضمير » فلم تكن بالكلمات الغريبة عليه بعد ذلك) ، ويمارس نوعا من فن البلاغة استطاع به أن يطوع أساليبه القوية الملفتة ويتضح في رسائله أيضا أنه يعتمد على رصيد من المذاهب حول طبيعة الإنسان وفكرة الإثم ، والعلاقة بين الإثم والموت "[1] وأما عن الحياة الدينية فيما يخص بولس وطرسوس . فإن الآثار تدل دلالة قاطعة على أنه كان بها إلهان لهمامكانة خاصة .

الأول : يدعي « بعل طرز » أي سيد طرسوس وهو الذي قرن أهل اليونان بينه وبين زيوس .

الثاني : « ساندان » الذي قرنه أهل اليونان بهرقل .

الأول يعلو عن الإدراك .

والثاني قريب يكاد يكون ملموسا ، ويمثل بين أهل طرسوس نفس المعتقدات المتمثلة خلال هذا العصر في أتيس « بين الفريجين ، وفي « تموز » بين أهل بابل ، وفي أدونيس بالشام ، وأوزوريس بمصر وغيرهم من الآلهة المشابهين في بلاد أخرى . ولو لم يرى بولس من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك أمراً بالغ الأهمية »[2] .

وأما عن الأساطير الدينية الشرقية فلم تكن بالتي تخفي على مثل بولس في بلد

---

(١) شارل جنيبر : المسيحية . نشأتها وتطورها [ص٨٢] .

(٢) المرجع السابق : [ص٧٨] بتصرف .

مثل طرسوس ، وهي التي كانت بحكم موقعها التجاري قبلة أنظار التجار من الشرق والغرب .

وقد ساعد بولس على النجاح في دعوته ما تميزت به شخصيته من قوة وحماس وقوة حجة وبلاغة وجدل ، وتفكير عميق وعزيمة لا تقهر . مما جعل من بولس الشخصية الأولى بمجرد تحوله .

أهم منجزاته الفكرية . كما يتضح من رسائله الأربعة عشر :

لم يكن الحواريون يرون في نهاية عيسى - على الصليب بزعم اليهود - عملا فدائيا . بل كان ظنهم أنه اختفي وسيعود قريبا ليدين الأحياء وينتصر ، وهو من أجل ذلك قام من بين الأموات بعد الصلب (الذي تزعمه اليهود وقبله الحواريون رغماعنهم حتي يعود معلمهم للظهور) .

فابتدع بولس فكرة الفداء ، وأنه كان مصلوبا تكفيرا عن الخطيئة البشرية .

ولم يكن الحواريون يرون في إطلاق لقب " ابن الله " على عيسى شيئا خارجا على المألوف في نعت الأنبياء والصالحين بل وعامة المؤمنين بأنهم أبناء الله .

فجاء بولس فقال - اعتمادا علي فكرة " السيد " التي دعمها يهود الشتات وأنصاف اليهود في أنطاكية ثم أذاعوها منها بعد ذلك . بأن معني النبوة أنه صنف متميز بين الخلق والخالق ، وهو الأقرب إلى الله ويصح بأنه ينظر إليه على أنه شخص ، وكانت عقيدة اليهود في " يهوه " مانعا لدى بولس من التصريح بأن المسيح هو الله .

وكانت نظرة الحواريين لعيسي ورسالته نظرة محدودة بحدود الجنس اليهودي وهو أنه لم يبعث إلا إلى خراف إسرائيل الضالة . أما بولس فقد جعل من عيسى شخصية ذات دعوة عالمية سبقت الكون في الوجود لإنقاذ البشرية وخلاصها .

وكان الحواريون يطعمون الخبز جماعة كعادتهم من أيام أستاذهم فجاء بولس ليحول الأمر إلى "سر التحول" وأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد ودم المسيح الفادي وأن من يطعم منه يتحد بشخص المخلص .

ولعل هذا الاختلاف هو السبب الخفي وراء حرص بولس على أن لا يدعو إلى

عقيدته في مكان سبقه إليه غيره [1] .

هل أضاف بولس فكرة التثليث والأقانيم الثلاثة أم لا ؟

يوجد رأيان على طرفي نقيض : قال الأستاذ الدكتور أحمد شلبي بأن (التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح المقدس) من ابتداع بولس [2]
الرأي الثاني للأستاذ شارل جنيبير فقد ذهب إلى أن بولس لم تكن لتخطرعلى باله فكرة الثالوث [3]

ونحن نرجح الرأي الثاني لأن الثالوث الإلهي ، والإله المثلث لم يظهر في عالم المسيحية ، ولم يتقرر إلا بالمجامع العامة مع بداية القرن الرابع .

ولو كان التثليث عقيدة بولس لاستطاع فرضه بما أوتي من ذكاء وقوة ومهارة فائقة في الاقناع ومكانة لا تجعل لأحد حقا في أن يرد عليه مبدأ يتمسك به أو عقيدة ، يدعو إليها نظرا لتفرده بمنزلة القائد بين مجموعة التلاميذ حتي أصبح في منزلة المعلم والموجه بل إن دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك كما نقل عنها الأستاذالسيد سابق في أحد كتبه ، ذلك أنها ذكرت أن عقيدة الثالوث لم توجد في العهد الجديد ولا في أعمال الآباء الرسوليين ولا في تلاميذهم الأقربين إذ قالت عند كلمة ثالوث :

" إن عقيدة الثالوث وإن لم تكن موجودة في العهد الجديد - الإنجيل - ولا في أعمال الآباء الرسوليين ، ولا في تلاميذهم الأقربين ، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي ، الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدةالتثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان رغما من أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة وكيف نمت ، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك . نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكر عليه اسم الاب ، والإبن ، والروح القدس ، ولكن سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كانت لها مدلولات غير ما يفهمه عندنا الآن نصاري اليوم .

---

(١) رومية [١ ٢] .

(٢) المسيحية [ص.١١] ، الطبعة الخامسة ١٩٧٧ .

(٣) المسيحية نشأتها وتطورها [ص١٠٧] .

وإن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه ، وسمعوا قوله ، كانوا أبعد الناس عند اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق .

وما كان بطرس أحد حوارييه يعتبره إلا رجلا موحي إليه من عند الله . أما بولس فأنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى وقال : إن المسيح أرقي من إنسان وهو نموذج إنسان جديد ، أي عقل سام ، متولد من الله ، وكان موجودا قبل أن يوجد هذا العالم ، وقد تجسد هنا لتخليص الناس ، ولكنه مع ذلك تابع للإله .

كان الشأن في تلك العصورأن عقيدة إنسانية عيسى كانت عالية مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين .

فإن الناصريين وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية ، اعتقدت بأن عيسي إنسان محض مؤيد بالروح القدس وما كان أحد إذ ذاك يتهمهم بأنهم مبتعدون أو ملحدون " (١) أ.هـ .

وقد ذكر الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوي عن بعض المؤرخين أن التثليث لم يكن معروفا عند المسيحيين حتي أواخر القرن الثاني الميلادي (٢).

وقد ذكر أيضا أن الأسقف المسيحي الأب إلياس الخوري قرر :

" أن بولس هو مبتدع فكرة عقيدةالصلب والفداء ونقل عنه قوله " :

" ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة ... " (٣) .

منزلة بولس من التلاميذ الإثني عشر :

للأستاذ العقاد رأي وجيه في تلاميذ المسيح نوجزه لندرك مدى ما كان يتمتع به شخص مثل بولس من نفوذ بمجرد ظهوره في مثل الجو الذي بدأ فيه دعوته إذ يقول :

---

(١) السيد سابق : العقائد الإسلامية [ص٦٢] . الطبعة الثانية . نشر دار الكتب الحديثة . طبع دار النصر للطباعة بالدرب الأحمر القاهرة يوليو ١٩٦٧ .

(٢) محمد عزت الطهطاوي : النصرانية والإسلام طبع مطبعة التقدم بالمنيرة ونشر دار - الأنصار بالقاهرة [ص٢٧] نقلا عن تاريخ « موسهيم » .

(٣) المرجع السابق [ص٤٧] نقلا عن كتاب " يسوع المسيح " للأب بولس إلياس الخوري .

* فضل التلاميذ الأول في كل دعوة أنهم دعاة أي أنهم شركاء للمعلم في نشر الدعوة أما الفضل الأول للتلاميذ في الدعوة المسيحية فهو أنهم مستجيبون ، فلم يكونوا قادة يدعون غيرهم إلى صفوفم بل كانوا في الواقع هم الصف الأول السابق إلى الاستجابة ثم تلته صفوف أخري من أمثاله ليس فيهم قائد ولا مقود .

وليس في سيرتهم الأولى ما يفهم منه أنهم مميزون بصفة القيادة ، فهم جميعا من بيئة واحدة ، وربماكانوا جميعا من سلالة متقاربة أو بيوت متجاورة كأنهم وقعت عليهم القرعة بين المتشابهين والمتماثلين ، ولم يدع أحد منهم أنه أقدر على فهمه من الآخرين ، فلو أصابت القرعة إثني عشر آخرين لكانوا في مثل قدرتهم على التعليم واستعدادهم للقبول ، لأن كفاءتهم ولا شك هي الكفاءة الوسطى في كل طائفة بهذا العدد ومن هذه البيئة . فلم يكن منهم علم بارز لا يتكرر [1].

وقد اختارهم لما توسمه فيهم من ميزة الإصغاء والإتباع فحسب .

ومن مثل هذا الوسط كان بقية التلاميذ السبعين . وجاء بولس فلم يتتلمذ على أحد منهم ، بل زعم بعد الانقلاب أن المسيح ظهر له ثم أمره أن يدعو الناس [2] دون أن يجلس إلى أحد ليعلمه الإنجيل وأصول الدعوة . يقول مؤلف سفر أعمال الرسل في ختام القصة (وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله) [3] .

بعد ذلك أمضى بولس ثلاث سنوات في العربية ، وهي الصحراء المقابلةلدمشق شرقا ، انطلق إلى العربية – ليس في مهمة تبشيرية كما يعتقد يوحنا ذهبي الفم بل كان غرضه الأساسي من هذه الخلوة هو التأمل والصلاة ودراسة أسفار العهد القديم بروح جديدة على ضوء بركات العهد الجديد) [4] .

بدأ حياته كمسيحي بعد التحول عام [٣٥ أو ٣٦ أو ٣٧] . وقتل عام [٦٥ أو ٦٦ أو ٦٧ أو ٦٨] بعد الميلاد بأمر نيرون .

ولم يكن لأحد قوة ليمنعه عن نشر عقيدته التأليفية ، وإنما كل ما استطاعوا القيام به هو مناقشة قانونية رسولية بولس ، فطلبوا منه أن يظهر حبه الأخوي ويقوي

---

(١) حياة المسيح : [ص١٦٣] .   (٢) غلاطية : [١ : ١١ – ١٢] .

(٣) أعمال الرسل : [٩ : ٢٠] .

(٤) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٣٣٠] .

العلاقات ، وذلك حسب روايته هو [1] وكان ذلك في أول مجمع كنسي يعقد وكان هو مجمع أورشليم الذي انعقد سنة [٥٠ أو ٥١] أي بعد تحوله إلى المسيحية بنحو ١٣ عاما و أكثر فهل كان في كل ما تفرد به فردا واحدا أو كان أنموذجا لمثله ؟؟

شواهد الظاهرة البولسية :

تفرد الزعيم بولس بعقيدته التي لم ير شخص من يقيمها إستنادا عليه ، ولم يتعلم منه ولا من أحد من تلاميذه ، في الوقت الذي كان ينبغي له أن يطلب التلاميذ لعلمهم بأستاذهم ليتعرف علي ما عندهم ولكنه آثر العزلة في الصحراء وعاد يدعو ولم يمنعوه وما كانواليستطيعوا ذلك لو أرادوا لضعفهم في كل شئ . وكل الذي فعلوه أنهم ناقشوه بعد بضع عشرة سنة ، بعد أن طاف بأكثر مدن البحر المتوسط فأنشأ فيها كنائس ونصب لهم أساقفة من تلاميذه ، وكان مبدؤه أن لا ينزل مكانا سبقه إليه غيره من الدعاه ، وكان لحدة ذكائه يختارمن تلاميذه ورجاله ذوي الكفاءات علي غراره ، ممن امتازوا بسعة الثقافة ، ووضوح المنطق ، وقوة الحجة والخبرة العملية في مجال الدعوة والبيئة من ذوي المرونة والكياسة .

وقد كان بعضهم من رجاله وتلاميذه الذين يدعوهم أبناء مثل " تيموناوس " الذي كتب له رسالتين ، وكان بولس قد أنشأ كنيسة في " أفسس " وأقام به أساقفة بالتوالي وكان تيموتاوس أحد الأساقفة الذي نصبهم بولس فيها . والذي قتله اليهود واليونانيون بهاسنة [٩٧م] وكان يهوديا أُمَميًا . ومنهم تيطس وكان مندوبا لبولس في كريت مثل تيموتاوس في أفسس لبعض الوقت . وكان أُمَميًا ، ومنهم سيلا ، وأكليمندوس الروماني وكلاهما كان من معاونيه وكان الأخير مثل أستاذه بولس يهوديا ذا ثقافة يونانية وكثير من الهواة الذي لم يكونوا من تلاميذه مثل أول شهداء المسيحية " إستفانوس " أحد الرجال السبعة الذين اختارهم مجمع أورشليم ليقوموا بالخدمة وكان يهودي العرق يوناني الثقافة فصيحاً متكلماً [2].

ومن الهواة أيضا منافس خطير لبولس ، وهو أبلوس " وكان يهوديا إسكندراني المولد والثقافة " وكان فصيحاً ملما بما جاء في كتب العهد القديم ، وكان يتبع تعاليم

---

(١) غلاطية : [٢ : ٢ - ٩] .

(٢) أعمال الرسل [١ : ٦ ، ٧] .

يوحنا المعمدان – يحيي بن زكريا – ويكرز – يبشر – بغيره عن المسيا المنتظر .

وقد قام برحلة تبشيرية في اسيا الصغري والتقى باكيلا وبرسكلا في مدينة أفسس » . [1] كما كرز أيضا في كورنثوس .

ويبدو أن أبلوس كان ذا طريقة فريدة وعقائد لم تلق قبولا أول أمرها « فوجد بسببها انشقاق وتفرقة في الكنيسة إذ كان هناك اختلاف ضئيل بين كرازة بولس وبطرس وأبلوس » وهذاالخلاف هو سبب تحرير رسالة بولس الأولى إلى أهل كونثوس « ولم يقصد انتقاد زميله في الخدمة أو معارضته بل كتبها مقاوما روح التفرقة والشقاق وقد بقيت ثقة الرسول بأبلوس قوية حتى النهاية » [2] ونقصد بالمنافسة أنه قارب أن يكون صورة للأنموذج – بولس – فإن التاريخ لم ينقل لنا رسائل أو مؤلفات لهذا الرجل الذي وصفه سفر أعمال الرسل بأنه " رجل فصيح مقتدر في الكتب [3] ولو نقل لتعرفنا على فصاحته وثقافته التي توضح اقتداره في الكتب .

ويبدو أنه كان له نشاط تحريري تأليفي . وغير هؤلاء من أمثالهم ممن يعرف ومن لا يعرف عدد كبير .

وغير هؤلاء من الذين لم تقبل الجماعة الغالبة في الكنيسة معتقداتهم ويطلق عليهم « هراطقة » مثل « كيرنثوس » الذي كان يهوديا تنصر ، والذي تحكم بحكمة المصريين . وطوف بكثير من المدن ثم انتهى به المطاف في أفسس . ومثل نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة الذي تنسب إليه جماعة النيقولاويين وغيرهم ..

خامسا : التيارات المناهضة لعقيدة الكنيسة من أتباعها خلال القرن الأول .

« البدع والهرطقات »[4]

كانت الفلسفة بمذاهبها سلاحا ذا حدين ، فبقدر ما أعانت على إنشاء وتطوير العقيدة على يد اليونانيين – يهود المهجر « الدخلاء » و « أنصاف اليهود » وبولس ؛ بعد ما باتت العقيدة في حكم المقضي عليها بالذبول والنسيان لضحالة الثقافة الفلسفية لدى الإثني عشر وإخوانهم من السبعين انقلبت على العقيدة ورجالها وباتت تهدد مستقبل الكنيسة ونظامها كدين .

(١) قاموس الكتاب المقدس [ص٩٣] . (٢) المرجع السابق [ص ١٥] .

(٣) أعمال الرسل [٦ ، ٧] .

(٤) البدع والهرطقات تعبير مسيحي يقصد به التيارات المناهضة لعقيدة الكنيسة ومكانة رجال دينها .

إذ وجد فيها اليونانيون والبولسيون معبراً اجتازوا به أزمة العقيدة المسيحية في البداية وتغلبوا بالفلسفة عليها .

إذ باتت سلاحا في أيدي المسيحيين ، ثم أصبحت على رقابهم وفي وجوههم ولئن كانت « الفلسفات المختلفة بفلاسفتها ومعتنقيها قد مهدت للمسيحية في بعض النواحي ، لكنها شكلت صعوبة بالغة أمام الكنيسة في نواحي جوهرية خاصة في فترة طفولتها إذ حاول بعض المتضررين من معتنقي هذه الفلسفات أن يجدوا تفسيرا للمسيحية على ضوء ديانتهم وفلسفاتهم القديمة أو قل : إنهم حاولوا أن يوفقوا بين هذه وتلك فكانت أعراض الانحرافات ، اللاهوتية والعقيدية ، ومعها ظهرت الهرطقات بمفهومها الكامل والتي أحدثت بلبلة فكرية كبيرة أقلقت الكنيسة وأتعبتها ، ولذا نجد القديس بولس يحذر المؤمنين في كولوسي (١) قائلا :

أنظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم ، وليس حسب المسيح " ... أ هـ (٢) .

قديما قيل : لو اجتمع عشرة قسيسين لافترقوا عن أحد عشر رأيا . ونحن نقول اليوم : إن المسيحيين يتفقون في اسم " المسيح " ويختلفون في كل ما عداه . وهذا القول يصدق علي المسيحيين في كل زمان ومكان .

ذلك أن أسباب الإختلاف تتبع منابع فكر الداخلين في المسيحية وهذا سبب ظهور المذاهب المعارضة لعقيدة الكنيسة . فبعض اليهود المتمسكين بالشريعة قبلوا المسيح واعتبروه نبيا كموسي ، وأنكروه ألوهيته وملكه إلخ .

وبعض التيارات التأليفية نزعت إلى التأليف والتوفيق والمزج بين الفلسفة الوثنية وخاصة فلسفتي فيثاغورث وأفلاطون وبين الديانة اليهودية كا فعل فيلون الإسكندري اليهودي - ثم ظهر بعد ذلك هذا الخليط العجيب في المسيحية في القرن الأول الميلادي وكان هذا التيار يرفض ألوهية المسيح وما يتبعها ...

وقام بعض الذين دخلوا المسيحية من أبناء الأمم بتحكيم العقل في كل شئ .

وجعلوه حكما على الدين ، وقد أطلق على هؤلاء لقب : الغنوسيين " أخذاً من الكلمة اليوناني (Gnosis) غنوسيس التي تعني " المعرفة " .

---

(١) كولوسي [٢ : ٦ - ٨] .

(٢) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ٢٦٢] بتصرف

ومهما يكن من خلاف بين هذه الأنواع فإنها تتفق جميعها على إنكار ألوهية المسيح وتجسد ابن الله من أجل خلاص العالم كما تنكر اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح .

ومن هذه التيارات فرقة الأبيونيين : وكانوا ينكرون لا هوت المسيح وأزليته ورفضوا اعتباره اللوجوس أو كلمة الله وحكمته ، بل هوالنبي الذي أنبأ عنه موسى [١].

(٤) الحالة الدينية :

جرت عادة الكتاب علي اعتبار الحياة الدينية أو الحالة الدينية مثل الحالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للعصر الذي يتناولون دراسته ، أو الأمة التي يعنون ببحث جوانب حياتها .

وكان من المنتظر أن نلحق الحالة الدينية بأخواتها هناك، ولكننا أردنا أن نفردها هنا لأمرين:

أولهما : أننا نفضلهاعلى غيرها لأن الدين أسمي ما يميز الإنسان وهي إنما تستمد شرفها من شرف موضوعها .

وثانيها: أن موضوعنا في البحث قضية دينية ، فلذلك أوليناها من الإهتمام ما يجعلها فريدة .

لقد اتسع سلطان روما حتى شمل العالم المعمور ، ما عدا الشرق الأقصي . وكان عالم روما ، وكانت الجيوش الرومانية خليطا من جميع الأمم فكانت بمثابة البوتقة التي تنصهر فيها معارفها وعقائدها وتقاليدها فتخرج مزيجا ، أو خليطا متميز الأجزاء .

وكانت الجيوش لا تكف روما عن تحريكها من العاصمة إلى أطراف الدولة ، ومن أطرافها إلى الداخل وإلي أطراف أخري . اتقاءا لشغب الجند إذا ما أحسوا بالراحة والإسترخاء أو توطيداً للأمن من أطرافها من الثورات والقلاقل خوفا من اندلاعها أو القضاء عليها فكانت الجيوش بذلك عوامل اتصال . وتعارف على العادات والشعوب والعقائد بالإضافة إلى التجارة وغير ذلك من وسائل الإتصال .

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٢٦٥] .

عبادة القيصر :

وكان قياصرة الروم يسمعون عن بعض الشعوب التي تقدس ملوكها وتخلع عليهم من صفات الآلهة ما يدنيهم من مراتبها أو يلحقهم بها . فعمد بعض منهم إلى حمل الشعوب على عبادة القياصرة. ولم تبدأ عبادة القيصر بتأليه الإمبراطور بل بدأت بتأليه روما فقد جعلت الامبراطورية إلهة هي الأخري وسميت " رومة " . وهي بمثابة تشخيص لروح الدولة كلها ، وقد أقيم المعبد الأول لعبادة " رومة " من قبل الميلاد بقرنين من الزمن . ثم تطورت إلى عبادة قيصر نفسه لأنه رمز الدولة ثم سمح في عهد الامبراطور أغسطس سنة (٢٩) ق . م ببناء هياكل لعبادة الإلهة « رومة » في أفسس ونيقية لعبادة رومة والقيصر .

ثم شاع بناء المعابد بعد ذلك وذاع حتي أصبحت العبادة التي تحظى بأكبر عدد من الناس ، وذلك لاتساع أرجاء الدولة . وقد صار لهذه المعابد كهنة نالوا شرفا عظيما ..

وكانت هذه العبادة دليلا علي الولاء للدولة والقيصر ، وكان مسموحا إلى جوارها بعبادة الآلهة المحليين وغيرها ، إلا أن الإمتناع عن العبادة الرسمية عبادة الدولة وقيصر - يعني العصيان والخروج علي القانون والنظام .

ولم يكن هناك استثناء من عبادة قيصر لشعب من شعوب الدولة فيما نعلم إلا لليهود نظرا لامتيازات دينية وسياسية حصلوا عليها من الرومان .

ومن أسباب اضطهاد السلطة الرومانية للمسيحيين بعد المسيح هو أنهم لم يعترفوا بقيصر ولا بعبادته ، وبذلك وقعوا فيما لم يستطع اليهود أن يجعلوا المسيح يقع فيه لأنه قال : " أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله " (١) .

ويجمل بنا أن نلقي نظرة على القياصرة الذين حكموا الدولة الرومانية خلال القرن الميلادي الأول . وهم أحد عشر في الفترة من سنة [٣١ ق.م - إلى سنة ٩٦م] .

وقد كانت مواقفهم من عبادة القيصر كما يلي :

---

(١) [مرقس ١٢ : ١٧] ، [ولوقا ٢٠ : ٢٥] .

١- أغسطس : [٣١ ق.م - ١٤ ب.م] سمح بعبادة يوليوس قيصر سابقه ولم يسمح للرومان بعبادته هو وإنما سمح للرعايا من غير الرومان أن يعبدوه ولم يلزم أحدا بعبادته (وقد ولد المسيح في عهده) .

٢- طيباريوس: [١٤ - ٣٧م] ؛ حاول تجميدها ، ومنع بناء المزيد من المعابد التي تقام بقصد عبادة القياصرة .

٣- غايوس كاليجولا : [٣٧ : ٤١ م] وقد اشتط في إلزام جميع الرعايا بعبادته حتي اليهود وقد حاول أن يضع صورته داخل قدس الأقداس في هيكل أورشليم إلا أن المنية عاجلته .

٤- كلوديوس قيصر : [٤١ - ٥٤م] وقد تسامح فمنح اليهود حرية العبادة ، ووافق على امتناعهم عن عبادة القيصر . وقد كتب لحاكم الإسكندرية بمناسبة ارتقائه العرش (أستغفر من إقامة رئيس كهنة لعبادتي ، ومن بناء هياكل باسمي لست أريد أن أضايق معاصري فإن العبادة كانت دوما للآلهة الخالدة المبجلة) (١) .

٥- نيرون : [٥٤ - ٦٨م] مع ما اشتهر عنه من اضطهاد المسيحيين ، إلا أن ذلك لم يكن بسبب رفضهم عبادته ، فلم يكن يصر عليها .

٦- جالبا - أوتوا - فيتيلسيوس : [٦٨ - ٦٩م] وقد حكم هؤلاء الثلاثة سنة ونصف سنة ونظرا لانتشار الفوضي لم يثر أحد مسألة عبادة القيصر .

٧- فسباسيان : [٦٩ - ٧٩م] لم يصرعلي عبادة الناس له .

٨- تيطـــــس : [٧٩ - ٨١م] وهو عاقل مثل سابقه .

٩- دوميتانوس: [٨١ - ٩٦م] وقد أخذ الموضوع مأخذ الجد وحمل الناس عليه حملا ، وأقام تمثالا لسلفه كتب عليه " تيطس الإله بن الإله فسباسيان "

وقد أذاق كل من امتنع عن عبادة القياصرة مر العذاب ، واشتدت الوطأة على اليهود والمسيحية ، وكان الشعب يهتف له في الاحتفالات " المجد لربنا ولزوجته .

وقد كان الموت مصيرمن ينكرعلي القيصرحق العباة أو ينكر ألوهيته . وفي عهد هذاالامبراطور نفى " يوحنا بن زبدي " تلميذ المسيح إلى جزيرة بطمس ، ولم يفرج عنه إلا بعد موته (٢).

---

(١) وليم باركلي : تفسير سفرالرؤيا [ص٢٦] . (٢) المرجع السابق [ص ٢٧] .

من معبودات الشعوب وعقائدها :

" مثرا " معبود فارس .

شخصيته في عقيدة أتباعه :

كان وسيطا بين الله والبشر ، وكان مولده في كهف ، وولد في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، وكان له اثنا عشر حواريا ، ومات ليخلص البشر من خطاياهم ، ودفن ولكنه عاد إلى الحياة وقام من قبره ، وصعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون ، وكان يُدْعَى " مخلصا " و منقذا " ومن أوصافه أنه كان كالحمل الوديع (١) .

وكانت عبادة هذا " المنقذ الإلهي " أو " الإله المنقذ " أو " الإله المخلص " أكثر ذيوعا وانتشارا في الامبرطورية الرومانية ، وقد وصلت هذه العبادة إلى أقصى أقطار الدولة من الغرب ، وقد شوهدت في اثار السور الروماني بالبلاد الإنجليزية كما شوهدت في غيرها .

وقد شاعت بين شبان الجيش لأن " مثرا " كان شخصية محبوبة تجمع بين صفتين إحداهما : صفة النورالذي يبدد الظلام ، والحق الذي يمحو الباطل والأخرى صفة المناضل رب الجنود . الذي قيل عنه في كتاب المجوس المعروف بكتاب "الأفستا " إنه يسوق جحافله منتصرا لتغليب إله الخير " أورمزد " على إله الشر " أهريمان " ولذا فهو من آلهة الإنقاذ والخلاص .

وهو كذلك إله محبوب عند غير الجنود كالرعاة والعاملين بالليل إذ يعتقدون أنهم يهتدون بنوره في أعمالهم الليلية ، وأنه يولد في الجسد الآدمي كما يولد الفقراء في كهف مهجور .

وكان لعباده درجات سبع يتنقلون فيها درجة بعد أخري علي أيدي الكهنة المختارين، ويتعاطون الشعائر سرا أو جهرا في كل احتفال علي ملأ من الصفوة المختارين (٢) .

---

(١) أحمد شلبي : المسيحية [ص١٧٨] . الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧ .

(٢) العقاد : حياة المسيح [ص٦٢] بتصرف .

ومن شعائر هذه العبادة :

١- الاحتفال بمولد الإله " مثرا " في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام [١] لأنه موعد انتقال الشمس وتطاول ساعات النهار [٢] .

٢- تقدم كأس من الشراب وقطعة خبز إلى المؤمن مع النطق ببعض العبارات [٣] .

٣- المسح بالماء الطهور [٤] وذلك للمريد في الاحتفال الذي يقام بترقيه من دجة إلى التي تليها من درجات المريدين السبع .

٤- كان أتباعه يفردون لعبادته يوم الشمس أو يوم الأحد [٥].

عبادة " إيزيس " المصرية :

وكانت العبادة التي تحظي بالمنزلة الثانية بعد عبادة " مثرا " في الشهرة وكثرة الأتباع ، وقد سماها اليونان ،" ديمتر " وكانوا يطلقون عليها لقب : الأم الكبرى ويسمونها حامية البيت والأسرة ، وكانوا يوحدون بينهـــا وبين القمر ويعتبرونها " ربة البحر والملاحة " ويرسمون لها صورا جميلة تنم على الطهارة والحنان وفي حضنها طفل رضيع (حوريس) يشع النور من وجهه رمزا للأمومة والبر والبراءة وكانت مراسم " إيزيس " وشعائرها سرية مما كان له أثره في تشويق الناس إلى الإنضمام إلى أتباعه [٦] حتي (بلغت هولند ، واسكتلندا ، وقد أقيم لها معبد في كل مدينة) [٧].

عبادة « أورفيوس » اليونانية :

ولم يكن لها ما كان لسابقتيها من الذيوع والانتشار ، وإن كانت تجري علي منوالهما في التقشف والأخوة الروحية بين الأتباع . وكان الأروفيون يحرمون اللحوم ويلبسون الثياب البيضاء ولا يذوقون الخمر إلا في مواسم القربان، وكانوا يعتقـدون أن

---

(١) شارل جنيبير : المسيحية – نشأتها وتطورها [ص٧٢] .
(٢) العقاد : " الله " [ص٧٨] .
(٣) شارل جنيبير : المسيحية – نشأتها وتطورها [ص٧٨] .
(٤) العقاد : " الله " [ص٧٧] .
(٥) المرجع السابق [ص٩٨] .
(٦) العقادة : حياة المسيح [ص ٦٢ ، ٦٣] .
(٧) زكي شنوده : تاريخ الأقباط [جـ ٦ ص ١٢٩]

(أورفيوس يزور عالم الموتى ويعود منه ، وجعلوا لهم موعدا يحزنون فيه علي موته ، وآخر يحتفلون فيه ببعثه) .

عبادة " أتيس " :

- مثل لآلهة الخلاص والإنقاذ والفداء :

بدأت في بلاد الفريجيين بآسيا الصغري . وكانت عقيدة أتباعه فيه أن هذا الإله يتعذب تماما كما يتعذب الإنسان ، ثم يموت كما يموت الإنسان ، ولكنه يتغلب على العذاب وعلى الموت ، إذ يبعث من جديد ، وأتباعه يمثلون رمزا ويجددون كل عام بشكل ما ، مأساة حياته علي هذه الأرض ، وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة السعادة في ديار الخلد الإلهية منذ ذلك اليوم الذي بعث فيه حقيقة في الماضي السحيق . فمشكلة "النجاة " إذن بالنسبة إلى بني البشر ، بعد أن شاركهم الإله في ظروفهم الإنسانية بعذابه ثم بموته تتلخص في الوصول إلى المشاركة المصيرية حتى تنتهي بهم أيضا إلى البعث والحياة الأخرى في ديار السعادة اللانهائية .

والسبيل إلى ذلك وجدوه في نوع من الطقوس التي تنحو نحوا باطنيا فيفرض في المؤمن أنه يشارك في الذات الإلهية بواسطة سلسلة من المراسم الدينية توصف بالفاعلية .. إنه يمر رمزيا بمختلف المراحل التي مر بها الإله .

وبهذه الوحدة مع الإله : التي تغير كيانه الخاص ، يضمن الإنسان أن يصير إلى مصير الإله نفسه ، أي الخلود بعد الموت .

وكان مصير " المنقذ الإلهي - وتلك هي الصيغة التي يتخذها حينئذ آلهة الموت والبعث - كان مصيره في آن واحد مثالا وضمانا لحياة المؤمن (٢) .

وكان على الكاهن أن يهمس للمؤمن :

" لتعد الثقة إلى نفسك فقد نجا الإله . ولسوف تصل أنت أيضا إلى النجاة في نهاية طريق الآلام " ومن طقوس هذه العبادة : التعميد بالدم ومأدبة القربان .

كما كان هناك آلهة أخرى غير ما ذكرنا كانت تحتل مكان الصدارة في نفوس كثير من أتباعها خلال العهد الذي نؤرخ له وهوالقرن الأول الميلادي .

---

(٢) شارل جنيير : المسحية نشأتها وتطورها [ص٧٤] بتصرف .

منها أدونيس في بلاد الشام ، وملكارت في فينيقيا ، وتموز ومردوك في ما بين النهرين ، وأوزوريس بمصر ، وبعل بسوريا ، وأتيس الذي تحدثنا عنه كمثل لهذه المجموعة من الآلهة لأنها جميعا تشترك في أنها معبودات مخلصة منقذة ، وعقيدة أتباعه فيه أنه " الإله المخلص " أو " الإله المنقذ " أو الشفيع الإلهي " أو " الإله الفادي " .

ولا يميزها إلا خلاف بسيط في بعض الطقوس والشعائر ، وإن كانت تشترك في أكثر مما تتميز به – وسنتعرض لبعض هذه الآلهة بشئ من الحديث في مواطن قادمة إن شاء الله وقد اكتفينا بهذا هنا قصدا لعدم الإطناب .

ويضاف إلى هذا ديانة بين إسرائيل التي بعث المسيح عليه السلام لردهم إلى أصولها .





الفصل الأول

ظروفه التاريخية

١ - سبب التأليف والهدف من ورائه :

يُحكى أنّ يوحنا بن زبدي ألف هذا الإنجيل استجابة لطلب بعض الخدام والأساقفة وذلك لدحض بعض البدع التي شاعت . وكان بعضها ينكر ناسوت المسيح، وبعضهم كان ينكر لاهوته ، فطلبوا منه أن يكتب لهم إنجيلا ليثبت فيه لاهوت المسيح وناسوته ، وأنه كلمة الله التي حلت وتجسدت بينهم .

والسبب الثاني : دحض ما أشاعه تلاميذ يوحنا المعمدان – يحيى بن زكريا – من أن المعمدان مساو للمسيح في المنزلة فكلاهما رسول من الله ، وأنه لا شئ من اللاهوت في المسيح . فاهتم يوحنا الكاتب . بإظهار مدى البون الشاسع بين المعمدان والمسيح ، وأن الأول ليس أهلا لأن يحل سيور حذاء الثاني .

وهناك أمور اهتم بها لم يذكرها أحد ممن سبقه في تأليف الأناجيل الثلاثة متي – مرقس – لوقا ، ويسمى ذلك عند المسحيين هدفا تكميليا .

قالوا في " قاموس الكتاب المقدس " وهو كتاب حجة عندهم – صدر عن دار كنائس الشرق الأدنى – بعد الحديث عن الهدف التكميلي :

" وكان الداعي الآخر إلى كتابة الإنجيل الرابع تثبيت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح وناسوته ، ودحض البدع المضلة التي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلى الكنيسة كبدع الدوكيتين والغنوسيين والكيرنثيين ، والأبيونيين .

فقد زعم الدوكيتون والغنوسيون أن جسد المسيح لم يكن جسدا حقيقيا وأنكر الكيرنثيون لاهوته ، وادعى الأبيونيون أنه لم يكن كائنا قبل مريم أمه . ولهذا كانت غايته إثبات لاهوت المسيح « أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح بن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه »[١] وإعلان مجده « ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا »[٢] إلى أن يقول القاموس

---

(١) [يوحنا ٢٠ : ٣١] .

(٢) [يوحنا ١ : ١٤] .

ومن الأمور التي اختص إنجيل يوحنا بذكرها : إرشاد يوحنا المعمدان تلاميذه إلى اتباع يسوع " [1] [ص١] ويشير القاموس بذلك إلى قول الإصحاح الأول على لسان المعمدان لتلاميذه عن المسيح :

« فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ، هذا هو الذى يأتى بعدى الذى صار قدامى الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » [2] وقوله :

" وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم " [3] وقوله :" هذا هو الذي يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هوابن الله [4] .

ويقول الدكتور/ القس ابراهيم سعيد :

« غرض يوحنا من بشارته ، إثبات كون يسوع الناصري هوالمسيح بن الله دحضا للبدع ، التي كان حينئذ قد أخذ يدب فسادها في الكنيسة ، كبدع الدوكيتيين ، والأغنستيين والكيرنثيين والأبيونيين وتلاميذ يوحنا المعمدان وكان الدوكيتيون والأغنستيون يقولون إن جسد المسيح لم يكن جسداً حقيقيا ، والكرنثيون يجحدون لاهوته، والأبيونيون يقولون إنه لم يكن له وجود قبل مريم أمه . وتلاميذ يوحنا كانوا يفضلون معلمهم عليه .

فلما رأي أساقفة آسيا هذه الأضاليل تفشو في كنيسة الله استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف إنجيله ، فكتبه وأنبأ فيه بميلاد المسيح الأزلي ، وصرح بفضله علي يوحنا المعمدان ، وذكر ما دعت الحال إلى ذكره في تفنيد تلك البدع وإثبات لاهوت المسيح " ثم أشار إلى النص [5] .

ويقول الأنبا يؤانس :

" لقد صاغ يوحنا إنجيله تبعا لحالة الكنيسة واحتياجاتها أواخر القرن الأول مفندا البدع التي ظهرت وقتذاك – ويجعل إيريناوس قيام الهرطقة الغنوسية الحافز

---

(١) قاموس الكتاب المقدس – مادة يوحنا [ص.١١١] .

(٢) [يوحنا ١ : ٣٦ – ٢٧] .

(٣) [يوحنا ١ : ٢٩] .

(٤) [يوحنا ١ : ٣٣ – ٣٤] .

(٥) [يوحنا ١ : ٢٩] .

على كتابة هذا الإنجيل . ويؤيد ذلك جيروم ، وفيكتورنيوس ، هناك تقليد قديم يقول : أن يوحنا كتب إنجيله بناء على طلب أساقفة آسيا شركائه في الخدمة » [١] .

لكن هل كانت احتياجات الكنيسة في أواخر القرن الأول الميلادي مقصورة فقط على محاربة الإتجاهات الفكرية داخل الكنيسة من أولئك الذين اعتبروا مبتدعين ؟؟

الواقع يؤكد أن الكنيسة كانت تتطلع إلى العالم الوثني الذي كان خضوعه الفكري والثقافي لليونان لا يقل عن خضوعه السياسي لروما .

ويبدو أن بولس مات قبل أن تقتنع العقلية اليونانية بالنظرية البوليسية - أو المسيحية البولسية - فإذا أخذنا في اعتبارنا أن بولس لم يكن ممن عايشوا المسيح وأصبحوا يطلق علهيم تلاميذه ، مما أضعف جانبه من ناحية ثقة الناس فيه . فلما قضى أصبح التيار في حاجة إلى محرك جديد ، وقد كانت حالة الكنيسة من بعده تعيش في مرحلة الدفاع عن المسيحية التي خلفهامن ورائه . وكانت احتياجاتها هي كيف تقدم المسيح لهذه العقلية في بشارة لأحد التلاميذ ، لا في رسالة لغير تلميذ .

وقد قارب إنجيل لوقا أن يكون سدا لهذه الحاجة لولا أنه دخل مع انجيل متي في نزاع مرير بسبب نسب المسيح ، ولم يكن بالفلسفة الإنجيلية التي تسد مسد إنجيل الفلسفة . فلما بات العجز واضحا جاء الإنجيل الرابع فكان فلسفة عميقة اجتذبت العقلية اليونانية مع رقوعها في وجه المنشقين من داخل الجماعة أصحاب التيارات الداخلية بالكنيسة .

يتحدث الدكتور وليم باركلي عن رفض العقلية اليونانية للمسيحية بسبب أنها كانت تتخذ طرقا يهودية ومناهج عبرية في دعوة الناس للمسيحية بالأناجيل الثلاثة السابقة على إنجيل يوحنا فيقول في مقدمة تفسيره لإنجيل يوحنا .

" ولقد كانت العقلية اليونانية مركز الفكر الثقافي في العالم الكائن حينذاك ترى هل يلزم لليوناني أن يتنكر لتراثه الفلسفي العظيم ويعتنق العقلية اليهودية ومنهج الفكر العبراني ليكون في هذا المدخل الوحيد إلى الفلسفة المسيحية ؟

ولقد جابه يوحنا المشكل بعقلية متسعة متزنة ، وأرشده روح الله للحل الذي ، يبدو كأعظم حل توصلت إليه عقلية إنسان ، رضع لبان العبرانية وتأثر بها ، ثم عنت

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ٢٨٧] .

له مشاكل الفلسفة اليونانية . وسوف نعرض للمنهج الفكري الذي اتبعه يوحنا في تفسيره لبعض المشكلات اللاهوتية بما يتفق والعقلية اليونانية » [١] .

وغني عن البيان أن يوحنا كتب إنجيله لتحقيق هدف محدد واضح : هو الاستجابة لرغبة الكنيسة في أواخر القرن الأول للرد على أتباع المعمدان ، وأتباع الكنيسة الذين كانت لهم اتجاهات مخالفة لاتجاه الكنيسة في تأليه المسيح الكلمة وكذلك لجذب العقلية اليونانية في القول بالكلمة ، وغير ذلك من النظريات الفلسفية التي كانت رائجة يومئذ.

٢ - الزمن الذي ألف فيه ، والمكان :

اختلف المؤرخون في تحديد الزمن الذي ألّف فيه هذ الإنجيل ، ولكن جميعهم متفقون على أنه كتب بعدالأناجيل الثلاثة بمدة اختلفوا فيهما بين [٢٠ - ٣٠] سنة ، واتفقوا أيضا على أنه ألف بعد خراب أورشليم الذي حدث نحو سنة [٧٠م] للميلاد . وهذا الإتفاق فيما يخص الإنجيل زمنيا بالنسبة للحدث المشهور وهو خراب أورشليم .

أما فيما يخص الإنجيل زمنيا من جهة حياة يوحنا فذلك فيما يبدو هو سبب هذا الإختلاف .

هل كان تأليفه قبل نفيه إلى جزيرة بطمس أو بعد النفي ؟؟

هل كان الإنجيل آخر ما كتب يوحنا أم أن الرسائل كانت بعده أو بعضها ؟؟

وتحديد الزمن بالنسبة لتأليف هذا الإنجيل موضوع ثار حوله جدل كثير .

قالت لجنة الكنائس : « إنه كتبه بعد انتشار الأناجيل الأخرى » [٢] وكأنها أرادت أن تتجنب تعدد الآراء والاختلاف في هذا الموضوع . ومن المؤرخين الأستاذ زكي شنودة الذي قال : « بعد قتل دومتيانوس سنة [٩٦م] رجع يوحنا إلى أفسس وهناك كتب إنجيله ورسائله باللغة اليونانية » [٣] وتابعه الأنبا يؤانس فقال :« كتب يوحنا إنجيله في أفسس في أواخر القرن الأول الميلادي »[٤] وتابعهما على ذلك من علماء الكتاب المقدس المصريين الأستاذ حبيب سعيد في كتاب المدخل إلى الكتاب المقدس إذ قال: «في أواخر القرن الأول الميلادي بعد خراب أورشليم وبعد تغلغل الفلسفة اليونانية إلى

---

(١) د. وليم باركلي : تفسيرالعهد الجديد - انجيل يوحنا المقدمة [ص١٧] .

(٢) زكي شنوده : تاريخ الأقباط [حـ١ ص٧٥] .

(٣) قاموس الكتاب المقدس [ص ١١١٠] .

(٤) الأنبا يؤانس الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٢٨٧]

أذهان طائفة ممن اعتنقوا المسيحية " [1] ومن المفسرين وليم باركلي ، قال : " قرب سنة [١٠٠م] حسبما يرجح المؤرخون وتدل القرائن " [2] وقريب منه الدكتورالقس إبراهيم سعيد في قوله : " من المرجح جدا أن يكون قد كتب بشارته بين [٩٥ - ٩٨م] [3] ونحوه الأنبا اثناسيوس [4] أما الدكتور وليم إدى مؤلف " الكنز الجليل في تفسير الإنجيل "

فقال : « الأرجح أن يوحنا كتب بشارته في مدينة أفسس في الفترة الأخيرة من حياته أي بين سنة [٨٠ - ٩٠] » [5] .

ولعل كل هذه الآراء تحدد أنه كتبه في اخريات حياته ، وتختلف هل كتبه في فترة نفيه في جزيرة بطمس التي يرجح أنه قضى فيها (١٤) أربعة عشر عاماً من سنة [٨٢ - ٩٦م] بعد تولي الإمبراطور دوميتانوس العرش بسنة واحدة ولم يفرج عنه إلا بعد موته في عهد الإمبراطور نرفا ؟ أو كتبه قبل هذه الفترة أو بعدها في أفسس لأنه لم يكن موجودا فيها فترة النفي - إذ كان في بطمس ؟ ويبدو أن الدكتور وليم إدى قد جانب الدقة في التحديد فمن أين توسع في المدة من [٨٠ - ٩٠م] ما دام قد أكد أن المكان أفسس ؟! ولم يكن يوحنا بها إلا سنتين على الأكثر من المدة التي حددها " إدى " [٨٠ - ٨٢] وباقي المدة مكثها في بطمس المنفي . ويبدو أن " إدي " قد أخذ ببعض الروايات التاريخية القديمة القائلة بأن " دوميتيانوس نفى يوحنا إلى بطمس، وأنه كتب في هذه الجزيرة من جزائر بحر إيجة الإنجيل الرابع وسفر الرؤيا " كما نقل ذلك ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة [6] .

ونحن نستبعد ذلك لأن هذه الجزيرة كان يسخر فيها المحكوم عليهم بالنفى في أعمال المناجم الشاقة بها ، تحت وطأة التعذيب الشديد من الجنود والأغلال فكيف

---

(١) [ص٣٦٢] .

(٢) وليم باركلي : تفسير بشارة يوحنا [ص٢٥] .

(٣) شرح بشارة يوحنا [ص٢٨] .

(٤) أثناسيوس : دراسات في الكتاب المقدس إنجيل يوحنا " المقدمة "

(٥) وليم إدي : الكنز الجليل - تفسير إنجيل يوحنا [ص١٠] .

(٦) ول ديورانت : قصة الحضارة : [مجلد ٣ جزء ص٢٧١] ترجمة محمد بدران .

يتأتى لرجل في عمريقارب المائة أن يكتب بمثل هذه الدقة الفلسفية التي تبدو في إنجيل يوحنا في مثل تلك الظروف .

ولعل غموض هذه الفترة من التاريخ هو الذي جعل المؤرخين يجتهدون في تصور أحوالها بعد أن شح التاريخ بوصف واقعي لها، مما أوقع الناس في هذه الحيرة والتناقض .

وإلي القارئ العزيز أحد الآراء لمفسر جرئ من مفسري الكتاب المقدس وهو متى هنري حيث قال : « يقول بعضهم إنه كتب هذا الإنجيل في أفسس ...

ومن المرجح جدا أنه كتبه قبل نفيه إلى جزيرة بطمس ، لأنه كتب فيها سفرالرؤيا الذي قصد بأن يكون على ما يبدو ختام الأسفار القانونية . وإن كان الأمركذلك فإن هذا الإنجيل لم يكتب بعد سفرالرؤيا .

لذك لا يمكنني أن أصدق أولئك الآباء المتأخرين ، الذين يقولون بأنه كتبه في منفاه، أو بعد عودته من النفي بعد خراب أورشليم بسنوات كثيرة ، عندما كان عمره تسعين سنة حسب زعم أحدهم أو عندما كان عمره مائة سنة حسب رأي آخر وعلى أي حال فواضح أنه كتبه آخر الإنجيليين الأربعة (١) .

وقد بني ما توصل إليه على مقدمة هي محل نظر لا يقبل العقل إلا رفضها فأين يوحنا من قانونية الأسفار التي لم يبدأ فيها الحديث إلا بعد عشرات السنين ابتداء من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ؟!

ولكن الغموض التاريخي هو السبب في الفجوة التي جعلت خيال الرجل يجمح به إلى هذا الحد من التصور والجرأة .

ونحن نرى أن هذا الإنجيل ألف في أخريات القرن الأول – على الأقل أو في بداية القرن الثاني كما ذهب إلى القول بذلك القس چورچ أبلتون (٢) ، أو في الربع الأول من القرن الثاني من [١٠٠ – ١٢٥م] كما ذهب إلى ذلك حبيب سعيد (٣) وذلك لأنه ألف استجابة لحاجة الكنيسة في محاربة الاتجاهات التي لم تقبلها وهي لم تبلغ هذا المبلغ

---

(١) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا [حـ١ ص٥] .

(٢) چورچ أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا [ص٤] ترجمة إبراهيم مطر .

(٣) حبيب سعيد : [أديان العالم الكبرى – الملخص المترجم [ص١٠٦] .

إلا في بداية القرن الثاني وسنعود إلى علة تعدد هذه الآراء في نهاية هذا الفصل إن شاء الله .

مكان التأليف :

المكان كما يبدو هو أفسس ، ولامرجح للقول بأنه في جزيرة بطمس . وعلى ذلك رأي جمهور المؤرخين - فيما نعلم ممن ذكرنا - وما لم نذكر مما لم نعلم فالعلم عند ربي وهو فوق كل ذي علم عليم .

٣- اللغة التي كتب بها، وأقدم النسخ الموجودة منه :

كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية أول ما كتب ، ويكاد الإجماع ينعقد على ذلك بين من قرأنا لهم ، إلا أن للقس منيس عبد النور رأي في الموضوع لم يقل به غيره ممن قرأنا لهم ، فهو يقول " الأغلب أنه كتب الإنجيل أولا باللغة العبرانية أثناء وجوده في أورشليم ، ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة اليونانية أثناد وجوده في أفسس . " (١) . ولعل ذلك يرجع إلى أن تلاميذ المسيح لما طال بهم انتظار عودته ، دونوا ذكرياتهم معه خوفا من نسيانها، ولم يكن تدوينهم بقصد أن تكون ذكرياتهم أناجيل لمن بعدهم ، وكان يوحنا قد فعل ذلك في الفترة التي سبقت ظهور الأناجيل والرسائل .

يقول الأستاذ حبيب سعيد تحت عنوان " كتابة الإنجيل - الطور الأول " .

" ويسوع نفسه لم يكتب شيئا ، ولا فكر أتباعه في تدوين قصة مكتوبةعن سيدهم وتسليمها للأجيال اللاحقة ".. إلى أن يقول : « ومن المرجح جدا أن بعض تلاميذ يسوع الأولين قد جمعوا لاستعمالهم الخاص مجموعات من أقوال يسوع والحوادث التي رأوها ذات شأن خطير » (٢) .

ويقول تحت عنوان كتابة الإنجيل " الطور الثاني " في محاولة للإجابة على السؤال القائل كيف نعلل تأخير ظهور كتب سيرة المسيح ؟ فمما أجاب به قوله : « يجب أن نذكر قبل كل شئ أن الكنيسة الناشئة الأولي عاشت في دور الفطرة ، وهي تترقب يوميا عودة المسيح المنظورة التي ستقضي على نظام العالم الحاضر وإنـــه لمـــن

---

(١) منيس عبد النور : دراسة في رسائل يوحنا الثلاث [ص١١] .

(٢) المرجع السابق : [ص٢١٨] .

السخف على ضوء هذه الفكرة أن يحاول أحد كتابة تاريخ للأجيال المقبلة التي لن تولد حسب زعمهم » [1] .

٤- أقدم النسخ الموجودة منه : .

هي النسخة الفاتيكانية ، ويرجع تاريخها إلى منتصف القرن الرابع الميلادي [٣٢٥ - ٣٥٠] م [2] وهي موجودة الآن في مكتبة الفاتيكان بمدينة رومية ، ولا يعلم أحد كيف وجدت هناك ، وهي تشمل كل أسفار العهد الجديد ما عدا رسائل تيموثاوس الأولى والثانية تيطس والعبرانيين وسفر الرؤيا [3] .

وكما يتضح من النص فإن إنجيل يوحنا من بين الأسفار الموجودة بها ، ولا يوجد من الآثار أقدم من ذلك مما يحوي إنجيل يوحنا كاملا ، ونحب أن نشير إلى خمس مخطوطات أثرية ترجع إلى التحديد (الذي يقوم به علماء الآثار لعمرها) الزمني لتاريخ مماثل لتاريخ الفاتيكانية في واحدة وأسبق منها في أربع .

أما المماثلة فهي المخطوطة السينائية [٣٥٠م] يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الرابع . ولا نتتبع غير إنجيل يوحنا وهو موضوعنا .

ولم يوجد بها إنجيل يوحنا كاملا فقد ذكر جوش مكدويل [4] إنه لا يوجد بها كاملا وأما الأربعة الأقدم فأدناها لهاتين النسختين : بردية بدمر ويرجع تاريخها إلى [١٥٠ - ٢٠٠م] منتصف القرن الثاني قال مكدويل : « إنها تحوي إنجيل يوحنا [5] وباقيه مفقود » .

كما يوجد (١٤) أربعة عشر سطرا غير كاملة باللغة اليونانية وهي مترجمة عن (الدياتسرون) الذي ألفه أحد سكان وادي الفرات يدعي (تاتيان) باللغة السريانية والأصل مفقود ويرجع تاريخ تأليفها بالسريانية إلى أواخر القرن الثاني أما مخطوطة (شستربيني) التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني فهي تحتوي على معظم أجزاء

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ .

(٢) جوش مكدويل : برهان يتطلب قراراً [ص٦١] .

(٣) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٢٥] .

(٤)،(٥) جوش مكدويل : برهان يتطلب قرارا [ص٦١] .

العهد الجديد ويغيب منها كثير من أجزائـه وتختلف ألفاظها ومعانيها قليلا عن غيرها وأما مخطوطة " چون ريلاند " التي يقال إن تاريخها يرجع إلى سنة [١٢٥] للميلاد فإن ما وجد بها ليس إلا كلمات قليلة وهذه الكلمات القليلة مشابهة لبعض كلمات من إنجيل يوحنا وذلك حسب ما حدده الدكتور چون إلدر في كتابه الأحجار تتكلم ..

لقد قال : " من أهم الآثار التي اكتشفت في الأيام الأخيرة ، ما يعرف بمخطوط ريلانز وهو يحوي كلمات قليلة إلا أنها غاية في الأهمية . ذلك لأنها أقدم أثر اكتشف حتي الآن من مخطوطات العهد الجديد ، ويرجح أنه يرجع إلى عام [١٢٥] للميلاد وقد اكتشف هذا المخطوط طي رمال مصر »[١] .

ولا ندري سببا لزعم جوش مكدويل في كتاب " برهان يتطلب قراراً " حيث زعم أنه وجد بهذه المخطوطة " إنجيل يوحنا " بصيغة يفهم منا أنه وجد كاملا فقد قال " إن مخطوطة چون ريلاند [١٣٠م] في مكتبة مانشستر بإنجلترا وهي أقدم المخطوطات وجدت في مصر ، بها إنجيل يوحنا " مع أن المعروف أن هذا الإنجيل كتب في اسيا الصغري وهي تؤكد لنا أن الإنجيل كتب نهاية القرن الأول الميلادي [٢] .

وقد قدمنا برهاننا فيما نقلنا عن چون إلدر . وبقي القرار في كتاب البرهان المزعوم وهو إما جهل المؤلف أو تضليله . أو أن يكون هذا حال المترجم إن لم يكن حال المؤلف ، أو أن يكون هذا حالهما معا .



(١) چون إلدر : الأحجار تتكلم [ص٦٠] .

(٢) جوش مكدويل : برهان يتطلب قرارا [ص٦٠] .



الفصل الثانى
الاختلاف فى تحديد شخصية المؤلف

كانت النظرة إلى الكتاب المقدس نظرة تقديس وتسليم بين الأوربيين ، حتي جاء القرن الثامن عشر فتغيرت النظرة ، وأصبح محلا للبحث ، وذلك لانتشار مبدأ الشك .

وقد تناولت العقلية الأوربية الكتاب المقدس بالنقد ، وكذا دعوى نسبة الأسفار إلى كتابها التي تحمل أسماءهم . وكان لاختلاف الأناجيل حظه من البحث والنقد وخصوصا اختلاف إنجيل يوحناعنها في أسلوبه لسرد الحوادث وما ظهر به من فلسفات في اللوغوس وعالم المثل الأفلاطوني وكذلك من عقائد الوثنيين وغيرهم .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ظهر كتاب عن « الإختلاف بين الأناجيل الأربعة » لباحث إنجليزي يدعي إيفانسون ، استنتج فيه (أن إنجيل يوحنا لابد أن يكون من وضع فيلسوف أفلاطوني من فلاسفة القرن الثاني للميلاد) .

وكان ذلك بناءا على اختلاف سفر الرؤيا عن إنجيل يوحنا - وسنعود إلى الحديث عن هذا الاختلاف عند الحديث عن الرأي الثاني إن شاء الله .

وقد نشأت بعد ذلك عدة آراء مختلفة تستبعد جميعها أن يكون إنجيل يوحنا كتب على يد يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح .

فقد تمسك (هارناك) عام [١٩٣٠م] برأي إيفانسون من أن إنجيل يوحناكتب في القرن الثاني بعد حياة يوحنا بن زبدي وأن الذي كتبه هو شخص اسمه يوحنا الشيخ الذي كان يعيش أيضا في أفسس في نفس الفترة التي كان يوحنا بن زبدي يعيش في أفسس فيها . بينما يقول (ألفرد لوازي) : إن هذا الإنجيل يمثل امتزاج الأفكار المسيحية والوثنية واليهودية في القرن الثاني ، ولا يحوي أي تاريخ ، ولكن كاتبه لابد أن يكون مؤمنا من أصل يهودي يوناني في أفسس أو أنطاكية .

ثم أتى (روبرت إيزلر) [١٩٣٨م] فخرج بنظرية تقول : إن المؤلف هو " يوحنا " الذي اختاره الوالي عام [٣٧م] ليكون رئيس كهنة ، وقاد بعد ذلك أحد الجيوش اليهودية الخمسة إبان ثورة [٦٦م] ، وبعد خراب أورشليم استقر به المقام في مدينة أفسس حيث اعتنق بعض مبادئ المسيحية ، وهناك ألف إنجيله ...

وقد نقل الأستاذ رحمة الله الهندي في كتابه " إظهارالحق " أقوال جماعة من المحققين من علماء الكتاب المقدس ، كلها تؤكد أن هذاالإنجيل المنسوب إلى يوحنا إنما هو من تأليف بعض تلاميذ مدرسة الإسكندرية (١) .

ومن الآراء العجيبة التي عجبت لها ما ذهب إليه أستاذان كبيران من علماء الكتاب المقدس من أن يوحنا الشيخ كان تلميذا ليوحنا بن زبدي تلميذ المسيح وأن الأول كتب ما أملاه عليه الثاني – بن زبدي – وأن المكتوب هوالإنجيل ، وليس كله من الإملاء فبعض أجزائه هي مذكرات الشيخ نفسه وأجزاء أخرى من تعليقاته الخاصة .

ويمكن أن نخرج من هذه العجالة بأن نوضح أن الآراء الأساسية تنتهي إلى رأيين متقابلين ، بحيث يستلزم صدق أحدهما كذب الآخر . يدعي أحدهما أن مؤلف الإنجيل هو يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح ، بينما يدعي الآخر خطأ هذه النسبة بناء على اختلاف الإنجيل مع الرؤيا وكلاهما ينسب ليوحنا .

ثم ظهرت بعد ذلك آراء منها ما صرح بالنسبة لشخص غير يوحنا ، ومنهاما قال بنسبته إلى التيار الفلسفي وتلميذ غير معين . ونحب أن نستعرض الآراء بما يساندها من دعائم وحجج – ثم نعقب بما نرى .

أولا: الرأي التقليدي (رأي الكنيسة)

منذ ظهور هذا الإنجيل وهو يحمل اسم " يوحنا " وهوابن زبدي أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر وقد عاش حياة أطول من حياة كل التلاميذ الإثنى عشر لأنهم جميعا ماتوا قبله . أبوه زبدي كان يشتغل بصيد الأسماك ، ويعاونه بعض الصيادين الأجراء ، وأمه سالومة ، وأخوه يعقوب ، دعاهما المسيح ليتبعاه فتبعاه ، وكان المسيح يلقبهما " ابني الرعد " وكان يوحنا قبل انضمامه إلى تلاميذ المسيح من تلاميذ يوحنا المعمدان (يحيي بن زكريا) . كان من بيد صيدا ، وكانت إقامته بعد المسيح في أورشليم وكان يدعو الناس بدعوة المسيح في كنيستها ، ثم انتقل بعد ذلك (إلى آسيا الصغرى ومدنها الشهيرة وجعل إقامته في مدينة أفسس العظيمة متابعا ومكملا عمل بولس وأبولس الكرازي في آسيا الصغرى وقد نفي في الاضطهاد الذي حدث في حكم

---

(١) رحمه الله الهندي : إظهار الحق [ص ١٣٢ جـ١] إخراج وتحقيق عمر الدسوقي طبعة قطر .

الإمبراطور (دوميتانوس) إلى جزيرة بطمس ، ولم يطلق سراحه إلا بعد موت دوميتانوس وتولى " نيرفا " عرش الامبراطورية سنة [٩٦م] فرجع بعدها إلى أفسس.

واختلف في تاريخ وفاته والأقوال تنحصر بين سنة [٩٨م] إلى [١١٧م] في حكم الإمبراطور تراجان . ومات وقد تجاوز المائة من عمره على أرجح الأقوال . وينسب له في العهد الجديد الإنجيل الرابع وثلاث رسائل وسفر الرؤيا ، ومن قديم وكتبات آباء الكنيسة الأولين أن الإعتقاد السائد كان أن يوحنا بن زبدي هو كاتب هذا الإنجيل .

والأدلة التي يقدمها القائلون بهذا الرأي نوعان : **أدلة خارجية ، وأدلة داخلية .**

والأدلــة الخارجـية أربعة أنواع . كمايلي:

الأول : شهادة رجال الكنيسة القدامي :

وأمامنا الآن غير قاموس الكتاب المقدس الذي ألفته لجنة مجمع كنائس الشرق الأدني مجموعة من كتب تفسير إنجيل يوحنا تبلغ سبعة ، تغافلت أربعة [١] منها موضوع تقديم الأدلة على دعوى نسبة الإنجيل إلى مؤلفه حسب تقليد الكنيسة . بينما تحدث ثلاثة من المفسرين في هذا الموضوع .

وهم الدكتور/ موريس تاوضروس الأستاذ بكليتي اللاهوت والإكليريكية بالقاهرة في مقدمة مذكرة إنجيل القديس يوحنا المقرر تدريسها لطلابه ١٩٧٨م والثاني الدكتور إبراهيم سعيد في " شرح بشارة يوحنا " ، والثالث الأنبا اثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا

وهؤلاء الثلاثة يضاف إليهم القاموس - المشار إليه آنفا ، وكتاب المدخل إلى الكتاب المقدس " للأستاذ حبيب سعيد ، وكتاب " المرشد إلى الكتاب المقدس " للقس سيكل سيل وإن كان الأخيران لم يهتما بموضوع الأدلة الاهتمام المطلوب هنا ، وأما القاموس - فإليك ما جاء به عن موضوع « الأدلة الخارجية الكنسية » قال :

" إنجيل يوحنا : إننا نجد في أقدم الكتابات التي وصلت إلينا من آباء الكنيسة الأولين أن الإعتقاد السائد كان أن يوحنا الرسول بن زبدي هو كاتب هذا الإنجيل ،

---

(١) وهي تفاسير : هلال موسى - وليم ادي - متي هنري - وليم باركلي .

(٢) قاموس الكتاب المقدس [ص ١١١١] .

وإيرانيوس الذي كان أسقف ليون حوالي [١٨٥م] كان تلميذا لبليكاريبوس الذي كان تلميذا ليوحنا الرسول ، وايرانيوس هذا يقول : أن يوحنا الرسول هو الذي كتب انجيل يوحنا ، وكتبه في أفسس بعد انتشار الأناجيل الأخري " (١) .

أما الدكتور أبراهيم سعيد والأنبا اثناسيوس فلم يبلغا - ولا أحدهما - مبلغ الدكتورموريس تاوضروس في الاهتمام بالموضوع ، ومحاولة الدفاع عن التقليد الكنسي جهد طاقته وقد زاد عليهما كثيرا . ولذلك فنحن نأخذ منه ما لديه في الموضوع باختصارغير مخل وفي أمانة فائقة قال (٢) : " ونحاول الآن أن نثبت أن كاتب انجيل يوحنا لابد أن يكون يوحنا الرسول تلميذ المسيح ..

شهادة آباء الكنيسة بصحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول :

١- شهادة أوريجانوس :

[٢٥٤م] كان من معلمي مدرسة الإسكندرية النابغين . ويذكر يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة أن أوريجينوس في كتابه عن إنجيل متى - الذي يبين فيه عقيدة الكنيسة ، يشهد بأنه لا يعرف سوى ، أربعة أناجيل وهي الوحيدة التي لا نزاع بشأنها في كنيسة الله - وأخر الكل الإنجيل الذي كتبه يوحنا - الذي اتكأ في حضن يسوع - وكتب أيضا سفر الرؤيا - وترك أيضا رسالة قصيرة جدا وربما أيضا رسالة ثانية وثالثة (٣) ، وذلك نقلا عن كتاب " تاريخ الكنيسة ليوسابيوس " أهـ " .

ونحن نلاحظ على شهادة أوريجانوس هذه :

أ - أنه أراد أن يبين عقيدة الكنيسة - التي كتب الإنجيل سدا لحاجتها .

ب- أنه ادعي بأنه لا يعرف سوى أربعة أناجيل ، وهذا يجعله محل شك لوجود عدد من الأناجيل قرب السبعين .

جـ- أنه نسب سفر الرؤيا إلى نفس يوحنا الذي نسب إليه الإنجيل ، ولم يسلم بذلك أحدٌ ، (وسنعود إلى مناقشة ذلك في المقارنة بينهما إن شاء الله) .

---

(١) ، (٢) د. موريس تاوضروس : مقدمة انجيل القديس يوحنا - مذكرة لطلاب كلية اللاهوت [ص١٧] وما بعدها.

(٣) المرجع السابق .

د- أنه لم يؤكد من رسائل يوحنا غير رسالته الأولى وتحدث عن رسالتيه الثانية والثالثة بصغية الاحتمال " ربما " .

هـ- أن أوريجانوس لم يشهد هذه الشهادة عن يقين حصل عنده لأنه كان يعيش في النصف الأول من القرن الثالث [١٨٥ - ٢٥٤م] وبين وفاة يوحنا وشهادته مدة لا تقل عن قرن زمني كامل بل تزيد إلى قرن ونصف قرن .

٢- شهادة إكليمنضس الإسكندري . [٢١٦م] :

من معلمي مدرسة الإسكندرية ، وكان أوريجانوس أحد تلاميذه . ذكر إكليمنضس تقليد الآباء الأولين في ترتيب الأناجيل على هذا الوجه التالي : إن الإنجيلَيْن المُتَضَمِّنَيْنِ نسب المسيح كتبا أولا أما إنجيل مرقس .. - حديث عن إنجيل مرقس - وآخر الكل لما رأي يوحنا أن الحقائق الخارجية قد دونت بوضوح في الإنجيل كتب إنجيلا روحيا من بعد إلحاح من أصدقائه وإرشاد من الروح المقدس " أ.هـ (تاوضروس عن يوسابيوس)

ونحن نلاحظ علي شهادة أكليمنضس ما يأتي :

أ - أنها بعد وفاة يوحنا بأكثر من مائة سنة تقريبا فتفتقر بذلك إلى اليقين ، إضافة إلى استحالة التقاء الشاهد بيوحنا .

ب - أنه جاء بها . وأن الإنجيلَيْن المُتَضَمِّنَيْنِ نسب المسيح كتبا أولا :

وهما متى ولوقا أي أنهما كتبا قبل مرقس ويوحنا . بينما الثابت أن إنجيل مرقس أقدم زمنا من الثلاثة أناجيل الأخرى .

قال حبيب سعيد : « حوالي سنة [٦٥ ب.م] ظهر أول نموذج للسيرة وهو بشارة مرقس »[1] .

وقال وليم باركلي في مقدمة تفسير إنجيل مرقس : « إنه بشهادة الجميع أول إنجيل كتب ، ولهذا فهو أول كتاب عن حياة يسوع وصل إلينا ولكنه أصبح من المؤكد أن هذا الإنجيل هو أقدم إنجيل وصل إلينا »[2] .

إن متى ولوقا كانا يستخدمان إنجيل مرقس مصدرا أساسيا لهما عند كتابة إنجيليهما « نستخلص من هذه الدراسة أن متى ولوقا كان أمامهما إنجيل مرقص عند كتابة إنجيلهما »[3] .

---

(١) حبيب سعد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص ٢١٨] .

(٢) وليم باركلي : تفسير إنجيل مرقس [ص٨] . (٣) المرجع السابق ص ١١ .

٣ - شهادة بوليكراتس :

« وكان أسقفا لأبرشية أفسس ، وفى رسالته إلى فكتور الذى ارتقى أسقفية روما عام [١٨٩م] يشير إلى قبر يوحنا بأفسس ومما قاله فى هذه الرسالة إن يوحنا الذى كان شاهداً وملعما والذى أضطجع على صدر الرب ولبس الصدرة إذ كان كاهنا، وهو أيضا يرقد فى أفسس »

(أ هـ تاوضروس عن يوسابيوس)

وتلاحظ على هذه الشهادة - (التى نقلنا نصها كاملا نظرا لقصره) - أنها إشارة إلى القبر ومن دفن فيه ، ولا تصلح إشارة لنسبة الإنجيل إليه .

٤ - شهادة ديونيسيوس الإسكندري (القرن الثالث) :

« فى معرض حديثه عن رؤيا يوحنا ، كان ينسب الإنجيل إلى يوحنا الرسول ، ومما قاله عن رؤيا يوحنا ، لا أنكر أنه - أى الكاتب - كان يدعى يوحنا . وفى هذا السفر من كتاب شخص يدعى يوحنا . ولكننى لا أصدق بأنه هو الرسول ابن زبدى أخو يعقوب ، كاتب إنجيل يوحنا والرسالة الجامعة لأن الإنجيلى لم يذكر اسمه فى أى مكان، ولم يعلن عن ذاته لا فى الإنجيل ولا فى الرسالة .

ويوحنا لم يتحدث قط مشيرا إلى نفسه أو إلى شخص آخر . أما كاتب سفر الرؤيا فيقدم نفسه فى البداية ، وقد أثبت ديونيسيوس فى نفس الموضع أن يوحنا كتب الإنجيل والرسالة لما بينهما من اتفاق »

(أ هـ تاوضروس عن يوسابيوس)

ونلاحظ على هذه الشهادة أنها لأحد رجال مدرسة الإسكندرية من القرن الثالث وأنه لا يرى صحة نسبة الرؤيا إلى يوحنا الذى ينسب إليه الإنجيل والرسالة الأولى .

٥- شهادة ترتليانوس (٢٨٠م) في كتابه ضد مركيانوس . نحو سنة (٢٠٠م) :

قال فيه : إن الكنيسة لا تعترف إلا بأربعة أناجيل (وعد منها إنجيل يوحنا) أ.هـ

ونلاحظ : أ- أنه أفاد أنه يتحدث عن اعتراف الكنيسة وهو من رجالها .

ب- أنه يشهد بذلك بعد موت يوحنا بقرنين من الزمان تقريبا .

٦- شهادة إيرايناوس . له مؤلف ضد الهراطقة (١٨٠ - ١٩٠م) :

« اقتبس كثيرا من إنجيل القديس يوحنا » ومما يجدر ذكره أنه عند بحثه في قرائتين مختلفتين في الرؤيا (١٣ : ١٨) عضد إحداهما بقوله :

" إنها هي الموجودة في النسخ الأصلية القديمة المصدق عليها ، وأن الأشخاص الذين رأوا يوحناوجها لوجه أيدوها " .

ثم يذكر يوسابيوس أن من أقوال إيرناوس : وبعد ذلك نشر يوحنا تلميذ الرب والذي كان أيضا يضجع على صدره إنجيله إذ كان مقيمافي أفسس بآسيا " .

والشهادة يوسابيوس هذه خطرها ، لأنه كان شديد الحرص علي التمسك بالتقاليد وتعاليم الكنيسة ، ورفض كل مالا يتفق معها " (أ هـ تاوضروس) ونحن نلاحظ على هذه الشهادة :

أ- أن بين إيريناوس وبين موت يوحنا قرن زمنيا تقريبا (من ١٠٠ إلى ١٩٠م) .

ب- أن إيريانوس عضد صحة نسبة الرؤيا إلى يوحنا عن الذين رأوا يوحنا وجها لوجه (وقد كان إيريناوس تلميذا لبليكاربوس الذي كان تلميذا ليوحنا) .

جـ- أن اعترافه بنسبة إنجيل يوحنا : إنما جاء على لسان إيرناوس ، وبينهما قرابة قرن ونصف قرن من الزمن تقريبا - (١٥٠) سنة .

د- أنه لم يؤيد نسبة الإنجيل كما أيد صحة نسبة الرؤيا إلى يوحنا عن طريق الذين رأوا يوحنا وجها لوجه .

٧- شهادة ثيؤفيلس أسقف أنطاكية (١٨٠م) :

" أشار في مؤلف له إلى يوحنا كواحد من الكتاب القديسين الملهمين بالروح القدس ، وأشار إلى ما كتبه القديس يوحنا عن المسيح " الكلمة " فضلا عن أن له دراسات في الأناجيل الأربعة " - أ. هـ تاوضروس عن يوسابيوس .

ونحن نلاحظ علي هذه الشهادة ما يلى :

أ- الفارق الزمني بين الشاهد ثيؤفيلس ، وبين المشهود له يوحنا نحو قرن زمني.

ب- الفارق الزمني بين الشاهد·وراوي الشهادة الأسقف يوسابيوس بما يزيد عن قرن ونصف قرن .

جـ- أن الشهادة لم تصرح بنسبة الإنجيل إلى يوحنا بل أشارت إلى كتابته .

د - أن ما جاء عن دراسات ثيؤفلس الأنطاكي في الأناجيل الأربعة . إنما هو من كلام الأسقف يوسابيوس - وهو يفتقر إلى دليل .

٨ ، ٩- شهادة كل من أبلويناريوس أسقف هيرابوليس بتريجية وأمبلينوس (١٧٠م)

وشهادة أثينا غوراس (١٧٦م) : كان كل من الثلاثة يقتبس من إنجيل يوحنا " أ.هـ تاوضروس .

ولا نقبل الاقتباس دليلا على صحة النسبة ، لأن المقتبس لم يصرح بصحة النسبة ولم يقتبس جميع النص ، وأقصى ما يصل إليه الإقتباس أن يكون اعترافا ضمنيا من المقتبس بنسبة اقتباسه وهو بعض من كل - فضلا عن الفارق الزمني .

١٠- وثيقة موراتوري : « اكتشفت (١٧٤٠م) على يد عالم إيطالي يدعي موراتوري سميت باسمه ، وهي ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد ، وفيها يرد ذكر الإنجيلين الثالث والرابع . ولكن يؤخذ من قرينه الكلام أن الإنجيلين الأولين كانا مذكورين أيضا فيها - وقد أشير في هذه الوثيقة إلى أن كاتب الإنجيل الرابع هو يوحنا الرسول تلميذ المسيح . فلقد طلب منه التلاميذ والأساقفة أن يكتب إنجيلا فأشار عليهم أن يصوموا ثلاثة أيام .

ثم يظهر كل منهم للآخرين ما يوحي به إليه ، وفي نفس الليلة أوحى لأندراوس أحد الرسل أن يوحنا ينبغي أن يكتب إنجيلا » أ . هـ تاوضروس .

ونحن نلاحظ على هذه الشهادة :

أ- أن كاتبها مجهول .

ب- أن إرجاعها إلى النصف الثاني من القرن الثاني عام (١٧٠م) (كما نص على ذلك الدكتور القس إبراهيم سعيد) . وهذا التحديد خاضع لتقديرات الآثار والمشتغلين بها ، وهم يبنون تقديراتهم على نظريات وأسس لعلومهم غير معصومة من الخطأ وهم في نفس الوقت عرضه للأهواء ، والتحديد الذي يرجحونه هناك يستبعد أن يجلعها عرضة لأن تكون أثرا يصدق علي هدة قرون بعده .

جـ- أن أندراوس المذكور - أحد الرسل - والذي هو من تلاميذ المسيح ، والذي كان مع يوحنا لم يؤلف إنجيلا .

وأبعد منه أيضا أن يكون غيرهما من التلاميذ حيا حتي ذلك الحين .

قال موريس تاوضروس « هؤلاء الرسل جميعهم قد ماتوا ، ما عدا يوحنا الذي كان

لا يزال حيا [1] .

وربما يتوهم : أن المقصود بلفظ التلاميذ : تلاميذ يوحنا بن زبدي . ونحن ننقل عن الدكتورالقس ابراهيم سعيد من ترجمته لنص وثيقة - موراتوري - قوله :

" إن مؤلف البشارة الرابعة هو يوحنا ، أحد التلاميذ لأنه إذ تقدم إليه بعضا [2]من رفقائه التلاميذ والأساقفة ، طالبين إليه أن يكتب بشارة ، قال لهم لنتصرف جميعا للصوم والصلاة مدة ثلاثة أيام ثم بعد ذلك نجتمع معا لنتذاكر ما أعلنه الله لنا . وفي إحدى الليالي أعلن الروح القدس أندراوس أحد التلاميذ بأن يؤلف يوحنابشارة بأسلوبه الخاص " . [3] أ.هـ .

والأساقفة غير التلاميذ ، وأندراوس أحد التلاميذ ويوحنا أيضا ، ولفظ التلاميذ يفيد الجماعة أي أنه كان هناك من التلاميذ الإثنى عشر من كان حيا مثلهما . وهذا بعيد، وزعم من كاتب الوثيقة لا دليل عله . بل ذهب البعض إلى خلافه " أن حياة يوحنا الرسول امتدت إلى ما بعد استشهاد الرسل وقد شهد في رؤياه المجد الذي ينتظرهم " أي أنهم ماتوا قبل أن يرى رؤياه من قبل أن يكتب إنجيله . وهذه ملاحظة جديرة بالتأمل، في مقابلة كاتب (موراتوري) المجهول الهوية .

١١- شهادة يوسابيوس :

" وقد حفظ لنا الكثير في كتابه " تاريخ الكنيسة " بما يؤكد أن الإنجيل الرابع كان من بين كتب العهد الجديد القانونية وكتبه يوحنا الرسول " . أ.هـ تاوضروس . .

ملاحظة : يوسابيوس - المذكور - من كتاب الكنيسة في القرن الرابع الميلادي، وليس مؤرخا ثقة ، وكان من رجال الكنيسة - لأنه كان أسقفا .

١٢- كتاب الراعي لهرماس :

" يرجع إلى الزمن ما بين (١٣٥ - ١٦٠) ، وقد جاء فيه مما يتطابق مع أقوال السيد المسيح التي وردت في إنجيل يوحنا ، وإنما وجدت بعض العبارات مشابهة لمافي الإنجيل المذكور ، كما أن هذا الكتاب لم تقبله ، الكنيسة ضمن الكتب القانونية بالعهد الجديد .

---

(١) موريس تاوضروس : مقدمة إنجيل يوحنا .

(٢) لعل الصواب : إذ تقدم إليه بعض من ...

(٣) ابراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا ص ١٥ .

١٣- **الرسالة إلى ديوجنيس** : ترجع إلى منتصف القرن الثاني للميلاد .

" ورد فيها ما يؤكد أن الكاتب اقتبس من إنجيل يوحنا " أ هـ تاضروس .

ونلاحظ أيضا :

أنها لم تصرح بالنسبة ، وهي من الرسائل غير القانونية - الأبوكريفا - التي ردتها الكنيسة .

ونحب أن نوضح أننا لم نترك دليلا من أدلة الدكتور تاوضروس التي قدمها تحت عنوان " شهادة الكنيسة " وأننا ذكرنا أدلته الثلاثة عشر كلها مع إبداء بعض ملاحظاتنا الخاصة على كل منها بانفراد .

مناقشة هذه الشهادة وشهودها ورواتها ، والمستشهدين بها :

ونحن نناقش شهادة الكنيسة هذه بعد أن أعطيناها الحق الكامل في الإدلاء بشهادتها على هواها . وذلك كما يتضح من الأمور الآتية :

١- فأول ما نلاحظه أنه ليس بين الشهود الذين ذكرهم من كان من تلاميذ يوحنا بن زبدي ، وكان له تلاميذ كثيرون منهم على سبيل المثال لا الحصر : بوليكاربوس (٦٩ - ١٥٥م) الذي أقامه يوحنا أسقفا على أزمير . وكذلك بابياس ، وكذا إغناطيوس الأنطاكي ، وغيرهم كثير . فهم شهود العيان محل الثقة .

٢- أن القرن الثاني لم يجمع أهله على صحة نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا بن زبدي بل كان في منتصفه فرقة " الألوجيين " الذين أنكروا هذا الإنجيل لما وجد به من الفلسفة [1].

٣- أن بوليكاربوس تلميذ يوحنا - المشار إليه آنفا - كان يعيش ، ولم ينقل أنه اعترف بصحة نسبة الإنجيل إلى أستاذه في معرض الدفاع عنه ضد مجاهرة الألوجيين بإنكار النسبة ونفي صحتها .

٤- أن الشهود فضلا عن عدم تلمذتهم له ، يناقض بعضهم بعضا هنا ، فإن ما جاء عن أورجينوس يثبت نسبة الرؤيا إلى يوحنا بن زبدي ، بينما يتناقض مع ما نسب إلى ديونيسيوس في نفي نسبة الرؤيا إليه . وكلاهما من معلمي مدرسة الإسكندرية .

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٢٨٧] .

٥- ولا يفوتنا أن ننبه إلى أنهم ليسوا شهود عيان ، وأن الخطأ والغفلة من الأمورالجائزة عليهم . فليسوا معصومين ولا أحدهم ، ونسبة ذلك إليهم من الأمور الجائزة عند رجال الكنيسة . قال تاوضروس فى مذكرته :

« قد أخطأ ديونيسيوس في تقييمه لسفر الرؤيا » [١]وقال أيضا :

" لقد أخطأ يوسابيوس إذ ظن أن بابياس يشير إلى يوحنا آخر " [٢].

وقال الأنبا يؤانس :

« إن قداسة بعض آباء الكنيسة ، وعلو كعبهم في العلوم الدينية ، لا ينفي عنهم الزلل ، ولا يعصمهم من الخطأ ، خاصة في المواضيع التاريخية » [٣] .

كما قال عن إيريناوس - المشار إليه في الشهود :

" وقع إيريناوس في نفس الخطأ الذي وقع فيه يوستينوس الشهيد إذ قال إن الدولة كرمت سيمون ، وأقامت له تمثالا من أجل أعماله السحرية ، ولا شك أن الدليل المادي سيد الأدلة . لقد أثبتت الحفريات خطأ هذه الرواية ، ولا يبعد أن يكون إيريناوس في موضوع تأسيس كنيسة روما قد نقل عن مصدر خاطئ أو مغرض " [٤] .

٦- أن المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الكنيسة في هذه الروايات هي نفسها المصادر التي تردها الكنيسة إذا لم توافق هواها في العقيدة . فالكنيسة القبطية مثلا تنفي صحة الروايات التي تنسب إلى القديس بطرس تأسيس كنيسة روما - يقول الأنبا يؤانس :

" لا صحة مطلقا لما يدعيه الكاثوليك من أنه أسس كنيسة روما وأنه أسقفها الأول..... أما الروايات التي تنسب لبطرس الكرازة في بلاد اليونان ومصر وروما وكل جزء هام في العالم ، فليس إلا من صنع المسيحيين المتهودين ، ليجعلوا من بطرس رسول الختان كارزا للعامل أجمع ، ومبشر كل الخليقة [٥] " .

والمصادر التاريخية التي يعتمد عليهارجال الكنيسة الكاثوليكية في دعواهم هي نفس المصادر التي يكذبها رجال الكنيسة القبطية من أمثال الأنبا يؤانس ، وهي نفس

---

(١) مقدمة إنجيل القديس يوحنا [ص١٢] . (٢) المرجع السابق [ص١٣].

(٣) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٢٨٣] .

(٤) المرجع السابق [ص١٣٤] . (٥) المرجع السابق [ص٣١٠] .

المصادر التي نقل عنها موريس تاوضروس الشهادة السينية وإنما اخترنا لها هذا الإسم ، لأن كل شهودها ينتهي إسم كل منهم بحرف « السين » حتي جامع الشهادة ينتهي اسمه ولقبه بنفس الحرف العربي « السين » .

وليس مصدر الشهادة السينية سوى كتاب " تاريخ الكنيسة " ليوسابيوس وهو أيضا " سيني " وهو محل شك ، لا نقبل روايته على علاتها . فهو أحد رجال الكنيسة ، يهمه أن يؤيد عقائدها ، وقد كان يعيش في القرن الرابع الميلادي ، وهو الذي ألقى خطاب الافتتاح في مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) الذى حضره الإمبراطور قسطنطين وترأس بعد ذلك مجمع صور (٣٣٥م) . وعاصر التحول الثاني المسيحي الخطير بعد التحول البولسي - ذلك التحول الذي انحرف إلى التثليث وحورب في عصره أصحاب ما تبقي من عقيدة التوحيد حربا شعواء بأمر قسطنطين وألف هذا الكتاب في ذلك العهد الذي كان الامبراطور يستمع إلى خطبه واقفا إجلالا ، واحتراما .

وقد طعن فيه الأنبا يؤانس طعنا ذكيا عند حديثه عن " تأسيس بطرس لكنيسة روما " فقال :

" انحدر هذا الخليط العجيب إلى يوسابيوس المؤرخ في القرن الرابع وعنه أخذ القصة كما هي ، ودونها في تاريخه -- ويجدر بنا أن نشير إلى أن يوسابيوس لم يكن مؤرخا بالمعني الدقيق للكلمة ، ولكنه كان ناقلا عن غيره . ويتضح هذا من تاريخه " (١). أهـ ولولا أنه هو الكتاب الوحيد العمدة لتاريخ هذه الفترة لصرح في نقده بما هو أوضح وإن كان ما صرح به يكفي .

وهذا هو الذي يحوي الخليط العجيب دون تدقيق أو تمحيص ، مما سبب كثيرا من اللبس في التناقض في كثير من المسائل لمن جاء بعده . وكان أول الشهود السينيين معنا هو أوريجينوس اختلف باحثان معاصران من رجال الكنيسة القبطية بشأن موقفه من رسالة بولس إلى العبرانيين . وهما الأستاذ حبيب سعيد والأنبا يؤانس - قال الأول:

" قال أوريجانوس الكاتب الإسكندري والمعلم الشهير : إنها ليست من أسلوب بولس (٢).

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص١٣٣] .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٣٤٢] .

بينما قال الثاني :

" واقتبس العلامة أريجينوس كثيرا من هذه الرسالة علي أنها كلام القديس بولس [(1)] " وها أنت قد رأيت قوله : لا صحة مطلقا لما يدعيه الكاثوليك ، وعماد دعواهم هو – الروايات التاريخية التي ذكرها يوسابيوس في كتابه المذكور ، وها أنت قد رأيت أنه صرح بأن هذه الروايات مغرضة ليست إلا من صنع المسيحيين المتهودين ، الذين يهمهم رفع شأن بطرس .

فلم لا يجوز أن تكون الشهادة السينية لا صحة لها مطلقا ؟ وهل هناك ما يمنع أن تكون مغرضة هي الأخرى ؟ بل إننا لا نجد مانعا من أن يكون يوسابيوس هو الآخر مغرضا . اصطنع في كتابه هذه الروايات لخدمة أغراض الكنيسة التي أرادت ، إنجيلا لنفس الغرض – خدمة أغراضها – فكان ما أرادت ، وألف الإنجيل الرابع ، وصار تاج الأناجيل .

ونقدم الآن شهادة سينية من نفس المستوى لغرض مشابه لغرض الشهادة السينية في موضوعنا . ثم نري مصيرها علي يد بعض كبار رجال الكنيسة ، وهي شهادة الكنيسة منذ فجر تاريخها بصحة نسبة الرسالة إلى العبرانيين للقديس بولس (الشهير) .

وهي الشهادة التي استقاها الأنبا يؤانس من كتاب " تاريخ الكنيسة " للأسقف يوبابيوس القيصري نفسه ومن روافد هذا الكتاب التي تعتمد عليه . قال الأنبا يؤانس بالنص :

" شهدت الكنيسة منذ فجر تاريخها بقانونية هذ الرسالة ، وأنها للقديس بولس وقد اقتبس منها الآباء الأوائل أكثر من أي سفر آخر من أسفارالعهد الجديد . فالقديس إكليمنضس الروماني اقتبس كثيرا من هذه الرسالة في رسالته إلى الكيسةفي كورنثوس ، وهو لم يقتبس آيات متناثرة بل أجزاء بأكملها ، كما اقتبس منها بوليكاربوس في رسالته إلى الفليبيين ، وفي صلاته الأخيرة قبيل استشهاده وكذلك يوستينوس الشهيد ، ويشهد بقانونيتها ، وبأن كاتبها هو بولس أيضا اكليمنضس

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٢٩٥] .

الاسكندري وكذلك سلفه بنتينوس ، واقتبس العلامة أوريجينوس كثيرا من هذ الرسالة على أنها كلام القديس بولس ، ويشير البابا ديونيسيوس الاسكندري على أن رسالة العبرانيين هي للقديس بولس دون أدني شك [1]. " أ . هـ .

وقد ظهر بعد ذلك أن الرسالة ليست له ، إلا علي رأي قلة ممن يخشون على سمعة التقليد ، أن يفقد الناس ثقتهم فيه . وبين يدينا الآن كتاب " المدخل إلى الكتاب المقدس " للأستاذ حبيب سعيد . ننقل عنه بعض فقرات عن الذين لم يعبأوا بهذه الشهادة السينية القائلة ببولسية الرسالة العبرانية .

١- ذهب أهالي أفريقية الشمالية ، وربما رومية أيضا إلى أن كاتبها هو برنابا .

٢- وقال أوريجانوس الكاتب الإسكندري ، والمعلم الشهير أنها ليست من أسلوب بولس .

٣- واضعي الأسفار على ترتيبها الحالي لم يكونوا على يقين من فئة الرسائل التي يضعون العبرانيين بينها . (يقصد الكاتب بذلك : أنهم لو كانوا على يقين من نسبتها لبولس لوضعوها بين رسائله) .

٤- وزعم البعض أن أبلوس هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين .

٥- الذي يذهب إليه علماء هذا العصر أن الرسالة غفلة عن اسم كاتبها [2] (يقصد الكاتب أن كاتبها مجهول لديهم لا هو بولس ولاغيره) .

وقد جاء بالقاموس : " أن البعض ينسبوها إلى برنابا " [3] .

كما جاء به أيضا أن " الرسالة إلى العبرانيين علي قول البعض [4] . ولم يقل علي القول الراجح ولا الأرجح - فإن البضع في القاموس يساوي البعض .

فماذا فعل السينيون أصحاب يوسابيوس لها ؟! والعلة التي دفعت علماء الكتاب المقدس إلى رد شهادة السينيين هي مضمون الرسالة . ذلك أنه فلسفي إسكندري - بأسلوب مغاير لأسلوب بولس . وأصبحت الشهادة وأمثالها على أيدي هؤلاء العلماء بمثابة الأدلة الثانوية يستأنس بها، إذا قام دليل من غيرها ، أو إذا لم يقم دليل ضدها.

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ٢٩٥] .

(٢) حبيب سعيد :المدخل [ص٣٤٢ ، ٣٤٣].

(٣) قاموس الكتاب المقدس [ص١٧٢] .

(٤) قاموس الكتاب المقدس [ص١٩٩] .

وأدلة ينزلها أهلها هذه المنزلة ، لا ينبغي أن تشهر كأنها حجج دامغة وأدلة قاطعة . والأمر في القضية التي نعالجها يترك إذن لأدلة غيرها تكون حاسمة قاطعة ونعود إلى الدكتور تاوضروس لنبحث باقي الشهادات فنجده يقدم :

الثاني : شهادة الهراطقة والوثنيين :

نقل عن إيريناوس أنه قال : إن الهراطقة كانوا يقتبسون من نصوص الأناجيل ومنهم كلسوس الفيلسوف الوثني (١٧٨م) اقتبس في كتاب كان له وفقد ، وقد اقتبس في كتابه المفقود ما يزيد عن الثمانين اقتباسا . من العهد الجديد وأن هذه الاقتباسات محفوظة في رد أوريجينوس على طعون كلسوس في كتابه " ضد كلسوس " ومنها أربعة نصوص في رد أوريجينوس من انجيل يوحنا، كما جاء في " ضد كلسوس الإشارة إلى خمسة شواهد أخري منه [1] . . أهـ .

وغني عن البيان أن الشواهد الخمسة لم تذكر بنصوصها ، وإنما - فقط - أشير إليها ..

ونحن نذكرالقارئ الكريم بماقلناه آنفا - في الشاهدين الثامن والتاسع أبو ليناريوس وأثينا غوراث من الشهود السينيين ، من أننا نرفض الاقتباس كدليل على صحة نسبة الإنجيل كله إلى يوحنا بن زبدي .

ونذكر القارئ الفاضل أيضا : بطعن يؤانس في إيريناوس ، وأنه لا يبعد أن يأخذ عن مصدر خاطئ أو مغرض - وذلك في الفقرة الخامسة من مناقشة الشهادة السينية- وكذا عن تضارب النقل عن أوريجانوس كما بدا من باحثين قبطيين بعد التعليق علي خليط يوسابيوس العجيب .

ولم يحفظ ذلك من قول كلسوس في كتابه ، بل في قول " ضد كلسوس " وبينهما فرق كبير .

الثالث : شهادة النسخ القديمة :

النسخة الفاتيكانية : وهي أقدم النسخ ، وترجع إلى أوائل القرن الرابع الميلادي وعد بعدها الكاتب أربع نسخ أحدث منها تاريخيا .

ونحن نلاحظ أنه لا علاقة بين هذه النسخة وما تلاها بموضوعنا فإن يوحنا لم

---

(١) موريس تاوضروس : مقدمة انجيل القديس يوحنا . المذكرة [ص ٢١ ، ٢٢] .

يكتبها بيده ، وهي لم تكتب إلا بعد موته بثلاثة قرون تقريبا . وشهادة النسخ لا تقبل إلا إذا كانت قد كتبت في عصر المؤلف وحازت موافقته .

الرابع : شهادة ترجمات الكتاب المقدس :

ذكر منها أربعة : أقدمها السوريانية واللاتينية : وترجعان إلى أواخر القرن الثاني . ثم القبطية وقد بدئ في ترجمة أجزاء منها أوائل القرن الثاني ، ثم الحبشية في أوائل الرابع .

ونحن نلاحظ : أن الاستدلال بهذه الترجمات استدلال أجوف عار عن الصواب والدقة .

فما دامت أقدم النسخ في النوع الثالث السابق لا ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي ، فلا وجه للاستدلال بالترجمات السابقة عن هذه النسخ . إلا إذا قام الدليل على أن الترجمة الحالية هي نفس الترجمة المعينة ولا دليل ، اللهم إلا إذا كان هناك قوم يستظهرون الإنجيل حفظا في صدورهم ، وهذا الاحتمال بعيد جدا .

الأدلة الداخلية : و هي شهادة الإنجيل ذاته :

وقد أشرنا إليها قبل ذلك في بداية الحديث في موضوع أدلة المقلدين . قال تاوضرس : ويستدل من نص الانجيل على شخصية الكاتب أنه :

١- كان يهوديا .

٢- يرجع إلى النص العبري للعهد القديم .

٣- يعرف جغرافية فلسطين .

٤- يذكر كثيرا من عادات اليهود وتقاليدهم .

٥- يعرف موضوع رجاء الشعب اليهودي في المسيح المنتظر .

٦- يتحدث كشاهد عيان أ . هـ .

ويستنتج تاوضروس وأمثاله من المقلدين من ذلك أن الكاتب كان تلميذا من تلاميذ المسيح وأنه قد أشار إلى نفسه أنه التلميذ الذي كان يسوع يحبه .

وهذا الاستنتاج - لا يؤخذ من المقدمات الستة التي قدمها . فليست هذه الأمور الستة من خصوصيات يوحنا، بل إن جميع تلاميذ المسيح يشتركون فيها تقريبا وليسوا

هم وحدهم ، فإن كثيرين يشتركون معهم في ذلك ، وعلي سبيل المثال فقد كان يوحنا الذي قال إيزلر بأنه هو مؤلف هذا الإنجيل ، والذي تحدثنا عنه في مقدمتنا للخلاف حول تحديد شخصية المؤلف . نقول إن يوحنا هذا يشترك مع ابن زبدي في الصفات الست التي ذكرها الكاتب العزيز . فقد كان يهوديا فلسطينيا واختير ليكون رئيسا للكهنة ، وسكن أفسس ، واعتنق بعض مبادئ المسيحية .

وماذا يتبقى : أن يعثر على بعض مذكرات يوحنا أويسمع منه ، وهذا متوفر لأنهما سكنا أفسس في وقت واحد ، فيكتب الإنجيل ويزعم أنه التلميذ الذي كا يسوع يحبه .

وما المانع من أن يكون تلميذا لابن زبدي ؟؟

على أن هذه المقدمات لا تسلم يقينا إلى ما استنتجته كما قدمنا ، ولو فرضنا جدلا فإن من المفروض أيضا أن نقول : من الجائز أن خبيرا بالكتب مثل " أبولس " الفيلسوف اليهودي الذي كان من دعاة المسيحية والذي نزل بأفسس وأقام بها مدة: من الجائز أن يكون قد قام بتزوير هذا الإنجيل اعتمادا علي ما وصل إليه من ذكريات يوحنا كتابة مقروءة ، أو روايات مسموعة .

ولم لم يضع رجال الكنيسة التقليديون الذين تكلموا في الموضوع بين ملامح شخصية الكاتب أنه فيلسوف متمكن من فلسفة الكلمة " اللوغوس " ومن فلسفة " المثل " الأفلاطونية .... إلخ ذلك .

وسوف ننتقل بهذه الفروض التي تركوها مع ملامحها الظاهرة في نص الإنجيل إلى رأي علماء الكتاب .

ثانيا: الرأي العلمي الحديث:

في بداية القرن الثامن عشر الميلادي (١٨٠٠م) قال أحد علماء الكتاب المقدس الإنجليزيين يسمى " إيفانسون " : .

" إن إنجيل يوحنا كتب في القرن الثاني بعد حياة الرسول يوحنا ، وأن ، الذي كتبه هو شخص اسمه يوحنا الشيخ » [١] . وذلك في كتابه " الاختلاف بين البشائر الأربعة" [٢].

---

(١) اثناسيوس (أسقف بني سويف والبهنسا) : دراسات في إنجيل يوحنا [ص١٥] .

(٢) موريس تاوضروس مقدمة انجيل القديس يوحنا – المذكرة [ص١٦] .

وتابع إيفانسون على ذلك بعض علماء الكتاب المقدس ، ومنهم (هارناك) الذي تمسك برأي إيفانسون عام (١٩٣٠م) ، وكذلك (روبرت إيزلر) سنة (١٨٣٩م) ، الذي حدد شخصية " يوحنا الشيخ " بأنه :

" هو يوحنا الذي اختاره الوالي " فتاليوس " عام (٣٧م) ليكون رئيس كهنة ، وقاد بعد ذلك أحد الجيوش اليهودية الخمسة إبان ثورة سنة (٦٦م) . وبعد خراب أورشليم استقر به المقام في مدينة أفسس حيث اعتنق بعض مبادئ المسيحية ، وهناك ألف إنجيله " [1] .

أما عن قول إيفانسون : إن الإنجيل ألف في القرن الثاني فذلك لأن الغموض يحيط بهذا الإنجيل من جميع جوانبه التاريخية ، ومن علماء الكتاب المقدس من ذهب إلى أنه ألف في الربع الأول من القرن الثاني (١٠٠ - ١٢٥م) كما ذهب إلى ذلك الأستاذ حبيب سعيد في كتاب " أديان العالم الكبرى " الذي لخصه وترجمه عن الإنجليزية [2] ولعل القارئ الكريم يتذكر أننا قدمنا لنفس هذا الكاتب رأيا غيرهذا الرأي من كتاب آخر له ، ولا ندري سببا لاختلاف علماء الكتاب بعضهم عن بعض ، بل لاختلاف الواحد منهم على نفسه من كتاب إلى كتاب ، إلا غموض هذه الفترة نظرا لما حوت من الاضطهادات والاضطرابات الفكرية والاجتماعية والعقائدية . ولعل الغموض كان يحيط بغالبية زعماء المسيحية في ذلك الوقت من التلاميذ وأتباعهم حتى " يوحنا " بن زبدي ، وكذلك " يوحنا الشيخ " [3] الذي نعود بالحديث إليه لنوضح المقصود بلفظ الشيخ " .

نجد أن لفظ " الشيخ " كان يلقب به من يولي القيام بوظيفة كهنوتية في الكنيسة ويصبح بذلك من رجالها ، ويكون من أتباع الرسل الذي يختارهم رسل المسيح أو بعضهم ، ليكون كاهنا بالكنيسة أسقفا أو قسيسا علي رأي البروتستانت أو يقصد به القسيس فقط كما يرى رجال الكنيسة القبطية ، لأن لفظ الأسقف عند الأقباط أعظم من رتبة القسيس الذي يقصرون عليه لقب" الشيخ " ...

---

(١) اثناسيوس : المرجع الأسبق [ص١٥] .

(٢) [ص١٠٦] صدر عن دار الشرق والغرب ببولاق بمصر .

(٣) " يوحنا " اختصار " ليوحنان " - اسم عبري بمعني يهوه حنون أي " الرب تحنن . قاموس الكتاب المقدس [ص:١١] .

ومن المتفق عليه أن الرسل غير المشايخ كما نص على ذلك سفر أعمال الرسل ، فإنه كثيرا ما يتحدث عنهما بأسلوب العطف الذي يفيد أن المعطوف غير المعطوف عليه.

« ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ - فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر - حينئذ رأى الرسل والمشايخ »[1] .

فالرسل هم من كانوا من تلاميذ المسيح الذين اختارهم ومنهم يوحنا بن زبدي وقد أطلق هذ اللفظ تجاوزا على بعض أشخاص مثل " ابفرودتس " رسول الفليبيين[2] .

أما المشايخ فهم " القسوس " أو القسوس والأساقفة . وهم غير الرسل ولذلك عطفوا عليهم في نص الأعمال الذي نقلناه ، قال الأنبا يؤانس: (يمكن وضع كلمة قسوس " هنا بدلا من كلمة " مشايخ ")[3] فهؤلاء غير أولئك ،وكلاهما غير عامة المسيحيين الذي يتبعون الكنيسة، ويدعون الأخوة- كما جاء بسفر أعمال الرسل أيضا.

" الرسل المشايخ والإخوة يهدون سلاما إلى الإخوة الذين من الأمم "[4] فالشيوخ واسطة بين الأخوة والرسل . اختيروا من بين الأخوة ليكونوا قسوسا . وقد كان " يوحنا الشيخ " غير « يوحنا بن زبدي » ، كان الأول من الأخوة المسيحيين اختير ليكون قسيسا في كنيسة أفسس ، بينما كان الثاني أحد تلاميذ المسيح الذين يدعونهم . " رسلاً " ويدعي " يوحنا الرسول " أي : رسول المسيح .

وقد حاول أحد رجال الكنيسة القول : إن يوحنا الرسول لما طال به العمر أطلق عليه هذا اللقب لأنه كان رسولا[5]، وقال في تعليل ذلك : (لأن يوحنا هو وحده من بين الشيوخ - أي من بين الرسل - كان لا يزال حيا) فهو يرى أن الرسول والشيخ بمعني واحد ، وأن هذا لقب يوحنا وهذا القول لا أساس له من المنطق وهو خلاف الواقع للأسباب التالية :

أ- لو كان ما يقول حقا لما فرقوا بين « الرسول » ، « والشيخ » وحددوا مدلول كل منهما .

وقد راجعنا في قاموس الكتاب المقدس مادة (رسول - رسل) فلم نجد أحدا ممن عمدوا رسلا للمسيح سمي شيخا . ولم نجد بين استعمالها أنهـا

---

(١) أعمال الرسل [١٥ : ٤ ، ٦ ، ٢٢ ، ٢٣] . (٢) فليبي [٢ : ٥] .

(٣) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص ١٦٩] .

(٤) أعمال الرسل (١٥ : ٢٣] . (٥) مقدمة إنجيل القديس يوحنا [ص١٤] .

كانت تطلق على أي من الرسل . وذلك أيضا عند مراجعتنا مادة (شيخ – شيوخ) في نفس القاموس المذكور .

ب- أن يوحنا بن زبدي حين أقام في أفسس عرف بالرسول وأطلق عليه هذا اللقب فلا يقبل عقلا أن يستبدل هذا اللقب بلقب" الشيخ "لسبق اللقب الأول إلى الاستعمال وشيوع ذلك وانتشاره .

جـ- أن الألقاب غالبا ما يلقب بها أصحابها للتمييز بينهم وبين غيرهم ممن يشتركون معهم في أسمائهم ، وإطلاق لقب الشيخ على يوحنا بن زبدي بمعنى المسن أو كما رأى تاوضروس يستدعي حتما وجود " يوحنا " آخر كان شابا . ولما لم ينقل أن هناك من دعى " يوحنا الشاب " في مقابل من دعي يوحنا الشيخ فإن الإحتمال الأقرب أنه كان هناك شخصان – على الأقل – في أفسس ، دعي أحدهما " يوحنا الشيخ " بمعني القسيس تمييزا له عن يوحنا الرسول بن زبدي .

د- وإنما قلنا كان هناك شخصان على الأقل ، لاحتمال وجود ثالث لم يكن بالشيخ ولا بالرسول ، ميز تلميذ المسيح بن زبدي ، من بين الثلاثة بلقب "الرسول " الذي لا يشترك الأخران معه فيه ، وميز بين الآخرين بفارق السن . فلقب المسن منهما " الشيخ " وبقي الآخر محتفظا باسمه الأصلي –ولعله كان شابا ، ولعله كان خامل الذكر – لم ينقل عنه شئ .

ونحن لا ندعي وجود " يوحنا الشيخ " بمجرد الظن العقلي لأن وجوده ثابت بحكم الواقع المؤكد . قال الأستاذ القس سيكل سيل في حديثه عن إنجيل يوحنا :

« إن بعض علماء الكتاب المقدس في الزمان الحديث قد توصلوا إلى نتيجة أخري هي أن كاتب السفر لم يكن يوحنا الرسول ، بل يوحنا آخر » (١) .

" ويوحناالآخر " هذا هو " يوحنا الشيخ " الذي كان يعيش في أفسس ، وقد قال بعض علماء الكتاب المقدس ، بنسبة الرسالتين الثانية والثالثة إلى " يوحنا الشيخ " أيضا . وهما الرسالتان المعروفتان برسالتي يوحنا الثانية والثالثة في تقليد الكنيسة ، ذلك أن الكاتب يسمى نفسه فيها " الشيخ" وذلك خلاف لسفر الرؤيا الذي ذكر فيه

---

(١) سيكل سيل : المرشد إلى الكتاب المقدس [ص ٢٢٧] .

اسمه ومنفاه في بطمس ، وبخلاف الإنجيل والرسالة الأولي لأنه لم يذكر في الأخيرين اسمه ولا وصفه .

" ويوحنا الشيخ " هذا لم يكن وجوده حقيقة واقعة فحسب ، بل كان حقيقة معروفة مشهورة ، يحاول المقلدون أن يتهربوا منها ، وقد قال سيكل سيل عن رسائل يوحنا :

" هنا ثلاثة أسفار صغيرة كان الاعتقاد العام أن كاتبها هو الرسول يوحنا ومما يستحق الذكر بشأنها أن اسم كاتبها لم يذكر فيها على الإطلاق ، إلا أن الكاتب في الرسالتين الثانية والثالثة يسمى نفسه " الشيخ " وهذا حمل البعض على الاعتقاد بأنه هو نفسه يوحنا الشيخ المعروف أنه عاش في أفسس حوالي ختام القرن الأول للمسيح.

ويظن البعض أن يوحنا هذا هوالرسول يوحنا نفسه " (١).

وقد عرف يوحنا الشيخ بأنه عاش في أفسس في المدة المذكورة . أما ما ظنه البعض من أن الشيخ هو الرسول فلا أساس له من المنطق بل هو بهدف التخلص من وجود يوحنا آخر . وهو مثل محاولة تاوضروس التي أسلفنا الرد عليها آنفا .

وهو يستهدف من ذلك ما أشرنا إليه ، فهو يحاول مثل أكثر المقلدين أن ينسب الإنجيل والرسائل إلى ابن زبدي دون الرؤيا وذلك لأن الرؤيا تختلف عن الإنجيل والرسائل إذ يقول :

" والعلماء مجمعون على أن أوجه الشبه بين هذه الرسائل وإنجيل يوحنا عديدة وقوية حتى إن أكثرهم يوقنون أن كاتب الإنجيل والرسائل شخص واحد " (٢) انتهي ولم يذكر الرؤيا .

وحين تحدث عن الرؤيا قال" إن علماء الكتاب تساءلوا عن المؤلف : أي يوحنا هو ؟ أهو يوحنا الرسول الملقب باللاهوتي ؟ أم شخص آخر انتحل اسم الرسل على ما جرت عليه عادة كاتبي الأسفار الرؤيوية (٣) .

وقـد جاء القاموس جامعا للآراء حول الشخصيتـين ، ولم يستطـع الخـروج برأي

---

(١) المرجع السابق [ص٢٨٤] .

(٢) سيكل سيل : المرشد إلى الكتاب المقدس [ص٢٨٤] .

(٣) المرجع السابق [ص ٢٩٣] .

محدد إرضاء لجميع من يمثلهم أعضاء اللجنة – وقال :

" وقد ظن بعضهم أن كاتب هذاالإنجيل هو " يوحنا الشيخ " الذي ذكره أسقف هيرابوليس في أوائل القرن الثاني الميلادي ، ولكن من المحتمل أن يوحنا الشيخ هو نفس يوحنا الرسول " (١) .

وواقع المنطق يقتضي المغايرة بين هذين الرجلين ، فإطلاق لفظ " الشيخ :" تمييزا عن شاب إن كان المقصود به المسن ، وإن قصد به القسيس كان تمييزا له عن غيره من الرسل والإخوة ، كما أن إطلاق " الرسول " على ابن زبدي " تمييز له عن يوحنا سواه شيخا كان الاخر أو شابا ، قسيسا أو أخا . وذلك واقع المنطق .

والواقع يؤكد حقيقة تاريخية ، وهي وجود قبرين في أفسس في ذلك الوقت كل منهما يحمل اسم قبر يوحنا " .

وقد شهد بذلك يوسابيوس في كتابه " تاريخ الكنيسة " كما شهد بوجود شخصين يحمل كل منهما اسم يوحنا ، ولم يشهد يوسابيوس بذلك وحده بل شهد معه أحد الشهود السينيين السابقين وسيني آخر أيداه في وجود الشخصين .

الأول هو " ديونيسويس الإسكندري تلميذ أوريجانوس من القرن الثالث الميلادي وقد نقل عنه يوسابيوس قوله عن كاتب الرؤيا .

" لا أنكر أنه كان يدعي يوحنا ، وأن هذا السفر من كتابة شخص يدعي يوحنا وأوافق أيضا أنه من تصنيف رجل قديس ملهم بالروح القدس . ولكنني لا أصدق بأنه هو الرسول بن زبدي أخو يعقوب كاتب إنجيل يوحنا والرسالة الجامعة " (٢) .

فهو يعترف بوجود رجل قديس ملهم يدعي يوحنا ، كتب سفرالرويا ، ولا يصدق أن يوحنا كاتب الرؤيا هو يوحنا الرسول بن زبدي . أي يؤكد وجود يوحنا آخر .

كما نقل يوسابيوس عن بابياس قوله :

" وكلما أتي أحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم ، عما قاله أندراوس ، أو بطرس ، عما قال فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أى واحد آخرمن

---

(١) قاموس الكتاب المقدس : [ص ١١١٣] .

(٢) يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة [ك ٧ ف ٢٥ : ٧] .

تلاميذ الرب . أو عما قاله أريستيون أو القس يوحنا أو تلاميذ الرب " [(١)] . هذه شهادة بابياس .

أما شهادة يوسابيوس فهى تعليقه على شهادة بابياس في الفقرة التى تلتها قال : « ومما هو جدير بالذكر هنا أنه كرر اسم يوحنا مرتين . فالاسم الأول يذكره مع بطرس ويعقوب ومتى ، وسائر الرسل - ومن هذا يتبين بوضوح أنه يوحنا الإنجيلى ، أما يوحنا الآخر فإنه يذكره بعد فترة معينة ، ويضعه ضمن أشخاص آخرين ليسوا من عداد الرسل واضعا أريستون قبله ، وبكل وضوح يدعوه قسا.

هذا يبين صحة ما يقرره من يقولون إنه كان هناك في آسيا شخصان يحملان نفس الاسم ، وكان هناك قبران/في أفسس لا يزال إلى الآن كل منهما يدعي " قبر يوحنا " .

وهذه ملاحظة جديرة بالأهمية لأنه يحتمل أن يكون يوحنا الثاني هوالذي رأي الرؤيا المنسوبة إلى يوحنا ، إن كان أحد لا يميل أن يصدق بأن يوحنا الأول هو الذي رآها.

ويعترف بابياس الذي نتحدث عنه الآن أنه تقبل كلمات الرسل ممن تبعوهم ، ولكنه يقول إنه هو نفسه كان أحد المستمعين إلى أريستيون والقس يوحنا ، وهوعلى الأقل يذكرهما مرارا بالإسم ويذكر تعاليمها في كتاباته [(٢)] " أهـ يوسابيوس .

فقد أيد يوسابيوس بابياس في قوله بوجود شخصين باسم يوحنا : فرقا بينهما بأن الأول من تلاميذ المسيح - الرسل - وميز الثاني بأنه القسيس يوحنا ، وهو يوحنا الشيخ لاغيره ، والشخصان متغايران كل منهما غير الآخر ، ولا لبس .

كما شهد يوسا بيوس بأنه كان هناك شخصان في آسيا يحملان نفس الإسم وكان في أفسس قبران من ذلك الحين ظلا موجودين بها حتى مطلع القرن الرابع ، وانقضاء بعضه وقت تحرير يوسابيوس لشهادته .

وهذه ملاحظة جديرة بالأهمية لأن الدفن في ذلك الوقت - علي ما نظن - كان بلحد الميت منفردا ، وإقامة شاهد على قبره يحمل اسمه بعد لحده .

ولا نغفل أن بابياس كان يذكرهما مراراً في كتاباته ، ويذكر تعاليمهما أيضا وهذه

---

(١) المرجع السابق [ك ٣ف ٣٩ : ٤] .

(٢) المرجع السابق : [ك ٣ف ٣٩ : ٥ ، ٦ ، ٧] .

الشهادة جديرة بالأهمية أيضا . ولا يفوتنا أن التقليد يعترف بالمغايرة بينهما فقد نسب الإنجيل في النسخ إلى يوحنا فقط ووضع له العنوان هكذا " إنجيل يوحنا " بينما جاء عنوان الرؤيا " رؤيا يوحنا اللاهوتي " واللاهوتي أي عالم اللاهوت الفيلسوف لا يتأتي وصف كاتب الرؤيا به إذا كان هو الذي يحمل الإنجيل اسمه .

فلو كان المؤلف لهما شخصا واحدا ، لكان عنوان الرؤيا مطابقا لعنوان الإنجيل . فكما عنون الإنجيل " إنجيل يوحنا " تعنون الرؤيا ، وكما وصف يوحنا الرؤيا يوصف يوحنا الإنجيل " إنجيل يوحنا اللاهوتي " مثل عنوان " رؤيا يوحنا اللاهوتي " .

ويستدل من هذه المغايرة على وجود شخصين باسم يوحنا أحدهما لاهوتي والآخر غير لاهوتي .

وإنا لنعجب أشد العجب من بعض رجال الكنيسة الذين يبذلون جهودا مضنية في محاولة لإغلاق مدينة مثل أفسس على يوحنا الرسول الذي يحاول بضعهم ربط الإنجيل به في تقليدهم . مع أن أفسس كانت مدينة حرة مفتوحة لجميع الأجناس والشعوب من كل صوب . وكانت مدينة مرغوبة .

والأعجب من ذلك أنهم يحاولون نفي وجود " يوحنا الشيخ " لأن في وجوده خطرا مروعا على كتابات يوحنا المتناقضة المختلفة المضطربة – خوفا من أن ينسب بعضها إليه – فإن النفي لكي يثبت على أسس علمية يلزم له إحصاء لجميع سكان أفسس ؛ فإذا أثبت الإحصاء أنه لم يكن بين أهلها إلا رجلاً واحداً يسمى يوحنا ونقلت إلينا ذلك رواية تاريخية مؤثوق بها ، كان ذلك أساسا صالحا لنفي وجود شخص آخر بهذا الإسم، ولا بد أن يكون الإحصاء دقيقا بحث يصلح دليلا لإغلاق مدينة مثل أفسس على يوحنا واحد – مثل يوحنا الذي يتعلق به هوى المقلدين التقليديين ، وحينئذ يكون الأمر واقعا منطقيا .

لكن الحقيقة المنطقية لا تمنع ، بل تجيز وجود أكثر من شخص يحمل هذا الإسم ونحن نقول لمنكري وجود شخص آخر باسم " يوحنا " هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين في دعواكم ؟؟ فإنما مثلكم كمثل من يقول : أعرف شارعا في أفسس كان يقيم فيه ابن زبدي ، ولا يوجد شارع في أفسس غيره ، لأنني لا أعرف في أفسس غير شارع ابن زبدي . وهذا بخصوص دعواهم .

ونقول لهم ثانيا : ثبت لأمثالكم دعوى مثل دعواكم ، وهي أنهم شهدوا بوجود شارع آخر كان يسمى شارع أبولس وكيرنثوس ويوحنان ، وهو غير شارع يوحنا الرسول صاحبكم ، لأن - صاحبكم (الذي خرج من الحمام لما علم بوجود كيرنثوس المبتدع فيه) لم يكن ليسكن في حي الهرطقة .

ونقول لهم : وهؤلاء منطقيون عنكم ، وأوسع علما منكم - فقد اعترفوا لكم بشارع صاحبكم فلا تنكروا عليهم شارعهم . وعلى المعاند في الرأي أن يقيم الدليل على أن أفسس في ذلك الوقت كانت ذات شارع واحد لم يوجد بها غيره ، أو ذات منزل واحد بدلا من العناد في " يوحنا " واحد . ونأخذ بيد الجميع من معاندين ومنصفين ومتحررين إلى التعرف علي ملامح الشارع الآخر ، أو اليوحنا الآخر في إنجيل المدينة لنرى .

الأدلة على صحة نسبة إنجيل يوحنا إلى يوحنا الشيخ اللاهوتي- الفيلسوف - من النص خير شاهد علي أن مؤلفه هو يوحنا الشيخ اللاهوتي وذلك لما يوجد به مما يأتي :

١- عقيدة اللوغوس - الكلمة :

يفاجئنا النص من بداية الإصحاح الأول بالقول :

" في البدء كان الكلمة ، والكملة كان عند الله ، وكان الكلمة الله - هذا كان في البدء عند الله ، كل شئ به كان ، وبغيره لم يكن شئ مما كان فيه . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس " . وعقيدة الكلمة " أو نظرية " اللوغوس " أخذها فيلون الإسكندري (٣٠ ق.م - ٥٠م) من الرواقيين عن هيراقليطس وقال إن الكلمة " اللوغوس " هي واسطة الله في علاقته بهذا العالم . وكان الإنسان ينقسم عند فيلون إلى ثلاثة أقسام . وليد الأرض ، ووليد السماء ووليد الله .

ولو سئل اليوناني المثقف في ذلك العصر : من الذي يتحكم في نظام هذا الكون ويمسك بزمامه ؟؟ ما كان يتردد في أن يجيب الكلمة لا سواه . كلمة الله الحي ، فكرة الله الكامل . ذلك لأن من معاني كلمة " لوغوس " في اليونانية " العقل " .

وكان ذلك منتشرا وشائعا وخصوصا في مدرسة فيلون وتلاميذه بالإسكندرية فماذا فعل كاتب الإنجيل الرابع " اغتنم الفرصة " ليقول إن المسيح هو الكلمة .

قال وليم باركلي في مقدمة تفسيره لهذ الإنجيل :

"وهكذا اغتنم يوحنا هذه العقيدة، وقال لليونانيين" إنكم طوال حياتكم قد تملكتكم

هذه العقيدة عن اللوغوس . وأصبحتم منساقين لتأثيرهذه القوة الجبارة المسيطرة . قوة الكلمة الإلهي ، قوة العقل الإلهي المسيطر . هاكم الكلمة الأزلى قد تجسد بشرا سويا في شخص ربنا يسوع المسيح .

تطلعوا إليه لتروا كلمة الله غير المنظور . تأملوا فيه لتشاهدوا فكر الله الذي لا يدرك.

لقد وجد يوحنا الطريق ليتحدث عن ألوهية ابن الإنسان المتجسد الكلمة الأزلى المساوي لله في الجوهر، الذي جاء في ملء الزمان، وتمثل بين أحضاننا بشرا كريما»(١).

ولا يتأتي ذلك الإنجيل إلا من فيلسوف قدير في استيعاب هذه العقيدة ، ضليع في فهم هذه النظرية ، خبير بدروبهـا ، وهذه حقيقة لا تنكر ، ولا يكابر فيها أحد ، ولا يغيب عن الأذهان أن مدرسة اللاهوت المسيحية التي يسميها الأستاذ زكي شنودة " : " الجامعة " أسست بالإسكندرية في بداية منتصف القرن الثاني للميلاد أسسها مرقس الحواري (٥٠ - ٦٥م) ولا نشك في أن الفلسفة اليوانانية التقت بالعقيدة اليهودية في مدرسة فيلون .

٢- نظرية عالم المثل الأفلاطونية اليونانية :

وقد قام الكاتب بتحويل هذه النظرية الفلسفية إلى عقيدة مسيحية ، كان أفلاطون (٤٣٠ - ٣٤٧ ق.م) هو أول القائلين بعالم المثل يحدثنا عنه وعن أثر مذهبه في الفكر اليوناني . وفي مؤلف الإنجيل الرابع ، وكيفية توفيقه للمرة الثانية بين عقيدة الحـواريين وبين الفلسفة اليونانية . كتاب تفسير للإنجيل الرابع .

يحدثنا المفسر المعترف به، وهو الدكتور وليم باركلي - أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكوا والذي قام بترجمة تفسيره الدكتور عزت زكي ، وقد صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة . بإشراف لجنة من كبار علماء الكينسة المصرية قال : (كان أفلاطون هو أول من نظم هذا الفكرالقديم في فلسفته عن الصور أو الأفكار فنادي بأن العالم غير المنظور هوالذي يضم المثال الأكمل لكل ما في الوجود. أما أشيـاء هذا العالم فهي لا تزيد عن كونها ظلالا باهتة لهذه المثل الحقيقية الخالدة .

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد . إنجيل يوحنا [جـ١ ص١٩] .

أو لنتحدث في أمثلة مبسطة فنقول : إن أفلاطون قد وضع لكل شئ ملموس مثاله الكامل في العالم غير المنظور حتي هذه المنضدة التي تكتب عليها - ما هي إلا صورة من مثال كامل للنضد هناك .

وعلى نفس القياس المثل المعنوية ، والجمال الأرضي ، هي صور ناقصة مبتورة للخير الأعظم في عالم غير المنظور، والجمال الأسمي فيه . فهناك تتمثل كل المثل العليا في أبهي صورها ، حتي إذا وصلنا إلى ذات الله ، نرى فيه تاج الفكر الأسمي ، ومثال المثل جمعاء ، وينبوع كل الصورالخالدة .

والآن تصطدم أفكارنا بهذا المشكل . كيف يتأتي لنا ونحن في بردة الخيال المنظور ، أن نخلع أثواب المادة لنحلق بأرواحنا بعيدا عن مستوي الأشباح إلى عالم الحقائق الخالدة ؟

كيف يتأتي لنا أن تكتمل عيوننا المادية بلمحة من لمحات غيرالمنظور ؟؟

هنا يتقدم إلينا يوحنا بالحل . فيسوع هو الحقيقة الخالدة المتجسمة في عالم الخيالات المنظورة ، وفي ناسوته تستطيع عيوننا أن تكتحل بلمحة من عالم غير المنظور .

إن الكلمة اليونانية المرادفة لكلمة "حقيقي" هي " الثينوس " وهي مشتقة من كلمة " اليثيا " ومعناها الحق - وهكذا نري يسوع كالنور الحقيقي الذي ينير كل إنسان (١) . وهو الخبز الحقيقي النازل من السماء الواهب حياة للعالم (٢) وهو الكرمة الحقيقية (٣). وله وحده الدينونة الحقيقية (٤) فهو وحده الحقيقة الخالدة في عالمنا عالم القصور والخيالات العاجزة " (٥) . أهـ باركلي .

ويظهر مزجه بين نظريتي اللوغوس والمثل في عقيدته ، في النصوص التي أشار إليها باركلي . ونكتفي بالنص الأول . ونرجئ البقية للدراسة والنقد إن شاء الله وهو قول مؤلف الإنجيل " ٩- كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم كان في العالم وكون العالم به ، ولم يعرفه العالم " .

---

(١) [يوحنا ١ : ٩] . (٢) [يوحنا ٦ : ٣٢]
(٣) [يوحنا ١٥ : ١] . (٤) [يوحنا ٨ : ١٦] .
(٥) باركلي : تفسير إنجيل يوحنا [جـ ١]

فقوله : كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم - هي نظرية المثل الأفلاطونية واضحة مكشوفة .

وقوله : كان في العالم ، وكون العالم به ولم يعرفه العالم ، هذه نظرية (اللوغوس) تتسابق مع (المثل) في الظهور والوضوح بأجلي بيان وأوضح عبارة ، وهذا الطابع الفلسفي لا يتأتي من رجل دين فقط بل إنه تفكير ديني فلسفي مما يسمونه " اللاهوت " الذي أصبح علما على يد معلمي مدرسة مرقس الإسكندرية التي ينسب إليها فضل اختراعه بمساعدة مدرسة فيلون اليهودي - ومن هنا ندرك أن يوحنا الذي يحمل الإنجيل الرابع اسمه أولى بأن يلقب "اللاهوتي " ويكون العنوان " إنجيل يوحنا اللاهوتي " وهو أولي بهذا اللقب ، ثم أولى من يوحنا الرؤيا الذي وصف بهذا اللقب جزافا - مع أن الرؤيا لا فلسفة ولا لاهوت فيها . ولعل العنوان كان كذلك في الأصل فنقل النساخ اللقب من أهله وأعطي لغير أهله ممن لا يستحقه . ونعود إلى الإنجيلي لنري : أن استخدامه اللمعجزات ليس استخداما تاريخيا لأنه يتحدث عنها لتأييد عقيدته في " التوفيق المسيحي " فقد أطعم يسوع نحو خمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين . [1] فعل يسوع ذلك ، لأنه لم يوجد غير هذا الطعام لهم . وتلك ضرورة ترتب عليها فعل معجزة .

أما يوحنا فإنه يستخدم ذلك استخداما رمزيا فيوضح أن ذلك رمز للخبز الحقيقي النازل من السماء الواهب حياة للعالم .

وهذا الأسلوب لا يتأتي إلا من عقلية ناضجة تزيد عن عقلية عامة المشتغلين بالفلسفة . في حدة الذكاء والبلاغة . بخلاف الأناجيل الثلاثة .

واستخدامه الرمزي للمعجزات جاء من الأساطير الشرقية ، وما شاع على يد فيلون من القول بالمجاز في الكتب، فقد كان فيلون يفسر نصوص العهد القديم مجازيا.

أما مؤلف الإنجيل فقد استخدم الرمز في النص الذي بدأ بكتابته لطلاب الإنجيل وهو بذلك يطوع معجزة المسيح لنظرية المثل الأفلاطونية بأسلوب بليغ .

---

(١) [يوحنا ٦ : ١٤] .

٣- الإنجيل بليغ بأسلوب فلسفي خال من الأخطاء اللغوية :

إن الأمر المجمع عليه عند علماء الكتاب المقدس اجماعا تاما كاملا أن انجيل يوحنا في اليونانية في قمة البلاغة والسلامة اللفظية ولا يوجد به أي خطأ لغوي . وأنه في أسلوب سهل الفهم مما يستدل به على بلاغة مؤلفه ودرايته بأساليب اليونانية وقواعدها . ويمكن من هذه الناحية أن نستأنس ببعض الأقوال .

يقول الدكتور إبراهيم سعيد " بشارة يوحنا فريدة الفرائد ، فليس في آداب اللغات ما يعدل البشائر الأربع ، وليس بين البشائر الأربع ما يعدل البشارة الرابعة.
أهذه البشارة مقالة تاريخية ؟ أم هي بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي ؟
أم هي حجة لاهوتية جمعت بين ثناياها دقائق التاريخ وجمال الفلسفة ؟
أم هي كل هذه مجتمعة معا »[1] أ.هـ .

وقال باركلي عن الإصحاح الأول : إن الإصحاح الأول يعتبر أفضل ما سما إليه الفكر الإنساني في دائرة الدين . وقال عن الإنجيل الرابع كله : « إنناكلما تعمقناأكثر في دراسة إنجيل يوحنا نستطيع أن نكتشف أكثر كنوز هذه البشارة الفريدة » أ. هـ .

ولذلك فإن ما توصل إليه استادلن من علماءالكتاب في شأن هذا الإنجيل صحيح كما نقل الشيخ رحمة الله الهندي إذ قال في الصفة (٢٠٥) من المجلد السابق المطبوع سنة (١٨٤٤م) من (كاتلك هرلد) : " كتب استادلن في كتابه أن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلا ريب " أ.هـ .

ونرى لزاما علينا قبل أن نستطرد في البحث أن نجيب على هذا التساؤل عن : موقع شخصية يوحنا بن زبدي بمؤهلاته من إنجيل الفلسفة وهي :

أدلة نفي نسبة الإنجيل عن ابن زبدي :

وذلك لأن المنطق يقتضي أن نفترض صحة النسبة حتى يقوم الدليل على خلافها. والآن وقد عرضنا لطابع الانجيل الفلسفي فيتحتم أن نقوم بمواجهة يوحنا بن زبدي بهذا الانجيل لنرى ما بين المنسوب والمنسوب إليه من صلة تقرب أو تنافر يبعد ولا يقرب. وبالتالي ندرك مدى الخطأ أوالصحة في وجهة علماء الكتاب المقدس ورأى المقلدين .

فنجد أن الأثني عشر كان أغلبهم من الأميين ، وبعضهم له إلمام بمبادئ القراءة والكتابة ، ويندر بينهم وجود رجل في مستوى متى كاتب الحسابات الذي كان يعمل

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشار يوحنا - المقدمة ص ٩ .

جابيا [محصل ضرائب] للسلطة الرومانية [١] على أن هذا لم يكن المستوى الثقافي العام بل الخاص في علم الحساب .

فأين كان موقع يوحنا بن زبدي بينهم ؟؟

يبدو أنه كان من الوسط لا أميا جاهلا ، ولا في مستوى متى ، وكان له رفقاء في مستواه المتوسط لهم المام بمبادئ القراءة والكتابة . كان منهم بطرس .

وقد جمع بينهما لوقا في سفر أعمال الرسل ، ووصفهما بصفتين اثنتين وهما أنهما :

أ – عديما العلم   ب – عاميان .

قال لوقا :

« فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان. تعجبوا »[٢] وهذا النص واضح في حق كل من بطرس ويوحنا ، ولا افتراء في وصف أحدهم بذلك في عصرنا فيصدق وصف كل منهما بأنه :- « عديم العلم وعامى "أو" عامى عديم العلم » .

ولعل هذا هو السبب في أن بطرس سمح لتلميذه مرقس بأن يؤلف إنجيلا وهو المعروف بإنجيل مرقس بالعهد الجديد . ولم يكن مرقس من الإثني عشر [٣] .

ونصل إلى شهادة لوقا : عن يوحنا بن زبدي ، لنجيب على تساؤلات لابد منها: هل وصف لوقا للرجلين صادق في جانب يوحنا ؟؟

والثاني : هل نال بعد ذلك من التعليم حظا يذكر ؟؟ والثالث : هل بقى على حاله . (عديم العلم وعاميا) حتي مات ؟؟ علما بأنه عاش بعد وصف لوقا بذلك مدة لا تقل عن (١٢) عاما كما يفهم من ترجمة حبيب سعيد لكتاب أديان العالم الكبرى [٤] ، وقد تصل إلى (٢٧) عاما كما يفهم من تقدير لجنة القاموس [٥] بناء على ما اخترناه سابقا من الأقوال في تحديد نهاية عمره بآخر القرن الأول .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس مادة : متى [ص ٨٣٢] .   (٢) أعمال الرسل [٤ : ١٣] .

(٣) راجع يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص٣٠٨ وما بعدها والقاموس مادة " بطرس " و " مرقس " .

(٤) حبيب سعيد : أديان العالم الكبرى [ص ١٠٦] الملخص .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٨٨٣ مادة لوقا .

والإجابة بالتأكيد : أن وصف لوقا صادق " في جانب يوحنا " .

والإجابة عن السؤال الثاني : بالاحتمال مع التحفظ . فإنه إن كان قد نال قدرا من التعليم ، فهو قدر بسيط - وهذا ما دعانا إلى التحفظ .

والإجابة عن السؤال الثالث : بأنه فعلا مات وهو على حاله - عديم العلم وعامي- وأما ما نقل من أنه كان يوجد بأفسس مدرسة كان هو الذي أقامها ، فربما كان قد افتتحها ليتعلم فيها علي أيدي الوافدين من يهود الشتات تلاميذ مدرسة الإسكندرية أو أن هذه المدرسة أصلا كانت مدرسة " تيرانس" المشار إليها في سفر أعمال الرسل[(١)] ، وأنه كان يتردد عليها ليتعلم ، لا ليعلم .

ولعل القدر الذي ناله من التعليم مكنه من أن يكتب اليونانية بأسلوب ما ، ولعله لم تتح له فرصة لاكتساب قدر من التعليم بعد وصف لوقا له إلا في أفسس . والدليل على ما نراه هنا هو أسلوب الرؤيا . مبني ومعنى قال أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو - الدكتور وليم باركلي - في مقدمة تفسير سفر الرؤيا :

" والآن تعالوا نري كاتب سفر الرؤيا .

١- كاتب الرؤيا رجل إسمه يوحنا .

٢- كان يوحنا مسيحيا - عاش في آسيا .

٣- كان الكاتب يهوديا جاء إلى آسيا الصغري من فلسطين في وقت متأخر من عمره ، ونستنتج هذه الحقيقة من الأسلوب الذي كتب به في اللغة اليونانية . صحيح أن كتابته تصويرية حية ، ولكن معرفته بقواعد اللغة ضعيفة ، وهي أضعف أجزاء العهد الجديد . والكاتب يقع في أخطاء نحوية لا يقع فيها تلميذ مبتدئ في مدرسة يونانية ، ولا شك أن اليونانية جديدة على الكاتب ، كما أنه يفكر بالعبرية ويترجم لليونانية [(٢)] . أهـ .

ونجد هنا طابع يوحنا بن زبدي ، وأن الرؤيا ملائمة له ، وهي ثوبه الثقافي الذي لا ينكر على أمثاله . ونضيف : أن كاتب الرؤيا صرح باسمه في الرؤيا في مواضع كثيرة. وأكثر من ذلك استخدام سلطة في توجيه الرسائـل إلى الكنائـس التي كانـت آنئذ في

---

(١) أعمال الرسل [١٩ : ٩ - ١٠] .

(٢) باركلي : تفسير سفر الرؤيا : المقدمة

اسيا مثل سلطة يوحنا الذي كان ذا نفوذ كبير فيها . وقد ذكر اسمه وجزيرة بطمس، وسبب نفيه إليها في قوله :

" أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة ، وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره كنت في جزيرة بطمس من أجل كلمة الله ، ومن أجل يسوع المسيح " (١) .

والرجل صريح في التعريف بنفسه ولا داعي للجدل ، ولم ينكر عليه ذلك أحد . وكان تلميذه بوليكاربوس أولى ، ولم ينكر . بل إنها ثبتت بشهادة الذين رأوا يوحنا وجها لوجه بخلاف الإنجيل .

عاد من المنفي إلى أفسس بعد تولي نرفا الإمبراطورية (٩٦) م ، ثم كتب رؤياه في أفسس ، وكان بعد ذلك قد : أقعدته الشيخوخة عن السير ، وكانوا يحملونه إلى الكنيسة ، ويرفعون يديه ليقول كلمة واحدة هي (يا أبنائي - أحبوا بعضكم بعضا) (٢) وكلما حملوه ليعظهم لم يكن يزيد عليها " فلما سئموا تكرار نفس العبارة تساءلوا فكان جوابه : لأنها وصية الرب ، وهي وحدها كافية " (٣) .

فمتى ألف إنجيله إذن ؟؟ وأين الوقت الذي يسمح له بالتعلم ؟ وأي أستاذ قام بتغيير مستواه الثقافي في سنة أو سنتين على الأكثر ؟؟ وهل كان عنده من القوة البدنية ما يساعده على تعب تحصيل العلم ؟ ولم كان يحمل على الأعناق إذن في حالة من الإعياء بحكم الشيخوخة ؟؟

والتساؤلات كثيرة بالنسبة للمؤلف ، الذي كان عديم العلم وعاميا ، وينسب إليه أضعف أسفار العهد الجديد ، ويقع في أخطاء لا يقع فيها تلميذ مبتدئ في مدرسة يونانية . وفي نفس الوقت ينسب إليه قمة الأناجيل تاج الكتب المسيحية المقدسة .

---

(١) رؤيا [١ : ٩] .

(٢) زكي شنوده : تاريخ الأقباط حـ١ ص : [٧٦] .

(٣) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصرالرسل [ص٣١٦]

صلة يوحنا الفيلسوف - اللاهوتي - بيوحنا بن زبدي :

كانت منزلة القسيس أدنى من منزلة تلاميذ المسيح ، فقد كان القسيس أو الأسقف في ذلك العصر محدود المسئولية خاصاً بكنيسته ، أما التلاميذ الرسل فكانوا يكثرون من التجول .

وفيما يختص بكرازة - تبشير - يوحنا الرسول في آسيا الصغرى وصلته بمدينة أفسس ، يكاد يكون هناك إجماع عام بين المؤرخين على ذلك ، ويؤكده بابياس أسقف هيرابوليس وتلميذ يوحنا الرسول نفسه - وآخرون - ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة الرسائل الموجهة إلى الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا ، ويبدو أنه تحت حكم الإمبراطور دومتيانوس ، ونرفا ، وتراجان ، كان الجزء الغربي من مقاطعة فريجية والشاطئ الأسيوي ، منطقة خدمة وكرازة القديس يوحنا . ويذكر اكليمنضس الإسكندري ، أن يوحنا أقام أساقفة للجماعات المسيحية في تلك المناطق [١] ، ومن تلاميذه بوليكاربوس الذي أقامه يوحنا الرسول أسقفا علي أزمير [٢] ، وكان لابن زبدي تلاميذ كثيرون ، ويظهر ذلك مما ذكرناه في سبب تأليف هذا الإنجيل ، أن جمعا من التلاميذ والأساقفه طلبوا منه ذلك .

ولا غرابة في أن يتتلمذ على يديه عدد كبير مع أنه - عديم العلم ، وعامي - فإن المسألة هنا - مسألة تلمذة خاصة ليست مطلقة . تتوقف على مدى صلتهم بالمسيح يسوع . أيهم كان أقرب إليه زمنا ؟ وأيهم عايشه وصاحبه ؟ ولا شك أنها منزلة يوحنا في آخر القرن الميلادي الأول ولا نشك أن ابن زبدي داخل كنيسة أفسس هو الأولى بالمسيح من غيره ، وهو الأستاذ ، والجميع تلاميذه .

تماما كما يحدث داخل أي كنيسة إذ التعليم للقسيس ومعاونيه من الشماسة في الوقت الذي يجلس فيه من هم أوفر منه علما في مجالس المتعلمين يستمعون للدروس - والمواعظ التي يلقيها عليهم .

وحين عاد من المنفي إلى أفسس تبوأ فيها منزلة الأستاذ ، وأصبح معلم الكنيسة

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص١٠٢] .

(٢) المرجع السابق [ص٣٥٤] .

بالأمس وشيخها القسيس تلميذا روحيا له . لكن - هل من حق التمليذ أن يكتب باسم الأستاذ ؟

فإن كان ابن زبدي حيا وقت الكتابة التي قام بها القسيس الفيلسوف يوحنا ..

- وهذا فرض عقلي - فالحالة هذه مثل حالة بطرس ومرقس ، وإنجيل مرقس .

المادة القصصية التاريخية فيه عن يسوع هي لابن زبدي ، وبقية ما فيه من فلسفة فهي للقسيس يوحنا ، والفارق بين حالتي بطرس وبين ابن زبدي هو :

أن المادة البطرسية نسبت إلى مرقس وأن المادة اليوحانية لم تؤكد أنها للقسيس يوحنا الفيلسوف .

ولعل السبب أن الفيلسوف أراد النسبة إلى يوحنا - بن زبدي - ليروج الإنجيل أو أنه استعاض عن ذلك بأن الإسم واحد أو أنه ميز بينه وبين الأستاذ بأهم مميز مانع وهو لقب اللاهوتي ! إلا أن النساخ نقلوه بعد ذلك من عنوان الإنجيل إلى عنوان الرؤيا !! وهذا الرأي هو المرجح لدينا لأسباب :

١ - أن وجود لقب اللاهوتي ثابت . وهو يعني وجود شخصين يحمل كل منهما أسم يوحنا ميز بلقب " اللاهوتي " بينهما .

٢ - كان أحدهما عديم العلم وعاميا - وهو ابن زبدي .

٣ - وكان الاخر قسيسا بليغا فيلسوفا لاهوتيا . هو " الشيخ يوحنا " .

٤ - الأول مؤلف الرؤيا المليئة بالأخطاء اللغوية ذات الأسلوب الركيك (١) . وهو ابن زبدي ، ولا ينطبق وصف اللاهوتي عليه .

٥ - الثاني مؤلف الإنجيل - قمة الفلسفة والبلاغة هو اللاهوتي . وهو القسيس الشيخ .

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول : بأن يوحنا بن زبدي ليس له في الإنجيل إلا قليلا من مادته التي صيغت وكتبت بيد غيره من تلاميذه ، وأن للتلميذ في الإنجيل أجزاء أكثر من أجزاء الأستاذ فضلا عن الأسلوب والصياغة .

قال الأستاذ حبيب سعيد :

" أما عن مؤلف البشارة الرابعة فقد ثار حوله جدل كثير ، فيقول بعض العلماء :

---

(١) باركلي : تفسير سفرالرؤيا المقدسة .

إن الكاتب هو يوحنا الرسول " ، ويقول آخرون إنه يوحنا الشيخ . وجدير بنا أن نذكر هنا وجهة النظر التي ذهب إليها الحبرالعلامة الدكتور تمبل رئيس أساقفة كنتربري الأسبق في تفسيره لهذا الإنجيل . قال :

" لابد من أن نسلم بوجود علاقة وثيقة بين البشارة وبين يوحنا بن زبدي . فإن مجموعة الأدلة الداخلية والخارجية هائلة . أما الأدلة الخارجية فنجدها في تفسير . "وستكوت " القديم ، وأما الأدلة الداخلية ففي محاضرات " سكوت هولاند " الرائعة ويثبت هذا الأخير في ظني المصدر الرسولي لهذه البشارة ، وإلى عهد قريب كنت أعتقد أن كفة الميزان في الأدلة تميل نحو وجهة نظر " وستكوت " القائلة : أن يوحنا الرسول هو الذي أملى فعلا هذه البشارة . على أنه يجب أن لا نغض الطرف عن الإشارة إلى يوحنا الشيخ والتمييز بينه وبين يوحنا الرسول .

وإني أستنتج الآن من مجموعة الأدلة أن البشير الكاتب هو :

يوحنا الشيخ الذي كان تلميذا مخلصا ملاصقا ليوحنا الرسول وأنه قد دون تعاليم ذلك الرسول بصدق واخلاص ، وأن الرسول هو :" الشاهد" الذي يشار إليه أحيانا - وهو التلميذ الذي كان يسوع يحبه .

ومن المحتمل أن الرسول أملي فعلا على الشيخ أجزاءً من بشارته . وإني أميل إلى الأخذ بهذا الرأي ، على أن أجزاء من البشارة هي مذكرات الشيخ نفسه نقلا عن الرسول ، وأجزاء أخرى هي تعليقاته الخاصة .

وليس يمكننا تعيين الأجزاء المنقولة عن الرسول غير أنني واثق أننا نقرب إلى الصواب إذا نحن أكثرنا من هذه الأجزاء بدلا من إقلالها »[1] أ . هـ .

فهؤلاء العلماء يرون أن البشارة - الإنجيل الرابع - على علاقة وثيقة بيوحنا بن زبدي وكان " وستكوت ": يقول بأنها من إملاء ابن زبدي .

وكان الدكتور تمبل يرى هذا الرأي ، ولكنه استنتج أخيرا أن الكاتب هو يوحنا الشيخ - القسيس - الفيلسوف اللاهوتي ، الذي كان تلميذا مخلصا ملاصقا ليوحنا بن زبدي .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص ٢٢٢] .

ولكل منهما أجزاء بالإنجيل الرابع ، إلا أن أجزاء التلميذ أكثر ، وهو في نفس الوقت الكاتب للإنجيل .

وإذا عدنا إلى التساؤل : ما المانع لدى يوحنا من كتابة الإنجيل بنفسه ؟؟ كانت الإجابة هي ضعف مستواه العلمي وعاميته . وإذا تساءلنا : كيف كتب الرؤيا ، ولم يكتب الإنجيل ؟؟ لوجدنا أن نظرتهم إلى سيرة المسيح ليست كنظرتهم إلى رؤاهم وأحلامهم ورسائلهم مما يخلع على الكتابة عن شخص المسيح هالة من القداسة . فلم يجد في يونانيته الركيكة ما يسمح له بذلك – وقد يكون السبب أنه أراد تلبية رغبة الكنيسة الأفسسية اليونانية فمات قبل تحقيق الرغبة ، وعهد إلى القسيس يوحنا بمذكراته ، وصرح له بالكتابة . وقد يكون السبب في هذا وذاك . وليس مما يقبل الاحتمال أن الإنجيل الرابع كتب في حياة ابن زبدي ، فلو أن ذلك حدث لشهد تلاميذه بأنهم رأوه بأعينهم بين يدي ابن زبدي وتلاميذه ، ومنهم يوليكاربوس الذي لم يرد على معاصريه الألوجيين الذين كانوا يرون الانجيل وينكرون نسبته إلى يوحنا بن زبدي .

ومن الفروض الجائزة أنهم طلبوا من ابن زبدي تأليف إنجيل لإثبات لاهوت المسيح فمات ولم يحقق ذلك . ولم يأذن لتلميذه القسيس الفيلسوف في الكتابة . فكتب التلميذ من نفسه معتقدا أحقيته في الكتابة باسم أستاذه أو نفسه ، فالاسم واحد وليست كتابة التلاميذ في ذلك العصر متوقفة على إذن الأثني عشر أو أحدهم أو موافقته بعد الكتابة . سواء كان تلميذا أو غير تلميذ ، أذن له أو لم يؤذن . ولا يهم أن يكون القسيس يوحنا اللاهوتي تلميذا لابن زبدي أو غيره . ولا يلزم لقبول انجيله تلمذة ، ولا يلزم لذلك إذن يوحنا أو موافقته . وذلك على فرض حياته وقت ظهور الانجيل – وهو فرض جدلي – فهذا القس الأستاذ سيكل سيل يقول في معرض حديثه عن سفر رؤيا يوحنا ؟

" إن علماء الكتاب تساءلوا : أي يوحنا هو ؟؟ أهو يوحنا الرسول المقلب باللاهوتي؟ أم شخص آخر انتحل اسم الرسول على ما جرت عليه عادة كاتبي الأسفار الرؤيوية" (١) ؟ وهذه ملاحظة تدعو أن نتساءل كيف ؟ ولماذا ؟ أما الكيفية فهي أن يكتب المؤلف ثم ينسب إلى شخص مشهور لكي يروج مؤلفه وتنشر عقيدته ومن

---

(١) سيكل سيل : المرشد [ص٢٩٣] .

السذاجة الفكرية أن نظن أن المسيحية في ذلك العصر كانت عقيدة واحدة أو عقائد محدودة فإن لكل مفكر في ذلك العصر عقيدة ولم تعرف المسيحية الوحدة العقائدية النسبية إلا مع بداية المجامع في القرن الرابع وما تلاه ، ومع ذلك فقد اختلفوا .

عادة مألوفة :

ونعود إلى عادة الانتحال التي تكشف لنا العصر الملئ بالمفاجآت والظلمات المتراكمة لنتساءل : كيف كان ذلك مستساغا ؟؟

فنعود إلى الأثني عشر لنجد أن أغلبهم من الصيادين الأميين فكروا في الكتابة بعد مضي ردح من الزمن ، فاتخذوا كتابا ، ومعاونين للترجمة والتأليف . وكان ذلك فرصة للكتاب أن يزوروا كتبا بأكملها ، أو أجزاء منها .

قال الأستاذ حبيب سعيد : " كان من الضروري أن ينسب الكاتب بشارته إلى الرسول ، لتحظى بالقبول لدى الجماعة المسيحية التي يريد استمالتها إليه . ولم يكن الكاتب ليكتفي بنسبة بشارته إلى رسول معين ، بل كان يحاول في بعض الحالات ترديد الأقوال ذاتها على لسان الرسول المنسوب إليه البشارة بنسبة الألفاظ إليه كأنه هو قائلها " [(١)] ، ويقول عن هذه العادة في موضع آخر من نفس الكتاب :

وكانت هذه العادة في تسمية الكتب ، مثل عادة النقل عن مؤلف أخر بدون الإشارة إلى ذلك – ظاهرة شائعة في تلك القرون الأولى " [(٢)] .

الدافع للتأليف هو مسوغ القبول المانع من الإنكار :

لا يطلب الوحي للكتابة ، وإنما يطلب التأليف للحاجة . ولا يدعي كتاب البشائر أنفسهم أنهم كانوا تحت إرشاد الهي فيما كتبوا ، ويبدو في الظاهر أنهم كتبوا من تلقاء أنفسهم حسب مقتضيات الظروف [(٣)] وقد كان الدافع لدى القسيس يوحنا الفيلسوف هو تلبية رغبة الكنيسة وسد حاجتها في مجتمع الفلسفة اليونانية .

ونحسب أنه أكبر انجاز قامت به أفسس للمسيحية بل يكاد أن يكون أعظم إنجاز فلسفي مسيحي بعد بولس وأعماله ، وقد كان بولس داعية بشخصيته ، ولم تكن

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٢٤٠] .
(٢) المرجع السابق [ص٢٢] .
(٣) حبيب سعيد : أديان العالم الكبري – المترجم [ص١٠٦] .

رسائله بالتي تحفظ للبولسية قوة في مواجهة الفلسفة حتي ظهر الإنجيل الرابع ، فكان فيه غنية وكفاية .

وإنجيل بهذه المثابة لا يقابل بإنكار من الذين طلبوا تأليفه ، بل يقابل بكل ترحيب وحفاوة . وذلك إذا كان ظهوره في حياة طالبيه . وما زال وقت ظهوره بالتحديد مجهولا تاريخيا !!

ونحسب أنه ظهر في متصف القرن الثاني إذا صح أن إنكار الألوجيين له كان في نفس الفترة – منتصف القرن الثاني .

ونرجح لظهوره الربع الثاني من القرن الثاني بناء على صحة رواية الألوجيين فإن من آراء الباحثيين والمؤرخين من جعل الربع الأول فترة احتمال تأليفه [1] والمسوغ قائم لهذه الاحتمالات كلها :

ولسنا نقول جزافا ، أو نحتطب بليل ، وكأننا كذلك !! ولكن ما حيلة الباحث إذا تعرض لبحث تاريخي في مرحلة هي بهذه المثابة من الغموض والخفاء الذي شمل شخصيات كبيرة فاختلف في تاريخ وفاة مريم واحتمالات المدة من (٣٥ - ٦٢م) [2] .

وقيل دفنت بأورشليم . وقيل بأفسس [3] واختلف في بطرس : هل أسس كنيسة روما أم لا ؟؟ ولقد لف الغموض شخصيات هامة مثل نهاية حياة لوقا [4] . ومثل اكليمنضس الروماني . فقد قال عنه يؤانس : لا نعرف شيئا عن حياته على الإطلاق وبعض الكتاب يجعل منه شهيدا . وبعضهم يقول إنه مات ميتة طبيعية ، وقصة استشهاده أسطورية [5].

وشخصيات كثيرة أهملت مثل ثاوفيلس صاحب لوقا ويوحنا الشيخ وغايس الكورنثي وكثيرون غيرهم ، وكثير من الكتب فقد بأكمله مثل رسالتي بولس إلى كورنثوس غير الموجودتين . فقد كانت رسائله أربعاً [6] ، وكتب فقد بعضها مثل باقي

---

(١) حبيب سعيد : أديان العالم الكبري – المترجم [ص٢٠٦] .

(٢) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٣١٤] .

(٣) زكي شنوده : تاريخ الأقباط [جـ١] .

(٤) باركلي : تفسير الرؤيا [ص ٧٢] .

(٥) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص] .

(٦) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٢٩٨] .

إنجيل مرقس ذلك أن نهايته كانت تتوقف على نهاية الفقرة الثامنة من الأصحاح الأخير[1] والمضاف إحدى عشرة فقرة. وأحيانا يجهل الكاتب مثل مؤلف انجيل متي الذي مضى. ولم يعقب وسنعود إلى ذلك إن شاء الله قريبا ، وأحيانا يقع الجهل في تاريخ بالنسبة لشخص أو مؤلف ، وأحيانا يقع الجهل بالنسبة للأسماء المراد بها مثل كيرية في رسالة يوحنا هل هي امرأة أو كنيسة ، مع القطع بأن هذا الإسم لم يعرف به امرأة تذكر أو كنيسة تعرف ، وهذا مما يجعلنا نؤكد أن الغموض هو القاعدة لتاريخ هذا العصر ، وأن النادر هو الروايات التاريخية التي نقلها يوسابيوس ، مع أنه من رجال الكنيسة وكتابه مغرض ،مما جعله حجة على الكنيسة ،غير ثقة بل تخضع رواياته للفكر والنظر ، ما عقل أخذ ، وما جمح ترك .

ولعل أشهر شخصية في ذلك العصر وما تلاه من عصور الغموض والظلام هي شخصية يسوع المسيح ، ومع ذلك فقد تطرق الشك إلى بحث وجوده . هل كان وجوده حقيقة تاريخية ؟؟ أم كان شخصية أسطورية غير حقيقية ؟؟ [2] .

الأسس لرأي علماء الكتاب حقائق مؤكدة :

ويمكن أن نضع الأسس التبي بني عليها علماء الكتاب المقدس رأيهم في شخصية كاتب الإنجيل ، والحقائق التي توصلوا إليها في الصورة التالية .

- **المؤلف هو يوحنا الشيخ - صفته المميزة له** : كان فيلسوفا لاهوتيا .
- **عمله** : قسيس في كنيسة أفسس - عصره : نهاية القرن الأول .
- **علاقته بيوحنا بن زبدي** : كان تلميذا له على الأرجح لأنه كان معاصرا له ، وعاش بعده .
- **الأدلة الخارجية على وجوده** :

(١) وجود لفظ " اللاهوتي " لقباً لمؤلف الرؤيا في نسخة العهد الجديد .

(٢) وجود لفظ " الشيخ " - القسيس - لقبا له في أفسس وذلك في كتابات بابياس وديونسيوس ، ويوسابيوس .

(٣) وجود قبرين في أفسس .

---

(١) باركلي : تفسير مرقس [ص١٤] .

(٢) جوش مكدويل : برهان يتطلب قراراً [ص١٠٢].

(٤) اختلاف الانجيل عن الرؤيا ووضوح طابعا بن زبدي في الرؤيا بأسلوبها .

- **الأدلة الذاتية** وهي شهادة الانجيل لكاتبه . فالإنجيل فلسفة عميقة لا يأتي إلا من رجل من رجال اللاهوت الذي جمعوا بين الفلسفة وعقيدة الإثني عشر . إن القسيس يوحنا اللاهوتي لو لم يكن موجودا لأوجده الإنجيل الذي ينادي بالمؤلف اللاهوتي . ويحدد ملامح شخصيته .

ثالثا: علة تعدد الآراء:

١ - في شخص المؤلف هي :

أ - اختلاف الرؤيا عن الإنجيل والرسائل ، بحيث يعتبر القول بصدور النوعين عن مؤلف واحد ادعاء مناقضا لمبادئ العقل والمنطق قال وليم باركلي :

يقول ديونيسيوس رئيس مدرسة الإسكندرية عام (٢٥٠م) : «إن يوحناكاتب الرؤيا لا يمكن أن يكون هو نفسه كاتب البشارة الرابعة ، لأن، الأسلوب اليوناني مختلف جدا في الأثنين [١] . وكذلك يختلفان من جهة الفكر والمضمون . قال باركلي نقلا عن ديونيسيوس أيضا :" كما أن الفكرة من كتابة السفرين مختلفة، فإن الأفكار الرئيسية للبشارة هي النور والحياة والحق والنعمة ، وهذه لا تسيطر على سفر الرؤيا " [١] .

وكذلك يختلفان في الإبانة عن شخصية الكاتب فبينما تظهر شخصية ابن زبدي في الرؤيا بطابعها الفكري . تظهر أيضا بالنص بصريح اللفظ " أنا يوحنا - كنت في الجزيرة - بطمس بسبب شهادة الرب .." لا نجد ذلك في الإنجيل بل على العكس يتحدث عنه كغيره بضمير الغائب دائما - وسيأتي لذلك مزيد بيان في باب الدراسة إن شاء الله .

ب - الوجود الواقعي لشخصية يوحنا الشيخ - القسيس الفيلسوف ، وهو ما يتعارض مع رغبة الكنيسة في نسبة الإنجيل إليه ، مما أوقعها في اضطراب . بالإضافة إلى وجود التناقض بين الرؤيا والإنجيل مما جعلها ترفض الرؤيا لعدة قرون من بداية الميلاد- حتى آخر القرن الرابع [٢] في مجمع قرطاجنة سنة (٣٩٧)م

---

(١) باركلي : تفسير الرؤيا [ص٢١]   (٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ص٢٢٨ .

جـ - التناقض بين الإنجيل اللاهوتي الفلسفي وشخصية ابن زبدي الصياد ، "عديم العلم ، العامي" .

٢- في تاريخ تأليف الإنجيل :

علة اختلاف المؤرخين في تحديد الفترة التي ألف فيها الإنجيل الرابع هي أنه نسب إلى غير مؤلفه الحقيقي في تقليد الكنيسة ، وليس إلى مؤلفه الحقيقي يوحنا الشيخ - القسيس الفيلسوف .

وهذاالتزوير إنما جاء على يد يوسابيوس الذي حاول أن يطوع التاريخ لخدمة أغراض الكنيسة التي يهمها أن ينسب الإنجيل الفلسفي إلى ابن زبدي ، وقد كان أسقفا عالي الشأن في منتصف القرن الرابع على عهد قسنطين ، وهو العهد الذي قضى فيه على اتجاهات الموحدين القائلين بعدم ألوهية المسيح . واختير مذهب المؤلهين للمسيح مذهبا للكنيسة ، واضطهاد من يقول بغير ذلك .

ولا يغرنك أنه تحدث عن يوحنا الشيخ ووجوده كحقيقة تاريخية في أفسس بجوار ابن زبدي ، فربّما جاء ذلك منه ذراً للرماد في عيون القائلين برفض سفر الرؤيا بناء على تناقضها . ففتح باب الاحتمال لوجود يوحنا آخر ، وربما لو كان يدري أن البحث العلمي من بعده سوف يصل إلى ما وصلنا إليه اليوم لما اعترف بذلك فهو أسقف في عصر التعصب للمسيح الكلمة الإله المتجسد .

حاولوا نسبته إلى ابن زبدي . وهي نسبة مزورة . وكما رفضت شخصية ابن زبدي بطابعها الثقافي هذه النسبة ، كذلك رفضته حياته بما فيهامن أحداث .

فالرجل لم يذهب إلى آسيا الصغرى التي لم يظهر بها إلا بعد بولس وأبولس ليتابع عملهما الكرازي [(١)] . والرؤيا لم تؤلف إلا بعد المنفي ، وكان تأليفها في حكم نرفا حوالي (٩٦م) وهي مليئة بالأخطاء التي لا يقع فيها تلميذ مبتدئ في ، مدرسة يونانية . فمتي ألف إنجيله إذن ؟ وهو السليم من الأخطاء - ويضاف إلى هذا أن الإنجيل رد على اتجاهات لم تظهر إلا في أواخر القرن الأول وبداية الثاني فلا وجه لتبرير تأليفه قبل ذلك .

---

(١) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل [ص٣١٥] .

ويضاف إلى هذين أن سبب التأليف متفق عليه ، وكان بعد رجوعه من المنفي في حكم نرفا (٩٦م) . ولذا فإن سياق حوادث حياة ابن زبدي يرفض نسبة الإنجيل إليه ، كما يرفضه طابعه الثقافي .

وقد حكم على هذه النسبة بضرورتين تقضي كل منهما بأن يتأخر زمن النسبة ما أمكن في حياة ابن زبدي الأولى : هي رده على الاتجاهات المناهضة لاتجاه الكنيسة .

والثانية : تناقض الإنجيل مع الرؤيا مما استوجب لكي تصح النسبة أن يتأخر الانجيل مدة تكفي لحدوث التغيير الفكري الملائم للإنجيل الفلسفي في عقلية مثل عقلية ابن زبدي " عديم العلم العامي " ولذلك فنحن لا نرى وجها لقول القائلين بأن الإنجيل ألف في الربع الأول من القرن الثاني [١] إلا ما نراه هنا ، وكأنهم حاولوا الانتقال بالإنجيل من القرن الأول إلى بداية الثاني (١٠٠- ١٢٥م) حتى يتسنى القول بحدوث هذا التغيير الكبير في ثقافة المؤلف ، من النقيض إلى النقيض ، من عامي إلى فيلسوف.

فالذين تسابقت لديهم فكرة التخلص من أحد النوعين المتناقضين الانجيل والرسائل أوالرؤيا ، ولم يقطعوا برأي في التخلص من أيهما . فإنهم يقدمون الرؤيا ويؤخرون الانجيل والرسائل ما أمكن .

ومن قطع بصحة الانجيل والرسائل دون الرؤيا لا تتحكم أمامه غير ضرورة واحدة تمثلت في كتابة الأناجيل السابقة ، وخراب أورشليم من ناحية تحديد بداية كتابته بعدهما ، وكذلك ظهور الاتجاهات التي انتدب الانجيل للرد علهيا ، ونهاية حياة يوحنا سواء حدد أو لم يحدد فنجده يقول :بعد خراب أورشليم وظهور الأناجيل الثلاثة – وبعد ظهور البدع والهرطقات .

وقد حاول البعض ممن اعتقدوا بصحة نسبة الرؤيا أن يعطوا لابن زبدي فرصة كافية لتعلم الفلسفة واتقان اليونانية ، فرجعوا بالرؤيا إلى زمن متقدم بعد اضطهاد نيرون أثناء حكم الامبراطور (غلبا) سنة (٦٩) م قبل خراب أورشليم [٢] ، وفاتهم أنهم بذلك يطعنون الرؤيا من حيث لا يدرون . فإنها نصت على وجود الكاتب يوحنا في جزيرة بطمس ، ولم يحدث ذلك إلا في حكم دومتيانوس حوالي سنة (٩٥)م .

---

(١) حبيب سعيد : أديان العالم الكبرى – الملخص المترجم [ص١٠٦] .

(٢) سيكل سيل : المرشد إلى الكتاب المقدس [ص٢٩٤] .

رابعا: علة تمسك التقليد بالإنجيل:

يتمسك التقليديون بالإنجيل الفلسفي لدرجة فائقة . يقول بعضهم : " هل أننا سئلنا اليوم أي البشائر نرغب في الاحتفاظ إذا قدر لنا أن نحتفظ بواحدة فقط ، فماذا يكون جوانبا ؟ . إن الاختيار يكون عسيرا بلا شك وهو مرهون بالظروف التي نوجد فيها - فإن كنا نعيش وسط قوم ينكرون حقيقة يسوع التاريخية ، فإننا نؤثر مرقس على غيرها ، وإن أردنا أن نعلم الناس فإننا نختار متى ، وإن كنا من عشاق الأدب الرفيع فقد نبقى على لوقا ، أم إذا حكم علينا أن نعيش في عزلة في جزيرة نائية قاحلة فإننا نأخذ معنا بشارة يوحنا . "(١) أهـ .

والسبب للتفضيل : أن فيه الأناجيل الثلاثة وكفاية .

وسبب العزلة : أنه إنجيل عقيدة الخيال المحال .

يتمسك المقلدون بالإنجيل مع أنه ينفي بطابعه الفلسفي أن يكون ابن زبدي هو مؤلفه ولم يعترف بابن زبدي بل تحدث عنه بأسلوب الغائب .

وينادي ابن زبدي بطابعه الثقافي العامي بأن الإنجيل ليس من تأليفه ، ولا تسمح حياته بذلك . ومع ذلك يصر المقلدون التقليديون على نسبته إليه .

ولا زالوا حائرين في تناقض الإنجيل والرؤيا التي يودون لو أن أصحاب مجتمع قرطاجنة (٣٩٧)م لم يعترفوا بها ، ولو فعلوا لأراحوا من بعدهم من المقلدين في التمسك بالإنجيل الفلسفي الخطير .

ولا نجد سببا لهذا الجمود ، إلا اتباع التقليد في الاحتفاظ بإنجيل الفلسفة اللاهوتي ، ولا نجد سببا إلا أن الإنجيل يدعم رغبة الكنيسة في الاحتفاظ باللوغوس اليوناني ومثال المثل لأفلاطونية وعقيدة الرموز ، وهو ذلك التوفيق المسيحي اللاهوتي الذي جمع بين الوثنية والفلسفة اليونانية ، واليهودية ، واسم يسوع المسيح . فكان تلفيقا بديعا جعل المخلوق خالقا والبشر إلها .

خامسا: علة الاتفاق على السبب والمكان:

كان متوقعا أن يختلف التقليديون في سبب تأليف الإنجيل ومكانه ، كما اختلفوا في الكثير مما يتعلق بهذا الإنجيل .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٢٦٤] .

لكن الحقائق لا تقبل الاختلاف غالبا. ويمكننا القول أن سبب ومكان التأليف حقيقة مؤكدة - بخلاف ما اختلفوا فيه . ولذلك فإن هذا الإنجيل إذا أردنا تعريفه . بحقيقة تاريخية للمؤرخين بحيث لا يتأتي لأحد أن ينكر عليهم لا من الشرق ولا من الغرب يستوي في ذلك المسيحيون وغيرهم - هو أن يسمى « إنجيل أفسس » ذلك أن بعض المقيمين بها ألفه إجابة لرغبة عامة المقيمين بها . فهذا الاسم وتلك النسبة لا ينازع فيهما أحد ، لا من التقليديين ولا من علماء الكتاب ، ولا من غير المسيحيين حتي قال بعضهم :

« لم تجد كلمة الله قلوبا أكثر لطفا حتي تضرب جذورها بعمق ، وتأتي بالثمر الكثير كما وجدت في أفسس »[1] .

سادسا: تقييم الرأي التقليدي:

رأينا فيما مضى قيمة تهافت أدلة المقلدين . فأدلتهم الخارجية لم تثبت بشهادة شهود عاينوا الإنجيل المنسوب إلى ابن زبدي في يده يسلمه لمن طلبوا منه تأليفه ، ولم يشهد أحد تلاميذه بذلك . وكل الشهادات جاءت على يد أسقف في القرن الرابع . فالكنيسة طلبت ، والكنيسة ألفت والكنيسة شهدت .

ويبقى الإنجيل الفلسفي في مواجهة التقليد ، والمقلدون يأبون نسبته إلى ابن زبدي الذي يناقضه ويرفضه ، والذي لم يتحدث كاتبه عن ابن زبدي إلا بأسلوب الغائب .

وكما يتأبي الإنجيل على ابن زبدي فإبن زبدي بطابعه الذي أكده لوقا « عديم العلم- عامي » وبحياته التي لم يوجد فيها للإنجيل مكان ينسحب ابن زبدي من الميدان ليبقى الإنجيل والمقلدون .

ونحن لا نملك هنا قبل إصدار حكمنا إلا أن نشير إلى أن أقصي ما نصل إليه مع المقلدين أن نبدأ معهم فننزل الإنجيل المذكور منزلة " إنجيل متي ، ونحن نعني ما نقول، ومنزلة إنجيل متى إن لم تكن واضحة لدى القارئ الفاضل فلسنا واجدين بأفضل من علم من أعلام - الكنيسة القبطية ، وعالم من صفوة علمائها ، ليتحدث عن متى وإنجيله وعادة الكتاب والمؤلفين في ذلك العصر ؛ حتى لا يقال : إننا قلنا . وإنما لنقول نحن : «وشهد شاهد من أهلها » .

---

(١) باركلي : تفسير الرؤيا [ص٧١] .

قال الأستاذ حبيب سعيد في كتابه " المدخل إلى الكتاب المقدس " :

« كتبت بشارة متى في مدينة أنطاكية هذه بيد زعيم من زعماء كنيستها ، ولم يذكر لنا التاريخ اسم الكاتب الحقيقي ، ولكننا ندعوه « متي » وهو الاسم الذي عرف به هذا الإنجيل . ولماكانت أنطاكية مدينة يونانية ، كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية ، ولكنه في الوقت عينه ، أكثر بشائر الانجيل يهودية » ثم يقول :

« وكنا نود أن نعرف من كان هذا الكاتب الذي أطلق على نفسه اسم « متى » وبين أنه لم يكن أحد التلاميذ الاثني عشر ، لأن هذا الانجيل لم يذكر شيئا من القصص والحوادث التي يرويها عادة شاهد العيان ، بل قد نقل نقلا عن انجيل مرقس وعن أقوال السيد المحفوظة ، ولو أن الكاتب كان تلميذا للمسيح لروي من عندياته الكثير مما شاهد ومما سمع من قصصه الأصلية، ولكنه اتخذ مرقس مصدرا لإنجيله فضلا عن هذا ، فقد كتب هذا الإنجيل بعد انقضاء فترة خمسين أو ستين سنة على الحوادث التي يرويها وبعيد جدا أن شاهدا من التلاميذ الأولين ينتظر هذه الفترة الطويلة قبل أن يسجل الذكريات التي نقشت على قلبه » [١] .

ويقول في موضوع آخر :

ومن المحتمل جدا أن تكون هذه البشارة قد عرفت تقليدا بأنها بشارة « متي لأنها ضمت تلك « الأقوال » التي جمعها « متي » أحد الرسل الأصليين . وكانت هذه العادة في تسمية الكتب ، مثل عادة النقل عن مؤلف آخر بدون الإشارة إلى ذلك ظاهرة شائعه في تلك القرون الأولى . على أن كون متى ليس هو واضع هذه البشارة الأولي لا يؤثر مطلقا في صحة هذا الكتاب وقيمته التاريخية ومن السخف أن نثير حوله الشك لأن التقاليد وضعت له عنوانا غير اسم المؤلف الحقيقي » [٢] .

فإذا كان قد قال عن متي : لم يذكر لنا التاريخ اسم الكاتب الحقيقي .

فنحن نقول عن يوحنا : إن التقليد ينسبه إلى غير الكاتب الحقيقي .

وإذا كان قال : كم كنا نود أن نعرف اسم الكاتب الحقيقي .

فنحن نقول عن يوحنا : ها نحن عرفناه لكم إذا كنتم لم تعرفوه .

وإذا كان قال :بين أنه لم يكن أحد التلاميذ الأثني عشر .

---

(١) حبيب سعيد : المدخل [ص ٢٤٥] .   (٢) المرجع السابق [ص٢٢٢] .

فنحن : نوافقه على ذلك في كاتب إنجيل متي ، ونري ذلك أيضا في كاتب يوحنا ونقول معه : بعيد جدا أن شاهدا من التلاميذ الأولين ينتظر هذه الفترة الطويلة قبل أن يسجل الذكريات التي نقشت على قلبه ونوافقه على أن هذه عادتهم في الزمن الغابر . زمن تأليف الأناجيل .

ونلفت النظر إلى قوله :

على أن كون متى ليس هو واضع هذه البشارة لا يؤثر مطلقا في صحة هذا الكتاب ، وقيمته التاريخية ».

إلا أن المؤلف الألمعي خالف بين التعبريين « البشارة » و « هذا الكتاب وقيمته التاريخية » فإن « بشارة » متى تعتبر في رأيه بشارة أي : إنجيلا إذا صحت نسبتها لمتى .

إما إذا لم تصح ، فهي تعتبر كتابا عاديا ذا قيمة تاريخية .

وهذا ما نطلبه أيضا لإنجيل يوحنا اللاهوتي . إنجيل أفسس ، لأن نسبته إلى ابن زبدي مزوره ، ولا أساس لها ..

سابعا: موقف العلم من تقديس المسيحيين لهذا الإنجيل:

يقدس المسيحيون هذ الإنجيل على شبهة أنه من تأليف أحد الإثنى عشر عن المسيح الذي يرون أنه ربهم وإلهم " .

فإذا كان عن غير تلميذ للمسيح ومؤلفه . قسيس فيلسوف استغل اسم ابن زبدي، ليروج لفلسفته اليونانية فما قيمة كتابه إذن ؟ ولم لا يقدسون جميع كتبهم ؟ فهذا الكتاب لم يكتبه يوحنا بن زبدي ولا أحد من بقية الاثني عشر . فعلام التقديس ؟ ولماذا ؟؟ وعلى أي أساس ؟؟

وقد كان المتوقع أن نبحث عن سند لهذا الإنجيل فلم نجد ولا ما يشبه السند . وليس بعيدا عنا جزيرة الأستاذ حبيت سعيد الذي قال إنه لو فرض عليه أن يعيش فيها منفردا ولم يسمح له إلا بإنجيل واحد يحمله معه إلى تلك الجزيرة فإنه يفضل إنجيل أفسس اللاهوتي .

نقول : إن حال الإنجيل الأفسسي مع المسيحيين الذين وجدوه لأول مرة كحال قوم نزلوا الجزيرة النائية بعد موت حامل الإنجيل فعثروا على الإنجيل فوجدوا اسم يوحنا عليه فقالوا بنسبته إليه .

فها هو الأستاذ حبيب يقول عن الأناجيل الثلاثة الأخرى تحت عنوان :

« من هم مؤلفوا بشائر الإنجيل » :

إن البشائر الثلاث الأولى غفلة من اسم المؤلف ، ولم يذكر الكاتب شيئا عن نفسه أما الألقاب الحالية فقد وضعت بعد زمن ظهورها اعتمادا على وجهة نظر الكنيسة الأولى، والرأي الذي كان شائعا عن واضعي هذه البشائر . ويصح القول أن العناوين الحالية للبشائر الثلاث (أي : متى ، ومرقس ، ولوقا) إنما هي عناوين تقليدية ، وقد تكون هذه الأناجيل صحيحة أو خاطئة ، ولذلك يجب بحثها في ضوء الأدلة الداخلية والخارجية في كل بشارة) [1]أ.هـ .

ثم قال بعد ذلك عن متى : " أما متي فلا ينعقد الإجماع على أنه مؤلف البشارة التي تحمل اسمه ، ذلك لأن واضع هذه البشارة كان يهوديا غير معروف ربما من مدينة أنطاكية ، كتب عن سيرة يسوع في اللغة اليونانية " .

وقد كان متي بالإضافة إلى ابن زبدي من بين الاثني عشر الذي وضعت بشارة باسم كل منهما ، ولم يكن متى يعرف اليونانية - فظهر خطأ النسبة إليه ، وأما عن مؤلف الإنجيل الرابع " فقد قال عنه بعد ذلك « إنه ثار حوله جدل كثير » وأساس التقديس ليس هي الكتب المنسوبة ، ولا من نسبت اليهم ، وإنَّما أساسه أن الكينسة اعتمدتها ، وأمرت بتقديسها ، وحجتها في ذلك أن الكنيسة تؤله ربها ومسيحها .

ثم قال حبيب سعيد :

« وقبول الكنيسة للبشائر الأربع الرسمية ، وعدم تفكيرها في إسنادها بغيرها ، دليل على أن كلا من البشائر قد حقق الأغراض المرجوة منها ، وتعلق الكنيسة كاف للإثبات بأن الكنيسة الأولى قد اختارت اختيارا صائبا ، وأصدرت حكما صحيحا » [2]

ونحن لم ننقل عن أي كاتب كيفما اتفق . وإنما ننقل من كتاب صدر عن : « دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى أي أنه كتاب معتمد ، ولا يزال مؤلفه [3] حتى وقت كتابة هذه السطور أحد رجال الكنيسة المصرية المعدودين ، يتولى فيها أعمالا علمية ودينية كبيرة . وإنما وضحنا ذلك

---

(١) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص ٢٢١] .

(٢) حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس [ص٢٤١] .

(٣) هو الأستاذ محبيب سعيد . علم من أعلام الكنيسة المصرية وهو غني عن التعريف .

لأن الشاعر العربى قال قديما :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

والكنيسة التى طلبت التأليف ، والكنيسة هى التى اعتمدت ورفضت ، ومن العجب أنها رفضت انجيل الاثنى عشر « لأنه ذو صبغة تقشفية تصوفية ، لأنه صور المسيح كإنسان يحرم أكل اللحم » (١).

ونحن نعتقد أن هذا الانجيل أقرب ما وجد فى تاريخ القوم الى شخص المسيح الرسول الزاهد - البشر المتقشف - المخلوق العفيف وهذا من دعوة جميع الرسل : التقشف والعبودية لله . وهذا هو المسيح الذى ينبغى أن يعرفوه . وكان الأولى بالكنيسة أن تتمسك بهذا الإنجيل ، وترفض ما خالفه .

ولكن كنيسة الفلاسفة أرادت تأليه المسيح فرفضت كل ما لا ينطق بألوهيته ونحسب لو أن الاثنى عشر سلموه للكنيسة بأيديهم لردوه فى وجوههم وأنكروهم .

وما نظن الكثرة الكاثرة من الصلبان الا استعداداً لمن يبعث من القديسين لينكر عليهم ، حتى ولو كان المسيح ، بعد أن نكلوا بفلذات أكباد البشرية من مشاهير المفكرين الذين حاولوا أن يوقظوا النيام ، ويزحزحوا شبح الكنيسة الذى كان يغلق على الانجيل خزائن الكهان ، ولا يسمح لغيرهم برؤيته فى عصور الظلام .

ونحمد الله أننا فى عصر غير عصر محاكم التفتيش وصكوك الغفران وقرارات الحرمان وهذا قول نقوله ونحن أبعد ما نكون عن الكنيسة .

وربما كانت الصورة فى باطنها خلافا لما يبدو من خارجها . ولعل هذا يفسر لنا جمود المسيحيين من غير رجال الكنيسة ، وكأن التقليد الذي أمر بتقديس الكتب والبابوات ، بات هو الآخر مقدسا لديهم .

ونحن لن نصدر حكمنا إلا بعد أخذ رأي دائرة المعارف البريطانية وهي تلك الموسوعة التي اشترك فيها أكثر من نصف ألف من أفذاذ العلماء .

وهي بذلك دائرة معارف ، وفضلا عن ذلك فهي بعيدة عن الأهواء التي لا يقوى على مغالبتها عالم بمفرده ولا جماعة صغيرة ، وهي في نفس الوقت صادرة باسم أمة لها مكانتها ووزنها من وزنها ، ماذا قالت دائرة المعارف البريطانية ؟ - الإنسكلوبيدا . قالت ما يلي :

---

(١) المرجع السابق [ص٢٣٨] .

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصامع أنه صاحبه غير يوحنا يقينا ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثلا لبعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهي رابطة، ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليلي فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى »[1] .

وليست وحدها فإن دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم « لا روس القرن العشرين » قالت :

(إنه ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وثلاثة أسفار أخري من العهد الجديد ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة)[2] .

ماذا بقى بعد لنا ؟! أعتقد أن الحكم لم يعد بعد ذلك في حاجة إلى دليل . فقد انتهى الأمر ، وهذا هو البرهان الذي يتطلب القرار !! .

ثامنا: تقييم الرأي العلمي:

أثبت القوم بالأدلة الخارجية وجود يوحناالشيخ القسيس اللاهوتي ، وطلبه الإنجيل بنفسه في الوقت الذي تأبي فيه على يوحنا ، وقام الدليل على صدقهم من كل جانب ، ولم يتطرق الشك إلى الإنجيل وحده من الإنتاج الذي كان ينسب إلى يوحنا في التقليد القديم ..

وليس من موضوعنا أن نقدم الأدلة على وجود الوحدة العضوية بين الإنجيل والرسائل فلذلك موضعه من الدراسة إن شاء الله – ولكن المؤكد أن الإنجيل والرسائل

---

(١) أحمد شلبي : المسيحية [ص٢١٣] ، محمود بن الشريف : الأديان في القرآن [ص١٩٠] .

(٢) محمود بن الشريف : الأديان في القرآن [ص ١٩٠] تحت آراء مسيحية ..... حول الأناجيل .

لا علاقة بينها وبين يوحنا ، ونحن مع دائرة المعارف البريطانية نشفق على الذين يحاولون أن يربطوا ولو بأوهي رابطة ذلك الإنجيل أو شيئا من الرسائل بذلك التلميذ عديم العلم العامي ، وجاهل اليونانية .

ونحن معها في أن المؤلف فيلسوف قدير في فلسفته بليغ في يونانيته وهو يوحنا الشيخ القسيس اللاهوتي .

وسواء كان هو يوحنان القائد اليهودي الذي كان الوالي قد أقامه كاهنا ، والذي جاء في أفسس وأقام بها واعتنق بعض مبادئ المسيحية - كما أفاد بذلك روبرت إيزلر. فيما قدمنا بص ٩٥ - سواء كان هو أو لم يكن وكان يوحنا آخر ، فإن يوحنا الآخر كان وجوده حقيقة تاريخية . لتضافر الأدلة على ذلك من كل جانب .

ونعيد القول : لو لم يكن يوحنا القسيس اللاهوتي الشيخ موجوداً لأوجده الإنجيل، وصمام الأمن في رأي علماء الكتاب المقدس أنهم مسيحيون ، ومن غير الجائز أن يتعصبوا ضد كتابهم المقدس ..

تاسعا: وجهة نظرنا:

ونحن نعرض رأينا في النقاط التالية :

أ - كان لدي يوحنا بن زبدي بعض من مذكراته المكتوبة على عادتهم .

ب - طلب منه تأليف إنجيل فلسفي لإثبات لاهوت المسيح والرد على أتباع المعمدان والاتجاهات المضادة لاتجاه الكنيسة في تأليه المسيح الكلمة مثال المثل .

جـ - مات يوحنا قبل تحقيقه لرغبة الكنيسة . فلم تسمح ظروف حياته بتحقيقها ولم ينقل أنه سلم الإنجيل لطالبيه ، ولم يشهد أحد تلاميذه بذلك ، فقد مات في نهاية القرن الأول تقريبا .

د - كان يوحنا الشيخ موجودا فقام بالتأليف مستعينا بمذكرات يوحنا المكتوبة وذكرياته المروية المسموعة إلا أنه حولها عن مضمونها وحررها لتكون شهادة للإله الكلمة وكان ذلك في الربع الأول من القرن الثاني ، وبمعاونة مجموعة من فلاسفة الشتات الوافدين من الإسكندرية مثل أبولس الذي كان مقتدراً في الكتب - اليهودي الإسكندراني الفيلسوف .

هـ - عندما ظهر الإنجيل حمل اسم « يوحنا » ليروج وكان ذلك بعد الفراغ من التأليف .

ولم ينكر أحد نسبة الإنجيل ، لما بين يوحنا الشيخ وابن زبدي من صلة أو لأن ذلك كان رغبة لحاجة الكنيسة الملحة في مواجهة الفلسفة والإتجاهات المناهضة .

ز - ملامح يوحنا الشيخ ظاهرة في طابع الإنجيل اليهودي الفلسفي الإسكندري اليوناني البليغ ..

حـ - وهي غير ملامح يوحنا بن زبدي عديم العلم ، العامي ، صاحب الأسلوب الركيك المليئ بالأخطاء اللغوية التي لا يقع فيها تلميذ مبتدئ في مدرسة يونانية ..

ط - لو كانت النسبة إلى ابن زبدي حقا لصحت في الجميع ، وتوقف التقليد عن قبول الرؤيا إلى سنة (٣٩٧)م أوجب اعادة النظر في الجميع .

ي - يضاف إلى ذلك شيوع عادة التزوير والنسبة إلى أشخاص الإثني عشر للترويج ، وتعارض الإنجيل والرسائل مع الرؤيا ، وتمييز الكتاب المقدس الحالي بين يوحنا ويوحنا اللاهوتي .

وإذا بقي لنا من كلمة نقولها بعد :

فإننا نطالب الكنيسة العالمية بأن تنقل لفظ « اللاهوتي » من عنوان سفر الرؤيا إلى الإنجيل الرابع فيكون عنوان الإنجيل :

« إنجيل يوحنا اللاهوتي » ويكون عنوان الرؤيا :

« رؤيا يوحنا » وهذا برهاننا فمتى القرار ؟؟





الباب الثانى

إنجيل يوحنّا موضوعيًّا

بين يدي الباب :

بعد غياب المسيح كان التلاميذ الذين تركهم في حيرة شديدة ، وعلى حد تعبير بعض مفسري العهد الجديد - وهو الدكتور وليم إدي مؤلف كتاب «الكنز الجليل فى تفسير الانجيل» : «كان رفقاؤه كلهم أمّيينَ ، لم يحضروا قط مدرسة الفلاسفة»[1] وقد كانت رفقتهم للمسيح مدة قصيرة لاتزيد عن عام حسب نص الأناجيل الثلاثة لمتى ومرقس ولوقا . وكانت أُمّيتهم - باستثناء متى - بالإضافة إلى ظروف حياتهم من ناحية طلب الرزق ، واضطهاد اليهود لهم . كل ذلك جعلهم في حيرة من أمر أستاذهم الذي وعدهم بالعودة ، ولم يعد .

وطال انتظارهم له حتى ظهر بولس وهو مَنْ عرفنا ، فصال وجال ، وغير من نظرتهم للمسيح فقال بأنه لم يكن بشراً فقط ، بل كان إنساناً إلهياً حل فيه روح الله[2] ودعا إلى ذلك بلسانه وقلمه . ثم مضى بولس .

ولم يكن التلاميذ في حاجة إلى كتابة سيرة المسيح فقد كانت ذكرياتهم كافية لأن يعيشوا عليها ، ويبدو أن من جاءوا من بعدهم هم الذي فكروا في تسطير سيرة المسيح .

وكثرت الأناجيل حتى ذاع منها كثير ، وحمل كل منها طابع البيئة التي أنتجته وفلسفة كاتبه وكيف يرى المسيح ، فقد اختلفوا في ذلك إلى عقائد متباينة متناقضة . وكل بيئة كانت تتمسك بإنجيلها وتقضي على ما يخالفه . وفي نفس الوقت كانت الأناجيل والمتمسكون بها عرضة لموجات من الإضطهاد ، خاضعة للمد والجزر حسب تغير الأباطرة والحكام من سلطات الرومان الذين كانوا يتغيرون ولايتغير إصرارهم على النكال بالأناجيل وأصحابها إلا قليلاً ، حتى عهد قسطنطين في القرن الرابع الميلادي .

---

(١) وليم إدي ... الكنز الجليل في تفسير الإنجيل جـ ٣ ص ١١٨ .

(٢) شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٢ .

ولم يكن اليهود الذين يقطنون فلسطين في عصر الميلاد وما بعده بما عرف عنهم من تعصب ضد المسيح وأتباعه بالذين يقبلون شيئاً من الدعوة أو كتبها ، وهذا الموقف واضح . ولم يكن في اليهودية من أمل لأحد من أتباع المسيح من بعده بعد النهاية التي انتهى أمره إليها بينهم ..

وهذا هو السبب في أن الإتجاه الذي قبلوه هو الخروج عن اليهودية بالدعوة إلى يهود الشتات . وكان ليهود الشتات في الدعوة الجديدة أمل في أن تنقذهم مما يعانون من ظلم الرومان أو تخفيفه حين ضاعت الآمال .

وكان التأليف باليونانية ولم يكن بلغة غيرها لهذا السبب . باستثناء متى الذي كتب لليهود بلغتهم كما يقولون . وكانت اليونانية هي لغة تأليف الأناجيل الثلاثة . غير أنها اختلفت باختلاف المؤلفين وتبعاً للمصادر التي استقوا منها أناجيلهم وفلسفتهم

ويلزمنا في هذه المقدمة أن نأخذ فكرة عن مصادر الأناجيل لنكون على بينة من الأمر عند دراسة النص . كما يلزمنا من ناحية موضوعنا أن نلقي نظرة على مدينة أفسس مدينة الإنجيل الرابع ، ثم نتبع ذلك بلمحة عامة عن الإنجيل الرابع من ناحية الأسلوب والصياغة .

أولاً: مصادر الإنجيل:

الكُتَّاب بشر يخضعون لكل ما من شأنه أن يؤثر في الإنسان من عوامل نفسية وثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية وقد أسلفنا الحديث عن حالة العصر الذي ظهرت فيه الأناجيل بوجه عام .

ولايمنع القول بإلهام كتاب الأناجيل من تأثر الكتاب بتلك المؤثرات ، فلو كانوا غير خاضعين إلا للروح القدس لما اختلفوا في الأمور التي تضاربت نصوصهم بشأنها ، واختلافهم هو الذي يدعم اتجاه الباحثين عن مصادر الأناجيل التي كانت سبباً لهذا الاختلاف ..

تحت عنوان «مصادر الأناجيل» كتب الباحث الفرنسي الأستاذ موريس بوكاي في كتابه القيم «دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» ملخصاً لموقف آباء الكنيسة من موضوع المصادر ، وكذلك لموقف علماء الكتاب المقدس المعاصرين كتب يقول :

إن اللمحة العامة التي أعطيناها عن الأناجيل والتي استخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص تقود إلى اكتساب مفهوم «أدب مفكك» تفتقر خطته إلي الاستمرار و«تبدو تناقضاته غير قابلة للحل» كما تقول ألفاظ الحكم الذي أصدره المعلقون على الترجمة المسكونية للكتاب المقدس الذين يهمنا الرجوع إلى سلطتهم حيث أن التقديرات في هذا الموضوع تؤدي إلى نتائج بالغة الخطورة [١] .

ثم تحدث بوكاي عن موقف آباء الكنيسة من مشكلة المصادر . وهو الرأي التقليدي من فجر الكنيسة إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً .

١ - رأي آباء الكنيسة التقليدي :

لقد تصدى آباء الكنيسة في عصرهم لمشكلة المصادر بطريقة ساذجة ، ففي القرون الأولى من العصر المسيحي لم يكن المصدر إلا الإنجيل الذي تضعه المخطوطات الكاملة على رأسها . أي انجيل متى فقط .

وكانت مشكلة المصادر تطرح إزاء إنجيلي مرقس ولوقا ، حيث كان إنجيل يوحنا يشكل حالة منفصلة .

كان القديس أوغسطين يعد إنجيل مرقس ، وهو الأنجيل الثاني في الترتيب التقليدي لتقديم الأناجيل ، مستلهماً من إنجيل متى وأنه قد لخصه ، وإن إنجيل لوقا ، وهو الثالث في ترتيب المخطوطات المؤلفة قد استعان بمعطيات كل من الأول والثاني . وتوحي بذلك فاتحته .

وكان مفسروا هذا العصر يستطيعون مثلنا أن يقيموا درجة اتفاق النصوص وأن يجدوا عدداً كبيراً من الآيات المشتركة بين اثنين أو ثلاثة من مخطوطات الأناجيل المتوافقة . وفي عصرنا يحسب المعلقون على الترجمة المسكونية عدد هذه الآيات تقريباً كما يلي :

آيات مشتركة بين ثلاثة أناجيل ، متى ومرقس ولوقا	٣٣٠
آيات مشتركة بين إنجيلي مرقس ومتى	١٧٨
آيات مشتركة بين إنجيلي مرقس ولوقا	١٠٠

---

(١) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٩٣ .

آيات مشتركة بين إنجيلي متى ولوقا

هذا على حين أن الآيات الخاصة بكل من المبشرين الثلاثة الأولين هي ٣٣٠ آية بالنسبة لمتى ، ٥٣ آية بالنسبة لمرقس ، ٥٠٠ آية بالنسبة للوقا . ومن عصر آباء الكنيسة وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، مر ألف وخمسمائة عام دون إثارة أي مشكلة جديدة مهما كانت عن مصادر المبشرين . وكان هناك امتثال للتراث [1] أ.هـ .

٢ - رأي علماء الكتاب في العصر الحديث :

«في العصر الحديث وأمام هذه المعطيات أدرك البعض أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظره الشخصية مع الاعتماد على المعلومات التي وجدها عند الآخرين . عندئذ علق الباحثون أهمية كبيرة على جمع مواد الرواية في التراث الشفهي للطوائف الأصلية من ناحية ، وفي مصدر آرامي مكتوب مشترك لم يعثر عليه من ناحية أخرى ، وقد كان يمكن لهذا المصدر المكتوب أن يشكل كتلة صماء أو أن يتكون من مقتطفات كثيرة لروايات شتى ربما تكون قد خدمت كل مبشر في تشييد نصه الأصلي ..

ومنذ قرن تقريباً ، قادت أبحاث أكثر تعمقاً إلى نظريات أكثر دقة ازدادت تعقداً بمرور الزمن . وأول هذه النظريات الحديثة هي النظرية المسماة بـ«مصدري هولتزمان» (١٨٦٣م) وحسب هذه النظرية . كما يحدد : كولمان والترجمة المسكونية ، فإن متى ولوقا قد استلهما مرقس من ناحية ، ووثيقة مشتركة مفقودة اليوم من ناحية أخرى . يضاف إلى هذا أن كلا من المبشرين الأولين كان يملك تحت حوزته مصدراً خاصاً ، ونتيجة هذه النظرية :

« أن الأناجيل كما هي في حوزتنا اليوم . قد أعطت صدى لما كانت الطوائف المسيحية البدائية تعرف عن حياة ورسالة المسيح ، ولمعتقداتهم ومفاهيمهم اللاهوتية التي تحدث المبشرون باسمها » .

« أما أحدث أبحاث نقد النصوص الخاصة بمصادر الأناجيل فقد أوضحت وجود عملية أكثر تعقيداً من تشكل النصوص إذ تنوه طبعة الأناجيل الأربعة . المتوافقة وهي

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧ . ويقصد بالآيات الفقرات المحدودة بأرقام مميزة .

للأبين . بينوا، وبومر . الأستاذين بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢-١٩٧٣م) تنوه بشكل خاص إلى تطور النصوص على مراحل متعددة بالتوازي مع تطور طويل للتراث ، ويجر هذا إلى نتائج يعرضها الأب بينوا بهذه الألفاظ في تقديمه للجزء الذي قام به الأب بومار من الكتاب المشار إليه يقول : إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلاً . وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالجرح عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره لم تقل مثلما تقرأ اليوم ، وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا إلينا قد أجروا عليها لمسات وتعديلات [١] .

وخلاصة ذلك : أن الصيغ النهائية للأناجيل مأخوذة من صيغ وسيطة مع التعديل وأن تلك الصيغ الوسيطة فقدت مع الوثائق التي أعتمد عليها مؤلفو الوسيطة . وليست الوثائق الأصلية مسيحية خالصة بل يعزي بعضها لليهودية، وبعضها للوثنية .

إلى أن يقول بومار : ونتيجة كل هذا أننا لم نعد متأكدين مطلقاً من أننا نتلقى كلمة المسيح بقراءة الإنجيل والأب بينوا يتوجه لقاريء الإنجيل ويحذره من هذا ، ويقدم تعويضاً قائلاً :

إذا كان عليه أن يتخلى في أكثر من حالة عن سماعه صوت المسيح المباشر فإنه يسمع صوت الكنيسة ويركن إليها ركونه لمفسر خول إليه أن يفسر السيد الذي يحدثنا اليوم في مجده بعد أن تحدث على أرضنا » أ . هـ .

ثم يقول بوكاي معلقاً :

كيف يمكن التوفيق بين هذه الملاحظة الصريحة عن عدم صحة بعض النصوص وبين عبارة الدستور العقائدي عن التنزيل الإلهي التي صوت عليها مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٥م) وهذا يؤكد لنا على العكس . بأمانة نقل أقوال المسيح .

تقول هذه العبارة « هذه الأناجيل الأربعة التي تؤكد «الكنيسة» تاريخيتها دون تردد تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح ابن الله طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدي وإلى أن رفع إلى السماء » .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧ .

ويظهر بوضوح تام أن عمل مدرسة الكتاب المقدس بالقدس يأتي إلى دعاوى المجمع بتكذيب صارم [1] .

والرأي الذي لامراء فيه أن إنجيل يوحنا يشكل حالة منفصلة لأنه بالنسبة للأناجيل الثلاثة السابقة «عالم أخر» لأنه إنجيل الفلسفة اليونانية والعقائد الوثنية . وإذا صح ما ذهب إليه علماء الكتاب المقدس من أن الأناجيل كتبت محاكاة لعقائد الطوائف التي كان يملئها المبشرون . ولا نرى ذلك إلا صحيحاً . فإننا نحب أن نلقي نظرة فاحصة على أفسس ، التي كتب الإنجيل إجابة لطلب أهلها .

ثانياً: مدينة الإنجيل الرابع -أفسس- سوق أباطيل العالم القديم:

سماها بعض كتاب الرومان «نور آسيا» وسماها المؤرخ الجغرافي القديم سترابو «سوق آسيا» لأنها كانت أعظم موانيء آسيا الصغرى .

قال وليم باركلي :

« عندما نعرف شيئاً عن تاريخ أفسس وحالتها حين كتب لها يوحنا هذه الرسالة الأولى إلى ملاك كنيسة أفسس من سفر الرؤيا [2] ندرك السبب الذي جعل يوحنا يضعها أول الكنائس السبع .

صحيح أن برغامس كانت عاصمة آسيا الصغرى ، ولكن أفسس كانت أعظم مدنها وكانت يحق لها لقبها «أول وأعظم مدن آسيا» وأطلق عليها كاتب روماني اسم «نور آسيا» فقد كانت أفسس نور آسيا كلها والآن لنر العوامل التي جعلتها أعظم الكل » .

١ – في زمن يوحنا كانت أفسس أعظم موانيء آسيا ، تصل كل الطرق إليها من بلاد ما بين النهرين ومن عند نهر الفرات عن طريق كولوس ولاودكية . وعند أفسس كانت تنتهي الطرق من غلاطية إلى البحر مارة بساردس . وقد قال سترابو : إنها «سوق آسيا» .

وكانت أفسس بوابة الدخول إلى آسيا ، وكان على الحاكم الروماني الآتي للحكم في آسيا أن يحط رحاله أولاً في أفسس ، ومنها يدخل للعاصمة ، وإلى أفسس كانت

---

(١) المرجع السابق ص ٩٦ .

(٢) (رؤيا ٢ : ١-٧) .

تصب البضائع الآتية من وديان الكايستر ومياندر ومن غلاطية والفرات وما بين النهرين ، ومن وإلى روما .

وبعد ذلك حين كانوا يجيئون بالشهداء من آسيا ليرموهم للأسود لتسلية سكان روما ، كانوا يجتازون في أفسس حتى أطلق إغناطيوس عليها إسم «طريق الشهداء السلطانية» .

وكانت هذه العوامل سبب ثراء أفسس حتى صارت أعظم مدن آسيا وفيها كان يصب بحر خضم من التجارة والتجار ، حتى أطلق عليها بحق «سوق أباطيل العالم القديم» .

٢ - وكان لأفسس وضع سياسي فريد ، فقد كانت «مدينة حرة» وكانت روما تعطي هذا اللقب لبعض المدن بسبب إخلاصها للإمبراطور . والمدينة الحرة تحكم نفسها ولاتعسكر فيها جيوش رومانية ، وكان الحكام يزورون المدن الحرة في أوقات معينة حيث ينظرون إلى القضايا الكبيرة الهامة ويحكمون بالعدالة الرومانية الشهيرة ، وكانت المدينة تزدان في أبهى حللها لاستقبال الوالي الروماني وامتازت أفسس على غيرها من المدن الحرة بالألعاب الرياضية التي كانت تقام فيها وأثناء المباريات كان الناس يقبلون على أفسس من كل صوب ..

٣ - كانت أفسس مركز عبادة أرطاميس - الذي كان أحد عجائب الدنيا السبع (كما سبق لنا وصفه عند الحديث عن أفسس) [١] وكان تمثال أرطاميس أكثر تماثيل الزمن القديم قدسية لم يكن جميلاً فقد كان جالساً القرفصاء أسود مغطى بالثدي لكنه كان قديماً قدماً لايعرف أحد معه تاريخ صنعه . وكانت أرطاميس وهيكلها مبجلين في نظر أهل أفسس ، ولم تكن أفسس مشهورة بهيكل أرطاميس فقط ، بل كان بها هياكل لكل آلهة الرومان وأباطرتهم مثل كلوديوس ونيرون ، وبعد ذلك أضيفت إليهما هياكل هدريان وسفيروس . وكانت العبادة الوثنية في غاية القوة في أفسس .

٤ - وكانت أفسس مركزاً شهيراً للسحر ، فقد كان هناك ما يعرف بالرسائل الأفسسية وهي تعاويذ وطلاسم يقولون إنها تشفي كل مريض ، وترزق العاقر بالأطفال ، وتضمن النجاح في الرحلات والمغامرات ، وقد جاء الناس من كل البلاد إلى أفسس لشرائها ..

---

(١) تحت عنوان مدينة الإنجيل الرابع ، ص ٣٢ .

٥ - كان سكان أفسس خليطاً من جنسيات مختلفة ، فقد كان هناك أفراد من ست جماعات إحداها الذين كانوا يسكنون أفسس قبل مجيء اليونانيين ، وأخرى من نسل اليونانيين أنفسهم ، وثلاثة من يونانيين آخرين ، وواحدة من اليهود .

وكانت أفسس كما رأينا مركزًا لعبادة أرطاميس ، وكانت مركزًا للفساد والإجرام فقد كان المجرم الذي يصل إلى هيكل أرطاميس يصبح في حماية أرطاميس ، وكان يتبع الهيكل عدد كبير من العاهرات اللواتي كرسن أجسادهن «لجذب المتعبدين» ، وكان هرقليتوس من أشهر الفلاسفة القدامى المعرف باسم «الفليسوف الباكي» . وكان يفسر بكاءه بأنه على فساد أفسس ..

وهذه هي أفسس ... أكثر أماكن الأرض صعوبة لبذر بنور كلمة الله ولكن هناك وجدت الكلمة من يصغي إليها وعملت عملها ، حتى يقول الكاتب ترنش « لم تجد كلمة الله قلوبًا أكثر لطفًا حتى تضرب جذورها بعمق وتأتي بالثمر الكثير كما وجدت في أفسس » .

وقد قضى بولس في أفسس فترة أطول من الفترة التي قضاها في أي بلد آخر[1] ويرتبط اسم تيموثاوس بأفسس كأول أسقف لها[2] وفي أفسس نجد أكيلا ، وبريسكلا ، وأبولس » أ . هـ[3] .

فهذه التربة التي أنبت الأنجيل الرابع «نور العالم» و«سوق آسيا» و«سوق أباطيل العالم القديم» و«المدينة الحرة» التي كانت العبادة الوثنية فيها في غاية القوة . وبها أكثر تماثيل العالم القديم قدسية وسوق الجنسيات المختلطة المليئة بالانحراف والفساد والتي كانت فيها الفحشاء من وسائل العبادة المباحة .

هذه التربة التي حرثها بولس ، وفلح فيها أبولس فأنتجت الأنجيل الرابع الذي نما فيها وترعرع . أفكانت مصدراً من مصادره ؟؟ أم لم تكن ذات أثر فيه ؟؟

في بداية الإصحاح الثامن من هذا الإنجيل[4] قصة مفادها : أنهم قدموا للمسيح امرأة زانية أمسكوا بها وهي تزني في ذات الفعل . وطلبوا منه أن يؤيد حكم قتلها رجمًا كما أوصى بذلك ناموس موسى .

---

(١) [أعمال الرسل ٢٠ : ٣١] .
(٢) [١ - تيموثاوس ١ : ٣] .
(٣) [أعمال الرسل ١٨ : ١٨] .
(٤) [يوحنا ٨ : ٣-١١] .

فبكتهم على ذلك ولم يوافق رغبتهم حتى انصرفوا ، أما هو فقال لها بعد ... لا أدينك ..... اذهبي ..... ولاتخطئي .

وقد عد بعض الناس ذلك على المسيح لأنها إباحية .. لاجدال فيها . وعندنا أن المسيح بريء من ذلك وليس له في القصة من نصيب .

وعدها آخرون على تلميذه يوحنا بن زبدى . لأنها لم ترد في غير هذا الأنجيل ... والحق أن التلميذ بريء مثل استاذه .

ولشدة الحيرة قال بعض علماء الكتاب المقدس باحتمال أن القصة برمتها مدخولة على النص مزيدة بيد أحد النساخ . وكل ذلك بسبب عدم وضوح المراد منها . إلا إباحة الفحشاء وتعطيل الناموس الإلهي .

ولم نجد فيما قرأنا أحداً تنبه لأفسس التي ألف الإنجيل تحقيقاً لرغبة أهلها . فإنه لما كان من المألوف لديهم عهر بائعات الجسد لجذب عباد أرطاميس ، رغبوا أن يكون لذلك حل فيما يقدم في أفسس كإنجيل للمسيح – وسنعود لمناقشة القصة إن شاء الله في موطن لاحق .

ولئن كان من المتعارف عليه عند علماء الكتاب أن للأناجيل مصادر فنحن نضيف أن لأفسس في الإنجيل الرابع أثر كبير، لأن رغبتهم كانت هدفًا فأحدث ذلك في الإنجيل المطلوب أثرًا . وإذا كان علماء الإجتماع قد أيدوا أستاذهم ابن خلدون في قوله :

« للبقاع تأثير في الطباع » . فنحن نرى لها أيضًا أثرًا في الرقاع . وهذه أفسس صاحبة الإنجيل الذي يحق له أن يدعي «إنجيل أفسس» .

ثالثا: أسلوب الإنجيل وصياغته:

سبق لنا القول بأن بعض علماء الكتاب المقدس وصف هذا الإنجيل الرابع بأنه «قدس أقداس العهد الجديد» (١) ، وفي وصف آخر له أنه «بحث فلسفي» أفرغ في قالب تاريخي (٢) ، كما وصفه بعضهم بأنه «عالم آخر» (٣) .

وهو حقاً عالم آخر لأنه بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي . وهو لذلك يعتبر

---

(١) ، (٢) من بحثنا تحت عنوان : «مكانة إنجيل يوحنا في الكتاب المقدس» .

(٣) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٩٠ .

قدس أقداس العهد الجديد . أو تاج الأناجيل . فهو يختلف في ترتيب وفي اختيار الموضوعات والروايات والخطب »[1] ولاعبرة عنده للتعاقب الزمني للأحداث .

وتساق أقوال المسيح المتوافقة في الأناجيل الثلاثة في أسلوب «قارع» زاجر بينما نجد أن كل شيء يخضع عند هذا المؤلف للتأمل إلى درجة أننا نستطيع أن - نتساءل أحياناً ما إذا كان المسيح هو الذي ما زال يتحدث أم أن أقواله تمتط بشكل غير محسوس بتأثير تأملات هذا المبشر[2] .

والنص بحث فلسفي يتحدث عن الإله الكلمة الذي كان به كل شيء كان ، والذي هو كائن من قبل إنشاء العالم ، والذي يعمل كل شيء من البدء حتى ما كان في الإنسان . ويتحدث عن التجسد والحلول والإتحاد بأن هذا الإله تجسد في يسوع وحل به وفيه حتى صار هو هو ، وكل هذه بالإضافة إلى ألفاظ - النور الحقيقي - والخبز الحقيقي - والماء الحي والحياة الحقيقية الأبدية - الحياة الذاتية .

وقد استخدم الروايات التاريخية التي نص عليها استخداماً فلسفياً ونحن نرى الحدث التاريخي يمكن أن يستوعب بكلمات معدودة : إلا أنك تجد النص يصور المسيح وقد ألقي خطبة طويلة مليئة بالمعاني الفلسفية بداع أو بدون داع حتى إنك تشعر بالإفتعال والصنعة وكثير من المفسرين من ذهبوا إلى القول بأن الرمزية هي الطابع الذي يتسم به أسلوبه في رواياته التاريخية .



---

(١) ، (٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ .



الفصل الأول
محتوى النص

تتبع التقسيم الذي سار عليه الدكتور موريس تاوضروس في مذكرته عن هذا الإنجيل لطلاب كليتي اللاهوت والإكليركية التابعتين للكنيسة القبطية المصرية بالقاهرة . لأنه أشمل وأيسر .

فيمكن : أن نقسم النص إلى مقدمة وستة أقسام وخاتمة .

المقدمة : عن المسيح الكلمة من (بداية الاصحاح الأول حتى آية ١٣) .

أ - وجود الكلمة عند الله التي هي هو منذ البدء (١ - ٥) .

ب - حديث عن يوحنا الذي جاء للشهادة للإله النور (١ : ٥ - ٨) .

جـ - رفض بعض اليهود للإله الكلمة النور وقبول بعضهم له (١ : ٨ - ١٣) .

القسم الأول

الكلمة المتجسد - بداية الإيمان - مقاومة اليهود له

١ - الكلمة المتجسد (١ : ١٤ - ٣٧)

أ - صار جسداً وحل على الأرض . (١ : ١٤) .

ب - شهادات يوحنا المعمدان الثلاثة للإله الكلمة المتجسد (١ : ١٥ - ٣٧) .

الأولى (١ : ١٥ - ٢٨) الثانية (١ : ٢٩ - ٣٤) الثالثة (١ : ٣٥ - ٣٧) .

٢ - المسيح يعرف بين التلاميذ أولاً بأنه المسيا [١] (١ : ٣٨ - ٥١) .

أ - الحديث الأول مع التلاميذ (١ : ٣٨ - ٤٢) .

ب - الحديث الثاني مع التلاميذ (١ : ٤٣ - ٥١) .

٣ - ظهور المسيح العلني في الجليل واليهودية والسامرة . (الإصحاحين الثاني والثالث) .

---

(١) المسيا : كلمة يونانية مقابلة للكلمة الآرامية «المشيحا» والعبرية «المشيح» والعربية «المسيح» أي الملك العظيم المسوح من الله والمنتظر من الشعب اليهودي إتماماً لنبوات العهد القديم . إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا ص ٧٦ .

أ - المعجزة الأولى تحويل الماء خمراً في عرس قانا بالجليل (٢ : ١ - ١١) .

ب - المسيح في اليهودية (٢ : ١٢ إلى ٣ : ٣٦) ويشمل :

طرده الباعة من الهيكل ، ومجادلة بعض اليهود له وإيمان بعضهم به (٢ : ١٣ - ٢٥) حديث المسيح مع نيقوديموس الذي أعلن له فيه أن الله أرسل ابنه وأنزله من السماء لخلاص العالم (٣ : ١ - ٢١) المسيح يعمد الناس في عين نون (٣ : ٢٢ - ٢٤) شهادة يوحنا المعمدان للمسيح بأنه من الله فوق الجميع . لأن الله وضع كل شيء في يده (٣ : ٢٤ - ٣٦) .

جـ - المسيح في السامرة : (الإصحاح الرابع) :

إشارة إلي سفره إلى الجليل ماراً بالسامرة (٤ : ١ - ٥) قصة لقائه بالمرأة السامرية وحديثه معها (٤ : ٦ - ٢٦) وحديثه مع التلاميذ بسبب تلك المرأة السامرية (٤ : ٢٧ - ٣٨) إيمان كثير من السامريين به بسبب كلام تلك المرأة لهم عنه (٤ : ٣٩ - ٤٢) .

د - وصوله للجليل حيث شفى ابن خادم الملك (٤ : ٤٣ - ٥٤) .

القسم الثاني

أعمال المسيح بين اليهود

١ - كراهية اليهود للمسيح : (الاصحاحان الخامس والسادس و٧ : ١ - ٩) شفاء مشلول بيت حسدا في أورشليم (٥ : ١ - ٩) اتهام اليهود للمسيح بنقض السبت (٥ : ١٠ - ١٦) رد المسيح عليهم بأنه لا يقدر أن يفعل من نفسه شيئاً ولكن الله أعطاه أن يحيي الموتى ويدين بدلاً من دينونة الأب ، وأعطاه حياة في ذاته مثله ، وأنه أرسله وشهد له كما شهد يوحنا (٥ : ١٩ - ٤٠) سبب عدم إيمانهم والنتائج أنه لن يشكوهم للأب بل موسى هو الذي يشكوهم (٥ : ٤١ - ٤٧) .

٢ - أعمال أخرى للمسيح :

معجزة الأرغفة الخمسة والسمكتين التي أطعم منها جمعاً كثيراً ، وإيمان الناس به وتفكيرهم في اختطافه لتتويجه ملكاً (٦ : ١ - ١٥) مشيه على الماء (٦ : ١٦ - ٢١) وصوله كفر ناحوم وحديثه مع جمع من الناس عن الخبز الحقيقي النازل من السماء الذي هو المسيح خبز الحياة الذي يهب من يتناوله حياة أبدية (٦ : ٢٢ - ٥٩) تذمر كثير

من تلاميذه وانفصالهم عنه باستثناء الإثنى عشر ، وإخباره إياهم بأن أحدهم شيطان (٦ : ٥٩ - ٧١) تردده في الجليل (٧ : ١ - ٩) :

٣ - في أورشليم (٧ : ١٠ إلى نهاية الإصحاح الثامن) .

أ - بعد أن كمل وقته صعد إلي العيد (٧ : ١٠) حوار بين الناس بشأنه (٧ : ١١ - ١٣) تعليم المسيح للناس في الهيكل وحوارهم معه وهربه منهم (٧ :١٤-٣١) حديثه عن اعتزامه ترك العالم لخدام الفريسيين ورؤساء الكهنة (٧ : ٣٢ - ٣٦) .

ب - في اليوم الأخير العظيم من العيد وما بعده : وعده لهم بإعطائهم الروح القدس (٧ : ٣٧ - ٥٣) جلوسه ليعلم في الهيكل حيث قدموا إليه المرأة الزانية ، وطلبوا منه رأيه هل يؤيد الناموس فوبخهم وأمر المرأة بأن تذهب (٨ : ١ - ١١) حديثه عن نفسه بأنه نور العالم وأنه ليس من هذا العالم وأنه سيمضي (٨ : ١١- ٢٩) حديثه مع اليهود عن الحرية الحقيقية وأنه كائن قبل إبراهيم (٨ : ٢٩ - ٥٩) .

٤ - ازدياد كراهية اليهود للمسيح :

أ - شفاء الأعمي يوم سبت (٩ : ١ -٧) تساؤل جيران الأعمى (٩ : ٨ -١٢) تساؤل الفريسيين وسؤالهم للذي كان قبلاً أعمى (٩ : ١٣ - ٣٤) مدلولات المعجزة (٩ : ٣٥ - ٤١) .

ب - حديث الخراف (١٠ : ١ - ٦) المسيح باب الحظيرة (١٠ : ٧ -١٠) وهو الراعي الصالح (١٠ : ١١ - ١٨) إنشقاق اليهود بسبب كلامه (١٠ : ١٩ - ٢١) .

جـ - حديثه عن الآب وأنه ابنه واعتراض اليهود عليه ورده بأن في ناموسهم عبارة «إنكم آلهة» ومحاولتهم أن يمسكوه وهروبه (١٠ : ٢٢ - ٤٢) .

د - إحياء لعازر بعد أربعة أيام من موته (١١ : ١ - ٤٤) من آثار هذه المعجزة إيمان كثيرين ، واتفاق رؤساء الكهنة على قتله ، واختفائه عنهم (١١ : ٤٤ - ٥٧) .

هـ - أعمال أخرى : عشاء بيت عنيا (١٢ : ١ - ١١) ركوبه جحشًا دخل به أورشليم (١٢ : ١٢ - ١٩) حديثه مع اليونانيين عن ساعة المجد التي اقتربت . وطلبه من الآب أن يمجده وسماع الرد من السماء «مجدت - وأمجد أيضاً» (١٢ : ٢٠ - ٢٨) اختلاف الجمع الذي سمع حول مصدر الصوت وجواب المسيح لهم بأن ما سمعوه ليس إلا من أجلهم (١٢ : ٢٩ - ٣٦) .

و - حديث عن اليهود وعدم إيمانهم والسبب والنتائج (١٢ : ٣٧ - ٥٠) .

ز - قيام المسيح بغسل أرجل التلاميذ (١٣ : ١ - ٢٠) .

ح - انفصال يهوذا عن المسيح وتلاميذه (١٣ : ٢١ - ٣٠) .

القسم الثالث

الحديث الطويل مع التلاميذ من أجل المستقبل (١٣ : ٣١ إلى ١٧ : ٣٦)

١ - المسيح ينبؤهم بتركه لهم (١٣ : ٣١ إلى ١٤ : ٣١) ويشمل :

أ - حديثه معهم عن تركه لهم وحوار بطرس معه (١٣ : ٣١ - ٣٨) .

ب - العزاء الأول بأنه ذاهب ليعد لهم مكاناً في بيت أبيه الذي فيه منازل كثيرة (١٤ : ١ - ٤) .

جـ - سئل عن الطريق إلى هذا البيت فقال أنا هو الطريق والحق والحياة (١٤ : ٥ - ٦) .

د - سأله أحدهم : أرنا الآب وكفانا ؟؟ فأجاب الذي رآني فقد رآه - أنا في الآب والآب في - الآب الحال في . (١٤ : ٧ - ١٤) .

هـ - العزاء وعده بإرسال المعزي روح الحق (١٤ : ١٤ - ٣١) .

و - مثل الكرمة (١٥ : ١ - ١١)

ز - وصيته لهم بالحب (١٥ : ١٢ - ١٧) .

ح - كراهية العالم للتلاميذ لأنه يكره المسيح (١٥ : ١٨ - ٢٥) .

ط - متى يأتي المعزي فهو يشهد للمسيح (١٥ : ٢٥ - ٢٧) .

ي - إذا وقع عليكم الاضطهاد فتذكروا وصيتي الآن فأنا ماض (١٦: ١ - ٦) .

ك - إن لم أنطلق لايأتي المعزي الذي يبكت العالم ويرشدكم إلى جميع الحق (١٦ : ٦ - ١٦) .

٢ - التحية الأخيرة (١٦ : ١٦ - ٣٣) .

أ - سيتحول حزنكم إلى فرح (١٦ : ١٦ - ٢٤) .

ب - اطلبوا باسمي وأنا أسأل الرب من أجلكم لأني خرجت من عنده وأنا ذاهب إليه وهو معي . لذا غلبت العالم (١٦ : ٢٤ - ٣٣) .

٣ - صلاة يسوع : (١٧ : ١ - ٢٦) .

أ - يسوع المسيح يصلي للآب لكي يمجده الآب . (١٧ : ١ - ٥) .

ب - » » » » من أجل تلاميذه ، لكي يحظفهم من الشرير (١٧: ٥ - ١٩) .

جـ - » » » » » » » الذين يؤمنون في المستقبل ليكونوا متحدين (١٧ : ٢٠ - ٢٦) .

القسم الرابع

آلام المسيح

«الإصحاحان الثامن عشر والتاسع عشر»

١ - المسيح في البستان : (٨ : ١ - ١١) .

أ - وجوده مع تلاميذه في البستان الذي يعرفه يهوذا (١٨ : ١ - ٢) .

ب - المسيح يواجه الجند الذين جاؤا للقبض عليه . وهو عالم بكل مايأتي عليه (١٨ : ٣ - ٩) .

جـ - قطع أذن العبد ملخس . (١٨ : ١٠ - ١١) .

٢ - محاكمة يسوع أمام قيافا . رئيس الكهنة (١٨ : ١٢ إلى ١٩ : ١٦) .

أ - ذهاب الجند به إلى حنان حما قيافا (١٨ : ١٢ - ١٤) .

ب - دخولهم به دار رئيس الكهنة ، وإنكار بطرس تلمذته للمسيح (١٨ : ١٥ - ١٨) .

جـ - إجابة يسوع عن سؤال رئيس الكهنة (١٨ : ١٩ - ٢٤) .

د - إنكار بطرس تلمذته للمسيح مرتين ثانية وثالثة (١٨ : ٢٥ - ٢٧) .

٣ - محاكمة يسوع أمام بيلاطس (١٨ : ٢٨ إلى ١٩ : ١٦) .

أ - المجيء بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية (١٨ : ٢٨ - ٣٢) .

ب - حديث يسوع أمام بيلاطس . الذي كان يرغب في عدم محاكمته (١٨ : ٣٣ - ٣٧) .

جـ - بيلاطس يطلب براءة يسوع (١٨ : ٣٨ - ٤٠) .

د - يسوع يجلد ويوضع على رأسه إكليل الشوك واستهزاء العسكر به (١٩ : ١ - ٣) .

هـ - بيلاطس يعلن لليهود أنه يرى براءة يسوع (١٩ : ٤ - ٧) .

و - حديث بيلاطس مع يسوع واصدار الحكم بصلبه (١٩ : ٨ - ١٦) .

٤ - صلب يسوع ودفنه (١٩ : ١٧ - ٤٢) .

أ - مكان الصلب . (١٩ : ١٧ - ١٨) .

ب - ما كتب على الصليب (١٩ : ١٩ - ٢٢) .

جـ - الاقتراع على ثيابه (١٩ : ٢٣ - ٢٤) .

د - يسوع يوصى تلميذه الذي كان يحبه بأمه مريم (١٩ : ٢٥ - ٢٧) .

هـ - عطشه وتناوله الخل وموته (١٩ : ٢٨ - ٣٠) .

و - كسر سيقان اللصين المصلوبين معه وطعن جنبه بحربه (١٩ : ٣١ -٣٧) .

ز - انزال يسوع وتكفينه ودفنه (١٩ : ٣٨ - ٤٢) .

القسم الخامس

القيامـــــــــــــــة

«الإصحاح العشرون»

١ - مريم وبطرس ويوحنا في القبر (٢٠ : ١ - ١٨) .

أ - زيارة القبر واكتشاف خلوه إلا من الأكفان (٢٠ : ١ - ١٠) .

ب - ظهور المسيح لمريم (٢٠ : ١١ - ١٨) .

٢ - ظهور المسيح الأول للتلاميذ (٢٠ : ١٩ - ٢٣) .

أ - الظهور (٢٠ : ١٩ - ٢١) .

ب - نفخ يسوع بفمه وقوله اقبلوا الروح القدس (٢٠ : ٢٢) .

جـ - منحهم سلطانًا بقوله «من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (٢٠ : ٢٣) .

٣ - ظهور المسيح للتلاميذ للمرة الثانية (٢٠ : ٢٤ - ٢٩) .

أ - غياب توما (٢٠ : ٢٤ - ٢٥) .

ب - المسيح يؤكد لتوما قيامته (٢٠ : ٢٦ - ٢٩) .

٤ - حديث عن الهدف من كتابة هذه الآية في هذا الكتاب لكي يؤمنوا بأن يسوع

هو المسيح ابن الله (٢٠ : ٣٠ - ٣١) ، (ويبدو أن هذه كانت نهاية الإنجيل ثم زيد الاصحاح الأخير على أصله) .

القسم السادس

ظهور المسيح على بحر طبرية

«الإصحاح الحادي والعشرون»

أ - صيد السمك (٢١ : ١ - ٩) .

ب - المسيح يتغذى مع تلاميذه (٢١ : ١٠ - ١٤) .

جـ - إعادة تعيين بطرس للرعاية (٢١ : ١٥-١٧) .

د - الانباء باستشهاد بطرس وسوء فهمهم كلام المسيح عن التلميذ الحبيب (٢١ : ١٨ - ٢٣) .

الخاتمة :

الإشارة إلى (التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا والذي يعلم مؤلف الإنجيل أن شهادته حق) وإلى أعمال المسيح الكثيرة التي لم تكتب . (٢١ : ٢٤ - ٢٥) .





الفصل الثانى

محور الإنجيل اللاهوتى

انتدب هذا الإنجيل وألف لمحاولة تأليه المسيح ، أي للقول بألوهيته ، وأنه هو الله . فبدلاً من النظر إلي المسيح على أنه بشر مخلوق يقول : بأن كل شيء به كان ، وأنه لا إله غيره فبغيره لم يكن شيء مما كان ..

وإنما نقول إنها محاولة «لأن نصوص هذا الإنجيل تتضافر على القول بأن المسيح هو الإله المتجسد وهو الكلمة المتجسد بقصد أن يعرف الناس بنفسه ، وأنه إنما نزل من السماء وتجسد ليصلب فداء عن خطيتهم ليخلصوا من الخطية ، فهو الإله المتجسد والكلمة ، والفادي ، والمخلص .

وتتناقض أيضاً نصوصه لدرجة تدعو للتأمل والتبدر لكي يخلص العاقل منها بنتيجة معقولة لديه - على الأقل - إن لم تكن هي الأولى بالقبول لدى جميع العقلاء الذين يحترمون عقولهم .

ومما يدعونا للعجب أن هذا النص جمع بين نقيضين :

هذان النقيضان هما القول بأن المسيح عبد الله ورسوله ، ونقيضه القول بأنه هو الله المتجسد . وكذا القول بأن الله - الآب - أعظم - من المسيح . ونقيضه القول بأنهما متساويان . ومع ذلك فإن البعض يدرس النص دراسة مفككة الأجزاء ، ويحاول التأويل ، ولذلك نجد كثيراً من مفسري هذا الإنجيل يجنح الواحد منهم إلى ضروب من التأويل لم يذهب إليها غيره الذي يخالفه .

وهذا التناقض في نص الإنجيل الرابع قد أوقع أتباعه في حيرة بالغة . فظهرت بينهم مذاهب كثيرة ، أخذ كل منها مأخذاً ، فحتى بداية القرن الرابع لم تتفق الكلمة بين الأتباع حول طبيعة المسيح : هل هو بشر ؟ أم إله ؟ وهل هو مساو لله ؟ أم أن الله أعظم منه، حتى ظهرت الدعوة إلى عقد مجمع مسكوني [١] - عام - وعقد في نيقية عام

---

(١) المجامع المسكونية : نسبة إلي المسكونة «وهي الأرض فقد كان يحضرها أعضاء من مختلف الأقطار التي يوجد بها كنائس . وكانت الكنائس ترسل مندوبيها من القسس ليحضروا هذه المؤتمرات العالمية .

(٣٢٥م) . وقد كان عدد أعضائه ٢٠٤٨ وكان اجتماعهم بقصد وضع حد لهذه الإختلافات والاتفاق على تقرير حقيقة المسيح .

« وفي هذا الاجتماع صاح عالم مصري اسمه أريوس صيحته التي كان يرددها دائمًا : إن الأب وحده الله ، والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الإبن » .

أما كنيسة الاسكندرية - والاسكندرية عريقة التأثر بالتفكير المصري القديم وبالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث فقد قاومت أريوس وانضمت إليها كنيسة روما ، واختلف المجتمعون ، وتضاربوا ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار .

فقرر الامبراطور أن يفصل في الأمر بالتدابير الشديدة بعد أن تبنى رأي صديقه الممثل الديني للغرب «كاهن روما» فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الرومانيين الموحدين ونفي الكثيرين منهم» .

« واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث ، وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ ، فاتخذوا قرارًا بذلك . وعند كتابة نص القرار اعترض أكثرهم على عبارة المساواة بين الأب والإبن ولكنهم خافوا أن ينزل بهم ما نزل بمعارضي التثليث ، فوضعوا إمضاءاتهم على الوثيقة »[(١)] .

وفيما يلي نص القرار : نؤمن بالله الواحد ، والآب ، مالك كل شيء ، وصانع ما يرى ، وما لايرى ، وبالإبن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها الذي ولد من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء ... إلخ[(٢)] .

وتتضافر نصوص الإنجيل الرابع لكي تحدد الهدف المطلوب من المؤلف أن يحققه والرغبة التي كانت في طلب أتباع الكنيسة لإنجيل يثبت لهم لاهوت المسيح ويرد على اتجاهات المخالفين لهم .

ولكن التناقض الذي وقع بين نصوصه في موضوع الألوهية لم يحسم الموقف ، بل جعل موضوع ألوهية المسيح مثارًا للجدل بين القبول والرد . ولم تكن الحالة الاجتماعية والسياسية من الهدوء بالقدر الذي يسمح للبت في هذا الأمر الخطير في

---

(١) أحمد شلبي : المسيحية ص ١٤٣ نقلاً عن عبد الأحد داود مؤلف كتاب « الإنجيل والصليب » ص ٢٠ ، ٢١ بتصرف شلبي .

(٢) أحمد شلبي : المسيحية ص ١٤٤ .

زمن وجيز . ولم يكن لهم من الحرية القدر الذي يسمح لهم بالاجتماعات العلنية لتدارس الموقف إلا حين يخف اضطهاد السلطات لهم . وقليلاً ما كان بعض ذلك يحدث .

ولعل هذا التناقض وأمثاله هو علة عقد هذه المجامع لتقرير طبيعة المسيح ، فلو كانت النصوص نابعة من مصدر عقائدي موحد لظهرت متحدة غير متناقضة .

وليس التناقض بين ثنايا النص الواحد فقط هو سبب عقد المجامع . بل تناقض النصوص الكثيرة ما بين الكتب التي عرفت فيها بعد بالأسفار القانونية وغير القانونية كما أسلفنا عند الحديث عنها .

ولسائل أن يقول : ربما كان اختلاف هذين النوعين من الكتب القانونية المقبولة مع غيرها من الأسفار الغير مقبولة هو علة عقد هذه المجامع ! ! !

ولكن المتتبع الذي يعنى بدراسة الاتجاهات الأولى في بداية عصر الكنيسة يجدها تتمسك بالنصوص القانونية أكثر من غير القانونية ويجد بين النصوص القانونية ما يسوغ ظهور هذه الاتجاهات لأن هذه النصوص تمكن من القول بالمذهب ونقيضه ، لدرجة دفعت بعض رجال الكنيسة المصرية إلى الإعراب عن مبلغ الصعوبة في استخلاص العقيدة من نصوص الأناجيل الحالية وأنه يحتاج إلى إلهام لايقل عن إلهام واضع النص نفسه ، وذلك بسبب مجافاتها للعقل وتنكره لها كما قال الأب متى المسكين :

« واستخلاص العقيدة من نصوص الإنجيل عمل إلهامي لايقل عن وضع الإنجيل نفسه لأن في كليهما يبلغ الحق إلى مواجهة العقل »[1] أ . هـ . والحق الذي يقصده : هو العقيدة والنصوص التي يواجهها العقل ويتحداها .

ونحن نرى في نصوص هذا الإنجيل الذي هو موضوع بحثنا أساساً لاتجاهات كثيرة بل نكاد نقول لو لم يكن بين يدي المختلفين إلا هذا الإنجيل لأوقع بينهم مثل هذا الاختلاف الذي حدث في مجمع نيقية عام (٣٢٥م) .

وليست جزيرة الاستاذ حبيب سعيد ببعيدة عن ذاكرتنا وهي التي قال عنها : إنه لو فرض عليه أن يعيش في جزيرة نائية ولم يسمح له إلا باصطحاب إنجيل واحد فقط

---

(١) الأب متى المسكين : رسالة بيت التكريس - ٢٠ - الباركليت الروح القدس في حياة الناس .

من بين الأناجيل الأربعة . فإنه يفضل إنجيل يوحنا على الأناجيل الثلاثة لأنه يغنيه ويكفيه ,

فلو تعددت هذه الحالة ووجدت جزر بها أناس في مثل نضج صاحب الجزيرة الأولى وألقي له بنسخة من إنجيل يوحنا وتُرِكَ مدة لاستيعابه ، ثم استطلعت الأحوال بعد مدة زمنية تكفي لدراسته واستيعابه لوجدت عجباً . فقد ترى من يقول بألوهية المسيح ، وذلك هو من يريح عقله من النظر والتدبر وتمحيص النص وهذه جزيرة التأليه أو التشبيه .

وقد نرى جزيرة بصاحبها من النضج الذهني واحترام العقل مايجعله يرى في نصوص هذا الإنجيل الفارق بين المخلوق والخالق فيرى الله وحده أعظم من كل عبيده ورسله ، ويرى المسيح مخلوقًا مطيعًا يسجد لربه ويعبده ونسمي هذه : جزيرة التوحيد أو التنزيه .

وقد نجد جزيرة ثالثة لم تصل إلى رأي قاطع فتحتاج هذه إلى من يأخذ بيد صاحبها نحو إظهار الحق . فلنرجع إلى الجزيرة الأولى لنرى أولئك الذين ألّهو المسيح اعتماداً على نص إنجيل يوحنا . وندارس معهم تلك النصوص ثم نناقشها ثم نعقب بما نرى المقام في حاجة إليه . ثم نصدر حكمنا عملاً بما ألزمنا به أنفسنا . والله وحده المستعان

السؤال الأول :

ما هي نصوص هذا الإنجيل التي يتسمك بها القائلون بألوهية المسيح ؟ ؟ الذين يعبدونه على أنه « هو الله المتجسد » ؟ ؟

الإجابة :

نصوص هذا الإنجيل التي يتمسك بها القائلون بألوهية المسيح سبعة وعشرون نصاً . تتحدث في موضوع تأليه المسيح . مباشرة يمكن تقسيمها باعتبار موضوعها إلى قسمين تقريباً .

الأول : عن ذاته .   والثاني : عن صفاته .

القسم الأول: النصوص التي تتحدث عن ذاته . ثلاثة عشر نصًا وهي:

١ - « كان الكلمة الله »[١] .

٢ - « الكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده ، مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا »[٢] .

٣ - « ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء »[٣] .

٤ - « أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء »[٤] .

٥ - « أنا أعرفه لأني منه »[٥] .

٦ - « أنا هو نور العالم »[٦] .

٧ - « كان يقول لهم عن الآب . فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنيّ أنا هو »[٧] .

٨ - « خرجت من قِبَلِ الله وأتيت »[٨] .

٩ - « أنا والآب واحد »[٩] .

١٠- « لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه »[١٠]

١١- « يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه ، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي »[١١] .

١٢- « قال له فيلبس ياسيد أرنا الآب وكفانا – قال له يسوع أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يافيلبس . الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب . ألست تؤمن أني أنا في الآب ، والآب فيّ ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال . صَدِّقُوني أَنّي أنَا فِي الآب والآب فيّ »[١٢] .

---

(١) [١ : ١] .
(٢) [١ : ١٤] .
(٣) [٣ : ١٣] .
(٤) [٦ : ٥١] .
(٥) [٧ : ٢٩] .
(٦) [٨ : ١٢] .
(٧) [٨ : ٢٨]
(٨) [٨ : ٤٢] .
(٩) [١٠ : ٣٠]
(١٠) [١٠ : ٣٨] .
(١١) [١٣ : ١٣]
(١٢) [١٤ : ٨ - ١٢] .

١ – « أجاب توما وقال له : ربي وإلهي . قال له يسوع : لأنك رأيتني يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا »[١] .

فهذه النصوص الثلاثة عشر التي تتحدث عن الإله الكلمة الذي حل وتجسد فكان يسوع المسيح هو هو لا فرق بين أي منهما لأن كلاً منهما في الآخر . وقد جاء من هذه النصوص نصان بقلم المؤلف من عنده وهما النص الأول والثاني ونص على لسان أحد التلاميذ وهو توما الذي خاطب المسيح بقوله له : « ربي وإلهي » والنصوص العشرة المتوسطة جاءت كلها على لسان المسيح في زعم المؤلف اللاهوتي المؤله للمسيح .

ونحن ننوه إلى أننا التزمنا جانب الأمانة العلمية في أسمى درجاتها عند فحص النص لاستخراج تلك الفقرات القائلة بألوهية المسيح . لدرجة أنه لو طلب ذلك ممن يعتقدون ألوهية المسيح ما استطاعوا أن يأتوا من النص بمثل ما أتيناهم به .

ننتقل بعد ذلك إلى نصوص القسم الثاني التي تخلع على المسيح بعض صفات الله ..

القسم الثاني : نصوص الصفات :

١ – **حياته بذاته** : « كما أن الآب له حياة في ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته »[٢] .

٢ – **وجوده أزلي قديم** : « في البدء كان الكلمة »[٣] ويظاهر هذا النص ويؤيده نصوص مثله كقوله : « أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به »[٤] وكقوله « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »[٥] .

٣ – **علمه أزلي قديم** : « يسوع من البدء علم من هم الذين لايؤمنون ، ومن هو الذي يسلمه »[٦]

٤ – **علمه بكل شيء** : « قال له تلاميذه .... الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد . لهذا نؤمن أنك من الله خرجت »[٧] .

---

(١) [٢٠ : ٢٨ ، ٢٩] .
(٢) [٥ : ٢٦] .
(٣) [١ : ١] .
(٤) [٨ : ٢٥] .
(٥) [٨ : ٥٨] .
(٦) [٦ : ٦٤] .
(٧) [٦ : ٢٩] .

٥ - **مساواته لله في الذات** : « قال إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله »[(١)] .

٦ - **مساواته لله في الأعمال** : « مهما عمل ذاك فهذا يعمله الإبن »[(٢)] .

٧ - **يحيي من يشاء** : « كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي ، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء »[(٣)] .

٨ - **وهو الذي يقيم في اليوم الأخير** : « كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير »[(٤)] .

٩ - **وهو الذي يدين الناس ويحاسبهم** : « الأب لايدين أحداً ، بل قد أعطى كل الدينونة للابن »[(٥)] .

١٠- **طهارته المطلقة وقداسته** : « من منكم يبكتني على خطية »[(٦)] .

١١- **بيده كل شيء** : « الآب يحب الابن ، وقد دفع كل شيء في يده »[(٧)] .

١٢- **واهب سلطان المغفرة والحرمان** : « من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت »[(٨)] .

١٣- **هو الخالق لكل شيء** : «كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان»[(٩)] والعالم هو المقصود لقوله « كان في العالم ، وكون العالم به »[(١٠)] .

١٤- **ملك كل منهما واحد** : « كل ما هو لي فهو لك . وما هو لك فهو لي »[(١١)] .

ولاتخرج النصوص التي حاولت خلع صفات الله على المسيح وجعله شريكًا لله في أفعاله وملكه عن نطاق ما ذكرنا . وقد جاء من هذه النصوص على لسان المسيح في زعم المؤلف عشرة نصوص منها نصان مرفقان في نص المؤلف عن وجود المسيح منذ البدء ، وللمؤلف نصوص خمسة منها نص مرفق ، وجاء على لسان التلاميذ نص واحد ومثله على لسان المعمدان .

---

(١) [٥ : ١٨] .
(٢) [٥ : ١٨] .
(٣) [٥ : ٢١] .
(٤) [٦ : ٤٠] .
(٥) [٥ : ٢٢] .
(٦) [٨ : ٤٦] .
(٧) [٣ : ٣٥] .
(٨) [٢٠ : ٢٣] .
(٩) [١ : ٣] .
(١٠) [١ : ١٠] .
(١١) [١٧ : ١٠] .

وهذه النصوص صريحة في موضوعها بالنص وهناك نصوص تشاركها نفس الهدف ، وهي التي يعقب بها المؤلف على الأعمال الخارقة للعادة التي تسمى في العرف الديني بالمعجزات ، فإن المؤلف يقصد من وراء سردها أن هذه المعجزات أعمال إلهية ، وأن وقوعها من المسيح دليل على أنه هو الله ، وأنها ما حدثت إلا بقدرة الآب الذي كان حالاً متجسداً فيه . وذلك كما يلي :

١ - ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه : «هوذا إسرائيلي حقًا لا غش فيه .

قال له نثنائيل : من أين تعرفني . أجاب يسوع وقال له قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك ، أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل .

أجاب يسوع وقال له هل أمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة سوف ترى أعظم من هذا »[١] .

والتِينةُ المذكورة كانت في بيت نثنائيل ، وكانت أمه أيام طفولته تضعه في سلة وتخبؤها بين أغصانها وفروعها ، خوفاً من أن يقتله جنود هيردوس حين تفتيشهم البيوت بحثاً عن الأطفال لقتلهم . تنفيذاً لما أشار به بعض الكهان على هيردوس حينما تنبأوا بولادة المسيح [٢] .

فكان الجند يدخلون بيت نثنائيل ويفتشون عن طفل فلايجدونه ، وكان المخبأ يحميه عن أنظارهم ، وبذلك سلم نثنائيل من القتل في الوقت الذي كان المسيح بعيداً عن هيرودس وجنوده بأرض مصر مع أمه وخطيبها .

وكان أمر هذه التينة من الكتمان بمأمن ، فلما أنبأ المسيح نثنائيل به آمن به أنه ابن الله .

٢ - وهو يستنبط من المعجزات أنها كانت لإظهار مجد الله المتجسد في جسد يسوع المسيح . فقد عقب على معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل[٣] عقب بقوله :

---

(١) [١ : ٤٧ - ٥٠] .

(٢) غريغوريوس : أنت المسيح ابن الله الحي : سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية نشر أسقفية الدراسات اللاهوتية العليا والثقافية القبطية والبحث العلمي رقم (١٩) في فبراير ١٩٧٥ .

(٣) [٢ : ١ - ١٠] .

« هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل فأظهر مجده فآمن به تلاميذه »[1] فهذه الأعمال كانت إظهاراً لمجد الله المتجسد .

٣ – وكان نتيجة شفاء المشلول الذي بهر اليهود من أهل أورشليم أنهم اعترضوا على انتهاك حرمة السبت الذي شفي فيه المشلول . فكان رده : « أبي يعمل الآن ، وأنا أعمل فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً :

إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله » ثم استطرد بعد ذلك إلى القول على لسان المسيح : « مهما عمل ذاك فهذا يعمله الإبن كذلك ، لأن الآب يحب الإبن ويريه جميع ما هو يعمله وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم . لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الإبن أيضاً يحيي من يشاء . لأن الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للأبن »[2] .ثم استطرد بعد ذلك إلى القول « كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الأبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته »[3] .

وهذه الحياة الذاتية هي التي كان يهب منها وبها الحياة للموتى لأنه هو الحياة ، وذلك لما نص عليه عندما .

٤ – قالت له مرثا أخت لعازر الذي كان قد مات منذ أربعة أيام مضت : « لو كنت ههنا لم يمت أخي »[4] . فقال لها : « سيقوم أخوك» قالت له مرثا : « أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير . قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد أتؤمنين بهذا ؟؟ قال له نعم يا سيد . أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم »[5] .

وقصد المؤلف من ذلك أن يقول بأن الآب حال في المسيح والكلام الذي يتكلم به المسيح ليس للمسيح من نفسه بل هو كلام الله الحال فيه والأعمال الخارقة ليست إلا من عمل الله الآب المتجسد في جسم يسوع المسيح . وهاك نص المؤلف المؤله على لسان المسيح :

---

(١) [١ : ١١] .
(٢) [٥ : ١٩ – ٢١] .
(٣) [٥ : ٢٦] .
(٤) [١١ : ٢١] .
(٥) [١١ : ٢٤ – ٢٧] .

« الذي رآني فقد رأى الآب – إني في الآب والآب في . الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي ، لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال . صدقوني أني في الآب والآب في » .

فلما صدقوه خاطبه قائل منهم « ربي وإلهي »(١) وقال قائل من أتباع هذا الإنجيل من معاصرينا :

« لقد أثبت هذا الإنجيل بعض أعمال لاتأتي إلا من الله ذاته ، فتحويله مادة إلي مادة أخرى مثل جعل الماء خمراً وخلقه عينين للرجل المولود أعمى وإقامته لعازر من الموت بعد أربعة أيام ليست معجزات عامية ، بل هي سلطان – الخالق على الطبيعة الجمادية والطبيعة الحية والإقامة من الأموات »(٢) .

وذلك كله يمكن إيجازه في جملة واحدة : « المسيح هو الله المتجسد » أو هو «الكلمة المتجسد» أو هو أيضاً «ابن الله» أو «ابن الآب الوحيد» أو «ابن الله المتجسد» .

أولاً: المفاهيم

ويلزمنا قبل بدء المناقشة أن نعرف مفاهيم الألفاظ عند القوم حتى نكون على بينة من الأمر . وهذه الألفاظ هي : الله – الآب – الإبن الكلمة – التجسد والحلول ، ومدلولات هذه الألفاظ عند أبناء الكنيسة .

أولاً : لفظ الله :

مدلوله : « اسم الإله خالق جميع الكائنات والحاكم الأعظم لجميع العوالم ، والواهب كل المواهب الحسنة ، والله روح غير محدود ، أزلي غير متغير في وجوده ، وحكمته وقدرته ، وقداسته ، وعدله ، وجودته ، وحقه ، وهو يعلن لنا نفسه بطرق متنوعة وفي أحوال مختلفة متباينة فيظهر لنا في أعماله وتدبير عنايته ، ولكنه يتجلي غاية التجلي ويظهر ذاته في الكتب المقدسة .

وقد أعلن لنا نفسه بأجلى بيان وعلى أكمل كيفية في شخص ابنه الوحيد مخلصنا يسوع المسيح ، وعن طريق حياته وأعماله »(٣) .

---

(١) [٢٠ : ٢٨] . (٢) [الأنبا أثناسيوس] : إنجيل يوحنا ص ٤١ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٧ مادة الله .

ثانياً : لفظ الآب :

مدلوله في أقوال القاموس : «لفظ يطلقه المسيحيون على الله لأنه الآب السماوي، ويعتبر الله في الديانة المسيحية أبًا فيقال «أبانا الذي في السموات» .... وهكذا ثم يضيف .

ويدعى الله « أبو ربنا يسوع المسيح » - وتظهر أبوته في ترأفه كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه . ولكن أبوة الله هذه أعلنت بأنها نفس جوهر الذات الإلهية ، وبأنها وثيقة الصلة بالإنسان في إنجيل المسيح فقط .

فإننا نستخلص من كلمات وحياة يسوع أنه دعا الله «أبا» ليس لأنه الخالق أو الحاكم أو بسبب عهده مع إبراهيم . ولكن لأنه يحبنا - وأبوة الله تسير في اتجاهين : الاتجاه الأول : أبوته للبشر بالخلق ، والثاني أبوته للمؤمنين بالنعمة (١) » ويتضح لنا من هذين النصين :

١ - أن لفظ « الله » ولفظ « الآب » بمعنى واحد في الديانة المسيحية . وأن لفظ الآب إنما يطلق عليه باعتبار حبه للمؤمنين ورأفته بهم . وباعتبار أعم وهو أنه خالق للبشر

٢ - أن المسيح حين كان يدعو الله « أبا » كان يقصد بذلك أنه « الحبيب » كالوالد الحاني العطوف .

ثالثًا : لفظ الإبن . أي ابن الله :

مدلوله في القاموس : « أطلق هذا اللقب على المسيا - المسيح - وهو يدل على العلاقة القوية المكينة بين الآب السماوي والابن الأزلي - والآب هو الذي أرسل الابن ويعمل به . والمسيح بما أنه ابن الله فهو إله بكل الكمالات غير المحددة التي للجوهر الإلهي . والابن مساو لله في الطبيعة .

ومن هذه الاعتبارات فالمسيح فريد في هذا وهو «ابن الله» ليس من وجهة النظر الجسدية كما يفهم من الكلمة « ولد .» إنما يفهم به كتشبيه ليعبر عن مقدار المحبة والتعاون والتساوي في الطبيعة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثاني في الثالوث الأقدس (٢) » ويؤخذ من ذلك : -

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٨ مادة آب وأبو . (٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨ مادة ابن الله .

١ – أن المسيح – في الديانة المسيحية – ابن الله ، بمعنى أنه إله بكل الكمالات التي للجوهر الإلهي .

٢ – أن المسيح الابن مساو لله في الطبيعة الإلهية .

رابعًا : الكلمة :

مدلولها في القاموس (استعملت بصيغة المذكر للدلالة على السيد يسوع المسيح فإنه الله الذي ظهر متكلمًا معلنًا نفسه) [١] .

ويمكن لنا أن نفهم تصورهم لمعاني ما تقدم من ألفاظ على هذا النحو :

أن المسيح هو الله المتجسد – وهو ابن الله – وهو الكلمة الذي تجسد ، وأن الآب اسم من أسماء الله في الديانة . وإذا كان المسيح هو الله فلم لايسمونه أباً ؟ ؟

لا ندري . وإنما يصح تسميته عندهم ابن الله لأنه كان يقول لهم إن الآب أبوه .

ويقول أيضاً · إن الله و« الآب » بمعنى واحد ، بمعنى الله الرحيم وهذا لا غبار عليه .

ولكن القضية هي : القول بأن المسيح هو الله المتجسد ، وابن الله المساوي لله في الطبيعة الإلهية .

وأن الكلمة هو الله ، وأن الكلمة صار جسداً وحل ، وعرف بين الناس باسم «يسوع المسيح» :

وهذا ما انتدب الإنجيل الرابع لكي يقول به ليثبت لاهوت المسيح .

خامساً : التجسد «الله الكلمة صار جسدًا» :

مدلوله : حلول واتحاد الله – المسمى كلمة في هذا الإنجيل بجسد يسوع المسيح دون أن يفقد ألوهيته .

وسنعود إلى الحديث عن تجسد الكلمة عند شرحنا للنص إن شاء الله .

والتجسد بهذا المعنى هو المقصود بحلول الآب في المسيح ، فيما رواه ، مؤلف الإنجيل الرابع على لسان المسيح «الآب الحال في » الآب في ونحو ذلك ...

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٥ مادة : كلمة .

ولنا بعض استفسارات عن القول بألوهية المسيح على النحو الذي ظهر فيما سلف قبل أن نناقش دعواهم التي يتمسكون بها .

والذي يلزمنا الآن هو : معرفة كيفية وصف المسيح بأنه «ابن الله» مع أنه في ذات الوقت هو الله الذي هو أب الابن ؟ ؟ فإذا كان الله والآب بمعنى واحد !! فلم لا يوصف المسيح بأنه الآب مع أنه يوصف – عندهم – بأنه الله المتجسد ؟ ؟ وما معنى البنوة ؟ ؟

إن كانت حقيقية لزم مغايرة الآب للابن سواء كانت بنوة معنوية كما يدعون – أو جسدية كما لايقبلون .

وإن كان الاب والابن هما ذات واحدة هي ذات الله ، فلا مغايرة بين الموصوف بالأبوة وبين الموصوف بالبنوة ، فهذه إذن تسمية مجازية أو وهمية لاحقيقة لها .

وهذا ما تعارف عليه العقلاء في أصول وضع الألفاظ .

فاللفظ يوضع لمعنى محدد ، بحيث يميزه عن غيره من المسميات . فلفظ «العلم» مثلاً موضوع لمعنى غير المعنى المقصود من لفظ «الجهل» ، أو – يوضع ويقصد به ذات مشخصة معينة بحيث يميزها عن غيرها من الذوات – الأخرى . أو بحيث يميزه عن غيره من الأجناس والأنواع الأخرى .

ولفظ «الإبن» من الأسماء التي روعي عند وضعها النسبة إلى موصوف آخر بالأبوة ، وكذلك لفظ الأب « يراعى عند إطلاقه النسبة إلى موصوف آخر بالنبوة » .

فلو أطلق على شخص اسم «محمد» فإذا أنجب يقال له «أب» بالنسبة إلى ابنه الذي أنجبه . ولنفرض أن ابنه سمي « علياً » فإذا قيل لعلي أنت « ابن محمد » فمعناه مطلق بالنسبة إلى أبيه .

وأبوه « محمد » ابن بمراعاة نسبة أخرى هي النسبة إلى والده فيقال محمد بن فلان . وكذلك الأمر مع مراعاة نسبة أخرى إلى « علي » فيصح أن يطلق عليه «أب» إذا ما أنجب ولداً هو الآخر .

أما إذا لم يكن غير شخص واحد فقط لنفرض أنه « محمد » ولنفرض أنه لم ينجب ولداً . فلايصح أن يطلق عليه لفظ «أب» إلا على ضرب من المجاز والتأويل .

ولم يعهد أن يطلق عليه « أب » بالنسبة إلى ذاته هو فلا يقال « محمد » هو أبو نفسه أو ابن نفسه .

فكيف يحمل إذن اطلاقهم على المسيح أنه « الله » وأنه « ابن الله » ؟؟ بصرف

النظر مؤقتاً عن وصفهم له بأنه الله بقصد : الحلول والتجسد . وما معنى أن يوصف بأنه « الله » وأنه « ابن الله » .

فإذا قيل الله - ابن الله - فلا وجه إلا واحداً من اثنين :

الأول : أن الله - الأب - أنجب الله الابن - فيكون هناك إلهان . ولا وجه حينئذ للتمسك بالقول بأن الإثنين إله واحد .

الثاني : إذا كان الله الأب هو الإله الابن ، وأنهما إله واحد لم يلد ولم يولد ، ليس له ابن وليس له والد ، فالتسمية إذن من باب اللغو . كأن يقال إن محمداً ابن محمد عينه . أو : إن الله ابن نفسه .

ومن هذا اللغو ما في العقيدة الأرثوذكسية من أن الله واحد . كان يسمى قبل التجسد الأب ، ومن بداية حمل مريم به وتجسده حتى موته على الصليب يسمى ابن الله . ومن بعد ذلك يسمى الروح القدس . فكأن إطلاق هذه الأسماء يقصد به مراحل زمنية في حياة ذاته الواحدة [1] وهذا لغو . فلِمَ القول بالشركة المقدسة المكونة من الثالوث إذا كان المقصود إلهاً واحداً ؟ ؟

وقد جاء بنصوص الأناجيل مايفهم منه المغايرة بين الأب والابن ، وتفضيل الأب على الإبن في أمور كثيرة ، ونأخذ هنا مثلاً واحداً من تلك النصوص . فقد أفاد نص مرقس أن « الإبن » لايعلم باليوم الأخير لأن علم ذلك اليوم خاص « بالأب » وحده لاشريك له إذ جاء به :

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين هم في السماء ولا الابن إلا الأب » [2] . فهل يحتاج هذا النص إلى توضيح وتفسير أن الأب يعلم والابن لايعلم . فهما إذن متغايران . والقول بأن التثليث يقصد به مراحل زمنية من حياة الله ... لايستقيم أيضاً مع هذا النص . لأنه يترتب عليه أن الأب قبل التجسد كان يعلم ثم نسي بعد التجسد ، ولم يبين لنا هذا النص هل عاد إليه علمه بعد الصلب في مرحلة الروح القدس أم لا ؟؟

وأولئك القائلون بالتثليث ومساواة الإبن للأب يرد عليهم : بأن الأب - يزيد في العلم عن الابن لأن الأب يعلم اليوم الأخير والابن لايعلمه فلا مساواة .

---

(١) أحمد السقا : الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام . ص ٧٣ ، ص ٨٠ .

(٢) [مرقس ١٣ : ٣٢] .

أبوة الله للمؤمنين والرسل :

ذكر صاحب كتاب « سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية » بعض المواضع التي وجدها في الكتاب المقدس وقد أطلق فيها كلمة « ابن الله » وصفاً لغير المسيح ، نوجز بعضها :

أولاً : أطلقت الأسفار «ابن الله » على آدم : « ابن أنوش بن شيث بن آدم ابن الله »(١) .

ثانيًا : أطلقت الأسفار «ابن الله» على سليمان : فقد جاء أن الله خاطب داود قائلاً :

« أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته ، هو يبني بيتًا لاسمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلي الأبد ، أنا أكون له أبًا ، وهو يكون لي ابنا »(٢) .

ثالثًا : أطلقت الأسفار « أبناء الله » على الشرفاء أو الأقوياء ، فقد جاء أيضًا : «أن أبناء الله» رأوا بنات الناس أنهن حسنات»(٣) .

رابعًا : أطلقت الأسفار «ابن الله» على كل اسرائيلي طاهر : إذ جاء أيضًا : «لما كان إسرائيل غلامًا احببته ومن مصر دعوت ابني(٤) » وفيه وصف بني إسرائيل :

« ويكون عوضًا عن أن يقال لهم لستم شعبي ، يقال لهم أبناء الله الحي »(٥) .

خامسًا : أطلقت الأسفار « ابن الله » على كل مسيحي مؤمن . إذ جاء أيضًا : «لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله »(٦) .

سادسًا : أطلقت الأسفار « ابن الله » على كل عبد بار سواء كان مسيحيًا أو غيره : كما جاء :

(كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم «أبناء الله »)(٧) .

« طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون »(٨) .

---

(١) [لوقا ٣ : ٣٨] .
(٢) [صموئيل ٧ : ١٤] .
(٣) [تكوين ٦ : ٢] .
(٤) [هوشع ١١ : ١] .
(٥) [هوشع ١ : ١٠] .
(٦) [لوقا ٢٠ : ٣٦] .
(٧) [رومية ٨ : ١٤] .
(٨) [متى ٥ : ٩] .

وقد جاء بالكتاب المشار إليه كثير من النصوص التي اخترنا بعضها قصداً للايجاز ، ومن أراد مزيداً فإنا نحيله إليه .[1] .

وقد جاء بقاموس الكتاب المقدس أن ذلك مما يطلق على الملائكة أيضاً واستدل على ذلك بعدد من النصوص نأخذ منها واحداً وهو :

« وكان ذات يوم أنه جاء بنوا الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم »[2] والمقصود : هم الملائكة الذين جاء الشيطان في وسطهم .

ومن الواضح أن استعمال لفظ «ابن الله» أو «أبناء الله» ليس استعمالاً يراد به أن لله أبناء هم أولاده ، وإنما هو «استعمال مجازي معناه التكريم والطاعة . ونظيره إطلاق الأناجيل على العصاة أنهم أبناء الشيطان[3] مع أنهم أبناء آدم - والغرض من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء »[4] .

وهذا الاستعمال المجازي ليس غريباً على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فقد جاء فيه :

« أن بولس نفسه استعمل هذا التركيب (ابني الحبيب) استعمالاً مجازياً في رسالة كورنثوس الأولى قال بولس عن تيموثاوس :

لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب مع أنه ليس ابنه[5] .

وفي الإنجيل الرابع الذي هو موضوع بحثنا نص وصف فيه المؤمنون بأنهم أولاد الله بمعنى :

« وأما كل الذي قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة رجل بل من الله »[6] .

فولادتهم الجسدية لا مكابرة فيها رغم هذا التعبير . ولعل مقصود المؤلف أن هؤلاء

---

(١) عبد الله العلمي : سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس . ص ٨٩ الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

(٢) [أيوب ١ : ٦] راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٩ مادة «أبناء الله» .

(٣) « ابن ابليس » [أعمال الرسل ١٣ : ١٠] وراجع عبد الله العلمي : سلاسل المناظرة ص ٩٤ .

(٤) محمد عزت الطهطاوي : النصرانية والإسلام ص ٤٠ .

(٥) المرجع السابق ص ٤١ والنص من [اكورنثوس ٤ : ١٧] .

(٦) [١ : ١٢ - ١٣] .

المؤمنين ولدوا مؤمنين في مشيئة الله من قبل الولادة الجسدية ، وهم وإن كانوا قد ولدوا بالجسد والدم من آباء إلا أن علاقاتهم بالله أقوى . وهذا هو السبب في أنهم منحو «سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» .

فهل ذلك هو المقصود في وصف المسيح بأنه ابن الله على نحو أفضل لأنه له منزلة الرسول ؟ ؟ أم المراد أنه «ابن الله» بمعنى آخر . حال القوم يدل على أن : «بنوة المسيح لله» بنوة خاصة لأنه الابن الوحيد المنبثق من الآب قبل كل الدهور ، إله من إله ، حسب قانون الإيمان الذي صدر عن مجمع نيقية (٣٢٥) ذلك القانون الذي دعا إلى عبادة المسيح إلهًا مع الله لأنه منه . وكان ذلك لأول مرة في تاريخ المجامع . في مقابلة القائلين بنفي ألوهية المسيح وهم آريوس وأتباعه من الموحدين .

والبنوة من ذلك اليوم تفسر بهذا المعنى .

الفرق بين أبوة الله لعيسى وغيره في رأيهم :

بنوة عيسى لله لأنه منه إله من إله ، وأما المؤمنون فلهم قدر من آثار البنوة من الحب والحنو .... إلخ التي يسبغها الآباء عادة على الأبناء كل على قدر إيمانه لأن ، الإيمان هو السبب ، ولا وجه لها غير ذلك .

يقول الأب ليف جيلليه :

« إن الإبن الوحيد للآب – يسوع – وهو ابن بالبنوة الطبيعية ، وليس مثلنا بالتبني جاء ليصلب ويخلص أخوته بالتبني »(١) .

إلى أن يقول :

« يجب على أيضًا في كل مرة أنطق بهذه الكلمة – أبانا – أن أتأمل ، وقلبي ينبض بالعرفان بالجميل أني أنطق بها مع الابن الوحيد يسوع المسيح . الله هو «أبونا» أبو يسوع المسيح وأبونا نحن ، وذلك بمعان مختلفة . ولكن يالعظم لطف الله . الذي سمح بفضل نعمة التبني التي حصلنا عليها أن نلتحق – بنوع ما – بابنه المحبوب وأن ندعوه « أخانا »(٢) .

---

(١) ليف جيلليه – أبانا – ص ٩ دار مجلة مرقس .

(٢) المرجع السابق . ص ١٢ .

ويقول الأب متى المسكين :

« المسيح ابن الله بالطبيعة فهو لم يحسب اختلاسًا أن يكون معادلاً لله . أما نحن فبنوتنا للآب بالنعمة هي حالة تبني »[1] .

البنوة الطبيعية تستلزم المغايرة بين ذات الآب وذات الابن :

وإذا كان قولهم بأن البنوة طبيعية أو حقيقية فذلك يعني أن الإبن غير الآب ، وأن الآب غير الإبن ، وأن ذات الإبن روعي في اطلاق لقب الإبن عليها النسبة إلى ذات أخرى هي ذات الآب ، وأن هناك وجودًا لذات حقيقية ثانية مغايرة للذات الحقيقية الأولى عبر عن النسبة بينهما بالأبوة والبنوة . ولذلك يقولون بالمساواة بينهما في الطبيعة الإلهية . ويعنون بالمساواة أن كل من المساوي والمساوى له إله كامل . وهذا هو المقصود بنص قانون الإيمان الصادر عن مجمع نيقية (٣٢٥م) الذي جاء به في التعريف بشخص يسوع المسيح . والله آلاب ما يلي :

١ - « نؤمن بإله واحد آب ضابط كلاً ، خالق كل الأشياء ما يرى وما لايرى » .

٢ - « وبرب واحد يسوع المسيح المولود من الآب ، المولود الوحيد أي من جوهر الآب إله من إله . نور من نور . إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق ، مساو للآب في الجوهر .... إلخ »[2] .

وهذه المساواة في الجوهر تعني وجود طرفين كل منهما مساو لذات الآخر . وكما نص قانون الإيمان على هذه المساواة بين الآب والإبن في جوهر الذات دلت أقوال أتباع الإنجيل الرابع عليها .

قال الدكتور باركلي : « إن يسوع يضع نفسه على قدم المساواة مع الجلال الإلهي »[3] .

وقال الدكتور وليم إدي في تفسيره في معرض تعليقه على نص الإنجيل الرابع الذي جاء به على لسان المسيح في محاورته مع اليهود بسبب شفاء مقعد حسدًا من

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) أميل زكي وآخرين : إيماني الإنجيلي . ص ٣٢ . نشر دار الثقافة المسيحية بالقاهرة .

(٣) باركلي : تفسير العهد الجديد بشرح بشارة يوحنا جـ ١ ص ٢٧٦ .

قوله : « أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل »[1] قال وليم إدي :

« لم يقتصر المسيح علي أن يبين حقه في الإبراء بناء على مشابهته فيه الأب بل زاد على ذلك بيان مساواته له وأنه رب السبت كأبيه . وكما صرح المسيح بمساواته للأب هنا صرح بها في مواضع كثيرة من هذا الإصحاح . مثل عمله الأعمال التي يعملها الأب بعينها [2] وأنه عالم بكل ما يقضي به الأب [3] وأنه يحيي الأموات أجساداً وأرواحاً كما فعل الأب [4] وأنه ديان العالمين عن الأب [5] وأنه مستحق الإكرام الذي يستحقه الأب [6] . وأنه واضع الشريعة وواهب الحياة الأبدية للمؤمنين [7] . وأن دعواه ثبتت بشهادة الله والبشر [8] . أ . هـ .

والبنوة الطبيعية والمساواة الحقيقية تقتضيان وجود ذاتين .

١ - أب مساو .   ٢ - ابن مساو له .

فإذا كان (الأب إله) يكون الابن (إله من إله) ولا عجب إذن عندهم من أن يكون الإبن إلهاً مساوياً لله لأن الله أبوه الذي ولده .

ونقل الاستاذ محمد مجدي مرجان المسيحي الذي كان يعد ليكون قسيساً فأسلم . نقل في كتابه «الله واحد أم ثالوث» عن القس بولس إلياس من كتابه «يسوع المسيح» مبرراً عقيدة الثالوث ما نصه :

« من الناس من يقولون : لِمَ ياترى إله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ ؟ أو ليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدرة الله ؟ أو ليس من الأفضل أن يقال الله واحد وحسب ؟

ويرد على نفسه قائلاً ... لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث وكنه الله محبة ، ولايمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيداً ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله . والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان ، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب هبة تكون فيها سعادتهما فليكون الله سعيداً ، كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، ويكون بالتالي صورة ناطقة له .

---

(١) [٥ : ١٧].   (٢) [٥ : ١٩].
(٣) [٥ : ٢٠].   (٤) [٥ : ٢١، ٢٨].
(٥) [٥ : ٢٢].   (٦) [٥ : ٢٣].
(٧) [٥ : ٢٤].
(٨) وليم إدي : الكنز الجليل في تفسير الإنجيل : شرح إنجيل يوحنا . ص ٧٨ .

ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته ، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والإبن كانت الروح القدس [1] ثم عقب بقوله [2] :

« إن القس بولس في محاولته تبرير عقيدة الثالوث يأتي برأي عجيب ، إنه يقرر نظراً لاحتياج الله إلى شخص آخر من جنسه الإلهي يبثه حبه ، ويجد فيه سعادته ، فقد ولد الله الأب ابنًا وهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، ولم يقل لنا القس كيف ولد الأب الابن . هل ولده من ذاته أم ولده من زوجة له ؟

« وما هي الرغبات التي وجدها الأب في الابن ، ثم هذه الثمرة التي تولدت من العلاقة بين أقنومي الأب والابن ، وهي الروح القدس . من هو والدها ، ومن هي والدتها .

« وبنفس الرأي تقريبًا يقرر القس توفيق جيد [3] فيقول : إن الوحدانية دون الثالوث تجعل الله في الأزل بدون موضوع للمحبة ، فالواحد من كل وجه لايقدر أن يحب غير نفسه ، وبعبارة أخرى بدون الثالوث أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومي لايبقى لله في أزليته سوى ذاته ليحبها ، وتنزيهاً لله عن محبة الذات ، فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهي نحو الأقنوم الآخر ... » .

ويستخلص القس بولس إلياس من واقع رأيه ورأي القس توفيق جيد نظريته القائلة « ليس الله إذن كائنًا تائهًا في الفضاء ، منعزلاً في السماء لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة ، وتفيض منها على الكون براءته ، وهكذا يمكننا أن نقول إنّ كنه الله يفرض فيه التثليث .

إن العائلة المسيحية في نظر المسيحي صورة مصغرة للعائلة الإلهية المثلثة الأقانيم فيهب المسيحي ذاته شريكة حياته هبة تامة ، وتبادله هذه المحبة التي تأتي ثمرتها الولد الذي يكون صورة لكليهما ، ورابطًا يوطد بينهما أواصر الألفة والوفاق .... » .

---

(١) ، (٢) محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث . ص ١٧ .

(٣) توفيق جيد : سر الأزل . ص ١٧ .

ثم يقول الأستاذ محمد مرجان : ومفاد نظرية القس بولس إلياس التي يجاريه فيها قليلاً القس توفيق جيد : أن الله عبارة عن عائلة تتكون من ثلاثة أعضاء ، أو ثلاثة كائنات وكل كائن منها غير الآخر ، وكل عضو فيها مستقل عن الآخر . ولكن بين أعضاء هذه الأسرة الإلهية علاقات وأواصر متينة ، ظاهرة وخفية ، عاطفية وحسية أيضاً ، وقد نتج عن العلاقة بين أقنومي الأب والابن ثمرة هي أقنوم الروح القدس [١] .

وهذه الأسرة الأقنومية يتميز أفرادها الذين يتبادلون الحب ، فالأب غير الابن وكلاهما غير الروح القدس ، وهذه المغايرة طبيعية حقيقية وإلا فلا فائدة من الإصرار على التثليث والتمسك بأفراده الثلاثة ، لو كانت الأقانيم الثلاثة أسماء لمسمى واحد لما حدث التغاير بالنسبة . فالأول أب والد ، والثاني ابن مولود ... والثالث ثمرة محبة الأب الوالد للابن الوحيد .

والقول بالوحدة يعتبر مجازاً لا حقيقة له ، وهو تعبير يقصد به أن المحب والمحبوب عبارة عن ذات واحدة وشخص واحد . وذلك حين يقول الابن « أنا والأب واحد » [٢] وذلك لما بينهما من المحبة الوطيدة .

فإن كانت المغايرة حقيقية تصح التفرقة بين ذات الأب وبين ذات الإبن كما تقتضي النسبة ، فإن الاتحاد مجاز عن المحبة الفائقة .

وهو ما يفهم من تعبيرات مفسري العهد الجديد وعلماء الكتاب المعتمدين . قال الدكتور وليم باركلي في معرض تفسيره لعبارة :

« أنا والأب واحد » [٣] قال :

« هناك أكثر من تأويل تقدم به مفسرون عديدون .

فالبعض قال : إن تلك الكلمة مرتبطة بما سبقها من حديث ، هنا يتحدث «يسوع» عن الرغبة والاختيار والرعاية والقدرة والمعجزية ، والقطيع الآمن وكأني به يقول لهم :

« أنا والأب واحد في القيام بكل هذه الأعمال » أ ي أن الوحدة هنا وحدة عمل واتجاه ، وقدرة ، وبمعنى آخر ، أنه يشترك مع الله الأب في كل هذه المهام الجوهرية في اتمام الخلاص ، وتكميل المفديين ...

---

(١) محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث : ص ١٩ .

(٢، ٣) [يوحنا ١٠ : ٣٠] .

وهناك اتجاه آخر لبعض المفسرين ، يستندون فيه إلى ما نادى به يسوع في صلاته الشفاعية قبل صلبه :

« أيها الأب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن »[1] هنا كما يقولون ، نرى السيد يقرن وحدته مع الأب برباط الوحدة الذي يربط المؤمن بأخيه ... يكون المسيحيون واحداً - الواحد مع أخيه - كما أنه هو والأب واحد .

ومن هنا يصلون إلى القول ، بأن الوحدة التي نادى بها «يسوع» مع أبيه هي رباط المحبة الذي يربطه مع الأب ، كما قال : « إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته »[2] .

فيسوع واحد مع الأب ، يربطه به رباط المحبة ، كما يربطه به رباط الطاعة ... أي : أن هذه الوحدة ، وحدة شركة وصلة ومحبة ، وليست وحدة طبيعة وذات وجوهر»[3] .

فالرأي الأول : يرى أن الوحدة وحدة في بعض الأعمال كالخلاص ، وفي بعض الصفات كالقدرة .

والرأي الثاني : يرى أن الوحدة يقصد بها رباط المحبة الذي يربط الابن بالأب .

ويتفق الرأيان على أن هذه الوحدة ليست وحدة طبيعة أو ذات أو جوهر .

وهناك رأي ثالث تقدم به المعرب الذي قام بترجمة تفسير الدكتور وليم باركلي المشار إليه ، وهو الدكتور عزت زكي تأييداً لما ذهب إليه متى هنري ، فقال عن الابن «يسوع» :

« إنه واحد مع الأب في القدرة والمشيئة ، والجوهر أيضاً »[4] .

وهذه الوحدة التي ذهب إليها من يقول بالرأي الثالث . تعني وحدة الذات والقدرة والإرادة لكائن واحد . وهذا لايمكن قبوله في ظل النسبة .

فإذا كانت الذات واحدة فمعنى الوحدة أن يسوع المسيح هو الله المتجسد .

وهنا لابد من التساؤل : كيف يقال إنه ابن طبيعي ، وإله من إله ؟ ؟ مَنْ أبوه الذي هو الإله الأول ؟ ؟ وإن كان هو هو فمن الإله الإبن ؟ ؟ وإذا كان هو الأب وهو الابن

---

(1) [يوحنا ١٧ : ١١] . (2) [يوحنا ١٥ : ٩ - ١٠] .

(3) وليم باركلي تفسير العهد الجديد . شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ ص ١٥١ .

(4) المرجع السابق . ص : ١٥٣ .

فالتسمية مجازية لاحقيقة تحتها . وبذلك ينهار القول بالأقانيم وتصبح أسماءً لمسمى واحد ، وألقاباً لذات واحدة .

ونحن لانذهب في الرد على الرأي الثالث القائل بوحدة الذات ، وما يستتبعها وكذلك في الرد على الرأي الأول القائل بالمساواة والوحدة في بعض الصفات .

لانذهب إلى أكثر من النص الذي جاءت به العبارة المذكورة « أنا والأب واحد » التي حاولوا تأوليها على النحو الذي أسلفنا بما وضح من قولهم .

هذه العبارة التي تسببت للقائلين بألوهية المسيح في كثير من « الشروحات اللاهوتية المتضاربة . التي ظلت مثار الجدل بين الطوائف المسيحية المختلفة ، ومثار حزازات ، ومتاعب . وهل يلزم أن يكون الباحث لاهوتياً حتى يصل إلى مضمون هذا الحق ؟ ؟ » على حد تعبير الدكتور وليم باركلي في تفسيره لها (١) .

فقد كان المسيح يتحدث عن المؤمنين به ، وعن غيرهم ، وكما يشبه نفسه بالراعي ويشبه المؤمنين به بالخراف . وأما غير المؤمنين فهم ليسوا من خرافه لأن خرافه تعرف صوته وتتبعه .

وخرافه التي تتبعه يعطيها حياة أبدية ، ولاتهلك . ولايستطيع أحد أن يخطفها من يده ، لأن أباه الذي أعطاه إياها يحميها ويحميه من خطف الشيطان ، وهذا الأب المالك هو الله أعظم من الكل ، ولايستطيع أحد أن يخطف من يده لأنه هو وأبوه واحد ، وهاك النص :

« خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني ، وأنا أعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك إلى الأبد ولايخطفها أحد من يدي ، أبي الذي أعطاني إيَّاها هو أعظم من الكل ، ولايقدر أحد أن يخطف من يد أبي ، أنا والأب واحد » (٢) .

فقد جاء بهذا النص قوله « أبي الذي أعطاني إياها » فالفعل : أعطى : له فاعل وهب . وله مفعول أخذ وتقبل . وكلاهما مغاير للآخر مثل المغايرة بينهما وبين المفعول الثاني ، وهو المعطي بمعنى العطية المأخوذة .

الفاعل هو الأب ذاته ، خلق المؤمنين ، ووهبهم الإيمان ، وهداهم إليه ، والمسيح هو الذي أخذ العطية ، وقام على شئونها ورعايتها كما يفعل الراعي الصالح بخراف سيده والتي يسلمها إليه .

---

(١) المرجع السابق . ص : ١٥١ .　(٢) [يوحنا ١٠ : ٢٧ – ٣٠] .

الأول هو المالك الخالق هو الله الأب . والثاني هو المسيح الأجير الصالح . وكما أن هناك يقظة من الراعي المجتهد في عمله في رعي خرافه ، والسهر على حراستها ، فهناك عناية من سيده المالك به وبخرافه ، ولايستطيع أحد أن يخطف من يد الراعي لأن سيده المالك يحميه ويحميها ، وهو أعظم من الكل ... والذي يتمتع بحماية الراعي هو في نفس الوقت يتمتع بحماية المالك . وعلى هذا يحمل القول بوحدة الراعي والمالك أي : وحدة الحماية والعناية والرعاية . ويجوز للراعي أن يقول لخرافه أنا والمالك واحد. اي في الاهتمام بالحماية وهذا هو ما يحمل عليه معنى الوحدة في قول المسيح « أنا والأب واحد » وكما أن هناك مغايرة بين الراعي الأجير وسيده المالك ، هناك أيضاً مغايرة بين المسيح الرسول البشر المخلوق والله الأب المعطي الخالق .

قال الدكتور وليم باركلي في تفسيره لهذا النص . (أبي الذي أعطاني ....) [1] .

« إن ثقة يسوع » كانت بهذا العمق ، حتى أنها كانت ترجع كل الأمور إلى الله . فنحن نسمعه الآن يتحدث عن خرافه وعن رعيته ، وها قد انتهى على التوّ من حديثه عن الأمان الذي تتمتع به رعيته ، وعن الامتيازات التي لها ، في كونها تحت رعايته فلن يخطفها أحد من يده ولن ينتصر عليها الموت إلى الأبد .

وقد يبدو للناظر لأول وهلة أن « يسوع » يضع ثقته في حكمته الذاتية ، أو في مقدرته الشخصية . ولذلك نراه يرجع كل شيء إلى قوة الله وحكمته .

« أبي الذي أعطاني هذه الرعية . وأبي هو الذي يحفظها » إن يسوع إذا كان يضع ثقته في مقدرته الذاتية ، فما ذلك إلا لأنه يضع ثقته في الأب ومقدرته .

إن موقف يسوع من الحياة ليس موقف الثقة الشخصية ، بل موقف الثقة بالأمان ، والنصرة الأكيدة ، ليس لأنه كان يضع ثقته في قوته الذاتية وحدها ، بل لأنه كان يضع ثقته في قواه الذاتية المؤيدة بقوة الله . أ . هـ [2] .

وكأني به يقول لخرافه كما قال موسى لقومه « إن معي ربي سيهدين » [3] ، وقد كان في هذا الهدى حماية وأي حماية .

---

(١) [يوحنا ١٠ : ٢٩ - ٣٠] .

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٥٠ .

(٣) القرآن سورة الشعراء آية [٦٢] .

واختلاف نسبة الحدث كما أسلفنا يوجب المغايرة بين الأب المعطي ، والابن الآخذ . والقول بوحدة الأب والابن كناية عن المحبة الوطيدة بينهما . كما ذهب إلى ذلك من قال بالرأي الثاني من الآراء الثلاثة التي قدمناها .

وإذا ثبتت المغايرة بين ذات الله الأب ، وبين ذات الإبن يسوع المسيح . ارتفعت الوحدة من أن تكون حقيقة وأصبحت مجازاً وكناية .

ويبقى لنا بعد ذلك أن نستفسر عن معنى هذه الأبوة الإلهية . وهل لله تعالى ابن واحد هو يسوع المسيح ؟ ؟ أم أن له أبناء غيره . والواضح أن له غيره بحسب النصوص التي قدمناها ونزيد عليها قوله « لاتدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السماوات » [١] .

ومثله قوله لمريم المجدلية « اذهبي إلى إخوتي ، وقولي لهم : إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم » [٢] .

فليس للمسيح إذن بنوة خاصة كما يدعون . فإن كان التخصص لأنه لا أب له فآدم أولى لأنه بدون أب ، وبدون أم ، وهو ابن الله في نص لوقا [٣] .

وإن كانت خصوصيته لأنه الابن الوحيد ، فذلك مغالطة لأن لله أبناء وبنات وأولاد في نصوص الكتاب المقدس ، وهذه البنوة يتنازعها معه كثير ، ويكفيه نزاع بني اسرائيل .

وربما كان وجود هذه النصوص التي تجعل لله أولاداً بهذه الكثرة هي السبب في توقف اطلاق لفظ «الابن» على المسيح في الدائرة الصحيحة وهي المحدودة بالحب والإخلاص ، التي يشاركه في الاندراج تحت معناها هؤلاء الأولاد بمعنى «الأحباء» أو «المطيعين لله» أو «المتقين لله المؤمنين به» .

وهذا اللفظ ظل داخل دائرته الصحيحة حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي [٤] .

فقد كان المؤمنون المسيحيون يتوقفون عن القول : بأن البنوة تعني : أنه مساو لله ، وأنه إله من إله ، وأنه مولود غير مخلوق ..... إلخ .

---

(١) [متى ٢٣ : ٩] .
(٢) يوحنا [٢٠ : ١٧] .
(٣) [لوقا [٣ : ٣٨] .
(٤) أميل زكي وآخرين : إيماني الانجيلي . ص ٣١ .

إن العقلية الدينية يومذاك كانت تتمسك بتلك الكتب اليهودية التي كان المسيح يحث على التمسك بها ودراستها بقوله « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهي التي تشهد لي » (١) وذلك في إطار قوله « لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض ، بل لأكمل » (٢) .

فما دام قد جاء ليكمل الصرح الذي بناه من سبقه من الأنبياء بتلك الكتب التي يحث على دراستها وتفتيشها ، وهذه الكتب لاتجعل البنوة مقصورة عليه يستوي في ذلك اللاحق مع السابق . فإن مضمون هذه البنوة مهما علا فيها سهمه عن غيره أن يقدمه على غيره من اخوته دون أن يخرجه من دائرة المخلوق إلى رتبة الخالق .

مقارنة :

والذي يطالع قانون الإيمان الرسولي ، وهو يرجع في أصله إلى ما قبل مجمع نيقيه (٣٢٥م) ويقارنه بذلك القانون الذي صدر عن مجمع نيقية المذكور يرى صدق ما نذهب إليه .

ونص قانون الإيمان الرسولي :

« أومن بالله الآب الضابط الكل ، خالق السموات والأرض ، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا . الذي حبل به من الروح القدس وولد من مريم العذراء وتألم على عهد بيلاطس النبطي ، وصلب ، ومات ودفن . ونزل إلى الهاوية . وقام أيضًا في اليوم الثالث من بين الأموات . وصعد إلى السماء وهو جالس عن يمين الله الآب الضابط الكل ، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات .

وأؤمن بالروح القدس . وبالكنيسة المقدسة الجامعة ، وبشركة القديسين ، وبمغفرة الخطايا ، وبقيامة الأموات ، وبالحياة الأبدية .... آمين » (٣) .

وهذا القانون وصل إلى صورته هذه قبل القرن السادس بقليل . ذلك لأنه اكتسب بعض الكلمات من القوانين التي تلته . وذلك كما نص عليه الذين قدموا لهذا القانون في الكتاب الذي أشرنا إليه (٤) .

---

(١) [يوحنا ٥ : ٣٩] . (٢) [متى ٥ : ١٧]

(٣) ، (٤) أميل زكي وآخرين : إيماني الإنجيلي - ص ٣١ .

أما قانون الإيمان النيقوي الصادر عن مجمع نيقية سنة ٣٢٥م فنصه هكذا :

« نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل ، خالق كل الأشياء ما يرى وما لايرى ويرب واحد يسوع المسيح بن الله . المولود من الآب ، المولود الوحيد أي من جوهر الآب إله من إله نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر . الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد ، وصار إنساناً ، وتألم وقام أيضًا في اليوم الثالث ، وصعد إلى السماء ، وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات .

وبالروح القدس . أما الذين يقولون إنه كان زمان لم يوجد فيه ابن الله وأنه لم يكن له وجود قبل أن ولد ، وأنه خلق من العدم ، أو أنه من مادة أخرى أو جوهر آخر أو أن ابن الله مخلوق ، أو أنه قابل للتغير أو متغير فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية »(١) .

وأول ما نلاحظه على هذه النصوص التي يحتويها كل من القانون الأول والثاني في مجموعها أنها نصوص تعبر عن مؤلفيها . وليست بين ثنايا العهد الجديد . وأنها تعبر بذلك عن قصور الذين وضعوها لمعاني الألفاظ التي نص عليها . ويهمنا منها هنا الآب والابن .

فالآب :

في القانون الرسولي	وفي القانون النيقوي
الله	إله واحد
الآب	أب
الضابط الكل	خالق كل شيء ، ما يرى وما لايرى

---

(١) إميل زكي وآخرين : إيماني الانجيلي . ص ٣٢ .

أما يسوع المسيح :

وهو في النيقوي	فهو في الرسولي
ابن الله المولود الوحيد من الأب .	ابن الأب الوحيد
من جوهر الأب . إله من إله .	ربنا
مولود غير مخلوق .	حبل به من الروح القدس
مساو للأب في الجوهر .	وولد من مريم العذراء
به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض.	تألم على عهد بيلاطس
من أجلنا نحن البشر . من أجل خلاصنا نزل .	وصلب ومات ودفن
وتجسد وصار إنساناً ، وتألم ، وقام في اليوم الثالث .	نزل إلى الهاوية ، وقام في اليوم الثالث .
وصعد إلى السماء .	صعد إلى المساء ، وجلس عن يمين الأب .
وسيأتي ليدين .	يأتي ليدين .
لم يكن زمان قبل وجوده .	
كان موجوداً . قبل أن يولد .	
لم يخلق من العدم ، ولا من مادة أخرى ولا من جوهر آخر .	
ليس مخلوقاً ، ولامتغيراً ، ولايقبل التغيير.	

وإنما سقنا ذلك لنرى مقدار التطور الذي أصاب مفهوم البنوة . فقد كان مفهومها حسب قانون الإيمان الرسولي تغلب عليه الصورة البشرية الإنسانية بل تكاد أن تكون هي الصورة الوحيدة من الاحتفاظ له بانفراده في البنوة التي يعني بها تفرده بين الأبناء بالمنزلة الأفضل كأنما هو ابن وحيد .

وعكس ذلك نجده في صورة قانون نيقية الذي قفز بمفهوم البنوة قفزة هائلة قاربت ما بين الإبن والأب فنصت على أنه :

١ – من جوهر الأب .   ٢ – إله حق من إله حق .

٣ – مولود غير مخلوق .　　　　٤ – مساو للأب في الجوهر .

٥ – أن به كل شيء كان في السماء　٦ – أن وجوده غير مسبوق بزمن ولا بمادة ولا بعدم .

أي أنه أزلي قديم لم يتغير ، ولايقبل التغيير .

قال ابن قيم الجوزية مؤلف كتاب : « هداية الحيارى » :

« وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح ، وإن أوهتمهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه ، فإن المسيح قال لهم : (إن الله ربي وربكم ، وإلهي وإلهكم) فشهد على نفسه أنه عبد الله مربوب مصنوع كما أنهم كذلك ، وأنه مثلهم في العبودية والحاجة والفاقة إلى الله .... » [1] . ونعود إلى القانون النيقوي فنقول :

إن هذه الفقرة بمفهوم البنوة إنما استساغها القائلون بألوهية المسيح في مقابلة القائلين ببشريته وهم أريوس وأتباعه من الموحدين .

وقد كان عدد المثلثين نحو ثلاثمائة في مقابل غير المثلثين وهم حوالي ألف وسبعمائة من القساوسة الذين بدأ اجتماعهم في أول مؤتمر مجمع نيقية كما أسلفنا وكانوا كثرة في مقابل القلة المثلثة . ولولا اختلاف غير المثلثين فيما بينهم لتغير وجه المسيحية ومسارها من ذلك اليوم .

وقد كان التوقف عن قبول معنى «البنوة» الطبيعية هو سمة المسيحيين الذين يتمسكون بكتب العهد القديم . ولم يكن هناك ما هو أدنى من التوقف إذا ما قورن بالمجاهرة بأن الإبن مخلوق ، ليس إلـهًا ، ولا من جوهر الإله ، ولا مساوياً لله .

ولم يكن التوقف سمة العوام من المسيحيين ، بل كان مذهب المفكرين الذين حازوا شهرة في تاريخ الفكر المسيحي . وقد كان التوقف عن قبول المعنى الطبيعي الحسي يقترن أحيانًا بتفويض المعنى المراد إلى الله ، وأحيانًا يصحب بتفسير البنوة بمعنى قرب المنزلة ، وعلو الدرجة ..

ومن الذين ذهبوا إلى هذا الرأي «أوريجينوس» [2] الفيلسوف المسيحي الشهير . وفي معرض الإجابة عن سؤال :

---

(١) محمد ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . ص ١٤٥ .

(٢) أورجينوس المسيحي : فيلسوف مسيحي عاش في القرنين الثاني والثالث الميلاديين (١٨٥ ، ٢٥٤م) .

« ما معنى بنوة المسيح لله ، وأبوة الله له ؟؟ » يتحدث الدكتور : محمد البهي في كتاب له عن «أوريجينوس» قائلاً :

«أوريجينس» – وهو زعيم الاتجاه العقلي في العقيدة – لم يقف عن التفسير ويفوض المعنى في ذلك إلى الله شأن المفوضين من علماء الدين ، لأن التفويض يؤول إلى التحرج والابتعاد «عن التأويل» .

كما يذهب إلى الشرح الحسي ، لأن هذا الشرح – وهو عبارة عن الأخذ بما تبادر إلى الذهن من العبارة واللفظ – ليس تأويلاً ، ولا عملاً عقلياً عميقاً .

ولذلك عندما تناول «ابن الله» بالشرح ، حمل بنوة المسيح له وأبوة الله للمسيح على المعنى المجازي ، وهو قرب المنزلة . ومعنى أن المسيح ابن الله حينئذ أنه قريب من الله في الدرجة والمنزلة . وأن منزلته تلي في الوجود منزلة الله ، وهذا المعنى مما تحتمله اللغة ، وورد به الاستعمال اللغوي ، فالبنوة والأبوة كما تحمل على المعنى الحقيقي – وهو المتبادر من اللفظ – تحمل على معنى آخر ثانوي ، كهذا المعنى غير المتبادر منه الذي يسمى في العرف اللغوي معنى مجازيًا»[1] .

ولايفوتنا قبل أن ننتقل إلى مناقشة النصوص التي يتمسك بها القائلون بألوهية المسيح من هذا الانجيل لايفوتنا أن نقول :

إن إرادة الله الأب أن يكون له ولد ينبثق منه ، أو يولد منه ، أو يخرج من عنده ، أو يكون مخلوقاً بالصورة التي يرسمها مؤلف الانجيل الرابع أو غيره ، تعد نقيصة في حق الله الأب الغني الذي ليس بمحتاج وهذا فضلاً عما تستتبعه ألفاظ الانبثاق ، والتوالد والبنوة والأبوة ، من خواطر الاحتياج إلى صاحبة تشاركه حياته . وذلك نقص في حق الإله الأب .

كما أن البنوة على أي معنى من المعاني التي سبق ذكرها تستلزم أن يكون الابن حادثًا . لأنه لابد أن يكون وجوده مسبوقًا بوجوب الأب الذي انبثق من ذاته ، فيكون الأب الذي لم يسبق وجوده بعدم هو القديم الذي لا أول لوجوده ، ويكون الابن حادثًا لأنه لم يكن موجودًا قبل أن يولد ، سواء كان مولودًا أو كان مخلوقًا .

---

(١) الدكتور محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي . ص ١٠٤ . نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٧م .

ولا مناص من الإقرار بأن البنوة مجازية حتى يثبت بالدليل القاطع أنها بنوة طبيعية .

كما أن الأصل في المسيح الذي عرف باسم يسوع أنه كان بشرًا رسولاً ، ولم يكن إلهًا بشريًا ، لأنه كان يشارك الناس في ضرورات الحياة واحتياجاتها ، وأن القول بأنه «هو الله المتجسد» أو «ابن الله المتجسد» دعوى في حاجة إلى دليل إثبات ، وتخضع للنفي بالدليل كأي دعوى ، وسوف ننظر في تلك الدعوى بما تحوي من أدلة تنهض بإثباتها ، أو لاتنهض ، ولن نحيد عن الحق . والله المستعان .

مناقشة:

هل أصاب المؤلف اللاهوتي في محاولة تأليه المسيح ؟ ؟ أم لا ؟ ؟

ونتناول الآن القسم الأول من النصوص . وهي النصوص التي تتحدث عن ذات الإله الذي نزل من السماء وتجسد وسأورد النص وأعلق عليه بالتحليل والنقد :

نصوص الذات

النص الأول : « هو الله » :

« كان الكلمة الله »[1] هذا جزء من فقرة يقول نصها :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله» ونصرف النظر مؤقتًا عن وجه وصف «الله» بأنه «الكلمة» في هذا النص . ومن أين جاء به المؤلف اللاهوتي فلذلك موضعه من البحث في الفصل التالي إن شاء الله .

قوله « في البدء كان » يقصد به الوجود القديم للكلمة الأزلي الذي هو الله الكلمة.

لكن قوله « الكلمة كان عند الله » يتعارض مع قوله « كان الكلمة الله » فهذه العندية تقتضي وجود شيء وحصوله عند شيء آخر . فقولك الكتاب عند الاستاذ مثلاً يقتضي وجود الكتاب عنده ، وكلاهما غير الآخر ، ولايقبل عقلاً أن يكون أحدهما عين الآخر .

فكيف تكون الكلمة عنده – ثم تكون هي ذاته ؟ ؟ ؟

وهذا كلام المؤلف ابتداء من عنده ، فهو يدعي أن وجود «الكلمة» أزلي وأن الكلمة هو الله ، وأنه – أي الله الكلمة – كان عند الله .

---

(١) [١ : ١] .

وفي تناقض ذلك ما لامزيد عليه . يقول ابن تيمية :

« إن الخالق إما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام أو الكلام الذي هو صفة الذات فإن كان هو الكلام ، فالكلام صفة لاتكون ذاتًا قائمة بنفسها خالقة ، ولو لم تتحد بالناسوت ، واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكنًا ، فكيف وهو ممتنع ؟

.. .. .. وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام ، فذاك هو الله الخالق لكل شيء رب العالمين ، وعندهم هو الأب ، والمسيح عندهم ليس هو الأب فلايكون هو الخالق لكل شيء »(١) .

النص الثاني :

تجسد الله وحلوله :

« والكلمة صار جسدًا ، وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الأب مملوءًا نعمة وحقًا »(٢) . وهذا النص من المؤلف اللاهوتي يؤسس به لما أورده بعد ذلك على لسان المسيح من قوله بحلول الله الأب فيه «الأب الحال في»(٣) وأنه وقت تجسده على الأرض كان موجودًا في السماء وقت التجسد في حياة يسوع المسيح .

ولنا هنا مع التجسد وقفة تاريخية من زاويتين :

الأولى : أن القول بالتجسد كان ردًا على القائلين بأن المسيح كان روحًا شفافًا ولم يكن ذا جسد ملموس وهم الدوسيتيون .

الثانية : أن تجسد الله وحلوله في جسد المسيح دعوى تفرد بها يوحنا بين كتاب ومؤلفي العهد الجديد ، بل إن لفظ «تجسد» لم يستخدمه أحد ممن جاء بعده قبل نهاية القرن الثاني الميلادي تقريبًا . فإن « إيريناوس » هو أول من استعمل لفظ «تجسد» وقد تناوله من بعده الآباء المدافعون ، وجرت على أقلامهم في كثرة(٤) .

ولايخفى أنه تفرد بذلك نزولاً على رغبة الذين طلبوا منه أن يجعل المسيح إلهًا .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . ص ٢٩١ جـ ١ . مطبعة المدني بالقاهرة .

(٢) [يوحنا ١ : ١٤] . (٣) [١٤ : ١٠] .

(٤) الأب فرنسيس فرييه : التجسد . ص ٢٣ . منشورات المعهد بالمعادي سنة ١٩٦٢ .

إن لفظ « صـار » فعل يفيد التحول والانتقال من حال إلى حال ، وهذا اللفظ بمعناه العربي ليس مقصوداً ، وربما خان التوفيق المُعَرِبْ ، فإن اللفظ الأوْلَى للمعنى المقصود « اتخذ » أو « الكملة تجسد » وقد سبق لنا أن قلنا أن المراد بالتجسد هو : حلول واتحاد الله المسمى كلمة في هذا الإنجيل بجسد يسوع المسيح دون أن يفقد ألوهيته .

أم الإله : ومعنى التجسد أن الله تجسد في رحم مريم من أول لحظة في بداية الحمل به ، ثم ولد وعاش ، ولم يفارق الله – اللاهوت – جسد يسوع المسيح أي الناسوت لحظة واحدة حتى موته . ومن هنا يصح عندهم أن تدعى مريم «والدة الإله» .

وقد كانت تسمية مريم « أم الله » أو « والدة الله » هي سبب انشقاق نسطور [١] (٤٣١م) وأتباعه الذين كان يشرح لهم مذهبه قائلاً :

« إن مريم لم تلد إلهًا ، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً ، وما يولد من الروح هو روح ، إن الخليقة لم تلد الخالق ، بل ولدت إنساناً هو « آلة اللاهوت » [٢] ولله دره ، وهو ينطق بالفطرة السليمة . مستشهداً من الإنجيل الرابع بهذا النص :

« المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » [٣] ونعود إلى القائلين بأن : الله هو ابن مريم لنسأل عن المولود .

كيف التقى اللاهوت بالناسوت ؟ ؟ ومَن كان المسيح ؟ ؟ هل اختلط فيه اللاهوت بالناسوت ؟ ؟ أم لم يحدث اختلاط فكان ذا طبيعتين ؟ ؟

من المستحيل بداهة أن الجسد المحدود يحوي ذات الله تعالي لأن ذات الإله إذا تجسدت كانت متحيزة محدودة بحدود الجسد الذي تحل فيه . وذلك يعني النقص بالنسبة لذات الله .

وأما من ناحية شخص المسيح فقد زعموا أنه عبارة عن إله كامل وإنسان كامل فهو إله وإنسان معاً . ولا دليل على هذه الدعوى غير أقوال الإنجيل الرابع .

---

(١) بطريرك القسطنطينية سنة ٤٣٠ سوري الأصل . أصدر مجمع أفسس سنة ٤٣١ قراراً بلعنه وعزله ونفيه إلى صعيد مصر بسبب معارضته في تسمية مريم أم الإله . استمر أتباعه من بعده ، وكانت لهم مدارس في الرها ونصيبين وفارس ، ولايزالون إلى اليوم موجودين ، ولهم كنائس على مذهب نسطور .

(٢) زكي شنودة : تاريخ الأقباط . جـ ١ . ص ١٦٠ . (٣) [٣ : ٦] .

وأقوال الأنجيل الرابع في نظر من لايؤمن بها تعتبر أيضاً دعوى في حاجة إلى إثبات .. وهي كذلك أمام العقل .

فهذا الإنجيل كما أسلفنا في الباب الأول لاتصح نسبته إلي أي أحد من تلاميذ المسيح،وحتى لو سلمت النسبة جدلاً فإنا نذهب إلى ما هو أبعد،لنفرض أن إنسانًا بشرًا مخلوقًا قال بصريح اللفظ:أنا الله ، الله حال في ، وزعم ذلك ببعض الأعمال الخارقة أفيصدقه الناس ؟ ؟ . لأن المعجزات إنما جرى عرف المتدينين على اعتبارها أدلة على صدق دعوة الأنبياء إلى عبادة الله الذي أرسلهم .

ولم ينقل أن المسيح قال لهم : أنا ربكم وإلهكم ، بل قال «ربي ربكم وإلهي إلهكم» ولاتزال دعوى الإنجيل الرابع عارية عن الدليل ، ونحن نطالب أتباعه به ﴿ **هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ فالبشر بشر والإله إله .

إن الذي رآه الناس مثلهم كان بشرًا ، ولم يكن إلهًا . فالله ذاته مغايرة للذات الحادثة والذي رآه الناس بينهم كان بشرًا ذا جسد ، لم ير أحدهم ألوهيته وهي تتجسد، ولا مؤلف الإنجيل الرابع نفسه . والله منزه عن ذلك .

يقول آريوس [1] : « إن الابن ليس مساويًا للأب في الأزلية ، وليس من جوهره ، وقد كان الأب في الأصل وحيداً ، فأخرج الإبن من العدم بإرادته ، والأب لايمكن أن يراه أو يكيفه أحد ، ولا حتى الابن . لأن الذي له بداية لايعرف الأزلي ، والابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب » [2] .

فالأب لايمكن أن يراه أو يكيفه أحد ، ولا حتى الابن ، لأن الذي له بداية لايعرف الأزلي ، ومعنى اللاهوت المكتسب أنه : ليس إلهًا حقيقيًا ولا ابنًا حقيقيًا له وليس من جوهره ، ولا مساوياً له فهو مخلوق من عدم . أي أنه إنسان ، ومن أجل ذلك حُرم آريوس ولُعن في مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) .

روح واحدة أم اثنتان ؟ ؟ المعلوم أن الإنسان روح وجسد . وربما يقال بروح حيوانية مع الروح العاقلة الأولى أقل مرتبة منها .

والمسيح باعتباره إنسانًا كان جسداً وروحًا بالمعنى البشري الذي يشترك فيه مع

---

(١) ولد آريوس في ليبيا بالقيروان ٢٧٠م . وكان قسيسًا تابعًا للاسكندرية .

(٢) زكي شنودة : تاريخ الأقباط . جـ ١ . ص ١٥٤ .

غيره من بني آدم . فهل بقيت روحه العاقلة بجوار ذات الله التي يقولون بحلولها في جسده ؟ أم أن معنى « الكلمة صار جسداً » أن الله اتخذ جسداً بدون روح ؟ ؟

النص يقول : « صار جسداً » ولم يقل : « صار إنسانًا » ومعنى ذلك أنه أخذ جسداً بدون روح إنسانية وبدون روح حيوانية . أي بدون روح مطلقًا . ولايقال كيف تمكن الجسد من الحياة بدون روح ؟ لأن رب الحياة وواهبها سكن في هذا الجسد وكانت حياته به . وهذا القول قال به « أبوليناريوس » أسقف اللاذقية عام (٣٨٠م) فإنه ذهب إلى « أنه ليس للمسيح روح بشرية بل إن اللاهوت اتحد بجسد فقط ، وقام فيه مقام النفس البشرية ، وكان تعليله أن القديس يوحنا قال : «الكلمة صار جسداً» ولقد حرمه مجمع القسطنطينية المسكوني عام (٣٨١م) ورد عليه بأن المسيح جاء ليفدي الإنسان وليس الحيوان ، فالإنسان له جسد وروح ، وليس جسداً فقط مثل الحيوان [١]، مع أن المعنى الإنساني لو كان مقصوداً لقال : صار إنسانًا ، ولكنهم يتمسكون بذلك لكي يصح قولهم بالفداء ، فإنه لو كان جسداً لكان الفداء عامًا لكل إنسان وحيوان .

ولاندري كيف غفل المؤلف الفيلسوف عن هذا الفارق بين التعبيرين لكي يصح قولهم بالفداء بدلاً عن الإنسانية ، ولو كان ما يقولون من أنه كتب ملهمًا بالروح القدس لفطن لذلك . ولكن الرجل كتب للرد على منكري «حقيقة جسد المسيح» فغفل ونسي .

ثم ما معنى أن يكون جسد المسيح مشتملاً على « ذات الله الكاملة » بالإضافة إلى روح إنسانية عاقلة . هل اختلط اللاهوت بالناسوت ، وامتزج به كامتزاج الماء بالكحول فيكون المسيح إلهًا إنسانيًا هو غير الإله وحده ، وغير الإنسان وحده ، مثل الكحول لايمكن عادة فصل ما امتزج به من الماء . فلايمكن بعد الحلول أن ينفصل الإله عن الإنسان ؟ إن من يسلم بذلك عليه أن لا يجادل في الاعتراف بموت الله حين موت المسيح ، ويلزم ذلك القول بخلو العالم من إله من بعد موت المسيح . وربما كان تلك مما روعي في القول بقيامة المسيح بعد الصلب .

ومع أنهم لايقولون بالإستحالة وقت التجسد فإن منهم من ذهب إلي القول بالطبيعة الواحدة . وهم الأرثوذكس . فإن طبيعة اللاهوت التقت في المسيح بالطبيعة الناسوتية وكذلك التقت مشيئة الله بمشيئة المسيح . فهم لذلك يقولون بأنه بمجرد

---

(١) عقيدة التجسد . ص ١٠ – بيت الشماسة القبطي بالجيزة .

التجسد أصبح هناك (طبيعة واحدة لاهوتية ناسوتية بغير امتزاج ولا اختلاط)[1] .

وما دام الأمر كذلك فمن مات على الصليب ؟ ؟ يلزم الاعتراف بخلو العالم من الله ابتداء من موت المسيح إلى أن قام بزعمهم .

ونحن لانقول بذلك لأن الموت ليس فناء مطلقًا ، بل هو فصل للروح عن الجسد . ومع ذلك فمن تعاليم آبائهم التي يتمسك بها معاصرونا قول ترتليانوس :

« إن الله صلب حقًا ، ومات حقًا ، وقام حقًا »[2] .

والسؤال : أية قوة تستطيع أن تفعل ذلك بالله القوي القاهر العزيز ؟

وما الفائدة التي حققها لخلقه بهذا الموت الشنيع ؟ ؟

ذلك محال . ومن المحال أن تلتقي الطبيعة الإلهية الكاملة بالطبيعة الناقصة . حكمة الله مع جهل المخلوق ، وقوة الله مع ضعف المخلوق . اللهم هذا محال ، وقول في الحقيقة لايقال .

وإذا كان القول بطبيعتين التقتا دون امتزاج أو اختلاط ، فإن ذلك لايؤدي إلى القول بأنه نشأ منهما بعد اللقاء طبيعة واحدة . هي التي وقع عليها الصلب والموت بعد الإيذاء والإهانة . ولكنهم يقولون بعدم الامتزاج والاختلاط لعدم وجود تجانس بين اللاهوت والناسوت »[3] .

وإذا كان هذا الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ، ولاتغيير فهو عبارة عن اتحاد مركب من عناصر غير متجانسة مثل الباب الذي يتكون من حديد وخشب فلاينبغي أن يسمى اتحادًا تامًا .

ولكنهم يصرون على هذا النوع العجيب من الاتحاد التام غير المتجانس . يقول الأنبا غريغوريوس :

« إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحاد تام ، لكن بغير اختلاط ، وبغير امتزاج ، وبغير تغيير . وأن اللاهوت والناسوت قد صارا باتحادهما طبيعة واحدة هي طبيعة الإله المتأنس ، لها صفات الطبيعتين . فالمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين »[4].

---

(١) عقيدة التجسد . ص ٢٨ . (٢) الأب فرنسيس فرييه : التجسد . ص ٧٠ .

(٣) عوض سمعان : الله ثالوث واحدنيته ووحدانية ثالوثه . ص ١٣٧ .

(٤) غريغوريوس : أنت المسيح ابن الله الحي . ص ٢٢ .

فالقول بالتجسد يعني التقاء طبيعتين . والقول بطبيعة واحدة من طبيعتين يعني صنفًا مغايرًا . فإذا كان التجسد هو اتحاد تام بين طبيعة الإله الخالق بطبيعة الإنسان المخلوق فالقول بأن المسيح طبيعة واحدة نتجت بعد اتحاد الطبيعتين يعني أن المسيح كان صنفًا ثالثًا غير ما عهده الناس .

فالذي عهده الناس أن الموجودات تنقسم إلى قسمين : -

١ - إله خالق موجود بذاته .

٢ - مخلوقات أوجدها الخالق .

ومفاد القول بطبيعة المسيح الناشئة من اتحاد الطبيعتين الإلهية والإنسانية يعني أن : المسيح مخلوق خالق ، أو خالق مخلوق . هو الإله الإنسان .

وعلى ذلك فإذا قال المسيح «أنا» فهو يعني بذلك . الله المتجسد ، وإذا جاع فمعنى ذلك أن الله .. يجوع ، وإذا بكي فإن الله هو الذي يبكي . ومن أجل ذلك يتمسكون بالقول بطبيعة واحدة بغير امتزاج . وهذا محال ، لكي يرجعوا ذلك للجسد .

ولكنهم مقرون بوقوع الصلب على طبيعة الطبيعتين . حتى إن كلامهم في هذا أن الذي ارتفع بموت المصلوب هو الروح الإنسانية فقط دون الطبيعة الإلهية وقد كان في الصلب مذلة ومهانة ، أكثر مما في الجوع من عجز وحاجة .

أما الكاثوليك - أتباع بابا روما - فيقولون بأن المسيح التقت فيه الطبيعتان فصار إلهًا وإنسانًا بالتجسد له طبيعتان ومشيئتان ، وأنه إله كامل ، وإنسان كامل بدون امتزاج ، ولا اختلاط .

وسبب قولهم بالطبيعتين أنهم أرادوا تنزيه اللاهوت عما يوجب النقص من الأكل والبكاء ، والصلب والاهانة ... إلخ . مع غفلتهم عن أن التجسد أساس هذه النقائص.

ولذلك يقولون : « إن للمسيح طبيعتين : الواحدة متلألئة بالمعجزات والأخرى قابلة للإهانات » . وهي تلك العبارة التي أطلقها بابا روما (ليون) في منتصف القرن الخامس الميلادي ، وأقرها مجمع خليقدونيا (٤٥١ م) وكانت سبب انشقاق الكنيسة الكاثوليكية عن الكنيسة الأرثوذكسية .

وإذا كان المحذور الذي دفع بالكاثوليك هو ما وضح مما أسلفنا، فإن المحذور الذي دفع الكنيسة الأرثوذكسية إلى القول بالطبيعة الواحدة ، هو خوفهم من أن يفهم من

القول بالطبيعتين أن الذي صلب هو الناسوت فقط ، وهم يصرون على صلب الإله وموته على الصليب حتى تصلح الكفارة . لأن الناسوت محدد ، ولايكفي صلبه وحده .

يتحدث كتاب « عقيدة التجسد » الصادر عن « بيت الشمامسة القبطي بالجيزة تحت عنوان : « بدعة الكاثوليك والبروتستانت والقول بالطبيعتين في المسيح » قائلاً :

« وخطر هذه البدعة هي أنه لو كان المسيح طبيعتان متميزتان بعد الاتحاد لكان الذي صلب عنا هو الناسوت فقط . فلاتكون له إمكانية فداء كل البشر لأنه يكون كإنسان محدود ، وهذا يهدد ويهدم قضية الفداء والصلب التي هي عصب المسيحية ودعامتها »[1] .

وقد كان المحذور الذي جعلهم يقولون بالطبيعة الواحدة هو أن المحدود البسيط لايصلح فداء لكل البشر (مع أنهم في علم الله محدودون) . لقد أحصاهم وعدهم ، ولايخفى عليه شيء من أحوالهم ..

وغفل هؤلاء عن أن المحدود لايصلح لغير المحدود ، وهو ذات الله ، لأن التحيز من الأمور اللازمة لكل ما له جرم ومادة . وذلك من صفات الحوادث المخلوقة ، والله أعلى عن مشابهته لخلقه .

ويعلم الله وحده أن تفنن القوم في التعليل والتبرير لا وجه للقول بانتهائه عند حد محدود ، فهم في غيهم يتخيلون ، وهذا تبرير آخر لسبب انشقاق الكنيسة الكاثوليكية منذ مجمع خليقدونية (٤٥١م) . يقول إنها :

« تقول أيضاً بأن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحاد تام ، لكنها تخشى القول بأن المسيح طبيعة واحدة ، خوفاً من أن ينطوي هذا التعبير على امتصاص اللاهوت للناسوت ، وضياع الناسوت في اللاهوت »[2] .

ويكفينا هذا القدر للحديث عن الطبيعتين الإلهية والإنسانية . وبديهي أن القول بالطبيعتين يستلزم القول بالمشيئتين . ولم نر من ذهب إلى غير ذلك إلا أصحاب المذهب الماروني . فهم يقولون :

---

(١) بيت الشمامسة القبطي بالجيزة : عقيدة التجسد .

(٢) أنت المسيح : غريغوريوس . ص ٢٢ .

« إن للمسيح طبيعتين ، ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد[1] » وقد عقد مجمع بالقسطنطينية من أجل مقالتهم فلعن وحرم من يقول بذلك .

والذي نخلص به الآن هو إجماعهم على ألوهية المسيح ، وقولهم بحلول الله وتجسده فيه لكي يصلب الجسد بما فيه . وهم متمسكون به لكي يصح الفداء المزعوم ، سواء كان مقبولاً للعمل أم كان العقل يرفضه .

يقول الأب فرنسيس فربيه :

« إن المسألة لاتزال مستغلقة على العقل البشري ، فما زال التجسد سراً حتى بعد الكشف عنه »[2] ثم نقل عن البابا كيرلس الاسكندري المتوفي عام (٤٤٤م) قوله[3] «نحن لانسلم بأن طبيعة الكلمة بتغير ما ، قد تحولت إلى انسان كامل مركب من نفس وجسد . ولكننا نتسمك بأن الكلمة قد اتحد اقنومياً بجسد له روح عاقلة ، وصار إنساناً بطريقة لاتقبل التعبير ولا الإدراك » .

« معنى هذا أنه تكون من اللاهوت والناسوت وباتحادهما العجيب والسري وغير القابل للانفصام ، رب واحد ، ابن واحد ، يسوع المسيح » .

فماذا بعد إذن . إذا كان التجسد لايدرك ، ولايمكن التعبير عنه ، ومعنى لايدرك أنه مستحيل على العقل قبوله فما زال وسيظل مستغلقًا على العقل . لايفتح باب فهمه إلا يوم يحاسب الله القائلين به الذي أهدروا كرامة عقولهم واجترؤا على ربهم .

قديمًا كان بعضهم يصرخ في عبارات قوية :

كيف يسكن خالق العالم وسيده بطن عذراء ؟ كيف يختفي من لايسعه العالم بأسره ؟ كيف يصرخ القدير في جسم طفل صغير ؟ كيف يبتعد السيد عن عرشه ؟ كيف يجوع ويعطش ، ويأكل ويشرب ، ويحس بآلام البشر مثل كل البشر ؟

هل المسيح إله كامل أم أنه ابن الله :

سبق لنا في تحديد مفاهيم ألفاظ الله والابن والأب أن انتهينا إلى أن ضرورة النسبة تحتم المغايرة بين ذات الإبن وبين ذات الأب .

---

(١) أحمد شلبي : المسيحية . ص ١٩٢ .
(٢) فربيه : التجسد . ص ٦٤ .
(٣) المرجع السابق . ص ٧٣ .

ونقول هنا إن مفهوم « الإله الكامل » عندهم يعني الأسرة الإلهية المثلثة الأعضاء . بمعنى أن الأب والابن والروح القدس الإله الواحد .

أي هؤلاء الأعضاء الثلاثة هم الله الواحد ...

وإذا كان المسيح هو الإله الكامل ، بصرف النظر عن الناسوت . فمعنى ذلك أن الإله بأعضائه الثلاثة كان حالاً فيه أي أن الذي حل في جسده كان الأب والإبن والروح القدس .

فكيف إذن يستقيم قولهم إن المسيح ابن الله ؟ ! ! إن العقل يقضي ببطلان ذلك . ويبقى البحث عن المخرج . يقول البعض منهم : إنها أسماء لمراحل في حياة إلههم المثلث الفترات . فقبل التجسد كان أبًا - وبالتجسد كان ابنًا ، وبعد القيامة كان روحًا . والألقاب مرحلية لذات واحدة . لكنهم بحسب نصوص قوانين إيمان المجامع ابتداءًا من نيقية (٣٢٥م) وما بعده يعدون الأب إلهًا أصليًا ، وكذلك الابن إلهًا من إله . ويعنون به المسيح في تصريحهم باسمه .

فإن صح ما يتمسكون به من أنه « ابن الله » فلا وجه للقول بأنه « إله كامل » لأن الابن واحد من ثلاثة مـ وعهم الله . وإن كان الذي حل فيه هو « الله الكامل » فلا وجه للقول بأنه « الابن » من الحقيقة » .

ونحن هنا نقول : إن المحال أن يكون الله المثلث قد حل في جسد يسوع والإله المثلث هو مجموع الثالوث . وقد نص متّى على أن الإله الكامل لم يكن حالاً في جسد يسوع في وقت ما . يقول متّى :

« فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيًا عليه وصوت من السماوات قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت »[1] .

قال المستر جورج أسوان مؤلف كتاب « المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين » : في شرح بشارة متى ، وهو يفسر هذه الفقرة :

« هنا في معمودية المسيح ، نرى الثالوث الأقدس عاملاً : فالأب يتكلم ، والابن يعتمد ، والروح ينزل كحمامة » .

---

(١) [متى ٣ : ١٦ - ١٧] .

« أصعد يسوع بعد أن شهد الأب بصوت مسموع ليسوع بأنه ابنه الحبيب الذي سر به »[1] .

فأين كان الإله الكامل من الإنسان الكامل إذن ؟ ؟ الأب في السماء . والابن في الأرض ، والروح بينهما .

لكن مؤلف الإنجيل اللاهوتي يحاول عبثًا أن يجعل الابن الذي هو من الأرض إلهًا في السماء ، ويقول مع هذا بأن الله استحال جسدًا ، فكان هو جسد المسيح . وإذا كان الله يسكنه منذ تواجده بين جدر الرحم المظلمة . فَمَنْ هو ذلك الأفاق الذي انتحل شخصية الأب وملأ أجواز الفضاء حتى سمعه أهل الأرض يقول «هذا هو ابني الحبيب» ولِمَ لَمْ يسكته الأب ؟

وهناك مواقف عديدة مشابهة . جاء بالانجيل الرابع [2] منها : قول المعمدان يحيى بن زكريا - « إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه » [3] . ولم يذكر شيئًا عن الأب .

ومنها أن المسيح في موقف آخر من الإنجيل الرابع كان مضطربًا فصلى ، وناجى أباه قائلاً :

« أيها الأب نجني من هذه الساعة . ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة . أيها الأب مجد اسمك . فجاء صوت من الماء مجدت ، وأمجد أيضًا [4] ، فهذا ابن الأرض كغيره من البشر يضطرب ويحزن ويدعو ربه فيرد عليه من السماء . أين كان الإله الكامل ؟ ؟

أكان في الجسد مبعث النكد ، أم فوق السماء معقل الرجاء ؟ ؟

وقد أفاض ابن تيمية رحمه الله في بيان تناقض ما ذهب إليه النصارى من اتحاد اللاهوت بالناسوت في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ومن هذا البيان قوله : في أمور ذكرها .

---

(١) جورج أسوان : « المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين » ص . ٤٠ - شرح بشارة متى . ترجمة إبراهيم سعيد .

(٢) نقصد بالإنجيل الرابع انجيل يوحنا موضوع بحثنا لأن ترتيبه الرابع بين الأناجيل الأربعة في طبعة الأناجيل المعترف بها .

(٣) (يوحنا ١ : ٣٢) .

(٤) (يوحنا ١٢ : ٢٧ ، ٢٨) .

أحدها أن يقال : « المتحد بالمسيح إما أن يكون هو الذات المتصفة بالكلام أو الكلام فقط ، وإن شئت قلت : المتحد به ، إما الكلام مع الذات ، وإما الكلام بدون الذات ، فإن كان المتحد به الكلام مع الذات كان المسيح هو الأب وهو الابن وهو الروح القدس ، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة .

وهذا باطل باتفاق النصارى ، وسائر أهل الملل وباتفاق الكتب الإلهية وباطل بصريح العقل كما سنذكره إن شاء الله .

وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة ، والصفة لاتقوم بغير موصوفها والصفة ليسن إلهًا خالقًا ، والمسيح عندهم إله خالق ، فبطل قولهم على التقديرين وإن قالوا : المتحد به الموصوف بالصفة فالموصوف هو الأب ، والمسيح عندهم ليس هو الأب . وإن قالوا الصفة فقط ، فالصفة لاتفارق الموصوف ولاتقوم بغير الموصوف والصفة لاتخلق ولاترزق وليست الإله والصفة عن يمين الموصوف والمسيح عندهم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه .

وأما كونه هو الأب فقط وهو الذات المجردة عن الصفات ، فهذا أشد استحالة وليس فيهم من يقول بهذا الوجه » .

« **الثاني** : أن الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح إن كانتا بعد الاتحاد ذاتين ، وهما جوهران كما كانا قبل الإتحاد . فليس ذلك باتحاد .

وإن قيل : صار جوهراً واحداً ، كما يقول من يقول منهم : إنهما صارا كالنار مع الحديدة أو اللبن مع الماء : فهذا يستلزم استحالة كل منهما وانقلاب صفة كل منهما بل حقيقته كما استحال الماء واللبن إذا اختلطا والنار مع الحديدة .

وحينئذ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته . والاستحالة لاتكون إلا بعدم شيء ووجود آخر ، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه . وما وجب قدمه استحال عدمه ، وما وجب وجوده امتنع عدمه ، فإن القديم لايكون قديماً إلا لوجوبه بنفسه ، أو لكونه لازمًا للواجب بنفسه ، إذ لو لم يكن لازمًا له - بل كان غير لازم له - لم يكن قديمًا بقدمه ، والواجب بنفسه يمتنع عدمه ، ولازمه لا يعدم إلا بعدمه ، فإنه يلزم انتفاء اللازم انتفاء الملزوم »[1] .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح . ص ١٦١ ، ١٦٢ . جـ ٢ .

النص الثالـث : « أنه من السماء » :

« ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ، ابن الإنسان الذي هو في السماء »[1] .

النص الرابـع : « أنه الخبز الحي » :

« أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء »[2] .

النص الخامس : « هو من الله » :

« أنا أعرفه لأني منه »[3] .

النص السادس : « هو نور العالم » :

« أنا هو نور العالم »[4] .

ومقصود المؤلف بهذه الأقوال : أن المسيح هو نور العالم ، لأنه من الأب الذي يعرفه المسيح ، وليس فقط نور العالم الذي يضيء جوانبه ، بل هو أيضاً الخبز الحي الذي نزل من السماء ، وهو في السماء لأنه صعد إليها بعد نزوله .

وهذه الأقوال من قلم المؤلف جاء بها على لسان المسيح . فلا هي من وحي الله للمسيح ، ولا هي من وحي الله للمؤلف الذي جهل ما جاء بكتب قومه السابقة التي يقدسونها حتى يومنا هذا .

قال الأستاذ عوض سمعان في كتاب « صلب المسيح » ما نصه :

« فقد نقل الله إلى السماء اثنين من أصفيائه دون أن يموتا وهما : أخنوخ وإيليا[5] وهما المعروفان في الإسلام باسم إدريس وإلياس »[6] .

ونص « التكوين » الذي أشار إليه :

« وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه »[7].

---

(١) [٣ : ١٣] .
(٢) [٦ : ٥١] .
(٣) [٧ : ٢٩] .
(٤) [٨ : ١٢] .
(٥) [تكوين ٥ : ٢٤ ، ٢ ملوك ٢ : ١٢] .
(٦) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ٣٩ .
(٧) [٥ : ٢٤] .

ونص سفر الملوك الثاني كما أشار أيضًا إليه :

« وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار ، وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة اسرائيل وفرسانها ، ولم يره بعد »[1] .

أما مؤلف الإنجيل الرابع فيقول : ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو الخبز الحي ، والنور الذي يعرف الأب لأنه منه . ويقصد بذلك يسوع المسيح .

لكنه قال « ليس أحد صعد إلا .... واحداً هو المسيح » وهذا تكذيب لنص التكوين عن أخنوخ – إدريس – ونص الملوك الثاني عن إيليا – إيلياس – ولكن أحداً ممن سبقه أو لحقه من اليهود والنصارى لم يكذب هذين النصين بخصوص الصعودين ممن كتب من بعدهما . وقد انفرد مؤلف الإنجيل الرابع بذلك وحده .

وتفرده بهذا يرجع فيه إلى ما يميزه عن غيره ، وليس هو الوحي – على فرض سلامة القول به – وهذا أمر مشترك عند القائلين به لجميع أسفار الكتاب ، ولكنه لم يكن معاينًا لا لنزول المسيح ، ولا لصعوده ، وليست هذه دعواه ، بل دعواه أن المسيح قال ذلك ، ويضعه بذلك في مواجهة النصين السالفين ومحال أن يكذب المسيح هذه الكتب التي كان يؤمن بها قائلاً :

« لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل وقال : فتشوا الكتب .... وهي تشهد لي » وهذه الكتب تشهد بأن المسيح لم يقل ذلك .

إن المؤلف يدعي أن المسيح قال ذلك . والحق أن المسيح بريء منه .

النص السابع : يسوع هو الله :

« كان يقول لهم عن الأب فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أني أنا هو »[2] أي أنهم لن يفهمو أن يسوع هو الأب إلا بعد صلبه .

النص الثامن : خروجه من عند الله :

« خرجت من قبل الله ، وأتيت »[3] فكيف يخرج من قبل الله ويأتي إليهم ؟ مع أنه هو الله الأب .

---

(١) [٢ ملوك ١١ : ١٢] .
(٢) [٨ : ٢٨] .
(٣) [٨ : ٤٢] .

« فهذا مثل قول القائل منهم : الله خرج من عند الله وأتى . فكأنه خارج ومخرج من عنده . وهذا شبيه بقوله في بداية الإصحاح الأول :

« الكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله »

ولا يستقيم هذا القول بحال . فإن كان هو الله المثلث متجسداً ، فقد مات بالصلب كما نص على ذلك ترتليانوس .

« إن الله صلب حقًا ، ومات حقًا » .

ويلزمهم خلو العالم من الله بموته ، ولا وجه حينئذ للقول بأن الله المثلث خرج من عند الله المثلث نفسه .. إلا المجاز الذي لاحقيقة من وراء لفظه ، ونصه .

وإن كان المقصود أن الإبن - الأقنوم - خرج من قبل الأب ، وجاء ، يلزمهم القول بانفصال الأقانيم ، ويكون لكل منهم ذات منفصلة عن ذات الآخر مثل انفصال نص «متى» السابق [1] الذي يقول إن الأب في السماء ، والإبن في الأرض ، والروح بينهما ، وهو ضد مايقولون به من أن الأقانيم ذات واحدة لا ذوات متعددة .

النص التاسع : اتحاده مع الله :

« أنا والأب واحد» [2] .

وقد سبق أن تحدثنا عن هذه العبارة التي تسببت للقائلين بألوهية المسيح في كثير من « الشروحات اللاهوتية . المتضاربة التي ظلت مثار الجدل بين الطوائف المسيحية المختلفة ، ومثار حزازات ومتاعب » ، وقد أفضنا القول في مضمونها ، وخلصنا إلى أن المسيح يقول : أنا راع في غنم أبي الذي لايستطيع أحد أن يبغي على غنمه لأن أبي أعظم من الكل ، ولايستطيع أحد أن يبغي على غنم أبي التي أرعاها ، استهانة بي لأن كرامة الأجير من كرامة من استأجره . ومن هذه الناحية فأنا والأب واحد .

النص العاشر : الوحدة الاندماجية :

« لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فيّ وأنا فيه » [3] .

---

(١) [٣ : ١٦] .

(٢) [١٠ : ٣٠] .

(٣) [١٠ : ٣٨] .

النص الحادي عشر : منزلته من الآب :

« يسوع ، وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلي يديه ، وأنه من عند الله خرج ، وإلى الله يمضي »(١) .

النص الثاني عشر : رؤية الآب في الإبن :

« قال له فيلبس يا سيد : أرنا الآب وكفانا - قال له يسوع : أنا معكم زمانًا هذه مدته ، ولم تعرفني يافيلبس . الذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب . ألست تؤمن أني أنا في الآب ، والآب فيّ ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي . لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال ، صدقوني أني أنا في الآب والآب فيّ »(٢) .

فقوله : إن الآب فيّ وأنا فيه هذا معناه أن الحال فيه هو الآب المتحد به أي أنّهما ذات ومحل ، وهما متحدان؛ لكن قوله في مكان آخر : «يسوع من عند الله خرج وإلى الله يمضي» يقتضي أنه خرج من حيث بقي الآب الذي ظل مكانه حتى يرجع أخيرًا إليه. وهذه أقوال المؤلف يجريها على لسان المسيح ، وقد تحدثنا عن الحلول والتجسد فيما سبق ، وسنعود إليه عند نهاية هذا الفصل إن شاء الله .

النص الثالث عشر : الإيمان بربوبيته وألوهيته :

« أجاب توما وقال له : ربي وإلهي . قال له يسوع لأنك رأيتني يا توما آمنت طوبى للذين آمنوا ولم يروا »(٣) .

وهذه أيضًا مما تفرد به قلم المؤلف الفيلسوف ، فإن أحدًا من مؤلفي الأناجيل الثلاثة لم يقل بهذه الرواية عن المسيح وتوما . ويبدو جليًا أنها من صنع المؤلف لكي يصل إلى أن ما نادي به في بداية إنجيله كان عقيدة تلاميذ المسيح في حياته وأن توما حين قال له « ربي وإلهي » أجابه بقوله : لأنك رأيتني يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا .... وهذه دعوة صريحة لكل من آمن بأن يسوع المسيح هو الرب الإله ممن لم يروا المسيح ، وله وعد بالجزاء الجميل .

وليس بعيدًا عنا هذا المغزى الذي يقصد إليه من ربط أول كلامه بهذه الحكاية التي تفرد بها تأييدًا لتأليه المسيح الذي لم يقل به أحد من المؤلفين الثلاثة .

---

(١) [١٣ : ١٣] . (٢) [١٤ : ٨ - ١١] . (٣) [٢٠ : ٢٨ ، ٢٩] .

ننتقل بعد ذلك إلى نصوص المؤلف التي تخلع على المسيح صفات من صفات الله لنرى :

ثانياً: نصوص الصفات

النص الأول : عن حياته بذاته :

« كما أن الأب له حياة في ذاته ، كذلك أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته »(1) .

وهذه عبارة فلسفية لا تتأتى ممن كان مثل المنسوب إليه هذا الإنجيل في تقليد الكنيسة . يوحنا بن زبدي . « عديم العلم العامي » كما وصفه لوقا . والحياة الذاتية ، حياته في ذاته أو بذاته ، يقصد بها أنها حياة الله واهب الحياة المحيي ، أي ليست حياته من غيره ، لأنه واهب الحياة الغني .

وهو هنا يقول « كما أن الأب له حياة في ذاته » قال « كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته » .

كان مقتضى المماثلة أن يقول « كذلك الابن له حياة في ذاته » ولكنه لو قالها لكان معناها : أن هذه الحياة من نفسه لم يمنحها له أحد ... لا الأب ، ولا غيره .

ومعنى ذلك أنّ الابن إله ثان مستقل بوجوده عن الأب فيكون في انجيله إلهان ، كل منهما مستقل عن الآخر تماماً .وقد دعاه التهرب من هذه إلى القول بأن الأب أعطى الابن . وما دام قد صرح بذلك فحياة الابن ليست من ذات الابن لأنها من الأب الذي منحه هذه الحياة كما يمنح غيره .

وعلى ذلك فالأب المانح غني ، والابن الآخذ محتاج ، الأب هو واهب الحياة المحيي، والابن حي بالأب الذي أحياه ، الأب خالق والابن مخلوق ، والذي جعل المؤلف ينزلق من التأليه إلى الاعتراف غير المباشر باحتياج الابن للأب هو أنه يصر علي التمسك بالابن ، وتأليهه بعد القول بألوهيته المجملة ، فأراد التفصيل فجرته المغايرة إلى الاعتراف بأن الأب يمنح ، والابن يقبل .

النص الثاني : عن قدمه :

« في البدء كان الكلمة »(2) و« أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به(3)» و« قبل أن يكون

(1) [٥ : ٢٦] .
(2) [١ : ١] .
(3) [٨ : ٢٥] .

إبراهيم أنا كائن »[1] يقصد بذلك الوجود الأزلي القديم .

إن « الكلمة » بمعنى « الإله يسوع المتجسد » كائن حادث لأن المسيح موجود بعد أن لم يكن موجوداً ، لأنه مولود من مريم أمه . ولا وجه لقبول هذا القول « أنا من البدء » من أحد يقول به إلا على ضرب من التجوز كأن يكون المقصود « أنا من بدء الكلام أفهمتكم ما أنا ، وأكلمكم أيضاً به » أي أنه كما أوضحت لكم عن نفسي من بداية كلامي . أما قوله « قبل أن يكون إبراهيم .... » إلخ فهي محمولة على معنى . قبل أن يكون لإبراهيم وجود فعلي أنا كنت كائناً في علم الله . لأنه يعلم الأشياء علماً أزلياً قديما . وأما من جهة إبراهيم والمسيح ، فإن الوجود الفعلي لإبراهيم سابق على الوجود الفعلي للمسيح .

النص الثالث : عن قدم علمه :

قال المؤلف « يسوع من البدء علم من هم الذين لايؤمنون ومن هو الذي يسلمه [2] .

النص الرابع : عن إحاطة علمه :

« قال له تلاميذه : الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ، ولست تحتاج أن يسألك أحد . لهذا نؤمن أنك من الله خرجت [3] » .

وهذا القول يقصد به المؤلف أن المسيح يعلم من البدء من هم ومن هو لأنه عالم بكل شيء لأنه من الله خرج ، ويقصد بذلك التمهيد إلى نظرية القول بالصلب الاختياري ، وأنه لم يصلب مضطراً .

لكن قوله عالم بكل شيء فيه مبالغة . وذلك لأنه لايعلم متى تقوم الساعة كما أسلفنا . فكيف لايعلمها إذن ، إذا كان عالمًا بكل شيء ؟ ؟

قال الدكتور هاني رزق في كتاب « يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته » :

« فهذا هو موضوع المعرفة ، وهو يختلف بين الإبن والأب ، إذ يذكر الكتاب المقدس أن الابن لا يعلم بعض أسرار الأب مثل يوم وساعة انقضاء الدهر »[4] .

---

(١) [٨ : ٥٨] .
(٢) [٦ : ٦٤] .
(٣) [١٦ : ٢٩] .
(٤) [مرقس ١٣ : ٣٣] . وهاني رزق : « يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته » . ص ١٧٧ .

والمبالغة ظاهرة في قوله : عالم بلك شيء ، لأنه لايعلم بعض أسرار الأب . وقول مرقس المشار إليه هنا لا مبالغة فيه ، بل هو حق .

النص الخامس : مساواته لله :

« قال إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله »[1] .

النص السادس : مساواته لله في الأعمال

« مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن »[2] .

ونحن نحيل القاريء إلى الإصحاح الخامس من أوله حتى عدد (٢٠) فإن اليهود اعترضوا على المسيح لأنه شفى المريض المقعد في يوم سبت وقال له : « احمل سريرك وامش » فلما فعل المريض ذلك اعترض اليهود لأن العمل محرم في ذلك اليوم . فقال لهم المسيح بأن الله يعمل يوم السبت ، وهو يعمل أيضًا لأن الله أباه ، فكان في ذلك جرأة منه على الله في نظرهم . كيف يسوي نفسه بالله ؟ ؟

فلذلك قال لهم : مهما عمل أبي فهذا أعمله ، وكأنه يقصد بذلك ما كان يستثنى من أعمال في يوم السبت لأنه عمل بر ، فقد كانوا يحرمون حمل (مايعادل حمل ثمرة من التين الجاف) فكيف بهذا الذي يحرض المريض على حمل سرير ويغويه بالشفاء .

وقد كانت القضية قضية سبت . من أجل هذا قال لهم إن أبي يعمل حتى الآن ، وأنا أعمل لأنه عَمَلَ بر وخير ، مثل ختان المولود في اليوم الثامن حسب الناموس حتى ولو وافق الثامن يوم سبت فإنه يختن فيه .

لكن يوحنا يقول : بأنهم كانوا يطلبون المسيح ليقتلوه ليس لأنه نقض السبت ، بل لأنه كان يقول أيضًا : إن الله أبوه . ومهما عمل ذاك فهذا يعمله الإبن . وكأنه يسوي نفسه بالله .

وإني لا أرى ذلك لأن المسيح بقوله إنه ابن الله لم يخرج على المألوف مما جاء في كتبهم من القول بأبوة الله لأبناء كثيرين . وإنما لأنهم رأوه خارجاً على شريعة السبت . وكأني به يقصد : أن شفاء هذا المريض إنما كان من الله على التحقيق ، وما أنا إلا سبب فقط ومهما أراد الله شفاءه على يدي ، فهذا أفعله لتظهر أعمال الله فيه .

---

(١) [٥ : ١٨] .   (٢) [٥ : ٢١] .

وكذلك يقال أيضًا في النص السابع وفيه جاء كما أن الأب يقيم الأموات ويحيي كذلك الإبن أيضًا يحيي من يشاء »[١] .

فكما أن الأب يقيم الأموات ويحيي ، كذلك الإبن أيضاً يحيي من يشاء وليس ذلك دليل ألوهيته . لأن موسى بإجماع اليهود والمسيحيين والمسلمين كانت عصاه تنقلب حية متى تشاء ، ثم تعود إلى أصلها وقلب عصا الخشب إلى ثعبان حي متحرك مخيف أشد من إعادة الحياة لمن مات بعد أن كان حياً ، لكن أحدًا لم يدع أن موسى بفعله ذلك كان إلهاً ، وإنما قصارى ما يصل إليه القول أن موسى فعل ذلك بإذن من الله الذي أرسله وأيده بذلك الاعجاز حتى يؤمن به من شاء الله له الهدى ، ولم يكن موسى بدعًا في ذلك فقد سبقه كثير من المرسلين ، ولم يدع أحد ألوهية أحدهم بسبب معجزة أو إعجاز ، لكن المؤلف الفيلسوف يقول ذلك بالنسبة للابن قياساً على الأب إيهامًا للجهلاء الذين يغرهم منه هذا القول .

لكنه في موطن آخر يقول على لسان المسيح :

« أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا »[٢] وذلك حق وعدل فإنه مخلوق ضعيف ، لايملك أن يفعل شيئًا من نفسه ، لولا إذن الله .

النص السابع : إحياء الموتى :

« كما أن الأب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء »[٣] .

النص الثامن : يقيم الناس في اليوم الأخير :

«كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون له حياة أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير»[٤]

في النص السابق لهذا النص . أن الأب يقيم الأموات ويحيي ، وهو في هذا النص يقول على لسان المسيح أنه سيقيم المؤمنين به في اليوم الأخير ممن رأوه . ونحن لانقول بتناقض النصين لأن من الممكن أن يفهم النص الثاني بجوار الأول على وجه أن الإبن يقيم المؤمنين الذين رأوه بإذن من ربه ، وأن الأب يقيم الباقين . واختصاص الإبن بذلك مما تفضل الله به عليه .

---

(١) [٥ : ٢١] .	(٢) [٥ : ٢٧] .

(٣) [٥ : ٢١] .	(٤) [٦ : ٤٠] .

النص التاسع: عن تنازل الله عن حساب الخلق يوم القيامة للمسيح:

« الأب لا يدين أحداً ، بل قد أعطي كل الدينونة للإبن »[1] وهذا نحو من المبالغة الممقوتة ، فإذا كان مقصود المؤلف أن هذا النص دليل الألوهية ، فنحن نقول بأنه قال بانتقالها من الأب للإبن . ومعنى ذلك أن الأب لن يحاسب أحداً ، وأن ذلك أصبح من خصوص الإبن ، وقد أصبح بعد ذلك الأب معطلاً لاشيء له من حقه في حساب أحد؛ وعجيب قوله بذلك التجريد الذي فعله بالله الأب الذي أصبح لايملك مغفرة لأحد . وهل ترى الإبن قد حافظ علي هذه الثروة ؟ ؟

لقد قال المؤلف بأن المسيح أشرك معه تلاميذه في هذا الأمر الخطير فقال لهم «من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت»[2] وقد أصبح للتلاميذ خلفاء ملأوا كراسي الرئاسة في كل كنيسة ، وأصبح لهم حق الغفران والحرمان .

ولو لم يكن من فائدة مادية لرجال الكنيسة في التمسك بهذا الإنجيل غير هذا النص لكفى . فقد تنازل الأب عن حق الحساب للإبن ، وأعطي الإبن للتلاميذ حق الغفران وسلطان الحرمان ، وانظر في تاريخ الكنيسة في العصور الوسطى إلى ما حدث بسبب صكوك الغفران والحرمان التي كانت تباع بأثمان وأموال .

النص العاشر : عن قداسة المسيح :

« من منكم يبكتني على خَطِيَّةٍ »[3] .

والمستدل بهذا النص على ألوهية المسيح يقول : « هذا السؤال يحمل التحدي ليس للذين كانوا واقفين أمامه فقط ، بل للعالم أجمع . لقد فتش الكثيرون في الأناجيل لكي يجدو خطأ ما في حياته المباركة القدوسة وفشلوا ، وفي وقوفه وحده هكذا قدوساً برهان على لاهوته ، لأن جميع البشر أخطأوا ، وأعوزهم مجد الله »[4] وهم يرون في هذا النص تنزيهاً إلهيًا عن خطايا البشر لأنه مادام إلهاً وصار جسداً

---

(١) [٥ : ٢٢] .
(٢) [٢٠ : ٢٣] .
(٣) [٨ : ٤٦] .
(٤) هلال أمين موسى : تفسير انجيل يوحنا . ص ١٣٣ .

فهل اعتراه من خطايا البشر في حياتهم المادية مما يعتريهم . ويقول مُؤَلِّهٌ آخر : «مفاده أنه بلا خطيئة في الفكر والقول والفعل ، وأنه يعجز العالم عن أن يثبت عليه أدنى زلة أو هفوة» (١) .

وأما عجز العالم عن أن يستخرج من الإنجيل أدنى هفوة أو زلة في حياته فلأنها كتبت بأقلام المؤرخين في غيبة من الوعي التاريخي ، ولم يغطوا من حياته إلا مدة قليلة تقارب العشر أو تقل .

ولست بذلك أحاول النيل ، وإنما أقصد أن أقول : إن أقصي ما في العبارة من قداسة وطهارة يحمل على ما ألف البشر في الأنبياء من الطهارة والقداسة ونحو ذلك مما يجعلهم قبلة الأنظار في حلل من رضوان الله عليهم .

وليس المفاد : العصمة الإلهية ، فإن ذلك بعيد عن البشر بجملتهم حتى على من هو أعظم من المسيح بشهادته له ، وهو يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا - قالت لجنة «قاموس الكتاب المقدس» فيه : « وحسب يوحنا أن المسيح شهد فيه أعظم شهادة إذ قال : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (٢) .

والمسيح مولود من مريم كيوحنا وغيره . لكن يوحنا هو أعظم المولودين ومع ذلك لم يجد يوحنا من يقول بألوهيته لأنه حسب هذا النص أعظم من كل المولودين .

أما العصمة الإلهية بمعنى الصلاح المطلق فليست إلا لله وحده وقد أبى المسيح أن يدعى صالحًا :

« وسأله رئيس قائلاً : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحًا ؟ ؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد ، وهو الله » (٣) .

ومن الجائز أنه لم يكن من بين الحاضرين من يبكته ، بل كان من بين الغائبين ومن يدري ؟ ؟ بل ومن الجائز أن يكون للقائل خطايا مستورة عن جميع الخلق لا يعلمها إلا القائل وربه . بل ومن الجائز أن يكون مخطئًا عند ربه غير مخطيء في نظر نفسه . إلى غير ذلك مما تجيزه العبارة عقلاً .

---

(١) وليم إدي : الكنز الجليل في تفسير الإنجيل . شرح انجيل يوحنا . ص ١٤٨ .

(٢) [متى ١١ : ١١] ، قاموس الكتاب المقدس . ص ١١٠٨ .

(٣) [لوقا ١٨ : ١٨] .

ولو أنه قال : أنا لم أخطيء أبداً ، وصدقه الله أو أن يثبت بطريق صحيح أن الله قال : إن هذا العبد لم يخطيء لكان في المسألة كلام آخر كأن نقول : يحتمل أنه لم يخطيء حتى وقت قولها . ثم أخطأ بعدها ، وهو مقبول أيضًا هنا .

ومن العجب أن الحوار امتد بينهم وبينه حتى نهاية الإصحاح الثامن الذي توجد به العبارة « من منكم يبكتني على خطية » ، وآخر فقرة في نفس الإصحاح تقول عنهم «فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى» ، ولو لم يكن خاطئاً في نظرهم لما أرادوا أن يرجموه .

ومرد الأمر إلى أنه نفى عن نفسه الصلاح الإلهي ، ولم يقبل أن يدعى «المعلم الصالح» لأن الصالح واحد واحد هو الله ، لكن القوم الذين يقولون بصلب إلههم من أجل تفاحة لم يأكلها المصلوب ولا الذين صلبوه ، لايستبعد الذهن أن يسمع منهم ما لاتقبله العقول ، ويأباه الحياء .

النص الحادي عشر: الأب يحب الإبن، وقد دفع كل شيء في يده (١)

الأب يحب الإبن ، وهذه لامراء فيها ، فإن الله يحب المسيح لأنه رسوله ، لكن ما معنى أنه دفع كل شيء في يده . معناه أن الإبن أصبح مفوضاً للتصرف في كل شيء في ملك أبيه الذي أصبح ملكًا له هو الآخر أيضًا ففي رسالة العبرانيين أنه « جعله وارثًا لكل شيء » (٢) .

يقول بعضهم :

« كان قرار الأب أن يسلم كل شيء للإبن ، الكل به وله قد خلق ، وإن كان القول عنه هنا بصفته الإبن الأزلي غير أنه يجب ألا ننسى كونه استحق أيضاً تسليمه كل شيء من أجل طاعته حتى الموت ، موت الصليب » (٣) .

ويقول آخر : «لقد دفعت إلى يديه كحكم نهائي تسوية كل الأمور المتنازع عليها بين الله والإنسان ، وسلمت إليه إدارة ملكوت الله بين البشر في كل نواحيها ، وهكذا يجب أن تمر بين يديه كل تصرفات إدارة وترتيب كل شيء ، فهو وارث لكل شيء» (٤) .

---

(١) [٣ : ٣٥] .　　(٢) [عبرانيين ١ : ٢] .

(٣) هلال موسى : تفسير انجيل يوحنا . ص ٥٤ .

(٤) متى هنري : تفسير انجيل يوحنا جـ ٣ . ص ٢٠٧ .

ويبدو من أقوال بعضهم ما يستفاد منه أن تعبير المؤلف اللاهوتي في قوله «كل شيء» فيه مبالغة . قال متى هنري في تفسيره لهذه الفقرة إنه كالمفوض وفسر «كل شيء» بأنه « كل الخيرات التي قصد الله أن يعطيها لبني البشر »[1] .

وتعبير المؤلف اللاهوتي يفيد أن الأب أصبح غير مالك لأي شيء لأنه عبر بأنه دفع ليد الإبن كل شيء ، لكن تعبير بعضهم يفيد غير ذلك هو أنه أصبح شريكًا لله في ملكه فقط ، قال هلال أمين موسى :

« لقد خرج من السماء وهو الله ، وعاد إليها وهو الله وإنسان معًا والسماء التي كانت تخص الله وحده أصبحت ملك الله والإنسان ، والروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ، فإن كنا أولادًا فنحن ورثة أيضًا ، ورثة الله ووارثون مع المسيح »[2] .

النص الثاني عشر : عن منحه سلطان المغفرة لتلاميذه :

« من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت »[3] .

وماذا يحدث لو أن بعض الذين منحوا المغفرة لم يكونوا أهلاً لها ، ولم يعلم الذين غفروا لهم بما تنطوي عليه جوانحهم ؟ بل وماذا يحدث لو أن الذين أعطاهم المسيح حق المغفرة للناس أساءوا استخدام حق الحرمان فاستخدموه سلاحًا ضد من يقف في وجه سلطانهم . هل يغفر لمن غفروا له ؟ ؟

وهل يحرم حقًا من حرموه ؟ ؟ وهذا على فرض الاتفاق فكيف لو اختلفوا وذلك غير ممتنع ؟

ويقول ابن حزم متسائلاً : « فياليت شعري كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولاهم من ذلك فأحل بعضهم شيئاً وحرمه آخر منهم ، كيف يكون الحال في السموات وفي الأرض ؟

لقد يقع أهلها مع هؤلاء ... في شغل وفي حرمة وحل معاً ، فإن قيل لايجوز أن يختلفوا قلنا سبحان الله . وأي خلاف أعظم من تحليل يهوذا إسلامه إلى اليهود وأخذه ثلاثين درهماً رشوة على ذلك .... فيجب على هذا - الذي يقولون - أنهم متى حرموا

---

(١) المرجع السابق جـ ١ . ص ٢١٥ .
(٢) هلال موسى : تفسير انجيل يوحنا . ص ٢٠٤ .
(٣) [٢٠ : ٢٣] .

شيئًا حرمه الله تعالى اتباعًا لتحريمهم ، ومتى حللوا شيئًا حلله الله تعالى اتباعًا لتحليلهم ، فلئن كان هكذا فإنها لخطة خسف .... قد صاروا حكامًا على الله تعالى ، ولقد صار عز وجل تابعًا لهم وحاش لله تعالى من هذا كله »[1] .

إن تاريخ الكنيسة مليء بصكوك الغفران ، وقرارات الحرمان ، وقد أثبت التاريخ أن هذه وتلك كانت اشباعًا لرغبات ، وطمعًا في ثروات ، وتأثرًا بشهوات ، وهو سلاح استخدمه مؤلهوا المسيح البشر منذ مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) ضد القائلين بنفي ألوهية المسيح البشر الرسول ، ثم ظل مستخدماً من يومها حتى ضد الذين قالوا « لا يغفر الذنوب أحد إلا الله » .

النص الثالث عشر: «كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان»[2]

والعالم هو المقصود « كان في العالم ، وكون العالم به »[3] .

وهذا النص من عند المؤلف اللاهوتي . يقصد به المسيح عليه السلام ومعنى كل شيء به كان «أي» بواسطته « وقصد المؤلف الفيلسوف هو نظرية » الخلق بواسطة الكلمة وسنفصل ذلك في الفصل القادم إن شاء الله . لكنا نوميء هنا إلى أن سفر التكوين يقول :

« في البدء خلق الله السماوات والأرض »[4] ويسمى مضمون ذلك القول بالخلق المباشر أي بدون واسطة . والمسيحيون مؤمنون بذلك النص من التكوين لكن يوحنا اللاهوتي يقول :

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان »[5] فقوله : الكلمة كان عند الله ، يتناقض مع قوله « كان الكلمة الله . ولذا قال :

كل شيء به كان ، ولم يقل الكلمة خالق كل شيء مثلاً .

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل . ص ٤٦ . جـ ٢ طبعة محمد علي صبيح بالقاهرة .

(٢) [١ : ٣] .

(٣) [١ : ١٠] .

(٤) [١ : ١] .

(٥) [١ : ١-٣] .

ومهمة الفيلسوف اللاهوتي التي كانت نصب عينيه حين بدأ تأليف إنجيله ، إنما هي تأليه المسيح الكلمة ، لا النص على خلق العالم كما فعل سفر التكوين .

ونحن على يقين لو أنه كان يملك أن يمحو ما تأصل في نفوس الناس من أن الخالق هو الله وحده لمحي هذه الفكرة لو استطاع ، ولقال مثلاً : في البدء خلق المسيح العالم أو : خلق المسيح كل شيء .... إلخ هذا هو الله فاعبدوه ، واتركوا الإله القديم .

ولما لم يملك ذلك قال « كل شيء به كان » أي بواسطته فما لايدرك كله لايترك كله . وشيء أفضل من لاشيء . وقد سار على هذا الدرب من جاء بعده من المفسرين ، إلا أنهم أفصحوا عن إشراك المسيح مع الله في عملية الخلق [1] .

---

(١) انظر :

١ - رأي متى هنري : أن منزلة المسيح من الله منزلة العين من الجسد وأنه كان آلة مهمة في عملية الخلق كشريك . قال ما نصه : « لقد خلق الله العالم (بكلمة) ، وكان المسيح هو هذه الكلمة «به» أي بالمسيح عمل (الله) العالمين ، ولم يخلق الله العالمين (به) كآلة ثانوية أقل أهمية بل كشريك معه في عملية الخلق . خلق (به) لا كما يقطع العامل بالفأس بل كما يرى الجسم بالعين » (متى هنري : تفسير انجيل يوحنا . جـ١ . ص ١٢) .

٢ - رأي هلال أمين موسى : أن الخلق تم بواسطته التي هي هو ، قال « الكل به ، وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء ، وفيه يقوم الكل ، فيه خلق الكل أي بما له من إرادة وسلطان (الكل به خلق) أي بواسطته وفيه يقوم الكل ، أي هو يضبط الكل أعني بمقتضي سلطانه الإلهي (وله قد خلق) أي لمجده » وقد اضطرب أسلوبه لأنه أراد أن يجمع بين الوساطة المستفادة من لفظ «الباء» بواسطته و(لام) الملك (له) والفاء التي تفيد الظرفية (فيه) لكي يجعل من المسيح واسطة للخلق ومالكاً للخلق ، ووعاء للخلق أي : تم الخلق فيه وربما كان له عذره لأنه يسير وراء المؤلف اللاهوتي الذي يقول (الكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) أي أن الله كان عند الله » .

وقد عاد الاستاذ هلال ليقول بعد ما نقلنا عنه مباشرة : « ولذلك السموات تُحَدِّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه بغيره لم يكن شيء مما كان أي : لم يشترك معه أحد في خلقها . لقد تفرد وحده في خلقها (هلال أمين موسى : تفسير إنجيل يوحنا ص ١٢،٥) .

٣ - رأي وليم إدي : المسيح كان عاملاً مع الأب في الخلق . قال : « به كان أي بالكلمة . وهذا القول يبين لاهوت الإبن لأن الخلق مما يختص بالله وحده - والمسيح خلق كالأب ، فتبين من أعماله أنه الله - فكما أظهر الإبن أنه كلمة الله بتعليمه أظهر أنه كذلك بالخلق لأنه أعلن بذلك كونه إله القدرة والحكمة والجودة - إلى أن يقول - لا استثناء في كل خلق الله في السماء والأرض ، وتحت الأرض لشيء من أنه عمل المسيح ، ولم يعمل المسيح كآلة بيد الله ، بل كان عاملاً معه » (وليم إدي : الكنز الجليل في تفسير الإنجيل . تفسير إنجيل يوحنا ص ١٠ - ١١) . =

يقول ابن تيمية : « إن قولهم كلمة الله الخالقة التي بها خَلَّقَ كل شيء كلام متناقض ، فإن الخالق هو الإله الخالق ، وهو خلق الأشياء بكلامه ، وهو قوله «كن» .

فالخالق لم يخلق به الأشياء ، بل هو خلقها والكلام الذي به خلقت الأشياء ، ليس هو الخالق لها ، بل به خلق الخالق الأشياء .

والفرق بين الخالق والمخلوق ، وبين ما به خلق الخالق معقول ، وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذي به خلقت المخلوقات ، فجعلوا الكلمة هي الخالق وجعلوا المخلوقات خلقت بها .

وإيضاح هذا : أن الكلمة إن كانت مجرد الصفة ، فإن الصفة ليست خالقة وإن كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق ليس هذا هو المخلوق (١) .

النص الرابع عشر : كل ما هو لي فهو لك ، وما هو لك فهو لي (٢)

وهذا نص يقتضي الشركة بينهما في كل ما يمتلكان . فما كان للمسيح فهو لله وما كان لله فهو للمسيح ، وذلك لأنه «ليست لواحد منهما مصالح مستقلة عن الآخر»(٣) على حد تعبير متى هنري ، ويبدو أن المصلحة لم تكن واحدة قبل الاتفاق الأزلي الذي تم بينهما ، والذي لم يحضره غيرهما ، ولم يتحدث عنه أحدهما بل تحدث

= ولعل تناقض هذا القول ظاهر في نصه كما يأتي :

أ - الخلق مما يختص بالله وحده .

ب- المسيح خَلَّقَ كالآب إنه الله .

جـ- لم يعمل المسيح كآلة بيد الله ، بل كان عاملاً معه . فأيهما نصدق اختصاص الخلق بالله وحده ، أم بشركة المسيح العامل معه ، وكيف يكون المسيح هو الله ، وفي نفس الوقت غيره عاملاً معه .

٤ - رأي الدكتور إبراهيم سعيد : الكلمة علة الخلق . واستنتج منه أنه « ينفي كون المسيح أحد الخلائق » (إبراهيم سعيد . شرح بشارة يوحنا . ص ٣٥) .

وكثير من مفسري هذا الإنجيل من يهربون من الخوض في هذه المسألة مثل الدكتور وليم باركلي الذي يبدو في حديثه أن عقله غير مقتنع بها وأنها إنما قيلت في وجه الغنوسية (وحيث يقصر العقل عن الإدراك لا سبيل أمامنا إلا التعبد) أو مثل الأنبا إثناسيوس الذي قال : « إنه كان الخالق الأوحد ، كل شيء به كان .... » لكن العقل لايقبل هذه الأقوال لافتقارها للتعقل لكونها فوق العقل والإدراك . ولأنها وليدة الخيالات والأوهام . ولعل في هذه الأقوال التي قدمناها هنا الأدلة على صدق ما نقول .

(١) ابن تيمية : « الجواب الصحيح » . ص ٢٦٦ جـ ٢ . (٢) [١٧ : ١٠] .

(٣) متى هنري : تفسير انجيل يوحنا . جـ ٤ . ص ١٠٠ .

عنه غيرهما ، من أمثال متى هنري الذي قال « لن يوجد نزاع مطلقًا بين الأب والإبن كما يحدث بين البشر حول ما يخص الآباء والأبناء . فالاتفاق موجود منذ الأزل « كل ما هو لي فهو لك وما هو لك فهو لي » أ . هـ[1] .

وقد سبق مؤلف آخر للحديث عن المشاورات التي جرت قبل ابرام (الإتفاق المشار إليه) قال : « كانت المشورات التي بين الأب والإبن أن يأخذ الإبن مكاننا ويحل المشكلة الخاصة بالخطية ، هذا هو أساس السلام »[2] .

فبحسب النص هما اثنان . متكلم يقول «لي» ومخاطب في قوله «لك» وعقلاً : هما اثنان مالك يتكلم ، ومالك مخاطب . جعل المؤلف الفيلسوف ملك كل منهما تحت تصرف الآخر ، وجعلهما شريكين في جميع الملك .

وجاء من بعده من يقول بالمشورة والاتفاق الأزلي بين الطرفين للاشتراك في الملك . وليس هذا إلا دليلاً على مغايرة ذات الإبن لذات الأب ، وأنه قبل الشرك كان لكل منهما ملكه الخاص .

وقد فات هؤلاء القوم أن يتحدثوا عن الأقنوم الثالث (الروح القدس) فلم يشر إليه المؤلف اللاهوتي . ولم يجعله القائل بالاتفاق شاهداً ، وأما الأخير فلم يجعل له نصيبًا في المشاورات لا مشيراً ولا مستشاراً . بل ولا واسطة في المفاوضات .... وذلك لأنهم لم يكونوا قد اخترعوا القول بأقنوميته الأزلية وألوهيته في الوحدة الثالوثية .

ونحن نرى في هذا النص ما يأتي بيانه :

١ - مالكان قبل الاتفاق أصبحا شريكين بعده .

٢ - مُلْكان قبل الاتفاق أصبحا شركة بعده .

٣ - ولا نرى للروح القدس أدنى إشارة لا باعتبار أنه كان مالكًا ولا شاهداً . بل ولا مملوكًا . ذلك لأن القول بألوهيته لم يكن قد اخترع بعد ، فإنهم لم يقولوا بألوهيته إلا في مجمع القسطنطينية عام (٣٨١م) وهو المجمع الذي « أضاف إثبات لاهوت الروح القدس وعمله »[3] .

ولا تخرج تعليقات المؤلف المُؤَلِّهِ للمسيح عن نطاق ما ذكرنا من النصوص ، فهي استنتاج لألوهيته بعد سرد معجزاته .

---

(١) المرجع السابق . ص ٩٩ .　　(٢) هلال موسى : تفسير انجيل يوحنا . ص ٢١٦ .

(٣) أميل زكي وآخرين : إيماني الانجيلي . ص ٣٢ .

والآن وقد عرضنا تلك النصوص التي ابتدعها المؤلف من حصيلة ثقافته سواء منها ما قاله بنفسه ، أو ما أجراه على لسان المسيح مما انفرد دون الأناجيل الثلاثة الأخرى بذكره . نقف لنجيب على **السؤال التالي** :

هل أصاب المؤلف في محاولة تأليه المسيح ؟ ؟

والإجابة : بدون شك أنه لم يصب ولم ينجح في محاولته ، وذلك في ميزان العقل والمنطق .

أما الذين يقولون : إن الإيمان فوق العقل ، ولاينبغي أن يخضع له . فلهم أن يعتقدوا ما يريدون ، ولكن دعوى المؤلف إذا وزنت بميزان العقل والحق ، لاتساوي شيئًا لأنها عارية مكشوفة البطلان .

وقد أصبحت هذه الدعوى محل شك كبير حتى بين اتباع هذا الإنجيل ؛ فمنهم قوم رفضوا العقل ، وعموا ، وصموا وقالوا : هذه العقيدة قدرنا ، والزمن كفيل بهم ، ومنهم قوم ينبذون هذه العقيدة وراء ظهورهم وهم كثير ومنهم من يحاول أن يضع لها تفسيرًا جديدًا . بأن يُشَبِّه قدرة الله بالطاقة الذرية ويقول بأن (الذي حل في جسد المسيح هو (قدرات الله اللامحدود) لأن (وجود المسيح الإنساني - ناسوته - أي تجسد المسيح لايحد ولا يحوي ولايشمل وجود المسيح الإلهي - لاهوته - أي وجود الله اللامحدود من جهة الأبعاد المكانية والزمانية) .

أي أن الذي حل في المسيح ليس ذات الله ، بل قدرة الله ، وهذا تنازل لا بأس به من الدكتور هاني رزق الذي يقول ما نصه :

« نشير هنا إلى سؤال منطقي ينبغي أن لانتغاضى عنه وهو : كيف يمكن أن يحد المحدود اللامحدود ؟ ؟

أي كيف يمكن أن يتواجد الوجود الإلهي اللامحدود للمسيح (لاهوته) وهو وجود الله ، في وجود المسيح الإنساني المحدود (ناسوته أي تجسده) ؟ [1] .

إلى أن يقول :

« ولكن كيف يُفسر وجود لاهوت المسيح (وجود الله) اللامحدود كاملاً في ناسوت المسيح ، (وجود الإنسان) المحدود ؟ ؟

---

(١) هاني رزق : يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته ، ص ١٩٤ .

ونوضح ذلك بقولنا أنه إذا كان الوجود المحدود لايمكن أن يحوي ويشمل الوجود اللامحدود . إذ الجزء لايحوي الكل . فهذا صحيح من جهة الأبعاد - المكانية والزمانية ، أما من جهة القدرات فهذا لاينطبق . إذ الأبعاد المكانية والزمانية لا شأن لها ، ولا علاقة لها بتواجد القدرات .

« وقد تبين ذلك في الواقع العلمي التجريبي إذ وجد أن القدرات والقوات والطاقات الفائقة الحدود تتواجد في أحجام متناهية الصغر في الأبعاد المكانية ، وهي الذرات .

إذ قام العلم الحديث بتفتيت الذرة حيث انبعثت منها طاقات وقدرات فائقة الحدود كانت كافية ومتحدة فيها ، وفي هذا دلالة على أن القدرات والطاقات الفائقة الحدود يمكن أن تتواجد وتتجمع وتتحد وتكمن في وجود متناهي الصغر (الذرة) وأن هذا الوجود المحدود المتناهي الصغر (الذرة) يحوي ويكمن فيه قدرات فائقة الحدود .

« وبذلك يكون وجود المسيح الإنساني (ناسوته) أي تجسد المسيح لايحد ولايحوي ولايشمل وجود المسيح الإلهي (لاهوته) أي وجود الله اللامحدود من جهة الأبعاد المكانية والزمانية .

« ولكن وجوده الإنساني يحوي ويشمل ويتحد ، وتكمن فيه القدرات اللامحدودة لوجوده الإلهي (وجود الله) والتي ظهرت في المعجزات الدالة على وجود الطبيعة الإلهية (وجود الله) مثل إقامة الموتى ، وخضوع الطبيعة له .

« وبذلك يسوع المسيح ، أي المسيح المتجسد هو وجود الله (إذ المسيح هو صورة الله ، أي وجود الله) وفي وجود الإنسان . حيث تواجد الله من جهة قدراته اللامحدودة (الطبيعة الإلهية) في هذا الوجود الإنساني ... » اهـ[1] .

وخلاصة ما ذهب إليه أن الذي حل في المسيح هو قدرة الله اللامحدودة لأن المسيح المحدود المنظور لايحوي ولايتحد ولايشمل المسيح الإلهي اللامحدود الذي هو صورة الله .

لكن هل بقى الله بغير قدرة وقت حلول قدرته في المسيح ؟ ؟

الواقع أن قدرة الله لم تفارق ذاته لتتحد بغيره ، فهو القادر أزلاً وأبداً وهو منزه الذات والصفات .

---

(١) هاني رزق : يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته ، ص ١٩٥ .

وبين يدينا الآن كتاب « الله . ذاته ونوع وحدانيته » لأحد علماء اللاهوت بالكنيسة المصرية . الأستاذ عوض سمعان وقد صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية – القاهرة . قال المؤلف عن الله :

« إنه أسمى من أن يحده مكان من الأمكنة أو كما يقول بعض علماء الدين : إنه أسمى من أن تحده الفوقية أو التحتية أو اليمينية أو اليسارية ، وقد شهد معظم الفلاسفة بهذه الحقيقة فقال أرسطو (المحرك الأول) : أي الله لاينحصر في مكان ما ، لأنه غير جسمي ، ولأنه أيضًا ليس في حاجة إلى مكان معين . وقال القديس أوغسطينوس : الله موجود في كل مكان بنوع خفي ، وموجود في كل مكان بنوع ظاهر . فموجود بالحالة الأولى لأنه لايمكن لأحد أن يعرفه كما هو في ذاته وموجود بالحالة الثانية ، لأنه لايقدر أحد أن يتجاهل وجوده . وقال إسحق بن العسال : كل متحيز متناه ، وكل متناه محدث ، فكل متحيز محدث لذلك فهو ليس متحيز » وقال الإمام الغزالي ردًا على سؤال الزمخشري عن معنى الآية : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ . إذا استحال عليك أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية ، فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بأينية أو كيفية ! !

هذا وقد أشار تعالى منذ القديم إلى عدم تحيزه بمكان فقال : (ألعلّي إله من قريب ، ولست إلهًا من بعيد ؟ إذا اجتاز إنسان في أماكن مستترة أفما أراه أنا ؟ أنا أملأ السماوات والأرض) ! ؟ [1] .

والحق أن هذا النوع من الوجود ليفوق العقل والإدراك ، ولذلك إذا رجعنا إلى أقوال الأنبياء أنفسهم ، وجدنا أنه قد بهرهم وأعجز بيانهم . فقد قال داود النبي مرة لله (أين أذهب من روحك ومن وجهك ؟ أين أهرب ! ؟ إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك ، وإن فرشت في الهاوية فها أنت ! ! إن أخذت جناحي الصبح ، وسكنت في أقاصي البحر ، فهناك أيضًا تهديني يدك) [2] كما خاطبه سليمان الحكيم عندما بنى الهيكل قائلاً له : (هل يسكن الله حقًا على الأرض ؟ هو ذا السماوات لاتسعك) [3] كما قال آخر لرفيق له (هل إلى عمق الله تتصل ؟ أم إلى نهاية القدير تنتهي ؟ هو أعلى من

---

(١) [أرميا ٢٣ : ٢٤] .

(٢) [مزمور ١٣٩ : ٨ – ١٢] .

(٣) [١ ملوك ٨ : ٢٧] .

السماوات ، فماذا عساك أن تفعل ؟ أعمق من الهاوية فماذا تدري ؟ أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر) [١] .

ومع كل فهذا الوجود هو الذي يتوافق مع الله وخواصه وأعماله كل التوافق – وذلك لسببين :

الأول : أنه الخالق للكون وحافظه ، ومدبره ، والمتكفل بسلامته والقائم بهذه الأعمال لايتحيز بحيز .

الثاني : أنه منزه عن المادة كل التنزيه ، ومن كان هذا شأنه لايحده حد . أ . هـ النص [٢] .

ونحن مع الاستاذ عوض سمعان (إلى حَدٍ ما) في تنزيه الله الذي ارتقى وسمى إلى هذا الحد الذي نقلناه عنه ، ولعل من الواجب علينا أن نقول الكلمة الأخيرة في موضوع «تأليه المسيح» وهي بشأن تلك الدعوى التي ألزم هذا المؤلف نفسه بها . وأيده فيها من تبعه ممن جاء بعده ، هل نجحت المحاولة ، أم أن المسيح بشر فقط وليس بإله ولا هو ابن الله إله من إله .

ويليق لهذا الحكم ما نقله الاستاذ محمد مجدي مرجان في كتابه .... «الله واحد أم ثالوث» عن تولستوي من قوله :

« إنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع الحقيقي كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام .

إن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهًا دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون على أقوال لاتدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله أو ابن الله » [٣] أ . هـ .

وتحت عنوان « ثمانية من علماء اللاهوت يعلنون »

« المسيح ليس ابن الله » . كتبت جريدة (العدالة) التي تصدرها الجماعة الإسلامية بحقوق القاهرة في العدد السابع أول المحرم سنة ١٣٩٩ هـ نقلاً عن مجلة (شتيرن الألمانية) مقالاً طويلاً في هذا الموضوع . نوجزه في نقاط :

---

(١) [أيوب ١١ : ٧ – ٩] .

(٢) عوض سمعان : الله – ذاته ونوع وحدانيته . ص ١٢ .

(٣) محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث . ص ١١٠ .

- ثمانية من علماء اللاهوت المسيحيين البروتستانت - ذائعوا الشهرة - ، من بينهم اثنان معتبران من مشاهير الأساتذة الانجليين في جامعة أكسفورد . فاجئوا العالم ، وخاصة الأوساط الدينية المسيحية في الجزر البريطانية بفتوى جديدة قاموا بنشرها في صفحات كتاب اشتركوا جميعهم في تأليفه عنوانه :

« المسيح ليس ابن الله » وقد لاقى هذا الكتاب رواجًا منقطع النظير لدرجة أن جميع نسخه نفدت في اليوم الأول من نزوله الأسواق وطبع منه خمسة عشر ألف نسخة أخرى .

- وقد تلقي العلماء الثمانية التأييد من معهد الدراسات الإنجيلية فقد ثبت لعدد كبير من العلماء والدارسين بأن عيسى عليه السلام ليس ابن الله ، بل إنه لم يدع في يوم من أيام حياته بأنه ابن الله .

- كتبت العَالِمَةُ في شئون اللاهوت «فرانسيس يونغ» من بيير مينغام في بريطانيا تقول :

« إن شخصية عيسى لم تكن شخصية إله كما أنها لاتتفق وأوصاف الإله .... ثم تابعت تقول :

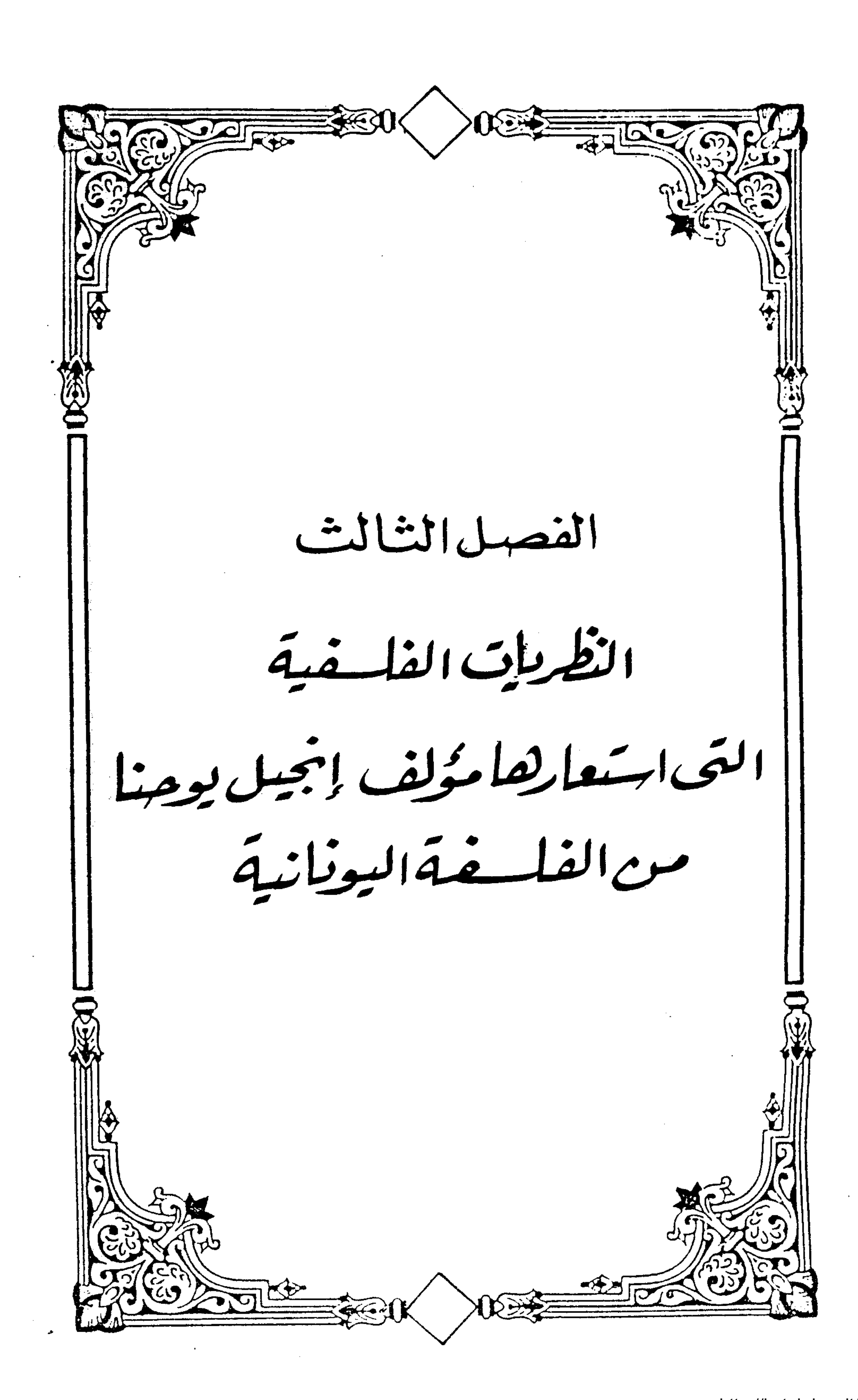
إن اللاهوتين هم الذين ادعوا أن عيسى - ابن الله - «وإن الأسماء والألقاب والصفات الأولى التي أعطيت لعيسى عليه السلام لم تكن وليدة بنات أفكار المسيحيين ، بل جاءت من قبل اليهود ومن زمن الحضارة اليونانية والرومانية ، ففي زمن اليهود ، وازدهار الحضارة اليونانية والرومانية ، لم يكن بالشيء المستبعد التصديق بتقمص « الله » بصورة الإنسان حتى المثقفين في ذلك الزمان كانوا يرون بأن الإسكندر الكبير ، والقياصرة ليسوا سوى من سلالة الآلهة .

- ينكر العلماء الثمانية في كتابهم أن ما كان صحيحًا ومقبولاً في الحضارات الغابرة ، ليس من الممكن أو من المعقول أن يؤخذ به ويكون صحيحًا ومقبولاً لأبناء القرن العشرين ، فهم يقولون إن إعطاء صفة الألوهية لإنسان ما مهما علا قدره ومواهبه شيء لايصدقه العدد الأكبر من أبناء هذا العصر » ا . هـ . النص .

وهذه أبيات من قصيدة للبوصيري الذي عاش في القرن السابع الهجري :

جاء المسيح من الإله رسولاً * فأبى أقل العالمين عقولاً
قوم رأوا بشراً كريماً فادعوا * من جهلهم لله فيه حلولا
فاعجب لأمته التي قد صيرت * تنزيهها لإلهها التنكيلا
وإذا أراد الله فتنة معشر * وأضلهم رأوا القبيح جميلا
أسمعتم أن الإله لحاجة * يتناول المشروب والمأكولا
وينام من تعب ويدعو ربه * ويروم من حر الهجير مقيلا
ويمسه الألم الذي لم يستطع * صرفاً له عنه ، ولا تحويلا
يا ليت شعري حين مات بزعمهم * من كان بالتدبير عنه كفيلا
هل كان هذا الكون دبر نفسه * من بعده أم آثر التعطيلا





الفصل الثالث

النظريات الفلسفية التي استعارها مؤلف إنجيل يوحنا من الفلسفة اليونانية

للعقل الإنساني جهود كثيرة في مجال الفلسفة لمعرفة الخالق سبحانه وتاريخ الفلسفة القديم والحديث خير شاهد على ذلك ولما كان العقل الإنساني يتعاوره من الأهواء والمؤثرات الضارة ما ينحرف به عن جادة الصواب تفضل الله عليه بالوحي حتى يقيمه على الصراط المستقيم . صراط الله الذي له ملك السماوات والأرض وإليه المرجع والمآب . وهذا الصراط شمل تقويم المعرفة بالعقيدة والشريعة التي تلائم ما فطر الله الإنسان عليه من حب الخير لنفسه ولغيره .... إلخ .

وحين يصطدم نص من نصوص أي دين بمبدأ من مبادىء الفطرة التي فطر الله العقل عليها فإن هذا النص يكون أمام خيارين لا ثالث لهما :

التصرف فيه بالتأويل أو بحث قضية ثبوته من ناحية رواته فقد لايكون وحياً أنزله الله على أحد من خلقه ، لأنه مما استقر عليه العقل أن الله تعالى حكيم في خلقه وفعله ولايتأتى من فعل الله الحكيم أن يفطر العقل على مبدأ كمبدأ المغايرة بين الفعل والفاعل والخلق والخالق ... إلخ ثم ينزل وحياً يناقض ذلك فيقول بأن المسيح المخلوق هو الله الخالق ، لأن ثبوت ذلك والقول بأنه وحي يستلزم أحد أمرين :

الأول : جهل الله - تعالى - الذي فطر العقل على خلاف الوحي الذي أنزله ، وهذا الجهل اللازم ينفي عن الله - تعالى - الحكمة .

والثاني : أنه لاقيمة للعقل الإنساني بحال من الأحوال إذا كانت نصوص الوحي تهدر قيمته ولا تحترم مبادئه إلى هذا الحد . وقضيتنا في معالجة نص الانجيل الرابع هنا تُحتم علينا أن نمعن النظر فيه بروية وحذر حتى نخرج بالنتيجة التي يرضاها العقل كما فطره الله .

لايقبل أمام العقل أن يقول قائل : إن المسيح هو الله الذي صار جسداً لاصطدام هذا القول مع مبدأ المغايرة .

ولذلك لجأ مؤلف الإنجيل إلى الإستعانة بما قدر عليه من الفلسفة والثقافة التي تمكن منها ، فأتى بما لم يجاره أحد فيه فقال بأن الكلمة هو الله . وأن الكلمة صار جسداً .... وهو المسيح . ذلك لكي لايصطدم بمبدأ المغايرة مباشرة فاتخذ من «الكلمة» غلافاً حيث وصف الله بأنه « الكلمة الله» أو «الله الكلمة» ووصف المسيح بأنه «الكلمة الذي صار جسداً» واتخذ أيضًا من الكلمة درعًا يحتمي به حتى لايُكَذَّبَ لاصطدامه بمبدأ المغايرة مباشرة . وهذا المبدأ لايزال وسيظل أقوى مما كان على امتداد الزمن كلما تقدم العقل في اكتشاف بديع صنع الله في خلقه .

و«الكلمة» التي لجأ إليها نظرية من نظريات الفلسفة اليونانية ليست من عند المؤلف لأنها موجودة من قبل وجود المسيح بقرون .

كما لجأ المؤلف إلى نظرية أخرى من نظريات الفلسفة اليونانية وهي نظرية «المُثُل» الأفلاطونية ليدعم بها دعواه في وصف المسيح بأنه «الكلمة» وذلك لكي يصل إلى غايته في تأليه المسيح المخلوق .

وسنتكلم عن هاتين النظريتين في إنجيل يوحنا فيما يلي :

أولاً: نظرية الكلمة « اللوغوس » اليونانية

١ - مجمل النظرية :

الكلمة « اللوغوس » هو العقل الإلهي ، رائد كل نظام والمهيمن على كل ناموس في عالم الطبيعة والأحداث الذي يسير حسب حكمته وتدبيره وهو الذي يستلهم منه الإنسان كل ما يسمو به ولا يخرج في شأن من شئونه على إرادة الكلمة وتدبيره . وكذلك سائر المخلوقات . ولاتخرج فلسفة الكلمة عن القول بأنها هي العقل الإلهي وأن كل شيء في الوجود دليل على وجود العقل الإلهي المنظم الحكيم [١] .

٢ - بيئتها الأولى وتطورها :

يقول الأنبا اثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا :

« كان في اللغة اليونانية ثلاثة ألفاظ بمعنى الكلمة :

- الأول (Epos) ومعناها الكلمة التي يقولها شخص فتؤخذ منه باعتبارها كلمته أو مثله الذي قال أو وعده .

---

(١) العقاد : حياة المسيح . ص ٧٤ .

- الثاني (Rhema) بمعنى كلمة . مجرد لفظ .

- الثالث (Logos) كلمة بمعنى (النطق) أو (الفكرة) .

والمعنى الثالث هو المقصود لنا لأنه هو المستخدم للتعبير عن العقل الإلهي منذ نشأت هذه النظرية في بيئتها الأولى إلى أن انتهى بها المطاف لتستقر في الإنجيل الرابع وصفًا لله الكلمة والمسيح الكلمة في محاولة من المؤلف لتأليه المسيح لأنه اختار لفظ : اللوغوس في نصه اليوناني الذي يقال إنه ألفه بلغته . وأول قائل بها في بدايتها هو الفيلسوف اليوناني «هيراكلتوس» الذي كان يعيش في القرن السادس قبل ميلاد المسيح . يقول الاستاذ عباس العقاد أن :

« هيراقليطس أول القائلين بها في الزمن القديم »[1] .

ومن العجب أن هذا الفيلسوف « هيراكتلوس » أو « هيراقليطس » على اختلاف في تعريب اسمه . كان من مواليد « أفسس » التي ولد بها الإنجيل الرابع وهذا من غريب الصدف . ومما يذكره المؤرخون أنه لم يؤلف إلا كتابًا واحدًا اسمه «الطبيعة» أو «في الطبيعة» . كما نقل ذلك الدكتور علي سامي النشار عن بعضهم أيضًا : « ويذكر أنه أملى كتابه في معبد أرتميس - أو أرطاميس - ، وأنه أودع نسخة منه هناك ، وأن هذه كانت عادة اليونان القدامى » . وهذا الكتاب « ينقسم إلى أقسام ثلاثة : الوجود والسياسة واللاهوت »[2] .

ويرجح بعض المؤرخين أن جده أندروكلوس هو مؤسسها ، ملكها المطاع وأن هراكلتوس نفسه كان ولي العهد فتنازل عن حقه في العرش لشقيقه وخصص حياته للعلم . وإلى هذه النشأة يعزون علة كبريائه واعتزازه بنفسه إلى ذلك الحد المغالي الذي حمله على أن يعتبر الجماهير أنعاماً سائمة ، وكان يعد جميع الأعمال السياسية التي يكتظ بها عصره ضربًا من الخلط والعبث لايصدران إلا عن الفهم السقيم .

وكان شديد التشاؤم والإنقباض يعتقد أن الحياة سائرة سيرًا متواصلاً ليس في مكنة أحد أن يبدله ، ولهذا يجب على الإنسان ألا يشغل نفسه بصلاح أي شيء في هذا الكون . لأنه بهذا يحاول عبثًا ويطلب محالاً[3] .

---

(١) العقاد : حياة المسيح . ص ٧٤ .

(٢) علي سامي النشار وآخرين : ديمقريطس . ص ٣٣٤ .

(٣) محمد غلاب : الفلسفة الأغريقية جـ ١ . ص ٧١ الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي .

وربما كان تشاؤمه هذا هو السبب في إطلاق لقب «الفيلسوف الباكي» عليه ، وتفسير ذلك بأنه كان يبكي على فساد أهل أفسس .

« محور فلسفته » اللوغوس : هو العقل الإلهي :

إننا لانشك في أن الدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو جدير بأن ندع له الفرصة لكي يحدثنا عن فلسفة هيراكتلوس في القول بالكلمة «اللوغوس» وذلك من خلال كتابة « شرح بشارة يوحنا » من سلسلة تفسير العهد الجديد . ذلك لأن ما كتبه يعتبر عند الكنيسة ورجالها محل ثقة[(١)] قال باركلي :

« إن فكرة الكلمة كانت معروفة عند مفكري اليونان ويرجع تاريخها إلى سنة (٥٦٠) ق.م قبل ميلاد المسيح ، ومن الغريب في مدينة أفسس أيضًا حيث كتبت بشارة يوحنا . فهناك عاش في ذلك الحين فيلسوف يدعى هيراكلتوس .

كان محور فلسفته أن كل شيء في الوجود في حال فيضان وتدفق وحركة مستمرة فكل ما في الوجود يتغير يومًا بعد يوم ولحظة بعد لحظة ولقد كانت الصورة التي استلهمها : إنك لاتضع قدمك في نفس مَجْرَى الينبوع الواحد مرة بعد أخرى فالمياه تتغير بين حين وآخر لأن المجرى دائم الجريان .

وعلى هذا القياس نادى « هيراكلتوس » بأن كل ما في الوجود في حالة فيضان متغير ، ولكن إن كان الأمر كذلك . ألا يعني هذا أن الحياة كلها في حالة فوضى ، وتغير ، وارتباك كامل ؟ وأين نكتشف معنى ثابتًا في وجود كلمة يسود عليه المد والجزر ، والتغير والتبدل ؟

---

(١) وهو ترجمة الدكتور عزت زكي ، ويشرف على تحرير هذه الترجمة مجموعة من أعلام الكنيسة المصرية وهم الدكتور بطرس عبد الملك ، والأستاذ حبيب سعيد والقساوسة صموئيل حبيب وفايز فارس وفهيم عزيز . والترجمة صدرت عن : دار التاليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة وقد قال هؤلاء في التعريف بالمؤلف :

الدكتور باركلي من كبار المفكرين والباحثين في العالم المسيحي في هذا العصر ، وهو أستاذ العهد الجديد في جامعة كلاسكو باسكوتلاندا، وقد قام باعداد دارسات مسلسلة في العهد الجديد تدل على تعمق في البحث والدرس .

وقد بيع من هذه السلسلة التي تشمل أسفار العهد الجديد كلها مليون نسخة في عام واحد في بريطانيا وحدها ، وأعيد طبعها خمس مرات ، وما يزال الإقبال عليها شديدًا .

وقد صحت عزيمة دار التاليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ودار الثقافة المسيحية التابعة للهيئة القبطية للخدمات الاجتماعية بالإشراف مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى على اصدار هذه السلسلة . أ . هـ .

يجيب ذلك الفيلسوف أن هذا المد والجزر ، والفيضان العارم والثورة المتغيرة ، لاتسير على غير هدي ، وإلا عمت الفوضى الوجود ، ولكن تحكمها نواميس ثابتة ، وقوانين محددة ، وتتبع مثالاً معيناً لايتغير خلال العصور والأجيال ، وإلى أبد الدهر ، ومن الذي يحكم هذه النواميس ويسيطر على هذا المثال ؟ إنه اللوجوس ... الكلمة ... العقل الإلهي .

فالكلمة عند هذا المفكر هو رائد كل نظام يسير عليه الوجود والمهيمن على كل ناموس يخضع له .

ولكنه لم يكتف بالوقوف عند هذاالحد ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك . فقال إنه لا يوجد فقط مثال في العالم الطبيعي ، بل هناك أيضاً مثال في عالم الأحداث . فلايتحرك شيء في هذا الوجود على غير هدي . وفي كل حياة ووراء كل حادث في الحياة يوجد هدف وقصد وخطة موضوعة .

ومن الذي يسيطر أيضاً على الأحداث وَيجريها حسب حكمته ؟

الجواب مرة ثانية :

اللوجوس - الكلمة - العقل الإلهي .

ثم تعمق المفكر بعد ذلك إلى أبعد من هذا . فبدأ يتأمل في أعماق الإنسان ، قال وما هو ذلك الشيء في أعماق الإنسان الذي يجعله يميز بين الخير والشر ؟ ما الذي يعطينا المقدرة على التأمل والتفكير ؟

ما الذي يعيننا لنعرف الحق ، ونختار الخير ؟

ومرة ثالثة يجيب المفكر : إنه اللوجوس في أعماق الإنسان ، فهو الذي يهب الإنسان العقل المميز ، ومعرفة الحق ، والمقدرة على تمييز الأشياء المتخالفة . ففي عالم الطبيعة والأحداث يسير كل شيء حسب سلطان اللوجوس ، وفي عالم باطن الإنسان اللوجوس في الأعماق هو الكائن المميز بين الحق والباطل ، والقوة المعينة على قبول الخير ، فاللوجوس يسيطير على هذا الوجود ، كما يسيطر على كيان الإنسان .

وحين اكتشف اليونانيون هذا الحق ، تمسكوا به ، ونادى به أكثر أتباع المدرسة الرواقية فقد كان الرواقيون في عجب ودهشة من النظام الذي يسير عليه هذا الوجود، فالنظام يستلزم وجود قوة مفكرة ، والناموس يستوجب كيان عقل مدبر .

فمن الذي يحفظ الكواكب في مجراتها ؟ من الذي يسيطر على المد والجزر ؟ من

الذي يسود علي تعاقب الليل والنهار وتعاقب الفصول بانتظام ؟ والجواب كما أسلفنا: اللوجوس ، كملة الله ، عقل الله ، فاللوجوس هو هذه القوة التي تفسر ظواهر هذا الوجود .

وهو السلطان الذي يسيطر على نواميس الكون فلا يسوده الارتباك والتشويش ، وهو المقدرة السامية التي تدفع العوالم إلى الحركة بكل هدوء ونظام ، أو بحسب التعبير الرواقي اللوجوس هو الذي يتخلل كل شيء ويتسلط على كل شيء »[1] أ.هـ .

من أجل هذا يعتبر « هيراكتلوس » أعظم ملهم للمدرسة الرواقية التي جاءت بعده ببضعة قرون » على حد تعبير الدكتور محمد غلاب الذي قال عنه أيضًا :

كان أول فيلسوف إغريقي سار بالفلسفة إلى التعقل المعقد الذي يقهر العقول على التأمل والتفكير » .

« وبهذا كان جديراً بأن يعد من أعلام العقل البشري وقادة الذهن الإنساني إلى التفكير القوي »[2] .

الكلمة في الفكر اليهودي . في النص العبري : كلمة الله . وفي الترجوم : ذات الله وكلمة الله .

ويجمل بنا أن نطوف بمعنى لفظ الكلمة عند اليهود لنرى موقفهم منها قبل الانتقال إلى الفيلسوف اليهودي الاسكندري الذي يعده الأستاذ العقاد « أكبر فلاسفة الإسرائيلين في العصر القديم »[3] .

وقد كان اليهود يستعملون لفظ الكلمة في المعنى اللغوي وهي ما يعبر به عما في النفس من معنى ينطق أو يكتب .

« ثم حدث تطور في الحياة العبرانية نَجَمَ عنه أثر كبير في تشكيل الفكر العبراني عن الكلمة . فلمدة تزيد على مائة عام قبل مجيء المسيح ، أمست فيها العبرية لغة منسية . ولقد كانت الأسفار مسطرة باللغة العبرية ، التي لم يدركها عامة الشعب ، عدا فئة قليلة من العلماء ، وكان الشعب يتحدث الآرامية ، وهي لغة متطورة عن العبرانية ، ولذلك كان لزاماً أن تترجم الأسفار المقدسة إلى الآرامية حتى يستطيع الشعب أن يدرسها » .

---

(١) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد شرح بشارة يوحنا . جـ ١ص ٤٧ .

(٢) محمد غلاب : الفلسفة الإغريقية . جـ ١. ص ٣٧. (٣) العقاد : حياة المسيح . ص ٧٤ .

وتُرْجِمَتْ ودعيت هذه الترجمات «الترجوم» بالآرامية ، وقد كُتِبَتْ أسفار الترجوم في وقت ساد على أفكار الناس الاحساس بعظمة الله وسموه ، وأصبح اتضاعه أمراً يدعو للدهشة .

فالله يسمو على أفكارنا ، وتشبيهاتنا ، وأمثالنا ، وتصوراتنا وطبيعي كان أولئك الذين قاموا بترجمة التوراة يشاركون أبناء عصرهم هذه العقيدة . لذلك فقد كانوا يخشون أن ينسبوا لله الصور المادية والتشبيهات الحسية » .

وأصبحت كلمة الله تعبيراً جديداً في قاموس علم اللاهوت العبري وابتدأ الشعب يعتاده ويدركه لأنه كثيراً ما كان يسمعه يتردد في قراءات المجامع اليهودية ، إن كل يهودي كان معتاداً أن يسمع لقب «الممرا» كلمة الله من فم الكتبة والأحبار (1) .

تأثر اليهود ويوحنا باللوجوس اليوناني :

وقد كان اللوجوس اليوناني ذا أثر في الفكر اليهودي عن الكلمة يقول باركلي :

ولقد كان كلا المعنيين مترابطين في ذهن الرسول يوحنا وفي أذهان كبار المفكرين من اليهود في حديثهم عن «الكلمة» فحينما كانوا يتحدثون عن « الكلمة» كانوا يقصدون فكر الله وكلمة الله . وهذا يبدو واضحاً في أماكن متفرقة من أسفار الحكمة .

« ولقد كان الأدب العبري يحوي مجموعة عرفت بأسفار الحكمة » وهي خلاصة أقوال الحكماء. ممن خبروا الحياة أكثر من سواهم . « ومن بين أسفار الحكمة اليهودية سفر الأمثال لسليمان » وفيه نلتقي بجمل غريبة (2) تضفي على الحكمة قوى سرية خلاقة ، أزلية حتى يخيل للباحث وكأن الحكمة ذات متميزة ، ووواسطة أزلية وعامل خلاق مع الله منذ البدء » .

وخلاصة الأمر . أن الفكر اليهودي أضفى على الكلمة السلطان والقوة الخلاقة ، هنا نرى الجانب الثاني من الفكر عن «اللوجوس» يتبلور ويتضح .....

---

(1) باركلي شرح بشارة يوحنا . جـ ١ . ص ٣٩ بتصرف .

(2) سبق التعريف بهذا السفر عند التعريف بالعهد القديم وأسفاره في ص ٢٧ من المقدمة ، وقد نقلنا عن بعض المحققين من علماء الكتاب المقدس عن هذا السفر قولهم « يسمى أمثال سليمان لأن سليمان مؤلف قسم كبير من محتويات هذا السفر ... أما الأقسام الباقية فمأخوذة عن أصول أجنبية غريبة » ولعل ذلك يوضح لنا السبب في وجود الجمل الغريبة التي تضفي على الحكمة قوى وصفات أزلية كأنها ذات متميزة ، ووواسطة أزلية .

« فما الحكمة والفهم إلا صنوان أو تعبيران عن شيء واحد ، في البداية رأينا الفكر العبراني يتحدث عن كلمة الله وهنا نراه يتحدث عن حكمة الله ، وفكر الله » .

« وقد اختار الدكتور باركلي ثلاثة نصوص من أمثال سليمان تتحدث عن الحكمة وربط بينها وبين حديث مؤلف الإنجيل الرابع عن الكلمة .

النص الأول : «هي شجرة حياة لمسكيها . والمتمسك بها مغبوط ، الرب بالحكمة أسس الأرض ، أثبت السماوات بالفهم بعلمه انشقت اللجج ، وتقطر السحاب ندى» (١) .

النص الثاني : « اقتن الحكمة . اقتن الفهم ، إحفظه فإنه حياتك » (٢) فإن سليمان يتحدث هنا عن الفهم أنه الحياة ، الجانب الواحد يرتبط مع الآخر في الفكر العبري وأثر ذلك ظاهر في قول يوحنا عن الكلمة « فيه كانت الحياة » .

النص الثالث : عن الحكمة من الأمثال أيضًا وهو أوضح من سابقيه «الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم ، منذ الأزل مسحت ، منذ البدء ، منذ أوائل الأرض – لما ثبت السماوات كنت هناك أنا – لما رسم أسس الأرض كنت عنده صانعًا ، كنت كل يوم لذته ، فرحة دائماً قدامه » (٣) .

يقول باركلي :

«ألا يرى القاريء في هذه الكلمات صورة مما ورد في حديث يوحنا عن الكلمة ؟» .

« فالحكمة هناك منذ الأزل ، قوة جبارة خالقة ، يصدر عنها النور والبهجة والحياة .أليس هذا هو نفس حديث يوحنا عن الكلمة اللوجوس ؟ الذي من البدء كان وبغيره لم يكن شيء مما كان ؟ ! ! » .

« ولاتتوقف هذه الأفكار اليهودية عن الحكمة والكلمة على الأسفار القانونية ، بل امتدت إلى أسفار الأبوكريفا حتى قبيل المسيح بمائة عام . بين فلسطين والإسكندرية بمصر التي كتب بها سفر «حكمة سليمان» وكاتب ذلك السفر يتحدث عن الحكمة والكلمة وكأنهما صنوان لذات واحدة هي قوة الله الخالقة، المنيره، الأزلية » (٤) أ.هـ .

---

(١) [أمثال ٣ : ٨ – ١١] .

(٢) [أمثال ٤ : ٥ – ١٣] .

(٣) [أمثال ٨ : ٢٢ – ٣٠] .

(٤) باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٦ .

التقاء فلسفة اللوغوس اليونانية بالفكر اليهودي في الاسكندرية :

في مدرسة الاسكندرية بزعامة فيلون اليهودي الاسكندري (٢٠ ق.م-٥٤م) التقى «اللوغوس» اليوناني بالفكر اليهودي عن «الكلمة» و«الحكمة» مع عقائد وفلسفات العصر من كل منبت . وقد سبق أن قلنا عنه إنه :

« مزج في فلسفته بين عقائد عصره ومذاهبه الفلسفية من كل منبت ولاسيما منبت الإغريقية الاسكندرية، وأخذ القول بالكلمة «اللوجوس» من الرواقيين عن «هيراكلتوس» أول القائلين بها ، وقال : أنها واسطة الله في علاقته بهذا العالم ، ويقول عنه الدكتور وليم بارلكي : « لقد أوقف هذا المفكر حياته على دراسة الفلسفتين اليهودية واليونانية فلم يكن هناك واحد بين اليهود نظيره ، له الإلمام التام بكل ما ورد في أسفار العهد القديم ، كما لم يكن هناك يهودي مثله أدرك عظمة الفكر اليوناني وتعمق في أسراره ، وهو أيضاً خلبت لُبُّهُ فكرة الكلمة أو اللوجوس ، فنادي بأن اللوجوس كائن منذ الأزل ، وأنه الواسطة التي بها خلق الوجود ، ثم قال بأن اللوجوس هو فكر الله مطبوعاً على العالم كما أنه وسيلة الله للخلق . وعلى حد تعبيره . كما يمسك المزارع بالمحراث ويتخذ منه واسطة لبعث الحياة والإزهار في الأرض الجرداء هكذا الكلمة هو الواسطة لبعث الكون وتسيير دفتيه ... ثم قال إن عقل الإنسان يحمل طابع اللوجوس .

فهو الذي يهبه التميز والمقدرة على المعرفة . فاللوجوس هو الوسيط الواحد بين الله والإنسان بين الكائن والحادث ، وكما قال : اللوجوس هو الكاهن الذي يسمو بالإنسان أمام الله » .

« وهكذا كان الكلمة في الفكر اليوناني قوة الله الخالق ، والمسيطر والمرشد ، والحافظ ، والمسير لكل ما في الوجود » .

« فأتى يوحنا في بشارته وقال لليونانيين : إنكم لأجيال طويلة كنتم تفكرون عن الكلمة ، وتكتبون عن الكلمة ، وتحلمون عن الكلمة القوة الخالقة لهذا الكون ، والقوة الحافظة والمسيرة لهذا الوجود ، والقوة العاقلة المفكرة في قلوب الناس ، والقوة الروحية الملهمة لكل ما هو سام ، ورفيع في الحياة ، وها هو اللوجوس كلمة الله ، وفكر الله قد تجسد إلى العالم في شخص يسوع المسيح : «والكلمة صار جسداً وحل بيننا» .

« وهكذا استطاع اليهود واليونانيون على السواء أن يصلوا إلى إدراك معنى

اللوجوس – كلمة الله – وفكر الله ، وعقل الله ، الذي أبدع هذا الوجود ، والذي أعطى لكل شيء معناه » .

« وهكذا أتى يوحنا إلى اليهود واليونانيين على السواء ليخبرهم أن يسوع المسيح هو كلمة الله القوة الخالقة ، الحافظة ، المسيطرة ، المنيرة لكل عقل ، قد أتى في ملء الزمان ، ولبس جسم بشريتنا ، وما عليهم بعد أن يرهقوا عقولهم في البحث ، والتنقيب إلا أن يتطلعوا بالإيمان إلى يسوع المسيح . ليلمسوا فكر الله المتجسد الحي في شخصه المبارك »[1] .

وليس باركلي وحده على هذا القول ، بل يقول بذلك كثير غيره ومن هؤلاء ول ديورانت : صاحب كتاب « قصة الحضارة » إذ يقول :

« وقد يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الانجيل الرابع . ذلك أن سفر الرؤيا سفر يهودي ، وأن الإنجيل فلسفة يونانية .... وما من شك أنه قد سمع في الجزائر والمدائن الأيونية أصداء كثيرة للتصوف اليوناني والفلسفة اليونانية .

وكان بطليموس من قبله قد نشر تلك العقيدة الخطيرة ، القائلة إن «أفكار الله» هي النمط الذي شكلت بمقتضاه الأشياء كلها ثم جمع الرواقيون هذه الأفكار في عبارتهم المعروفة :

« فكرة الله المخصبة » .

ثم حشد الفيثاغوريون الجدد هذه الأفكار فجعلوها شخصاً قدسياً ثم استحالت على يد فيلون إلى « عقل الله » أي إلى عنصر قدسي ثان ، به يخلق الله الخلق ويتصل بالعالم .

وإذا ما ذكرنا ذلك ونحن نقرأ بداية الإنجيل الرابع الذائعة الصيت ، واستبقينا لفظ (Loges) اليوناني بدل ترجمته الإنجليزية (Ward) أو العربية « كلمة » أدركنا من فورنا أن يوحنا قد انضم إلى الفلاسفة .

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان ، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ....»

« والكلمة صار جسداً وحل بيننا ... »

---

(١) باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٩ .

وإذا كان يوحنا قد عاش مدي جيلين في بيئة هلنيستية فقد بذل جهده ، لكي يصبغ بالصبغة اليونانية العقيدة الصوفية اليهودية القائلة بأن حكمة الله كانت شيئاً حياً والعقيدة المسيحية القائلة بأن عيسى هو المسيح المنتظر ، كما أحس من قبل فيلون العالم المتطلع في البحوث العقلية اليونانية بالحاجة إلى صياغة العقائد اليهودية من جديد كي توائم عقلية اليونان ذوو النزعة الفلسفية .

ولقد واصل يوحنا عرف أو لم يعرف ما بدأه بولس من فصل المسيحية عن اليهودية ، فلم يعرض المسيح على العالم كما كان يعرض عليه من قبل بوصفه «يهودياً» يلتزم الشريعة اليهودية إلى حد ما ....

بل كان ابن الله الخالد معه ، ولم يكن الحكم بين الناس في المستقبل فحسب ، بل كان هو الخالق الأول للكون ، فإذا نظرنا إلى المسيح هذه النظرة ، كان في وسعنا أن نغفل إلى حد ما (حياة يسوع اليهودية) إذ نراها تنوي ويذهب سناها .....

أما فكرة (المسيح الإله) فقد هضمتها وامتصتها تقاليد العقل الهلنستي الدينية والفلسفية ، ومن ثم كان في وسع العالم المضاد للسامية أن يحتضنها ويرضى بها .

إن المسيحية لم تقض على الوثنية . ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها »[(١)] .

٣ - هل جاء بالعهد الجديد مثل هذا القول الجريء ؟ أم أنه قول غريب ؟ ؟

وينبغي توضيح المقصود باللوغوس هل هو ذات ؟ أم صفة ؟ ؟

وقصد المؤلف ليس صفة من الصفات ، بل ذاتا قبلت التعين والوصف والإدراك بالتجسد . في قوله : « كان الكلمة الله »[(٢)] « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة حقًا »[(٣)] .

إن تجسد الله وحلوله في جسد المسيح دعوى تفرد بها يوحنا بين كُتَّاب ومؤلفي العهد الجديد ، بل إن لفظ التجسد لم يستخدمه أحد ممن جاء بعده قبل نهاية القرن الثاني الميلادي .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة . جـ ٣ مجلد ٣ . ص ٢٧٦٤ ترجمة محمد بدران . طبعة لجنة التاليف والنشر.

(٢) [١ : ١] .　　(٣) [١ : ١٤] .

وفي هذا التفرد جرأة من يوحنا لأن القول غريب على كتب العهد الجديد ، والتفرد الثاني في قوله بـ « اللوغوس » الذي عبر عنه المعرب بالكلمة « يعني بها معنى اللوغوس » وهو « النطق » .

ونحن نقول بأنه تفرد أيضًا في القول باللوغوس أو النطق الذي استباح هذا المؤلف أن يقول بأنه « الله » والذي قال بأنه هو « المسيح » لأن المسيح لم ترد تسميته في كتب العهد الجديد بهذا المعنى .

وإنما جاء حديث عن كلمات بمعان مخالفة . يحاول بعض منهم أن يقول إن المقصود بها هو المسيح . وهي كلمات ثلاث في أماكن ثلاثة ، اتفق وليم إدي . مع لجنة القاموس على التمسك بواحدة وزاد كل منهما عليها . وكل من وليم إدي ولجنة القاموس يحاول القول بتقارب المعنى مع معنى يوحنا .

أ - موضع الإتفاق . نص سفر رؤيا يوحنا : في الإصحاح التاسع عشر :

« ثم رأيت السماء مفتوحة ، وإذا فرس أبيض ، والجالس عليه يدعى أمينًا ، وصادقًا ، وبالعدل يحكم ، ويحارب ، وعيناه كلهيب نار ، وعلى رأسه تيجان كثيرة ، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو ، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ، والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض ونقيًا ، ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء »[1] .

ونحن نعلق على هذا النص بأن هذا القائد ليس هو المسيح بل هو لآخر يدعى أمينًا وصادقًا ، بالعدل يحكم ، ويحارب إلى آخر صفاته التي ختمت بأنه يدوس الخمر . ونؤكد أن هذه ليست صورة المسيح لأنه لم يحكم ، ولم يحارب ، ويقول المؤلف اللاهوتي في هذا الإنجيل إن أول معجزاته الإلهية هي تحويل الماء خمرًا في عرس قانا الجليل .

فإن لهذه الصورة صاحب واحد جاء من بعد المسيح وهو محمد ﷺ . وإنما قلنا ذلك إحقاقاً للحق فنحن كمسلمين نؤمن بالله ورسوله ولانفرق بين أحد من رسله ومعاذ الله أن يجرنا ذلك للتعصب .

---

(١) [١٩ : ١١ - ١٥] .

ونفترض جدلاً مع وليم إدي ومع لجنة القاموس أن هذا الفارس في رؤيا يوحنا ، المدعو اسمه كلمة الله هو المسيح . فهل يسلم لهم القول بأن معنى « المسيح كلمة الله في رؤيا يوحنا » هو معنى « المسيح الكلمة الذي صار جسداً أي هو الله » ؟ ؟

والإجابة بالنفي . فإن المفهوم مغاير ! !

فإن نص الإنجيل يفيد : أن الله الكلمة . صار جسداً وهو المسيح .

أما نص الرؤيا الذي سبق لنا نقله والذي سمي فيه الفارس المحارب « كلمة الله » فعلى فرض أن المقصود به هو المسيح فهو غير الله الجالس على العرش في نفس الإصحاح من سفر الرؤيا وهو قوله :

وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً هللويا . وخر الأربعة والعشرون شيخاً والأربعة الحيوانات وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين آمين هللويا ، وخرج من العرش صوت قائلاً سبحو لإلهنا - ١١ - ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً ... إلخ » الإصحاح التاسع عشر .

ب - الموضع الذي تفردت لجنة القاموس به هو نص من أول رسالة يوحنا الأولى : حيث يقول كاتبها :

« الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة »[(١)] وكلمة الحياة المقصودة هنا ليست هي الكلمة المتجسد الذي يقصده مؤلف الإنجيل الرابع .

فصاحب رسالة يوحنا الأولى التي معنا يقول : أيضاً :

« الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به »[(٢)] والمقصود بذلك هو التعاليم الجديدة والوصايا القديمة في قوله :

«أيها الأخوة لست أكتب لكم وصية جديدة ، بل وصية قديمة كانت عندكم من البدء . الوصية القديمة هي الكلمة التي سمعتموها من البدء . أيضاً وصية جديدة أكتب إليكم »[(٣)] .

---

(١) [١ يوحنا ١ : ١] .
(٢) [١ يوحنا ١ : ٢] .
(٣) [١ يوحنا ٢ : ٧] .

فها هو ذا يتحدث عن الوصايا العشر بأنها كانت عندهم من البدء وهي كلمة مسموعة ، ويقول أيضًا عن الأحداث الذين تمكنت منهم الوصية الجديدة ، وثبتت فيهم كما ثبت لدى آبائهم الوصية القديمة من البدء :

« كتبت إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي من البدء ، كتبت إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فيكم وقد غلبتم الشرير »(١) .

« أما أنتم فما سمعتموه من البدء فليثبت إذًا فيكم »(٢) وغني عن البيان . أن المقصود بلفظ الكلمة هنا ليس هو معنى (اللوجوس) بل هو معنى الوصايا والتعاليم التي لابد منها للحياة الأبدية » .

ومن هنا ندرك أن قول لجنة القاموس : تحت مادة « كلمة » « استعمل(٣) هذه اللفظة بصيغة المذكر للدلالة على السيد يسوع المسيح ، فإنه الله الذي ظهر متكلمًا معلنًا نفسه »(٤) فيه مغالطة لأن مؤلف سفر الرؤيا يفصل ذات الفارس – على القول بأن المقصود به هو المسيح – عن ذات الله الجالس على العرش .

وهذه اللجنة تعلل بأن ذلك « لأن المسيح هو الله الذي ظهر » ولو كانت هذه عقيدة صاحب الرؤيا لجعل الذاتين – ذات الفارس الجالس على الفرس وذات الله الجالس على العرش – ذاتًا واحدة في مكان واحد إما على العرش وإما على الفرس .

وفي قول اللجنة تَجَوُّزٌ لأن المقصود بكلمة الحياة المشار إليها في رسالة يوحنا الأولى . هو وصايا الله وتعاليمه التي تستقيم بها الحياة الأبدية .

جـ – الموضع الذي تفرد به الدكتور وليم إدي في تفسيره لإنجيل يوحنا هو الإصحاح الرابع من رسالة العبرانيين « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين ، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا »(٥) .

---

(١) [١ يوحنا ٢ : ١٤] . (٢) [١ يوحنا ٢ : ٢٤] .

(٣) [يوحنا ١ : ١-١٤] [١ يوحنا ١ : ١] [رؤيا ١٩ : ١٣] .

(٤) قاموس الكتاب المقدس . ص ٧٨٥ . (٥) [عبرانيين ٤ : ١٢] .

وربما تكفي النظرة إلى هـذا النص لنرى فيه أن المقصود بكلمة الله هنا هو تعاليم الله ووصاياه وكلامه الذي يثير وجدان النفس والروح ويميز أفكار القلب .... إلخ .

وفي التعبير عنها بلفظ المؤنث ما يدل دلالة قاطعة على أن المقصود بها هو الكلمة المسموعة أو المكتوبة ، وربما كان هذا وراء إغفال لجنة القاموس للإشارة إلى هذا الموضع والقول بأن المراد بها هو المسيح تنزيهًا له عن التأنيث مع التأليه .

وربما لاتكفي هذه النظرة فنقول إن نص نفس كاتب العبرانيين بعدها مباشرة كاف للحكم بالمغايرة بين تلك الكلمة وبين المسيح الذي خلع عليه لقب «رئيس الكهنة العظيم» إذ يقول :

« فإذا لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار ، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خَطِيَّة »[1] .

قال الدكتور إدي :

« لفظة الكلمة لايراد بها صفة كالحكمة أو قوة كالنطق أو كتاب الله لأنه لايصح أن يقال : إن الكتاب المقدس صار جسداً بل المراد بها أقنوم . واعتاد اليهود تسمية المسيح المنتظر بالكلمة ، ولاسيما المتشتتون بين الأمم الذين عرفوا الفلسفة اليونانية ، والذين كتب يوحنا إنجيله إليهم يفهمون بالكلمة الأقنوم الثاني من الثالوث ، ولم ترد تسمية المسيح بالكلمة في غير هذا الموضع في العهد الجديد إلا في[2] ....» أ.هـ[3] .

ولا يهولنك ما في قوله « اعتاد اليهود تسمية المسيح المنتظر بالكلمة ... إلخ » من مبالغة ، فقد رجع إلى القول : لم ترد تسميته بالكلمة في غير هذا الموضع - موضع الإنجيل الرابع - إلا في موضعين .

ولعلك تلاحظ . أننا لم نسلم له بنص العبرانيين الذي سكتت عنه لجنة القاموس وذلك لأن المقصود ليس هو المسيح الذي هو اللوغوس المتجسد .

ولنفس السبب لم يقل بما ذهبت إليه لجنة القاموس في نص رسالة يوحنا الأولى لأن المقصود هناك هو الكلمة المسموعة .

---

(١) [عبرانيين ٤ : ١٤] .   (٢) [عبرانيين ٤ : ١٢] [رؤيا ١٩ : ١٣] .

(٣) وليم إدي : الكنز الجليل في تفسير يوحنا . ص ٩ .

ولايبقى إلا موضعان موضع الرؤيا الذي يفرق بين ذات الفارس الجالس على الفرس ، وبين ذات الله الجالس على العرش ، وهو يتعارض مع نص الإنجيل الرابع الذي يقول بأن الكلمة هي الله الذي هو المسيح [١] .

ولسنا نبالغ إذا نحن قلنا : إن عقيدة « اللوجوس » كما وضحنا تفرد بها مؤلف الإنجيل الرابع . بين كتاب العهد الجديد . ولسنا نقول ذلك اجتهاداً أو استنتاجًا وإنما لأن ذلك القول كما يشهد به أهله وهو موافق للعقل لايصادمه بل يتسق مع التفكير المستقيم .

قال الأنبا يؤانس أسقف الغربية في كتابه «الكنيسة المسيحية في عصر الرسل» وهو يتحدث عن سبب رفض شيعة (الألوجيين) للإنجيل الرابع . في الوقت الذي كانت غالبية الكنيسة تقبله . قال ما نصه :

« ولايشذ عن هذا الإجماع سوى صوت واحد لايكاد يسمع وهو الخاص بشيعة الألوجيين (The Alogi) الذين أنكروا هذا الإنجيل لأنهم كانوا يعارضون عقيدة اللوغوس . التي انفرد بها يوحنا في إنجيله » [٢] .

وقد فسر سبب إطلاق اسم Alogi على هذه الفرقة لأن هذا الاسم يتضمن معنى مزدوجًا : غير معقول ، وضد اللوجوس ، ولعل من غير الخفي أن هذه الشيعة كانت ترد هذا الأنجيل لأنها لم تقبل عقيدة اللوغوس التي تفرد بها هذا الإنجيل .

ونخلص إلى القول بأن هذه العقيدة غريبة على العهد الجديد ، وأنه لم ينفرد بها إلا هذا المؤلف الجريء ولعل الظروف ساعدته لسببين :

١ - أن هذا الإنجيل هو آخر مؤلفات كتب العهد الجديد الحالية زمنًا ، وأنه جاء بعدها ولم يأت بعده من يرد عليه منها . وربما أعدمت الكنيسة ردوداً عليه ضمن ما أعدمت .

---

(١) لاحظ الفرق بين تصور مؤلف سفر الرؤيا عن ذات الله وذات المسيح . وبين تصور المؤلف اللاهوتي للإنجيل الرابع وهذا الفرق من الأدلة على أن كاتب كل منهما غير كاتب الآخر لاختلاف العقيدة عند كل منهما عنها عند الآخر .

(٢) يؤانس : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل . ص ٢٨٧ .

٢ - أن هذا الإنجيل جاء تلبية لرغبة أهل أفسس في تأليف إنجيل يقول بألوهية المسيح ، فلم يجد من يعارضه إلا الأولجيين ووجد من الغالبية كل قبول وترحيب في عصر غاب فيه وعي التاريخ .

يقول الدكتور وليم باركلي :

« لقد كان هذا فكراً جريئًا جديداً عن الله ، لم يسمع به من قبل ، لذلك لاغرابة أن نجد أناسًا حتى من قلب الكنيسة ينكرون هذا الحق ويرفضونه »[١] .

نقل يوحنا للنظرية :

يقول باركلي : « وهكذا وجد يوحنا - يقصد مؤلف الإنجيل الرابع - أن أفضل طريق يصل به إلى قلوب أبناء شعبه أن يبدأ بالحديث عن الكلمة ، الكلمة التي ليست مجرد صوت صارخ بل قوة دافعة لها فاعليتها كلمة الله الذي به خلق العالمين . الكلمة كما وردت في الترجوم لتعبر عن فكر الله وذاته ، وصفاته ثم الحكمة الإلهي كما تصوره أسفار الحكمة ، قوة الله الخالق الأزلي ، الذي ينير كل إنسان وهكذا قال لأبناء شعبه مستعيراً هذا الفكر ليعبر عن المسيح : « إذا أردتم أن تروا كلمة الله الأزلي ، وأن تنظروا قوة الله الخلاقة ، إذا أردتم أن تبصروا الكلمة الذي به خلق الوجود بما فيه ، الذي وهب النور والحياة لكل إنسان ، تطلعوا إلى ربنا يسوع المسيح ، ففيه كلمة الله قد تمثل بشراً فيما بينكم »[٢] .

ولعل من الواضح أن كل ما فعله مؤلف الإنجيل الرابع أنه استعار الفكر العبراني اليهودي الذي كانوا يعبرون به عن فلسفة « اللوجوس » اليونانية . وذلك ليعبربه عن المسيح . كما أفاض الدكتور باركلي - وهو من هو - في توضيح ذلك واعترافه به ، ويبقي الحكم بعد ذلك للقارىء اللبيب .

ونحن نتساءل : هل أضاف الفيلسوف اللاهوتي يوحنا الشيخ مؤلف هذا الإنجيل شيئاً إلى فلسفة « اللوغوس » ؟

والإجابة بدون شك أنه لم يضف شيئاً من حيث الأفكار الفلسفية وكل ما فعله هو أنه ألبسها ثوب المسيح أو ألبس المسيح ثوبها فقال بأنه هو الكلمة ، وأن الكلمة

(١ ، ٢) وليم باركلي شرح بشارة يوحنا . ص ٤٦ .

صارت جسداً هو المسيح فنقلها بذلك من حيز المعاني التي تليق بالذات الإلهية وصفاتها إلى حيز المادة المجسمة المحسوسة في شكل إنسان ، ذات جسد محسوس وملموس هو المسيح . وذلك حين قال :

« والكلمة صار جسداً وحل بيننا ..... »

وهو قد استعار الفكر اليهودي الغني بنصوصه وخصوصاً تلك التي تتحدث عن الحكمة اعتماداًعلى فلسفة « اللوجوس » اليونانية بصفاتها . وأضاف كل ذلك إلى شخصية المسيح ، ولعل هذا يوضح لنا المغايرة بين صورة المسيح التي يرسمها قلمه الفلسفي في نص إنجيله عن الصورة التي تظهر في اتفاق الأناجيل الثلاثة الأخرى .

ولعل هذا يوضح أيضاً ذلك الطابع الفلسفي الذي يميز إنجيله عن بقية كتابات العهد الجديد .

قال الدكتور القس إبراهيم سعيد : « أما العقلية اليونانية فقد كانت مشبعة بلفظ «لوجوس» من كتابات فيلون الفيلسوف اليهودي الإسكندري غير أن المعنى الذي تحمله «الكلمة» في كتابات يوحنا يسمو عن معناها في آداب اليونان . كان اليونان يشيرون بـ «الكلمة» إلى الذهن ، والفكر ، لكن يوحنا أراد بها الذات والشخصية «بكلمة الله» لايقتصر معناه على أن المسيح هو الكلمة التي نطق بها الله بلسان أنبيائه ، بل يراد به أن المسيح هو ذات الله المتكلم »[1] .

وقال وليم باركلي : « هنا يتقدم بالفكر الفريد ، الذي يبدو غريباً كل الغرابة عن مفاهيم الفكر اليوناني ، لقد قال أوغسطين ، وهو حجة في الدراسات الفلسفية القديمة ، إنه قرأ ودرس جميع الفلسفات التي تقدم بها كبار فلاسفة الوثنية ، ولكنه لم يجد في واحدة منها كلمة توازي ما جاء في بشارة يوحنا ، من أن الكلمة صار جسداً وحل بيننا ، ولقد كان اليونانيون يعتقدون أن هذا هو المستحيل .

فالشيء الوحيد الذي ما كان ممكناً أن يحلم به يوناني أن يرى الله ، وقد أخذ جسداً ، وحل إنساناً بين بني البشر فالجسد في الفكر اليوناني كان شراً ، سجناً قضي على النفس أن تبقى فيه لاختبارها وتصفيتها ... قبراً منتناً كتب على الروح أن تلازمه ردحاً من الزمن .

---

(١) د. إبراهيم سعيد . شرح بشارة يوحنا . ص ٣٢

وفيلون الفيلسوف يقول : « إن حياة الله لايمكن أن تتنازل إلينا ، ولايمكن أن تتضع إلى مستوى حاجاتنا » و«مرقس أو ريليوس» الإمبراطور الروماني الكبير ، والفيلسوف الرواقي : كان يحتقر الجسد بالقياس إلى الروح . فيقول : (ينبغي أن نحتقر هذا الجسد هذه المجموعة المتشابكة من الأعصاب والأوردة ، والشرايين التي تحيط بالعظام ويغذيها الدم فإن الجسد كله خاضع للفساد) »(١) .

واذلك كانوا يقولون : بالوسيط الذي عن طريقه يتصل الخالق بالخلق ، وهو نفس ما فعله يوحنا الشيخ اللاهوتي فقد جمع بين القول . بأن اللوجوس والذات الإلهية ذاتًا واحدة في قوله « كان الكلمة الله » وبين القول بوساطة اللوجوس في عملية الخلق «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» و«الآب يحب الإبن وقد دفع كل شيء في يده» ونحو ذلك .

٤ - **والخلاصة** : لقد كانت مدرسة فيلون بمثابة بوتقة انصهرت فيها كل الفلسفات والعقائد المعروفة حتى ذلك الحين ، وقد كان يتمسك بدينه كيهودي وكان يجنح إلى تفسير كتب اليهود المقدسة تفسيرًا رمزيًا ومجازيًا ، لاعتقاده التنزيه لذات الله عن الصور والمحسات ولذلك آثره في قوله باللوجوس الوسيط بين الله والعالم منذ البداية ، وأنه كائن أزلي وبه الخلق والتكوين . وأنه عقل الله وفكره . وقد أثرت المسيحية الحالية من حصاد هذه المدرسة ثراء فاحشًا .

بل نكاد نقول إن مدرسة كهذه يتخرج منها شخص مثل أبولس الذي كان مقتدرًا في الكتب وخبيرًا بها ، والذي بدأ التبشير من نفسه دون الالتقاء بأحد من تلاميذ المسيح ، وكان لذلك أثره في مغايرة منهجه ودعوته لمناهج ودعوات الآخرين ، وقد كان من أبناء هذه المدرسة أول شهداء المسيحية اسطفانوس الذي ما يزال سفر أعمال الرسل يحتفظ بجزء كبير من بلاغته وفلسفته في مواعظه وخطبه .

هذه المدرسة فيما نرى هي التي تخرج منها يوحنا الشيخ اللاهوتي ، وطابع فلسفته في اللوجوس ينطق بأنه استقى من نبع هذه المدرسة التي جمعت فأوعت . ولانستبعد أنه كان مثل «أبولس» يهودياً ، اسكندرانيًا في مولده وثقافته ، فصيحاً ملمًا بما جاء في كتب العهد القديم . بالإضافة لثقافته ، وأنه خرج من الاسكندرية مثل

---

(١) باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ ص ٨٨ .

غيره ، وقام برحلة تبشيرية ثم استقر به المطاف أخيراً في أفسس ، وأنه هناك أقيم قسيساً فيها ، ثم ألف إنجيله لرغبة التأليه والمؤلهين .

وقد كان «كرنثوس» الذي تنسب إليه طائفة الكيرنثوسيين يهودياً تنصر هو الآخر وكان من تلاميذ مدرسة الأسكندرية ، وطاف بمدن كثيرة وأخيراً استقر في أفسس ، وربما كانا زميلين ثم فرق بينهما اختلاف الفكر والعقيدة . ولذلك نظير . كما قدمنا في الحديث عن شواهد الظاهرة البولسية .

ونحب أن نركز ما توصلنا إليه هنا في نقاط :

١ - أن معنى نطق الله أو عقل الله أو فكره هو المقصود من لفظ « اللوجوس » في أصل اليونانية المترجم في العربية بلفظ « الكلمة » وهي في أصل وضعها لايقصد بها معنى مجسماً .

٢ - أن هذا القول تفرد به مؤلف الأنجيل الرابع ولايوجد في غيره من كتب العهد الجديد ، وهو غريب .

٣ - أن فرقة الألوجيين كانوا يردون هذا الإنجيل لتفرده باللوجوس التي كانوا ينكرونها .

٤ - أول قائل باللوجوس هو الفيلسوف هيرواكتلوس من أبناء أفسس ، مدينة الأنجيل الرابع . وكل قائل باللوجوس ممن جاء بعده عالة عليه ، وكان يقصد بها العقل الإلهي ، وكان ذلك في القرن السادس قبل ميلاد المسيح أي قبل كتابة هذا الإنجيل بنحو ٦٦٠ ستمائة سنة وستين .

٥ - أن لفظ « كلمة الله » في الفكر اليهودي كان يعني : الكلمة المنطوقة المسموعة الموحى بها من الله .

٦ - حين قام اليهود بترجمة كتابهم المقدس من العبرية التي كادت تنسى بعد السبي إلى الآرامية التي كان الشعب يفهمها .... قاموا في الترجمة برفع لفظ الجلالة «الله» من النصوص التي توهم تشبيه الله بخلقه ... إلخ وكانوا يضعون مكانها لفظ : «كلمة الله» في نحو ثلاثمائة وعشرين موضعاً . ثم تطور الاستعمال فأصبح يعني به «كلمة الله» و«فكر الله» و«ذات الله» .

٧ - أن عناية الفكر اليهودي بالحكمة دفعت بهم إلى تأليف أسفار يشيدون فيها بها . ويحثون فيها على فهمها والتمسك بها كأنها ذات متميزة .

٨ - أن فلسفة اللوجوس التقت بالفكر اليهودي ، ونصوصه ، في مدرسة فيلون بالإسكندرية ، وقد كان جامعة لكل فلسفات وعقائد عصره وأنه قال بأن اللوجوس هو الوسيط بين الله والعالم منذ البداية ، وأنه كائن أزلي ، وأن به الخلق وأنه عقل الله ... وأنه قال بالوساطة لاعتقاده بأن قيام الله بالخلق بدون واسطة يتنافى مع التنزيه .

٩ - أن هذه المدرسة أنجبت كثيرين مثل : أبولس ، واسطفانوس وكيرنثوس ونيتولاوس وكثير غيرهم ممن اجتمعت فيهم ثقافة فيلون والرغبة في التبشير التلقائي انتصاراً للعنصر اليهودي . وهذه المدرسة فيما نرى هي التي تخرج منها الفيلسوف اللاهوتي يوحنا الشيخ قسيس أفسس . ومن نبعها استقى مادة مؤلفه وهو الإنجيل الرابع في كتاب العهد الجديد والمعروف باسم « انجيل يوحنا »[١] .

١٠- أن الفيلسوف يوحنا الشيخ لم يتل باللوجوس لأصالة من نفسه لأنه كما وصفه باركلي «مستعير هذا الفكر» من مصادره التي أسلفنا ، وأن كل ما فعله هو تقديمه باسم المسيح لمن طلبوا منه أن يكتب لهم كتاباً ليجعل المسيح إلهاً .

١١- من الملاحظات التي تسجل صدفة ، هو أن أفسس كانت محل ميلاد أول فيلسوف قائل بالكلمة ، وهو فيلسوفها الباكي هيراكلتوس ، وأنها بعد ذلك بمدة تزيد عن ستة قرون ونصف قرن كانت محل ميلاد أول نص مسيحي فلسفي يقول بأن المسيح هو الكلمة المتجسد .

١٢- أن يوحنا الشيخ اللاهوتي : لم يضف جديداً على فلسفة اللوجوس كما كانت في مدرسة فيلون قبل كتابة نص إنجيله بمدة لاتقل عن نصف قرن من الزمن وأن الجديد الذي أضافه هو «اسم المسيح» في القول بالتجسد . وأن المسيح هو الكلمة ثم جمع بين القول بأنه هو الله .. « وكان الكلمة الله » وبين القول بالوساطة «كل شيء به كان» و« الأب يحب الإبن وقد دفع كل شيء إلى يده .... » ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ...

---

(١) لعل القارىء الكريم يلاحظ أننا كثيراً ما نعبر عن الانجيل المذكور وهو موضوع بحثنا باسم : « انجيل يوحنا » لبيان نسبته إلى من قام بتأليفه ، أو باسم : « الإنجيل الرابع » لمراعاة ترتيبه في كتاب العهد الجديد بعد الأناجيل الثلاثة : متى ومرقس ولوقا ثم يأتي بعدها في الترتيب .

ثانياً: نظرية عالم المثل الأفلاطونية:

١ - مجمل النظرية :

« المُثُل » جمع مثال[1] وهو في الأصل «المعنى» ووجوده عند أفلاطون - منشيء النظرية - وجود حقيقي ، وقد جعله فوق ذلك قوة مؤثرة ، ويحده على أنه ليس بجسمي ولا مادي يؤثر على النفوس الإنسانية ، كما يصور«الوجود الحقيقي» الدائم ، و«المثل» تكون عنده العالم العقلي والمعنوي أو المجرد ، وهو وراء هذا العالم المحسوس ولايدرك إلا بالتفكير والتأمل »[2] .

وقد حاول انتزاع مفهوم مشترك بين المثل في عالمها بحيث لا يشذ عنه واحد منها، وقال بأنه هو الخير ، وهو اليقين الأوحد ، أو مثال المثل أو الخير الأسمى ، أو الشمس المعنوية التي بفضل ضوئها تتكشف حقائق الأشياء .

٢ - بيئتها الأولى وتطورها :

لم يكن لهيراكلتوس صاحب نظرية « اللوغوس » أى ثقة علمية في المادة المحسوسة وكان يقول بالتغير والصيرورة ويرجع بجميع المسببات إلى علة واحدة وسبب محدد هو العقل الإلهي « اللوجوس » . وقد ألمحنا إلى أنه في رأي مؤرخي الفلسفة كان رائداً عملاقاً في مجال التفكير الفلسفي في حياة الفلسفة اليونانية وأن أثر فلسفته هذه امتد فيما بعد عصره إلى عصور بعده .

ولقد امتد هذا التأثير حتى شمل أفراداً ومدارس وكأن الأثر يختلف بين الاعتدال والتطرف ومن هؤلاء المتأثرين المتطرفين «كراتيل» الذي كان فيما بعد استاذاً لأفلاطون «وقد غالى» كراتيل « في التحيز الفكري » الصيرورة والتغيير « إلى حد أنه حظر الجدل الفلسفي خوفاً من أن ينتهي بالمتجادلين إلى تقرير حقيقة وتثبيتها ، فيهويا في حفرة الخطأ بسبب تقريرهما هذا الثبات بين موجودات الكون التي لا ثبات فيها مطلقًا »[3] .

---

(١) المثال هو : القالب الذي يقدر على مثله والمقدار . وصورة الشيء الذي تمثل صفاته (ج) أمثلة ومثل . المعجم الوسيط جـ ٢ . ص ٨٦٠ « المثل » الشبه والنظير .

معجم اللغة العربية : إخراج أحمد حسن الزيات وآخرين . أشرف على طبعه : عبد السلام هارون .

(٢) محمد غلاب : الفلسفة الأغريقية . جـ ١ . ص ٧٧ .

(٣) محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي . ص ١٥٥ .

وقد تأثر أفلاطون (٤٢٨ ق.م - ٣٤٧ ق.م) عن طريق « كراتيل » بمذهب هيراكلتوس الذي ليس له في المحسات أي ثقة علمية ، ثم تتلمذ بعد ذلك على سقراط ، وأخذ عنه أن المحسات لاتصلح البتة لأن تكون موضوعًا للعلم ، وأن الموضوع الوحيد له إنما هو المفاهيم المشتركة في تلك المحسات .

وقد قال أفلاطون الذي مات قبل ميلاد المسيح بنحو من ثلاثة قرون ونصف قرن من الزمن بنظرية «المثل» ومن قبل أن يكتب يوحنا الشيخ اللاهوتي انجيله بنحو من أربعة قرون ونصف قرن ، ثم جاء هذا فأخذ «المثل» كما أخذ «اللوجوس» من مدرسة فيلون .

ومنشأ قول أفلاطون بالمثل هو عدم ثقته بعالم المحسات الدائم التغير ، وأنها بذلك لاتصلح لأن تكون موضوعًا للعلم ، وإنما الذي يصلح هو المفاهيم المشتركة ، وهذه المفاهيم في مراحل استخلاصها عرضة للفروض ، وذلك لابد منه للوصول إلى المفهوم الأخير الذي يكون يقيناً لافرض بعده ، وهذه المفاهيم اليقينية مهما اختلفت لابد من وجود صلة بينها ، ومنشأ هذه الصلة هي أن صانع هذا العالم أراد أن يكون له في كل موجود ممثل يقيني ، به تتحقق حقيقة هذا الوجود ، ولاشيء أحق من المثل : وإليك ما يقوله في هذا :

« لنقل لأي سبب قد كون العالم والصيرورة مكونهما ؟ أنه كان خيراً وأن الجسد لايمكن أن يتسرب إلى الخير ، وإذا كان بريئاً من كل جسد فقد أراد أن يكون كل شيء شبيهاً به ، أي أن الإله أراد أن يكون كل شيء خيراً » وإذا ثبت أن الكل مشترك في الخير فقد وضح أن الخير هو اليقين الأوحد الذي لم يسم إلى مرتبته أي واحد من المفاهيم الفرضية »[1] .

فالمثل عنده هي النماذج اليقينية للمفاهيم ، وهي بهذا تتميز عن المحسات بأزليتها وأبديتها ، وبنقائها ويقينها وثباتها وكمالها في العقل أي تجردها التام . لأنه لايخفى على ذي عقل ما يعرض للمحسات من كون وفساد ودنس واضطراب وتغير مستمر ونقص ناشيء عن هذا التَّغير[2] .

فها أنت ذا ترى أن أفلاطون حاول أن يوجد صلة بين عالم الأزل وعالم الفناء وبين

---

(١) محمد غلاب : الفلسفة الأغريقية . جـ ١ . ص ٢١٨ بتصرف .

(٢) محمد غلاب : الفلسفة الاغريقية . جـ ١ . ص ٢٢٠ .

عالم الغائب ، وعالم الشاهد ، وبين عالم الكمال والخير وعالم النقص والشر ، أو بين عالم النور وعالم الظلام ، أو بين عالم الروح وعالم المادة ... حاول أن يوجود صلة بين عالمين يبدوا اختلافهما ، أو تتحقق في الواقع مغايرتهما ... وقوام فكرة المثل عنده ... أن ترى في أحد العالمين أصلاً ، وفي الآخر فرعًا يتفرع عنه ، ولذا تجعل من أحدهما ظلاً للآخر وشبيهًا به ، وبين الشيء وظله ، أو بين الشيء وشبيهه يبدو تلائم على الأقل في الظاهر »[1] .

وقد وضح أفلاطون نظريته في القول « بالمثل » في كتابه « الجمهورية » كما يلي :

«تصور أشخاصًا قد وُضِعُوا منذ الطفولة في كهف مظلم وقد غلت أيديهم وأرجلهم وأعناقهم بهيئة لاتسمح لهم بأن يغادروا أمكنتهم . بل ولا أن يديروا رؤوسهم وهناك في الكهف خلف ظهورهم نار تضطرم وبينهم وبين هذه النار سور وقف خلفه رجال بأيديهم تماثيل رفعوها في الهواء بهيئة تظهرها من فوق السور ولا تظهر حامليها . فسطع لهيب النار خلف هذه التماثيل ، فانعكست ظلالها على الحائط المقابل لوجوه أولئك المسجونين فجعلوا يرونها وهم يحسبون أنها الموجودات الحقيقية، لأنهم لم يروا غيرها ، فإذا فك وثاق أحد المسجونين واستطاع أن يلتفت إلى الوراء فإن الضوء يبهر عينيه ويتألم كثيرًا ، وينصرف عن النظر إلى التماثيل بالنظر إلى الأشباح التي لايزال يعتقد أنها أحق من التماثيل لتعود عينيه على النظر إليها ، ولكن لو أرغم على الخروج من الكهف . ألا ترى أنه يتألم ويثور ، وأن عينيه تنبهران من الضوء أكثر من ذي قبل بل إلى حد أنهما لاتريان الموجودات الحقيقية ، ولكنه مع ذلك لايلبث أن يعتاد النظر إلى النور قليلاً ، فيرى أولاً خارج الكهف جداول ، ثم يرى ظلال تلك الموجودات الحقيقية منعكسة فوق صحفات ماء هاتيك الجداول ، ثم لايلبث أن يرى هذه الموجودات الحقيقية أنفسها ، فإذا جن عليه الليل رفع بصره إلى السماء ، وشاهد الكواكب ثم ينتهي به الأمر بعد ذلك إلى أن يستطيع النظر إلى الشمس نفسها ، ويشاهد آثارها ويستخلص من تأمله أنها هي علة تغير الفصول ومرور السنين وأنها هي التي تسود كل شيء في العالم المحس ، وأنها من بعض الوجوه هي العلة في كل الأشياء التي كان هو ورفاقه يرونها في الكهف وخارجه »[2] .

---

(١) محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي . ص ١٥٥ .

(٢) محمد غلاب : الفلسفة الاغريقية . جـ ١ . ص ٢٢٠ .

٢ - نقل يوحنا النظرية :

وعمدتنا في هذا الموضوع هو المفسر الإنجيلي أستاذ العهد الجديد الدكتور وليم باركلي وذلك في مقدمته الرائعة لتفسير إنجيل يوحنا حيث يقول : تحت عنوان : «الفكر اليوناني عن العالمين» :

« كان لهم أيضًا مفهوم خاص عن هذا الوجود ، وعن العالم الآخر كانت لهم الفكرة الخاصة عن العالمين .... لقد كان أفلاطون هو أول من نظم هذا الفكر القديم في فلسفته عن الصور أو الأفكار ، فنادى بأن العالم غير المنظور هو الذي يضم المثال الأكمل لكل ما في الوجود . أما أشياء هذا العالم فهي لاتزيد عن كونها ظلالاً باهتة لهذه المثل الحقيقية الخالدة أو لنتحدث في أمثولة مبسطة فنقول إن أفلاطون قد وضع لكل شيء ملموس مثاله الكامل في العالم غير المنظور حتى هذه المنضدة التي نكتب عليها ما هي إلا صورة من مثال كامل للنضد هناك . وعلى نفس القياس المثل المعنوية والجمال الأرضي هي صور ناقصة ، مبتورة للخير الأعظم في عالم غير المنظور ، والجمال الأسمى فيه . فهناك تتمثل كل المثل العليا ، في أبهى صورها ، حتى إذا وصلنا لذات الله نرى فيه تاج الفكر الأسمى ومثال المثل جمعاء ، ينبوع كل الصور الخالدة .

والآن تصطدم أفكارنا بهذا المشكل . كيف يتأتى لنا ونحن في بردة الخيال المنظور ، أن نخلع أثواب المادة لنحلق بأرواحنا بعيداً عن مستوى الأشباح إلى عالم الحقائق الخالدة ؟ كيف يتأتى لنا أن تكتحل عيوننا المادية ، بلمحة من لمحات غير المنظور ؟

هنا يتقدم إلينا يوحنا بالحل .

فيسوع هو الحقيقة الخالدة المتجسمة في عالم الخيالات المنظورة ، وفي ناسوته تستطيع عيوننا أن تكتحل بلمحة من عالم غير المنظور .

إن الكلمة اليونانية المرادفة لكلمة « حقيقي » هي « الثينوس » وهي مشتقة من كلمة « اليثيا » ومعناها « الحق » . وهكذا نرى يسوع كالنور الحقيقي الذي ينير كل إنسان (كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم) [(١)] .

---

(١) [يوحنا ١ : ٩] .

وهو الخبز الحقيقي الواهب حياة للعالم (أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز ، فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة)[1] وهو الكرمة الحقيقية (أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام)[2] وله وحده الدينونة الحقيقية (وإن كنت أنا أدين فدينونتي حق)[3] فهو وحده الحقيقية الخالدة في عالمنا ، عالم القصور والخيالات العاجزة .

وتتبع هذه الحقيقة حقيقة أخرى : إن كل عمل قام به يسوع لم يكن بوحي الحاجة الطارئة ، بل كان نافذة نطل منها على عالم الحقيقة . وهذا ما يقصده يوحنا ، حينما يتحدث عن معجزات السيد كآيات ، كما تشير إلى ذلك الكلمة في الأصل اليوناني : «سيمياء» ، وهو بالتالي يفسر لنا الطريقة التي يقدم بها يوحنا قصص المعجزات ، فهو يتقدم بها بصورة تغاير طريقة البشائر الأولى » . إلى أن يخلص الدكتور باركلي إلى القول : إن المعجزة عند يوحنا هي المدخل لحقيقة الله في المسيح . لما يعمله الأب على الدوام في الإبن ، من أجل البشرية جمعاء ، في كل العصور والأجيال وإلى نهاية الدهر .

هذا هو الفكر الذي وصل إليه إكليمندس الفيلسوف المسيحي الإسكندري (عام ٢٣٠ للميلاد) والذي أنار أمامه الفكرة والهدف من كتابة البشارة الرابعة ... وإن ما يقصده اكليمندس أن يوحنا لم يهتم كثيراً بالحقائق بقدر اهتمامه بالمعاني المستترة وراء هذه الحقائق ، فيوحنا لم ير الأحداث التي عرضت للمسيح أحداثاً مجردة وكفى ، لقد شاهد فيها معاني عظمى ، رؤي من العالم الآخر تلبس ثوب الحدث والمعجزة وتعلن حقائق روحية خالدة ، وهكذا قدم لنا معجزات المسيح ، وكلماته ، وتعاليمه ، بصورة تدخل بنا إلى الأعماق ، هذا أصدق تحليل وصل إليه الفكر عن البشارة الرابعة فيوحنا لم يكتب بشارة تاريخية ، بل سجل لنا إنجيلاً روحياً » أ . هـ[4] .

وقد اختصرنا حديثه عن المعجزات فلذلك موضع قادم بالبحث إن شاء الله . ومقصود هذا المفسر : أن ما سطره يوحنا من معجزات المسيح ليس لإثبات نبوته ، بل

---

(١) [يوحنا ٦ : ٣١ – ٣٥] .
(٢) [يوحنا ١٥ : ١] .
(٣) [يوحنا ٨ : ١٦] .
(٤) وليم باركلي : تفسير العهد الجديد ، انجيل يوحنا جـ ١.

لتأييد قوله بألوهيته . وذلك لأنه ينبوع كل الصور الخالدة ، ومثال مثل أفلاطون . فهو يدعي فوق ما سبق لنا توضيحه . على لسان المسيح أنه قال لتلاميذه :

« أنا هو الطريق ، والحق ، والحياة ، ليس أحد يأتي إلى الأب إلاّ بي ، لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه ... إني أنا في الأب والأب في الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي ، لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال ، صدقوني أني في الأب والأب في »[1] .

٤ - نقد وتعليق :

ولكن نظرية يوحنا هذه باطلة وفاسدة بقدر ما في النظرية الأولي « المثل » من فساد ويشير الدكتور محمد غلاب إلى فسادها كما يلي :

أ - بأي كيفية تتشارك المحسات في المثل ؟ أيكون المثل بتمامه في الكائن المحس وفي هذه الحالة يكون المثال منفصلاً عن نفسه وهو خلف ؟ وبالتالي لايكون واحداً بل متعدداً بعدد الأشياء التي تساهم فيه مع أنه يقول بوحدته وهذا خلف أيضاً ؟ أو يكون المثال متجزئًا أجزاءًا تساوي عدد المحسات المشتركة فيه . وفي هذه الحالة يفقد بساطته مع الجزم بأنه بسيط وهذا خلف كذلك . ؟ وفوق ذلك فإن المحس الجميل مثلاً بوساطة جزء من مثال الجمال هو أصغر من المثال العام للجمال في ذاته .

ب - إذا تصور العقل مثال الكبير في ذاته ، وتصور جميع المحسات التي تساهم فيه فإنه ينبغي له أن يقول بمثال ثان يساهم فيه المثال الأول وجميع المحسات التي ساهمت فيه وهذا يقتضي وجود مثال ثالث . يساهم فيه المثالان وهكذا إلى غير نهاية » .

جـ - وقد نقل الدكتور محمد البهي عن بعض مؤرخي الفلسفة قوله عن فكرة المثل هذه :

« إنها لم تراع التجارب حق رعايتها ، ولهذا هي لم تشرح هذا العالم شرحاً تطمئن إليه النفس ، ومعنى أنها لم تراع التجارب في شرح هذا العالم المحسوس أنها تتخطاه نفسه إلى عالم خارج عنه تفرض فيه وحدة « الحقيقة » و« الوجود » وترى أن من هذه الحقيقة ومن هذا الوجود استمد هذا العالم وجوده وحقيقته ، فوجود هذا مستعار وحقيقته « ظل » لتلك الحقيقة .

---

(١) [١٤ : ٦-١١] .

ويرجعون قيام « المثل » على هذا النحو إلى تأثر أفلاطون في فلسفته بنظرية الإيليين في وحدة الوجود (١) ويضم إلى هذا النقد : أن أفلاطون « في حقيقة الأمر استخدم الخيال والشعر في هذه المحاولة أكثر من أن يحتكم فيها إلى العقل ودقة المنطق »(٢) .

وهذا النقد الذي وجه إلى نظرية أفلاطون التي جنح فيها إلى الخيال أكثر من أن يحتكم فيها إلى العقل ودقةالمنطق يجعل من الصعب على العقل أن يصدق بما جاء في إنجيل الفلسفة .

ولايمكن أن يكون قوله في وصف المسيح بأنه « النور الحقيقي » و«الخبز الحقيقي» و«الكرمة الحقيقية» ... إلخ لايمكن أن يكون ذلك حق على فرض سلامة نظرية المثل - جدلاً - من النقد .

ولكن النظرية أساساً كما نرى بعد النقد متهاوية في اغراقها في الخيال وبعدها عن جادة الصواب والعقل والمنطق . فماذا بقي بعد ذلك لمؤلف الإنجيل من دعواه العريضة التي ادعاها في المسيح ؟ لايبقى له إلا أن يحمل كلامه على محمل المبالغة والمجاز في وصف المسيح بأنه ... النور الحقيقي » إلخ كأن يقال إن الرسول بما يحمل من الهدى في رسالته التي يدعو الناس إليها يعتبر نوراً لإخراجهم من ظلمات الكفر والبعد عن الإيمان بالله الذي هو النور الحقيقي .

أما أن يؤخذ تعبيره «النور الحقيقي» و«الخبز الحقيقي» إلخ .. على أنه حقيقة وأنه هو الله ، فهذا القول مرفوض لأنه لاحقيقة له ، ولاتستطيع نظرية «اللوجوس» ولا نظرية «المثل» أن تقوما مقام الدليل . لأن المسيح بشر مخلوق ، والله وحده هو الخالق الذي ينزه عن التجسد كما سبق توضيح ذلك .

ونحن لايتأتى لنا أن نصدق بشيء ترفضه عقولنا :

١ - فإن العقل يرفض أن يرسل الله بشراً لعباده ليهديهم ، ويرشدهم وليقودهم

---

(١) وحدة الوجود : يقصد بها اتحاد الله بالعالم وعدم انفصاله عنه لأنه منتشر فيه مثل العقل والجسم وليس خارجاً عنه فالله هو الطبيعة والطبيعة هي الله .
محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي . ص ٣٢١ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٥٥ .

إلى عبادة الله فيدعي أنه الله ، لأن الرسل معصومون من الكذب في التبليغ ، معاذ الله أن يختار لهذه الرسالة أفاكًا أثيمًا .

أو أن يكون الله جاهلاً بخلقه . وكلا الأمرين مرفوض . والمقبول هو أن ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور** ﴾[1] .

ونحن لانعتقد أن يقول المسيح ذلك بالمعنى الذي يقصده المؤلف الفيلسوف ومن سار وراءه من الإفك والبهتان لادعاء الألوهية . بل بمعنى أنه رسول من الله يحمل رسالة فيها نور وفيها غذاء روحي ... إلخ . لمن اهتدى إلى الله . إن كان قد قال ذلك والعلم عند الله .

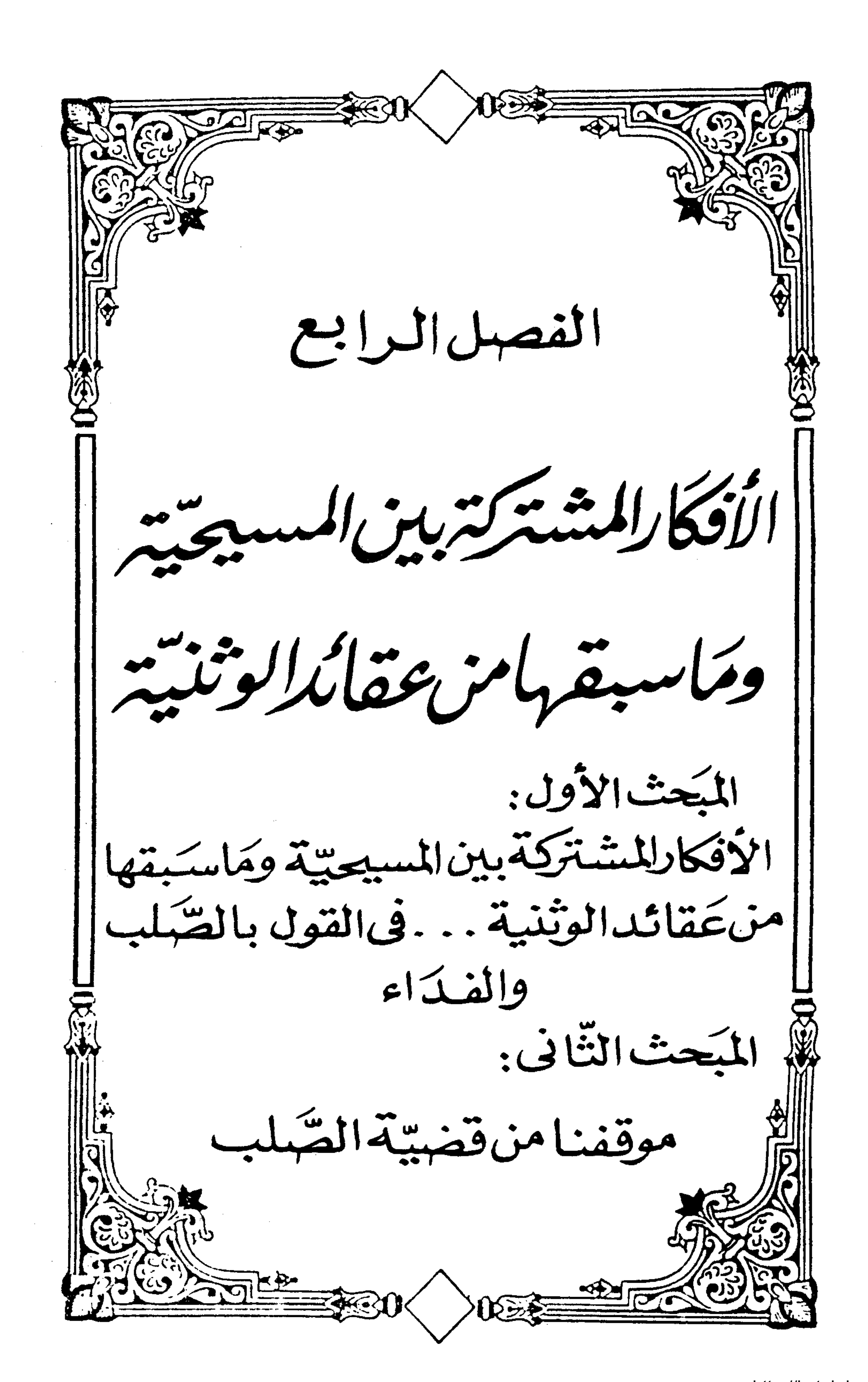
٢ - نحن لا نصدق بحلول الله في جسد المسيح . لمجرد ادعاء مؤلف إنجيل الفلسفة هذه الدعوى العارية عن الصحة المرفوضة شكلاً وموضوعًا لتكذيب العقل لها . وإنما نصدق بحلول واحد هو : أن الفلسفة اليونانية قد احتلت انجيل الفلسفة ، فقدمت فلسفة اليونان في ثوب مسيحي ، وذلك لأن إنجيل الفلسفة إنتاج فلسفي لفيلسوف تقدم اسمه وهو : يوحنا الشيخ الفيلسوف اللاهوتي ، ومؤلفه الذي سماه إنجيلاً يعطينا هنا وصفاً دقيقًا واضحًا لثقافته اليونانية وبضاعته الفلسفية .

٣ - أن يوحنا الشيخ الفيلسوف اللاهوتي أخذ نظريتين من الفلسفة اليونانية : الأولى : نظرية هيراكلتوس في « اللوجوس » التي كانت موجودة قبل أن يكتب انجيله بأكثر من ستة قرون ونصف قرن كما كانت في مدرسة فيلون ، ولم يضف لها إلا اسم المسيح . والثانية : هي نظرية المثل الأفلاطونية التي قام بها أفلاطون من قبل أن يكتب يوحنا مُؤَلَّفَهُ الذي سمى انجيلاً بنحو من أربعة قرون ونصف قرن من الزمان ، وذلك الأسلوب في الاستعارة غريب على مؤلفي العهد الجديد . الذي لايوجد به ما وجد بهذا المؤلف الفلسفي الغريب .

وننتقل الآن إلى نوع آخر من أنواع الحلول أو الاحتلال وهو احتلال الوثنية لنصوص الأناجيل الأربعة التي منها هذا الإنجيل .

---

(١) قرآن كريم : سورة الحج آية [٧٥ ، ٧٦] .



الفصل الرابع

الأفكار المشتركة بين المسيحيّة وماسبقها من عقائد الوثنيّة

المَبحث الأول:

الأفكار المشتركة بين المسيحيّة ومَاسَبقها من عَقائد الوثنية .. . في القول بالصّلب والفداء

المَبحث الثّاني:

موقفنا من قضيّة الصّلب

المبحث الأول

الأفكار المشتركة بين المسيحية وما سبقها من عقائد الوثنية في القول بالصلب والفداء

انتهينا في الفصل السابق عن « النظريات الفلسفية التي استعارها يوحنا الشيخ من الفلسفة اليونانية إلى القول بأن يوحنا الشيخ قد اقتبس نظريتين من الفلسفة اليونانية هما نظرية الكلمة - اللوجوس - التي قال بها هيراكلتوس الفيلسوف الأفسسي الذي كان يعيش قبل كتابة يوحنا الشيخ للإنجيل بنحو من سبعة قرون ، وقلنا أن الجديد الذي أضافه عليها هو « اسم المسيح » فقط ، وأن هيكل النظرية وأساسها يوناني والباقي عبري من نصوص أسفار الحكمة وغيرها . وقد كان في مدرسة الأسكندرية بزعامة الفيلسوف اليهودي فيلون ما يغني من يقول بمثل قوله دون بذل مجهود كبير .

وكانت نتيجة بحثنا عن استعارته لنظرية « المثل الأفلاطونية » وهي النظرية الثانية التي استعارها من الفلسفة اليونانية هي : أن يوحنا الشيخ استعار نظرية «المثل» التي قال بها أفلاطون من قبل أن يكتب للمؤلهين انجيله بنحو من خمسة قرون . حتى أنه حاكى أفلاطون في القول بتنوع المعرفة .

ونحب هنا في هذا الفصل أن نبحث في عقائد هذا الإنجيل التي يشترك فيها مع باقي الكتب المسيحية لنبحث مدى استعارتها من أصالتها . وإن كان غنيًا عن البيان ما سبق لنا من قول في الجانب التاريخي الذي قدمناه ، ولكنا هنا نبحث هذه العقائد موضوعيًا ، ولئن كان مما يبدو خارجًا عن موضوع بحث « إنجيل يوحنا » لأنه بحث يشمله مع غيره من الأناجيل الأخرى ، فإننا هنا نؤكد أن يوحنا هو الوحيد الذي ادعى «ألوهية المسيح» .

وبناء على هذا الفارق فإن الأمر يختلف باختلاف الدعوى فحين يقول إنجيل آخر غير يوحنا بصلب المسيح . فمفهوم المسيح عنده أنه « النبي العظيم » أعظم الكل عند

الله أو ابن الله بمعنى أحب الخلق إليه » أما حين يقول يوحنا الشيخ بصلب المسيح فإنه يقول بصلب الله - سبحانه وتعالى - الكلمة المتجسد ، مثال المثل الأفلاطونية .
ومن هنا وجب علينا أن نبحث الموضوع .

ويوجد في المسيحية فكرة أو نظرية الفداء ، وهي مسبوقة بها لأنها من عقائد الوثنية السابقة على المسيحية ونتحدث الآن هنا عن الجانب العقائدي الذي يقصد من القول بها ونبقي الجانب التاريخي ما أمكن ، لأن بحثنا لها كعقيدة بعض ما يستلزم مناقشتها من حيث مشابهتها لغيرها مما سبقها ، أما بحثها تاريخيًا فمن حيث أثرها الذي ترتب عليها من شبهة الصلب الذي يقولون بوقوعه على المسيح .

مقصودهم بالفداء وما ترتب عليه :

يقول القديس إثناسيوس الرسولي :

« إنه بكلمة الله خلق الإنسان من العدم إلى الوجود ثم تسلم نعمة الحياة الإلهية ، كذلك بخطية واحدة خسر تلك الحياة وجلب على نفسه الفساد، وملأت الخطية والشقاء العالم : إذن فقد سقط الجنس البشري ، وطمست فيه صورة الله وتلف عمله .

لهذا كان أمام الله أحد أمرين : إما أن يتنازل عن كلمته التي نطق بها مهدداً إياه بالموت ، أو أن يهلك الإنسان الذي شارك بالكلمة ، وفي هذه الحالة لايتم قصد الله فماذا إذن ؟

أيحتمل صلاح الله هذه الحال ؟ وإن كان الأمر كذلك فلماذا خلق الإنسان ؟ لو أن هذا حصل لدل على ضعف الله لا على صلاحه ؟

على أننا من الجهة الأخرى نعلم أن طبيعة الله ثابتة ولايمكن أن تضحي من أجلنا.

فهل يترتب على ذلك حينئذ أنه يجب على البشر أن يتوبوا ؟

لكن التوبة لاتستطيع أن تحول دون تنفيذ الحكم ، كما أنها في الوقت نفسه لاتستطيع أن تجبر كسر الطبيعة البشرية الساقطة فنحن قد جلبنا الفساد على أنفسنا ونحتاج لمن يعيدنا إلى صورة الله ، ولايستطيع أحد أن يجدد الخلق إلا الخالق ، فهو وحده الذي يستطيع :

١ - أن يخلق الجميع خلقًا جديداً .

٢ – أن يتألم من أجل الجميع .

٣ – أن ينوب عن الجميع لدى الأب [(١)] .

مناقشته :

وهذا القول يفترض قائله : أن الله كان جاهلاً بخلقه في المبدأ ، ولو كان الله يعلم لما هدد من يخطيء بشيء تمنع الحكمة من تحقيقه ، ولذلك فقد أصبح أمام أمرين : إما أن يتنازل عن تنفيذ تهديده ، أو أن يهلك الإنسان ويخلى الكون منه ، ولاقيمة للتوبة ، ولذلك تحمل النتيجة ، وتألم الابن وأصبح نائبًا عن الجميع أمام الأب . أما قوله : «إن طبيعة الله ثابتة ولايمكن أن تضحي» فلو كان يعتقد ذلك حقًا لما قال بما قال لأن الابن في زعمهم يقول : « أنا والأب واحد » فهو هو الذي أعاد الخلق وتألم من أجلهم ، وناب عنهم لدى نفسه هو هو .

ويقول آخر : «لإيضاح أهمية كفارة المسيح نقول : إن الخطيئة التي نأتيها هي إساءة إلى حق الله ، وحق الله لا حد لقدره ، بينما الأعمال الصالحة التي نقوم بها ، مهما كثرت هي محدودة في قدرها والأمور المحدودة في قدرها لاتستطيع أن تفي مطالب أمر لا حد لقدره . ولذلك فإن هذه الأعمال لايمكن أن تكفر عن خطيئة واحدة من خطايانا .

هذا من جهة ومن جهة أخري بما أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يفي لذاته مطالب حقه التي لاحد لها ، لذلك يكون هو وحده القادر أن يكفرعن خطايانا .

وبما أن التكفير عنها يتطلب تحمل نتائجها عوضًا عنا حتى يكون تكفيرًا قانونيًا ، لذلك كان من البديهي أن يقوم الله بهذه المهمة . لأنه لو غفر لنا خطايانا دون التكفير عنها . يكون قد انحاز إلى رحمته دون عدالته ، أو محبته دون قداسته . وهذا ما لايجوز حدوثه معه تعالى ، لأن صفاته كلها متعادلة بسبب كماله المطلق .

وقيام الله بهذا التكفير تطلب اتخاذه ناسوتًا مقدسًا لائقًا به ، يتحمل فيه نتائج خطايانا . وهذا هو عين ما فعله في المسيح ، عندما سمح بصلبه وموته .

---

(١) اثناسيوس الرسولي : التجسد : تعريب حافظ داود – ملخص الفصول ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ جمعية نشر المعارف المسيحية ببولاق بمصر سنة ١٩٤٢م .

إن الوسيط بين الله والناس يجب أن لايكون إنسانًا فقط ، بل يجب أن يكون في نفس الوقت هو الله وذلك لسببين :

الأول : أن عمل الوسيط هو تقريب الناس إلى الله ، ولايستطيع القيام بذلك إلا من كان في وسعه إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته من جهة خطاياهم ، وليس هناك من يستطيع القيام بهذه المهمة إلا الله ، لأنه وحده هو الذي يعرف مقدار مطالب هذه وتلك .

الثاني : أن الوسيط الذي يقرب الناس إلى الله يجب أن يكون أيضًا مختبرًا لضعفهم وقصورهم الذاتي عن التوافق مع الله ، كما يجب أن يكون شاعرًا بشعورهم ، ومقدرًا لظروفهم ، وليس هناك من تتوافر فيه هذه الشروط إلا إنسان كامل والله وهذا الإنسان معاً «هو المسيح يسوع»[1] .

وهذا القائل يرى أن حق الله غير محدود ، وأن الأعمال الصالحة التي نعملها محدودة . وبناء عليه وجب أن يتحمل الله نتيجة حقه ، فيصلب في جسد بشري ، وإلا تحتم عليه أن يغفر لنا دون كفارة ، وهو ما لايستطيعه لأنه حينئذ يكون منحازًا إلى صفة الرحمة دون صفة العدالة ، وهذا محال عليه تعالى ولكي يكون التكفير قانونيًا ، لابد من أن يصلب الإله الكلمة الذي هو المسيح ، الذي له الكمال المطلق .

وهذا الصلب والتكفير ليس عدلاً ، لأن العدل هو أخذ الفاعل بجزاء فعله . والمسيح لاذنب له ليصلب ، بل إن الذنب أصلاً ذنب غيره وليس ذنب المسيح . هذا من ناحية الناسوت ، وأما من ناحية اللاهوت فإن القول بصلب الله حلاً لمشكلة رحمته وعدالته بسبب ذنب خلقه ، قول يستلزم جهل المصلوب ، وضعفه ، وذله ..... إلخ الصفات التي لاتقبل بالنسبة لذات معظمة قوية ، فضلاً عن الذات العلية التي تتصف بالكمال المطلق .

ونعاود التساؤل : على من وقع الصلب من اللاهوت والناسوت ؟ وماذا تحمل من آلام التعذيب والإهانة ؟ ؟

كل ما حدث من اختلاف بينهم بشأن هذا الموضوع :

أن فريقًا منهم قال : « إن المسيح صلب من جهة الناسوت » .

---

(١) عوض سمعان : قيامة المسيح . ص ١٨٦ – دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة .

وأن فريقًا آخر قال إن الصلْب وصل إلى اللاهوت بحالة معنوية لا مادية .

وأن فريقًا غيره قال إن الصلب وقع على المسيح حال كونه قائمًا باللاهوت والناسوت [1] .

وجميعهم متفقون على اتحاد اللاهوت بالناسوت ، وأن اللاهوت لم يفارق الجسد حتى بعد الموت ... لكن الناسوت ، هو الذي مات بمعنى انفصال روحه البشرية عن جسده دون أن ينفصل اللاهوت عنها ولا عن جسده » [2] . وكل هذه الآراء بشرية اجتهادية ما أنزل الله بها من سلطان ، لأن النصوص الأصلية اجتهادية وليست معصومة عن الزلل والخطأ ، وحتى القائلين بوقوعه على الناسوت يقولون بأن اللاهوت بقي بالجسد بعد ارتفاع الروح البشرية ، لئلا يلزمهم هذا بالقول بأن المسيح لم يكن إلهًا في أي وقت ولو لحظة . وهذا ما يتفقون جميعًا عليه ، ومعناه : أن اللاهوت صلب مع الناسوت .

وهذه كلها آراء تحتمل الخطأ وهي عرضة للأهواء . وليس هناك من دليل على وقوعه على الناسوت فقط ، ولا على أن اللاهوت لم يتحمل آلام التعذيب والصلب مع الناسوت ولهذا الاحتمال قال البعض صراحة بوقوعه عليهما معًا لأن المسألة افتراضية من أساسها . والقائل بعدم وقوعه على اللاهوت لايملك الدليل بل ينبغي له أن يسلم به ما دام يقول باتحاد اللاهوت والناسوت في جسد المصلوب ، وإلا فليقل بنفي الألوهية . أو نفي الصلب .

والخلط المعيب هو سمة القائلين بالصلب مهما اختلفت آراؤهم ، وقد جرّتهم الجرأة إلى نوع فاضح من الهذيان ونحن نأسف إذ نقدم نماذج لبعض هذه الأقوال :

١ - قال بعضهم بصلب الله ... « ولم تكن طبيعة المسيح الناسوتية هي المتألمة فقط على الصليب بل كانت متحدة باللاهوت اتحاداً بلا انفصال ، ومن المعلوم أن تأثير الموت يقع على أجسادنا وتتألم فعلاً ، والروح تشعر بالآلام والضيق شعوراً حقيقياً وعليه نرى أن ذات اللاهوت المتأنس في يسوع المسيح احتمل الألم وموت الصليب حاملاً قصاص خطايانا » [3] .

---

(١) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ٢٣ .

(٢) بيت الشماسة القبطي بالجيزة : عقيدة التجسد . ص ٢٩ .

(٣) جورج أسوان : المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين . شرح بشارة متى ، تعريب إبراهيم سعيد . مطبعة النيل المسيحية . سنة ١٩٣١م .

٢ – وقال آخر محاولا التنصل مما يلزم من احتياج المصلوب وعجزه وافتقاره ، لله الذى لم ينقذه في هذه المحنة حيث رووا عن المصلوب أنه كان يقول « إلهي إلهي لماذا تركتنى ؟ ؟[١] » ، قال : « المراد بالترك هنا عدم تقديم الله أية معونة للمسيح تخفف من شدة وطأة العذاب الجهنمى الذى كان يقاسيه وقتئذ كالانسان النائب عن الانسانية الخاطئة »[٢] ويلزم هذاالقائل أن المصلوب لم يكن إلا إنسانًا محتاجًا لإنقاذ الله الذي تركه في هذه المحنة ، وكيف يقع الصلب على أحدهما دون الآخر وهما متحدان لاينفصلان ، وإن تعجب فعجب قول هذا القائل بأن اللاهوت كان مستقرًا في الجسد في ذلك الوقت الذي كان الناسوت يقول فيه هذا القول : «إلهي إلهي لماذا تركتني» !!

ونفس هذا القائل يقول في نفس المصدر الذي أخذنا منه رأيه هذاالقول :

« أن اللاهوت مع عدم مفارقته للناسوت ، لم يتعرض للتأثر بالألم إلا من الناحية المعنوية إذ أن اللاهوت لايتعرض للصلب أو الموت بالمعنى الحرفي » .

ويقول موضحاً مقصوده بالأمور المعنوية :

« فالأمور المعنوية ليست أموراً و همية بل أموراً حقيقية وكل ما في الأمر أنها تدرك بالروح وليس بالجسد ، ومن ثم فالله وإن لم يكن قد صلب لكنه أدرك كل آلام الصلب على نحو يتفق مع روحانيته المطلقة ، ولذلك كانت كفارته كاملة وفت كل مطالب عدالته وقداسته »[٣] .

وهذه المعنوية التي يقول بها حقيقية بالنسبة لذات الله حسب قوله . ومعنى الأدراك هو الإحساس والتذوق : أي أن الله أصابه من آلام الصلب ما يتفق مع روحانيته ، وإلا كانت الكفارة ناقصة .

ويصف نفس القائل هذه الآلام فيقول :

« كان يشعر بآلام مبرحة للغاية بسبب اللطم ، والضرب ، واللكم والجلد الذي حل به في ساحة القضاء طوال الليل ، وكان عتيداً أيضًا أن يتحمل آلام الصلب التي هي أشد وأقسي من الآلام المذكورة بما لايقاس ... لأنه كان قد عقد النية على تحمل آلام

---

(١) [متى ٢٧ : ٤٦] .

(٢) عوض سمعان :صلب المسيح وأراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق . ص ٤٨ .

الظلم من يد البشر اعلانًا عن شرهم ، وعن قبوله قصاص الخطية عوضًا عنهم وإعلانًا أيضًا عن محبة الله لهم على الرغم من عنادهم وعدوانهم »[1] .

٣ - وقال بعضهم بحزن المصلوب واكتئابه اتباعًا لنص متى :

« وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جدًا حتى الموت »[2] .

قال جورج أسوان : « كأن تيارًا فجائيًا من الأحزان قد ساقته عاصفة هوجاء إلى قلب المسيح ، فأحدقت هذه التيارات بنفس المسيح كما تحيط الأسود بفريستها »[3] .

٤ - وقال آخر بسرور الله المصلوب : « كان هذا العمل بحسب فكر الله ووجد فيه سرورًا ، عيناه وقلبه قد استقرا على ذلك العمل الذي تممه من أجل الخطاة »[4] .

ويؤيد هذا القائل بالسرور الإلهي آخر يقول بأنه كان سرورًا عظيمًا وأنه دليل على السمو قال « لم يكن مسرورًا فقط بتقديم نفسه كفارة بل وكان أيضًا مسرورًا سرورًا عظيمًا للقيام بهذه المهمة .. ليس بعده سرور .. والحق أن سرور المسيح في هذا الوقت العصيب لدليل على أنه أسمى من البشر جميعًا »[5] .

ومع هذا القول بالسرور العظيم يقول قائله بأن الله أرسل ملاكًا [6] ليقويه على تحمل الآلام الشنيعة : « وقد قدر الأب الذي هو المسيح المتجسد - موقف المسيح الكريم إزاء استعداده لتحمل الآلام الشنيعة الخاصة بالفداء الذي كان عتيدًا أن يقوم به ، لذلك أرسل له ملاكًا لكي يقوي جسده الذي كان قد دب فيه الضعف وتساقط منه العرق كالدم »[7] .

ولا حاجة لهذا الملاك لأن القصد الإلهي عند القائلين بالصلب هو إزهاق روح المصلوب ، وكيف يتأتى أن يحتاج لملاك يقويه ، والله رب الملاك حال فيه . بل إنه هو هو عين المصلوب في زعمهم .

---

(١) المصدر السابق . ص ٩٢ . (٢) [متى ٢٦ : ٣٧] .
(٣) جورج أسوان : المرشد الأمين : شرح بشارة متى . ص ٢٨٥ .
(٤) هلال أمين موسى : تفسير انجيل يوحنا . ص ٢٤٤ .
(٥) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ٥٨ .
(٦) إتباعًا لنص لوقا : [٢٢ : ٤٣] .
(٧) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ٧٢ .

٥ – وهذا قول لمفسر آخر من مفسري انجيل يوحنا القائل بصلب الله المتجسد ، اجتمعت في قوله عجائب تحتاج إلى تفسير وتفسير قال :

«الله هو الحي . وعلى هذا الأساس هو يتصرف في مشهد الموت ونصرته في مشهد الموت كانت القيامة . كان آدم قد أخطأ واستحضر بتصرفه الموت ، ولكن كان عند الله العلاج وعنده الحياة ، وهكذا كانت القيامة والحياة ، قد تجلب الخطية الدينونة والموت . ولكن الله يستطيع أن يجهز كفارة للخطية وأن يخرج من الآكل آكلاً ومن الجافي حلاوة كان الله وحده هو الموجود في مشهد القيامة ، ولم تكن هناك عين بشرية شاهدت الرب ، وهو يقوم من بين الأموات وما كان ممكنا ... لأن الرب وهو على الصليب أحاطت به الظلمة في الثلاث ساعات الأخيرة ، وهكذا لم يشاهد الرب أي إنسان وهو يسلم الروح . كان ظلام . ولم يكن للإنسان المحدود أن يرى ذلك العمل غير المحدود القيمة .

وضع عليه اثم جميعنا وسر الله أن يسحقه بالحزن ، انفرد الله بالفادي وأخذ حقوقه كاملة ، كان الله وحده هو الذي يقدر العمل ويشهد أن الفداء الأبدي قد تم»[1].

فالكفارة المجهزة يقصد بها الإله المتجسد الذي هو الفادي ، فكيف انفرد الله به ليأخذ منه حقوقه كاملة مع أنه هو هو . فمن يأخذ إلا الله ! ! ومن يعطي إلا الله المتجسد . وكيف يكون الرب يسوع الذي هو الله المتجسد مسحوقًا بالحزن ، والله الذي هو فيه مسرور بالصلب ! ! .

وما ذلك العمل الغير محدود الذي تم في الظلام ولم تشاهده عين إنسان إلا تسليم الروح . أي روح : روح الرب يسوع المسيح وهذه الظلمة حسب رواية متى كانت مدتها ثلاثة ساعات أما رواية يوحنا فليس فيها حديث عن ظلمة ولا أثر ظلمة . ويبدو أن هذا القائل كانت تراوده نفسه ليقول بأن هذا الغير محدود هو أن الرب أسلم الروح لاهوتًا وناسوتًا .

قصة خيالية :

علق الدكتور وليم باركلي على رواية الصلب في تفسيره لانجيل يوحنا بقوله : «هناك قصة خيالية لأوسكار وايلد» .

---

(١) هلال أمين موسى : تفسير إنجيل يوحنا . ص ٢٨٧ .

وخلاصتها :

أن أميرًا اشتاق أن تكون له وردة . وكان الفصل شتاء . وكان للأمير صديق . بلبل جميل . فذهب البلبل إلى شجرة الورد التي لاتملك إلا أوراق ، وأسر إليها بطلب الأمير وطلبت الشجرة منه أن يأتي في ظلام الليل ، ويلصق صدره بأحد أشواكها وطار البلبل إليها ، ونفذت الشوكة إلى قلبه وراح يغرد والشوكة منغرسة في قلبه ، تمتص منه دماء الحياة ، واستمر على هذا النحو حتى بذل آخر قطرة من دمه فسقط جثة هامدة ، بينما انتفخت الشوكة وتفتحت عن وردة حمراء يانعة .

هنا نرى صورة لما قدمه يسوع للبشرية على تلة الجلجثة لقد نفذت شوكة الخطية إلى صدره ، ومزقت قلبه ، لكنه قدم للبشرية بديلاً عنها ، وردة الفداء المباركة » [١] .

ونحن نأسف إذ شبه الله بتلك الشجرة ، في الوقت الذي صور المسيح بالبلبل الضحية ، وصور البشرية الخاطئة في عقيدته بالأمير . وما يتأتى ذلك في خياله من شجرة إلا استغلالاً لحاجة البلبل وأميره ، ولله المثل الأعلى وهو الغفار الوهاب ، ويصح التشبيه في أن كلاً من القصتين خيال لا حظ له من الواقع . ذلك لأن قصة الصلب أغرق في الخيال من تلك . لأن القائل بالصلب يقول بأن البلبل والشجرة ذات واحدة بدون انفصال ولاتفرقة فهو « إله متجسد » وأنه فاد ومتقاض .

عقيدة مذهلة ، أبعد وأعمق من أن يصدق بها العالم :

ويقول باركلي في تفسيره في مكان آخر :

« في يسوع المسيح نرى الله مضحيًا على الصليب ... وهذا أبعد وأعمق من أن يصدقه العالم .

إن العالم يقف في ذهول أمام هذا الركن الرئيسي في العقيدة المسيحية فمن السهل على الإنسان أن يتصور إلهًا يرسل صواعق غضبه ودينونته على البشرية الخاطئة .

من السهل اليسير عليه أن يتصور الله في صورة .... ثور إله الشمال الذي يركب العاصفة ويضرب بمطرقته أعالي الجبال فتدوي الرعود القاصفة .. يتصوره في صورة «مولوك» الإله الدموي ، متطلبًا ضحاياه من الأطفال .

---

(١) باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٥١٩ .

نعم من السهل على الإنسان أن يتصور إلهًا جبارًا ، يمحق من يقاومه ، ويبيد من يقف في وجهه .

ولكن من في الوجود يتصور الله متألمًا في يسوع ؟ مهانًا فيه ؟ مقودًا إلى الجلجثة كشاة تساق إلى الذبح ؟ مستسلماً لجلاديه الذين يثقبون يديه وقدميه ؟ مرفوعًا على صليب العار والهوان ؟ من يتصور إلهًا يرضى بالصليب في سبيل خلاص البشرية ؟ »[1] . أ.هـ بالنص .

والدكتور وليم باركلي هو من هو . وكتابه معترف به من الكنيسة شرقًا وغربًا ، وقد قام بتعريبه لجنة من كبار رجال الكنيسة وهم من هم كما سبق أن عرفنا بالجميع ذلك قولهم بأفواهم والله أعلم بما يكتمون .

وكفى الله المؤمنين . وكان الله قويًا عزيزًا وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ..

مناقشته :

وهذا القول أبعد وأعمق من أن يصدق به إنسان عاقل يحترم عقله كإنسان لأن هذه الفرية تعتمد على القول بأن خطيئة آدم أورثت البشرية كلها جرمًا ، لم يتمكن الله من غفرانه أو قبول التوبة فيه ، ولم يجد أمامه من طريق إلا بأن ينزل من السماء ويتجسد بشراً ويصلب ، فكيف يترك آدم ويستبدل المسيح ليصلب نيابة عنه بدون ذنب ؟ ؟ لاعدل في ذلك ! ! .

وإذا لم تنل رحمة الله آدم المخطيء فيتوب الله عليه فأين رحمة الله ؟ وإذا لم يرحم الله إنسانًا بريئًا فلم يوصف بالرحمة التي لايحظى بها خاطيء ولا ينال منها بريء حظًا ؟ ؟ لا رحمة إذن ! ! .

والإله الذي يصلب ابنه ، لتناقض صفاته أو يسمح بقتل رسوله إله ضعيف متناقض . فكيف بقولهم إن المصلوب هو المسيح الذي هو الله المتجسد أي أنه المصلوب .

أما قولهم بوقوع الصلب على الناسوت دون اللاهوت بمعنى أو بآخر مع تمسكهم بالقول بأن اللاهوت كان حالاً ومستقرًا في الجسد وقت وقوع الصلب والموت عليه ،

---

(١) باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٣٢٤ .

فما لهم بذلك من علم ، وعليهم أن يعيدوا النظر في نصوصهم ويصيخوا السمع ويعملوا العقل :

١ - جاء بنص مؤلف متى على لسان المصلوب قوله :

« إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني »[1] فهذا المستغثيب ينادي ويناجي ربه لماذا تركتني ؟ طالبًا منه النصرة ومفاد ذلك أن اللاهوت كان قد ترك الناسوت على الأقل منذ ذلك الحين .

وأنه لما غادره أحس الناسوت بالحاجة فنادى لماذا تركتني ؟ ؟ ولو كان حالاً فيه ومستقرًا لما كان هناك احساس بالبعد والترك ، وهذا ما يقتضيه العقل المستقيم الفكر من فهم نص كهذا .

لكن القائلين بالتجسد والصلب يقولون بمحال آخر ، يقولون : أن اللاهوت حجب وجهه وقتيًا عن الناسوت ، وذلك عند القائلين بالطبيعة الواحدة ، وأما القائلون بالطبيعتين فيقولون أن : الأقنوم الأول حجب وجهه وقتيًا عن الأقنوم الثاني ! وهذه كلها أقوال لا دليل عليها ، وما لهم بذلك من علم .

يقول بعضهم : « صرخ ناسوته الضعيف غير القادر (هيئة الإنسانية) إلى وجوده الإلهي (وجود الله) أي إلى لاهوته العظيم القادر على كل شيء . إذ المسيح الإله هو الله في أقنومه الثاني قائلاً (إلهي إلهي لماذا تركتني) »[2] .

ويقول آخر : « وقوله تركتني » يدل على أن الأقنوم الأول لم يمكنه النظر إلى من حسب نفسه في مقام الخطاة فحجب وجهه عنه وهذا كان منتهى القصاص[3] ويقصد بالأقنوم الأول الله الأب ويقصد بمن حسب نفسه في مقام الخطاة الأقنوم الثاني الإبن.

والمفهوم الذي تفيده هذه العبارة لكل ذي عقل سليم أمران : أن هذا القائل المستغيث محتاج ضعيف ، يطلب النصرة من الله لنيقذه من محنته ، وبعضهم يقول بهذا . قال عوض سمعان : « المراد بالترك » هنا ، عدم تقديم الله أية معونة للمسيح

---

(١) [متى ٢٧ : ٤٦] .

(٢) هاني رزق : يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته . ص ١٩٦ .

(٣) جورج أسوان : المرشد : شرح متى . ص ٣١٤ .

تخفف من شدة وطأة العذاب الجهنمي الذي كان يقاسيه وقتئذ كالإنسان النائب عن الإنسانية الخاطئة »[1] .

لكنهم يريدون القول بصلب الله لأنه غير محدود ، وبدون صلبه لايتم الفداء الذي يزعمون ، لكنهم لو قالوا بوقوع الموت عليه . يلزم لهم البحث عن إله جديد لايموت ، فلهذا قالوا بصلبه دون أن ينال منه الصلب . فلا قيمة للفداء إذن لأن المصلوب حينئذ محدود ، ولاتنال بصلبه إلا مغفرة محدودة ، وهذا يلزمهم . وربما كان هذا هو السبب وراء قول بعضهم بأن الله ناله من آلام الصلب والإهانة ما يتناسب مع روحانيته لأن روحانيته تمنع من وصول المادة إليه . ولكن الألم حالة معنوية فهو متألم إذن . وذلك لكي يصح الفداء .

لكن متى بنصه الذي رواه عن المصلوب الذي يشكو من الترك « لماذا تركتني » أوْقَع هذه البلبلة ، وأورثهم تلك الحيرة ، حتى اضطربت أقوالهم ، لأنه جعل المصلوب يقول لله «تركتني» وذلك غير مرادهم ، فلذلك لجأوا إلى صور من أفانين القول بأن اللاهوت حجب وجهه عن الناسوت أو الأقنوم الأول عن الأقنوم الثاني ، مع تمسكهم بضد معنى العبارة . وهو أنه لم يتركه ولم يغادره ، بل مكث فيه إلى يوم أن أقامه من قبره .

فَلْيُكَذِّبُوا متّى إذن ؟ أو ليقولوا بأن المصلوب إنسان فقط ، وليس إلهًا كما يدعون . ؟ !

نحن نؤيد نص متى : أن الله تارك ، وأن المصلوب متروك ، وأن الله خالق وأن المصلوب مخلوق ، وأن الله قادر وأن المصلوب مغلوب .

٢ – ويوجد نص ثان يقول باضطراب يسوع وانزعاجه حين استشعر خيانة يهوذا .

« لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وقال الحق الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمني »[2] قال متى هنري : « هذا سبب لقلبه حزنًا شديداً » فلو كان إلهًا عالمًا بكل شيء ، وبما هو مقدم عليه حسب مشيئته باختياره فعلام الحزن إذن ؟ !

---

(١) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ١٠٥ .

(٢) [يوحنا ١٣ : ٢١] .

ولو كان إنسانًا مضحيًا وعنده من الله علم مسبق فلا وجه لحزنه إلى هذا الحد ؟ ! ولا ينبغي القول بأن الناسوت هو الذي كان يحزن ويكتئب لأن الناسوت واللاهوت كانا على علم ، فإن الذي سمعه الناس يقول هذا هو الناسوت ، والأعجب من ذلك قولهم بأن الصلب تم وفقًا لاختيار كل من اللاهوت والناسوت !

٣ - ونص ثالث من يوحنا يقول بأن المسيح اضطرب وطلب من الله أن ينجيه وينقذه من هذه الساعة قبل وقوعها ، وأنهم سمعوا الرد من السماء بآذانهم :

« الآن نفسي قد اضطربت ، وماذا أقول : أيها الأب نجني من هذه الساعة ، ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة ، أيها الأب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضًا . فالجمع الذي كان واقفًا وسمع قال قد حدث رعد ، وآخرون قالوا قد كلمه ملاك »(١) .

فهو هنا مضطرب يطلب النجاة من الله الأب ، الذي أجابه من السماء وبديهي أن الذي يقول إلهي إلهي لماذا تركتني ، ويضطرب كما كان كضطربًا قبل ذلك مرارًا وبعدها ليس إلهًا .

وإذا كان هنا وهو يتحدث قبل وقوع الصلب ، ويناجي ربه ، وهو مازال معهم على الأرض ، والله الأب يرد عليه من جهة السماء حتى سمعه من معه ، فلا عذر إذن للقائل بألوهيته . وأنه هو هو الله ، إن هذه النصوص على ما بها ، وبما هي عليه بعض من الأدلة على نفي ألوهية المسيح حقًا وعدلاً لمن كان يحترم عقله ، ولم يغشيه حجاب التعصب المظلم .

ويقول الكاثوليك بموت ناسوت المسيح في الصلب لأنه في زعمهم لاهوت وناسوت ، وقع الصلب والموت على الناسوت منهما دون اللاهوت ، أما الأرثوذكس فلايقولون بموته صراحة لأنه في رأيهم طبيعة واحدة من طبيعتين . ولذا فإن قولهم بوقوع الموت على أحدهما دون الآخر مكابرة . فما دام طبيعة واحدة من طبيعتين لم ينفصلا إلا بالموت فلا وجه إذن للقول بموقوع الصلب على إحداهما دون الأخرى . ويلزمهم حينئذ التسليم بموت الله ، وقد كان ذلك المحذور هو الذي حدا بالكاثوليك إلى القول بالطبيعتين لكي يفرقوا بينهما بالموت ، ولئلا يلزمهم القول بموت الله كالأرثوذكس .

---

(١) [يوحنا ١٢ : ٢٧ - ٣٠] .

لكن الحق يقال إن التعذيب والآلام والإهانة والصلب والموت الواقع على الناسوت بجسده وروحه ، لايمنع وصوله مانع إلى الله الذي كان متجسده وحالاً فيه وقد كان هذا وراء قول الكاثوليك بالطبيعتين حتى يتمكنوا من القول بوقوع التعذيب والموت على طبيعة الناسوت ولادليل لديهم على صحة ما ذهبوا إليه .

القيامة :

ويقولون بقيامة المسيح من القبر بعد الدفن ، وأنهم اكتشفوا قيامته بعد ذلك على خلاف بينهم في يوم القبض عليه ، وفي محاكمته بتفاصيلها ، وفي يوم الصلب وساعته ، وساعة وفاته ، وكذلك في تفاصيل اكتشاف اختفائه من القبر ، وظهوره لهم بعد ذلك ، لدرجة كبيرة . مما جعل من الصعب التوفيق بين هذه الروايات التي حفلت بها الأناجيل . ولذلك موضعه من البحث إن شاء الله عند المقابلة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأخرى .

صمت التاريخ عن أحداث اعتقال المسيح وما تلاها :

يقول الاستاذ العقاد : « هنا ينتهي دور التاريخ ويبدأ دور العقيدة فليس للتاريخ كلمة راسخة في خبر من الأخبار التي أعقبت حادثة الهيكل [1] وحركت كهانه للبطش والنكاية .

ففي حادثة الاعتقال لايدري متتبع الحوادث من اعتقله ، ومن دل عليه وهل كان معروفًا من زياراته للهيكل أو كان مجهولاً لايهتدى إليه بغير دليل » [2] .

ولذلك فإننا لانجد في التاريخ العام مايشير إلى ما يؤكد صلب المسيح كحقيقة تاريخية موثوق بصحة أخبارها ، من غير من يدعيها من كتب العهد الجديد القانونية أو غيرها من الأسفار التي لم تقبلها الكنيسة ، وذلك لما حفلت به تلك الفترة ، من قلاقل وثورات ، كانت تخمد أنفاسها ببطش السلطة الرومانية ، التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً في السطوة والقسوة والإرهاب إلى غير ذلك من الظروف التي تحدثنا عنها مسبقًا في وصف حالة العصر .

---

(١) يقصد بها : حادثة المسيح في الهيكل إذ طرد الباعة والصيارف من ساحة الهيكل وقال لهم : لاتجعلوا بيت أبي بيت تجارة . التي وردت في الاصحاح الثاني من انجيل يوحنا [٢ : ١٣ – ١٧] .

(٢) العقاد : عبقرية المسيح – كتاب اليوم . ص ٢١٣ .

والعمدة في قضية الصلب من الناحية التاريخية هو كتب العهد الجديد أو بتعبير أدق ، روايات الأناجيل الأربعة التي توجد بالعهد الجديد . وكذلك ما يوجد من الأناجيل التي لم تقبلها الكنيسة ككتب مقدسة . بل ككتب تاريخية .

القول « بصلب المسيح » قضية خلافية مزمنة :

لقد شاءت إرادة الله أن تختلف الأناجيل اختلافًا لايمكن التوفيق معه بين نصوصها توفيقاً يمكن للعقل قبوله ، فإن النصوص تختلف اختلافًا كبيرًا . وقد كنا نود أن نقدم في هذا المكان بحثًا عن اختلاف الأناجيل الأربعة ، إلا أننا وجدنا أن الموضوع لكي يوفى حقه كاملاً يخرجنا عن مقصودنا هنا ، وهو بحث عقيدة الصلب من جهة الأصالة أو التبعية أو التأثر بغيرها من عقائد سابقة للصلب في ديانات قديمة من قبل وجود المسيحية .

ولكنا هنا نحب أن نعطي فكرة مبسطة ونحن نؤكد هنا : أن نصوص الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تتفق في موضوع صلب المسيح إلا على أمور أربعة أساسية في هيكل القصة ومقدماتها :

الأول : القول بأن اليهود كانوا يضمرون التخلص من المسيح ويكيدون له ويتحينون الفرص .

الثاني : أن المسيح حينما أحس كان يفر من بينهم ، ويختفي في أماكن بعيدة عنهم ، ويترقب .

الثالث : أنه تضرع وصلى لله كثيرًا لينقذه من شرهم وذلك قبيل القبض عليه .

الرابع : أن الذين جاءوا للقبض عليه لم يكونوا يعرفونه . ما عدا يهوذا .

وفيما عدا هذه الأمور الأربعة اختلف كتاب الأناجيل . وسوف نرجيء موضوع هذه الإختلافات إلى موضع قادم بالبحث إن شاء الله في المقابلة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة ..

ونحب هنا أن نتساءل : أين غاب الوحي الإلهي أو الإلهام عن كتاب الأناجيل ؟ ؟ وهو الذي يدعيه لهم أتباعهم . مع أنه لا حاجة إليه في تقرير مسألة وقعت ورآها الناس كما يدعون ! ! بل في حياة رائدهم وإلههم والمفروض أنهم شهود العيان ، الكتاب الموثوقون للحادث الجلل الذي وقع لأعز الناس عليهم ، وليس ذلك في حاجة إلى إلهام .

فقد كان المنتظر أن تنسجم نصوصهم في وصف هذه الحادثة حتى ولو أعطت صورة مكررة لنسخة واحدة من الروايات الأربعة . ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وقد كان المنتظر على الأقل أن لاتتضارب ولاتتناقض إلى مثل هذا الحد حتى لاتكون أحداثها محل خلاف داخل بين دائرة الذين يعتقدون بقدسية هذه الكتب . أو على الأقل أن يصحح آخرها زمنًا . نصوص ما سبقه منها . حتى تخف حدة الاختلافات ولاتظهر بينها تلك الفوارق المنفرة . والتي جعلت من أحداث هذه الواقعة قضية لها مدافعون ولها معارضون ، وأصبح المعتقدون بها يقدمونها هكذا : قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة (١) ولو أنّ مؤلفي الأناجيل الأربعة أخذوا من واقع حياة المسيح حقًا ما ختلفوا . وإن الذي يحاول أن يجمع بين نصوص حادثة الصلب في الأناجيل الأربعة ويقابلها بمجرد النظر أو التدبر . ليهولنه ما يرى من الخبط والتناقض ، وليؤدين به ذلك إلى نبذ هذه الكتب ومعتقداتها ، فلو كانت من عند الله ورسله لسلمت مما هي عليه من ذلك التناقض . ولعل ذلك هو السر في أن الكنيسة كانت تحرم على أتباعها قراءة هذه الكتب وتجعل حق تفسيرها حكرًا على رجالها حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي . وهو من الأسباب التي أدت إلي قيام لوثر بالثورة .

منكروا صلب المسيح من المسيحيين :

١ – ومن الذين أنكروا صلب المسيح فرقة «**الغنوسطيين**» أو «أهل المعرفة» بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين ، وقد ذهب هؤلاء إلى أن المسيح لم يصلب وأن الذي صلب هو شخص غيره خيل لليهود أنه المسيح ، ومن ثم أطلق المؤرخون على الغنوسطيين اسم « المشبهة » ولاتزال إلى وقتنا الحاضر جماعة في أمريكا تؤمن ببعض آراء الغنوسطيين هي « محفل الأخوة العظيم الأبيض » .

" Great whit Brethers Lodge " (2) .

٢ – **كرينثوس** اليهودي المتنصر ، الإسكندري الفيلسوف الذي انتهى به المطاف في مدينـة أفسس مدينـة الإنجيل اللاهـوتي في أواخـر القـرن الأول . كان ينكر صلب

---

(١) قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة : عنوان كتاب الاستاذ عوض سمعان . صادر عن دار التاليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة في حوالي مائتي صحيفة من الحجم المتوسط .

(٢) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين . ص ١٠ .

المسيح إنكاراً فلسفياً على نحو ما . فقد كان ينادي بأن « روح المسيح حلت على يسوع الناصري عند عماده من يوحنا على نهر الأردن حتى إذا قبض عليه اليهود ليصلبوه طارت روح المسيح إلى السماء تاركة يسوع يصلب وحده » (١) .

٣ – **مرقيون** – أوائل القرن الثاني – كان ينادي بأن « الذي صُلِبَ ليس هو المسيح بل شخص غيره ظن اليهود أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إلى السماء سالمًا » (٢) .

٤ – **بازيليدس** – أوائل القرن الثاني الميلادي أيضاً – كان يقول بأنهم بعد القبض عليه ومحاكمته وسيرهم به إلى المكان المعد للصلب ، طلبوا من سمعان القيرواني أن يحمل الصليب بدلاً عنه ، فألقى الله عليه صورة المسيح ، فأخذه اليهود وصلبوه ، أما المسيح فرفع إلى السماء (٣) .

٥ – **الدوكيتيون** – أوائل القرن الثاني أيضاً – كانوا ينكرون صلب المسيح قائلين «إن الله بسبب محبته للناس ، أرسل المسيح إليهم ليرشدهم ويهديهم ولكن لما وجد أن اليهود قد عقدوا النية على صلب المسيح ، رفعه إلى السماء ، ولذلك فإنهم لم يصلبوه ، بل صلبوا شخصاً آخر تراءى لهم « أو خيل لهم » أنه المسيح واسم «الدوكيتين» مشتق من فعل يوناني معناه .... يتراءى» وذلك للدلالة على عقيدتهم المذكورة (٤) .

٦ – **سطرنيوس** – منتصف القرن الثاني أيضاً – كان ينكر صلب المسيح – ويقول بأن – المسيح صعد إلى الله دون أن يروه ، أما الذي صلب فهو شخص آخر ظن كهنة اليهود أنه المسيح (٥) .

٧ – **تيتيانوس** – منتصف القرن الثاني – كان يقول بصعود المسيح إلى السماء دون أن يبصروه ولذلك فالمسيح لم يتألم ولم يمت . لكن الشيطان هو الذي تألم ومات (٦) .

---

(١) زكي شنودة : تاريخ الأقباط . جـ ١ . ص ١٤٤ .

(٢) عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة . ص ١٢ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٣ .

(٤) المرجع السابق . ص ١٤ .

(٥) المرجع السابق . ص ١٥ .

(٦) المرجع السابق . ص ١٥ .

٨ - برديستايس - منتصف القرن الثاني - كان ينكر صلب المسيح : ويقول برفعه ، ووقوع الصلب على رجل آخر غيره [1] خيل لهم أنه هو .

٩ - كردون - في أواخر القرن الثاني - وكان ينكر صلب المسيح ويقول برفعه وصلب آخر خيل لهم أنه هو [2] .

١٠- نطانيوس - في أواخر القرن الثاني - وكان يقول في الصلب بمثل قول سابقيه [3] .

١١- ماني - في القرن الثالث الميلادي - وكان ينكر صلب المسيح ، ويقول برفعه ، وأن الذي قبض وصلب شخص آخر كان قد أساء إلى المسيح من قبل [4] .

١٢- كرينثوس الذي عاش في القرن الثالث . كان يقول : بأنهم حين قبضوا عليه ليقتلوه ، صعد المسيح إلى السماء ، وبقي يسوع فصلبوه دون المسيح .

١٣- أبناء كهنة طيبة - في القرن الثالث الميلادي - بعد أن اعتنقوا المسيحية بفترة من الزمن ، كانوا ينكرون الصلب . ويقولون برفع المسيح حياً سالماً إلى السماء [5] .

وقد أوجزنا النقل عن كتاب « صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين » للاستاذ عوض سمعان ، وهو من رجال الكنيسة المصرية المعتمدين وأعلامها البارزين ولم نتابع من ذكرهم من القرون التالية للقرن الثالث ، فمن البديهي أن مثل هذه الأقوال كانت تمثل اتجاهات فكرية ، وآراء تاريخية ، وعقائد مسيحية لجماعات كثيرة من أتباع الكنيسة ، ثم حاربتها الكنيسة على مر العصور ، حتى قل شأن أتباعها .

العنصر اليهودي في قضية الصلب :

كان المسيح بالدرجة الأولى ثائراً على سلطان الكهنة والجمود الطقسي ، والعنت الذي فرض على الشعب اليهودي نتيجة لتزمت الكهنة وفقهاء الشريعة اليهودية ، وقد تمثل ذلك في ثورته العلنية على الباعة والصيارف في الهيكل إذ قام بقلب

---

(١) المرجع السابق . ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق . ص ١٦ .
(٣) المرجع السابق . ص ١٦ .
(٤) المرجع السابق . ص ١٧ .
(٥) المرجع السابق . ص ٥٣ .

موائد الصيارف وطرد باعة الحمام والغنم والبقر ، وكان بيده سوط من حبال حين قام بذلك وقال قولته المشهورة : لاتجعلوا بيت أبي بيت تجارة . وكان هذا العمل منه أولى الأسباب بحنقهم وكيدهم له ، وإن بدا من ظواهر النصوص غير ذلك من الأسباب . وقد كان ذلك العمل منه وحده مع ادعائه أنه جاء ليكمل أي أنه نبي ، وقدكان ذلك كفيلاً بأن يوقعوا به ما استطاعوا .

وأدت كراهيتهم الشديدة له إلى حد الإتفاق مع أحد تلاميذه ، وهو يهوذا الأسخريوطي أحد تلاميذ الصف الأول [من الأتباع وهم الحواريون الأثنى عشر] الذي خان أستاذه ، وذهب مع الجنود الذين لم يكونوا يعرفونه للقبض عليه .

وكان المسيح قد طلب من الله أن ينجيه وتمت نجاته فعلاً بوقوع القبض على آخر غيره - كما سنفصل ذلك فيما بعد - وكان المقبوض عليه في ظنهم هو المسيح وهو نفسه الذي وقع عليه الصلب في نظرهم .

وكان في ذلك انتصار لليهود - في زعمهم - على غريمهم الذي هزأ منهم ، وتمرد على سلطانهم في ساحة الهيكل . وكان الصليب في زعمهم هو نهاية كل خارج على سلطان الشريعة والكهنة . ممن يعدون في رأي اليهود كفاراً وفسقة . وهذا انتصار ما بعده من انتصار .

وهذا هو العنصر اليهودي في قضية الصلب . أنهم صلبوه وقتلوه . جزاء على خروجه على سلطان الكهنة ، بتهمة ظاهرية أنه مارق ومجدف كذاب .

العنصر البولسي في قضية الصلب :

وتلتقي المسيحية الحالية مع اليهودية في الإقرار بوقوع الصلب على المسيح لكن الصلب فيما عدا ذلك محل خلاف بين الطائفتين . وقد تعرفنا على مفهوم صلب المسيح عند اليهود ، أنه جاء حسب ما يقضي به الناموس والشريعة في القصاص من الأفاكين الخارجين على الناموس .

أما مفهومه عند المسيحيين ، فهو أنه فداء عن البشر مات مصلوباً لكي تنال البشرية الخلاص . ولولا الشك الذي يحيط بالأناجيل من جهة كتابها ، وظروف تأليفها وتاريخها تدويناً ، وظهوراً ، واعترافاً بها لولا هذا الشك لما كان هناك داع لمناقشة هذه المسائل من الناحية التي نحن بصدد معالجتها هنا ، فإن جماعة الحواريين كما أسلفنا

القول . كانت محدودة الثقافة بل كان منهم غالبية أمية فقيرة في ثقافتها كفقرها المادي .

ولو أن الأناجيل كتبت قبل كتابة بولس لرسائله وقيامه بهذا الدور النشط لكان في المسألة كلام آخر . ولكن الأناجيل لم تكتب أولها إلا بعد موت بولس بمدة .

وقد سبق لنا عند الحديث عن بولس أن قلنا إن مصادر ثقافة بولس ودعوته هي :

أولاً : أفكار يهودية ويمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ - أفكار قديمة عن المسيح المنتظر ، كما تؤول من نصوص كتب اليهود .

ب - أفكار عن الشريعة اليهودية ، كما تنص على ذلك كتبهم .

جـ - أفكار النزعات التأليفية المزجية لدى يهود المهجر ، وأنصاف اليهود مثل عقيدة «المنقذ الإلهي» الفريجية ، ومثل عقيدة فرقة الناظوريين في (المسيح المنتظر) وهي نزعات حديثة نسبياً .

ثانيـاً : دعوة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في قرب حلول مملكة الله.

ثالثـاً : دعوى التلاميذ الاثنى عشر في اعتقادهم « قيام المصلوب » وانتظار «عودة المسيح القريبة» .

رابعـاً : الذكريات الإنجيلية .

خامساً : المفاهيم والأفكار المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية .

سادساً : الأساطير الدينية السرقية .

ونقول أيضاً :

لم يكن الحواريون يرون في نهاية عيسى عملاً فدائيًا بل كان ظنهم أنه غلب وسيعود قريبًا ليدين الأحياء وينتصر ، وأن فترة اختفائه موقوتة ، وأنه لايلبث أن يعود ثم طال غيابه ، فابتدع بولس فكرة الفداء وأنه كان مصلوبًا تكفيراً عن الخطيئة البشرية .... إلخ .

وللتأكيد على دور بولس في المسيحية الحالية : أكدنا موافقتنا للاستاذ شارل جنيبر أستاذ ورئيس قسم الأديان بجامعة باريس . فيما ذهب إليه من القول عن بولس: «أنه كان منشيء المستقبل» وإنه «بدون بولس كان من المحتمل أن لاتوجد المسيحية» .

وقد نبهنا هناك إلا أن «بولس» لم يس شخصية فريدة في منهجه ، بل كان علمًا على ظاهرة حفل بها العصر البولسي في حقول الدعوة الجديدة ، ولانبالغ في القول

بأن الظاهرة حفلت بأفراد في وزن شخصية بولس ، بل نكتفي بالقول بأنه كان قمة الهرم ، وعلمًا على المنهج ، وأنموذجًا يحتذى .

ونقول هنا : إننا لو فرضنا أن اليهود تمكنوا من قتل المسيح دون صلبه لكان تلاميذه أول القائلين ، بأن القتل جعل من المسيح نبياً شهيداً وضموه إلى قائمة الأنبياء الذين قتلهم اليهود ، والذين كان آخرهم قبل المسيح هو يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا - ولكانت الدعوة يومئذ التي ينهض بها أتباعه لاتفترق في كثير عن غيرها من أنبياء بني إسرائيل الذين حاولوا رد الشعب العنيد إلى الله ..

ولكن لأن موت الصليب عندهم مقترن بلعن المصلوب ، وطرده من رحمة الله وملكوته حسب الناموس الذي تقرر فيه ذلك بالنسبة لموت الصليب . كما جاء بسفر التثنية : أن «المُعلّقْ ملعون من الله»(١) والمقصود به المُعلّقْ على خشبة الصليب . لذلك بات التلاميذ في حيرة من الأمر ولعلهم لم يجدوا للانتصار على هذه اللعنة إلا القول بقيامته من القبر . وهذا هو الذي ينتظر من مجموعة لم يكن لها حظ في الثقافة ، أكثر مما لهؤلاء التلاميذ ، ولم يكونوا بالذين يستطيعون أن يدفعوا عنه الصلْب أو نفيه بعد القول بوقوعه بين اليهود ، لذلك قالوا بالقيامة وكانوا هم وحدهم شهود القول بها .

لكن اللعنة ثقيلة الوطأة لدرجة لايكفي لنفيها مثل هذا القول بالقيامة المشهودة للتلاميذ فقط . وباتت تحتاج تفسيراً وتأويلاً لكي تقتنع العقلية اليونانية ، والرومانية ومن ورائها الوثنية ولم يكن أحد بالذي يستطيع أن يقدم ذلك غير الوافدين من خارج جماعة الحواريين .

وعندئذ التقت جميع الرغبات الوافدة ، فإن كانت رغبة الوافد التأييد والدعم كما زعم بولس في قصة تحوله من معاند مضطهد إلى داعية من الطراز الأول . فإن في القول بالفداء والصلب تبرير أيما تبرير ، وهنا يلتقي الوافدون مع التلاميذ .

وإن كانت الرغبة الوافدة هي الانتصار للديانات الوثنية وقتل دعوة المسيح الحقيقية ، إمعانًا في الكيد لها ومحقها ، فليس أفضل من هذا التحول الذي نقلها من صف الديانة السماوية ، إلى صفوف الديانات الوثنية . ولايهم أن تحمل اسم المسيح بل المهم هو ما وراء ذلك من عقائد وطقوس .

---

(١) [التثنية ٢١ : ٢٢] .

وجاءت المرحلة الأخيرة التي طلب فيها تأليه المصلوب وما نظن أن أحد الحواريين يسمع بذلك ويسكت عليه ، دون أن يقاومه . وغالب الظن أن يوحنا بين زبدي – إن كان قد طلب منه ذلك في حياته – فإنه لم يكن له من قوة البيان (وهو عديم العلم العامي) ما يمكنه من نقض هذه الرغبة وردها في وجوه طالبيها ، بل لم يكن له من القوة البدنية ما يجعله بالذي يستطيع أن يدفع عن نفسه كيد الطالبين إذا آذوه ولعله آثر السكوت طلبًا للسلامة بعد أن ذاق من الأذى في بطمس ما ذاق ، والله أعلم بالحقيقة .

وفي الديانات السماوية ما يفهم منه مشابهة لمعاني التكفير والتضحية كقصة ابني آدم ، وإسماعيل الذي أُمِرَ أبوه إبراهيم بذبحه يوم كان ابنه الوحيد امتحانًا من الله وابتلاء ، فلما صدق وهم بالتنفيذ افتداه الله بذبح عظيم . ومن يومها واليهود يتقربون إلى الله بالذبائح . التي كان من بينها البقر والغنم والحمام كما في حادثة الهيكل الشهيرة حين طرد يسوع باعتها معها من ساحة الهيكل .

وهنا ملتقى آخر يمكن أن يجمع بين السابقين مع القائلين بفداء المصلوب التقاء ما في زعم القائلين به . ويبقى السؤال الحائر في حاجة للإجابة عن :

استمداد عقيدة الفداء المسيحية من العقائد الوثنية :

هل أسهمت الوثنية القديمة بنصيب يذكر في دعم نظرية الفداء المسيحية ؟

ذكر الاستاذ عبد الكريم الخطيب عن ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة قوله :

« لقد كان اليهود الأقدمون يشتركون مع الكنعانيين والمؤابيين والفينيقيين والقرطاجنيين وغيرهم من الشعوب في عادة التضحية بطفل ، بل بطفل محبوب لاسترضاء السماء الغضبى ثم أصبح في الإمكانْ على توالي الأيام أن يستبدل بالطفل مجرم محكوم عليه بالإعدام .. وكان البابليون يلبسون الضحية أثوابًا ملكية ، لكي يمثل بها ابن الملك ، ثم تجلد وتشنق ، وكان هذا يحدث في «روديس» في عيد «كرونس» وأكبر الظن أن التضحية بِحَمَلْ أو جَدْيٍ في عيد الفصح ليست إلا تخليصاً لهذه التضحية البشرية اقتضاه تقدم المدنية » .

ثم قال الاستاذ الخطيب مُعلِقاً : « لم يكن من المستغرب ولا من المستبعد أن تعود هذه الصورة التي لا زالت في خيال الناس ولو في حالة واحدة ، وفي شخص كان

ميلاده معجزة ، فليس مستبعداً أن تعود هذه الصورة ، لتحل هذا اللغز الذي حيرالعقول بصلب المسيح » [1] .

وقد سبق أن تكلمنا في وصف الحالة الفكرية لذلك العصر الذي أُلفت الأناجيل في ضوئه أنه احتوى عدداً من محاولات التأليف والمزج بين العقائد والفلسفات المختلفة وأن ذلك لم يكن بالشيء المستغرب أو المستعبد بل كان بضاعة رائجة بين المذاهب الفلسفية مثل الفيثاغورية التي قلنا عنها أنها : مثل للمذاهب التي تحاول التأليف والمزج بين عقائد وفلسفات مختلفة ، وكان فيلون الاسكندري من الفلاسفة الذين كانوا يعالجون نصوص كتب اليهود على نحو من هذا المزج والتأليف . وهو نفس الاتجاه الذي اختاره بولس وأمثاله حتى أخرجوا لنا المسيحية الحالية على النحو الذي نراها عليه الآن وخير شاهد على اتجاه بولس هذا قوله في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس:

« نحن نكرز بالمسيح مصلوبًا ، لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة ، وأما للمدعوين يهودا ويونانيين ، فبالمسيح قوة الله ، وحكمة الله » [2] .

ففي القول بالصلب الفدائي عثرة للقائلين بالصلب العقابي وهم اليهود ، وهو تجهيل لليونانيين الذين لم يتوصلوا بعد إلى معرفة الفادي المخلص الحقيقي الذي جاء وذهب دون علمهم به ، وأما ليهود الشتات فهو تحقيق لرغبات ونزعات . فبه قوة الله ، وحكمة الله الذان كانا في الطريق التمهيدي ليقال بهما إنهما هما المسيح كلمة الله ، الذي ظهر فيما بعد إلهًا في إنجيل يوحنا .

ونعود ثانية باحثين عن الفداء في الوثنية القديمة من قبل ميلاد المسيح فلقد عني الدكتور أحمد شلبي في الطبعة الخامسة من كتابه عن «المسيحية» الصادر سنة ١٩٧٧م بإضافة بعض الموضوعات وزيادتها بعد أن أتيحت له فرصة الإطلاع على مجموعة من المراجع نوه بها في ص ١٧٢ تحت عنوان «المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية» منها مراجع عربية وأخرى غير عربية وقد قام بتقديم هذه المراجع ثم اختار منها ما قدمه في هذه الطبعة من كتابه ، نلخص نحن بعض ما اختاره فيما يلي :

---

(١) عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل . ص ٣٥٦ . الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ .

(٢) [أكورنثوس ١ : ٢٣ ، ٢٤]

أولاً : الإله – مثرا – أو متراس ، وقد سبق حديثنا عنه في وصف الحالة الدينية .

قال عنه :

هذه العبادة كانت قبل المسيح بحوالي ستة قرون . ثم تحدث عن انتشارها في بلاد الرومان حتى وصلت بريطانيا ، وتذكر هذه الديانة عن هذا الإله مثرا – أنه :

١ – كان وسيطًا بين الله والبشر .

٢ – أن مولده كان في كهف أو زاوية من الأرض .

٣ – أنه ولد في الخامس والعشرين من ديسمبر .

٤ – كان له اثنا عشر حواريا .

٥ – مات ليخلص البشر من خطاياهم .

٦ – دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .

٧ – صعد إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون .

٨ – كان يدعى مخلصًا ومنقذًا .

٩ – من أوصافه أنه كان كالحمل الوديع ، ووصف المسيح بأنه الخروف وهذا بعض أسمائه(١) .

١٠– كان أتباعه يعمدون باسمه .

١١– وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس .

وقد نقل ذلك عن كتاب « المسيحية الوثنية » لمؤلفه « روبرتسون » كما نقل عنه قوله :

« إن ديانة متراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية » .

ثانيًا : مقارنة بين محاكمة «بعل» ومحاكمة عيسى .

وإذا كانت ديانة متراس قد أمدت المسيحية بهذه التعاليم فإن ديانة بعل إله البابليين كانت معينًا للمسيحية في موضوع هام من موضوعاتها العاطفية ذلك هو قصة محاكمة عيسى وصلبه .

---

(١) [رؤيا ١٥ : ١٣] .

وقد وضع البابليون قصة محاكمة بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل مولد المسيح بقرون عديدة ، وكانت تمثل حافلة بالغموض والحزن ، وقد اكتشف في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد وسجلت عليها محاكمة بعل ونهايته .

وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل منذ عهد بختنصر وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض كل مطلع ربيع ، وعندما عاد اليهود إلي ديارهم كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ومؤثرة في حياتهم ، فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة [1] حتى أنهم عبدوه بعد العودة [2] .

وعقب نهاية المسيح ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع اسم جديد وضع مكان بعل وهذا الاسم هو المسيح ، حتى ليمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة منتحلة تماماً ، وفيما يلي بعض عناصر التشابه بين القصتين :

محاكمة بعل	محاكمة المسيح
١ - أُخذ بَعْل أسيراً .	١ - أُخذ عيسى أسيراً .
٢ - حوكم بعل علنا .	٢ - وكذلك حوكم عيسى .
٣ - جرح بعل بعد المحاكمة .	٣ - اعتدي كذلك على عيسى بعد المحاكمة .
٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل .	٤ - اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .
٥ - كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام ، وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت وقد طلب الشعب إعدام	٥ - كان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ورشح بيلاطس عيسى ليعفى عنه كالعادة كل عام ، ولكن اليهود طلبوا العفو

(١) وقد أدخل بعض اليهود هذا البعل وعبدوه في بلادهم بعد رجوعهم من السبي . راجع قاموس الكتاب المقدس مادة بعل . ص ١٨١ .

(٢) [عدد ٢٥ : ٣] .

تابع محاكمة بعل	تابع محاكمة المسيح
بعل والعفو عن المذنب الآخر .	عن باراباس واعدام عيسى .
٦ - بعد تنفيذ الحكم على بعل عمَّ الظلام وانطلق الرعد واضطرب .	٦ - عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء .
٧ - حرس بعل في قبره حتى لايسرق أتباعه جثمانه .	٧ - وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لايسرق حواريوه جسمانه .
٨ - الاهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه .	٨ - مريم الجدلية ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه .
٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء .	٩ - قام عيسى من مقبرته في يوم أحد وفي مطلع الربيع أيضًا وصعد إلى السماء . أ.هـ شلبي .

ولم تكن عبادة البعل عبادة مقصورة على البابليين وحدهم بل انتقلت إلى من جاورهم من أهل المشرق في الزمن القديم ، وقد أفادت لجنة قاموس الكتاب المقدس عمومية عبادة البعل حيث قالت تحت مادة بعل :

« إن عبادة البعل كانت عمومية بين أهالي المشرق في الزمان القديم ولذلك ترى له أسماء عديدة ، وما ذلك إلا لأن كل أمة كانت تسميه باسم يعرف به عند قومها . وكان الاسم من أسمائه يبتديء غالبًا ببعل وينتهي باسم تلك البلاد أو المدينة الموجود هو فيها ، أو بشيء ينسب إليه نحو بعل فغور [١] ، وبعل زبوب – وهو إله عقرون » [٢] .

ثالثًا : مقارنة بين حياة « بوذا » وحياة عيسى :

وقد لخص الدكتور شلبي تحت هذا العنوان مقارنة بينهما من ثلاثة مراجع في اثنتين وعشرين فقرة . يلاحظ فيها التماثل العجيب من كل وجه بين بوذا وعيسى على النحو التالي :

---

(١) جبل في موآب مقابل موقع أريحا على طريق حشبون كان يعبد فيه بعل فغور . راجع قاموس الكتاب المقدس مادة فغور . ص ٦٨٢ .

(٢) اقصى مدن الفلسطينيين الخمس باتجاه الشمال . راجع الكتاب المقدس مادة عقرون . ص ٦٣٢ .

بوذا	عيسى
١ - عند مولد بوذا ظهر نجم في السماء يبشر به ، وقد رُئي هذا النجم يسير نحو مكان وتبعه من رآه ليسجدوا للوليد .	١ - وعند مولد عيسى ظهر هذا النجم أيضًا ، يبشر بمولد المخلص وقاد جماعات المجوس نحو مكان ولادته فرأوا الطفل وسجدوا له .
٢ - ولد بوذا في اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر كما تذكر الأساطير الهندية .	٢ - ولد عيسى في الخامس والعشرين من ديسمبر أيضًا .
٣ - عند مولد بوذا احتفلت الملائكة بولادته وسبحت بحمده قائلة إن المبارك قد ولد اليوم ليمنح السلام للناس والمسرة للأرض .	٣ - وعند مولد عيسى ظهرت الملائكة في الجو مسبحة في الحقول بالقرب من بيت لحم ، وكانت تسبح بحمد المبارك وتقول : للناس المسرة وعلى الأرض السلام .
٤ - كان مولد بوذا خطرًا على الملك والسلطان فهدده ملك بنباسارا وأراد قتله حتى لايكون سببًا في القضاء على سلطانه .	٤ - وكان عيسى خطرًا كذلك على ملك هيرودس ولذلك أراد هيرودس قتله لولا أن فر إلى مصر مع أمه .
٥ - وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان ليحاول تضليله .	٥ - وعند بدء دعوة عيسى ظهر له الشيطان محاولاً تضليله .
٦ - وقال - الشيطان - مارا - لبوذا ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح امبراطور العالم .	٦ - وقال الشيطان لعيسى : إذا عبدتني سأجعلك ملكًا على العالم كله .
٧ - ولم يهتم بوذا بمارا الشيطان وصاح به : ابتعد .	٧ - ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به اخسأ أيها الشيطان .
٨ - وبعد أن انتصر بوذا على مارا أمطرت السماء زهورًا وعبق الهواء	٨ - وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى وكرمته .

تابع

عيسى	بوذا
	بعبير طيب .
٩ - وصام عيسى أربعين يوماً بلياليها .	٩ - وصام بوذا فترة طويلة .
١٠- وعمد يحيى عيسى في نهر الأردن وكان ذلك في حضرة الله وروح القدس .	١٠- وتعمد بوذا بالماء المقدس وفي أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدس .
١١- وتقبل صلاة المسيحيين مادامت باسم عيسى وينالون بسببها الفردوس .	١١- ١١- وتقبل صلاة البوذيين وتقودهم إلى الفردوس مادامت تقدم باسم بوذا .
١٢- وعندما مات عيسى ودفن أزاحت قوة من قوى ما فوق الطبيعة الحجارة عن قبره وعاد عيسى إلى الحياه .	١٢- وعندما مات بوذا ودفن شق قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة ، وعاد للحياة .
١٣- وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض .	١٣- وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته على الأرض .
١٤- وسيعود عيسى كذلك ليحكم الأرض من جديد وينشر دعوته ويملأ الأرض بالخير والسلام .	١٤- وسيعود بوذا إلى الأرض في آخر الزمان ليواصل دعوته ويستعيد مجده ويملأ الأرض سعادة ونعيماً
١٥- وسيوكل لعيسى أيضاً أن يحاسب الناس في الدار الآخرة .	١٥- وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث .
١٦- وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو خالد كالأب .	١٦- وبوذا لا أول له ولا نهاية وهو خالد .
١٧- وعيسى مخلص البشر الذي قدم نفسه ليكفر عن خطيئة أبيهم آدم .	١٧- ويروى عن بوذا أنه قال : إنني أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة .

تابع

عيسى	بوذا
١٨- ومما علمه عيسى لأصحابه أن يخفوا أعمالهم ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم	١٨- ويروى عن بوذا قوله أخف أعمالك الطيبة وأعلن على الناس سيئاتك التي ترتكبها .
١٩- وقال عيسى لأتباعه : أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا لمن يبغضكم .	١٩- وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم .
٢٠- واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقر ليدخل ملكوت الله .	٢٠- ونصح بوذا حوارييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانبًا ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر ليقبلوا في الدعوة .
٢١- ودعى عيسى أتباعه ليدخلوا ملكوت السماء .	٢١- وكان هدف بوذا الأسمى أن يكون ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء .
٢٢- ويقرر الفكر المسيحي أنه من الأفضل للرجل أن لايمس امرأة ، ولكن إذا خاف الزنا جاز له أن يتزوج فالزواج خير من الاحتراق بالنار » أ.هـ .	٢٢- ونادى بوذا بعدم الزواج وشبه الزواج بالاحتراق في الفحم ولم يجزه إلا عند خوف الزنا

ومن الفوارق التي ينبغي أن لاتهمل أن بوذا لم يعترف بوجود الله [١] ، وأن أتباعه قالوا بألوهيته من بعده ، ولذلك تعد البوذية ديانة وضعية لا سماوية .

ولكن المسيح كان رسولاً لله سبحانه وبذا كانت دعوته سماوية ، من أجل ذلك ولأنه جاء مكملاً ولاعترافه بوجود الله . اضطر الذين راقتهم صورة بوذا إلى طلب تأليه المسيح فأعانتهم الفلسفة اليونانية بنظرية هيراكلتوس في القول باللوغوس . ومن ثم قال يوحنا اللاهوتي إن المسيح هو هو الله . الذي كان معروفًا في كتب اليهود . وبذلك اتحدت المسيحية مع البوذية في تأليه من نسبت إليه ، وخرجت بذلك عن صف الأديان

(١) محمد أبو زهرة : الديانات القديمة . ص ٦٩

السماوية وأصبحت وثنية مقنعة ، واتخذت اسم المسيح ستاراً توارت من خلفه . وهي بهذه العقائد وثنية ما بعدها من وثنية . ومن أراد مزيداً من المقارنة بين بوذا والمسيح فإنا نحيله إلى الكتاب القيم للشيخ محمد أبو زهرة وهو كتاب «الديانات القديمة» (١) حيث قارن فيه بين بوذا والمسيح بتوسع كبير . وننقل عنه المقارنة التالية :

رابعًا : مقارنة بين أقوال الهنود الوثنيين في كرشنه «ابن الله» وبين أقوال المسيحيين في يسوع المسيح «ابن الله» .

كرشنه	يسوع المسيح
هو : « المخلص » و« الفادي » و«المعزي» و«الراعي الصالح» و«الوسيط» و«ابن الله» و«الأقنوم الثاني» من الثالوث المقدس ، وهو : الأب ، والأبن ، وروح القدس .	هو : « المخلص » و« الفادي » و«المعزي» و«الراعي الصالح» و«الوسيط» و«ابن الله» و«الأقنوم الثاني» من الثالوث المقدس ، وهو الأب ، والأبن ، وروح القدس .
١ - قد مجد الملائكة ديفاكا والدة كرشنة ابن الله وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة .	١ - دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها : سلام عليك أيتها المنعم عليها الرب معك.
٢ - عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء .	٢ - لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته .
٣ - لما ولد كرشنة سبحت الأرض ، وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحًا وطربًا ورتل السحاب بأنغام مطربة .	٣ - لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحًا وسرورًا وظهر من السحاب أنغام مطربة .
٤ - كان كرشنة من سلالة ملوكانية ، ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر .	٤ - كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ، ويدعونه (ملك اليهود) ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار .

تابع

يسوع المسيح	كرشنه
٥- لما ولد يسوع المسيح أضاء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عين القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار .	٥- لما ولد كرشنه أضاء الغار بنور عظيم لأن وجه أمه ديفاكا كان يرسل أشعة نور ومجد .
٦- وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل : يا مريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي إليك وقد أتيت لأخلص العالم .	٦- وبعد ما وضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها .
٧- وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له .	٧- وعرفت البقرة أن كرشنه إله وسجدت له .
٨- وآمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر .	٨- وآمن الناس بكرشنة ، واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب .
٩- ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا المجوس في المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود . ملك اليهود .	٩- وسمع نبي الهنود - نارد - بمولد الطفل الإلهي كرشنه فذهب وزاره في - توكول - وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد .
١٠- ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائبًا عن البيت وأتى كي يدفع ما عليه من الخراج للملك .	١٠- لما ولد كرشنه كان - ناندا - خطيب أمه ديفاكا غائبًا عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ما عليه من الخرج للملك .
١١- ولد يسوع بحال الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية .	١١- ولد كرشنه بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية .
١٢- وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي	١٢- وسمع ناندا خطيب أمه ديفاكا والدة كرشنه نداء من السماء يقول

تابع

كرشنة	يسوع المسيح
قم وخذ الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول واقطع نهر جمنه لأن الملك طالب اهلاكه .	وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طالب إهلاكه .
١٣- وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنه الطفل الإلهي وطلب الولد ولكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنه .	١٣- وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهي ، وطلب قتله ولكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها المسيح .
١٤- واسم المدينة التي ولد فيها كرشنه «مطرا» وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنه أنه ابن الله وأنه الله إلي يومنا هذا .	١٤- واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح لما ترك اليهودية «المطرية» ويقال إنه عمل فيها آيات وقوات عديدة .
١٥- كانت ولادة القديس (راما) قبل ظهور كرشنه في الناسوت بزمن قليل ، وقد سعى - فاتا - ملك البلاد في إهلاك القديس (راما) وإهلاك كرشنه أيضاً	١٥- وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة المسيح بزمن قليل ، وقد سعى الملك هيرودس في إهلاك الطفل يسوع المسيح ، وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح
١٦- وربا كرشنه بين الرعاة ولما جيء به إلى مطرا كان في احتياج عظيم فأتى له بمعلم خبير وفي وقت قليل فاق على أستاذه في العلوم وأعياه في المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة .	١٦- وأرسل يسوع المسيح عند المعلم (زاخوس) لكي يعلمه فكتب له أحرف ألف ، باء ، وقال ليسوع قل (ألف) فقال الرب يسوع أخبرني أولاً عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول حرف الباء فتهدد المعلم

تابع

كرشنة		يسوع المسيح	
			يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحية والحروف المثناة والتي لها نقط وحركات والتي ليس لها نقط ولماذا وضعت في هذا الترتيب أي بعض الحروف قبل غيرها ، وطفق يخبر عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب .
١٧-	وفي أحد الأيام كان كرشنه سائرًا مع قطيع من البقر فاختاروه ملكًا عليهم وذهبت كل بقرة إلى المكان الذي عينه لها هذا الملك .	١٧-	وفي شهر آزار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم ، وإذا مرّ بهم أحد كانوا يأخذونه غصبًا ويأمرونه بالسجود للملك .
١٨-	وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنه الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إليهم بعين ألوهيته فقاموا سريعًا من الموت . وعادوا أحياء .	١٨-	وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذلك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته .
١٩-	وشرق بعض أصحاب كرشنه مع عجولهم . وأخفاهم السارقون في غار فخلق كرشنه أصحابًا وعجولاً مثلهم في الشكل والهيئة .	١٩-	وأخفى الأولاد الذين يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن فبدلوا إلى هيئة جداء فناداهم يسوع تعالوا إلى هنا يا أيها الأولاد لنلعب فأعيدت تلك الجداء إلى هيئتهم الأولى صبيانًا .
٢٠-	وأتى كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة	٢٠-	وفيما كان يسوع في بيت عنيا في

تابع

كرشنة	يسوع المسيح
ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنه بعلامة مخصوصة وسكبت الباقي على رأسه .	بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسبكته على رأسه وهو متكيء .
٢١- كرشنه صلب ومات على الصليب.	٢١- يسوع صلب ومات على الصليب.
٢٢- لما مات كرشنه حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء ، وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء نارًا ورمادًا ، وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض ، وشاهد الناس ألوفًا من الأرواح في جو السماء يتراوحون صباحًا ومساءًا وكان ظهورها في كل مكان .	٢٢- لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثير من القديسين وخرجوا من قبورهم .
٢٣- وثقب جنب كرشنه بحربه .	٢٣- وثقب جنب يسوع بحربة .
٢٤- وقال كرشنة للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفًا برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة .	٢٤- وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس .
٢٥- ومات كرشنه ثم قام من بين الأموات .	٢٥- ومات يسوع ثم قام من بين الأموات .
٢٦- ونزل كرشنة إلى الجحيم .	٢٦- ونزل يسوع إلى الجحيم .
٢٧- وصعد كرشنه بجسده إلى السماء	٢٧- وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون

تابع

كرشنة	يسوع المسيح
وكثيرون شاهدوه صاعداً .	شاهدوه صاعداً .
٢٨- ولسوف يأتي كرشنه في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .	٢٨- ولسوف يأتي يسوع في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط نجوم السماء .
٢٩- وهو أي كرشنه يدين الأموات في اليوم الأخير .	٢٩- ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير .
٣٠- ويقولون عن كرشنه : الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي .	٣٠- ويقولون عن يسوع المسيح : إنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدي.
٣١- كرشنه الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء .	٣١- يسوع الألف والياء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء .
٣٢- لما كان كرشنه على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كاحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى ، وإعادة المخلوع كما كان أولاً ، ونصرة الضعيف على القوى، والمظلوم علي ظالمه وكانوا إذ ذاك يعبدونه ويزدحمون عليه ويعبدونه إلهًا	٣٢- لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطاء التي تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات ، كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض ، وينصر الضعيف على القوي والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه إلهًا .
٣٣- كان كرشنه يحب تلميذه أرجونا	٣٣- كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر

تابع

يسوع المسيح		كرشنة	
من بقية التلاميذ .		أكثر من بقية التلاميذ .	
وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل : هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا، ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً .	-٣٤	وفي حضور أرجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ، ومجد العلي اجتمع إله الآلهة فأحنى أرجونا رأسه تذللاً ، ومهابة وتكتف تواضعاً وقال باحترام : الآن رأيت حقيقتك كما أنت وإني أرجو رحمتك يا رب الأرباب فعد واظهر في ناسوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت .	-٣٤
كان يسوع خير الناس خلقًا وعلماً بإخلاص وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت .	-٣٥	وكان كرشنه خير الناس خلقاً وخلقًا وعلماً بأخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت .	-٣٥
يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر أسراره العظيمة الإلهية .	-٣٦	كرشنه هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية .	-٣٦
يسوع الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى .	-٣٧	كرشنه هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين .	-٣٧
وأمر يسوع كل من يطلب الإيمان	-٣٨	وأمر كرشنه كل من يطلب الإيمان	-٣٨

تابع

كرشنة		يسوع المسيح	
	بإخلاص أن يترك أملاكه وكافة ما يشتهيه ويهرب من مجد العالم ويذهب إلى مكان خال من الناس ويجعل تصوره في الله فقط .		بإخلاص أن يفعل كما يأتي وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية .
٣٩-	وقال كرشنه لتلميذه الحبيب أرجونا إنه مهما عملت ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قربت من قربان ومهما فعلت من الأفعال المقدسة فليكن جميعه بأخلاص لي أنا الحكيم والعليم ليس لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ .	٣٩-	فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا فافعلوا كل شيء لمجد الله .
٤٠-	قال كرشنه أنا علة وجود الكائنات فيّ كانت وفيّ تحل وعلى جميع ما في الكون يتكل وفي يتعلق كاللؤلؤ المنظوم في خيط .	٤٠-	من يسوع وفي يسوع وليسوع كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان .
٤١-	٤١- قال كرشنه أنا النور الكائن في الشمس والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل ما يضيء ونور الأنوار ليس في ظلمة .	٤١-	ثم كلمهم يسوع قائلاً أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة .
٤٢-	قال كرشنه أنا الحافظ للعالم وربه وملجؤه وطريقه .	٤٢-	قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي الأب إلا بي.
٤٣-	قال كرشنه . أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدي وخالق كل شيء وأنا فناؤه ومهلكه .	٤٣-	وقال يسوع أنا هو الأول والآخر ولي مفاتيح الهاوية والموت .
٤٤-	وقال كرشنه لتلميذه الحبيب : لا تحزن يا أرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك	٤٤-	وقال يسوع للمفلوج «ثق يا بني مغفورة لك خطاياك ، يابني اعطني

تابع

كرشنة	يسوع المسيح
منها فقط تثق بي وتتوكل علي واعبدني ، واسجد لي ولا تتصور أحداً سواي لأنك هكذا تأتي إلى المسكن العظيم الذي لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر .	قلبك والمدينة لاتحتاج إلى شمس ولا إلى قمر ليضيئا فيها . الخروف سراجها» أ.هـ .

بقي أن نتساءل ماذا بقي إذن من فروق يعتد بها بين صورة «كرشنة» وصورة «المسيح» ؟ ؟

والإجابة : أن الفارق المهم أن كرشنة معبود الهنود الوثنين أقدم تاريخًا من يسوع المسيح لأن كرشنة معبود قبل ميلاد المسيح بنحو من خمسة عشر قرنًا من الزمن على الأقل ، ومن الواضح ، أن الصورتين تقاربتا حتى كادت صورة المسيح أن تكون ظلاً تاريخيًا لمعبود الهنود كرشنة . والسابق قاض على اللاحق بمعنى أن من المرجح أن الأحدث أخذ عن الأقدم وأن الذين صوروا المسيح حاولوا محاكاة صورة كرشنة معبود الهنود . ولايجوز أن يقال أن عقيدة الهنود في كرشنة استلهمت عقيدة المسيحيين في يسوع المسيح لأن القول بمثل هذا إغراق في الخيال والوهم .

ولم تقتصر أبحاث العلماء في مقارنة الأديان عند هذا الحد الذي قدمنا بل إن هناك مجموعة من الآلهة القديمة كانت تعبد في الزمن القديم من قبل المسيح في معابد كثيرة ومنتشرة . نذكر منها على وجه الإجمال : أبلوا الذي كان يقدسه الإغريق وهيراكوليس معبود الرومان وأدونيس معبود السوريين والثالوث المصري أوزيريس وإزيس وحورس معبودات المصريين ، والأم سيبيل ، بالإضافة إلى مثرا الفارسي وغيره ممن ذكرنا ، وكثير ممن لم نذكر (١) .

---

(١) انظر : الدكتور أحمد شلبي : المسيحية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٧م .
الشيخ محمد أبو زهرة : الديانات القديمة .
سليمان مظهر : قصة الديانات (به مجموعة من المراجع الهامة) .
شارل جنيبر : المسيحية نشأتها وتطورها .

المبحث الثاني

موقفنا من قضية الصلب

ويلزم لنا هنا أن نتساءل : هل يمكن لروايات الأناجيل الأربعة أن تتماسك فتعطي رواية ذات نسيج متضافر قوي اللحمة والسداه ؟ أم أنها مبعثرة مهرأة الأوصال ؟ ؟ بحيث يسمح ضعفها لقول منكري صلب المسيح بالاختراق في سهولة ، وبحيث يجتازها سالمًا . ولانسبق إلى التأييد أو النفي ويهمنا هنا أن نعيد ما سبق أن وضحناه من اتفاق روايات أناجيل صلب المسيح على نقاط أربع :

١ - أن اليهود كانوا يتآمرون عليه ويسعون إلى التخلص منه .

٢ - أنه كان يفر عند الخطر .

٣ - أنه كان يصلي لله كثيرًا ويدعوه لكي ينقذه .

٤ - أن الذين جاءوا للقبض عليه مع يهوذا لم يكونوا يعرفونه . وغني عن البيان أن هذا الذي أتفق عليه القائلون بصلب المسيح لايخالفهم فيه القائلون بصلب غيره ، وإنما يتركز محور الخلاف حول شخص المصلوب فالأناجيل تحدد أنه المسيح ، وبعض القائلين بصلب غيره يحدد أنه يهوذا وأن المسيح أنقذه الله ، والبعض الآخر يقولون بنجاة المسيح وصلب رجل آخر غيره من غير تحديد اسمه ، وإن كان بعضهم قد حدد وصفه بأنه آخر أساء إلي المسيح .

هل اجتمع الثلاثة الصليب والمسيح ويهوذا :

ويلزم هنا أن نبحث بين روايات الأناجيل عن يهوذا والمسيح والصليب . فإن المعلوم أن الذي صلب شخص واحد جزاء للتهم الموجهة للمسيح . فلو أننا وجدنا رواية إنجيلية من بين الأربعة - على الأقل - أو أكثر من رواية تقول باجتماع الثلاثة المسيح ويهوذا والصليب . لزم لنا أن نسأل من علق من الرجلين على الصليب ؟ فتعلم شخصية المصلوب منهما ، ويبقى أن الثاني لم يصلب . وعندئذ يكون القائل بصلب يهوذا مكذباً لرواية إنجيلية . فيلزمه أن يقدم دليلاً على إمكانية أن تذكر الأناجيل أو بعضها رواية كاذبة من نفسها ، أو مكذبة من رواية في مستواها بمعنى تناقضها مع رواية إنجيل آخر معترف به .

اختفاء يهوذا من ساعة القبض :

ونحن إذا تتبعنا الروايات الإنجيلية التي تحدثت عن الصلب لانرى ذكرًا ليهوذا من بعد حادثة القاء القبض ، إلا في موقفين فقط .

فقد جاء في متى أنه لما رأى أن الذي أسلمه قد دين ندم « فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه »[1] فيفهم من هذا أنه مات منتحرًا بيده لأنه ندم . فطرح الفضة في الهيكل ثم انصرف منه وانتحر بيده فخنق نفسه .

أما الموقف الثاني فهو ما ذكره لوقا في سفر أعمال الرسل من قول بطرس للتلاميذ «أيها الرجال الأخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع إذ كان معدودًا بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة فإنّ هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم ، وإذ سقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها ، وصار ذلك معلومًا عند جميع سكان أورشليم حتى دعي ذلك في لغتهم حقل دما أي حقل دم »[2] وليس خافياً أن مايذكره لوقا هنا مخالف لما ذكره متى من وجهين اثنين :

١ - أن لوقا يقول : سقط على وجهه وانشق من الوسط ، وانسكبت أحشاؤه كلها وذلك مغاير لما ذكر متى من أنه انتحر خنقًا .

٢ - أن لوقا يقول أنه اشترى حقلاً من الفضة التي قبضها ثمنًا لتسليم المسيح وذلك غير ما ذكر متى من أنه طرحها في الهيكل ثم انصرف فانتحر . ويضيف لوقا مؤكدًا روايته بالقول أن ذلك صار معلومًا عند جميع سكان أورشليم وذلك تناقض بين هاتين الروايتين . ولا يوجد لهاتين الروايتين ثالثة بين الأناجيل ولا بين بقية رسائل العهد الجديد مما يؤيد احداهما أو تأتي بوجه ثالث مخالف لكل منهما فيما نعلم .

ما يستدل عليه من التناقض :

ثم إن تناقض هاتين الروايتين ، غير اتفاقهما كما لو كانت رواية واحدة نصت على نهاية حياة يهوذا على النحو الذي تذكره ، فلو أنهما اتفقتا أو كانت رواية واحدة فقط لكان المخالف - الذي يقول بصلبه مثلاً - مناقضًا ومطالبًا بتقديم الدليل على

---

(١) [متى ٢٧ : ٥] .   (٢) [أعمال الرسل ١ : ١٩] .

إمكانية أن يذكر بكتب العهد الجديد أمور غير صحيحة أما تناقضهما فإنه يعفي المخالف من إقامة مثل هذا الدليل لأن كلاً منهما تنازع الأخرى في نفس الوقت . كما أن هذا التناقض يفتح الباب للمخالف فمن يدري إذن ؟ ؟ أين الحقيقة ؟ ؟ ما دام كتابهم رسلاً ، معصومين أوحى الله إليهم بكلامه ليكتبوه فجاءت كتبهم مختلفة متناقضة .

وليت الخلاف بين أمر نهي من الأمور التي تحتمل الإنشاء ، لكن الخلاف بشأن وقائع عينية مشاهدة ملموسة مما لايختلف على مثله العقلاء الصادقون الذين ليسوا رسلاً ولا هم معصومون . وإذا اختلف الرسل المعصومون إلى مثل هذا في أمر كوفاة يهوذا فإن للعقل أن يبحث كل احتمال ممكن سواء عارض ، أو وافق وكلها آراء .

ولا حديث عن يهوذا في غير هذين الموضعين من العهد الجديد ولم يرد نص بأنه كان موجوداً وهم يقتادون المقبوض عليه أثناء الطريق ولا عند المحاكمة ولا وقت خروجهم به إلى دار بيلاطس ولا وقت حمل الصليب حتى الصلب ، لم ترد أية رواية بالعهد الجديد تشير إلى شيء من ذلك وهذا مما جعل الموضوع قضية لها مؤيدون لصلب المسيح ولها قائلون بنجاته وكذلك لايعلم أيضًا أين كان يهوذا منذ القبض على المسيح فلم ترد رواية تؤكد وجوده في مكان آخر . مما يستلزم منه القول بأن المخالف يتناقض معه . ومع تناقض الروايتين السابقتين بشأن موته فإنهما لاتفيدان شيئًا عن مكان وجوده من وقت القبض إلى الصلب .

ولو فرضنا صحة موته بعد صلب المسيح لكان غيره على أن نحو مات . ولايجوز في العقل أن يقال بأنه هو ، إلا في حالة واحدة أن يكون قد صلب وأنزل حيًا من فوق الصليب . في حالة من الاغماء لأن الوقت الذي مكثه المصلوب فوق الصليب كان غير كاف لموته من أثر الصلب .

هل مات المصلوب حقًا قبل الدفن ؟

ذلك أن المصلوب المختلف ي شخصه مكث على الصليب ٦ ست ساعات فقط (من ٩–٣ بعد الظهر) بتوقيتنا الحالي (بصرف النظر عن خلافات الأناجيل في ذلك ، والمدة المقررة للموت البطيء الذي ينزل بالمصلوب تتراوح بين ٢٤ – ٢٨ ساعة ، فإذا مات بعد ٦ ست ساعات فقط فإما أن يكون مغمى عليه ، أو يكون الموت بسبب آخر غير الصلْب .

ومما يقوي هذا الرأي ويؤيده أنه عندما طُعِنَ سال من جنبه دم وماء ، ولايحدث ذلك إلا من الأحياء ، وهذا إن قام دليلاً بيد القائلين بموت المصلوب حتى ولو بهذه الطعنة القاتلة ، فهو أيضًا حجة للقائلين بأن المصلوب أنزل حيًا وهناك رأي يقول بمثل هذا تحدث عنه الاستاذ عوض سمعان في كتابه «قيامة المسيح والأدلةعلى صدقها» يقول : «إن المسيح عندما أُنْزِلَ عن الصليب لم يكن ميتًا بل مغمى عليه فحسب والدليل على ذلك أنه لما طُعِنَ بالحربة خرج منه دم وماء وعندما وضع في القبر البارد بعد ذلك استعاد نشاطه وهرب إلى بلاد فارس متنكرًا في زي بستاني كما رأته مريم المجدلية»[1] أ.هـ .

هل مات فجأة ؟ ؟

أما القول بأن الدم يتحلل إلى خثارة حمراء ومصل مائي بعد الموت ، فليس ذلك مطلقًا لكل ميت ، بل إن ذلك يحدث في بعض حالات الوفاة الفجائية . كأن يحدث انفجار في جدار عضلة القلب مثلاً يؤدي إلى سيلان الدم منه وتجمعه فوق الحجاب الحاجز وتخثره ، ولم يكن موت المصلوب فجأة لأنه كان يحاكم ليلاً من بعد القبض عليه ثم صلب نهاراً . فكيف إذن يموت بعد ٦ ساعات بفارق كبير عن أقل مدة لموت المصلوب ؟ ! وكيف يكون موتًا سريعًا هكذا وفجائيًا ؟ ! (فضلاً عن زعمهم أنه عالم بكل شيء ويعلم الواقعة تفصيلاً لايخفى عليه منها شيء!) .

ولاتعليل إلا كهذا الذي تقدم للاستاذ عوض سمعان من كتابه عن (قيامة المسيح...) المشار إليه إذ قال : « إن خروج الماء والدم من جنب المسيح بعد طعنه بالحربة ، لايدل على أنه كان على قيد الحياة وقتئذ لأن الدم كما يقول الأطباء يتحلل في بعض الحالات الفجائية إلى خثارة حمراء ، ومصل مائي ويظل على هذه الحال بضع ساعات ، وبما أن المسيح مات على الصليب قبل المدة التي يموت فيها أضعف شخص يعلق عليه بأكثر من ١٨ ساعة كان من البديهي أن يخرج منه دم وماء عندما طعن بالحربة[2] » أ.هـ . وها أنت ذا ترى أن بعض حالات الموت الفجائي يتحلل فيها الدم ،

---

(١) عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها . ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق . ص ٨٤ .

على أنه لا مفاجأة للعليم بالأشياء قبل حدوثها ، ولا مفاجأة للمسيح منذ القبض عليه سواء علم بأن الله سينقذه أو لم يعلم ، ولا مفاجأة أيضًا ليهوذا لأنه مقبوض عليه من قبل الصلب بمدة طويلة ، إلا أن يكون في نجاة المسيح وإلقاء القبض عليه ما فاجأه ، وذلك دون شك ، لكن هذه المفاجأة لو كانت بحيث تؤدي إلى الوفاة ، لوقع من فوره بعد لحظات من القبض عليه . كما يحدث في بعض أحوال الأمراض المفاجئة التي تظهر فور الصدمة .

أما التعليل فهو قول صاحب الكتاب السابق بالهامش تعليقًا على النص السابق قال : «إن الأطباء يقولون إن المصلوبين يموتون موتاً طبيعياً في مدة تتراوح بين ٢٤-٢٨ ساعة متأثرين إما بالأجهاد العصبي ، أو التهاب الجروح ، أو نزف الدم ، أو اضطراب القلب ، أو تعطيل الدورة الدموية . لكن المسيح مات بعد ٦ ساعات فقط من صلبه ، الأمر الذي يدل على أن موته كان سريعاً وفجائيًا ، والسبب في ذلك كما يتضح من الكتاب المقدس يرجع إلى أن المسيح كان وقتئذ متأثرًا كل التأثر بخطايا البشر وآثامهم الشنيعة » أ . هـ ، وهذا السبب ليس جديرًا بالاعتبار ولا هو بشيء إذا ما قورن بالحقائق الثابتة ، ولاننذهب وراء بعضهم لنقول بمثل قول أحد مفسري إنجيل يوحنا إذ قال عند تفسير هذا النص الوحيد الذي جاء يفيد ذلك بالإنجيل الرابع [(١)] ، قال : « الأمر لم يكن شيئًا طبيعًا ، لأن من جسد الشخص الميت لايمكن على الإطلاق أن يخرج دم إذن فنحن أمام حالة غير عادية »[(٢)] .

ولابد لنا ههنا من وقفة أمام الدم والماء الذي لم يقل به أحد من كُتّاب الأناجيل الثلاثة ولم يشر إليه . وإنما قال به الإنجيل الرابع وحده :

فلو أنه طعن في جنبه الأيسر لأن الذي طعنه كان يواجهه ، وطعنه بيمينه على ما تجري به العادة إذ لم يذكر أن الطاعن كان أشول ، فإن الطعن إن كان في خط مستقيم يخترق الطحال إلى الكبد ، وربما يصل إلى القلب ، وهذا إذا كان الطعن متجهًا لأعلى وبسن مدبب طويل حتى يصل إلى القلب وهذا احتمال بعيد جداً ، وأبعد منه في الاحتمال أن يخرج ماء مع الدم لأنه لاوجود للماء في هذه العضلات الثلاث ، وهذا ما يقوله علماء التشريح ، ولذلك قال المفسر الدكتور وليم باركلي في تفسير هذه الفقرة

---

(١) [١٩ : ٣٤] .

(٢) هلال موسى : تفسير إنجيل يوحنا . ص ٢٨٣ .

من إنجيل يوحنا ما نصه :

« نحن لانستطيع أن نفهم بالضبط من أين أتى الدم والماء ، ومن المحتمل جداً أن الظروف الإستثنائية الأليمة التي اجتازها يسوع قد أدت إلى انفجار جدار القلب . إننا نعرف أن الميت لايدمي فالدم يتجمد في عروقه »(١) . ولا وجه للقول بتخثر الدم إلا انفجار عضلة القلب من قبل الطعن ، ولكي ينفجر القلب لابد أن يكون الموت فجائيًا ، والقول بالموت الفجائي أقرب إلى تحديد شخص يهوذا بأنه المصلوب ، ويبعد المسيح لأنه لا مفاجأة للمسيح عند فحص رواية الإنجيل الرابع ، ولا عند الأناجيل الثلاثة السابقة عليه . لأنه كان يعلم أن ساعته قد حانت وهنا لايقبل القول بالمفاجأة .

أين الحقيقة ؟ ؟

ونحب أن نوضح أن السبب الذي دفع مؤلف الإنجيل الرابع إلى النص على الدم والماء هو تأكيد حقيقة الصلب لجسد بشري من لحم ودم وماء . وذلك للرد على آراء القائلين بأن الذي صلب كان جسداً روحانيًا - شبه جسد - ولأنه قصد بذلك الرمز إلى المعمودية والعشاء الرباني (٢) . وهذا كله لايغني عن المؤلف شيئًا من حيث مناقشة الثبوت الحقيقي للدم والماء .

ولنفرض جدلاً أن التعليل صحيح في أن المصلوب مات بسبب انفجار عضلة القلب نتيجة لضغط الأحزان وموت الفجأة - مع صرف النظر عن علمه المسبق بتلك الساعة - كما « يقول علماء التشريح : إن انفجار جدار القلب يؤدي إلى تدفق الدم واختزانه خلف الحجاب الحاجز ، وسرعان مايتخثر إلى كتلة دموية منكمشًا عن المصل أو السيرم الذي يحيط به »(٣) كما نقل وليم باركلي عن بعضهم أقوالاً لايعتقد بها ، لأنه لم يستطع أن يفهم من أين أتى الماء والدم لأن الميت لايدمي لتجمد الدم في عروقه. نحن نفترض أن الإنفجار حصل لقلب المصلوب ، وأن الدم تخثر فوق الحجاب الحاجز فمتى حدث خرق للحجاب الحاجز ، وكان هذا بدوره يؤدي إلى الفتحة الخارجية في جدار الجنب فإن الذي يسيل حينئذ إما أن يكون دماً فقط أو ماء فقط ، أما أن يقال: «دم وماء»

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٥١٢ ، جـ ١ .

(٢ ، ٣) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٥١٣ . جـ ٢ .

فإن ذلك لايمكن إلا من خلال فتحتين لكل سائل منهما فتحة ، أما إذا سالا من فتحة واحدة فإن السائل مزيج أي خليط منهما وحينئذ كان ينبغي للكاتب القديس ، المعصوم ، الذي يكتب وحي ربه أن يقول «مزيج من دم وماء» أو «سائل بين الدم والماء في السن» ولكن المؤلف أطلقها هكذا لأهداف يقصدها وقت الكتابة ، مع أن الأناجيل الثلاثة أسبق منه زمنًا ولم يشر أحدها ، ولا كلها ، إلا سيلان الدم والماء كل بانفراده ، أو مختلطين ، ولا أثر لذلك في أي منها .

أما في أواخر القرن الأول الميلادي وأوائل الثاني حيث ظهر من ينكر حقيقة جسد المصلوب ، فقد جاء المؤلف النحرير بالدم والماء ليس استمداداً من واقع حصل ووقع ، وإنما رعاية لحاضر المنكرين ومستقبل نظرية الصلب في محاوراتهم ، وكيف يغفل متى إن كان هو مؤلف إنجيله عن دم سيده ومعلمه وهو مسفوك على الصليب ظلمًا ، فلا يشير إليه بل كيف غفل عن ذلك مرقس ولوقا النحرير ؟ !

وذلك ليؤكد أنه مات فعلاً ، وأن هذه الطعنة كافية لكي تزهق روحه إن لم يكن قد مات على الصليب في المدة الوجيزة التي مكثها فوقه ، وهذا احتمال آخر لسبب قول هذا المؤلف المتأخر بالدم والماء وربما كان هناك من يقول بذلك وراعى المؤلف هذا عند التأليف ، ومن يدري ، وربما كان ذلك من وراء المؤلف وخلفيته التاريخية .

قال وليم إدي في تفسيره : « وغايته من تقديم هذه الشهادة إثبات أن المسيح مات حقاً ، لأنه على موته متوقف عمل الفداء .. وعليه تتوقف حقيقة القيامة »(١) .

وقال وليم باركلي في تفسيره .

« إن يوحنا كما أسلفنا كتب بشارته في وقت ظهرت فيه بدعة الغنوسيين وهو بذلك يريد أن يؤكد أن يسوع كان إنسانًا حقيقيًا وأن جسده كان جسداً فعليًا ، هذا هو رد البشير على أولئك الذين ينادون بشبه الجسد أو الجسد الشبح »(٢) .

وقبل أن ننتقل من بحث نقطة الدم هذه نحب أن نوضح النصين اللذين أشار إليهما مؤلف الإنجيل الرابع في خلال حديثه عن الدم والماء إذ قال :

« وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات، لكن واحداً من

---

(١) وليم إدي : الكنز : شرح إنجيل يوحنا . ص ٣٠٣ .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٥١٣ . جـ ٢ .

العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ..... لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لايكسر منه ، وأيضاً يقول كتاب آخر سينظرون إلى الذي طعنوه »[1] .

ومقصوده بالكتاب الأول القائل : «عظم لايكسر منه» ما جاء عن خروف الفصح من قول : «قال الرب لموسى وهارون هذه فريضة الفصح كل ابن غريب لايأكل منه ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ثم يأكل منه النزيل والأجير لايأكلان منه . في بيت واحد يؤكل لاتخرج من اللحم من البيت إلى خارج وعظماً لاتكسروا منه»[2] .

والمقصود بذلك خروف الفصح . ولعل علة النهي عن كسر عظم الخروف هو أن الله حرم عليهم أن يطعموا من نخاع العظم . وأشار إليه في سفر العدد فقال : «خروفاً حولياً صحيحاً»[3] .

وهذا هو السبب في إطلاق المسيحيين على المسيح لقب «الخروف» ومقصودهم بذلك أنه خروف فدائهم ، كما لليهود خروف ، فيسمونه أحياناً خروف الله أو الإله الخروف .

أما النص الثاني الخاص بالطعنة . الذي قال مؤلف الإنجيل الرابع عنه : «يقول كتاب آخر سينظرون إلى الذي طعنوه فهو يشير بذلك إلى نبوءة زكريا وهذا نصها :

« في ذلك اليوم يستر الرب سكان أورشليم فيكون العاثر منهم في ذلك اليوم مثل داود ، وبيت داود مثل الله مثل ملاك الرب أمامهم ، ويكون في اليوم أني ألتمس هلاك كل الأمم الآتين على أورشليم .

وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إلى الذي طعنوه وينوحون عليه »[4] .

قال الدكتور وليم إدي في تفسير يوحنا مانصه : « سينظرون إلى الذي طعنوه . هذا من نبوءة زكريا[5] ، والمقصود منه أن الذين ينظرون ليس هم العسكر فقط ويوحنا والذين كانوا وقوفاً حول الصليب بل اليهود كلهم الذين يذكرون في المستقبل أنهم كانوا العلة الحقيقية لطعنه[6] » وقد نص وليم باركلي في تفسيره لآية يوحنا تلك بأن

---

(1) [يوحنا ١٩ : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧] .
(2) [خروج ١٢ : ٤٣ - ٤٦] .
(3) [عدد ٢٩ : ٢] .
(4) [زكريا ١٢ : ٨ - ١٠] .
(5) [١٢ : ١٠] .
(6) وليم إدي : شرح يوحنا .

يوحنا يقصد نبوءة زكريا قال باركلي : « وللوقت سال دم وماء ، ويعلق البشير أهمية خاصة على هذا الحادث ، فهو اتمام لنبوة قديمة نادى بها زكريا قديماً في نبواته ، في الاصحاح الثاني عشر والعدد العاشر ، وينظرون إلى الذي طعنوه »[1] وعلى ذلك بقية المفسرين . وعلى هذا نتناول هذه النبوءة لنرى عم تتحدث في إيجاز شديد :

١ - الزمن الذي تتحقق فيه النبوءة يوم تجتمع الأمم على حصار أورشليم لإخضاعها فتنتصر يهوذا لأورشليم فينصرها الرب « ها أنذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضاً على يهوذا تكون في حصار أورشليم ، ويكون في ذلك اليوم أني أجعل أورشليم حجراً مشوالاً لجميع الشعوب .... ويخلص الرب خيام يهوذا أولاً لكيلا يتعاظم افتخار بيت داود وافتخار سكان أورشليم على يهوذا ، في ذلك اليوم يستر الرب سكان أورشليم فيكون العاثر .... إلخ »[2] .

فهو ليس إذن يوم الصلب كما يتوهم الواهمون ، ونحيل القاريء الكريم إلى نفس الإصحاح ليقرأه ، وإنما أوجزنا ما نقلنا حتى لانخرج عن موضوعنا .

٢ - العاثر في ذلك اليوم مثل داود . والعاثر يوم الصلب هو يهوذا الخائن فهل هو مثل داود ؟ ؟ كلا فهذا اليوم إذن غير ذاك ، وهما إذن يومان مختلفان .

٣ - في اليوم الذي يتنبأ عنه زكريا يستر الرب سكان أورشليم ، ويفيض عليهم وعلى بيت داود روح النعمة والبركة . فهل هذا هو ما تحقق يوم الصلب إن كان المصلوب هو المسيح ؟ ؟ والمقصود بالذي طعنوه إذن قتلى المعارك الذين أرداهم الغزاة المنهزمون . وكم نود أن يراجع القاريء الكريم سفر زكريا ليرى أن هذا الذي نقول هو الحق . فأين هذا الستر وفيض النعم على أولئك الذين كانوا «العلة الحقيقية لطعنه» وهم يهود أورشليم الذين لزمتهم الخطية بسبب ذلك ولا عذر لهم فيعتذرون ، فقد أورد المؤلف الإنجيلي نفسه - يوحنا اللاهوتي - على لسان المسيح قوله :

« لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم ، الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي »[3] .

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٥١٣ .

(٢) [زكريا ١٢ : ٢ ، ٣ ، ٧] .

(٣) [يوحنا ١٥ : ٢٢ - ٢٤] .

لكن المسألة عند المؤلف استرضاء وتمويه . استرضاء لرغبات طالبي الإنجيل ، فالمسيح لليهود هو ما تنبأت عنه كتبهم ، ولو بطريق الخداع والتمويه كما ترى ، والمسيح لليونانيين هو كلمة هيراكلتوس ومثل أفلاطون ، وهو للوثنيين بعل وبوذا ومثرا وكرشنه ، وهو مبيح للدعارة العلنية من أجل عباد أرطاميس من أهل أفسس الذين يتقربون إليها بالممارسة الجنسية العلنية مع فتيات المعبد محترفات الجنس واللذة قربى وزلفى لآلهة المعبد . وماذا بعد .

مائة مَنٍّ مِنَ الطيب والعقاقير ..... لماذا ؟ ؟

ونعود لموضوعنا مع أنجيل العجائب والرغبات والألغاز لنرى أنه يقول بأن المسيح أنزِل عن الصليب ولف في أكفان ، مع أنواع من الأطايب مثل مزيج المر والعود نحو (١٠٠ من) قدرها أحد أعلام الكنيسة القبطية وهو الاستاذ عوض سمعان بنحو (٥٠ كجم) خمسين كيلوا جرامًا [١] ، فقد نص المؤلف اللاهوتي :

« ثم إن يوسف الذي من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع فأذن بيلاطس فجاء وأخذ جسد يسوع ، وجاء أيضاً نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة منا فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب » [٢] .

قال الدكتور وليم إدي في تفسيره لهذه الفقرة عن المر والعود المذكورين : «كلاهما طيب الرائحة ثمين ويحنط بهما لمنع الفساد . . وكانت طريقة استعمالهما في التحنيط أنهم يسحقونهما ويضعون مسحوقهما على جثة الميت ويلفونها بلفائف تحيط بالجسد كله» . وقال عن المن إنه : « وزن يوناني روماني يعدل نحو مائة درهم يوناني ونحو ١١٥ درهم سلطاني فمبلغ المائة نحو ...١١٥٠٠ درهم سلطاني أو ما يقرب من تسع وعشرين أقة» [٣] أ.هـ . ويبدو أن الأطياب المذكورة لم تكن هي مسحوق المر والعود الذي قدر بخمسين كيلو جرامًا فقط فقد أضاف تفسير متى هنري أن يوسف ونيقوديموس أذاباها في عطور ، قال : « ولفاه بأكفان بكل وقار مع الأطياب التي يرجح أنهما أذاباها في عطور » [٤] .

---

(١) عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها . ص ٨٥ .

(٢) [يوحنا ١٩ : ٣٨ - ٤٠] ولعل الصواب : مائة مَنٍّ .

(٣) وليم إدي : شرح إنجيل يوحنا . ص ٣٠٤ .

(٤) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا . جـ٤ . ص ٣٠٥ .

وهذا القدر من جملة هذه الأطياب كمية هائلة خارجة عن المألوف ولا سبب لها إلا أن يكون المقصود منها علاج الجروح التي كانت بجسد المصلوب ، وهي بهذا الاعتبار ملفتة للنظر ، ولعل هذا ما حدا ببعض من أنكروا موت المصلوب إلى القول بأن كمية الأطياب هي السبب ، كما أشار إلى ذلك الاستاذ عوض سمعان في كتابه عن : «قيامة المسيح ...» المشار إليه فقد أورد أقوال بعضهم كما نقل عن بعض اليهود المعاصرين (قبل إعلان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح سنة ١٩٦٦م بواسطة بابا روما) كتب واحد منهم يدعى هيوشنفيلد كتاباً عن المسيح جاء فيه أنه :

« بعد ثلاثة ساعات من صلبه نقله تلاميذه وهو على قيد الحياة إلى القبر ، وهناك وضعوا في أكفانه الكثير من العقاقير والعطور التي ساعدت على التئام جروحه وانعاش نفسه ، وقد انتهزوا فرصة عطلة يوم السبت وهو اليوم التالي لصلبه وسرقوه في غفلة من الحراس ، ثم ذهبوا به إلى بلاد بعيدة »(١) .

والقول بأنه نزل عن الصليب بعد ثلاث ساعات من صلبه قول محتمل عند مقابلة روايات الصلب بعضها ببعض - وسنبين ذلك في موضع قادم ببحثنا هذا إن شاء الله - ولا وجه لتعليل هذه الكمية الهائلة من العقاقير والعطور غير هذا . فقد كانت به جروح من أثر الجلد .

ما يستنتج :

ونحن نوجز ما قدمنا في هذا الموضوع في نقاط مركزة كما يلي :-

١ - أن يهوذا والمسيح والصليب لم يجتمعوا في أي رواية انجيلية أبداً .

٢ - أن يهوذا لم يذكر منذ اللحظة التي ذهب فيها مع الجنود للقبض على المسيح إلا في رواية متى الذي أشار إلى أنه انتحر . ورواية أعمال لوقا الذي قال بموته متردياً .

٣ - أن غيابه منذ لحظة القبض على من صلب إلى الوقت الذي انتهت فيه حياته على أي من الروايتين يوجب التساؤل : أين كان يهوذا في ذلك الوقت ؟ ؟ ... وهذا سؤال حائر لا إجابة عليه في أي نص من العهد الجديد ... مما يفتح باباً لاحتمال صدق

---

(١) عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها . ص ٥٤ .

القائلين بصلبه هو .... ونجاة المسيح ، وهذا يعني أن القبض وقع عليه ، وأنه هو الذي عُلِّقَ بعمل يديه ..

٤ - وإذا صحت إحدى الروايتين عن نهاية حياة يهوذا فهذا يعني أنه نزل من فوق الصليب حياً لم يمت وربما كان في حالة من الإغماء فقط .

٥ - ويؤيد نزول المصلوب حيًا أنه مكث على الصليب مدة لاتزيد عن (٦) ست ساعات وقد تكون أقل من ذلك إلى (٣) ثلاث ساعات فقط ، والمدة التي يموت بعدها المصلوب لاتقل عن (٢٤) أربع وعشرين ساعة وقد تصل إلى (٢٨) ثمان وعشرين ساعة من وقت صلبه . وذلك لأن « الأطباء يقولون إن المصلوبين يموتون موتًا بطيًا في مدة تتراوح بين ٢٤ و٢٨ ساعة متأثرين إما بالإجهاد العصبي أو التهاب الجروح ، أو زف الدم ، أو اضطراب القلب ، أو تعطيل الدورة الدموية لكن المسيح - المصلوب - مات بعد (٦) ست ساعات فقط من صلبه الأمر الذي يدل علي أن موته كان سريعًا وفجائيًا »[1] أو بمعنى أدق المصلوب أُنْزِلَ من فوق الصليب بعد ٦ ساعات فقط من صلبه ، ولذلك اضطروا للقول بأن موته كان سريعًا وفجائيًا .

٦ - أن القول بأن المصلوب « مات على الصليب قبل المدة التي يموت فيها أضعف شخص يعلق عليه بأكثر من ١٨ ساعة» قول معترف به من الأطباء ورجال الكنيسة والنص الذي بين القوسين لأحد أعلام الكنيسة المصرية وهو الاستاذ عوض سمعان . لكنه غير مقبول دون إبداء سبب ، ولذلك قالوا بأنه مات فجأة ، والمفاجأة تنتفي بالنصوص التي لاتحصر من الأناجيل التي تفيد بأنه صلب مختارًا وكان عالمًا بكل ما يأتي عليه[2] . على رأي المؤلهين له . وكذلك فإن المسيح قبض عليه من قبلها بليلة وهذا لايجعل في الأمر مفاجأة يضاف إلى ذلك النصوص التي تفيد بأنه كان يتوقع تلك النهاية قبل وقوع القبض عليه .

٧ - أن التعليل للموت المفاجيء بأنه بسبب كثرة التأثر بخطايا البشر وآثامهم قول لا أساس له ، بل إن التأثر البالغ حالة لكل مصلوب وهو يودع حياته رغمًا عنه ومع ذلك فالمدة التي يموت فيها أضعف شخص يصلب كما قدرت (٢٤) أربع وعشرون

---

(١) المرجع السابق . ص ٨٤ .

(٢) راجع يوحنا [١٠ : ١٥ - ١٨] ، وراجع [١٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣] و[١٣ : ٣ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣١ - ٣٣] و[١٦ : ٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨] وكذلك [١٧ : ١] وغير ذلك كثير ويكفي أنه أخبرهم عن يهوذا الذي يخونه ويسلمه .

ساعة . مع مصاحبة الحزن البالغ والتأثر الشديد للمصلوب . وكل هذه التعلات الواهية تصدق في حق يهوذا أكثر من المسيح ، لأنه بوغت بإلقاء القبض عليه ، وكان خائنا طامعاً في الثروة ، ففوجيء بالصلب وآلامه الشديده لهذا ولأنه مذنب حقية ي وعار عند البشر .

٨ - أن سيلان الدم والماء من جنب المطعون على الصليب - إن صحت رواية ، مؤلف الإنجيل الرابع المفرضة على خلاف الأناجيل الثلاثة - لايصلح دليلاً على موته بة در ما يصلح دليلاً على حياته ... لأن الدم يتجمد في عروق الميت ولذلك فإن الميت لايده ي كما قال الدكتور وليم باركلي (فيما نقلناه عنه سابقًا) وعلى فرض أنه حدث ط من فإن الذي يخرج من الفتحة لايمكن تمييز دمه من مائه . ولا زلنا لاندري من أين جاء ا الدم والما من جثة ميت إلا أن يكون لا زال على قيد الحياة .

٩ - أن كمية الأطياب والعقاقير الهائلة الحجم على خلاف العادة من الم حتمل جداً أنها كانت بقصد التئام جروحه وإنعاشه ، ولذلك قام من قبره .

١٠- من قام إذن من القبر ؟ ؟

يهوذا الإسخريوطي الخائن وهو نفسه الذي قبض عليه بغتة حين ا ختفى المسيح ليلة القبض عليه في البستان فقبض على الخائن بشبهة أنه المسيح ربما لتشابه كل منهما في الملامح والهيئة ، وهذا شيء معتاد في البشر كما خلقهم الله . وحوكم يهوذا بشبهة أنه المسيح وصُلِبَ وأُنزِلَ من فوق الصليب قبل أن يموت ، ثم ظهر بعد ذلك ولأنه مرت به أحداث غير ما كان يتوقع خارجة عن تصوره بعد أن رأى بعينيه قدرة الله الغالبة ، التي وضعته حيث لايستطيع أن يقول : لست أنا المسيح لئلا يكذب ولا يلتفت إلى كلامه وخوفًا من لقاء ربه وكان هذا الدرس قاسيًا لم يتحمل استيعابه ولذلك انتحر . ومن أحياه إذن ؟ ؟ الله . حماية للمسيح من كيدهم وشرهم . وقد أحيا الله الموتى على يد المسيح بعد ثبوت موتهم والمصدق بذلك لايكذب بتلك .

١١- أين كان المسيح إذن ؟ نجاه الله من أيدي الذين أرادوا القبض عليه ، حين «رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» [١] ، وأخفى أمره عن أعدائه من وقتها ، ولم يره بعد ذلك إلا تلاميذه فقط . ولولا أنه كان لايزال حيًا بعد لظهر لأعدائه ، فيكون ذلك

---

(١) [يوحنا ١٨ : ٦] .

أدعى لإيمانهم . فيقول أنا من قتلتم ها أنا حي آمنوا . ولن يستطيعوا النيل منه فقد ذاق الموتة التي كتبت عليه ولايموت بعدها ، ويكون في ذلك تأييد كبير لأتباعه ودعوته فلما لم يظهر إلا لأتباعه دل ذلك على أن الظهور لم يكن معجزة لأن الأصل في الإعجاز الإلهي التحدي للمنكرين ، ويتبع ذلك تأييد إيمان المؤمنين ولو ظهر متحدياً للأعداء لتحقق الهدفان معًا ، أما أن يظهر للتلاميذ فقط فهذا معناه أن الظهور عادي لا إعجاز فيه ولا إفحام ، ولكي يكون بمأمن من الأعداء .

١٢- وإلا يكن ففي دعواهم بما يسمى القيامة تواطوء على ادعاء لا حقيقة له ، فكيف لم يظهر إلا لهم ، وهذه جديرة بالتأمل ، ونحن - كمسلمين نبرىء جماعة الحواريين الذين قالوا للمسيح ما نقله الله إلينا عن قولهم : ﴿ **نحن أنصار الله آمنا به واشهد بأنا مسلمون** ﴾ [1] - نرى أنهم أخفوا عن اليهود أمر حياته خوفًا من شرهم ومكرهم ، ولعل هذا يفسر اعتقادهم برجعة المسيح من أول نشأة هذه العقيدة .

١٣- كما نرى أيضًا أن ما يسمى بالقيامة تسمية خاطئة ، وإنما كان ذلك امتدادًا طبيعيًا لحياته العادية ، لأنهم جسوه بأيديهم وأكل أمامهم وشرب كما نص على ذلك لوقا الذي حكى إنجيله قول المسيح للتلاميذ « إني أنا هو ، جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي ، وحين قال لهم هذا أراهم يديه ورجليه ، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم أعندكم ها هنا طعام فناولوه جزءًا من سمك مشوي وشيئًا من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم » [2] فلا قيامة إلا بعد موت وهو لم يكن قد مات بعد .

١٤- ومع ذلك فنحن نعتقد أن الحواريين أخفوا حقيقة المصلوب عن الإفصاح عنها خوفًا على حياته ، وكذلك فعل هو فلم يظهر متحديًا لأن حياته تعرضت من قبل لمحاولات كثيرة للقتل قال القس جورج أبلتون :

« في الوسع تلمس المقاومة في عشرة أماكن فيها استهدف المسيح إلى الخطر حيث ظهرت بعض المحاولات لإلقاء القبض عليه أو قتله » [3] ثم أشار إلى هذه الأماكن:

---

(١) قرآن كريم : سورة آل عمران . آية : [٥١] . (٢) [لوقا ٢٤ : ٣٩ - ٤٣] .

(٣) جورج أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا . ص ٥٣ . تعريب إبراهيم مطر .

(١) « وكان يسوع يتردد بعد في الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه »[١] .

(٢) « ولكن لم يكد أحد » يتكلم عنه جهاراً لسبب الخوف من اليهود[٢] .

(٣) « لماذا تطلبون أن تقتلوني »[٣] .

(٤) « فقال قوم من أهل أورشليم أليس هذا هو الذي يطلبون أن يقتلوه »[٤] .

(٥) «فطلبوا أن يمسكوه ولم يلق أحد يداً عليه لأن ساعته لم تكن قدجاءت بعد»[٥]

(٦) « سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه »[٦] .

(٧) « وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ولكن لم يلق أحد عليه الأيادي »[٧] .

(٨) « لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم »[٨] .

(٩) « لكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني »[٩] .

(١٠) « فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفي وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضي هكذا »[١٠] .

وهذه الأماكن من الأنجيل الرابع وحده فقط .

وواضح أنهم كانوا يضمرون له الشر ويريدون الإيقاع به وأن ذلك كان مشهوراً معلناً وأنه كثيراً ما كان يشعر بذلك فيبكتهم ، وقد قال لهم مرة وهو يحدثهم عما يعتمل من الشر في نفسوهم موضحاً أنهم لن ينالوا منه :

« ستطلبونني ولاتجدونني وحيث أكون أنا لاتقدرون أن تأتوا »[١١] . وفي النص العاشر الذي قدمناه هنا أنهم رفعوا حجارة ليرجموه ولكنه اختفى من بينهم ، ولا علة لهذا التصرف منه إلا الحفاظ على حياته التي مكنه الله من النجاة بها ، وهذا دليل على هذا الاتجاه الذي كان يقابل به مكائدهم له وكان ذلك منه لهذا السبب .

---

(١) [يوحنا ٧ : ١] .

(٢) [يوحنا ٧ : ١٣] .

(٣) [يوحنا ٧ : ١٩] .

(٤) [يوحنا ٧ : ٢٥] .

(٥) [يوحنا ٧ : ٣٠] .

(٦) [يوحنا ٧ : ٣٢] .

(٧) [يوحنا ٧ : ٤٤] .

(٨) [يوحنا ٨ : ٣٧] .

(٩) [يوحنا ٨ : ٤٠] .

(١٠) [يوحنا ٨ : ٥٩] .

(١١) [يوحنا ٧ : ٣٤] .

وفي حادثة القبض عليه بإرشاد الخائن يهوذا عند رؤيتهم له وكانوا جمعًا غفيرًا قرابة ألف ، لايوجد سبب منطقي لرجوعهم إلى الوراء وسقوطهم على الأرض ، إلا أن يكون السبب هو أنه حدث أمر غير طبيعي مقرون بما أرعبهم وأفزعهم ، ولايعجز لله أن يحدث ما يثير فزعهم حتى يشتغلوا بأنفسهم ولو للحظة ، ومن الطبيعي أن الذين لم يعرفوا يسوع ولا رأوه قبل ذلك حينما لايجدون في المكان إلا يهوذا بعد القبلة بينه وبين المسيح الذي اختفى . فإنهم لاشك سوف يلقون القبض عليه ، فإن ذلك الذي أفزعهم أذهل يهوذا فظل واقفًا مكانه ورأى المسيح أمامه وهو يختفي بطريقة غير عادية فأحس بقدرة الله وحمايته لرسوله . ومكث يهوذا واقفًا ، وحيث أن القوم من الجنود ولم يروا يهوذا إلا في تلك الرحلة للقبض على المسيح ، وكان دليلاً يسير أمامهم وهم من خلفه ، وحيث أن الوقت كان ليلاً ولم يكن لهم به معرفة إلا في تلك الليلة ولم يكن لهم معرفة سابقة بالمسيح الذي لقيهم أول الأمر ثابتًا قائلاً :

« من تطلبون ؟ » ولم يفر ، فقد ألقوا القبض على يهوذا الذي كان شبيهًا به . كما جرت على ذلك عادة الله في خلقه ، ومنعه من إنكار أنه المسيح خوفه من الله ، أو من خلقه أو اجتماع الخوفين في قلبه وهذا جزاء عادل من الله أن «الشرير يعلق بعمل يديه» وأن من حفر حفرة لعبد الله الصديق البار يقع هو فيها ، وتنشب رجله في نفس الشبكة ويُصَاد هو ولا يصطاد .

١٥- ويتحتم المصير إلى القول بنجاة المسيح ما دام قد أكل وشرب ولمسوه بأيديهم ، وهذا لاشك فيه ، وهذا تحقيق لما طلبه من الله أن ينجيه ويجيز عنه كأس مكيدتهم ، ويتحتم المصير إلى القول بأن المصلوب غيره ، ولو لم يكن من سلوك المسيح أن يختفي وقت إحساسه بالخطر ، لكان في ذلك تحامل عليه ، ولكنه فعل ذلك عشر مرات سابقة من رواية إنجيل واحد . وحيث أنه طلب من الله والنبي لايدعو إلا بممكن الوقوع ، فقد نجاه الله كما قال : ستطلبونني ولاتجدونني وحيث أكون أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا ، فمن هنا وجب المصير إلى القول بأن المصلوب غيره ، وبالبحث عنه لم يوجد له أثر من وقت القبض كما وضحنا ، ووجد القائلون منذ القرن الأول بأن المصلوب غير المسيح وأنه كان شخصاً مسيئًا للمسيح . ومع علمنا بقوة الكنيسة وقسوتها في عصور الظلام وأنها حاربت مخالفيها في العقيدة فإنها لاتستطيع أن تنكر وجود المسيح بعد الصلب بروحه وجسده آكلاً شاربًا متخفيًا عن عيون أعدائه . ولو كانت

حياته بعد الصلب معجزية لما خلت من عنصر التحدي لأولئك الأشرار إفحامًا لهم وتأييدًا لأتباعه ودعوته من بعده .

ولما كان المصلوب قد نزل قبيل ربع المدة التي يموت فيها أضعف المصلوبين ، ولما كان وقت طعن جنبه - مع تحفظنا بالنسبة لهذه الرواية المغرضة المفردة - سال منه دم وماء ويندر أن يحدث ذلك من الميت إن لم يكن مستحيلاً ، وحيث أن كمية الأطياب والعقاقير كانت كبيرة جدًا على غير ما جرت عليه العادةوحيث أن القبر وجد خاليًا فإن المدفون لم يكن قد مات بل استيقظ من قبره وقام ، ولما كان هو يهوذا الخائن فقد رأى من قدرة الله ما أذهله ، ورأى عين الغضب من ربه عليه وإن كان قد نجا بعد قيامه؛ لذلك آثَرَ الانتحار على أي وضع كان ، وعلق الشرير بعمل يديه ، ثم تاب فمنح فرصة إلا أنه اختار لنفسه وحسابه عند ربه .

١٦- ولابد من الإجابة عن سؤال كيف لم تنكشف هذه الكيفية التي تم فيها هذا الاختلاط أو الاشتباه ؟

أ - سكت يهوذا خوفًا من الله ولوجود شبه بينه وبين المسيح خِلْقِيًا ولأنه لو تكلم ما صدقه أحد لأن في تصديقه فراره من أيديهم . بخلاف ما لو شهد بذلك غيره ، ولأن رؤساء اليهود كانوا يعتقدون في المسيح أن به شيطاناً وكانوا يواجهونه بذلك »[1] .

ب - لو أن أحدًا من التلاميذ علم ذلك . لما تكلم بل إنه يؤثر السكوت إنقاذًا للمسيح . وسترًا عليه . فإن أحدًا منهم لو تأكد وتكلم وأقنع اليهود بذلك لجد الطلب في أثر المسيح والنهاية معروفة .

جـ - أما الذين استجوبوا المقبوض عليه ، فإنهم بدون شك لم يتطرق إليهم شك في أنه المسيح المقبوض عليه ، فقد أسلم إليهم بيد أحد خلصائه ، ولم يكونوا على بينة من حقيقته أنه المسيح ولذلك كان لابد له من أن يقر أمامهم أنه هو المسيح قال إنجيل متى «فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء ... وأما يسوع فكان ساكتًا ، فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ، قال له يسوع أنت قلت ، وأيضـًا أقول

---

(١) [يوحنا ٨ : ٥٢] .

لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا على سحاب السماء »[1] .

كان ساكتًا لايجيب بشيء لأنه كان يهوذا وكان في شغل من السهم الذي رماه الله به بغته ، وهو التلميذ الذي خان أستاذه فانتقم الله منه فثاب إلى رشده ، لم يقل نعم أنا المسيح لئلا يكون كاذبًا ! ! فيخالف تعاليم أستاذه الجليل ، ولم يقل لست أنا . لئلا يوقظهم من غفلتهم فيطلبونه ليهلكوه وهي شر من الأولى . ولما كان قد استحلفه بالله الحي قال له أنت قلت .

ثم أردف بقوله .. « من الآن تبصرون ابن الإنسان ... » وهذا كناية عن أن الله سينصر المسيح ويعود إليهم ولو كان هو لقال من الآن تبصرونني بضمير المتكلم . الذي تكلم به المسيح عن نفسه من قبل قائلاً : « ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لاتقدرن أن تأتوا »[2] .

فمتى طلبوه كيوم القبض عليه ، بألف طالب ، إن هذا هو الطلب الذي يقل ويصغر بجانبه كل طلب سابق منهم .

ومعنى الإجابة : « أنت تقول » لايحمل في لغة إنجيل متى وأسلوبه معنى الإقرار كما يحمل معني الإنكار . بل هو إنكار صرف . لأن هذا الإنجيل وهو يروي وقائع المحاكمة انتقل إلى محاكمة يهوذا أمام الوالي . الذي سأله سؤالاً فأجابه بنفس الإجابة . وعن شيء ليس فيه وليس من حقه أن يدعيه سواء كان المسئول هو يهوذا أو المسيح ، ويتحتم على من يوجه إليه السؤال أن يجيب بالنفي فلم يزد على الإجابة بها «أنت قلت» وهاك النص :

« فوقف يسوع أمام الوالي فسأله قائلاً أنت ملك اليهود فقال له يسوع أنت تقول»[3] » ونعيد وضع السؤالين بالإجابة الموحدة في هذا الموضع :

« أستحلفك بالله أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له .... أنت قلت » .

« أنت ملك اليهود . قال له ... أنت تقول » .

---

(1) [متى ٢٦ : ٦٢ – ٦٤] .

(2) [يوحنا ٧ : ٣٤] .

(3) [متى ٢٧ : ١١ – ١٤] .

وفيما عدا ذلك لم يجب بشيء فيما يسمى بالمحاكمة الكبيرة حسب رواية انجيل متى . الذي يوصف بأنه الإنجيل التاريخي بأسلوب المؤرخ . فلم يذكر متى أنه تكلم بشيء أزيد من ذلك أمام الرجلين ولا غيرهما من وقت القبض عليه حتى انتهاء المحاكمة «أأنت ملك اليهود فقال له يسوع أنت تقول ، وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء ، فقال له بيلاطس : أما تسمع كم يشهدون عليك فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً » (١) .

وإنه لأمر يدعو للعجب حقا أن يسكت المسيح البليغ الذى هزت بلاغته أركان أورشليم ، ولا علة لهذا الصمت العجيب إلا لأنه يهوذا . ويبدو أن : المسيح لم يكن يتردد كثيراً في أورشليم لأنهم كانوا يطلبون أن يقتلوه كما روى الأنجيل الرابع « لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية - أورشليم - لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه »(٢) ويقتضي ذلك منه أنه إذا نزلها لضرورة أن يكون حذرا من أعين الرقباء ، وبديهى أن لايعرض نفسه للكهنة وشيوخهم وهذا هو السبب في أن رئيس الكهنة كان يسأله عن شخصيته . . أأنت المسيح ؟ وبديهى أنه لو كان يعرفه لما سأله . والمتتبع لنص متى يرى أن رئيس الكهنة قبل أن يستحلفه عجب من صمته ، ولا بد أنه سأله هذا السؤال قبل أن يستحلفه ولو كان من بين الموجودين من يعلم حقيقته لقال مجيبا رئيس الكهنة : نعم هو أو ليس هو !!

كما أن تلاميذ المسيح لم يحضر أحد منهم المحاكمة إلا بطرس فتبعه إلى دار رئيس الكهنة . . . جلس بين الخدام لينظر النهاية (٣) .

وأما بقية التلاميذ فقد هربوا من بداية القبض عليه : « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا . والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى نيافا وئيس الكهنة » (٤) .

تساؤل وإجابة :

١٧ - ولعل من المهم أيضاً أن نجيب على تساؤل هام : إذا كنا نبرىء جماعة التلاميذ الحواريين من التواطوء على الكذب . فكيف ننكر صلب المسيح وهذا الإنكار

---

(١) [متى ٢٧ : ١١ - ١٤] .
(٢) [متى ٧ : ١] .
(٣) [متى ٢٦ : ٥٨] .
(٤) [متى ٢٦ : ٥٦ - ٥٧] .

يعني تواطؤهم على القول بصلب المسيح الذي نكذبه ، فكأننا بذلك نكذبهم تفصيلاً وجملة . ! !

ونحن نجيب :

أولاً : أننا مسلمون نعتقد أن لا يتواطأ حواريو المسيح على الكذب ، لأن الله قال لنا يحدثنا عن اليهود ومكرهم بالمسيح ، وعن المسيح وحوارييه . ﴿ **فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا به واشهد بأنا مسلمون ، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين** ﴾ (١) . وهم في عقيدتنا في الصف الأول من المسلمين ذلك لأنهم مسلمون من قبلنا كيف وقد قالوا للمسيح كما حكى لنا الله قولهم . نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ... وهذه عقيدتنا .

ثانيًا : أن هذه الكتب التي تسمى بالأناجيل ليست من تأليف أحد من الحواريين تلاميذ المسيح ، وحالها كما علمت مما تقدم بهذا البحث ، ولايوجد لدى رجال الكنيسة في أرجاء الدنيا كلها ما يناقض هذه الحقيقة . ولعل القاريء الفاضل يلاحظ أننا إنما نستدل من أقوال رجال الكنيسة المعتمدين والمبرزين من أعلامها وعلمائهاحتى لايقال إننا قلنا وإنما يكون القول وشهد شاهد من أهلها .

ثالثًا : كيف سبق لنا في البحث أن قلنا : إن التلاميذ تركوا بعد رحيل الأستاذ في حيرة ، وأنهم أضافوا القول بالقيامة . فهل لهم أن يضيفوا ؟ ؟ أو ليس في ذلك اتهاماً لهم ؟ ؟ ونحن نجيب :

١ - أنهم لم يضيفوا شيئًا لاحقيقة له ، بل قالوا ظهر لنا ، وجالسناه ، وإذ كنا غير مصدقين لمسناه وأطعمناه وتأكدنا أنه ليس روحًا فقط بل بجسده وروحه كما كان معنا قبل الصلب . ولم يبينوا من حقيقته أكثر من ذلك ليكون بمأمن حتى يرجع ويبصرهم بما ينبغي عمله .

٢ - أنهم كانوا ينتظرون رجوعه إليهم بعد آخر لقاء لهم معه ، وباتوا على هذا الأمل حتى قضى كل منهم نحبه كما أراد الله له .

---

(١) قرآن كريم سورة آل عمران آية [٥٢ - ٥٤] .

٣ - وإذا قيل كيف لم يرجع . والإجابة على هذا السؤال . تبرؤهم عن التواطؤ أيضًا بقدر ما توضح لنا السيرة . يبدو أن المسيح أحس بما دار في المحاكمة ، وبأن يهوذا لم يعترف صراحة أنه المسيح ، وأنه قام من القبر ، وأشيع ذلك بتوهم أنه المسيح مما جعله يتخفى ويحذر أكثر من ذي قبل ، وأدى ذلك إلى شدة البحث وخصوصًا بعد الفراغ من موسم العيد فآثر أن لايعود لأنه لا فائدة من وراء العودة . وارتحل إلى مكان آخر وهو لايزال حيًا بعد ، حتى وافته المنية ثم رفعه الله إليه .

٤ - فكيف إذن قبل التلاميذ ما عاينوا من بداية تحول العقيدة وكيف لم يجاهدوها ؟ ؟ وماذا كان ممكنًا أن يفعلوه لقد كان التيار أشد من أستاذهم وهو المؤيد من الله ، فماذا يملكون وهم دونه بكثير في كل شيء ، وانظر إلى بولس الذي ادعى أنه رسول المسيح الشخصي للأمم بزعم رؤية رآها ، وهو لم يعايشه ولم يره ، وكان كما وصفناه ، فما الذي استطاعوا أن يفعلوه حياله وهو الذي غير وبدل وذلك واضح لكل متتبع حتى أصبحت المسيحية الحالية من صنعه هو وليس للمسيح فيها إلا القشور اسمه وبعض القصص التي تروى عن حياته الشخصية .

٥ - فكيف إذن رضي الناس ذلك ؟ ؟ أي أناس ! لقد كان في اتجاه بولس ما يرضي اليهود والوثنيين والفلاسفة . ويكفي أنه لم يكتب من الأناجيل الأربعة الحالية شيء إلا قرب نهاية حياته كما أسلفنا وعلى ضوء من فلسفته . وهذه النصوص تدل على كتابها ، وثقافاتهم ، وأهوائهم ، والبعرة تدل على البعير ، ولعل من حق الحواريين علينا أن ننصفهم في موضوع الصلب فهم في رأينا قد أدوا ما عليهم لله .

فإن الإنجيل الذي يسمى إنجيل الإثنى عشر أو تعاليم الإثنى عشر وهو من الأسفار التي ردتها الكنيسة منذ مجمع نيقية بآسيا الصغرى سنة ٣٢٥ ، كان من أسباب رده أنه :

« لايوجد في أي مكان من تعاليم الإثنى عشر ، أي ذكر للخلاص الذي يقدمه المسيح ، وحتى إعلان الإنجيل المتعلق بموته وقيامته لم يلاحظ شيء عنه »[١] وقد نقل ذلك الاستاذ أحمد عبد الوهاب عن أدولف هرنك ، من الباحثين المختصين .

---

(١) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية . خلاصة أبحاث علماء الغرب . ص ٢٧٥ .

وإذا بقي من كلمة تقال : هنا عن الخلاص الصليبي المزعوم ، أو الفداء الوثني فهو أن هذه النظرية الوثنية حولها بولس إلي عقيدة مسيحية . يقول الاستاذ أحمد عبد الوهاب :

(لقد كانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا ، هي إنجيل بولس الذي جال يبشر به في طول العالم الروماني وعرضه ، فلم ير بولس في رسالة المسيح شيئًا غير هذا .

لكن هذا التعليم الذي تبناه بولس وجعل محوره صلب المسيح لقي مقاومة جماعية ورفضًا تامًا وهو الشيء الذي أثبته بولس في رسائله . قال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس :

« أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني »[1] .

وقال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية :

« إني لأتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى آخر ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به فليكن أناثيما »[2] . أ.هـ[3] .

والخلاصة :

١ – أن المسيح لم يصلب .

٢ – أن ما يسمى بالقيامة بعد الصلب امتداد طبيعى لحياته .

٣ – أن الله نجاه لأنه دعاه ولأن العزة لله ولرسوله .

٤ – أن الذى صلب هو يهوذا وهو الذى قبض عليه عندما اختفى المسيح ليلة البستان .

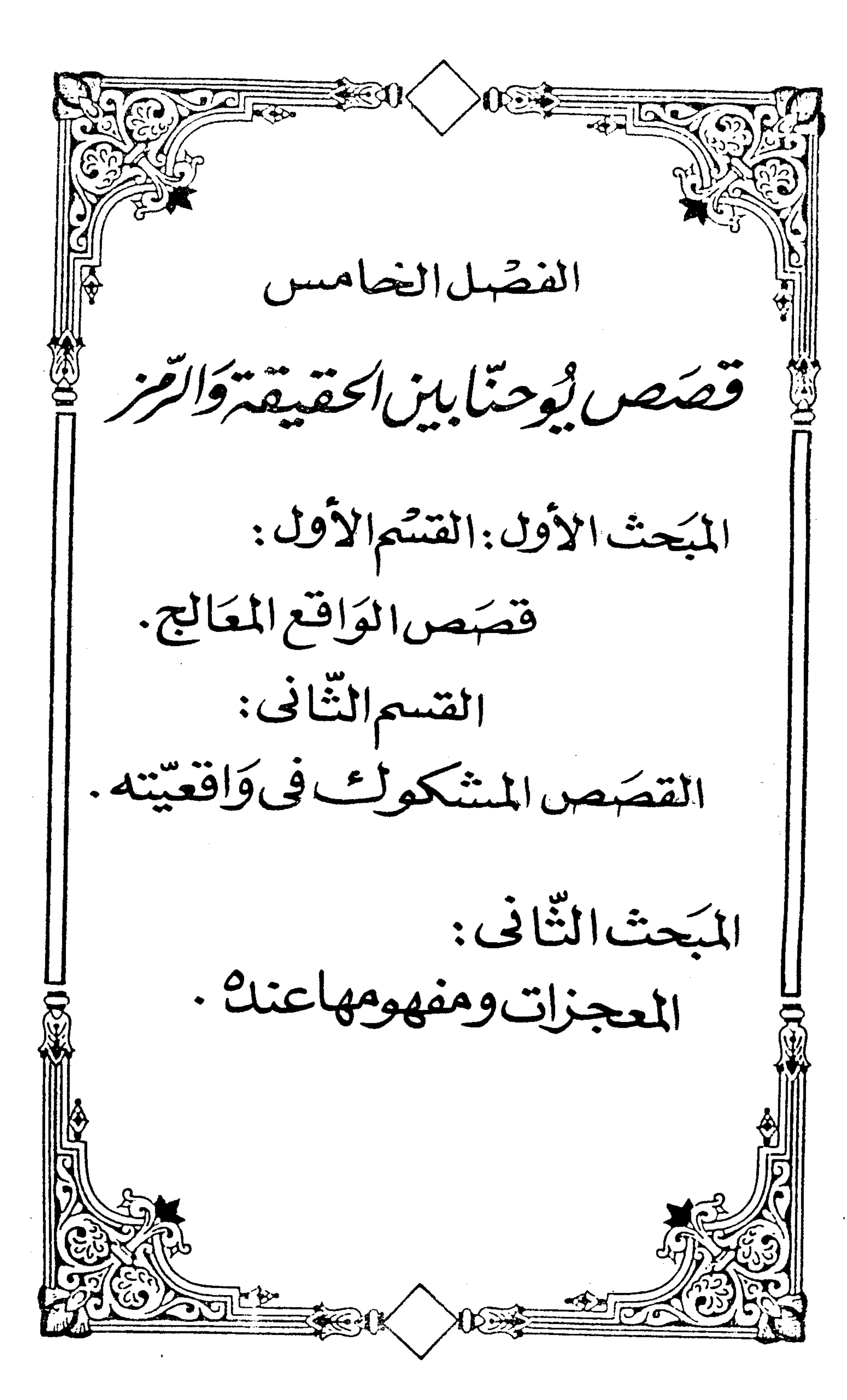
٥ – الدليل على ذلك أنه لم يعترف في المحاكمة بأنه المسيح . وأن أعداء المسيح لم يعرفوا ذلك لأنه لم يفصح ولأن الذين قبضوا عليه ، والذين حاكموه ، والذين صلبوه لم يكونوا يعرفون المسيح .

٦ – أن يهوذا أنزل حيا من فوق الصليب ثم قام من القبر ثم انتحر بعد ذلك إن صحت رواية انتحاره وتحقق وعد الله وعلق الشرير بعمل يديه

---

(١) [٢ تيموثاوس ١ : ١٥] .   (٢) [غلاطيه ١ – ٦] .

(٣) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية . ص ٢٧٤ .



الفصل الخامس

قصص يوحنّا بين الحقيقة والرّمز

المبحث الأول : القسم الأول :

قصص الواقع المعالج .

القسم الثّانى :

القصص المشكوك فى واقعيّته .

المبحث الثّانى :

المعجزات ومفهومها عنده .

مقدمة :

يفرق في أساليب اللغة بين الخبر والإنشاء ، فالأول ما أفاد نسبة إلى منسوب إليه تحتمل الصدق أو الكذب . وأما النوع الثاني من أساليب اللغة فهو ما لايحتمل الصدق ولا الكذب ، وذلك كأن يكون أمرًا أو نهيًا أو نحو ذلك .

وهذه الأساليب التي تحمل مضمونًا خبريًا من عصور مضت لايتأتى قبولها إلا إذا كانت جديرة بالثقة ، وليس كل ما تحمله كتب التاريخ بمقبول من أخبارها التي يتعجب لها العقل البشري الذي استنار في هذا العصر ، ولهذا كانت كتب التاريخ الديني أو السير – لما لها من ارتباط بالشخصيات التي يقتدي الناس بهم في حياتهم – أشد حاجة للتوثيق من غيرها من الكتب التي لايرتبط الناس بها في هذا العصر إلا بمجرد المادة التاريخية .

ومن غير ما شك فإن النصوص المقدسة التي تحمل من التعاليم والأوامر ما ينظم حياة الأتباع ، وما يفيض في أخبار الشخصيات التي يعظمها الأتباع ... إلخ أشد حاجة إلى ما يؤدي إلى ثقة الناس فيها ، حتى يطمئنوا إليها . ومن علوم النقد في عصرنا هذا : « علم النقد التاريخي للكتب المقدسة » وهو علم يهتم ببحث نسبة النص المقدس إلى كاتب ينسب إليه ، كما يعني أيضًا بنقد الروايات التي يحتويها النص من ناحية موضوعها .

يقول الدكتور حسن حنفي : « أنشأ المسلمون القدماء علمًا بأكمله من أجل ضبط الرواية التاريخية وهو (علم الحديث) بل إن هذا العلم كان أحد أسباب نشأة علم النقد التاريخية للكتب المقدسة . إذ يقول (رينان) في مقدمة كتابه المشهور (حياة المسيح) : (يرى العقلاني أن الأناجيل نصوص يجب أن يطبق عليها القواعد العامة للنقد ، فنحن أمامها كالعرب أمام القرآن والحديث) وينقسم علم الحديث عند المسلمين إلى أبواب ثلاثة : **الأول** : مناهج الرواية أو أنواع السند من مقطوع ومرسل ومشهور ، تحدد درجة الإنفصال أو الاتصال بين الرواة ، **والثاني** : أنواع المتن تحدد النقل باللفظ أو

النقل بالمعنى ، وما يعتري النص نفسه من زيادة أو نقصان ، ثم أخيراً شروط وتحليل بناء شعوره المحايد ، ووضع علم نقد الرجال »[1] .

ونحن نعتبر هذا الإنجيل كله من قبيل الإنشاء من ناحية تسميتنا له . ولانقصد بذلك أنه من قبيل المعني المقصود في اللغة . وإنما نقصد أن المؤلف الفيلسوف أنشأه من نفسه إنشاء . حتى ما جاء فيه من الأخبار عن زمن سابق لتأليفه . وننزله كله منزلة ما يحتمل الصدق والكذب حتى يقوم الدليل على صدقه أو على كذبه ، ولا نقبله لمجرد أنه بين كتب العهد الجديد . فذلك الوضع لا أساس له ولا نكرر ما أسلفنا في هذا الشأن الذي انتهينا إليه من بحثه تاريخياً ، وأنه لايقبل القول بأنه من وحي السماء بحال من الأحوال .

ولكن يقبل ككتاب تاريخي عن حياة المسيح لابد من أن يثبت بالتواتر أن مؤلفه كان معاصراً للمسيح شاهد وعاين ، أو أنه نقل عن ثقة عاصر المسيح بنفسه أو عن كتاب معاصر للمسيح من أهل الثقة في ميزان التأريخ ، ولسنا نغفل أن هذا الأنجيل جاء به ما يفيد أن مؤلفه قال فيه : « والذي عاين شهد وشهادته حق ، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم »[2] . فإن المؤلف لم يسلم إنجيله للناس ولم يقل لهم هذا مؤلفي عن ربي وإلهي يسوع المسيح الذي عاينته وشاهدت ما كتبته عنه ، ولايعدو الأمر أن يكون تزويراً على عادة أهل العصر ، وأن هذا الإدعاء لترويجه ولإيهام غيره . ولايسلم له ما يدعيه لمجرد الدعوى .

والفرق كبير بين الكتاب السماوي والكتاب التاريخي ويكفي أن الأول إلهي والثاني بشري ، ومع ذلك فإن في استجابة الأول للعقل خلاف يسير ، لأن الأصل فيه هو مخاطبة العقل فلابد من أن يحترمه ويوائمه لأنه قائم على أساس منه ، أما الثاني فلا خلاف في إخضاعه للعقل بحال فهذا شأن جميع المؤلفات البشرية لأن المؤلف بشر كسائر الناس .

ولانماري في أن المؤلف كتب ما صح في اعتقاده هو . ولذلك ألف كتابه وسماه إنجيلاً لكي يؤمن به الناس . وليس معني ذلك أن ما صح عنده يكون صحيحاً مطلقاً ،

---

(١) حسن حنفي : رسالة في اللاهوت والسياسة – اسبينوزا . ترجمة وتقديم حسن حنفي . هامش ص ٦٩.

(٢) [يوحنا ١٩ : ٣٥] .

وأن ما خالفه كان غير صحيح ، وفي الكثرة الكثيرة من الأناجيل ما يدعو للحذر من سهولة الأخذ بما تقول به الأناجيل الحالية ربما يحتم أن يتريث العقل حتى يقبل عن بينة أو يرفض عن دليل .

وفي الإنجيل الرابع أخبار كثيرة عن أمور اعتقادية ، كان المؤلف يعتقد بها ، مما لايقبل عارياً عن دليل صحيح يكفي ، وذلك كقول المؤلف : «في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، كل شيء به كان» فهذا اعتقاد المؤلف ولايسلم له . كقوله : « الكلمة صار جسداً وحل بيننا » فهذه النصوص من ناحية أسلوبها لغة هي خبر يحتمل الصدق والكذب ، ونراها نحن من إنشاء المؤلف لأنه تفرد بين كتاب العهد الجديد في القول بها ومع ذلك فهي تحتمل الصدق والكذب ولايشفع لها أنها عقيدة المؤلف ومن تابعه لأنها عارية عن الدليل .

وهذا النوع من العقائد لايثبت أصلاً إلا بالكتب الإلهية السماوية ، التي تتضافر جميع أنواع الأدلة على عصمتها من الأباطيل هي ومن جاء بها ، فضلاً عن أدلة الوثوق التاريخية من ناحية الرواية والسند .... إلخ .

وفي هذا الانجيل أيضاً أخبار يلزم لقبولها الأدلة التي تلزم فقط لقبول الروايات التاريخية ، وذلك ما جاء منها منسوباً للمسيح وعلى لسانه كقول المؤلف « قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن »[1] ، فيلزم لقبول نسبة هذا القول للمسيح الأدلة التي تثبت أن المسيح فعلاً قال ذلك ، وهي على الأقل . أن يروي ذلك واحد ممن عاصره والتقى به ، وكان عدلاً ، تام الضبط .... إلخ وأن ينقل ذلك عن المعاصر بطريق العدول .... إلخ ولا يتوفر ذلك لهذا الإنجيل ، ولذلك فإن مثل تلك الأقوال التي تنسب في نص هذا الإجيل للمسيح تعامل معاملة بقية النص على أساس أن جملة القول ومقوله من إنشاء المؤلف مما يحتمل الصدق أو الكذب .

وكذلك ما جاء بالنص مما جاء به المؤلف على لسان المسيح من مثل قوله : «جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه»[2] . ولا حق في ذلك بحال ! ! لأن أحداً لم يأكل من جسده ولم يشرب أي أحد من دمه ، ولم يدع ذلك أحد ، وهذا وجه كلامنا . والواقع يكذب هذا النص الذي لم يقع لأنه لا حق فيه .

---

(١) [يوحنا ٨ : ٥٨] (٢) [يوحنا ٦ : ٥٥ ، ٥٦] .

وهناك نوع آخر من إنشاء المؤلف فيما أورده وصفًا للمسيح على ألسنة تلاميذه : كقوله : « قال له تلاميذه ..... الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد لهذا نؤمن أنك من الله خرجت »[1] ولو أن ذلك كان عقيدة التلاميذ لتواترت أقوالهم بمثله لابعكسه ، ومنهم بطرس الذي كان أستاذًا لمرقس الذي جاء بإنجيله ما يناقض ذلك الذي أنشأه المؤلف . قال مرقس في إنجيله على لسان المسيح في وصف يوم الساعة : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الإبن إلا الأب »[2] . فأيهما نصدق مؤلف الرابع أم مرقس لسان بطرس ؟ !

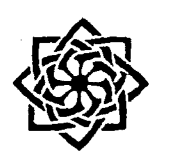
ومثل ذلك كثير من عقائد المؤلف ، التي ظهرت فيما أنشأه في هذا النص ، وألبسه ثوب الروايات التاريخية . مما لا دليل عليه ولا أساس له من الواقع ، ولم يسلم من الاصطدام بنص إنجيل آخر ، أو بالاصطدام بالعقل .

ونتناول في هذا الفصل مبحثين :

المبحث الأول : « القصص » .

المبحث الثاني : «معجزات الإنجيل الرابع ، مفهومها ، وأسلوبه في استخدامها» .

وهذا التقسيم للتيسير ، مع مراعاة علاقات بين ما يشمله كل من المبحثين ، وإن كانت هناك علاقات بين بعض ما يشمله أحد القسمين ، وبعض ما يشمله الآخر فليس ذلك داخلاً فيما راعيناه عند الجمع . فإن ما راعيناه أقوى مما تركناه .



---

(١) [يوحنا ١٦ : ٢٩ ، ٣٠] .

(٢) [مرقس ١٣ : ٣٢] .

المبحث الأول

« القصـــــــص »

وما يشمله المبحث ينقسم إلى قسمين :

الأول : قصص واقعي معالج .

الثاني : قصص مشكوك في واقعيته .

القسم الأول

« قصص الواقع المعالج »

أولاً : موقفه من يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا :

سبق أن قلنا عن هذا الإنجيل إن السبب الثاني للتأليف هو : دحض ما أشاعه تلاميذ يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا - من أن المعمدان مساو للمسيح في المنزلة فكلاهما رسول من الله ، وأن لا شيء من اللاهوت في المسيح ، فاهتم يوحنا الكاتب بإظهار مدى البون الشاسع بين المعمدان والمسيح ، وأن الأول ليس أهلاً لأن يحل سيور حذاء الثاني . وذكرنا هناك من قول لجنة قاموس الكتاب المقدس : « ومن الأمور التي اختص إنجيل يوحنا بذكرها : إرشاد يوحنا المعمدان تلاميذه إلى أتباع يسوع » .

كما ذكرنا هناك عن الدكتور القس إبراهيم سعيد قوله : غرض يوحنا من بشارته إثبات كون يسوع الناصري هو المسيح ابن الله ، دحضاً للبدع التي كان حينئذ قد أخذ يدب فسادها في الكنيسة ...... وتلاميذ يوحنا المعمدان كانوا يفضلون معلمهم عليه . فلما رأى أساقفة آسيا هذه الأضاليل تفشوا في كنيسة الله ، استعانوا بيوحنا الرسول وسألوه تأليف إنجيله .

فكتبه وأنبأ فيه بميلاد يسوع الأزلي ، وصرح بفضله على يوحنا المعمدان ، فقد كان بعض أتباع دعوة المعمدان في مدينة الإنجيل الرابع أفسس .

يقول لوقا في سفر أعمال الرسل : « إن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية جاء إلى أفسس ، فإذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ، قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس فقال لهم فبماذا اعتمدتم ، فقالوا بمعمودية يوحنا

فقال بولس إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع »[1] وقال الدكتور وليم باركلي :

« إن هناك من الدلائل الكثيرة ما يشير إلى أنه كانت هناك هيئة تحفظ وصايا المعمدان ومراسيم عماده وتنادي به ، وهذه الهيئة نجد لها صدى فيما ورد في سفر الأعمال[2] ، وفي أفسس التقى بولس بجماعة لاتعرف شيئًا إلا معمودية التوبة عن الخطايا التي نادى بها المعمدان ، لذلك فلا يقصد كاتب البشارة - الإنجيل الرابع - أن يوجه الطعن إليه ، أو يقلل من قيمة الدور الذي قام به ، ولكن السبب كما قلنا ، هم أولئك الذين رفعوا المعمدان إلى مقام مساو لمقام المسيح .

وهكذا أتى يوحنا ليُعلن أن المعمدان مهما سما فإن نسبته للمسيح لاتزيد عن نسب الخادم لرب البيت »[3] .

وإذا كان الدكتور باركلي يعتذر عن المؤلف بأنه لايقصد أن يوجه الطعن إلى المعمدان لمجرد الطعن ، وأن السبب في ذلك إنما هو أولئك الذين رفعوا المعمدان إلي مقام مساو للمسيح . فنحن نرى أنه فعل ذلك . ووجه إليه الطعن بالفعل ، وأنه قال بأن نسبته للمسيح لاتزيد عن نسبة الخادم لرب البيت حينما قال المؤلف اللاهوتي على لسان المعمدان « لست بمستحق أن أحل سيور حذائه »[4] ولايقبل التذرع بأن أتباع المعمدان رفعوه إلى مقام مساو لمقام المسيح لكي يسوغ ذلك الطّعن فيه .

ولو استباح المسلمون أنفسهم هذا المسلك لرددوا مقالة اليهود في المسيح وأمه مريم في رميهم لها بأنها حملت به حملاً غير شرعي من جندي (حماها الله مِمَّا قالوا وبرأها) وذلك ليس في وجه القائلين برفع عيسى إلى مقام مساو لمقام محمد ، بل في وجه القائلين بأنه الله المتجسد . لم يفعل ذلك المسلمون ولا أحدًا منهم لأن العدل شريعة الله لعباده المسلمين إذ قال لهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى

---

(١) [أعمال الرسل ١٩ : ١ - ٤] . (٢) [١٩ : ٣ ، ٤] .

(٣) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ . ص ٦٨ .

(٤) [يوحنا ١ : ٢٧] .

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [1] ، ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ [2] .

هل كان من الممكن للمؤلف أن يتلافى الطعن ؟

نعم كان من الممكن أن يترفع عن ذلك ، حتى ولو كان مؤلفا منصفًا لا صاحب وحي كما يدعون ، ولا ملهمًا كما يتقولون . ذلك أن الرجلين تواضع كل منهما ، وفضل أخاه على نفسه ، فإذا كان المعمدان قد قال عن المسيح « لست بمستحق أن أحل سيور حذائه » فإن المسيح قال «لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» [3] حتى قالت لجنة القاموس : إن المسيح شهد فيه أعظم شهادة [4] وذلك منطق الإخوة الذين أدبهم الله قبل أن يرسلهم . حتى قال خاتمهم محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - :

« أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء إخوة أبناء علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » [5] وأبناء العلات في لغة العربي هم الإخوة لأب واحد ، الذي يقصد هنا بالدين الواحد وإن تعددت الأمهات .

نعم كان من السهل اليسير على المؤلف لو أراد الإنصاف أن يقول : وقد قال المسيح يسوع : لم يقم بين المولودين من النساء من هو أعظم من يوحنا . لكنه يريد أن يتخذ بين ذلك سبيلا . في أن هذا المسيح إله وذلك المعمدان عبده وخادمه .

كيف فرق بينهما ؟ ؟ ولماذا ؟ ؟

يقول باركلي :

« من الحقائق التي تدعو للدهشة والتي نلمسها بوضوح في البشارة الرابعة أن كل إشارة ليوحنا المعمدان تتبعها كلمة تحط من قدره ، أو تضعه في مكان أقل » [6] .

---

(1) قرآن كريم سورة المائدة آية [8] .
(2) قرآن كريم سورة البقرة : [285] .
(3) [متى 11 : 11] .
(4) قاموس الكتاب المقدس : مادة يوحنا . ص 1108 .
(5) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الفضائل : باب فضائل عيسى بن مريم عن أبي هريرة . جـ 4 . ص 1337 ، طبعة بيروت ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي .
وكذلك أحمد في مسنده عن أبي هريرة ، جـ 2 . ص 319 ، ص 406 ، ص 437 ، ص 463 ، ص 482 - طبعة بيروت . وكذلك رواه غيرهما .
(6) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ 1 . ص 67 .

وها نحن نورد النصوص الدالة على ذلك من نص الإنجيل الرابع لمؤله المسيح :

أ – قال :

« كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا ، هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته . لم يكن هو النور بل ليشهد للنور ، كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم كان في العالم وكون العالم به »[1] . والنور الحقيقي هنا هو مثال المثل الأفلاطونية الذي هو المسيح . أما يوحنا فكان حظه هنا أنه لم يأت إلا للشهادة . وقد حط من قدره في قوله : لم يكن هو النور .

ب – وقال :

« يوحنا شهد له ونادى قائلاً : هذا هو الذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدّامي لأنه كان قبلي ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا ونعمة فوق نعمة لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صار .... »[2] ، وواضح أنه حط من قدره في قوله – صار قُدّامي – كان قبلي – من ملئه نحن جميعاً أخذنا ....

جـ – وقال :

« وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت . فاعترف ولم ينكر وأقرأني لست أنا المسيح . فسألوا إذًا ماذا ؟ إيليا أنت فقال لست أنا ، النبي أنت ؟ فأجاب لا ، فقالوا له من أنت لنعطي جوابًا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك . قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب »[3] .

وواضح كيف حط المؤلف اللاهوتي في قوله من قدر المعمدان ، فليس هو المسيح وهذا حق ، لكن أن لايكون إيليا فهو على الأقل نبي كباقي أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يوجدون بالعشرات في وقت واحد كما سبق أن وضحنا . ولكن المؤلف اللاهوتي يأبى عليه هواه إلا أن يجرده من كل شيء سوى أن يكون فقط مجرد صوت صارخ في البرية ليقوموا طريق الرب يسوع ولكي يؤمن الكل بواسطته ، وما آمنوا ولا قوموا .

د – وقال المؤلف اللاهوتي أيضًا :

« أجابهم يوحنا قائلاً : أنا أعمد بماء ، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه،

---

(1) [يوحنا ١ : ٦ – ٩] .

(2) [يوحنا ١ : ١٥ – ١٧] .

(3) [يوحنا ١ : ١٩ – ٢٣] .

هو الذي يأتي بعدي الذي صار قُدّامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه »[1] ، وواضح من نص المؤلف اللاهوتي أنه يقصد الحط من قدره في نصه .

هـ - وقال المؤلف اللاهوتي :

« أجاب يوحنا وقال ... إني قلت لست أنا المسيح بل إني مرسل أمامه ، من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحًا من أجل صوت العريس . إذًا فرحي هذا قد كمل ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص .... »[2] ، وواضح أن المؤلف حط من المعمدان رسول الله وابن رسول الله في نسبة النقص إليه وما تلا ذلك من آياته البينات . وماذا نقول لرجل جعل التعليق على خشبة الصليب فرحاً وعرساً ، وجعل المصلوب عريساً ، وقال بأنه الله الكلمة المتجسد لكي يجلد ويصفع ويسقى الخل ويموت فوق الصليب وذلك كله لكي يرضى عن عباده ويغفر لهم لأنهم أهانوه وصلبوه .

و - ونهاية المطاف أن يوحنا ليس إلا مثل جميع من سبقوا المسيح ممن كان الناس يعتقدون أنهم أنبياء ورسل . فجميع الذين آتوا قبل المسيح سراق ولصوص ، أما هو فإنه الراعي الصالح ، وهو الباب ، وهو الحظيرة التي فيها الخراف - وهم اليهود خراف اسرائيل الضالة فيما قال المؤلف على لسان المسيح :

« الحق الحق أقول لكم إن الذي لايدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه بأسماء ويخرجها .... إني أنا باب الخراف جميع الذين آتوا قبلي هم سراق ولصوص ، ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب . إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويجد مرعى ... أنا هو الراعي الصالح والراعي يبذل نفسه عن الخراف ... أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني ، كما أن الأب يعرفني وأنا أعرف الأب وأنا أضع نفسي عن الخراف .... »[3] .

ومحل العجب هنا هو ما ساقه المؤلف على لسان المسيح من قوله : جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص . ولو كان ذلك من قول المسيح لما أتى بهذا اللفظ

---

(١) [يوحنا ١ : ٢٦ ، ٢٧] .

(٢) [يوحنا ٣ : ٢٧ - ٣٠] .

(٣) [يوحنا ١٠ : ١ - ١٥] .

الشامل «جميع» ولو كان المؤلف منصفاً لتفكر ونظر واستثنى ، ولكن هواه كان منصرفاً إلى تأليه المسيح ودون ذلك تتحط أقدار الجميع . وقد تنبه كثير من مفسري إنجيله ففرقوا بين جمعه ، قال وليم باركلي : لايقصد بطبيعة الحال من سبقوه من الأنبياء . إنه يشير إلى ذلك الرعيل من المتطرفين المضللين الذين يثيرون الشعب بأقوالهم الملتهبة »[1] .

ولم يجد الدكتور وليم إدي بدًا من صرف اللفظ عن معناه فقال : ليس معناه أن كل الأنبياء والمعلمين من إبراهيم وموسى إلى يوحنا المعمدان هم كذلك بل إن أولئك هم الذين أتوا قبله معلمين في الدين وادعوا أنهم باب الخراف ولم يدخلوا بواسطته كالفريسيين[2] .

وقال إبراهيم سعيد : جميع الذين أتوا قبلي - زاعمين أنهم باب الخراف هم سراق ولصوص[3] . وقد مضى دون أن يهتم بمن سبق المسيح ممن أتي قبله لأنه كان مثل المؤلف المؤله مشغولاً بالتأليه ، وقال هلال موسى : هم ملوك وأنبياء إسرائيل الأشرار[4] .

وليس بخفي دافع المؤلف إلى التفريق بين المعمدان والمسيح ومن جاءوا قبله ، لأنه يريد أن يجعل ذلك الذي يؤلهه أفضل من الجميع لا لشيء إلا لأنه الله . وقد جاء من بعده من نسج علىٰ منواله وجاراه في هواه ، فقد قال بعض مؤلهي المسيح : «إن معمودية يوحنا لم تزد على كونها لعبة مثل لعب الأطفال التي تصنع لمحاكاة الأشياء» وضرب للمسيح ومعموديته مثلاً بآلة التليفون الحقيقية وأن المعمدان ومعموديته مثل لعبة الأطفال التي تصنع على غرارها لتسلية الأطفال ولهوهم[5] .

من هو المعمدان ؟ ؟

هو يوحنا أو يوحنان بالعبرية بمعنى - يهوه حنوه - ، وبالعربية يحيى، ابن زكريا.

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ١٢١ .

(٢) وليم إدي ، الكنز الجليل : شرح إنجيل يوحنا . ص ١٦٨ .

(٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٢٧ .

(٤) هلال أمين موسى : تفسير إنجيل يوحنا . ص ١٤٨ .

(٥) الأنبا اثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا : إنجيل يوحنا . ص ٨٤ .

رزقه الله به بعد أن بلغ من العمر عتيا ، من زوجته اليصابات التي كانت عاقراً ، وكانت ولادته قبل المسيح بستة أشهر حسب رواية لوقا ، وكان زاهداً ناسكًا ، وكان يعمد التائبين في نهر الأردن سواء في ذلك اليهود وغيرهم ، وقد عمد المسيح لأنه كان يحب أن يكون من التائبين إلى الله ، وقد سجنه هيرودس ثم قتله حوالي نهاية سنة (٢٧) أو أوائل سنة (٢٨) بعد الميلاد ، وكان له تلاميذ كثيرون . نظراً لأنه كان ذائع الصيت والشهرة . وقد لقب المعمدان نظراً لقيامه بتغطيس كثيرين جداً من التائبين على يديه في الماء لكي يتوب الله عليهم . والإتفاق على نبوته لا خلاف عليه إلا مع المؤلف اللاهوتي صاحب الإنجيل الرابع .

كيف قام المؤلف اللاهوتي بتجريد يوحنا ؟

كان لدى اليهود عقيدتهم في المسيح المنتظر ، وفي عودة إيليا ، وفي النبي المنتظر . وإيليا – أو إلياس بالعربية – اسم لذلك النبي العظيم الذي جاء بالعهد القديم أن الله رفعه إلى السماء ، كما جاء بنص سفر الملوك الثاني [١] . وكان ذلك من قبل ميلاد المسيح بنحو من (٩٠٠) عام . وقد تحدثنا عن ذلك في موطن سابق من بحثنا هذا .

ويعتقد اليهود أن الله سيرسله قبل مجيء يوم الرب العظيم حسب ما يشير إلى ذلك نص العهد القديم في سفر ملاخي :

« ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف ، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم » [٢] « ويترك بعض باليهود مقعداً خاليًا على مائدة عيد الفصح لإيليا » [٣] قال الدكتور باركلي :

« لقد كان الاعتقاد السائد بين اليهود أن إيليا لابد وأن يظهر قبل مجيء المسيح ليمهد الطريق للملك العظيم فهو سيرد القلوب المتخاصمة » [٤] ، ثم أشار إلى نص ملاخي الذي أوردناه .

---

(١) [٢ ملوك : ٢ : ١١] . (٢) [٤ : ٥ ، ٦] .

(٣) قاموس الكتاب المقدس : مادة إيليا . ص : ١٤٥ .

(٤) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ . ص ١٠٨ .

كما كان اليهود يعتقدون ظهور نبي آخر ، ليس هو إيليا الذي سيتقدم المسيح ، وليس هو المسيح ، وينتظرون مقدمه وهو سيد الأنبياء وأعظمهم حسب تعبير الدكتور باركلي الذي قال :

« هذا الوعد كان محفوراً بحروف من نار في مخيلة كل يهودي ، كانوا ينتظرون ظهور ذلك النبي الذي هو سيد الأنبياء وأعظمهم . وكانوا يشتاقون ليوم ظهوره »[1] ثم أشار إلى سفر التثنية الذي قال :

« يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسط إخوتك مثلي ... أقيم لهم نبيًا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيهم به »[2] . والمغايرة واضحة بين الثلاثة لكل ذي عقل ، إيليا الذي رفع من زمن قديم ، وهو ليس المسيح ، وكلاهما ليس سيد الأنبياء وأعظمهم الذي يجعل الله كلامه في فمه . وهو أيضاً في وضوح ظاهر في نص الإنجيل الرابع ، إذ سأله الكهنة واللاويون من اليهود : من أنت ؟ ؟ فقال « لست أنا المسيح فسألوه : إذا ماذا إليا أنت ؟ ؟ فقال : لست أنا – فسألوه – : النبي أنت فأجاب : لا[3] » وعلى ذلك إجماع مفسري يوحنا بلا خلاف .

وقد قام يوحنا اللاهوتي مؤلف الإنجيل الرابع بالحيلولة بين المعمدان وبين أن يكون واحداً من الثلاثة . وذلك الحط من قدره ، وهو بذلك قد تحامل على الرجل فغمطه حقه من التكريم اللائق به .

ومن ناحية ثانية وهذه أشد خطراً : فإنه إذا كان الرب هو يسوع كما يدعي الفيلسوف النابه ، وأن إيليا لابد أن يظهر مرسلاً من الله قبل مجيء يوم الرب العظيم – سواء كان يوم بدء يسوع الدعوة ، أو يوم الصلب أو غيرهما – وذلك حسب نبوءة ملاخي السابقة[4] ، فإن ذلك يعني أحد أمرين : إما كَذِب ملاخي حيث لم يظهر إيليا مرة ثانية قبل المسيح ، وإما كذب كتب العهد الجديد في دعوى ظهور المسيح . ولاندري كيف غفل الفيلسوف القدير عن تدارك هذا الخلل في تاج الأناجيل ، وإنجيل الفلسفة .

اللهم إنا لاندري سببًا لذلك إلا الهوى والتحامل وتلك آفة البشر . ودليل دخول النقص وتمكنه من المؤلف .

---

(١) المرجع السابق . ص ١٠٩ .

(٢) [تثنية ١٨ : ١٥ ، ١٨] .

(٣) [١ : ٢٠ ، ٢١] .

(٤) [٤ : ٥ ، ٦] .

وهذه طريقته في التلاعب بقدر الرجل حيث قدم هذا النيل منه في صورة حوار تاريخي قال :

« وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح . فسألوه إذاً ماذا : إيليا أنت؟؟ فقال لست أنا . النبي أنت . فأجاب لا . فقالوا له من أنت ؟ لنعطي جواباً للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك ؟ ؟ قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعياء النبي ، وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد ؟ ؟ إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي ! أجابهم يوحنا قائلاً أنا أعمد بماء ، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه . هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه »[(١)] ، وهذا النص فيه رفعة قدر المسيح ، والحط من قدر يوحنا المعمدان . ويفيد ثانياً أن المعمدان ليس هو إيليا وليس هو النبي - الذي تنبأ عنه موسى وسماه باركلي سيد الأنبياء وأعظمهم - وإذن فما ليوحنا المعمدان ؟ ؟ ليس له إلا أنه مجرد صوت صارخ في البرية ليقوموا طريق الرب ، ومن ناحية المنزلة فهو إذن أقل من تلميذ ، إنه خادم وضيع[(٢)] (على حد تعبير الدكتور القس إبراهيم سعيد) .

وواضح من نص يوحنا اللاهوتي في هذا الإنجيل أن المسيح قد جاء وتحققت النبوات عنه ، وأن إيليا لم يأت ، وأن نبوته لم تتحقق وأن النبي المنتظر لم تتحقق نبوته ، ولم يكن قد ظهر حتى وقت تحرير الإنجيل الرابع في نهاية القرن الأول بعد ميلاد المسيح » .

موقف إنجيلي متى ولوقا من إيليا والمعمدان :

نَصَّ إنجيل متى على أن يوحنا المعمدان كان هو إيليا ، وأنه أفضل من نبي : قال «ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا ... ماذا خرجتم لتنظروا أنبياء نعم أقول لكم وأفضل من نبي فإن هذا هوالذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك . الحق الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ... وإن أردتم أن تتقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي »[(٣)] ولكن تحقيق ذلك

---

(١) [يوحنا ١ : ١٩ - ٢٧] .

(٢) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٥٩ .

(٣) [متى ١١ : ٧ ، ٩ - ١١ ، ١٤] .

صعب لأن إيليا الذي عاش قبل ذلك بنحو من ٩ تسعة قرون غير يوحنا المعمدان بن زكريا الذي نتحدث عنه ، ونقصد بالصعوبة في منطق الرسالات الإلهية أن ذلك يقتضي الاعتقاد بتناسخ الأرواح . فيوم يبعث الله خلقه يوم القيامة من يكون يوحنا بن زكريا أهو هو ؟ ؟ أم إيليا ؟ ؟ أما هما معًا ؟ ؟

وقال نص متى أيضاً :

« وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء ، ولكني أقول لكم : إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا .... حينئذ فَهِمَ التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان »[1] .

وأما نص لوقا فقد كان أكثر حيطة من نص متى إذ أنه لم يؤكد أنه هو إيليا كما يفهم من نص متى فقد أورد في نص حديث الملاك لزكريا أنه :

« يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيء للرب شعباً مستعداً »[2] .

ولايمكن الإعتذار إلا لنصَّي متي ولوقا في موضوع إيليا والمعمدان ، وليس بأفضل من أنهما حاولا التوفيق بين عقيدة رجعة إيليا قبيل المسيح ليهيء له طريقه بين شعبه ، وهي عقيدة خاطئة لأنه لم يرجع ، وإنما ظهر يوحنا المعمدان بن زكريا . فأخطأ نص متي إذ قال إنه هو على خلاف الحقيقية ، وقال نص لوقا بأنه تقدم بروحه وقوته ، ولا حل لذلك إلا صرفه عن معناه إلى القول بأنه يشبهه . وقد كان ذلك حقًا لأن كلاً منهما نبي ، زاهد ، ناسك[3] ... كما يفهم من متى[4] .

ما يلزم مؤلف الإنجيل الرابع من هذا التناقض :

أولاً : أنه لم يطلع على نص إنجيل متى ولا نص إنجيل لوقا .

ثانيًا : أنه بفرض اطلاعه فقد تجاهل إجماعهما على أن المسيح حدد أن المعمدان هو المقصود من نبوءة إيليا ، وذيوع ذلك بين التلاميذ .

---

(١) [متى ١٧ : ١٠ – ١٣] .

(٢) [لوقا ١٠ – ١٧] .

(٣) وليم باركلي : إنجيل مرقس ،، ص ٢٨ .

(٤) [٣ : ٤ ، ٥] .

ثالثـاً : أنه لو كان مؤلف الرابع هو تلميذ المسيح يوحنا بن زبدي لما قال بالمخالفة . وهذا دليل على أن المؤلف اللاهوتي هو يوحنا الشيخ وليس من تلاميذ المسيح .

رابعـاً : أنه كتب هذه الرواية متجاهلاً لما كان ينبغي أن لايغيب عن ذهنه ، وأنه بذلك يكذب نبوءة ملاخي وإنجيلي متى ولوقا ، وأنه بذلك يُعَرِّضْ إنجيله للتناقض .

خامسًا : أنه تلاعب في روايته التي ألبسها ثوبًا تاريخيًا وقدمها في صورة حوار .

ماذا أضاف المؤلف اللاهوتي لشخصية المعمدان :

والسؤال هنا عن الإطار الذي وضع قلم المؤلف صورة المعمدان في داخله ، أو الثوب الذي ألبسه لشخصية المعمدان بعد أن قام بتجريدها . ويظهر ذلك واضحـًا وجليـًا من نصه عنه « كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ليشهد للنور . لكي يؤمن الكل بواسطته ، ولم يكن هو النور بل ليشهد للنور »(١) ، وقوله : « يوحنا شهد له ونادى قائلاً : . . . . . . »(٢) ، وقوله : « . . . . وهذه هي شهادة يوحنا . . . »(٣) إلى آخر تلك الأقوال التي جاءت بالنص على لسان يوحنا المعمدان . فهو إذن لايعدو أن يكون شاهداً للمسيح الكلمة الذي هو الله المتجسد . فبماذا شهد ؟ وما منطق شهاداته ؟ ؟

أولاً : الشهادة الأولى :

نصها : « يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو الذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا ، ونعمة فوق نعمة لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا ، الله لم يره أحد قط ، الإبن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبر »(٤) .

قال إبراهيم سعيد في تفسيره : « موضوع شهادة المعمدان . هو – شخص المسيح : هذا هو الذي قلت عنه » (أ) في ظهوره تاريخيًا : « يأتي بعدي » (ب) في سمو

---

(١) [يوحنا ١ : ٦ – ٨] .
(٢) [١ : ١٥] .
(٣) [١ : ١٩] .
(٤) [١ : ١٥ – ١٨] .

رتبته « صار قدامي » . (جـ) في أزليته « الذي كان قبلي » – ثم فسر القبلية بأنها تعني الأسبقية الأزلية المطلقة »[1] .

وقال وليم إدي في تفسيره : « أورد البشير – المؤلف – هنا شهادة يوحنا إثباتًا لما قاله في العدد السابق وهو أن الكلمة صار جسداً ، ورأينا مجده ، وهو ممن رأوا ذلك المجد وشاهدوه ، قبل في العدد السابع ، هذا جاء للشهادة ليشهد . وهنا بيان ما شهد به – ثم قال – الذي يأتي بعدي . أي الذي أنا سابقه ، وصح ذلك في أمرين الولادة والشروع في الخدمة ، صار قدامي .. إلخ لثلاثة أمور :

الأول : أنه منذ الأزل ، الثاني : أنه كان قبل المعمدان في العالم بروحه زمن العهد القديم . الثالث : كون المسيح أعظم منه كما أن الملك أعظم من سابقه – إلي أن يقول إدي : – ونتيجة ما قيل في هذا الفصل أن المسيح أعظم من يوحنا المعمدان بأزليته وأفضلية تعليمه وبأنه أعظم من موسى ومن كل الكهنة والأنبياء .... لأنه عجيب مشير إله قدير »[2] .

ثانياً : الشهادة الثانية :

«وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ، فسألوا إذا ماذا إيليا أنت ؟ فقال: لست أنا . النبي أنت : فأجاب لا فقالوا له من أنت لنعطي جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك قال أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب كما قال أشعياء النبي ، وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي أجابهم يوحنا قائلاً أنا أعمد بماء ، ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه ، هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذين لست بمستحق أن أحل سيور حذائه . هذا كان في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد»[3] .

قال الدكتور باركلي : « كان ذلك العمل أكثر ضعة ومهانة ، من أن يقوم به تلميذ، وكأني بيوحنا قال : في وسطكم قائم من أنا لست بمستحق أن أصبح عبداً له »[4] .

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٨ .

(٢) وليم إدي : الكنز الجليل شرح إنجيل يوحنا . ص ١٧ ، ١٩ .

(٣) [١ : ١٩ – ٢٨] .

(٤) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا. جـ ١. ص ١١١.

ثالثًا : الشهادة الثالثة :

« وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي ، وأنا لم أكن أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل لذلك جئت أعمد بالماء ، وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله »[(١)] .

قال الدكتور إبراهيم سعيد في تفسيره : « هذا تاج شهادة المعمدان - أن المسيح هو ابن الله بكيفية ممتازة لا يدانيه فيها سواه ، إن جميع المؤمنين يحسبون أبناء الله بالتبني فقط لأنهم كانوا غرباء عن الحظيرة السماوية فأدخلهم الله إليها بفضل نعمته، لكن المسيح هو ابن الله بالجوهر ، والذات والطبيعة فهو صورة الله غير المنظورة ، وهو بهاء مجد ورسم جوهره ، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته »[(٢)] .

وقال باركلي : « وهنا نرى المعمدان يتقدم مرة أخرى ليقدم الإكرام اللائق لشخص المسيح فهو يدعو السيد بهذا اللقب ، الذي أصبح مركزًا لكل تأمل روحي : حمل الله » إلى أن يقول : « فإذا بالمعمدان يشير إليه وكأنه يقول : هذا هو حمل الله هذا هو الذبيح الحق الأوحد الذي يخلص من الموت ويرفع خطية العالم »[(٣)] .

وقال هلال موسى في تفسيره : « إنه يقصد أن هذا هو الشخص ، وهذا هو عمله . وشهادته تنصب على فاعلية موت المسيح بكل نتائجها التي يتوالى ظهورها واحدة بعد أخرى »[(٤)] . ونحن نلخص ما جاء بتفسير متى هنري لأنه مستفيض يقع في نحو عشرة صحائف : قال : شهد بأربعة أمور عن المسيح عندما رآه أمام عينيه :

١ - أنه هو « حمل الله الذي يرفع خطية العالم .. إن يسوع هو حمل الله الأمر الذي يعني أنه هو الذبيحة العظمى التي بها تم التكفير عن الخطية وتصالح الإنسان مع الله .... » .

---

(١) [١ : ٢٩ - ٣٤] .
(٢) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٦٦ .
(٣) المرجع الأسبق : ص ١١٢ .
(٤) هلال أمين موسى : تفسير إنجيل يوحنا . ص ٢٤ .

٢ - هذا هو الذي سبق أن تحدث عنه : « هذا هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي . هذا بعينه الذي أشير إليه الآن ، الذي ترونه حيث هو واقف .... » .

٣ - إن هذا هو الذي « رأى الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه » .

٤ - « إن هذا هو ابن الله » هذا هو ختام شهادة يوحنا - المعمدان - الذي تتركز فيه كل التفاصيل (١) .

رابعًا : الشهادة الرابعة :

« وفي الغد أيضًا كان يوحنا واقفًا هو واثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع ماشيًا فقال هوذا حمل الله ، فسمعه التلميذان يتكلم فتبعا يسوع » (٢) .

وفي هذا النص شهادة يوحنا بصريح اللفظ أن يسوع المسيح هو حمل الله ، كما تقدم ، ومعنى ذلك أن يوحنا - المعمدان - كان يؤمن بنظرية الفداء والصلب الذي قام به حمل الله . لكي يرفع خطية العالم . وهذا التصوير بقلم المؤلف للمعمدان في ثوب التاريخ الذي حدث من المعمدان ، وكأنه يعترف مقدماً بصحة عقائد الفداء ، والصلب ، وألوهية المسيح .

خامسًا : الشهادة الخامسة :

« وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير ، فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له يا معلم هوذا الذي كان معك في غبر الأردن الذي أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه ، أجاب يوحنا وقال لايقدر إنسان أن يأخذ شيئًا إن لم يكن قد أعطى من السماء ، أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح إني مرسل أمامه ، من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحًا من أجل صوت العريس ، إذا فرحى هذا قد كمل . ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص ، الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع ، والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم ، الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع .....» (٣) .

ونجد هنا ما حرص عليه مؤلف الإنجيل في توجيه السؤال ليوحنا المعمدان من

---

(١) متى هنري : إنجيل يوحنا . ص ٦٤ - ٧٥ .   (٢) [١ : ٣٥ - ٣٧] .

(٣) [٣ : ٢٥ - ٣١] .

تلاميذه عن حكم معمودية المسيح . وذلك في مواجهة أتباع يوحنا الذين كانوا يتمسكون بدعوته ويكتفون بمعموديته والعمل بتعاليمه . قال متى هنري في تفسيره :

« وهنا نجد إجابة يوحنا على هذه الشكوى التي قدمها تلاميذه . لقد توقع تلاميذه أن يستاء من هذا الأمر كما استاءوا هم ، لكن ظهور المسيح لإسرائيل « لم يكن مفاجئًا ليوحنا .... في هذا الحديث نجد أول خادم للإنجيل ، أي يوحنا - المعمدان - يقدم مثالاً رائعًا لكل الخدام لكي يتضعوا هم ، ويرفعوا الرب يسوع .

١ - هنا نجد يوحنا يحقر من شأن نفسه بالمقارنة مع المسيح » .

٢ - وهنا نجد يوحنا المعمدان يعظم المسيح ، ويعلم تلاميذه عنه حتى بدلاً من أن يحزنوا لأن الكثيرين حضروا إليه يمكنهم هم أنفسهم أن يذهبوا إليه . لقد علمهم من عظمة شخص المسيح « الذي يأتي من فوق ، الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع » لقد اعترف بأصله الإلهي أنه « أتى من فوق » أي « من السماء » الأمر الذي يدل على مصدره الإلهي ، بل على طبيعته الإلهية ، إنه كائن قبل أن يحبل به ....

من هذا يستنتج سلطانه المطلق هو فوق الجميع » وهو فوق جميع الأشياء وجميع الأشخاص ، « الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد » إن منازعته في العظمة وقاحة شديدة ....

وقد أراد هذا إذ بين حقارة الذين نافسوه « الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم » ... ولذلك فإن تكوين الإنسان « أرضي » ليس معنى هذا فقط أن جسده ضعيف وفان ، بل إن نفسه فاسدة وجسدية . وتهدف بشدة نحو الأرضيات . كان الأنبياء والرسل من نفس طبيعة باقي البشر ، فقد كانوا أواني خزفية حتى وإن كانوا يحملون في داخلهم كنزًا غنيًا . وهل يمكن أن هؤلاء ينافسون المسيح » [1].

وقال عن المعمدان أيضًا : « فإنه هو نفسه .. تكلم من الأرض » وهكذا يتكلم كل الذين هم من الأرض . كان الأنبياء بشرًا ، وتكلموا كبشر .... ولذلك لم يكن ممكنًا أن يتكلموا عن أنفسهم ، بل تكلموا من الأرض .

كانت كرازة الأنبياء ويوحنا ضعيفة جدًا ، وبسيطة جدًا بالنسبة لكرازة المسيح ، كما علت السماء عن الأرض هكذا علت طرقه عن طرقنا وأفكاره عن أفكارنا ، بهم تكلم

---

(١) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا . جـ ١ . ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

الله على الأرض أما في المسيح فقد تكلم من السماء ، والذي أتى من السماء هو فوق كل الأنبياء الذين عاشوا على الأرض ، سواء كان ذلك في شخصه أو في تعاليمه ، لم ولن يكرز أحد مثله . هنا نجد يوحنا يمتدح لنا تعاليم المسيح »[١] .

وفي رأي هذا المفسر أن النص القائل : « الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع ... إلخ الاصحاح . من كلام المعمدان ، ولكن هذا الاتجاه غير مرضي ولا مقبول عند كثير من المفسرين . من مثل وليم باركلي فقد قال في تفسيره للآيات ... الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع .... إلخ قال :

« كما أشرنا سابقًا نعود فنقول : إن من بين الصعوبات التي نلتقي بها في دراستنا للبشارة الرابعة ، كيف نميز بين حديث المتكلم وبين تعليق الكاتب ، فمن الأمور التي اهتم بها البشير أن يضيف بقلمه تعليقًا على حديث ، أو مناظرة ، أو حادثة يسجلها ، وقد تكون هذه الفقرة من كلمات المعمدان نفسه ، لكن أغلب الظن أنها من تعليق كاتب الإنجيل »[٢] .

وربما كان من أهم ما يدفع إلى ما ذهب إليه باركلي أن هذه الأقوال تحمل طابعًا لاهوتيًا فلسفيًا ، مما يجعل العقل المتحرر من ربق التقليد الكنسي يستبعد أن يكون ذلك من قول المعمدان . ولكن الجميع لايختلفون في أن قصد مؤلف الإنجيل الرابع من ذلك هو الحط من قدر المعمدان وجميع الأنبياء والرسل ، وذلك لارتفاع المسيح . قال وليم إدي في تفسيره لنص : « الأب يحب الإبن وقد دفع كل شيء في يده »[٣] وهو في رأيه من كلام المعمدان . قال إدي : « زاد يوحنا المعمدان هذا على ما قاله آنفًا بيانًا لأفضلية المسيح عليه وهو أن المسيح ابن ، وأن يوحنا وسائر الأنبياء ليسوا سوى خدام وعرف أن الأب يحبه بالوحي والإعلان بصوت مسموع وهو قول الأب من السماء : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ، وكانت محبة الأب للمسيح أعظم من محبته لسائر أتقيائه الناس والأنبياء والرسل كما أن محبة الأب للابن تكون أعظم من محبته للخدم .

وقد دفع كل شيء في يده باعتبار كونه الوسيط لأمرين : الأول : أن يكون قادراً

---

(١) متى هنري : جـ ١ . ص ٢٠٢ وما قبله . المرجع السابق .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ . ص ٢٠٦ .

(٣) [يوحنا ٣ : ٥٣] .

على ممارسة عمل الفداء ، والثاني : الإنابة له على اتضاعه الأختياري »[1] وغني عن التفسير أن الإصحاح ختم بتوجيه الدعوة لكل من أراد الحياة الأبدية أن يؤمن بالإبن ، وأن من لم يؤمن به فلن يغني عنه الإيمان بدعوة أي خادم من مثل يوحنا « الذي يومن بالإبن له حياة أبدية والذي لايؤمن بالإبن لن يرى حياة أبدية بل يمكث عليه غضب الله »[2] حتى ولو كان من أتباع المعمدان الذي اعترف بذلك وقاله ، أو كما نقل ذلك المعصوم يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع .

وحتى على رأي المتوقفين الذين لم يستطيعوا التمييز بين نهاية كلام المعمدان ، وبداية كلام يوحنا المؤلف مثل هلال موسى : الذي قال في تفسيره لنص «الأب يحب الإبن ......» قال :

لانستطيع أن نضع حداً فاصلاً بين نهاية أقوال يوحنا المعمدان وبداية أقوال الرسول يوحنا ، لكن ابتداء من هذا العدد نلاحظ أن الأسلوب له نغمة خاصة بالرسول يوحنا . » ومع اعترافه بهذه « النعمة الخاصة » فإنه قال أيضًا :

« الذي من فوق هو فوق الجميع ، الذي من السماء هو فوق الجميع ، هذان التعبيران من السمات المميزة لإنجيل يوحنا التي فيها يأخذ المسيح مكانه فوق كل شيء كمن هو الله الظاهر في الجسد .... إلى أن يقول : « الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم » أي يوحنا أو الأنبياء الآخرون ، فمعظم كلامهم كان عن الأمور الأرضية المتعلقة بالشعب الأرضي ، وعندما كان يوحي إليهم بشيء عن الأمور السماوية ، كثيرًا ما كانوا لايدركون إدراكًا كاملاً كلمات الوحي المعطاة لهم »[3] .

وإذا كانوا لايدركون إدراكًا كاملاً كلمات الوحي ، فلا ذنب عليهم ، لأنهم لم يخلقوا أنفسهم ، ولم يختاروا أنفسهم ليكونوا أنبياء . بل الأولى أن يوجه مثل ذلك للإله الذي خلقهم غير مدركين ، وكلفهم وهم لايصلحون . وليس الإله سوى الرب الإله يسوع المسيح . فهو الخالق لكل شيء حتى خشبة الصليب والمختار حتى الصلب كما يدعون ويزعمون ، وسبحان الله وتعالى عما يصفون ، وتنزه ورسوله عن كل ما يقولون .

---

(١) وليم إدي : الكنز : تفسير إنجيل يوحنا . ص ٣٨ .

(٢) [يوحنا ٣ : ٣٦] .

(٣) هلال موسى : تفسير إنجيل يوحنا . ص ٥٢ .

نقول ولا خلاف بين الجميع على أن يوحنا اللاهوتي صاحب النغمة الخاصة في إنجيله وصاحب السمة المميزة إنما جاء بهذا الحوار عن يوحنا المعمدان درًا على تلاميذ المعمدان الذين كانوا يعتقدون كفاية تعاليمه ويقولون بعدم التفريق أو بمساواته بالمسيح . وهذه علة خاصة بالإنجيل الرابع أيضًا . قال وليم باركلي في تفسيره لنص : « وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير ..... »[1] :

« سبق وعرفنا أن أحد أهداف يوحنا من كتابة البشارة الرابعة هو تأكيد مقام المعمدان ، كسابق للمسيح ، وليس أكثر من ذلك . فلقد كانت هناك فئات في فجر المسيحية لاتعرف غير معمودية يوحنا للتوبة ، ولا ترى فيه إلا السيد ، والمعلم ولذلك كتب البشير الرابع بشارته ليؤكد أنه مهما سما مقام المعمدان ، وقد كان له مركزه الرفيع ، فإنه لن يتطاول إلى مقام رب المجد . هناك مكان أعلى يسمو فوق الكل ، وهذا المكان هو ليسوع وحده ، بل إن المعمدان نفسه نادي ، بأن مركزه لايزيد عن مركز ياور الملك الذي يصرخ في البريه مناديًا بإعداد الطريق أمامه »[2] .

الخلاصة :

ونحن لا يخالجنا شك في أن هذه الصورة التي قدمها مؤلف الإنجيل ليست حقيقية وأن روايته هذه فيها مبالغة كبيرة لأسباب : -

١ - أن من أسباب تأليف هذا الإنجيل المعترف بها في الكنيسة شرقًا وغربًا . هو محاربة أتباع يوحنا المتحدان بالحط من قدره ، وأنه جاء بالمعمدان معترفًا بصحة عقائد الكنيسة حسب رواية الإنجيل الرابع حتى تأليه المسيح الأزلي ، وصلبه اختياريًا ليرفع خطية العالم .... إلخ .

٢ - أنه تحامل على المعمدان فلم يذكره إلا متبوعًا بما يحط من قدره ويغض من شأنه .

٣ - أنه لم يعترف للمعمدان بما اعترف به المسيح له مما رواه غيره من الأناجيل المعترف بها ، من أنه لم يقم من بين المولودين من النساء من هو أعظم منه . وهو ما يقول به نصى متى .

---

(١) [٣ : ٢٢] .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا. جـ ١. ص ٢٠٢.

٤ – أنه لم يعترف للمعمدان بما اعترف به المسيح له مما رواه غيره من الأناجيل المعترف بها من أنه المقصود بإيليا . وهو ما يفهم من نص متى ولوقا أيضاً .

٥ – أنه تطاول على جميع الأنبياء والمرسلين فيمن وصفهم : بأنهم سراق ولصوص ، ومن قال فيهم على لسان المعمدان بأنهم من الأرض ومن الأرض يتكلمون ، ومن ذلك يظهر الفرق بينهم وبين المسيح الذي جاء من السماء . . . وهو الإبن الوحيد بينما هم كالخدم . على حد تعبير من انساق وراءه من المفسرين .

٦ – أنه جرد المعمدان من أن يكون هو إيليا ونفى أن يكون هو النبي المنتظر ، ولم يعطه أياً منهما وفي ذلك تحامل ، وتغافل المقصود بإيليا ، ومن هو النبي المنتظر وكلاهما بدون شك غير المسيح ، وهو بذلك يتناقض مع كل من متى ولوقا في موضوع إيليا . فضلاً عن غفلته . وفضلاً عن ذلك فهو يُكَذِبْ كلاً من متى ولوقا ونبوءة ملاخي .

٧ – أن مؤلف الإنجيل الرابع لم يكن من تلاميذ المسيح لأنه لو كان حقًا منهم ، لعلم أن المسيح وضح للتلاميذ أن المعمدان هو المقصود بنبوءة إيليا ، وذلك المؤلف لم يطلع على نص كل من متى ولوقا لمخالفته لهما في موضوع إيليا والمعمدان ، دون أن يوضح سببًا لذلك .

٨ – أنه بالغ في سرد اعترافات المعمدان للمسيح . فجعله مجرد شاهد ليشهد بأنه النور ، وأن به النعمة والحق ، وأنه الابن الوحيد الذي في حضن الأب ، وأن المعمدان مجرد صوت صارخ في البرية أمام حمل الله الذي يرفع خطية العالم لأنه ابن الله ، وأنه حث أتباعه في حياته علي اتباع المسيح – وهذا مهم لكي ينصرفوا للإنضمام للكنيسة – لأنه ليس العريس بل صديقه . وأن المسيح العريس ينبغي أن يزيد ، وأن المعمدان ينقص باعترافه ، لأنه من فوق وهو فوق الجميع فهو من السماء والجميع من الأرض ..... إلخ .

٩ – أنه قال بلسان المعمدان عن المسيح « أنا لم أكن أعرفه » (١) مرتين وأنه من أجل ذلك احتاج علامة ليعرفه بها وهي حمامة الروح النازلة من السماء . وهذا لا وجه له . لأنهما من جهة الناسوت قريبان – ابني خالة – ومن جهة ثانية فيوحنا رسول

(١) [١ : ٣١ ، ٣٣] .

والمسيح في زعم المؤلف هو الله المتجسد المرسل فكيف لايعرف الرسول ربه ومرسله إلا بعلامة ؟ وهذه الجهة الثانية لمناقشة المؤلف الغافل عن عقيدته فيمن يؤلهه .

١٠- أنه يتعارض مع مرقس الذي يفهم منه أن المسيح لم يبدأ الدعوة إلا بعد أن سجن يوحنا بعد تعميد المسيح وتجربة الشيطان له [1] ، ويفهم أيضًا من متى أن المسيح لم يبدأ دعوته إلا بعد أن علم بأن يوحنا أسلم للسجن [2] ، ويفهم من لوقا أن المعمدان سمع وهو في السجن بدعوة المسيح ولم يكن يعلم أنه رسول بعد ، فأرسل اثنين من تلاميذه هو ليسألوا المسيح ... « أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر .... فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخيرًا يوحنا بما رأيتما وسمعتما إن العمي يبصرون .... » [3] وقد قتل المعمدان في هذا السجن ولم يخرج حيًا منه ، وهذا يتناقض مع نصوص الإنجيل الرابع التي تفيد بأن الرجلين كان كل منهما يعمد ، وأن المعمدان قال في المسيح ما جاء بالإنجيل الرابع مما لا أثر له في الأناجيل الثلاثة مما يجعلنا نقطع بأن المؤلف لهذا الإنجيل ، لم يتوخ الحقيقة بل انساق وراء الهوى إلى هذا الحد الذي نراه .

ثانيًا : الصلاة المعطلة : ولم يذكرها غيره :

وننتقل الآن إلي الصلاة المعطلة ، وهي النوع الثاني من قصصه التي عالج واقعها بأسلوبه لكي يصل إلى أهدافه التي وضع إنجيله من أجلها فإن مما لاشك فيه أن المسيح عليه السلام كان يصلي لله وهذه دلالة العبودية لله ، وعنوان احتياج المخلوق المصلي . وذلك ثابت في النصوص التي جاءت بالأناجيل الثلاثة عن صلوات المسيح لله ، وبعض الصلوات الأخري التي جاءت بهذا الإنجيل .

والذي بين يدينا الآن صلاة من نوع خاص عالجها المؤلف أو اخترعها لكي يصل من ورائها إلى هدف ينشده ، وقد قام الدليل لدينا علي أن حدوثها كما قصها ورواها أمرغريب وبعيد في الاحتمال والوقوع .

وهذه الصلاة كما جاءت في نص الإنجيل الرابع وحده بعضها للتلاميذ ، وبعضها لعامة المسيحيين .

---

(١) [مرقس ١ : ١٢ – ١٥] .
(٢) [متى ٤ : ١٢ – ١٧] .
(٣) [لوقا ٧ : ١٨ – ٢٤] .

صلاته وطلبه من أجل التلاميذ :

النص « ورفع عينيه نحو السماء وقال . . . أنا أسأل . . . . من أجل الذين أعطيتني . . . فهم في العالم وأنا آتي إليك ، أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك ليكونوا واحداً كما نحن ، حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك الذي أعطيتني حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك . . . . لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير ، قدسهم في حقك ، كلامك هو حق ، كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق »(١) :

وإليك النص الخاص من أجل جميع الذين يؤمنون به :

« ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ، ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا . . . . ليؤمن العالم أنك أرسلتني ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ، أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد »(٢) .

وهذا النصان من أقوى الأدلة علي صدق جميع النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا ، عن الإنجيل الرابع ، وهما بما ينصان عليه من هذه الصلاة المعطلة دليل من النص ذاته على بعده عن الحقيقة ، وأنه صناعة فيلسوف أجاد التلفيق حتى شاء الله أن يظهر أمره . ويهمنا هنا أن نقدم تعليق الدكتور وليم باركلي على هذين النصين قبل أن نبدأ تعليقنا نحن : قال باركلي عن الصلاة الأولى في تفسيره لها :

« صلى يسوع طالباً من أجل وحدة تلاميذه ليكونوا واحداً كما أنه والأب واحد » .

ونقول مع الأسف ، إنه لاتوجد صلاة تقدم بها « يسوع » وتعطلت عن أن تتم بسبب المطامع والحزبيات والذات ، قدر ما تعطلت هذه الصلاة ألفا عام مرت عليها ، ولم تتحقق حتى الآن »(٣) أ.هـ . بالنص .

وقال باركلي عن الصلاة من أجل وحدة المؤمنين – أو الكنيسة – ما نصه : –

---

(١) [١٧ : ١ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ – ١٩] . (٢) [١٧ : ٢٠ – ٢٣] .

(٣) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٤٣٠ .

« وماذا كانت طلبته لأجل الكنيسة ؟

لقد طلب من الأب أن تكون واحدة فيه ، كما أنه هو والأب واحد ، وما نوع الوحدة التي من أجلها يطلب يسوع ؟ ....

وهكذا فإن الوحدة التي يريدها لكنيسته العتيدة هي وحدة يربطنا فيها جميعاً رباط المحبة والتضامن .....

ولاتعني أن نقيم أماكن عباداتنا على نمط واحد ، أو نجتمع في مكان واحد ولكن الوحدة المقصودة تتخطى كل هذه الشكليات ، وتسمو على هذه الفروق ، في روح المحبة المتبادلة ورباط التضامن .

إن رجاء وحدة المسيحية في عصرنا الحاضر ، قد تعثر وأصيب بصدمة كبرى ، لأن كل واحد يحب عقيدته ، يحب تقاليده ، يحب مفهومه الخاص لكلمة الله ، أكثر من محبته لأخيه . . . . . .

وعلى ذلك فالوحدة المسيحية الحقيقية التي يقدر لها أن تدوم وتثبت ، هي وحدة فوق طبيعة الإنسان ، تحتاج إلى مفهوم يسمو على تفكيره .

ومن الأمور المؤسفة ، أن رؤساء الطائفية ، يبذلون أقصى ما يبذلون من جهد ليقيموا أمام العالم واجهة متنافرة منقسمة ، تعطي العالم فكرة رديئة عن المسيح وعن المسيحية »(١) .

فهل تعطلت هذه الصلاة ألفا عام مرت عليها ولم تتحقق حتى الآن ؟ ؟ وهذا السؤال وإن كان غنيًا عن الإجابة . إلا أننا نضيف هنا : أن التاريخ خير شاهد على أنها لم تتحقق في أي يوم مضى ، ولايبدو أنها ستتحقق في أي يوم في المستقبل حتى تقوم الساعة ، والتاريخ خير شاهد .

أول بذور الفرقة بين نصوص الأناجيل الحالية :

ونلمح بذور الفرقة من تلك المشاجرة التي حدثت بين التلاميذ في حياة المسيح قبل أن يتركهم ، وكان سببها هو تطلع كل واحد منهم إلى الزعامة من بعد المعلم، وذلك حين أخبرهم بإحساسه بقرب نهايته وأن أحدهم سيسلمه ، وويل لذلك الإنسان الذي

---

(١) المرجع السابق . ص ٤٣٤ – ٤٣٥ باختصار .

يسلمه : وذلك كما جاء بنص مؤلف لوقا : –

« فابتدأوا يتساءلون فيما بينهم من ترى منهم هو المزمع أن يفعل هذا ، وكانت بينهم أيضًا مشاجرة من منهم يظن أنه يكون أكبر ، فقال لهم . . . . وأما أنتم فليس هكذا ، بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر ، والمتقدم كالخادم . . . . أنا بينكم كالذي يخدم »[1] وهذا نص واضح . وفي درجة وضوحه اختلاف هذه الأناجيل الأربعة ، رغم أنها اختيار الكنيسة من بين مجموعة كثيرة من الأناجيل والرسائل بلغت نحواً من سبعين حسب ما عده بعض من عني بتتبع ذلك من علماء هذا الفن ، كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة . عند الحديث عن أسفار – الأبوكريفا – الغير قانونية التي لم تعترف بها الكنيسة ، وهي لم تعترف بها لمخالفتها لما اعتمدته . ومع ذلك فقد بقي الإنجيل الرابع خير شاهد على عدم توفيق الكنيسة في الجانبين . ما اختارت وما رفضت .

على أن هذه الكثرة من المقبول والمرفوض دليل الإختلاف ، ويكفي اختلاف الإنجيل الرابع على الأناجيل الثلاثة في دعواه التي تفرد بها من تأليه المسيح . . . . إلخ ما حوى .

والذي يتتبع التاريخ يرى الفرقة التي تمكنت آثارها في المجامع وقراراتها ، والتي أدت إلي الإنقسام بين الكنيستين الغربية والكاثوليكية ، والشرقية الأرثوذكسية ، والذي زادتهما فيه الكنيسة البروتستانتية ، ولا يزال التاريخ خير شاهد

الفُرْقَةُ الحاضرة :

والواقع يؤيده كما قال باركلي : إن رجاء الوحدة المسيحية في العصر الحاضر قد تعثر وأصيب بصدمة كبرى ، وهذا ما جعله يقول بأنها غير ممكنة كالوهم الخادع لأنها فوق طبيعة الإنسان ، وتحتاج إلى مفهوم يسمو على تفكيره . ومعنى ذلك أنها مستحيلة الوقوع والتاريخ خير شاهد والواقع يؤيده

ويتحدث القس جورج أبلتون عن « صلاة الوحدة » ، ويأسى من أثر الفرقة وعدم وحدة الكنيسة ، من خلال تجاربه في مجال التبشير فيقول : –

« في كثير من الحالات نجد الذين يعتنقون المسيحية من جديد يواكبهم بعض

---

(١) [لوقا ٢٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦] .

التشويش ، لأنهم وإن كانوا قد خلصوا عن طريق المسيح الواحد الذي تبشر به كل الكنائس ، لكنهم يجدون أنفسهم حيارى عندما يرون الكنيسة منقسمة إلى طوائف متعددة ، وأعضاوها غير قادرين على أن يعبدوا المسيح ويشتركوا في مائدة واحد ، وهذا الحال مدعاة لتشويش غير المسيحيين أيضاً .

واتذكر على سبيل المثال أنني زرت قرية في بورما كنت أتردد عليها قبل ٤٥ سنة، كانت في تلك القرية أربع أسر إنكليكانية ، وأسرتين من الطائفة المعمدانية ، وأسرة كاثوليكية ، وظهر عند ذلك أن عشرين عائلة غير مسيحية كانت تميل للإنضمام إلى الطائفة الإنكليكانية فتصدى لهم الكاثوليك مدعين بأن كنيستهم هي الصحيحة ، وهي التي أسسها القديس بطرس الحامل مفاتيح السماء .

كذلك ادّعى المعمدانيون بأن الخلاص لا يتم إلا عن طريق المعمودية بالتغطيس ، واشترك الإنكليكان في هذا النزاع الطائفي مما جعل هؤلاء المرشحين لاعتناق المسيحية أن يحاروا في أمرهم . وكانت النتيجة أن لا أحد من هؤلاء لدى رؤيتهم هذه المنازعات قبل أن يكون مسيحياً »[1] .

مناقشة لابد منها :

ونحن نناقش هذه الصلاة المعطلة كما رواها مؤلف الإنجيل الرابع كما يلي :

أولاً : نفترض – جدلاً – أن هذه الصلاة حدثت فعلاً من المسيح :

١ – فلو كان المسيح هو الله – الكلمة – الذي صار جسداً ، لكان يلزم أن تتحقق رغبته ، ولما لم تتحقق رغبته دل ذلك على أنه ليس إلهًا ، وبطلت دعوى تأليه المسيح التي ألف يوحنا إنجيله من أجلها .

٢ – ولو كان المسيح ابنًا لله – على أي نحو تفسر به البنوة من طبيعية أو غير طبيعية – كما يدعي المؤلف من قوله على لسانه « كل ما للأب هو لي »[1] وغير ذلك مما ادعاه وهو ما ناقشناه في الفصل الخاص بدراسة نصوص «محاولة تأليه المسيح» لو كانت دعواه حقًا لما استطاع الله أن يرد له طلبًا لأن كل شيء دفعه إلى يد المسيح . لما لم تتحقق رغبة المسيح سقطت دعوى المؤلف في تأليهه .

---

(١) جورج أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا . ص ١٠٧ ، مكتبة المشعل . بيروت . سنة ١٩٥٦م .

(٢) [يوحنا ١٦ : ١٥] .

٣ - وهل المسيح - العالم بكل شيء - حسب تعبير نص مؤلهه ، كان يطلب ما يستحيل أن يتحقق وهو يعلم بالإستحالة ؟ لماذا إذن ؟ ! ألكي يفضح نفسه ؟ أم لكي يفضح من يؤلهه ؟ ؟

٤ - وهل الذي يبتهل ، ويصلي ، ويدعو ، ويرجو ، يكون بشرًا محتاجًا أم إلهًا غنيًا ؟ ؟ لو كان هو هو الله ، لكان سائلاً ومسئولاً . فلماذا إذن لم يتحقق ما وعد به من الوحدة في صورة صلاة وتضرع ؟ ؟ ولما لم يتحقق طلبه ، فهو بشر ، عاجز، محتاج ، ولا يعلم يما سيقع خلافًا لما يأمل ويرجو ، وليس له من الأمر شيء والله يهدي من يشاء .

٥ - وهل يمكن أن يكون الداعي هو المدعو ، والسائل هو المسئول ، والمحتاج هو الغني ، والذي على الأرض هو الذي في السماء ، وهذا تناقض وقع فيه الفيلسوف القدير مؤلف إنجيل الفلسفة وتاج الأناجيل ومؤله البشر .

٦ - وقد جاء بنص هذه الصلاة قول المؤلف على لسان المسيح في مخاطبته لله : «ليكون الجميع واحدًا كما نحن» وها هنا سؤال : هل كان المسيح حقًا كما قال المؤلف على لسانه « أنا والأب واحد » ليكون الجميع واحدًا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك » والتاريخ خير شاهد ، ولايزال الواقع يؤيده أن هذه الوحدة لم ولن تتحقق ، لأن الله واحد لاشريك له . لا المسيح ولا غير المسيح . هذا ولاتزال في النفس خلجات ومساءلات في هذا الشأن ولو تتبعنا ذلك لطال بنا المقام ، ولكنا أشرنا إلى الإتجاه فقط في هذا الباب .

ثانيًا : ونفترض - جدلاً كذلك - أن هذه الصلاة لم تحدث من المسيح ، فمعنى ذلك إذن أنها مخترعة ، لا حظ لها من الواقع . فهل يلزم لنا هنا أن نلتمس دليلاً على قيام المؤلف بهذا الإدعاء ؟ ؟ **والإجابة** : أن هذا دأب المؤلف كما عهدناه ، من طريقته في تأييد عقائده باختراع القصص التي لا أصل لها ، لكي يصل من ورائها إلي ما يريد أن يقوله

ويبدو أن المؤلف حين قام بتأليف الإنجيل الرابع كان شبح الفرقة يهدد وحدة الكنيسة ، فيما ظهر من الاتجاهات المناهضة لعقيدة الكنيسة ، والتي استهدف بإنجيله الرد عليها كما سبق أن أشرنا إلى ذلك في الباب الأول من بحثنا هذا . وكان مما اختاره في مناهضة شبح الفرقة أنه دعى إلى الوحدة في هذا الأسلوب القصصي

الممتع ، الذي أدار حواره على لسان المسيح مصليًا داعيًا الله الذي هو هو ، لكي يكون بينهم وحدة .

ويبدو لنا أيضًا أن المؤلف لم يكن عنده من الفراسة ما مكنه من أن يستشعر منها خطرًا محققًا ، بل إنه لم ير فيها إلا خلافات موقوته تلتئم بعدها وحدة الجماعة إذا ما دعيت بذكاء ووعي . فمن أجل ذلك اخترع هذه القصة ، فإنه في سبيل عقيدته استباح في هذا الباب أن يخترع من القصص ما رأينا آنفًا ، وقد كانت الوحدة أمنيته فاخترع القصة واستنطق بها المسيح في آخر صلواته عند بداية نهاية حياته .

ولو كان الكاتب القدير يعلم بما يخبئه القدر ، من استفحال أمرها من بعده إلى هذا الحد الذي ظهر وفشى واستحكم ، نقول ونحن واثقون : إنه لو كان يعلم ما فعلها . ولكن ما الحيلة فقد جاء الواقع وخيب أمله .

وأيهما أهون : أن يطيش قلم المؤلف ويخيب ظنه ؟ ؟ أم أن يقال ذلك في المسيح ويخيب ظنه بربه ؟ ؟ لأنه والحالة هذه لايعلم مدي منزلته عند ربه ، وذلك على افتراض أن المسيح عبد الله ورسوله فقط ، لا هو إله ولا شبه إله .

آخر صلوات المسيح من نصوص الأناجيل الثلاثة . ناطقة بعبوديته يرجو ربه أن ينقذه من شر اليهود :

ويجمل بنا أن نلقي نظرة على آخر صلوات المسيح في الأناجيل الثلاثة ، بعد أن قدمنا صلاة الإنجيل الرابع المعطلة التي رواها على أنها آخر صلوات المسيح .

ونلاحظ على روايات الثلاثة :

١ - أنها مختصرة .

٢ - خاصة بطلب النجاة ، وكان ذلك ليلة القبض عليه .

٣ - مغايرتها لصورة صلاة الإنجيل الرابع المعطلة .

وهاك نص مؤلف متى *

« حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك . . . . فقال لهم نفسي حزينة حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معي ، ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً : يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ، ثم جاء إلى

التلاميذ فوجدهم نياماً . . . . فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً : يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك ، ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً . . . فتركهم ومضى أيضاً وصلي ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا ، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاه »[1] .

ولايخرج نص مرقس عن هذا المعنى بل يكاد أن يكون هو يقول فيه :

« ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض ، وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن وقال يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس ، ولكن ليكن لا ما أريد أنا ، بل ما تريد أنت ، ثم جاء ووجدهم نياماً ، ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه ، ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً »[2] .

أما مؤلف لوقا فقال :

« وانفصل عنهم رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلاً يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك ، وظهر له ملاك يقويه ، وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة علي الأرض ، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً . . .. »[3] .

مغايرة صلاة الرابع عن صلاة الثلاثة . مع وحدة المسيح :

ومن وجوه المغايرة بين صلوات المولفين الثلاثة وصلاة الفيلسوف المعطلة ما يلي:

١ - أن صلواتهم طلب فيها أمر ممكن وهو النجاة . بينما في صلاته المعطلة طلب فيها أمر مستحيل . وذلك ما يبدو حتى الآن ، ولا يبدو أنه سيحدث .

٢ - أن المسيح حسب نصوص الثلاثة يخر ويركع ، ويصلي بلجاجة حتي يرهق ، وذلك دليل احتياجه لله وعجزه . بخلاف صلاة الفيلسوف المعطلة .

٣ - أنه يقول في نصوص الثلاثة بالتمييز بين إرادته ومشيئته وبين إرادة الله ومشيئته وهذا دليل عبوديته .

---

(١) [متى ٢٦ : ٣٦ ، ٣٨ - ٤٠ ، ٤٢ - ٤٥] . (٢) [مرقس ١٤ : ٣٥ - ٣٧ ، ٣٩] .

(٣) [لوقا ٢٢ : ٤١ - ٤٦] .

٤ – كما أن النصوص عند الثلاثة لا أثر فيها لما طلبه صاحب الصلاة المعطلة . لا أثر كذلك في الصلاة المعطلة لما طلب في صلاة الثلاثة ، رغم أن المعطل على طريقته ونغمته عطل الإصحاح السابع عشر كله من أوله إلى آخره في تاج الأناجيل بالصلاة المعطلة . فهل تم له ما أراد ، وهل جعل المسيح إلهًا والمخلوق خالقًا ؟ ؟

والخلاصة :

١ – أن الصلاة المعطلة منكرة مجهولة بحسب نصوص المؤلفين الثلاثة .

٢ – وأنها معطلة منذ اختلاف التلاميذ في حياة المسيح على الزعامة حتى يومنا هذا .

٣ – وأنها من اختراع المؤلف الفذ الذي كان يقصد فيما يبدو الدعوة إلى الوحدة. وأنه ساق دعوته علي لسان المسيح ليكون ذلك أنجح لقصده ، لأنها حينئذ تكون أمرًا إلهيًا .

٤ – أنه يتحتم المصير إلي هذا أو القول بأن الله لم يستجب للمسيح ، وأن المسيح خاب ظنه بربه . وهذا القول بفرض بشريته ورسالته ونفي ألوهيته أو يلزم المخالف أن يقول : إنّ الله لم يستجب لله ، أو إنّ الله لم يستجب لابنه ، أو إن ثلثي الله – الآب والروح – لم يستجيبا لثلثه – الإبن ، أو إنّ المسيح لم يستجب للمسيح .

٥ – أن هذه الصلاة التي مر عليها ألفا عام ولم تتحقق ، ولا يبدو أنها تتحقق دليل على أن الإنجيل الرابع يكذب ربه الذي قال بأنه : الإله – الكلمة – المتجسد .

٦ – كما أن تعطيل هذه الصلاة لمدة ألفي عام ولم تتحقق . دليل على افتعال المؤلف . لأنه أقام الدليل على افتعاله فيما كتبه من دعواه ، فيما ادعاه . وأن الله هو الذي كشفه حين خيب أمله بما حوى التاريخ من عصره إلي يومنا هذا .

٧ – ولسنا هنا نستبيح لأنفسنا أكثر من أن نقول : إن المؤلف يكذب نفسه .

ثالثًا : حديثه عن المَعزِّي الآخر :

ونتناول حديثه عن المعزي هنا لكي نتبين قيمة النص الذي جاء على لسان المسيح به عن هذا المعزي الآخر . هل تنبأ المسيح عن المعزي ؟ فيكون ما جاء عنه بالنص رواية حقيقية لها قيمة تاريخية واقعية . مثل وجود المسيح . أو أن المسيح لم يتنبأ فيكون ذلك من اختراع المؤلف ؟ أو أن بعضه حقيقة وبقيته مخترع . وصلت إليه حقيقته الأصلية ، ثم عالجها بالتغيير ، أو الإضافة ، أو التأويل ، على طريقته مثل معالجته

لموضوع المعمدان ، أو مثل الصلاة المعطلة ؟ ؟ من أجل ذلك نقوم هنا بدراسة هذا الموضوع لبيان ما يستقر عليه رأينا فيه . هل هو رواية أصلية لا دخل للمؤلف فيها ؟ أم أنه مخترع ؟ أم أنه أصل معالج ؟ كما هو دأب المؤلف .

أولاً : نصوص المؤلف عن المعزِّي :

أ - « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ، وليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذي لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولايعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم »(١) .

ب - « وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم »(٢) .

جـ - « ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي ، وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معي من الإبتداء »(٣) .

د - « إن لم أنطلق لايأتيكم المعزي ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتي جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ، أما على خطية فلأنهم لايؤمنون بي ، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولاترونني أيضًا ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . . . . . .

وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم »(٤) .

ثانيًا : المقصود بالمعزي :

المقصود بالمعزي هو « الفارقليط » كما جاء بترجمة أخرى لهذا الإنجيل التي ظهرت بها الطبعات الثلاث « طبعة عام ١٨٢١م ، ١٨٣١م ، ١٨٤٤م » وذلك ما أشار إليه الدكتور حسن عتر في كتابه : « نبوة محمد ﷺ في القرآن »(٥) فقد جاء بها :

---

(١) [١٤ : ١٥ - ١٧] .
(٢) [١٤ : ٢٦] .
(٣) [١٥ : ٢٦ ، ٢٧] .
(٤) [١٦ : ٧ - ١١ ، ١٣ ، ١٤] .
(٥) د. حسن عتر : نبوة محمد ﷺ في القرآن - ص ٣٢١ وقد نال بهذا البحث درجة العالمية «الدكتوراه» بمرتبة الشرف الأولى من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٧١م .

« وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد »[1] .

« فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق »[2] .

« إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط »[3] .

و« الفارقليط » منطوق عربي للفظ اليوناني الذي وجد في النص اليوناني لهذا الإنجيل .

و« الفارقليط » في أصل اليونانية ينطق على وجهين كل منهما بمعنى مستقل عن معنى النطق الآخر .

الأول : « باراكلي طوس » ومعناه المعزي والمعين والوكيل .

الثاني : « بيركلوطوس » بمعنى « الذي له حمد كثير أي محمد أو أحمد وعلي هذا فاختيار ما يؤدي ذلك المعنى أو ذاك دون الإشارة إلي الآخر يكون انحيازاً لأحد المعنيين ، وعلى من يريد الدقة أن يضع لفظ « فارقليط » .

ثم يأتي من بعد دور المفسرين في توضيح المقصود . أما أن يختار المترجم لفظ المعزي فقط دون محمد أو أحمد فهذا ترجيح بلا مرجح ولا مسوغ .

هذا ومن المعلوم أن المسيح عليه السلام لم يكن يتكلم اليونانية لأنها ليست لغته بل كان يتحدث الآرامية وهي مشتقة من اللغة العبرية ، وإنه مما لاشك فيه أن حديثه عن الرسول الذي يأتي بعده قد شاع واستفاض ، وأن مؤلف الإنجيل الرابع اختار هذا اللفظ اليوناني ليؤدي به المعني المقصود من بشارة المسيح[4] .

وقد روى الشيخ عبد الوهاب النجار أن العلامة « كارلونلينو » المستشرق الإيطالي كان يحضر دروس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وكان أنئذ حاصلاً على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية . فجعل يجلس بجانب الشيخ النجار وهو طالب ، حتى انعقدت بينهما أواصر الصحبة المتينة . . . . . . فقال له الشيخ النجار :

---

(1) [١٤ : ٢٦] . (2) [١٥ : ٢٢] .

(3) [١٦ : ١٨] .

(4) د. حسن عتر : نبوة محمد ﷺ في القرآن – ص ٣٢٣ ، نقلاً عن : إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي (بتصرف) .

ما معنى « بيريكلتوس » ؟ فأجابه بقوله : إن القسس يقولون هذه الكلمة معناها : «المعزي» .

فقال له الشيخ النجار : إني أسأل الدكتور « كارلونلينو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة . ولست أسأل قسيساً ! فقال : إن معناها « الذي له حمد كثير » .

فقال له الشيخ النجار : هل يوافق ذلك أفعل التفضيل من «حَمد» ؟ فقال : نعم . فقال له الشيخ : إن رسول الله ﷺ من أسمائه « أحمد » فقال له الدكتور «كارلونلينو» يا أخي أنت تحفظ كثيراً . يقول الشيخ النجار معقباً : ثم افترقنا وقد ازددت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [1] أ.هـ .

وقد كان الدكتور « كارلونلينو » صريحاً مع الشيخ النجار . ولكن كثيراً غيره يحاولون إخفاء اللفظ وراء المعنى الأول فقط دون أن يشير أحد منهم إلى المعنى الثاني الذي يدل على الحمد الكثير وأفعل التفضيل منه . ولا شك أن ما يهربون منه واضح لكل ذي عينين .

وفي بعض الترجمات العربية الأخرى يعبر بـ « المعين » [2] ويرى وليم باركلي : أن « هناك كلمة قد تكون أكثر خصوبة ، وتعطي دلالة أكثر ، وهي كلمة «مكافح» أو «مناضل» أو «منهض» [3] ذلك أنه يوضح أن لفظ « باركليتوس » يعني حرفيًا «شخصاً استدعى إلى » [4] ومن المعاني التي تستخدم فيها في اليونانية : الشهادة أمام القضاء ، والدفاع كذلك ، والوساطة وانتهى إلي « أن الباركليتوس هو على الدوام شخص يدعى إلى مهمة عاجلة تقتضيها المعونة في الأزمات أو اليأس ، أو الضيقات » [5] .

وأما صفاته التي تظهر في نص يوحنا :

---

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء . ص ٣٩٧ .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق . ص ٣٣٧ .

(٤) المرجع السابق ص . ٣٣٥ .

(٥) المرجع السابق . ص ٣٣٦ .

أن المسيح سيطلب من الأب أن يرسل آخر . ليمكث معهم إلي الأبد ، ويكون فيهم ، وأن العالم لايستطيع أن يقبله لأنه لايراه ولا يعرفه ، وأن روح الحق ، يعلمهم كل شيء ويذكرهم بما قاله المسيح ، وأنه ينبثق من عند الأب ويشهد للمسيح ، وأنه سَيبكّتِ العالم علي بر وعلى خطية وعلى دينونة ، وأنه لايتكلم من نفسه بل ما يسمعه يتكلم به ويخبر به ويمجد المسيح .

هل هو الروح القدس كما جاء بالنص ؟

ويبقي من صفاته : أنه « الروح القدس » ، والمعزي بمعنى ما وصف به مغاير للروح القدس بمعنى الأقنوم الثالث من الأقانيم التي يتكون الله من مجموعها ، وهو المعنى الذي يتمسك به القائلون بالتثليث مع تمسكهم بالنص الذي يجدونه في يوحنا هنا ، والذي يقول بأنه هو المعزي رغم تغايرهما . ذلك أن الروح القدس عند القائل بالتثليث إله أو بعض إله ، أما المعزي فهو مرسل آخر مثل المسيح من قبل الأب ، ولايتكلم من نفسه بل هو مبلغ فقط لما يسمع ...... إلخ .

يعرف الروح القدس بأنه « جوهر إلهي لا حدود لمقدرته ولا نهاية لعمظته ، فوق الإحساس الزمني وغير خاضع للدهور [1] .... ولم يؤله أحد الروح القدس ولم يتقرر ذلك إلا من بداية مجمع القسطنطينية المنعقد عام ٣٨١م ، فهو الذي أضاف الروح القدس ، وعمله الذي يوكل إليه [2] .

ولسنا نعدو الصواب إذا نحن قلنا إن الروح القدس بمعنى الأقنوم الثالث ، لم يخطر ببال أحد من التلاميذ ولا معاصريهم ، حتى بعد نيقية التي لم يرد في قرار مجمعها (٣٢٥م) ما يدل على تأليه ولا مايشير إلي الإتجاه إلي ذلك ، يوقول الاستاذ حبيب سعيد :

« إن الرسل لم يضعوا في كتاباتهم وصفًا دقيقًا للروح القدس ، كما تضمنته العقائد المسيحية في القرون اللاحقة ، وليس هذا بالأمر الغريب إذا نحن درسنا الظروف الخاصة التي كتبت فيها أسفار الإنجيل ، أو تطور الفكر اللاهوتي في هاتيك المراحل ، الأولى ، ولعلنا نقرب الأمر إلى ذهن القاريء الكريم بإيراد مثال من عالم

---

(١) رسالة بيت التكريس (٢٠٠) – الباراكليت . (٢) أميل زكي وآخرين : إيماني الإنجيلي ص ٣٢ .

الحفريات . أرأيت إلى فريق من العمال يحفرون في مواقع الآثار القديمة تحت إشراف نخبة من الخبراء ، إنهم يعثرون طيلة الوقت على عظام وقطع من الفخار مبعثرة وأدوات غشيمة . وهذه لابد من جمعها وتنظيمها وتبويبها وتنسيقها معاً فيما بعد . وفي خلال العمل لايسع الخبراء إلا أن يدونوا المذكرات المتفرقة .

أما التقييم النهائي والأوصاف الفنية والعلاقات التاريخية لهذه القطع المبعثرة ، وبيان الحضارات التي تنتمي إليها ، فهي أمور يرون إرجاءها إلى وقت آخر لعمل المقارنات وإصدار الأحكام النهائية .

وواقع الحال أنه فيما يتعلق بعقيدة الروح القدس . لم يكن الوقت قد حان للتأويل الكامل في العهد الرسولي ، ولم يتطور الفكر اللاهوتي في تلك الفترة ليصاغ في عقيدة لفظية واضحة المعالم »[1] أ.هـ .

وهذا الكلام يفيد : أن الروح القدس بمعناه الحالي لم يكن معروفًا لدى الرسل التلاميذ في القرون الأولى التي ألفت فيها أسفار الأناجيل ، وإنما هو من فعل خبراء اللاهوت ، الذين لم يزد الرسل عن كونهم مجموعة من العمال السذج تحت أيديهم .

بل إن نفس هذا المؤلف ليوضح في غير مواربة بأن هؤلاء الرسل التلاميذ لم يفكروا يوماً في مشكلة العلاقة بين أشخاص الثالوث الثلاثة حيث يقول :

« والحق أننا لانجد دليلاً يثبت لنا أن الرسل أخذوا يفكرون في مشكلة العلاقة بين شخصية الأب والإبن والروح القدس ..... » وأنهم لم يفطنوا إلي طبيعة الروح التي انسابت فيهم وحلت بهم يوم الخمسين يقول :

« وفي يوم الخمسين لم يفطن الرسل إلى طبيعة القوة التي انسابت فيهم ، وأيقظت مشاعرهم ، لأن الروح ظهر لهم بطريقة غير شخصية كريح ولهيب ، ولعل بعض هذا مرده إلى أن عقولهم كانت متأثرة بآراء العهد القديم عن مظاهر العمل الإلهي غير العادي ، وكان تأثير الروح القدس في فكر كتاب العهد القديم مجرد قوة أو صفة من صفات «يهوه» . ولكن تحت تأثير قوة الروح القدس الدافعة الآخرة ، أيقن الرسل فيما بعد أن لهذا الروح شخصية مستقلة ، وفسروا حادث يوم الخمسين في ضوء هذا اليقين ...... وراحوا يفكرون في هذه الاختبارات كلها حتى أدركوا يقيناً أنهم

---

(١) حبيب سعيد : الروح القدس في العصر الحديث . ص ٥٧ .

هم أنفسهم كانوا يوم الخمسين تحت تأثير الروح القدس الشخصي »[1] .

والروح الذي ظهر لمن لم يفهموه إلا بعد تفكير طويل ، له شخصية مستقلة ، عند المسيحيين المثلثين من خبراء اللاهوت أما عند الذين ظهر لهم في شكل عجيب فهو غير مفهوم . يقول مؤلف سفر أعمال الرسل :

« ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا .... فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى أن يكون هذا ...... »[2] .

والذي يقول اليوم بأن المعزي هو الروح القدس : يقول بأن هذا الظهور في يوم الخمسين كان للمعزي المعين ، وإن كان غير مفهوم لمن ظهر لهم .

ولاتسلم دراسة للمسيحية اليوم من التعرض للحديث عن الثالوث الإلهي الذي يقولون بأن الإله في المسيحية يتكون منه ولسنا هنا نتعرض لها من جانب العقيدة وإنما نرى لزاماً علينا أن نوضح العلاقة بين المسيح باعتبار أنّه « الله الكلمة الذي صار جسداً » وبين « الروح القدس » الذي هو « الرب المحيي المنبثق من الأب » أو من «الأب والإبن» على خلاف بين القائلين بالتثليث – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – ونرى لزاماً علينا أن نجيب على سؤال هام :

هل كان معنى الروح القدس المعزي لدى مؤلف الإنجيل الرابع هو معناه الذي ظهر بعد نيقية بالنص الذي قال بتأليهه وجعله أحد أفراد الثالوث في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ؟ ؟ أم قريباً منه ؟ ؟ أم كان مغايراً له ؟ ؟

والإجابة عندنا بدون شك : أن المعنى الذي فسر به الروح القدس في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م كان بعيداً من مخيلة مؤلف الإنجيل الرابع وذلك – حسب ما نراه – لأسباب :

أ – أن المسيح عند مؤلف الإنجيل الرابع هو الله – كما وضح مما سبق من البحث – ولو كان الرح عنده هو الله لما قال بالمغايرة بينهما في قوله :

---

(١) المرجع السابق . ص ٤٦ .

(٢) [أعمال الرسل ٢ : ١ – ٤ ، ١٢] .

« وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلي الأبد » والمغايرة هنا ثابتة بأمرين . نصه على أنه « ..... آخر »[1] .

وثانيهما بالوصف : فإن المسيح هو الطالب ، والمعزي مطلوب ، والأب هو المطلوب منه ، فكل من الثلاثة مغاير للآخر ، كما أن هناك مغايرة بين المسيح والمعزي من حيث الذات والصفات .

ب - أنه وصف الروح المعزي بقوله : « لايتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » ، ولو كان الروح عنده ربًا كاملاً وإلهًا منبثقًا من إله ، لما قال بهذا النص الذي يفيد نقصه عن الألوهية وخضوعه لهذه الدرجة التي لايملك فيها حق حرية النطق ، بل يجعله مجرد آلة تنطق بما تسمع وتخبر بما تؤمر . أي أن هذا الروح لا إرادة له ولا حرية .

جـ - أن هذا الذي نراه مبني على فرض أن مؤلف الإنجيل الرابع هو الذي وصف المعزي بأنه « الروح القدس » وحينئذ فلا معنى للمعزي الآخر . ولكن ذلك لايجعله بريئاً من التناقض . وهذا لازم من الجمع بينهما . ولذلك فنحن نذهب إلي ما رآه الاستاذ موريس بوكاي من أن « كلمتي الروح القدس » مضافة على النص الأصلي بهدف إلغاء فكرة انتظار نبي آخر يأتي بعد المسيح .لأن الكنيسة أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء . قال الاستاذ بوكاي : إذا حذفنا كلمتي « الروح القدس » من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح . ويضاف إلي ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا ، وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم نفس هذه الكلمة " Paraclet " للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله[2] .

وعندما يقول المسيح حسب إنجيل يوحنا[3] « سأصلي لله وسيرسل لكم Paraclet آخر » فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطًا « آخر » كما كان هو وسيطًا لدي الله ، وفي صالح البشر في أثناء حياته على الأرض .

ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ " Paraclet " عند يوحنا كائنًا بشريًا مثل المسيح يتمتع بحاستي السمع والكلام ، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع .

---

(١) [١٤ : ١٦] .　　(٢) [يوحنا ٢ : ١ - ٢] .

(٣) [١٤ : ١٦] .

إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه يوحنا ولنقل باختصار إنه دور نبي يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البشر رسالته . ذلك التفسير المنطقي لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي .

إن وجود كلمتي « الروح الدقدس » في النص الذي نملك اليوم قد يكون نابعًا من إضافة لاحقة إرادية تمامًا تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض بإعلانها بمجيء نبي بعد المسيح ، مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التي أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء »[1] .

هل هناك ما يؤيد زيادة غير المؤلف في النص :

وربما لانجد كلام بوكاي في حاجة إلى توضيح قدر حاجته إلى الإجابة عن التساؤل الذي فتح بابه باحتمال دخول زيادة على أصل النص ، وهناك من ذهب إلى ذلك وهو القس جورج أبلتون ، حيث قال بأن الفقرة الأخيرة من الأنجيل ليست من نص المؤلف وإنما هي من نص الجماعة المسيحية في كنيسة أفسس . قال أبلتون :

« وفي مكان آخر نجد جماعة آخرين يثبتون شهادة يوحنا : « هذا هو التمليذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق[2] ، وإن صيغة الجمع الواردة في هذه الآية لابد وأن تشير إلى الجماعة المسيحية التي إليها كتب يوحنا هذا الإنجيل . وبموجب التقليد فإن تلك الجماعة كانت كنيسة أفسس في آسيا الصغرى »[3] .

وذهب بعض المفسرين إلى القول بأن الإصحاح الأخير لم يكن بالنص الأصلي الذي كتبه المؤلف الذي كان آخره فيما يبدو تلك الفقرة التي ختم بها الإصحاح الذي قبله[4] .

---

(١) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٨ .

(٢) [يوحنا ٢١ : ٢٤] .

(٣) جورج أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا . سلسلة الكتاب المسيحي – ترجمة إبراهيم مطر . ص ١٣١ .

(٤) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٥٥٢ ، ص ٥٥٣ .
وجورج أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا . ص ١٣١ .

الروح القدس بين لفظه ، ومعناه اللاهوتي . غامض :

ويمكن لنا هنا أن نستخلص أن من المحتمل جداً وهو المرجح لدينا أن لفظ «الروح القدس» مضاف إلي أصل نص يوحنا ، وذلك كما ذهب إليه بوكاي . ولذلك نظير فيما ذهب إليه وسلم به أبلتون وباركلي وآخرون .

ويمكن لنا أن نستخلص أيضًا أن لفظ « الروح القدس » لم يكن في ذهن واضعه - سواء كان هو مؤلف الإنجيل الرابع أو غيره - بالمعنى الذي ظهر في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م ، وهو ذلك المعنى الذي تواطأ عليه خبراء اللاهوت ، يقول حبيب سعيد « وواقع الحال أنه فيما يتعلق بعقيدة الروح القدس ، لم يكن الوقت قد حان للتأويل الكامل في العهد الرسولي ، ولم يتطور الفكر اللاهوتي في تلك الفترة ليصاغ في عقيدة لفظية واضحة المعالم » [١] .

أي أن الذي وجد من الروح القدس في العصر الأول هو اللفظ بمعناه القديم ، وأن الذي استحدثه خبراء اللاهوت بعد ذلك في مجمع القسطنطينية هو عقيدتهم في الروح القدس الإله الثالث الذي يتكون منه مع الأب والإبن الإله الواحد .

هل عقيدة الروح القدس بالمعنى اللاهوتي سهلة الفهم أم هي عقبة وعثرة ؟

لاسهولة فيها ولا يمكن للعقل قبولها - وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك - ونضيف هنا ما قاله الاستاذ حبيب سعيد بخصوص عقيدة الروح القدس التي أنتجتها عبقرية خبراء اللاهوت من قوله :

«ولست أنكر أن مثل هذه الألفاظ اللاهوتية تقف عقبة كأداء أمام الفكر المعاصر، وخاصة بين شباب المفكرين ، ولكنها عقبة لامناص من مواجهتها ، ولسنا نرضى أن نترك هذه العقيدة الجوهرية في المسيحية لغزًا لا معنى له ، وعثرة أمام التفكير العصري الحديث ، أجل لابد من التسليم بأن ذات الله ستبقى سرًا يفوق مداركنا البشرية» [٢] ، وليت القوم ينتهون عن هذه العثرة فيريحون ويستريحون . ولكن الأمر

---

(١) حبيب سعيد : الروح القدس في العصر الحديث . ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق . ص ٦٢ .

كما قال بعضهم إن « اللاهوت العقلي يبحث باجتهاد شديد عن إله يتناسب مع العقل والمنطق ، ولكن ليس بين عقل الإنسان والله نسبة على الإطلاق ، ومنطق البشرية بعيدة عن منطق الله .

اللاهوت العقلي الذي يشغل أذهان غير الروحيين يحاول أن يشكل مسيحاً جديداً، فهو يضيف على المسيح ما ليس له ويحذف من المسيح ما له حتى يصنع مسيحاً مناسباً مع فكر الإنسان ...... »[1] .

وقد اختلف خبراء اللاهوت بشأن الروح القدس من ناحية ولادته ونبثاقه : فقد ذهبت الكنيسة الغربية إلى أن الروح القدس منبثق من الأب فقط ، بينما ذهبت الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية إلى أنه منبثق من الأب بالإبن [2] . وهناك كثير من المشاكل خاصة بعلاقات الأقانيم بعضها ببعض ، من ناحية الذوات والأفعال والصفات . وهي مشاكل مؤكدة لإصرارهم على المحال .

المعزي والروح القدس بتناقضهما في مواجهة النص :

لاشك إذن في أن منطق التثليث البشري بعيد عن منطق الله ، وأن عقيدة الروح القدس اللاهوتية عقبة أمام العقل وعثرة ، وأنها بذلك تتناقض مع ما كان مفهوماً لدى العصور الأولى عن الروح القدس – وهو أنه الوحي أو ملاك الله الموكل به – .

وأنه بهذا المعنى أو ذاك متناقض مع الوصف الواضح الصريح عن شخصية المعزي أو المعين ، أو المنهض ، أو المدافع ، (أو المشير كما ذهب إلى ذلك أبلتون) [3] فهذا المعزي يفيد أنه آخر لايتكلم من نفسه بل يُبَلِّغُ ما يؤمر به ...... إلخ صفاته .

ونحن ننتقل بهما لنواجه النص في مكانٍ آخر لنرى رأينا في موضوع المعزي كما يبدو من خلال نص يوحنا : فنجده يتحدث عن المعمدان قائلاً : –

« وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ، فسألوه إذًا ماذا إيليا أنت ؟ ؟ فقال لست أنا ، النبي أنت . فأجاب لا . . . . . . »[4] .

---

(١) رسالة بيت التكريس رقم (٢٠) . الباراكليت الروح القدس في حياة الناس . ص ١١٠ .

(٢) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا . جـ ٣ . ص ٣٨٥ .

(٣) جورج أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا . ص ١٠٤ سلسلة الكتاب المسيحي ترجمة / إبراهيم مطر

(٤) [١ : ١٩ – ٢١] .

وبحسب هذا النص فإن علماء اليهود من الكهنة واللاويين الذين أرسلوا إلى المعمدان كانت لديهم فكرة مسبقة عن أشخاص ثلاثة كانوا ينتظرون ظهورهم ، وهم المسيح وإيليا والنبي .

وبحسب هذا النص أيضاً نفى المعمدان عن نفسه أن يكون أحدهم وقد جاء المسيح فيبقى اثنان . لس يوحنا أحدهما لأنه ليس إيليا ، ولا النبي . وقد سبق لنا عند الحديث عن المعمدان : أننا رجحنا ما ذهب إليه غير مؤلف الإنجيل الرابع من أن يوحنا المعمدان هو المقصود بإيليا ، لما بينهما من تشابه ولما نص عليه غير مولف الإنجيل الرابع من أنه كان يتقدم بروحه .

وتبقى نبوءة ظهور النبيء الآخر شاغرة لاتصدق على المسيح لأنه وإن كان نبياً فإنها لاتصدق عليه لأنه منصوص عليه باسمه ، ولو كان هو المقصود بهما لما كان هناك ما يدعو للتمييز بينهما لكنهم في منطق علماء اليهود ثلاثة ، ولما كان المسيح مقصوداً باسم فليس هو إيليا وليس هو النبي . وهي أيضاً لاتصدق على المعمدان لما أسلفنا من أنه المقصود بإيليا .

وهذا النص يعتبر دليلاً على أن اليهود بحسب ما لديهم من الكتب كانوا ينتظرون ثلاثة ، وأن هذا كان مشهوراً لديهم ومعروفاً ، وقد جاء اثنان وبقي الثالث ، وهي النبي المنتظر في ذلك الوقت . فهل هو المعزي ؟ ؟

ولابد من السؤال عن المعزي هل هو الروح القدس ؟ ؟ أم هو المعزي باستبعاد لفظ «الروح القدس» وأنه آخر كما يظهر من صفاته . . . . ؟ ؟

إن كان المعزي هو الروح القدس فهو إله أو ملاك لانبياً . . **وعلى القائل بأن المعزي هو الروح القدس أن يوضح لنا من المقصود إذن بالنبي المنتظر الذي كان اليهود يسألون المعمدان عنه ؟ ؟**

وإن لم يكن المعزي هو الروح القدس فهل هـو النبي المنتظر إذن ؟ ؟ أنهما متغايران بدون شك .

تعقيب لابد منه :

وربما لزم أن ننوه هنا استطراداً للحديث عن المعزي الآخر ، أن نقول إننا كمسلمين نعتقد أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قد أخبر بني إسرائيل عن

ظهور نبي من بعده ، وأنه يسمى أحمد . وذلك كما قال الله تعالى

﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لايهدي القوم الظالمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾(1) .

أرأيت إلى حديث الله بعد خبر تبشير المسيح قومه برسول يأتي من بعده اسمه أحمد ، وأنهم كذبوه ، كيف وصف الله أولئك القوم الذين يظلمون بافترائهم الكذب على الله وهم يُدْعَوْنَ إلى الإسلام ، وأن الله فضح نواياهم فيما يريدونه من إطفاء نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كرهوا .

وقد أظهر الله دين الحق على يد رسول الهدى أحمد ولو كره المشركون الحاقدون . وبهذا يتضح لنا ما أضمره أولئك الذين تعمدوا فيما مضى والذين يتعمدون الآن أن يحرفوا ما بأيديهم من نبوءات عن الرسول الخاتم .

ونحن لانرتضي لأنفسنا أن نسلك الطريق الذي يسير فيه الكثيرون من علماء المسلمين من التمسك بهذه الكتب لتفسير ما جاء بها من بشارات عن النبي المنتظر - الذي سأل كهنة اليهود المعمدان عنه - بأنه المقصود بها هو محمد ﷺ . فيصبحون بعلمهم هذا وقد اعترفوا اعترافًا ضمنيًا بصحة هذه الكتب على ما بها - وهذا مثل من تاج الكتاب المقدس - ولايمسي الواحد من المسلمين الذي يفعل ذلك - بعد تعب ومشقة - إلا ويفاجئه أتباع الكتاب المقدس بتأويل ما عمد إليه من نبوءات كتابهم إلى ضروب من التأويل والتحوير بحيث يصرفونها عن الطريق الذي رآه لها . ولهم الحق في تأويل كتابهم وتفسيره بالدرجة الأولى قبل غيرهم ولا يماري في ذلك أحد . وهذا حقنا مع كتابنا كما هو حقهم مع كتابهم - ولا حق لهم في تأويل كتابنا دوننا ، فلا حق لنا في كتبهم مثل كتابنا .

---

(1) قرآن كريم : سورة الصف : آية [٥ - ٨] .

وإنما من حقنا فقط بالنسبة للنبوءات أن نتساءل . ونحن نتساءل هنا من هو النبي المنتظر الذي سأل اليهود المعمدان عنه ؟ ؟ ومع هذا الوضوح فيمن نقصده نحن بهذا السؤال فنحن علي يقين وثقة بأن القوم سيقولون إنه المسيح . الذي هو الله المتجسد ، وهو الابن المولود وهو الإله المصلوب ، وهو الذي يحيي ويميت ويعمل بمشيئة الأب دون مشيئته ، وهو في الأب والأب فيه وهو الرب الإله الذي دفع الأب كل شيء إلى يديه . وهو به كل شيء . . . . إلخ ذلك وهم معترفون بأن اللاهوت العقلي يبحث باجتهاد شديد عن إله يتناسب مع العقل والمنطق ولكن ليس بين عقل الإنسان والله - بحسب تصورهم لما يعبدونه - نسبة على الإطلاق .

ولذلك فنحن نعود هنا لنحذر أتباع محمد ﷺ وهل تتوقف نبوة محمد ﷺ على إثبات كتب حرفت ، وبدلت ، وزيدت ، وأنقصت ، وطمست معالم الحق فيها ؟ ؟ إن نبوة محمد ﷺ ثبتت بالكتاب الخالد الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل لايزال هو المعجزة الباقية من معجزات جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهي معجزة باقية إلى أبد الآبدين لتعرف الخلق بربهم وتدعوهم إليه ولترغم أنف المكابرين وتتحدي المنكرين ولايزال القرآن يتحدى .

بل إن وجود المسيح عليه السلام ، كان قد تطرق إليه الشك لدى بعض أبناء مجتمع الكنيسة يومًا ما حتى تساءل قوم . هل كان شخصية حقيقية أم كان أسطورة وخرافة ؟ ولولا القرآن لعمت هذه الموجة واقتلعت جذور الكنيسة . هل من بيده مثل هذا الكتاب الخالد في حاجة إلى كتب لتحدثه عن ربه وبعض رسله بعدما ضاع فيها الحق وتبدد ، وانقلب حالها إلى النقيض حتى الحد الذي صار فيها المخلوق هو الخالق وانعدم في منهجها الميزان والفارق . ؟ ؟

ولايملك أي من اليهود أو النصارى دليلاً على نبوة موسى أو عيسى يتسامى إلى مثل ما يملك أتباع محمد من دليل على نبوته فضلاً عن باقي الأنبياء ، بل إن معجزات سابقي محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد مضت وانتهت ، ولاتزال معجزته هي الخالدة ولايزال القرآن يتحدى .

ونعود إلى المعزي والروح القدس .

وننتهي هنا إلى التساؤل :

إذا كان المعزي هو الروح القدس ، الذي وصف بأنه : « يمكث معكم إلى الأبد -

ماكث معكم ويكون فيكم - ذاك روح الحق يرشدكم إلي جميع الحق .... » فلماذا إذن لم يظهر أثره في تنفيذه الصلاة المعطلة . هل عجز الرب المحيي عن تنفيذ رغبة المسيح الإله المتجسد ، وإذا كانا معطلين منذ قرابة ألفي عام وحتى يومنا هذا فمتي يزول عنهما هذا العجز ، بل وأين الإله الأب من زميليه في الشركة المقدسة التي يتكون من أفرادها : الأب والإبن والروح القدس الإله الواحد ؟ ؟

ونتيجة النتائج في موضوع المعزي أنه أصل معالج بزيادة وصف (الروح القدس) وكذلك وصفه بأنه «معكم ... فيكم» وهذه زيادات من الممكن أن تتلاعب بها أيدي النساخ كما هو الشأن بالنسبة للنص .

وإلى هنا ننتهي إلى خاتمة الحديث عن النوع الأول من القصص وهو النوع الذي له واقع تاريخي عالجه المؤلف للوصول إلى أهدافه ، أو عالجه من جاء بعده بالإضافة . وهذا النوع شمل حديثه عن المعمدان - يوحنا بن زكريا - :

وقد عالج ما ذكر عنه معالجة هادفة ، فإن من الأهداف التي ألف إنجيله لتحقيقها - باعتراف الكنيسة شرقًا وغربًا - هدف محاربة أتباع يوحنا بن زكريا ، وقد سلك إلى ذلك طريقًا بدأ بالحط من قدره ، وانتهى إلى أن صوره معترفًا بألوهية المسيح ، وأن دوره لم يزد على كونه خادمًا سبق السيد . إلى غير ذلك من النتائج التي استخلصناها في نهاية حديثنا عن موقفه من المعمدان .

كما شمل هذا النوع حديثه عن الصلاة الأخيرة للمسيح ، التي عرضناها بالإسم الذي اختاره لها بعض المفسرين لهذا الإنجيل وهو : « الصلاة المعطلة » ونحن لانشك في أن المسيح عليه السلام كان يصلي لله ويعبده ويسأله . وهذا لاشك واقع ولكن المؤلف الفيلسوف صور لنا صلاة فلسفية وذلك لتحقيق هدف ألف إنجيله لتحقيقه - باجتماع الكنيسة شرقًا وغربًا - وهو محاربة الاتجاهات التي ظهرت كبوادر للإنشقاق فعالج موضوع الصلاة المذكورة . ويبدو أنه كان يتوقع أن تتحد الكنيسة وأتباعها ولايحدث تفرق وانشقاق ، ولذلك فقد عرض الصلاة التي يظهر فيها المسيح يطلب وحدة بين أتباع الكنيسة كالوحدة التي بينه وبين الله ليكون الجميع واحداً كما أنه هو والله الأب واحد ، ليكونوا فيّ وأنا فيهم كما أنك أنت فيّ وأنا فيك . وهذا الرجاء الذي لم يتحقق على مدى ألفي عام ، ولايبدو أنه سيتحقق دليل على افتعال المؤلف لما نقله من

صفة هذه الصلاة والدليل على ذلك أنها منكرة من الأناجيل الثلاثة . وأنها تلزم كل مؤله مثله للمسيح . أن يكذب ربه ويستضعفه أو يكذب النص الذي ألهه .

وكان آخر ما عرضنا من هذا النوع الذي له واقع تاريخي حقيقي ، - لكن ليس بالصورة التي توجد بنصه . لأنه عالجه بنفسه أو عالجه غيره - هو ما جاء بالنص عن المعزي ، وهو معنى من المعنيين يحتملهما أصل لفظ البشارة اليوناني . (الفارقليط) وأن المعنى الثاني « الذي له حمد كثير » أي محمد أو أحمد كما ذهب إلى ذلك الشيخ النجار والشيخ رحمة الله الهندي .

وأن هذا النص من المحتمل علاجه بيد غير المؤلف ، ونرجح أن يكون ذلك بيد أحد من النساخ من غيره ممن جاء بعده ولذلك نظير فيما ذكرنا ، وذلك لأن النص يتناقض وأن هذا المعزي ليس هو الروح القدس الذي أقحم لفظه في ثنايا النص وعلى فرض أنه هو فإن النبوءة تبقى خالية عن مضمونها ، لأن النص يثبت أن اليهود كانوا ينتظرون نبياً آخر غير يوحنا المعمدان - يحيى بن زكريا - وغير المسيح .

وإن مما زِيدَ وعولج النص به ما وجد به من القول « معكم وفيكم » لأن هذا النبي لم يكن مع بني إسرائيل وليس فيهم . وفي ذلك كفاية والقضية هنا ليست قضية تصديق أو تكذيب على طول الخط .

فإن هذا النص العجيب يشمل كثيراً من المتناقضات ، وعلى كل فليست نبوة محمد ﷺ في حاجة إلى تصديق مثل هذا النص ، فقد أظهره الله وأيده ولو كره المشركون .



القسم الثاني

« القصص المشكوك في واقعيته »

أولاً : نثنائيل

ولم يذكره غيره من مؤلفي الأناجيل الثلاثة .

التقى التلميذ المدعو فيلبس بنثنائيل هذا وقدمه للمسيح فصار من أوائل المؤمنين وحينما رآه المسيح لأول مرة حسب نص يوحنا قال : « هوذا إسرائيلي حقًا لا غش فيه ، قال له نثنائيل من أين تعرفني ، أجاب يسوع وقال له : قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك ، أجاب يسوع وقال له : هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة سوف ترى أعظم من هذا »(١) .

هل هو اسم لشخصية حقيقية أم لشخصية رمزية غير حقيقية :

يقول باركلي في تفسيره « يعتقد البعض أن نثنائيل ليس إنسانًا فعليًا على الإطلاق ، وأنه لايعدو أن يكون صورة مثالية لكل إسرائيلي غيور القلب ، نقي النفس ، يستطيع في إيمانه المتصنع أن يحطم قيود العنصرية الكاذبة ، ويتقدم راكعًا عند أقدام المسيح فهو رمز لكل إسرائيلي يؤمن بالمسيح في كافة العصور والأجيال »(٢) .

والسبب في ذلك : أن هذا النص يصور لنا أن نثنائيل كان أحد التلاميذ الأوائل الذين آمنوا بالمسيح في بداية أمره ، وكان ذلك قبل بدء خدمته الجهرية . ومع ذلك فإن نثنائيل لم يذكر في الأناجيل الثلاثة الأخرى ضمن تلاميذ المسيح . ! !

ويقول باركلي أيضًا في تفسيره :

« ترى من يكون نثنائيل هذا ؟ في البشارة الرابعة ، يبدو نثنائيل أمامنا كواحد من التلاميذ الأوائل الذين آمنوا بالمسيح ، ولكن اسمه لايَرِدُ في البشائر الثلاثة الأخرى ، ترى ما هو الحل لهذا المشكل ؟ »(٣) .

وهو مشكل يحير ألباب المؤلهين لأنهم يخشون أن يقولوا إن الإنجيل الرابع شاذ في عقيدته ، وتاريخه ، وما يذكره من وقائع . . . وهو معارض للأناجيل الثلاثة . . . ويستحق الإنكار والرفض .

---

(١) [١ : ٤٧ - ٥٠] .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا. جـ ١. ص ١٣١.

(٣) المرجع السابق . ص ١٣١ .

وقد ذكرت أسماء التلاميذ في متى (١) وفي مرقس (٢) وفي أعمال الرسل (٣) ولم يذكر بينها نثنائيل .

وكان الحل لهذا المشكل صراحة هو ما ذهب إليه الذين أنكروا وجود نثنائيل الفعلي على الإطلاق ، وقالوا بأنه صورة رمزية من الخيال لكل من يؤمن بالمسيح من الإسرائيليين .

لكن الذين يريدون تأليه المسيح يحزنهم كشف الحجب عن خيال الكاتب الذي ألبسه ثيابًا من الزيف التاريخي . وهم لأجل ذلك يحرصون على التماس التأويلات ، والاحتمالات حتى يدفعوا عنه بقدر المستطاع ما يريده الله به من الظهور على حقيقته ، واشتهار ذلك عنه بين الناس . وكثيرون منهم يجنحون إلى ضروب التأويل البعيد والتخمين المشين وما لهم بذلك من علم . فلا يمكن لمن كان هذا حاله أن يغني شيئًا عن إنجيل الفلسفة ، ولا هو بالذي يبقى على شخصه بعيداً عن النقد لما بيديه من الإغراق في الخيال وإهدار العقل .

ولذلك ومن ذلك ما قام به المؤولون المؤلهون في موضوع هذا الاسم الشاذ الذي تفرد به مؤله المسيح في هذا الإنجيل ، قال وليم باركلي :

« ظن بعض المفسرين أن نثنائيل هو « متى » لأن الإسمين معناهما هبة الله ، ولقد عرفنا أن العادة جرت في تلك الأزمنة أن يكون لكل إنسان اسمين . ولكننا قلنا إن واحداً من الإسمين لابد وأن يكون اسماً يونانيًا ، والآخر اسماً يهوديًا . وهنا متى ونثنائيل اسمان يهوديان » .

ونكتفي نحن بهذا الرد الذي رد به هذا القول ، أما الرأي الذي اختاره الدكتور وليم باركلي فهو رأي لم يقطع به ، وإنما هو احتمالي . خلاصته في نصه :

« من المحتمل جداً أن نثنائيل وبرثولماوس هنا اسمان لشخص واحد » (٤) ورجح ذلك أيضًا الدكتور إبراهيم سعيد وعلل ذلك بقوله :

« من المرجح جداً أن نثنائيل هو برثولماوس سيما وأن برثولماوس ليس اسماً بل كنية ومعناه : ابن تلماي – أي « ابن الحارث » وربما عرف في بعض الأوساط باسم

---

(١) [١٠ : ٣ ، ٤] .

(٢) [٣ : ١٦ – ١٩] .

(٣) [١ : ١٣] .

(٤) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا جـ ١ . ص ١٣٣ .

نثنائيل وفي البعض الآخر بكنية « ابن الحارث »[1] .

ونحن نلاحظ : على الرأي الأخير أنه يجنح إلى التأويل ، والتكلف ، مما يحيد به عن جادة الصواب .

والدليل :

١ - أن الوسط الذي عاش فيه برثولماوس مع المسيح وبقية التلاميذ واحد ، وهو إذا غلب عليه أحدهما عرف به . وحينئذ تكون الكتابة عنه بما عرف به ، إما «نثنائيل» أو «برثولماوس» فإذا اتفق مؤلف متى مع مؤلف مرقس مع مؤلف سفر أعمال الرسل - الذي ينسب للوقا - على اسم « برثولماوس » دون الإشارة إلى « نثنائيل » فإن ذلك يعني كتابتهم عن شخص سمي بهذا الإسم أو الكنية وعرف به في وسطهم .

٢ - أنه جرت عادة المؤلفين في الكتابة عن المسيح وتلاميذه أنه إذا كان لأحدهم اسمان غلب أحدهما أو لم يغلب ذكر الاسمان معًا . فقد نص متى قائلاً :

« وأما أسماء الإثني عشر رسولاً فهي هذه ، الأول سمعان الذي يقال له بطرس وأندراوس أخوه ، يعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه ، فيلبس وبرثولماوس توما ومتى العشار ، يعقوب بن حلفي ولباوس الملقب تداوس ، سمعان القانوي ويهوذا الإسخريوطي »[2] فهذا لم يذكر اسم « نثنائيل» لامنفرداً كمن أفرد ، ولا مزدوجاً مع غيره لشخص واحد ، كما أنه عرف بطرس بأنه كان يسمى سمعان . ولباوس ولقبه تداوس ، ولم يذكر برثولماوس بأنه كان يسمى نثنائيل .

وكذلك جاء ذكر «برثولماوس» مفرداً في نص مرقس[3] في حين جاء ذكر بطرس باسميه (بطرس وسمعان) كما ذكر أن المسيح سمي ولدي زبدي « بوانرجس أي ابني الرعد »[4] ويعقوب بن . . . . وسمعان الـ . . . . ويهوذا الـ . . . ومع ذلك لم يذكر بين هؤلاء اسم نثنائيل ، ولا أن برثولماوس كان يسمى . . . . أو ابن . .

٣ - ولايبقى من مخرج مقبول سوى أن الأمر فيما يختص باسم نثنائيل . أنه اسم لشخصية وهمية خيالية غير واقعية ، أريد به الرمز للإسرائيلي الحقيقي الذي لا غش فيه ، وهو الذي يشهد للمسيح كما نص المؤلف على لسان نثنائيل هذا قائلاً للمسيح :

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٧٩ . (٢) [متى ١٠ : ٢ ، ٤] .
(٣) [٣ : ١٦-١٩] . (٤) [٣ : ١٧] .

« أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله ، أنت ملك اسرائيل »[1] .

٤ – ولايقبل عقلاً من مثل الدكتور باركلي أن لايقبل رد رأيه بمثل ما رد به رأي الذين ظنوا أن نثنائيل هو متى ، لأن حمل الإسمين لايتأتى إلا في حالة أن يكون أحدهما عبري والآخر يوناني وهما عبريان ، ونفس السبب هو ما نراه هنا في الإسمين : نثنائيل ، وبرثولماوس . مع أنه لو كان له هذا الاسم بجوار الكنية لذكر ، كما ذكر صاحب الإسم والإسمين ، والإسم واللقب ، والإسم والصفة .

٥ – ولو كان كاتب يوحنا يقصد برثولماوس . لأشار إلى ذلك . ولو كان له علم بالأناجيل ما خالف .

ونحن نرى ما رآه أصحاب الرأي الأول ، ونراه أجدر بالقبول من غيره ونؤكد : أن نثنائيل ليس إنسانًا فعليًا على الإسلاق ، وأنه لايعدو أن يكون صورة رمزية خيالية جاء به يوحنا الشيخ اللاهوتي لكي يستنطقه بالشهادة للمسيح « أنت ابن الله أنت ملك اسرائيل » كما استنطق المعمدان بما سبق أن وضحناه .

وننتقل الآن إلى قصة أخرى من قصصه الفريدة ، لنرى حظها من الواقعية أو الرمزية ..

ثانيًا : حكاية المرأة التي أمسكت وهي تزني

نص المؤلف في بداية الإصحاح الثامن :

« ثم حضر أيضًا إلى الهيكل في الصبح وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم ، وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة امسكت في زنا ، ولما أقاموا في الوسط قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل ، وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم ، فماذا تقول أنت ، قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه ، وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض ، ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر ، ثم انحنى أيضًا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض ، وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدًا فواحدًا مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة

---

(١) [١ : ٤٩] .

في الوسط ، فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحد سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك ، أما دانك أحد ، فقالت لا أحد يا سيد فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبي ولاتخطئي أيضًا »[1] .

سبق أن تحدثنا عن موضوع هذه الحكاية في الأمر الثاني من مقدمة الباب الثاني الذي لا زلنا فيه تحت عنوان « مدينة الإنجيل الرابع - أفسس - » ولانتحدث هنا عن أفسس فقد سبق لنا حديث كبير عنها . ولكن الذي يلزمنا هنا أن نؤكد ما قاله الدكتور وليم باركلي في تفسيره لسفر الرؤيا في حديثه عن أفسس قال :

« كانت أفسس كما رأينا مركزًا لعبادة أرطاميس ، وكانت مركزًا للفساد والأجرام ، فقد كان المجرم الذي يصل إلى هيكل أرطاميس يصبح في حماية أرطاميس ، وكان يتبع الهيكل عدد كبير من العاهرات اللواتي كرسن أجسادهن لجنب المتعبدين ، وكان اختلاف الجنسيات ، ووجود المجرمين الفارين ، وفساد العبادة في الهياكل من أكبر أسباب الفساد الأليم ، وكان هيراكليتوس من أشهر الفلاسفة القدامى المعروف باسم « الفيلسوف الباكي » وكان يفسر بكاؤه بأنه على فساد أهل أفسس »[2] وهذا الفيلسوف هو أول قائل بنظرية الإله الكلمة - اللوجوس - في الفكر اليوناني وكان سبب بكائه « هو فساد أهل أفسس » التي ألف الإنجيل الرابع تلبية لرغبة أهلها لتأليه المسيح .

١ - عقوبة مرتكب جريمة الزنى حسب شريعة موسى :

يرجم حتى يموت . كما جاء في سفر التثنية :

« إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموها حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة والرجل من أجل أنه أذل امراة صاحبة . . . »[3] .

---

(١) [٨ : ٢ - ١٢] .
(٢) وليم باركلي : تفسير سفر الرؤيا . ص ٧١ .
(٣) [تثنية ٢٢ : ٢٣ ، ٢٤] .

٢ - المسيح يتشدد في التمسك بالشريعة في منع الزنا حسب نص متى :

حسب رواية متى الذي قال على لسان المسيح :

« قد سمعتم أنّه قيل للقدماء لاتزن ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه ، فإن كانت عينك تعثرك فاقلعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولايلقى جسدك كله في جهنم . . . »[١] .

ونقصد أن المسيح حسب نص متى يتشدد في التمسك بالحكم ، لأن الذي ينظر إلى امرأة بشهوة يعتبر زانيًا ، وخير له أن يقلع عينه التي تعثره . والمسيح بهذا يؤكد أنه ما جاء لينقض الناموس أو الأنبياء بل ليكمل . وهذه الصورة أقرب إليه من تلك التي تتناقض معها من قول يوحنا مؤلف الرابع . ! !

٣ - موقف السلطات الرومانية :

« كان الناموس اليهودى يقضى برجم من يمسكون في زنى ، وكانت السلطات الرومانية تسمح لهم بتنفيذ هذا ، ولذلك قدموها أمام المسيح » وذلك كما قال متى هنري في تفسيره »[٢] .

٤ - هل لهذه القصة أصالة تاريخية :

أ - قال الأنبا اثناسيوس صاحب كتاب « دراسات في الكتاب المقدس إنجيل يوحنا » : «أمام هذه القصة لابد من الإشارة إلى أمر هام قبل التأمل فيها . فإن بعض المخطوطات القديمة لاتذكرها . وإنما هي عمت المخطوطات ابتداء من القرن السادس» .

ثم علل إغفال هذه المخطوطات القديمة من قبل القرن السادس لها بأنه : «خوفاً من أن يأخذها الناس ذريعة للإباحية »[٣] .

---

(١) [متى ٥ : ٢٧ - ٢٩] .   (٢) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا . جـ ٢ . ص ١٨٥ .

(٣) الأنبا اثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا : إنجيل يوحنا . ص ١٦١ ، ١٦٢ .

ب - كما قال بأنها : وردت على هوامش بعض المخطوطات التي ذكرت فيها قال : «وقد وردت هذه القصة على هوامش بعض المخطوطات كأنها إيضاح للفقرة التي تبدأ بالآية (٨ : ١٥) « أنتم حسب الجسد تدينون أما أنا فلست أدين أحداً » .

جـ - وقد نقل الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب « إظهار الحق » عن كثير من كبار المفسرين مثل هورن ووارد كاتلك ونورتن بأن القصة برمتها الحاقية [١] .

٥ - هل هناك من سبب لتعطيل حكم الشريعة في هذه القضية ؟ :

لاسبب مطلقًا من الأسباب المعتبرة . فهذه الجموع قالوا بالنص : أمسكت وهي تزني في ذات الفعل « ولم ينكر ذلك أحد ، ولا المرأة . فكان المنتظر من المسيح أن يقول بأنها تستوجب تنفيذ الحكم .

أما قوله : « من كان منكم بلا خطية فليرمها » فلايشترط ذلك أبدًا في شريعة بني إسرائيل التي قال إنه جاء مكملاً لها كما وضح من رواية متى حتى أنه يعتبر النظرة بشهوة في حكم الزنى .

٦ - لماذا غاب عن المؤلف الإشارة إلى الزاني الذي أمسكت معه ؟ ؟ :

وهذا عجيب فإنه في الوقت الذي قال « إنها أمسكت .... في ذات الفعل » لم يوضح من الفاعل الذي كان معها ؟ هل أُمسِكَ أم فر ؟ وكان المقتضى أن يسأل المسيح مع من ؟ ؟ أو يضيف هو من عنده ما يوضح الموقف .

٧ - موقفنا نحن . من هذه القصة :

أ - نحن نبريء المسيح من نسبة هذه القصة الإباحية إليه ، كما نبرئه من التهاون في التمسك بحكم الشريعة .

ب - ونرى في نص متى الذي أوردناه الذي جاء في موضوع الزنا وتمسك المسيح بتحريمه وتشدده في الحكم بأن الناظر بشهوة يعد زانيًا . نرى في ذلك أهم دليل على غيرة المسيح وهو تكذيب صارخ لقصة الإنجيل الرابع الإباحية .

جـ - كما نبريء تلاميذ المسيح عن ذلك الذي برأنا منه المسيح .

---

(١) رحمه الله الهندي : إظهار الحق . جـ ١ . ص ٢٦٤ .

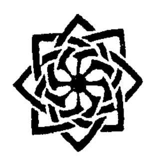
د - كما نرى هذه القصة الإباحية من أقوى الأدلة على نفي نسبة هذا الإنجيل إلى تلميذ المسيح يوحنا بن زبدي برأه الله من ذلك . لأن الذي يعلمه أستاذه أن يقلع عينه الزائغة لايكتب مثل هذه القصة الإباحية .

هـ - كما نرى أن القصة من صنع مؤلف الإنجيل الرابع الذي ألفه استجابة لرغبة أهل أفسس وأنه وضع هذه القصة من أجلهم ، ولذلك نظير حين وضع بولس الختان عن الأمم . . . . إلخ .

و - أن هدفه من ذلك هو إقرارهم على المألوف من عاداتهم وعباداتهم في أرطاميس مع كاهنات المعبد بائعات الجسد . وذلك بهدف خدمة الكنيسة وعقيدتها .

ز - أن النسخ القديمة من قبل القرن السادس الميلادي التي لم يكن بنصها هذه القصة دليل على ما ذهبنا إليه ، ويبدو لنا أنها نسخ غير نسخة أفسس ، في بلاد كانت تستنكر تلك الفاحشة ، وأن النسخ القديمة التي كانت بها أفسسية سواء وجدت في النص الأصلي أم أضيفت بيد أفسسي إرضاء لأرطاميس وكاهناتها وعبادها .

ح - أن الكنيسة تتمسك بأصالة القصة ، وهي بذلك تجعل هذا الإنجيل يتناقض مع شريعة موسى ، وإنجيل متى ، وهو بعدما قدمنا إنما جارى رغبة أهل أفسس .



ثالثًا : قصة السامرية

ولم يذكرها غيره من مؤلفي الأناجيل الثلاثة .

ذكر النص عن المسيح أنه جرى بينه وبين امرأة سامرية من سوخار حوار طويل كما يلي :

« فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه ، وكانت هناك بئر يعقوب ، فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر ، وكان نحو الساعة السادسة ، فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء ، فقال لها يسوع أعطيني لأشرب ، لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا ، فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية ، لأن اليهود لايعاملون السامريين . أجاب يسوع وقال لها لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيًا ، فقالت له المرأة يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحي ، ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ، أجاب يسوع وقال لها . كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضًا ، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء إلى حياة أبدية ، قالت له المرأة . يا سيد أعطني هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي ، قال لها يسوع : اذهبي وادعي زوجك وتعالى إلي هنا .

أجابت المرأة ليس لي زوج ، قال لها يسوع حسنًا قلت ليس لي زوج ، لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك هذا قلت بالصدق ، قالت له المرأة : يا سيد أرى أنك نبي . آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه . قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب . أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم ، لأن الخلاص هو من اليهود ، ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له،

الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا، قالت له المرأة :

أنا أعلم أن مسيًا الذي يقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء ، قال لها يسوع : أنا الذي أكلمك هو .

وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة . ولكن لم يقل أحد ماذا تطلب ، أو لماذا تتكلم معها ، فتركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت ألعل هذا هو المسيح . فخرجوا من المدينة وأتوا إليه . . . .

فلما جاء إليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم فمكث هناك يومين ، فآمن به بسبب كلامه ، وقالوا للمرأة إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا . ونعلم أن هذا هو بالحقيقية المسيح مخلص العالم »[1] . .

وقبل أن نبدأ مناقشة القصة يجمل بنا أن نقف لنلقي نظرة عاجلة على هذا المكان وساكنيه ، وقد سبق لنا في الحديث عن طبيعة البيئة وأرض ميلاد المسيح في «الباب الأول» . أننا قلنا :

« يقع إقليم السامرة جنوب الجليل ومن أهم مدنه قيصرية وسوخار ، والسامرة ، وإلى الجنوب من السامرة تقع اليهودية . . . » .

وقد كانت هذه الأرض تقسم في زمن المسيح إلى أقسام إدارية ثلاثة ، الجليل في الشمال ، واليهودية في الجنوب ، والسامرة في الوسط . وكان لابد لمن أراد أن ينتقل من الجليل إلى اليهودية أو العكس أن يمر بالسامرة لكي يعفي نفسه من المشقة فيما لو تحاشى أرض السامرة . فإن ما يقطعه في ثلاثة أيام مارًا بها ، يحتاج إلى ستة أيام إذا هو لم يمر بأرضها .

ويحدثنا الدكتور إبراهيم سعيد في تفسيره عن تاريخ السامرة فيقول :

« أما تاريخ السامريين فإنه يرجع إلي سنة ٧٢٠ ق.م حينما صعد «شلمناصر» ملك أشور إلى السامرة وحاصرها ، وسبى إسرائيل إلي أشور ، وأتى بقوم من بابل ، وكوث ، وعوا ، وحماه ، وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة عوضًا عن بني إسرائيل ، «فكانوا يتقون – يتركون – الرب ويعبدون تماثيلهم »[2] .

---

(١) [يوحنا ٤ : ٥ – ٣٠ ، ٤٠ – ٤٢] . (٢) [٢ مل ١٧] .

وهكذا نشأ السامريون خليطًا في جنسيتهم وفي عبادتهم »[1] .

موقف اليهود من السامرين :

وقد اختلط هؤلاء الغزاة المستوطنون في السامرة بجزء من اليهود وكان ذلك بالزواج والمصاهرة « ففقدوا نقاوة الدم السامي ، ولقد كانت هذه وما زالت ، جريمة لاتغتفر في نظر اليهود ، وحتى أيامنا الحاضرة ، لو تجاسر يهودي أو يهودية واقترن بواحدة أو واحد من أبناء الأمم فإنه يعتبر ميتاً في نظر أهله وعشيرته ، وتقام له ليالي المأتم ويتقبل أقرباؤه التعزيات »[2] وذلك على حد قول الدكتور باركلي في تفسيره .

وفي عام ٥٣٦ ق.م حاول السامريون أن يتعاونوا مع بني إسرائيل الراجعين مع السبي ويشتركوا معهم في إعادة بناء الهيكل ، فرفض الإسرائيليون أن يتعاونوا معهم ، ومنذ ذلك الوقت استحكمت بينهم حلقات العداء ، فأقام السامريون لأنفسهم هيكلاً على جبل جرزيم ، مقابل هيكل اليهود في أورشليم وصاروا يعذبون ويقتلون كثيرين من اليهود الذين يمرون بهم ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي في تاريخه : إنه أثناء الفصح اليهودي في العام السادس ق.م وكان هيكل اليهود مفتوحًا في الليل دخل السامريون إلى الهيكل خلسة ودنسوه بأن ألقوا فيه عظامًا بشرية . فكانت هذه الحادثة أشبه بزيت صب على نار الحقد القديم . وأن عملاً شنيعًا كهذا ، لايضارعه سوى تحقير اليهود للسامريين ، واكان ابن سيراخ يقول :

« أمتان لاتطيقهما نفسي والثالثة ليست بأمة . يهود يجلسون على جبل السامرة، والفلسطينيون ، وذاك الشعب الغبي الساكن في شكيم (السامرة) » .

وكان اليهودي الصميم يستنكف من أن ينجس شفتيه بالنطق بكلمة « سامري » وكان يحسب طعام السامريين نجساً كلحم الخنزير »[3] أ.هـ .

موقف الأناجيل الأخرى من هذه القصة :

اتفقت الأناجيل الثلاثة على إغفال هذه القصة إجمالاً وتفصيلاً ، فلم يرد في أي

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ١٤٥ .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا جـ ١ . ص ٢٥١ .

(٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ١٤٦ باختصار .

إنجيل منها ما يشير من قريب أو من بعيد إلى حدوثها ، مع أنها لو حدثت لما أغفلها الثلاثة لأنها ذات شأن في توضيح موقف مغاير لما درج عليه اليهود ، « فلم يكن اليهود يسمحون بأي علاقة اجتماعية أو دينية مع السامريين »[١] ولذلك فقد جاء في نص متى أن المسيح نهى تلاميذه عن نزول السامرة بل عليهم أن يذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة :

« هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لاتمضوا وإلي مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة ، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السماوات »[٢] .

وهذا يتسق مع كراهية اليهود لهم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يتسق مع ما استفاض عن المسيح من إعلانه أنه لم يرسل إلا إلى خراف اسرائيل الضالة .

بل إن مؤلف إنجيل لوقا له موقف مغاير في موضوع السامريين فقد جاء في روايته عن المسيح ما نصه :

« وحين تمت الأيام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم وأرسل أمام وجهه رسلاً ، فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين حتى يعدوا له فلم يقبلوه لأن وجهه كان متجهاً إلى أورشليم »[٣] ، فقد خالف هذا النص نص يوحنا في أنهم آمنوا ومكث عندهم يومين لأن هذا نفى قبولهم له ، كما خالف هذا النص نص متى في أن المسيح منعهم من دخول مدن السامريين لأنه هنا قال بدخولهم . والمسألة كلها خلافية ولو كان هذا الصدور عن حقيقة واحدة لاتفق المؤلفون الثلاثة وما اختلفوا . ولكن كما يظهر لنا فإن لكل منهم وجهة تولاها من نفسه .

أهداف مؤلف الإنجيل الرابع من هذه القصة :

وهذه الأهداف كما تظهر لنا من سياق النص واضحة جلية كما يلي :

١ – تدعيم فكرة عالمية الفداء الذي وجب بصلب المسيح تكفيراً عن البشرية ،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس . ص ٤٥١ . مادة « السامريون » .

(٢) [متى ١٠ : ٥ – ٧] .

(٣) [لوقا ٩ : ٥١ – ٥٣] .

وهي تلك الدعوة التي لم تظهر إلا مع بولس كما سبق أن وضحنا في الباب الأول .
وجاء يوحنا [illegible] . أن فكرة « المسيح مخلص العالم » ظهرت في عهده ووافق عليها . ولايتأتى قبول ذلك إلا في بيئة أممية ، لأن عقيدة اليهود في انتظار المسيح محلية لأنهم ينتظرون على يديه أن ينتصروا على غيرهم من الأمم . ولو قال بين اليهود «أنا المسيح مخلص العالم » لكان المعلوم أنهم سيكذبونه ولن يقبلوه . فكان الملائم أن يكون ذلك خارج الدائرة اليهودية الضيقة .

٢ - تدعيم فكرة عالمية الفداء بادعاء أن بعض الأمم أقرتها وكأنها نائبة عن الأمم في قبول مخلص العالم .

٣ - إقرار الأمم الذين تعتبر السامرة نائبة عنهم بأن الخلاص إنما هو من اليهود.

٤ - الرد على عنصرية اليهود واحتقارهم لغيرهم من لاأمم بادعاء أن المسيح خرج على ما كان مقرراً من سلوكهم ومعاملاتهم مع السامريين ، وفي ذلك ترغيب للأمم في الإيمان بالرب « يسوع المسيح مخلص العالم» .

ومما يؤيد وجهة نظرنا هنا ما يذكره علماء المقارنة فقد ذكر المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة : عن كتاب « العلوم الدينية » لمولر . ص ١٤٠ » من قوله :

« وفي أحد الأيام التقى «أنا ندا» تلميذ بوذا وهو سائر في البلاد بالمرأة «مناجي» وهي من سبط الكندلاس المرنولين قرب بئر ماء ، فطلب منها قليلاً من الماء ، فأخبرته عن سبطها ، وأنه لايجوز له أن يقترب منها ، لأنها من سبط محتقر ، فقال لها : يا أختي إني لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك إنما سألتك شربة ماء ، فصارت من ذاك الحين تمليذة بوذية »[1] وذلك في معرض مقارنته بين أقوال الهنود الوثنيين في بوذا ، الذي كان يعيش في القرن السادس قبل الميلاد ، وبين أقوال المسيحيين في المسيح . وليس بعيداً إدراك أوجه الشبه بين النصين .

وكذلك نقل الدكتور أحمد شلبي عن غوستاف لوبون من قوله تعليقاً على هاتين القصتين من قوله :

« ويذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسي مع المرأة التي طلب منها أن تسقيه وهي من الطبقات الدنيا بما حدث لعيسى مع السامرية وما قاله لها »[2] . . ومن

---

(١) محمد أبوزهرة : مقارنات الأديان - الديانات القديمة . ص ٦٢ .

(٢) أحمد شلبي : المسيحية . ص ١٧٥ .

البديهي أن المؤلف الذي جادت قريحته بالإنجيل الرابع على عادته كعهدنا به في الاستعارة أخذ هذه القصة ، وحولها إلى سامرية خدمة لأهدافه التي تظهر بوضوح ، فيما استتر من وراء قصصه الفريدة التي لانظير لها بين قصص الأناجيل الثلاثة . وهو هنا كما عهدناه يخالف كل مألوف من السلوك الذي تقرر في مجتمع اليهود ، والمسيح، ويخالف الأناجيل الثلاثة ، ويزيد فيخالف العقول فيما تقرر بالبداهة حيث جعل المخلوق خالقًا ، ودعى المسيح إلهًا خالقًا وبشرًا مخلوقًا .

اختلاف مفسري الإنجيل الرابع بشأن واقعية هذه القصة ورمزيتها:

وكما عهدنا أولئك الذين تعرضوا للإنجيل الرابع بالتفسير . في اختلافهم إلى فريقين مقلدين ، ومتحررين ، فقد اختلفوا بشأنها ففريق منهم ضرب عرض الحائط بهذه المفارقات العجيبة ، بين نص هذه القصة وبين ما درج عليه اليهود في عصر المسيح والقرون التي قبله ، من العرف الذي ساد مجتمعهم وقرره في شريعتهم من مقاطعة السامرين ، وبين نص هذه القصة الفريدة ، ومخالفة نصها لما جاء بالأناجيل الأخرى روحًا ومعنى في هذا الشأن . هذا الفريق الذي تغافل هذه المفارقات تمسك بالتقليد في النص على أنها حقيقية ، ثم انقسم هذا الفريق نفسه إلى طائفتين . مقلدين متعصبين لايذكرون شيئًا عن فريق المتحريين ، والطائفة الثانية من المقلدين هم أولئك الذين يذكرون رأيهم ، ثم يذكرون رأي المتحريين ، ولايمنعهم مخالفتهم لهم في الرأي من ذكر رأيهم .

ويبقى إذن أن نذكر رأي المتحررين . من خلال حديث بعض المفسرين المقلدين من الطائفة الثانية . قال وليم باركلي في تفسيره :

« لقد اتجه البعض إلى تفسير رمزي لقصة الخمسة أزواج التي ذكرها السيد للمرأة السامرية ، والسادس الذي ليس زوجها بالمرة . قالوا : إن هذا تصوير استعاري مجازي . يصور لنا تاريخ السامرة كأمة انحرفت عن عبادة يهوه [1] العظيم ، وليس كتقرير لواقع حياة سيدة بالذات ، ونحن نعلم أنه حينما سبى شعب السامرة إلى المنفى أتى الأشوريون بخمسة أجناس ليحلوا محله ، ونحن نقرأ في سفر الملوك

---

(١) يهوه : اسم من أسماء الله عند اليهود .

الثاني في الإصحاح السابع عشر كيف أن كل جنس من هذه الأجناس قد أتى بآلهته الغربية إلى هناك لعبادتها . « فكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون . . . فعمل أهل بابل سكوت بنوث ، وأهل كوث عملوا نرجل ، وأهل حماة عملوا أشيما ، والعويون عملوا نبحز . والسفروايميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك » [1] .

« وهكذا قالوا إن المرأة السامرية ترمز لأمة السامرة ، وشعبها بعد السبي . أما الزوج السادس فهو يرمز إلى الله الحي ، الذي تدعى السامرة ارتباطها به وعبادته ، لكن ليس هو زوجها ، وليست هي امرأته على الإطلاق . إنها ترتبط في حالة الجهل والغباوة : ولكنه لم يصبح بعلاً لها ، ولن يصبح على الإطلاق ، وأن تفسيراً كهذا قد يفسر خيانة أمة وارتدادها عن إلهها » [2] . أ . هـ .

وغني عن البيان أن مضمون ذلك : أن القصة برمتها ليست واقعية وإنما هي على حد قول هؤلاء « تصوير استعاري مجازي . . . . » و . . أن المرأة السامرية ترمز لأمة السامرة وشعبها بعد السبي . . . . » و . . أن الأزواج الخمسة ترمز إلى الآلهة الخمسة » و . أما الزوج السادس فهو يرمز إلى الله الحي » .

وقال الدكتور إبراهيم سعيد :

« يعتقد بعض المفسرين في هذا العصر أن هذه السامرية التي كانت زوجة لخمسة أزواج ترمز إلى الأمة السامرية التي كانت مكونة من خمس أمم مختلفة [3] . ولكل منها إلهها الخاص ، فصارت معروفة بـ « أمة الخمسة الآلهة » – والإله الذي تدعي أنها تعبده ليس إلهها الحقيقي لأن السامريين « يسجدون لما لايعلمون » ع ٢٢ هذا يؤيده قول يوسيفوس : إن السامرين هم خليط من خمس أمم أحضرت كل منها إلهها معها إلى السامرة فلا إله حقيقي للسامريين » [4] أ . هـ .

ونستطيع أن نقرر في اطمئنان أن القصة برمتها خيالية رمزية ، لم تحدث . لأن أحداً من الثلاثة لم يذكرها ، ولأن المؤلف الفيلسوف تفرد بها على طريقته في مخالفة المنقول والمعقول .

---

(١) [٢ ملوك ١٧ ، ٢٩ – ٣١] .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ ص ٢٢٥ .

(٣) [٢ مل ١٧ : ٣٠ ، ٣١] .

(٤) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ١٥٣ .

رابعًا : قيام المسيح بغسل أرجل التلاميذ

ولم يذكره غيره .

النص : « يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي ، قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ، ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرًا بها ، فجاء إلى سمعان بطرس فقال له : ذاك يا سيد أنت تغسل رجلي . فأجاب يسوع وقال له لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ، ولكنك ستفهم فيما بعد ، قال له بطرس لن تغسل رجلي أبدًا ، أجابه يسوع إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب ، قال له سمعان بطرس يا سيد ليس رجلي فقط بل أيضًا يدي ورأسي ، قال له يسوع الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسيل رجليه بل هو طاهر كله ، وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم ، لأنه غرف مسلمه . لذلك قال لستم كلكم طاهرين .

فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ قال لهم أتفهمون ما قد صنعت لكم ، أنتم تدعونني معلمًا وسيدًا وحسنًا تقولون لأني لأنا كذلك ، فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأني قد أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا .

الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله ، إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه »[1] .

ومن العجيب أن هذه القصة الشاذة لم يروها أحد غيره ، ولاندري سببًا لإغفال الثلاثة لها ، وهذا أمر يثير العجب والدهشة .

ويزداد إعجابنا من هذا المؤلف العجيب الذي جعل البشر إلهًا . متجسدًا . وجعله هنا يقوم بغسيل أرجل التلاميذ ، ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها . وهذا عمل الخدم والعبيد .

صورة مهينة ؟ !

فلينظر الإنسان المعاصر لنهاية القرن العشرين إلى هذه الصورة ، ثم ليحكم بفطرته وليعمل نظره، هل يقبل العقل : أن يكون الله الخالق رب السماوات والأرض هو

---

(١) [١٣ : ٢ : ١٨] .

القائم بذلك . ؟ ؟ الله الكلمة الذي صار جسداً يقوم بهذا العمل الوضيع ؟ ! وما الفائدة من وراء قيامه بهذا العمل ؟ ؟ !

ولست مبالغًا ولا متعصبًا حين أقول : إنني قرأت في هذا البحث عددًا كبيرًا من مؤلفات مؤلهي المسيح وهذه الصورة الشاذة ماثلة أمام عيني لاتفارقني منذ وقع بصري عليها ، وحاولت أن أجد حكمة من وراء هذاالعمل كما يصوره هذا النص فلم أجد ما يقبله عقلي . ! ! ولا زال عقلي يستنكر ، والفطرة تأبى أن يقوم الله بهذا العمل الوضيع .

لئن قالوا : إنه درس عملي للتلاميذ في التواضع . فالعقل يراه اتضاعًا ومهانة . وأين هم من ذلك !. ولماذا لايقوم بابا الكنيسة بذلك لكي يحافظ علي هذا التواضع . بل لِمَ لا يقوم رئيس الكنيسة الشرقية أو الغربية بغسل رجليْ زميله الآخر ؟ ؟

ولله العزة وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ، ومن عجب أن المؤلف هنا يتبعها بقوله على لسان المسيح بهذا النص « ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله » فأين هي العظمة اللائقة بجلال الله ، وما الدافع لهذه المهازل المهينة ؟ !

ولعل السبب في دخول هذه الصورة في هذا المؤلف الحاوي ، الذي نراه جامعة لنظريات الفلاسفة ، وعقائد الوثنيين ، هو محاولة المؤلف أن يضيف لشخصية إلهه ما راقه من عقائد قدماء الهنود في معبودهم « كرشنه » كما سبق أن وضحنا ذلك في الفقرة (٣٦) في المقارنة بين أقوال كل فريق منهما فيمن يعبده . في نهاية الفصل الرابع . وقد نقل ذلك الشيخ محمد أبوزهرة عن كتاب « دين الهنود – لموريس وليمس ص ٢١٥ ».

مقارنـــــــة :

ونحن لانرى دافعاً للمؤلف من وراء ذلك إلا محاولة التقليد لقدماء الهنود في معبودهم كرشنة ابن الله ، وربما كان قصد المؤلف الرمزي من وراء تلك القصة هو ما ذهب إليه البعض من أن : « غسل الأرجل هو صورة لما على الكنيسة أن تعمله لتطهير

النفوس وغسلها من خطاياها ، وإذ سلم الرب للتلاميذ هذه الخدمة قبل تسليمهم سر التناول مباشرة فيها رمز واضح لسر الإعتراف »[1] .

ونحن لانمانع عقلاً في احتمال حدوث ذلك من المسيح عليه السلام ، رغم تفرد مؤلف الإنجيل الرابع - على ما به - بهذه الرواية ، لأنه لا مانع من وقوع ذلك من البشر وقد كان المسيح بشراً خالصاً ، لا إلهًا متجسداً ، وأن يكون ذلك الدرس فيما ينبغي أن يكون عليه تواضع تلاميذه . والتواضع من صفات البشر . ولكن الله تعالى منزه عن ذلك فهو العزيز المتكبر . وبذا تكون هذه الحادثة دليلاً على نفي ألوهية المسيح التي يدعيها المؤلف الشاذ بإنجيله بين الثلاثة ، ولو أن غيره رواها لرجح عندنا وقوعها ، ولكن حاله كما رأيت من الشذوذ . في النقل والعقل .

على أنه لو سلم وقوعها في ميزان التاريخ - جدلاً - لما كان في ذلك ما يدل على صحة ما يدعيه المؤلف المؤله . بل ما يقوم دليلاً على بطلان دعواه لأن ذلك مما يتنافى مع ما يجب لله من الكمال والتنزه عن النقص . وهو دليل دامغ للمؤلهين على بشرية المسيح دون تأليهه .

ومع كل فهل استفادوا من تواضع معلمهم وسيدهم ، نحب أن نرى رؤساء الكنائس يقومون بغسل أرجل من هم أدنى منهم في درجات الخدمة بالكنيسة ، مع أنهم بشر ولا إله بينهم كالمسيح . ولكن القوم كما رأيتهم من واقع حال من قال برمزيتها ويأخذ منها دليلاً على سر الاعتراف : في تلك الخلوة التي يخلو فيها راعي الكنيسة بالمعترف أو بالمعترفة ، بحجاب يمنع غيرهما من أن يقتحم عليهما خلوتهما ولايسلم الأمر في كثير من الأحيان من تلك الخلوة التي ظاهرها الإعتراف وطلب الرحمة ولايعلم ما يخفى إلا الله .

فهذا المسيح يغسل الأرجل ، وهؤلاء الذين يغفرون أو لايغفرون .

---

(١) الانبا اثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا : دراسات في إنجيل يوحنا . ص ٧٦ .

خامسًا : السمك الكثير

ولم يذكره غيره .

النص : « كان سمعان بطرس وتوما الذي يقال له التوأم ونثنائيل الذي من قانا الجليل وابنا زبدي واثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم ، قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيد ، قالوا له نذهب نحن أيضًا معك ، فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئًا ، ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطيء ، ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع ، فقال لهم يسوع يا غلمان ألعل عندكم إدامًا . أجابوه لا : فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا ، فألقوا ولم يعودا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب ، فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عريانًا ، وألقى نفسه في البحر ، وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مائتي ذراع ، وهم يجرون شبكة السمك ، فلما خرجوا إلى الأرض نظروا جمرًا موضوعًا وسمكًا موضوعًا عليه وخبزًا ، قال لهم يسوع قدموا من السمك الذي أمسكتم الآن .

فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكًا كبيرًا مئة وثلاثًا وخمسين ، ومع هذه الكثرة لم تتخرق الشبكة ، قال لهم يسوع هلموا تغدوا ، ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت إذ كانوا يعلمون أنه الرب ، ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك »[1] .

وهذه القصة التي جاءت بهذا النص تفرد بها يوحنا ، ولم يذكرها أحد غيره من مؤلفي الأناجيل الثلاثة الأخرى ، **ولنا هنا وقفتان :**

الأولى : أن هذه الحادثة رويت في الإصحاح الأخير ، بعد روايات ما ظنوه فيما أطلقوا عليه . اسم القيامة . فيما يعتقدون من قيامته بعد الدفن . وقد أوضحنا موقفنا من ذلك ورأينا الذي رأيناه عند مناقشة عقيدتهم في الصلب . ونعيد هنا أن ذلك لم يكن قيامة من بعد موت كما يتخيلون ، وإنما هو امتداد طبيعي لحياته ، وأنه لم يكن قد مات بعد ، وإنما اختفى لحظة محاولة القبض عليه ، ويبدو أن التلاميذ كانوا يظنون أن

---

(١) [٢١ : ٢-١٤] .

الصلب وقع عليه هو ، وإن كان إنجيل الاثني عشر لايؤيد أن المسيح صلب ، وهذا مما جعل الكنيسة ترفضه ، والأناجيل الأربعة ، لايثبت أحدها ولا أكثر في صحة نسبته إلى أحد من تلاميذ المسيح .

ونحن نحب أن نؤكد هنا : أن القيامة المزعومة لو كانت حقًا ، لكان فرح التلاميذ بعودة معلمهم وسيدهم تفوق كل وصف خصوصًا وأنه قادم إليهم من العالم الآخر . ومن غير المعقول أن يشغلوا عنه بإحصاء عدد الأسماك التي اصطادوا ، فإن كانت السذاجة هي التي دفعت بهم إلى ذلك . فإن الساذج إذا أحس أنه في حضرة ميت قام وقدم من العالم الآخر لايملك نفسه من الذهول والهذيان ، أما أن يجلسوا مطمئنين للعد والإحصاء . فذلك دليل أنه لم يكن ميتًا قام ، وإنما يدل ذلك على أنه لم يزل بعد حيًا ، نصره الله وقت الشدة وأنهم ما داموا معه فهم في عناية الله . على حد قول الشاعر :

وإذا العنَايَةُ لاحظَتْك عُيُونُها نَمْ فالمَخَاوِفُ كلُّهن أمَانُ

وهذا هو السر من وراء هدوئهم ، وهذا الذي نقول ليس أدنى قبولاً لدى العقل ، بل هو أولى وأجدر بالقبول مما يقول في سياق قصصه الفريدة العجيبة .

الثانية : أن عدد السمك الذي نص عليه المؤلف ، أوقع مؤلهي المسيح في حيرة شديدة جعل الخيال يجمح بهم إلى حد بعيد . ذلك أن من دأب المؤلف أن يرمز كما عهدناه ، وهذا بدوره يدفع المفسرين لنصه إلى الإستعانة في محاولة فك رموزه وألغازه ، وكأن السماء ستقع على الأرض إذا رمز بدون تفسير أو حل . لأن توضيحها يعني وضوح فكرة الألوهية وغموضها يعني غموض فكرة الألوهية يقول الأنبا اثناسيوس . أسقف بني سويف والبهنسا في كتابه عن إنجيل يوحنا ما نصه :

« للصور الرمزية دور كبير في إنجيل يوحنا ، وهي تعاون على تكوين الفكرة التي يعطيها الإنجيل عن الألوهية »[1] .

ويقول وليم باركلي عن هذا الإصحاح الأخير ، الذي جاءت به هذه القصة :

« هذا الإصحاح يقدم لنا حقًا عظيمًا ثانيًا في صورة رمزية ، إن كل منظر ، وكل كلمة ، وكل حرف ، في البشارة الرابعة زاخر فياض بالمعاني ، ولذلك فيجوز لنا أن نتساءل : ما هو السر في أن يذكر يوحنا عدد السمك الذي اصطاده التلاميذ في فجر ذلك اليوم ؟

(١) اثناسيوس أسقف بني سويف والبهنسا : دراسات في إنجيل يوحنا . ص ٧٢ .

لماذا يذكر البشير أن عدد السمك كان مائة وثلاثًا وخمسين ؟ يقول البعض : أن السر في عدد السمك ، كان ليأخذ كل واحد من الشركاء نصيبه . . . . . .

ولكننا إذا ذكرنا أن من عادة يوحنا ، تقديم الحقائق الروحية الخفية تحت ستار صور مادية ، فينبغي أن نتوقع شيئًا وراء ذكر هذا الرقم الفردي .

الفرض والتخمين :

وهكذا حاول كثيرون منذ بداية العصر الرسولي ، تقديم اقتراحاتهم عن مدلول المئة والثلاثة والخمسين :

١ - يقول البابا « كيرلس الإسكندري » إن عدد ١٥٣ يتكون من مجموعات ثلاث : «المجموعة الأولى عدد (١٠٠) مائة وهذا رمز إلى ملء الأمم . فهذا العدد على حد تعبيره هو رمز الكمال ... » .

والعدد الثالث رقم ثلاثة (٣) وهو يرمز إلى الثالوث الأقدس الآب والإبن والروح القدس ، المجد في ملء الأمم ، وخلاص البقية الباقية في إسرائيل ... .

٢ - والقديس « أوغسطينوس » رأي آخر ، وهو مبني كذلك على الافتراض والتخمين . فهو يبدأ بدراسة مدلول بعض الأرقام ويطبقها على هذا العدد الذي أمامنا، فرقم ١٠ يشير إلى الناموس لأنه يحوي الوصايا العشر ، ورقم ٧ يرمز للنعمة لأن مواهب الروح سبعة ، فإذا أضفنا عدد ١٠ إلى عدد ٧ نصل إلى مجموع ١٧ .

وإذا قمنا بجمع الأرقام ١ + ٢ + ٣ + ٤ + ٥ إلخ حتى عدد ١٧ فإن حصيلة المجموع تصل بنا إلى العدد ١٥٣ وعلى ذلك فالعدد ١٥٣ يشير إلى مجموع من يأتون ليسوع المسيح سواء من اليهود أم من الأمم ، تحت الناموس ، أو في تدبير النعمة .

٣ - ولكن القديس « إيرونيموس » له تفسير أكثر بساطة ، فهو يقول : إن مياه البحر تحوي مائة وثلاثة وخمسين نوعًا مختلفًا من الأسماك ، وعلى ذلك فحصيلة الصيد كلها تضم كل نوع من أنواع السمك ، فالرقم رقم تنبؤي يشير إلى أنه لابد وأن يأتي الوقت الذي فيه تصبح كل الممالك للرب ولمسيحه . . . .

إن يوحنا يخبرنا في هذه الفقرة بطريقته الخاصة الحكيمة أن الكنيسة فيها من الرحابة ما يكفي لأن تضم في أحضانها كل شعب وأمة وقبيلة ولسان . إنه يخبرنا عن

عمومية الكنيسة وشمول إرساليتها » [1] .

ويكفي للتعليق على هذه الآراء ما جاء على لسان باركلي : من قوله عن الرأيين الأول والثاني أن كلاً منهما « مبني . . . على الإفتراض والتخمين » وأما الرأي الأخير فيكفي أنه ما زال معلقًا على أمل لم يتحقق بعد .

وكل ذلك دليل على أن الحقيقة ليست كما جاء بهذا النص المتناقض . قال وليم باركلي : —

« إن أقوى ظاهرة ترافق ظهور يسوع لتلاميذه هو الرعب الذي يطغى عليهم ، وهذا يؤكده كتبة البشائر الثلاثة الأولى « البشير متى » يصور لنا يسوع وهو يقول لتلاميذه « لا تخافوا » [2] . فإذا أتينا إلى مرقس [3] نجده يصور لنا المريمتين وقد هربتا من القبر ، لأن الرعدة والحيرة أخذتاهما . وفي بشارة لوقا [4] نشاهدهن خائفات متكسلات ويوجهن إلى الأرض » .

ولكننا لا نجد إشارة إلى مثل هذا الخوف في قصة البشير يوحنا [5] .

أرأيت مثل هذا العجب . من رجل واحد جاء متأخرًا عن ثلاثة (حسب تاريخ الكنيسة التي صح) يقف مثل هذا الموقف المنفرد ، ولايمكن أن يصدق الطرفان . فالتلاميذ وقت ظهور المعلم الرب إما خائفون مرعوبون ، وإما هادئون مطمئنون .

ما نراه في القصة :

وبحق نرى أنهم كانوا مطمئنين ، لأن هذا الظهور كان امتدادًا حقيقيًا لحياته الطبيعية ، وأنه لم يكن قد مات كما أشيع على لسان أعدائه ، وأن التلاميذ اصطادوا سمكًا كثيرًا .. وكل ذلك جائز .

أما مسألة العدد المحدد فإننا نراه اختراعًا من عند المؤلف ، ومن الجائز أن يصح ما نميل إليه ، كأن تكون ذكريات التلاميذ الشفهية هي الأساس الذي أخذ منه مؤلفوا

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا - جـ ٢ . ص ٥٥٩ .

(٢) [متى ٢٨ : ١٠] .   (٣) [١٦ : ٨] .

(٤) [٢٤ : ٥] .

(٥) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا - جـ ٢ . ص ٥٢٧ .

الأناجيل مادة طوعوها بالحذف منها والإضافة إليها لكي تخدم أغراضهم وعقائدهم ، ولما كان هذا الإنجيل هدفه تأليه المسيح ، ولما كان أسلوبه الرمزي ونغمته الخاصة غالبان عليه نقد لون ما وصل إليه من بعض ما كان يشاع من الذكريات الشفهية المنقولة ، والتي كانت عرضة للأهواء ، ولاشك في أن بعض تلاميذ المسيح كان يتخذ من صيد السمك مهنة له .

وأن قصصاً شبيهة بهذه كانت تروى وتشاع . فتلقفها المؤلف الفيلسوف وأعمل فيها فنه وحيله . حتى بدت كما نراها ، وذلك ما عهدناه فيها وفي مثيلاتها مما ليس له حظ من العقل والنقل مما دفع إلى القول بأنها ليست حقيقية بل رمزية ، وذلك للوصول إلى أهدافه كما رأينا ، وننتقل الآن إلى المعجزات التي ذكرها لنرى حقيقتها . .



المبحث الثاني

« المعجزات ومفهومها عنده »

المعجزة في عرف الأديان السماوية أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة تصديقًا له وتأييدًا لدعواه .

لكن مؤلف هذا الإنجيل له مفهومه الخاص ، فهي عنده دليل ألوهية المسيح لا نبوتـه .

وقد تناولنا معجزاته في هذا الفصل لأنها أحداث تاريخية ، وهي إما مشكوك في واقعيتها ، وإما واقعية . ولو راعينا ذلك لكانت ملحقة بما يماثلها من بداية الفصل في نوعي القصص المتقدمين، ولكننا آثرنا أن نخص المعجزات بمبحث نتناولها فيه بانفراد، وذلك نظراً لأهمية المعجزة في القضية الدينية عمومًا وفي إثبات رسالات الرسل وهي حقيقة بذلك . فإنها ليست أحداثًا فقط ، ولكنها تعني أمورًا فوق مجرد نسبة الحدث لأن عليها تتوقف دعوى الرسالة إثباتًا أو نفيًا فضلاً عن دعوى التأليه التي تفرد بها هذا المؤلف : ولن نغفل في بحثنا لمعجزاته بيان موقعها من الواقعية أو الرمزية . . .

أسلوبه في استخدام المعجزات ومفهومها عنده :

ذكر المؤلف سبع معجزات فقط للمسيح وهذا بيانها حسب ترتيبه لها في النص :

١ – تحويل المسيح الماء إلى خمر [(١)] ، وهي أولي معجزات المسيح حسب النص ، ولم يذكرها غيره .

٢ – شفاء المحموم [(٢)] ، ولم يذكرها غيره .

٣ – شفاء مشلول بيت حسدا [(٣)] ، ولم يذكرها غيره .

٤ – إشباع قرابة خمسة آلاف إنسان من خمسة أرغفة وسمكتين [(٤)] . وقد ذكرها

---

(١) [٢ : ١ – ١١] .

(٢) [٤ : ٤٦ – ٥٣] .

(٣) [٥ : ١ – ٩] .

(٤) [٦ : ١ – ١٤] .

متي[1] ، وكذا مرقس[2] ، وكذلك لوقا[3] ، وهذه هي الوحيدة التي أجمع عليها كتاب الأناجيل الأربعة ، ولم يجمعوا على غيرها .

٥ - مشى المسيح على الماء[4] ، وقد ذكرها متى[5] ، وكذلك مرقس[6] ، ولم يذكرها لوقا .

٦ - فتح عيني المولود أعمي[7] ، ولم يذكرها غيره .

٧ - إقامة لعازر من الموت[8] ، ولم يذكرها غيره .

وواضح أنه تفرد بمعجزات خمس لم يذكرها أحد من مؤلفي الأناجيل الثلاثة الأخرى وهي المعجزات ذوات الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ في الترتيب السابق .

والمعجزة عند يوحنا مفهوم خاص تبعًا لنغمة انجيله الخاصة . ذلك أن أنجيله يدعي ألوهية المسيح الكلمة ، أو الإله المتجسد ، والمعجزة عنده دائرة في هذا الفلك للاستدلال علي ألوهية المسيح . وأنه إنما يفعلها لإظهار مجده الإلهي ، وهي عنده موقوتة في ميعادها المحدد لها حسب مشيئته الإلهية وخاضعة لاختياره هو ، وهو بهذا يغاير ما درج عليه المؤلفون الثلاثة ، فإن المعجزة عندهم لايقصد بها أن تكون دليلا على ألوهية المسيح وإنما هي عبارة عن عطفه وحنانه على أولئك المرضي ، والمتألمين وذلك لأنه رسول الله وحبيبه وهذا معنى النبوة الصحيح لله لا أنه هو كما يتفرد بذلك مؤلف الإنجيل الرابع من بينهم في ادعائه .

قال الدكتور وليم باركلي :

« فالمعجزة في عرف يوحنا هي علامة قوة الله ومجده . البشائر الثلاث الأخرى تتجه اتجاهات أخرى في تفسيرها للمعجزة . فهي تري فيها فيض حنان يسوع من نحو المتألم أو المحتاج . فحين قام يسوع بمعجزة إشباع الجماهير فذلك لأنه رأى الجموع الجائعة وتحنن عليها لأنهم كانوا كغنم لا راعي لها[9] ، وحينما أتى المريض المصاب

---

(1) [١٤ : ١٣ - ٢١]

(2) [٦ : ٣٠ - ٤٤] .

(3) [٩ : ١٠ - ١٧] .

(4) [٦ : ١٦ - ٢١] .

(5) [١٤ : ٢٤ - ٣٣] .

(6) [٦ : ٤٧ - ٥٣] .

(7) [٩ : ١ - ٣٨] .

(8) [١١ : ١ - ٤٤] .

(9) [لا يفوتنا أن ننوه إلى أن نص الشاهد المشار إليه كما هو موجود بالنسخة التي ننقل منها هو [مرقس ١٤:٦] وقد رجعنا إليه فلم نجده إلا في [مرقس ٦ : ٣٤] ولعل ذلك خطأ مطبعياً بالنسخة التي نقلنا عنها فصححناه ، ونوهنا بذلك احتراماً لأمانة البحث . .

بالبرص بحالته الرهيبة إلى طبيب الإنسانية الأعظم ، طالبًا منه التطهير نجد يسوع يتحنن عليه ويمد يده ويبرئه [١] . وهنا نري منطق البشارة الرابعة في تفسيرها للمعجزة يغاير المنطق التفسيري الذي درج عليه البشيرون الآخرون . البشائر الأخرى تري في المعجزة عنصر العطف والحنان من جانب السيد ودفع الحاجة والألم من جانب المحتاج والمتالم .

« أما البشارة الرابعة فهي تري في المعجزة إظهار قوة الله ومجده » [٢] والله في البشارة الرابعة هو المسيح ، وفي البشارات الثلاثة الأخرى هو رب المسيح ، والمعجزات يختلف مفهومها عند يوحنا عن مفهومها عند الثلاثة تبعًا لنظرة كل منهما للمسيح .

ولاتقوم المعجزات دليلاً على إثبات ألوهية المسيح أو غيره ممن جرت على أيديهم خوارق العادة التي جرت عليها سنن الكون والطبيعة فإن الذين جرت على أيديهم بشر بكل ما تحمله البشرية من معاني الضعف والاحتياج . وهذا المسيح لو جرد من المعجزات أو مع بقائها عاجز عن دفع الضر عن نفسه ويحتاج لأبسط الأشياء ابتداء من جرعة الماء .

كما أن ما جرى على يديه من المعجزات ليس من المحال على الله منح غير المسيح خوارق مثلها أو أعظم منها ، فقد حدث ما هو أشد وأعظم من معجزاته لكثير من الرسل . فإن أعظم معجزات المسيح الواردة في كتب العهد الجديد مثل إحياء الميت . ليست بأعظم مما حدث لموسى من قلب العصا حية بل إن قلب الجماد إلى حيوان يتحرك . . . إلخ أصعب من إعادة الروح إلي ميت بعد خروجها منه ، وقد قال بعض المنكرين إنه لم يمت ولا نقبل رأيهم ، لكن لايمكن لمنكر أن يقول مثل ذلك في عصا موسى التي تنقلب حية ثم تعود إلى عصا وهكذا .

والطبيعة ونواميسها مملوكة لخالقها وهو الله سبحانه وتعالى ، وإليه وحده يرجع أمر ثباتها على ما اعتاده الناس منها أو مخالفتها في بعض الأحيان ، ولايعني ذلك أن من ظهر على يديه خرق لبعضها يكون هو الله المتجسد ، وعلى من لايقبل . أن يعبد موسى قبل عيسى ويفتح سجلاً لبقية الشركاء من قبلهما ومن بعدهما وإلى أن تقوم الساعة .

---

(١) [مرقس : ١ : ٤١] .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا. جـ ٢ . ص ٨٤ .

وقد اتبع مؤلف هذا الإنجيل مع المعمدان أسلوبًا له نغمة خاصة . صرح بها في بداية حديثه عنه بقوله : « كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا هذا جاء للشهادة ليشهد للنور »[1] ، ثم ظلت نفس النغمة « وشهد يوحنا » حتى انتهى من تقديم شهادات المعمدان على النحو الذي سبق .

ونفس الأسلوب والنغمة كان طريق المؤلف إلى المعجزات لكي تكون شهادة للمسيح على تجسد الله وحلوله فيه . يقول وليم باركلي :

« وهنا شهادة الأعمال ، يقول السيد : « الأعمال التي أعطاني الأب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الأب قد أرسلني[2] » ، « الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي »[3] . وفي حديثه مع فيلبس يخبره أنه واحد مع الأب ، ثم يؤيد كلامه بالقول : « أني في الأب والأب فيّ ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها » . . إلى أن يقول باركلي أيضًا :

« وينبغي أن لايفوتنا أنه حينما يتكلم يوحنا عن أعمال يسوع ، فإنه لايقصد معجزاته فقط ، ولكنه يقصد حياته بجلمتها ، ليس اللاحظات المعجزية الحاسمة في حياته فحسب بل كل لحظة من لحظات حياته التي قضاها على الأرض ، فما كان ممكنًا أن يقوم يسوع بما قام به من معجزات ، لو لم تكن له حياة الشركة مع الأب فوراء معجزات أعماله ، توجد معجزة صلته القوية الخفية بالله الأب والتي لم تنقطع لحظة واحدة . ولو لم يكن في الأب والأب فيه ما كانت له حياة الخدمة والتضحية والمحبة»[4].

والأسلوب واضح ليس في حاجة إلى توضيح « الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي » و« صدقوني أني في الأب والأب فيّ ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها » ، وواضح أنها نفس النغمة التي من أجلها جاء المعمدان في الإنجيل الرابع ليشهد بها . مع أنه شاهد أرضي ومن الأرض يتكلم .

وهذا الأسلوب يغلب على المؤلف حتى أنه يدخل به على المسيح نوعًا من التلاعب بالألفاظ والألغاز مما لايليق ، وكان ينبغي أن يفطن الفيلسوف القدير إلى ذلك حتى لايقع فيما وقع فيه من التلاعب المادة التاريخية وتطويعها تبعًا لما يهوي من عقيدة

---

(1) [١ : ٦] .
(2) [٥ : ٣٦] .
(3) [١٠ : ٢٥] .
(4) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ ، ص ٧٠ .

الصلب والتأليه . فقد جاء بنص المؤلف تعقيباً على طرد المسيح للباعة والصيارف من الهيكل [1] ، أن اليهود سألوه « وقالوا له أية آية ترينا حتى تفعل هذا . أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه » [2] وواضح أن المسيح يشير إلى الهيكل الذي بني في ست وأربعين سنة . وهو هيكل سليمان الذي قام لتوه بطرد الباعة والصيارف منه . ولو كان المسيح يقصد هيكلاً آخر لقال لهم ليس مقصودي هذا الهيكل ، وإنما أقصد آخر وقد جاء برواية غيره من الثلاثة على لسان المسيح «إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني غيره غير مصنوع بأياد» [3].

لكن المؤلف يقول بعدها مباشرة عن المسيح « وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا [4] » ولعل الدافع للمؤلف على ادعاء اطلاعه على ما يدعيه من العلم بسريرة المسيح مما لايقبله حال الموقف . بل لعل الدافع هو أن اليهود لما لم ينقضوا الهيكل المقصود ولم يقمه المسيح فقد فاتت آية لم تحدث ، أما القول بأن المقصود هو هيكل الجسد ففيه آية تتحقق بدعوى ما يسمى القيامة ، وفي ذلك القول تأكيد لها وتأييد .

وهذا كله على فرض سلامة نية المؤلف ، ولكن الذي ذهب إليه في قوله : « وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده . . . . . » لم يقل به أحد من الثلاثة . وهو ما تفرد به المؤلف الفيلسوف عن الثلاثة . ونحن سننظر في معجزاته التي اختارها في أسلوب تناوله لها بنغمته الخاصة :

١ - المعجزة الأولى:

تحويل المسيح الماء إلى خمر . وكان ذلك في عرس قانا :

« وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ، ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع ليس لهم خمر ، قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة . لم تأت ساعتي بعد ، قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه ، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع

---

(١) [٢ : ١٣ - ١٧]
(٢) [٢ : ١٨ - ٢٠].
(٣) [مرقس ١٤ : ٥٨].
(٤) [٢ : ٢١ - ٢٢].

كل واحد مطرين أو ثلاثة ، قال لهم يسوع املأوه الأجران ماء فملأوها إلى فوق ، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي ، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا . دعا رئيس المتكأ العريس ، وقال له : كل إنسان إنما يصنع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدّون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن ، هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه »[1] .

ونحن نلاحظ مع الدكتور إبراهيم سعيد على هذا النص أنه يقول . « هذه بداية الآيات » قال ذلك المفسر « إنها أولى معجزات المسيح على الإطلاق »[2] وأنه سماها آية ، وعلى ذلك فلا معنى لأيّة روايات تنسب للمسيح معجزات في طفولته أو صباه أو شبابه قبل ذلك اليوم ، وهو بذلك يتعارض مع كثيرين[3] .

كما أن من الواضح الهدف منها حسب الرواية . قال إبراهيم سعيد : « لم يكن القصد من هذه المعجزة ، إثارة إعجاب الذين في العرس ، بل كانت آية لإظهار مجد المسيح ، أي مجد شخصيته السرمدية وبنوته الممتازة وقدرته الفائقة ، هذا برهان جديد على إثبات لاهوت المسيح ، لأن المعجزات التي أظهرها موسى وغيره أظهرت مجد (يهوه) ولكن معجزات يسوع أظهرت مجد المسيح فهو إبن يهوه »[4] . ونحن نسأل لماذا كانت هذه المعجزة مما تفرد به يوحنا ؟ ولماذا قدمها بالذات ؟ ولما نص على أنها أول معجزات المسيح لإظهار مجده الإلهي ؟ ؟

إله الخمر في الديانات الوثنية : كما يصوره أحد كتاب الكنيسة :

ونقدم هنا نصاً للدكتور وليم باركلي وهو مَنْ هو من تفسيره لهذه المعجزة قال «والآن دعنا ننظر إلى الجانب اليوناني . . . . .» .

هناك قصة تدور حول ديونسيوس إله الخمر ، إنه في حفلات الأعياد التي تقام لذكري هذه الإله ، يحضر الكهنة ثلاث أواني فارغة ، ويضعونها في قلب المعبد في

---

(١) [٢ : ١ – ١١] .

(٢) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٩٧ .

(٣) راجع : [متي ٣ : ١٦ ، ١٧] . و[لوقا ٢ : ١٣ ، ١٥] .

(٤) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٩٧ .

حضور المعيدين وكل غريب يتصادف وجوده هنا ، ثم تغلق الأبواب وتختم بخاتم الكهنة وعلية القوم .

وفي صباح اليوم التالي يحضرون إلي المعبد ، ليقوموا أولاً بفحص الأختام والتأكد من سلامتها ثم يقومون بأنفسهم بفتح الأبواب ، ويسرعون إلي الداخل ، فإذا بالأواني الثلاث الفارغة ، قد امتلأت لحافتها بالخمر .

هذه خرافة مكذوبة ، ولكن في الإمكان دخول الخداع فيها حتى ولو كانت صحيحة فهناك فرصة ليلة كاملة يمكن أن يتسلل فيها أي إنسان بأي طريق من الطرق . وهناك التماثيل التي يمكن أن تتسع لاختباء أي مخلوق . ولقد كان معظم العقلاء والمفكرين يرفضون هذه الترهات وينبذونها ، ويعرفون أنها من اختراع الكهنة للسيطرة على عقول العامة .

وكأني بيوحنا البشير يقول لهم « إني أعرف لكم قصصكم الخيالية التي تدور حول آلهتكم ، التي تتكرونها ، وترفضونها . هنا استطاع يسوع أن يقوم بما كان يحلم به كهنتكم ، وحاولوا أن يلصقوه بآلهتكم العاجزة ، لقد أتى ليحقق لكم أحلامكم ولكن بصورة أشرف وأمجد .

وهكذا نرى البشير في هذه القصة الواحدة يتحدث إلى اليهود قائلاً : بأن في يسوع تكميل الناموس والوصول به إلي كمال عهد النعمة . ويتحدث إلى اليونانيين قائلاً : « بأن يسوع قد أتى ليحقق لكم أحلامكم الخيالية عن الآلهة ومقدرتها المعجزية »[١] .

سؤال يفرض نفسه عن إله الخمر الوثني وأتباعه :

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : هل كان لإله الخمر أتباع حتى عصر تأليف الإنجيل الرابع في نهاية القرن الأول لميلاد المسيح ؟ ؟ أو لم يكن ؟ وكان لهذه الديانة صدى في البيئة اليونانية بحيث يمكن أن يتجاوب مع هذه الصورة التي يقدمها يوحنا . كما يفهم من كلام الدكتور باركلي ؟ ؟

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ . ص ١٤٦ .

والإجابة عن ذلك : بأن بولس كما جاء في سفر أعمال الرسل [1] التقى برجل يسمى «ديونيسيوس الأريوباغي » وكان ذلك في « الأريوس باغوس » – محكمة أثينا العليا – [2] وكان هذا الرجل قاضياً في تلك المحكمة . وكان كما أفادت لجنة قاموس الكتاب المقدس من أتباع الإله ديونسيوس . ويبدو ذلك من حمله اسمه . وقد دخل المسيحية على يد بولس « ويقول مؤرخوا الكنيسة إنه أصبح فيما بعد كازراً شهيراً وأنه مات شهيداً في أثينا في سنة ٩٥ وقد وجدت كتابات نسبت إليه [3] » .

وما من شك لدينا في أن عقيدته في إله الخمر الوثني – ديونسيوس – كانت لاتزال في ذاكرته حتى وفاته ، وأن كثيرين غيره ممن قبلوا المسيحية أو ممن لم يقبلوها كانوا لايزالون يذكرون إله الخمر الوثني حتى مطلع القرن الثاني على أقل تقدير .

ما بين الخمرين من تفاوت :

التفاوت في العقيدتين عن الخمر واضح . فالتحايل عند كهنة ديونسيوس واضح، وليس ذلك في معجزة يوحنا الفريدة بين الأناجيل . لأن المسيح لم يلمس الماء حتى تحول خمراً ، والذين وضعوا الماء هم الذين انقلب الماء بين أيديهم خمراً .

وكذلك يبدو الكرم في معجزة الإنجيل الرابع بصورة مدهشة ، فإن الجرن الواحد من الأجران يسع ما بين ٢٠ – ٣٠ عشرين إلى ثلاثين جالوناً والأجران الستة تسع (مايقرب من مائة وثمانين جالونًا من الخمر – حسب تقدير باركلي – أما إله الخمر اليوناني وكهنته فلم يكن بوسعه أن يمنح أتباعه خمراص أكثر من كمية تملأ ثلاثة آنية فقط . كما أن آنيته تملأ من فراغ ، أما معجزة الإنجيل الرابع فكانت تحويل مادة الماء إلى خمر ولايملك ذلك العمل الخارق إلا الإله الأصلي الرب يسوع لكي يظهر مجده . وهذه بداية الآيات في إنجيل الفلسفة .

بداية الآيات من الناحية اليهودية :

ونعود الآن إلى أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو الدكتور وليم باركلي . قال في تفسيره لبداية الآيات ما نصه :

---

(١) [١٧ : ٣٤] . (٢) [أع١٧ : ٢٢] .

(٣) قاموس الكتاب المقدس : ص ٣٨٣ .

« دعنا نتناول معجزة الاستحالة من الناحية اليهودية .... فلم يورد يوحنا أية تفاصيل لا لزوم لها . كل شيء سطره ، كان له معناه وهدفه ، مثال ذلك ما أورده عن الستة أجران التي كانت تملأ بالمياه للتطهير ، والتي تحول الماء فيها إلى خمر .

إن العدد سبعة بحسب الفكر اليهودي . هو عدد الكمال والسمو ، أما العدد ستة فهو يشير إلى العمل الناقص الذي لم يكمل بعد ، فالستة أجران هذه ترمز إلى عدم كمال الناموس اليهودي ، وقصوره عن الوصول بالإنسان إلى الكمال الحقيقي وإلى رضا الله .

ولكن يسوع أتى ليكمل الناموس ، ويزيل ضعفاته ويضع فيه خمر النعمة الجديد بانجيل الحياة والخلاص . إن يسوع بمجيئه قد كمل قصور العهد القديم بنعمته ..... لقد كان كل جرن يسع ما بين عشرين إلى ثلاثين جالونًا من المياه ، وكانت هناك ستة أجران أي أن يسوع قدم للمدعوين ما يقرب من مائة وثمانين جالونًا من الخمر .

ومع أنه لايبدو هناك أي داع لإيراد مثل هذه التفاصيل . إلا أنه يبدو أن يوحنا قد قصد من وراء هذا أن يشير إلى أن نعمة يسوع تستطيع أن تغمر كل إنسان وتفيض ..... فنعمة يسوع فيها الكفاية وزيادة »[1] .

ولايفوتنا هنا أيضًا أن نسجل مقارنة أول آية فعلها المسيح بأول آية فعلها موسى كما ذكر الدكتور إبراهيم سعيد في تفسيره لها قال :

« فأول معجزة قام بها المسيح هي تحويل الماء خمرًا ، والخمر رمز الحياة ، فمن هنا يتحض لنا أن خدمة موسى هي خدمة موت لموت ، وأن خدمة المسيح هي خدمة حياة لحياة . . . . إذن تعتبر هذه المعجزة نقطة انتقال من ماء اليهودية المميتة إلى خمر المسيحية المقدسة المبهجة »[2] .

عقيدة الفداء من وراء بداية المعجزات :

ترتكز الدعوة إلى تأليه المسيح ، على الصليب . الذي به تم الخلاص والفداء من وزر الخطية . والذي به تم الفرح وهو العريس . وهذه نغمة خاصة تتردد بين الحين والحين في الإنجيل الفلسفي وليس ببعيد ما جاء به المؤلف على لسان المعمدان من قوله

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا جـ ١ . ص ١٤٥ .

(٢) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٨٨ .

«من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحًا من أجل صوت العريس» [1] وجاء به على لسان المسيح :

« كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم » [2] وجاء به على لسان المسيح في وصف الفرح الحقيقي . الذي هو الصلب الفدائي :

« إنكم ستبكون وتنوحون والعالم بفرح ، إنكم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح . المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكن متى ولدت الطفل لاتعود تذكر الشدة لسبب الفرح . . .

سأراكم أيضًا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم . . . ليكون فرحكم كاملاً » [3] .

ولعل ذلك هوالسبب الذي حدا بيوحنا أن ينص على أنها بداية آيات يسوع في خدمة الفرح ، في مقابل خدمة الموت والدم التي قام بها موسى في زعمهم .

إعتراضات :

وقد وجه لهذه القصة إعتراضات من أهمها :

١ - أن في ذلك تشجيع للناس على السكر وهو منهي عن ، ومذموم « لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر بالخصام والحسد » [4] ونهى عن مخالطة السكيرين ومؤاكلتهم » إن كان أحد سكيرًا أو خاطفًا أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا » [5] .

والسكر والشراب المسكر حرام في نص الكتاب ، وأما النبيذ الذي لايسكر فليس مثله ، بل هو دونه في الحرمة ولايحرم ما لم يسكر ، ولذلك فإن هذه الرواية التي سطرها مؤلف الإنجيل الرابع لم ينص فيها المؤلف على أن المسيح شرب وذلك لأنه لم يتناول هذه الأشربة من باب التعفف والبعد عن المظان ، وإن كان قد قال بأنه حول الماء خمرًا لكي يشرب غيره . وهذه هي المفارقة . وللأناجيل الثلاثة موقف مخالف لهذا الإنجيل. فإنها نصت على أن المسيح لم يتناول منها لا المسكر ولا غير المسكر قال نص

---

(١) [٣ : ٢٩] .
(٢) [١٥ : ١١] .
(٣) [١٦ : ٢٠ - ٢٤] .
(٤) [روميه ١٣ : ١٣] .
(٥) [اكورنثوس ٥ : ١١] .

متى على لسان المسيح :

« لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي »[1] . وقال نص مرقس :

« إني لا أشرب من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله»[2] .

وقال نص لوقا :

« إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله »[3] ، ونتاج الكرمة منه النبيذ ، ومنه الخمر المسكر ، وهو في رواية الثلاثة لايتناول أي نوع منهما ، أما في رواية الإنجيل الرابع فقد سكت للإيهام ، وزاد بأن من معجزاته أنه حول الماء خمراً وليس ذلك إلا للهدف الذي قصده من وراء ذلك وكما قال المفسر باركلي :

« نرى البشير في هذه القصة الواحدة يتحدث إلى اليهود قائلاً : بأن في يسوع تكميل الناموس والوصول به إلى كمال عهد النعمة ويتحدث إلى اليونانيين قائلاً : بأن يسوع قد أتى ليحقق أحلامكم الخيالية عن الآلهة ومقدرتها المعجزية »[4] .

وقد سبب ذلك حرجاً كبيراً للمفسرين الذين تناولوا يوحنا ، وربما كان أكثرهم صراحة هو الدكتور باركلي الذي يومىء بأن القصة مقصودة ، ولذا عقد المقارنة بينها وبين ديونسيوس إله الخمر عند اليونان وقام بتوضيح ما يقصد يوحنا أن يقوله لليونانيين واليهود من خلالها .

ويقول بعضهم بأن الماء تحول إلى ما يشبه الخمر في اللون والطعم دون أن يكون سكراً . كما أشار إلى ذلك إبراهيم سعيد بقوله :

« ومن قائل إن في إقدام المسيح على تحويل الماء إلي خمر ، تشجيعاً للناس على السكر ، ورداً على هذا نقول : إن الخمر التي صنعها المسيح لم تكن « مسكراً » بل كانت « مفوقة » بدليل شهادة رئيس المتكأ التي نطق بها بكل صحو بعد أن شرب

---

(١) [متى ٢٦ : ٢٩] . (٢) [مرقس ١٤ : ٢٥] .

(٣) [لوقا ٢٢ : ١٨] .

(٤) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ١ . ص ١٤٧ .

منها ، إنها لم تكن خمراً بالمعنى المعروف بل كانت كعصير العنب المقطوف حديثًا من الكرمة . . . . . »[1] .

وكثير من المفسرين ممن أحس بالحرج مثل هذا المعتذر جعل يلتمس بابًا للخروج من مأزق هذا المؤلف الذي نسب للمسيح صنع الخمر . ولانسرف في الرد على هذا المعتذر الذي ألمحنا إليه بل نكتفي بالقول : إن الدليل الذي استند إليه وهو شهادة رئيس المتكأ التي نطق بها بكل صحو بعد أن شرب منها . . . لايسلم له .

لأن هذا الدليل حسب النص ضد ما ذهب إليه المعتذر . فإن النص يقول : «فلما ذاق» والتنوق غير الشرب . فالتنوق لاحد لأقله ، وهو غير الشرب الذي يكون بكثرة حتى يطرب الشارب ، ولو كان المؤلف يقصد الشرب لعبر به . لكنه عبر بالتنوق ، والسكر لايحدث من التنوق بل يحدث من الشرب .

وهذا الدليل يستفاد من نصه صدقنا فيما نذهب نحن إليه . لأنه جاء بنصه قول رئيس المتكأ بأنه وصف الشراب الذي « ذاقه » بأنه « الخمر الجيد » وسواء كان رئيس المتكأة هو « كبير المدعوين من وجوه القوم » أو كان « رئيس الخدم » كما اختلف المفسرون ، فإنه على أيٍ يكون ممن لهم خبرة بأنواع الشراب ، ولهذا دعا العريس وقال له أمام الجمع : كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون ، أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن . وهذا القول لايقوله إلا خبير متمكن ولم يعترض عليه أحد منهم حسب النص . بل إن من الجائز أن يكون هذا الرئيس لاتؤثر فيه الخمر بسهولة لكثرة تعوده على معاقرتها ونكتفي بالنص وهو يقول بأنها «الخمر الجيدة» وكان يمكن له أن يقول : إنها مثل الخمر أو : لها مذاق ولون الخمر . لكن ذلك لم يأت بالنص .

٢ - الثاني من الاعتراضات :

ما جاء بنص هذه الحكاية من قوله علي لسان المسيح لوالدته :

« مالي ولك يا امرأة » وهذا اللفظ فيه خشونة ظاهرة . وكان ينبغي أن يكون غير ذلك كأن يقول لها : يا أماه ونحو ذلك . لكن مؤلف الإنجيل الرابع يصر على ذلك وقد

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٩٨ .

حكي في الإصحاح التاسع عشر [١] أن المسيح نادى أمه أيضاً بهذا اللفظ «يا امرأة» ولعل ما دفعه إلى ذلك : أنه جعل المسيح إلهًا فخشى على الألوهية من اعترافه بأمومتها له . لأنها حينئذ تكون أسبق منه وجوداً وهي سببه ، بينما هي في رأي المؤلف مثل أي امرأة من خلقه ، غير أنه كرمها بأن حل في رحمها .

قال وليم إدي : « لا يخلو هذا الجواب من التوبيخ لها على ما أظهرت من التعرض لما لايعنيها » [٢] ويعتذر بعضهم قائلاً : « هل من اللائق أن يقول يسوع لأمه : مالي ولك ؟ في الواقع أن مريم أدركت لياقة هذا الجواب واقتنعت به . . . . وفي إمكاننا نحن أن نتحقق لياقة هذا الجواب متى ذكرنا أن المسيح قد بدأ الآن خدمته الجهرية كوسيط وفاد . فقد خرج إذاً من حدود تلك النسبة الضيقة التي كان فيها تحت نفوذ أمه بحسب الجسد » [٣] .

ومهما كانت الأعذار من المفسرين . فإن في مخاطبته لها بهذا اللفظ خشونة وجفاء لايليق بالمسيح ، وهو بذلك مناقض لما نص عليه في الوصايا العشر « أكرم أباك وأمك» . . .

٣ - الاعتراض الثالث :

أن النص جاء به قوله عن الأجران « يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة » وهذا يعني الشك الذي يتسبب عن الجهل ، ولو كان المؤلف قد جهل ذلك كبشر لما جاز أن يكتب ذلك على القول بإلهامه بالروح القدس ، لأنه يتكلم بلسان حال ربه وإلهه الذي يلهمه الصواب ، ومتى جاء بنص مثل هذا فمعناه أن المؤلف شاك لايستطيع أن يقطع برجحان أي الرأيين

ولايقال : إن من الجائز أن بعض الأجران كان يسع مطرين وأن البعض الآخر كان يسع ثلاثة وأنه عبر بذلك جمعاً للنوعين ....، لأنا نقول إن الدليل على صحة ما ذهبنا إليه هو أن الجهل سبب هذا الشك قد جاء في موضوع آخر من النص في قوله :

---

(١) [١٩ : ٢٦] .

(٢) وليم إدي : الكنز : شرح إنجيل يوحنا . ص ٣٠ .

(٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٩٢ .

« فلما كانوا قد جدفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشيًا على البحر مقتربًا من السفينة فخافوا »[1] .

وغني عن البيان أن المسافة التي قطعتها السفينة واحدة إما ، وإما ، وإما ثالثة غيرهما . وهذا دليل جهله بحقيقة الأمر ، وهو مبعث شكه ، وعلي من يرى غير ما نرى أن يوضح لنا ما يدافع به عن الفيلسوف القدير مؤله المسيح .

ونخلص من الحديث عن أولى معجزات الإنجيل الرابع - إنجيل الفلسفة وتاج الأناجيل - إلى ما يأتي : -

١ - أن إله الخمر اليوناني ديونسيوس . من وراء هذه القصة التي انفرد بها الإنجيل الرابع على طريقته في مراعاة ظروف من يكتب تنفيذاً لرغباتهم في أفسس وغيرها .

٢ - أن هذه القصة التي تفرد بها لاتنسجم مع ما نص عليه الثلاثة من أن المسيح لم يكن يشرب من نتاج الكرمة ، ولاتنسجم أيضًا مع تلك النصوص التي جاءت في ذم الخمر والسكر .

٣ - أن الرمزية واضحة فيها من المقارنة بثاني معجزات موسى[2] ، ومن شاء المزيد فليرجع إلى تفسير هلال موسى .

٤ - أن في ذلك تشجيعًا للناس على تناول الخمر والمسكرات . وذلك ما يجعلنا نشك في صدق هذه الرواية ، ونري فيها إباحية ومسايرة لما تعارف عليه طلاب هذا الإنجيل من أخلاق وذلك كما سبق في قصة الزانية . بل نقطع بأن هذه القصة صناعية كما سبقها لانصيب لها من صدق الواقع التاريخي في شيء .

٢ - المعجزة الثانية:

شفاء المحموم . ولم يذكرها غيره[3] :

« كان خادم للملك ابنه مريض في كفر ناحوم ، هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لأنه كان مشرفًا على الموت

---

(١) [٦ : ١٩] .

(٢) وذلك لما ورد في العهد القديم من تحويل مياه المصريين إلى دم المذكور في سفر الخروج [٧ : ١٩ - ٢١].

(٣) [٤ : ٤٦ : ٥٣] .

فقال له يسوع لاتؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب ، قال له خادم الملك يا سيد انزل قبل أن يموت ابني ، قال له يسوع اذهب ابنك حي فآمن الرجل بالكلمة التي قالها له يسوع وذهب . وفيما هو ذاهب استقبله عبيده وأخبروه قائلين إن ابنك حي ، فاستخبرهم عن الساعة التي أخذ فيها يتعافى فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى ففهم الأب أنه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع إن ابنك حي فآمن هو وبيته كله » [1] .

وهذه القصة بهذا الأسلوب وما يحمله من معني لايتأتى لمعترض أن يقول فيها شيئًا . ونحن كمسلمين نؤمن بأن الله هو الفعال لما يريد ، وأن رسله الذين يمنحهم من فيض رحمته ما ينتفع به عباده ، من الجائز عقلاً أن يحدث مثل ذلك منهم بإمداد الله لهم ، وقد كان المسيح كذلك ولا جدال .

٣ - المعجزة الثالثة :

شفاء مشلول بيت حسدا المقعد . ولم يذكرها غيره :

أ - نص الحادث :

« وفي أورشليم عند باب الضأن بركة يقال لها بالعبرانية بيت حسدا لها خمسة أروقة ، في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمي وعرج وعسم [2] يتوقعون تحريك الماء لأن ملاكًا كان ينزل أحيانًا في البركة ويحرك الماء فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه ، وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة هذا رآه يسوع مضطجعًا وعلم أن له زمانًا كثيرًا ، فقال له أتريد أن تبرأ ، أجابه المريض يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البركة متي تحرك الماء ، بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر ، قال له يسوع قم احمل سريرك وامش فحالا برئ الإنسان وحمل سريره ومشى ، وكان في ذلك اليوم سبت » [3] .

ب - صمت التاريخ عن هذه البركة العجيبة :

لايوجد حديث عن هذه البركة إلا في هذا الإنجيل العجيب ، لم يتحدث عنها غيره من كتاب الأناجيل الثلاثة . وكذلك أغفلها الكُتّاب اليهود : قال متى هنري : « مع أن

---

(١) [٤ : ٤٦ : ٥٣] .

(٢) « العسم » : هم المصابون بجفاف في مفاصل اليدين والرجلين ويعرف مرضهم الآن بداء النقرس - إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ١٨ .

(٣) [٦ : ٢ - ٩] .

كُتّاب اليهود أسهبوا في التحدث عن أمجاد أورشليم ، لكن لم يذكر أي واحد منهم شيئاً مطلقاً عن هذه البركة . . . . كان هذا هو كل الوصف الذي جاء عنها »[1] .

جـ - هل هي رمزية :

اختلف المفسرون فيها : فقال البعض بأنها قصة واقعية ، وقال البعض بأنها قصة رمزية : ويتحدث الدكتور وليم باركلي عن هؤلاء بأنهم :

١ - « قالوا إن الرجل المريض يرمز إلي الأمة الإسرائيلية » .

٢ - « والأروقة الخمسة تشير إلى أسفار موسى الخمسة أي أسفار الناموس . وفي هذه الأروقة التي ترمز إلى الناموس ينطرح الشعب مرضى ، معذبين ، مفلوجين ، عاجزين ، تغطيهم القروح ، وتهد كيانهم الأوصاب ، وهم لايجدون في الناموس شفاءهم من ضربة الخطية ، لعنة الإثم . . . فالناموس شأنه شأن أروقة بيت حسدا لايفعل أكثر من أن يأوي جمهوراً كثيراً من مرضى وعرجٍ وعميٍ وعسمٍ ، وكنه لايهبهم الشفاء ولايقدم لهم الدواء .

٣ - « أما الثماني والثلاثون عامًا فهي تشير إلى عدد السنوات التي قضاها بنو إسرائيل في برية التيه ، بعد خروجهم من أرض مصر ، أو لعلها تشير إلى عدد القرون التي انتظرت البشرية بطولها مجيء المسيح حتى أتى المخلص . . . . . »

٤ - « أما تحريك المياه والغوص فيها ، فيشير إلى المعمودية ، وفي الحقيقية نرى بعض الصور ، في الفن المسيحي القديم تمثل لنا المعمدّ ، وهو يخرج من الماء حاملاً فراشه على ظهره .

« إن هذه الصور الرمزية قد تتضح لنا من خلال سطور القصة ولكن لايمكن أن يعني هذا أن القصة كلها رمزية ، وأن يوحنا كتبها كأسطورة تصويرية تعلن حقائق رمزية »[2] .

وإذا كان باركلي قد علق بهذا النص الأخير ما مفاده أن من غير الممكن أن تكون القصة كلها رمزية فلأنه كما أشرنا إلى ذلك ليس من القائلين بأنها رمزية ، وإنما هو

---

(١) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا . جـ ١ . ص ٣١٦ .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٢٧٠ ، وقد اختصرنا بعض كلامه لعدم الإطالة لا لغرض آخر ونحن نحيل إليه . والترقيم من عندنا ولذا وضعناه خارج الأقواس .

هنا يعترف بأن من الممكن أن يكون بعضها رمزي وبعضها غير رمزي .

ونحن نرى أيضاً أن من الجائز ذلك . فإن مما لاشك فيه أن المسيح كانت لديه القدرة على إبراء مثل هذا المريض بإذن الله ، ومن الجائز أن يكون قد حدث منه ذلك لمثل ذلك الرجل المشلول . وهذا هو الجانب الواقعي .

وأما الجانب الرمزي فهو القالب الذي أفرغ ذلك الجانب الواقعي فيه ، وهو هيكل القصة والثوب الذي ظهرت به في هذان النص ، وإلا فما تفسير غفلة اليهود عن ذكر تلك البركة العجيبة ذات الأروقة الخمسة التي كان الملاك ينزل فيها ويحرك الماء ؟ ؟ وليس بصحيح أنهم أغفلوها حقداً على المسيح وحسداً لأنها من قبل ظهوره ، بل كانت تعد مفخرة لهم وتخليداً لديانتهم . ولو سلمنا جدلاً بأن ذلك كان سبب إغفالهم لها ، فلا سبب لإغفال كل من مؤلفي أناجيل متى ومرقس ولوقا لها ، بل لاسبب إلا أن المؤلف العجيب هو كاتب إنجيل العجائب والغرائب .

د - **التعليق على هذه المعجزة** : الذي أتى به المؤلف على لسان المسيح :

اعترض اليهود على المريض الذي حمل سريره في يوم سبت لأن هذا لا يحل له حسب شريعتهم أما هو فأشار إلي أن الذي أبرأه هو الذي أمره بذلك فسألوه من هو ، ولما لم يكن يعرفه فحينما التقى بيسوع في الهيكل دلهم عليه لهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه :

فأجابهم يسوع : أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل »[1] وكذا أجابهم : «لايقدر الإبن أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما ينظر الأب يعمل لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الإبن كذلك . لأن الأب يحب الإبن ويريه جميع ما هو يعمله وسيريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الإبن أيضًا يحيي من يشاء» .

ومن هنا يفترق مؤلف الإنجيل الرابع عن الأناجيل الثلاثة لأن المسيح في رأيه هو الله المتجسد ، فكما أن الله الأب الذي يعرفونه يقيم الأموات ويحيي كذلك (الله المتجسد الذي هو) الإبن يحيي من يشاء .

ويستمر التعليق على لسان المسيح حسب رواية هذا الإنجيل الذي تفرد بذلك حتى يقول :

---

(١) [٥ : ١٧] .

« كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الإبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً »[1] وقد خانته فلسفته وثقافته حيث نص على أن الأب معط الإبن الآخذ . وهذا وحده دليل افتقار الإبن وغنى الأب المانح ، مما يثبت ألوهية الأب ومغايرته للإبن الآخذ المحتاج . ويستمر التعليز من المؤلف على لسان المسيح إلى نهاية هذا الإصحاح بالدعاوى العريضة والعبارات الرنانة وبتلك النغمة التي عهدناها لتأليه المسيح .

ونحن نخلص إلى رأي محدد بشأن هذه القصة :

١ – أنها رمزية كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين . لتفرده بها وظهور أثر الصنعة الرمزية فيها .

٢ – ولامانع في أن من الجائز عقلاً أن يكون المسيح قد أبرأ مشلولاً بإذن الله . وأن المؤلف وضع ذلك في هذا الثوب القصصي ، وراعى في هذه القصة التصويرية ، ما قصده من الأشياء التي كان يرمز إليها وليس هذا ببعيد على مؤلف الإنجيل العجيب الغريب بين الأناجيل .

٤ - المعجزة الرابعة:

إشباع الجموع من سمكتين وخمسة أرغفة . وهي المعجزة الوحيدة التي اتفق عليها الأربعة :

النص : « فرفع يسوع عينيه ونظر جمعاً كثيراً مقبلاً إليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل ، أجابه فيلبس لايكفيهم خبز بمائتي دينار ليأخذ كل واحد منهم ولو شيئاً يسيراً ، قال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ، فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون وكان في المكان عشب كثير ، فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف ، وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ . والتلاميذ أعطوا المتكئين وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لايضيع شيء ، فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر الفاضلة من خمسة أرغفة الشعير التي

---

(١) [٥ : ٢٦ ، ٢٧] .

فضلت عن الآكلين [1] » وقد ذكرها متى [2] ، وكذا مرقس [3] ، وكذلك لوقا [4] .

وقد زادت رواية الإنجيل الرابع أن الناس لما رأوا هذه الآية التي صنعها يسوع «قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا انصرف إلى الجبل وحده ، ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر » [5] .

وخالفه متى في رواية معجزة الطعام المذكورة بحيث نص على أنها تمت لما صار المساء » [6] ، وأما لوقا فنص على خلاف متى في التوقيت وهو أن الإطعام لم يبدأ إلا بعد أن « ابتدأ النهار يميل » [7] . وخالف لوقا الثلاثة فلم يذكر أنه انصرف مع تلاميذه في المساء إلى البحر حيث حدثت معجزة مشي المسيح على الماء التي لا أثر لها في لوقا مخالفاً الثلاثة في إغفاله لها .

وخالف لوقا نص الإنجيل الرابع أيضاً فيما قالته الجموع عن المسيح بعد الأكل . حيث جاء به أن المسيح سأل تلاميذه :

« من تقول الجموع إني أنا . فأجابوا وقالوا يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون إن نبيًا من القدماء قام ، فقال لهم وأنتم من تقولون إني أنا فأجاب بطرس وقال مسيح الله ، فانتهرهم وأوصاهم أن لايقولوا ذلك لأحد » [8] . ولاندخل في المقارنة بين روايات الأربعة هنا ونرجيء ذلك لموضوع قادم إن شاء الله . ونعود إلى المعجزة التالية حسب رواية الإنجيل الرابع ..

٥ - المعجزة الخامسة :

مشي المسيح على الماء :

وافقه عليها كل من نص متى ونص مرقس وأغفلها لوقا . وهاك نص يوحنا :

« ولما كان المساء نزل تلاميذه إلي البحر فدخلوا السفينة وكانوا يذهبون إلى عبر البحر إلى كفر ناحوم وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتى إليهم وهاج البحر من ريح عظيمة تهب ، فلما كانوا قد جدفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة نظروا

---

(١) [٦ : ٥ - ١٤] .
(٢) [١٤ : ١٣ - ٢١] .
(٣) [٦ . ٣٠ - ٤٤] .
(٤) [٩ : ١٠ - ١٧] .
(٥) [٦ : ١٤ - ١٦] .
(٦) [متى ١٤ : ١٥] .
(٧) [لوقا ٩ : ١٢] .
(٨) [لوقا ٩ : ١٨ - ٢١] .

يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة فخافوا ، فقال لهم : أنا هو لاتخافوا ، فرضوا أن يقبلوه في السفينة وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التي كانوا ذاهبين إليها »[1] .

ولكن متى خالفه ، وكذا خالف مرقس في النص على أن بطرس لما طمأن المسيح التلاميذ بقوله لهم أنا هو لاتخافوا أجابه بطرس بقوله « يا سيد إن كنت هو فمرني أن آتي إليك علي الماء فقال تعال .

فنزل بطرس من السفينة ومشي على الماء ليأتي إلى يسوع ، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يا رب نجني ففي الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الإيمان لماذا شككت ولما دخلا السفينة سكنت الريح »[2] .

ولكن يوحنا على عادته في المخالفة بنغمته الخاصة بإنجيله الفلسفي اللاهوتي يخرج على المعجزتين . هذه المذكورة هنا وسابقتها بتعليق مفاده أن الجموع جاءت إلى كفر ناحوم يطلبون يسوع الذي ابتدأ يقول لهم إنكم « تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم ، اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الأب قد ختمه »[3] .

ثم توالت أفكار فلسفة المثل الأفلاطونية على لسان المسيح بقلم المؤلف الفيلسوف مثل قوله :

« ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم ، فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذاالخبز ، فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة ، من يقبل إلى فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً »[4] .

وكقوله : « أنا هو الخبز الذي نزل من السماء »[5] ، وكقوله : « من يؤمن بي فله حياة أبدية أنا هو خبز الحياة ، آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا ، هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولايموت ، أنا هو الخبز الحي الذي نزل من

---

(1) [٦ : ١٦ – ٢١] .
(2) [متى ١٤ : ٢٨ – ٣٢] .
(3) [٦ : ٢٦ – ٢٨] .
(4) [٦ : ٣٢ – ٣٥] .
(5) [٦ : ٤١] .

السماء إن أكل أحد من هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد ، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم »[١] . وانظر إلى حديثه عن أولئك الآباء الذين أكلوا المن في البرية بأنهم قد ماتوا ، ولكن الذين يؤمنون بالمخلص الفادي لهم حياة أبدية ، مع أن الموت الذي نزل بالآباء لاينجو منه هؤلاء ، ولكنه التطاول على موسى ومن آمنوا معه كشأن المؤلف مع أتباع المعمدان الذي حط من قدره وحكم بعدم كفاية إيمانهم بدعوته .

وانظر إلى قوله على لسان من يؤلهه :

« إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير ، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه كما أرسلني الأب الحيّ وأنا حيّ بالأب فمن يأكلني فهو يحيا بي ، هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المَنّ وماتوا من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلي الأبد »[٢] فهل أكل أحد منهم جسد ابن الإنسان ؟ ؟ وهل منهم من شرب من دمه ؟ ؟ كلا ثم كلا .

إذن فما وجه الحق في ذلك ؟! وانظر إلى ادعائه على لسان المسيح من قوله : جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق .... ولا حق في ذلك ولا وجه له من الحقيقة !

قال الإمام الأكبر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود :

« يقول القديس أوغسطين مبرراً كل هذا اللامفهوم بلا مفهوم جديد ، « أومن بالمسيحية لأنها دين غير معقول » .

وإنه حقيقة دين غير معقول .

أتعقل أن ينقلب الخبز إلى جسد المسيح ، والخمر إلى دم المسيح ، فإذا أكلت الخبز وشربت الخمر حل فيك جسد المسيح ودمه واتحدت به ؟

إن هذا غير معقول ، ولكنه عقيدة مسيحية ..

ويتحدث أناتول فرانس في حكمته الساخرة عن هذه العقيدة المسيحية ، ثم يقول : إن أحد الرهبان ذهب إلى مخزن الدقيق ليحضر منه مقداراً يصنعه خبزاً استعداداً لتوزيعه في العشاء الرباني ، ونظر الراهب في الدقيق فوجد فيه بعض الآثار الحمراء ،

---

(١) [٦ : ٤٧ - ٥١] .	(٢) [٦ : ٥٣ - ٥٨] .

فأخذ يقدس الرب بصوت مرتفع وهو فرح مغتبط حيث ظهر دم السيد المسيح في الدقيق قبل أن يصنع خبزًا . والتف حوله الرهبان ليشاهدوا المعجزة الربانية ، وأقاموا طقوسهم فرحين مستبشرين . ولكن ..... دم الإله كان مجموعات من السوس تبينها الراهب من بعد ، فأخفى الأمر ولم يبح بسره إلا لأفراد انتشر منهم لغيرهم ، ثم عرف الأمر وذاع »[1] .

ولكثرة ما ادعاه المؤلف من هذه المقولات التي يرفضها العقل ولايقبلها ، اضطر المؤلف للاعترواف بذلك ولكن في صورة تاريخية . إذ قال :

« من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه[2] . والسبب ظاهر من قولهم إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه . فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتذمرون ..... »[3] ونحن لانعتقد صحة هذا الخبر الغريب لأننا لانعتقد بحدوث سببه ، وهو ما ادعاه المؤلف فيلسوف المثل من أقوال على لسان المسيح ، وأنه كما ادعى على المسيح هذه الأقوال التي لانظير لها من قريب أو من بعيد في الأناجيل الثلاثة الأخرى . كذلك ادعى على التلاميذ أن كثيرين منهم أرتدوا عن اتباع معلمهم ، ونعتقد أن المسألة برمتها لانصيب لها من الصحة وأنها لاتعدو الإعراب عن عقيدة المؤلف فيما يشبه الوقائع التاريخية .

٦- المعجزة السادسة:

فتح عيني المولود أعمى . ولم ينكرها غيره :

أ - النص :

« وفيما هو مجتاز رأي إنسانا أعمى منذ ولادته ، فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ، أجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه . ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار يأتي ليل حين لايستطيع أحد أن يعمل . ما دمت في العالم فأنا نور العالم .

---

(١) شارل جنيير: المسيحية نشأتها وتطورها - المقدمة للمعرب المرحوم/ الدكتور عبد الحليم محمود . ص ٩.

(٢) [٦ : ٦٦] . (٣) [٦ : ٦٠] .

قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عيني الأعمى ، وقال له اذهب واغتسل في بركة سلوام الذي تفسيره مرسل ، فمضى واغتسل وأتى بصيراً »[1] .

هذا حديثه عن حدث تلك المعجزة ، والنص خير شاهد على الصبغة الفلسفية التي تبدو من مقدمته وهي تلك النغمة الخاصة بإنجيل الفلسفة ، وهذه ملامحه الطبيعية الخاصة به ، لكن الجديد في حديثه عن تلك المعجزة أنه قدمها للإجابة عن سؤال فلسفي جدلي عن أسباب البلاء بالأمراض ، أهي ذنوب الأشخاص المصابين ؟ أم هي بسبب ذنوب الآباء ؟ وهذه الحالة لإنسان مولود بإصابته بالعمي قبل أن يخطيء ؟ فهل هذا الذي أصابه بسبب ذنوب أبويه ؟ ؟

مشكلة فلسفية :

والعجيب أنه قدم هذا التساؤل على لسان تلاميذ المسيح من قوله : من أخطأ ؟ هذا ؟ أم أبواه ؟ ؟ وكأن التلاميذ في مستوى تلميذ مدرسة الاسكندرية مؤلف الإنجيل الأفسسي . وهذا السؤال لايتأتي من أشخاص كتلاميذ المسيح بمستواهم الثقافي والمادي كما سبق توضيحه من أن الأمية التامة كانت الطابع المميز لأكثر الإثني عشر ، وأن بعضهم كان له إلمام ببعض مباديء القراءة والكتابة ، وأن القليل منهم من كان قريباً من مستوى متي كاتب الحسابات الذي كان فيما نظن أعلاهم كعباً في هذا الشأن ، ومع ذلك فلم يكن بينهم المثقف المطلع على علوم الفلسفة حتى يسأل مثل هذا السؤال عن سبب عمى هذا الشخص . أبسبب خطئه هو ؟ أم بسبب خطأ والديه ؟ ؟

وهي مشكلة فلسفية من النوع الذي لا يظهر في بدايات عهود الدعوة الأولي في الأديان ، وإنما تظهر بعد عهد الاتباع والاستيعاب ، حين تبدأ عهود البحث والمناقشة الإجمالية والمواءمة ، وهذا المستوى الفكري غريب على مجتمع الحواريين السذج البسطاء الذي أحبوا معلمهم بالفطرة وتبوؤا منازل الصفوة عن بساطة قلب وطيب خاطر .

وهذا المولود أعمى لايمكن أن تكون خطيئته سبباً لولادته أعمى . إلا عند المعتقد

---

(١) [٩ : ١-٧] .

بتناسخ الأرواح [1] . حيث يمكن أن تكون إجابة المعتقد بجواز ارتكاب روح هذا الأعمى لخطيئة سابقة في مرحلة من مراحل وجودها في حياة سابقة في جسد آخر من قبل ، مما استحقت العقاب في حياتها الحالية في هذا الجسد للمولود أعمى ، وهذه خلفية محتملة لمن يسأل مثل هذا السؤال . ويصح أن يكون الإعتقاد بتناسخ الأرواح هو المنطق لهذا السؤال . وتكون الإجابة الموافقة لاعتقاده هي أنه أخطأ في حياة سابقة لهذه المرحلة .

وإذا كان ما أصاب هذا المولود أعمى بسبب خطيئة أبويه أو أحدهما . فإن ذلك يعني : نسبة الظلم إلى الله – تعالى – وهذا إشكال أيضاً لايقل عن سابقه فيلزم من الأول الاعتقاد بتناسخ الأرواح وهو اعتقاد وثني ويلزم من الثاني نسبة الظلم لله . وهو شبيه بذلك الإشكال الذي كان السبب الخفي – فيما يستنتج – من وراء قصة المرأة الزانية : هل يكون موقف أناجيل الكنيسة مثل موقف اليهود وكتبهم من إدانة هذه الجريمة ؟ ؟ أم يكون موقفها موافقًا لما درج عليه عباد أرطاميس في أفسس ؟ ؟ فجاء المؤلف بالحل الذي يتفق ورغبات الطالبين .

وهنا أيضًا نفس التحول ظاهر في الحل الذي جاء به المؤلف موافقًا لرغبة من طلبوا إنجيلاً لتأليه المسيح . فكانت الإجابة :

« لا هذا أخطأ ولا أبواه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه » والمقصود هو الله المتجسد في يسوع المسيح ، الكلمة الذي صار جسداً .

ومن العجيب أن الأناجيل الثلاثة لم يرد بها أي معجزة تتحدث عن شفاء مريض مصاب منذ ولادته . وه هذه هي المعجزة الوحيدة في البشائر التي كان فيها المريض مصاباً منذ ولادته »[2] كما قال وليم باركلي في تفسيره لها .

والسبب : هو أن المؤلف الفيلسوف أراد أن يعالج هذه المشكلة الفلسفية فجاء بهذه القصة وقدم لها بهذه المقدمة لكي يصل منها إلى ما سنوضحه بعد . في تعليقه عليها بلسان المسيح .

---

(١) تناسخ الأرواح : من عقائد الهنود البراهمة : راجع الشيخ محمد أبو زهرة مقارنات الأديان – الديانات القديمة . ص ٤٣ .

وراجع كذلك كتاب أستاذنا الدكتور أحمد غلوش . دراسات في الأديان – أديان العالم القديم . ص ٥٨.

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . ص ٨١ .

يقول الدكتور إبراهيم سعيد في تفسيره لهذه القصة : في البند (٣) « المشكلة الفسلفية التي سبقتها :

سؤال التلاميذ (عدد ٢) عجيب أن هؤلاء الصيادين يلهون بالمشاكل الفلسفية عن أعمال الرحمة ، في وقت ينشغل فيه رب الحكمة والعلم ، عن كل فلسفة كلامية ، بأعمال الرحمة الإلهية . ربما في هذا برهان على أن أكثر الناس رغبة في إثارة المشاكل اللاهوتية الفلسفية ، ليسوا هم أوسع الناس عقولاً . بل أضيقهم قلوبا ، فوا رحمتاه على القرون الطوال التي صرفتها الكنيسة في المجادلات الكلامية وانصرفت بها عن المشروعات التبشيرية الجليلة » أ ..هـ .

ثم يقول تعليقًا على سؤالهم «من أخطأ هذا ؟» ما نصه «على اعتبار أن أرواح البشر كانت عائشة قبل حلولها في الاجساد ، وأنها ارتكبت خطأ في وقت سابق لتجسدها» . ثم أشار إلى أن هذا الاعتقاد هو فكرة تناسخ الأرواح [1] ، ثم انتهى إلي القول : بأن سؤالهم « أم أبواه » مؤسس على ما فهموه من قول الله في الخروج [2] «أفتقد ذنوب الآباء في الابناء» إلى القول :

« ربما أن التلاميذ لم يكونوا مقتنعين بأحد هذين الحلين ، نظرًا للصعاب التي تحيط بكل منهما : فالأول عسير والكلام فيه كثير ، والثاني : يتنافى في ظاهره مع عدالة الله ، لذلك التجأوا إلى المسيح ليحل لهم هذه المشكلة القديمة المجددة (مشكلة علة البلايا) [3] » أ . هـ

وهذا السؤال عجيب حقًا في مثل هذا الموقف أمام إنسان مصاب بالعمى ، وأعجب منه أن يكون من صيادين لا صلة لهم بالفلسفة ومشاكلها ، وإنا لنأسف على تلك القرون الطوال التي صرفتها الكنيسة في المجادلات والمشاكل اللاهوتية الفلسفية التي فتح بابها هذا الإنجيل الفلسفي ، فَحَوَّلَهَا عن مجراها وصرفها عن مرتجاها .

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٣٨٤ - ولنا معه وقفة : ذلك أنه أشار إلى فكرة تناسخ الأرواح . وقال إنها لم تكن غريبة على تلك الأيام وأشار إلى نصين [تك ٢٥ : ٢٢] و [مزمور ٥١ : ٧] والأول عن سفر التكوين . وقد رجعنا إلى السفرين فلم نجد ما يفيد . أو يشير إلى تلك العقيدة لا من قريب ولا من بعيد ، وهذا الرجل يريد أن يقول إن ذلك كان شائعاً بين اليهود . وهذا بعيد ، والقريب أن ذلك كان من ثقافة مؤلف الإنجيل الرابع وأنه جاء بهذه المشكلة الفلسفية والبسها ثوب قصة تاريخية .

(٢) [٢٠ : ٥] .

(٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٣٨٥ .

وإذا كانت مؤاخذة الأبناء بذنوب الآباء تتافى في الظاهر مع عدالة الله ، فإنها كذلك في الباطن تتنافى مع عدالة الله والقول بالصلب الذي وقع على المسيح بزعمهم فداء للخطيئة الموروثة يتنافى مع عدالة الله . فهل تراهم يفطنون إلى منطق العدالة فيريحو ويستريحو وينزهون الله تعالى عن الظلم الذي يقولون به . . .

ب - التعليق الذي جاء بالنص على القصة :

وقد جاء بالنص مجموعة من التعليقات . فالجيران عندما تأكدوا من إبصار هذا الرجل بعد أن كان أعمى يجلس ويستعطى سألوه : كيف انفتحت عيناه ، فأخبرهم . فذهبوا إلى الفريسيين ، ومن العجيب أن ذلك أيضاً حدث يوم سبت حين أبصر ! ! . وهؤلاء استفسروا منه فحكى لهم الكيفية ولم يصدقوا فدعوا أبويه ، فأكد أنه كان أعمى منذ ولادته ، وأما كيف أبصر . فهما لايعلمان عن السبب أكثر مما يقول وابتدأ الاستجواب الثاني لذلك الذي كان أعمى فأبصر .

١ - جاء بأقواله عن المسيح أنه نبي - في رأي الذي كان أعمى - ونفى عن المسيح أن يكون خاطئًا كما يزعم الفريسيون - لأنه في رأيهم خالف شريعة السبت . بينما هو بار لأن الله لايسمع للخطاه . وحاجهم في المقارنة بين المسيح وموسى : بأنهم إذا كانوا يقولون بأنهم يعلمون من أين موسى الذي كلمه الله ، وهم من تلاميذه ، فإن المسيح من الله . ولو لم يكن منه لم يقدر أن يفعل ما فعل . وجاء أيضاً بأقواله : منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى . ولما التقى بالمسيح آمن بأنه ابن الله - كما طلب المسيح منه - ثم سجد للمسيح .

٢ - ثم بدأ الحديث على لسان المسيح . يتخلله بعض الأحيان سؤال من اليهود أو محاولة منهم للاعتداء عليه بالرجم وذلك بسبب ما كانوا يسمعونه منه :

أ - بدأ المسيح يقول : لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون . فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له : ألعلنا نحن أيضاً عميان قال لهم يسوع . لو كنتم عميانًا لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية »[١] .

---

(١) [٩ : ٣٩ - ٤١] .

ب – ثم يبدأ بعد ذلك التعليق الذي شغل به الإصحاح العاشر من أوله إلى آخر فقرة فيه [(١)] ، وهو بقية الحديث الذي أتى به المؤلف على لسان المسيح .

بدأ المسيح الحديث عن نفسه بأنه باب الخراف [(٢)] ، وقد تحدثنا عن هذا النص . في موقف المؤلف من « يوحنا المعمدان » ومحل العجب من قوله على لسان المسيح :

« جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص » ويقصد بذلك الرسل والأنبياء ، كما يفهم من سياق النص ، وهو ما لم يوافقه عليه المفسرون المعتدلون .

وربما لزم هنا أن نقول كلمة موجزة . وهي أن الربط بين القصة كما جاءت بالنص ، وبين قوله : منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى – جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص – أن يوحنا لم يفعل آية واحدة [(٣)] عن المعمدان وبذلك يتضح هدفه من النيل من أقدار الجميع فكلهم من الأرض ومن الأرض يتكلمون ، أما يسوع المسيح فهو من الله وهو من عند الله وهو الله من السماء نزل وإلى السماء يصعد .

وجاء في التعليق على لسان المسيح من نص المؤلف . حديث عن الصلب الإختياري في أسلوب خفي من قوله :

« أنا أضع نفسي عن الخراف لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً . . ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً هذه الوصية قبلتها من أبي » [(٤)] .

وحدث انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام : فقال كثيرون منهم : به شيطان وهو يهذي لماذا تستمعون له . وآخرون قالوا ليس هذا كلام من به شيطان « ألعل شيطاناً يقدر أن يفتح أعين العميان » [(٥)] .

وجاء في التعليق من كلام المؤلف علي لسان المسيح أن اليهود سألوه . إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهراً فقال :

« إني قلت لكم ولستم تؤمنون الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي » إلى

---

(١) [١٠ : ١ – ٤٢] .
(٢) [١٠ : ١ – ١٥] .
(٣) [١٠ : ٤١] .
(٤) [١٠ : ١٥ – ١٨] .
(٥) [١٠ : ٢١] .

قوله « أنا والآب واحد »[1] ومعنى ذلك أن المسيح[2] يدعي الألوهية ، التي بدأ المؤلف إنجيله بالحديث عنها والتي ظهرت أيضاً من النصوص السابقة سواء ما قرره المؤلف بلسان نفسه . أم بلسان غيره من اليهود . أو يوحنا المعمدان ، أو المسيح ، وهو هنا يقرر عقيدته على لسان المسيح

والعجيب أن الأناجيل الثلاثة لم يرد بها أي رواية عن هذا الادعاء الكبير الذي يدعيه قائله « أنا والآب واحد » بل إن هذا الحوار الذي يدور بهذه النغمة في هذا الإنجيل لانظير له بين الثلاثة . ذلك لأن هذا الإنجيل « طراز وحده » و« عالم آخر » ألف ليقول « بتأليه المسيح » ، وهو وحده الذي ادعى على المسيح ما تفرد به من الأفعال والأقوال . وهذه أيضاً المعجزة الوحيدة التي تميزت بأنها شفاء مصاب منذ ولادته ، من بين معجزات المسيح .

وجاء في التعليق من كلام المؤلف أن اليهود تناولوا حجارة لرجم المسيح بعد قوله: « أنا والآب واحد » وانتهى حوار المسيح معهم إلى قوله :

« إن كنت لست أعمال أبي فلا تؤمنوا بي ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه » وهذا معناه أن المسيح يدعي بنفسه الألوهية لنفسه .

ولم يغفل التعليق على هذه المعجزة الرد على اتباع المعمدان أيضاً فقال في آخره : « فأتى إليه كثيرون وقالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة ، ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً فآمن به كثيرون »[3] .

ونخلص إلى نتيجة بحثنا لقصة هذه المعجزة التي جاءت بالنص : وهي :

١ – أن هذه هي القصة الوحيدة التي رويت عن شفاء مريض منذ ولادته . دون ما جاء بالأناجيل الأربعة .

٢ – أنها كما يفهم من مقدمتها الفلسفية إنما جاء بها المؤلف للرد بلسان المسيح عن السؤال عن « علة الخطايا » .

٣ – أنه لم يجب عن المشكلة الفلسفية وإنما أجاب مؤيداً تأليه المسيح .

---

(١) [١٠ : ٣٠] .
(٢) [١٠ : ٢٥] .
(٣) [١٠ : ٤١] .

٤ - أنه أتبعها بتعليق طويل جداً بنغمته ، الخاصة لكي يجعل منها دليلاً على ألوهية المسيح . وأنه حط من قدر موسى ويوحنا المعمدان وغيرهما ممن وصفهم بأنهم سراق ولصوص .

٥ - أنه انفرد من دون الثلاثة بذكرها كما خالفهم في نظرته للمسيح ومعجزاته إلى القول بتأليهه واستخدام المعجزات كشواهد على التأليه .

٧- المعجزة السابعة:

والأخيرة : إقامة لعازر من القبر :

ولم يذكرها غيره من مؤلفي الأناجيل وهاك نصها :

النص : « وكان إنسان مريضاً وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها ، وكانت مريم التي كان لعازر أخوها مريضاً هي التي دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ، فأرسلت الأختان إليه قائلتين يا سيد هوذا الذي تحبه مريض .

فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليست للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به ، وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر ، فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين ، ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب إلي اليهودية أيضاً ، قال له التلاميذ يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضاً إلى هناك . أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي عشرة . إن كان أحد يمشي في النهار لايعثر لأنه ينظر نور هذا العالم ، ولكن إن كان أحد يمشي في الليل يعثر لأن النور ليس فيه قال هذا وبعد ذلك قال لهم . لعازر حبيبنا قد نام لكني أذهب لأوقظه فقال تلاميذه يا سيد إن كان قد نام فهو يشفى ، وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم ، فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات ، وأنا أفرح لأجلكم ، إني لم أكن هناك لتؤمنوا ولكن لنذهب إليه ، فقال توما الذي يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه ، فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار أربعة أيام في القبر .

وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته ، وأما مريم فاستمرت جالسة في البيت فقالت مرثا ليسوع يا سيد لو كنت

ههنا لم يمت أخي ، لكني الآن أيضًا أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه قال لها يسوع سيقوم أخوك . قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير ، قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بي ولو مات فسيحيا ، وكل من كان حيًا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد ، أتؤمنين بهذا ، قالت له نعم يا سيد أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم .

ولما قالت هذا مضت ودعت مريم أختها سرًا قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك ، أما تلك فلما سمعت قامت سريعًا وجاءت إليه ، ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان في المكان الذي لاقته فيه مرثا ، ثم إن اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت تبعوها قائلين : إنها تذهب إلى القبر لتبكي هناك ، فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجليه قائلة له يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي .

فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذي جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب وقال أين وضعتموه ؟ قالوا له يا سيد تعال وانظر . بكى يسوع فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه . وقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضًا لا يموت .

فانزعج يسوع أيضًا في نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر . قال يسوع ارفعوا الحجر قالت له مرثا أخت الميت يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله . فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعًا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال :

أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي ، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجًا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب »[1] .

---

(1) [١١ : ١ - ٤٤] .

منزلتها بين معجزات الأناجيل :

وهذه المعجزة التي انفرد مؤلف الإنجيل الرابع بذكرها ، تعتبر أعلى قدرًا وأخطر شأنًا من غيرها مما رواه هذا المؤلف في إنجيله ، وكذلك مما رواه غيره من مؤلفي الأناجيل الثلاثة ، وقد حازت هذه المنزلة بين المعجزات كما حاز هذا الإنجيل الذي رويت به منزلة أعلى من غيره من الأناجيل الثلاثة ، فإذا كان هو « تاج الأناجيل » فهذه المعجزة أيضًا « تاج المعجزات » كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين »(1) وسوف يتأكد لنا هذا بعد دراساتنا إن شاء الله لها .

هدف المؤلف منها :

يبدو أنه في نهاية القرن الأول ظهرت موجة انكار لبعض ما كان يشاع عن المسيح من حوادث خارقة للعادة ، وذلك الانكار كان مبعثه الشك في صحة ما يروى عن المسيح وقد ساد هذا الانكار ما نسب إلى المسيح في هذا الباب من احياء بعض الأشخاص بعد موتهم وإعادة الروح للجسد بعد مفارقتها له . وقد ذكر كل من متى(2)، ومرقس (3) ، ولوقا (4) ، قصة احياء المسيح لابنة بايرس . على خلاف بينهم في تفاصيلها، مع اتفاقهم على القول بأن المسيح دخل عليها وأهلها يبكون ويلطمون، فقال لهم : لم تمت ولكنها نائمة فعجبوا ثم لمسها فقامت . وكذلك ذكر لوقا أن المسيح لمس نعش شاب ابن أرملة في قرية نايين فقام الشاب من النعش(5) . ولم يذكر في الأناجيل الثلاثة أن المسيح أحيا غير هذين. وكذلك فإن رواياتهم وصفية لا فلسفة فيها ولا حوار ولا استدلال . كما هو معهود في رواية الانجيل الرابع الفريدة التي معنا هنا.

قال الأستاذ محمد رشيد رضا : « فمنكروا العجائب يقولون إن كلاً من الشاب والشابة لم يكونا قد ماتا بالفعل وإن كثيرًا من الناس في كل زمان قد قاموا من نعوشهم بل من قبورهم بعد أن ظن الناس أنهم ماتوا . ولذلك تمنع الحكومات المدنية دفن الميت إلا بعد أن يكتب أحد الأطباء شهادة بثبوت موته ثبوتًا علميًا فنيًا .

---

(1) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٥٩ . (2) [متى ٩ : ١٨ - ٢٦] .
(3) [مرقس ٥ : ٣٥ - ٤٣] . (4) [لوقا ٨ : ٤١ - ٤٢] .
(5) [لوقا ٧ : ١١ - ١٧] .

والمؤمنين بالآيات أنْ يجزموا أيضاً بأن الصبيّة لم تكن ميتة أخذاً بظاهر قوله عليه السلام « لم تمت ولكنها نائمة » يعني أنها أغمى عليها فظنوا أنها ماتت وهي لم تمت »[1] .

ويبدو أن المؤلف راعى في هذه القصة النص على أمور لكي يدفع به مثل ماكان يشاع من الانكار . فإذا قيل مثلاً : إن الطفلة ابنة بايرس لم تكن ميتة لأن المسيح قال : لم تمت لكنها نائمة . فإن في القول بأن لعازر الذي قام بعد أربعة أيام من الموت لا يتأتى معه مثل هذا الإنكار ، خصوصاً وأن في نص يوحنا اعتراف أخت لعازر بأنه «قد أنتن لأنه صار له أربعة أيام في القبر» . وربما قصد بالنص على الأيام الأربعة ... أن المسيح الذي أحيا لعازر بعد أربعة أيام لا يصعب عليه أن يقوم هو نفسه من الموت بعد ثلاثة ... في مواجهة من ينكر ذلك بحجة تحلل الجثة وفسادها .

كما أن من المحتمل أن يقول المنكر : ربما كان إحياء الشاب ابن الأرملة نتيجة لاتفاق بينه وبين من أقامه ، فيتصنع الموت ، حتى يكفن ويحمل ، فإذا ناداه قام . فمن أجل ذلك راعى هذا المؤلف أن ينص على أن المسيح لم يكن في نفس القرية ، بل كان بعيداً وأنه مكث أربعة أيام ، وأن الأمر لم يكن فيه أي خداع لأن المسيح نفسه من فرط ما به « انزعج بالروح واضطرب »[2] وذلك حين رأى الباكين لعازر ، وأنه لشدة ما به من ذلك «بكى يسوع»[3] ولم يكن يعلم مكان القبر بل سألهم عنه «أين وضعتموه»[4] .

ومن العجيب أن أختي لعازر ترسلان إلى المسيح قائلتين « يا سيد هوذا الذي تحبه مريض » ، ومع ذلك لايذهب المسيح إلا بعد موته بأربعة أيام . وأن يكون الإبطاء من المسيح لعمل يشغله حيث بلغه الخبر فذلك محتمل القبول ، أما أن يكون قصده أن يغيب حتى يموت المريض وينتن ، لكي يقيمه بهذه الكيفية وأن ذلك من ترتيبه وهو الرب العليم بالمستقبل ، فكيف إذن انزعج ، واضطرب ، وبكى ؟ !

---

(١) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٧٥ : الطبعة الثامنة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م . طبعة المكتب الإسلامي. توزيع الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت .

(٢) [١١ : ٣٣] .
(٣) [١١ : ٣٥] .
(٤) [١١ : ٣٤] .

وانظر إلى قول أحد المفسرين :

« قد رسم الآب في برنامجه الأزلي أن لايذهب المسيح إلا بيت عنيا ، إلا بعد أن يكون الميت قد أنتن ليقطع السبل على الذين ادعوا فيما بعد ، أن لعازر لم يكن ميتًا بل مغشيًا عليه ؟ ! لذلك كان خليقًا بهذه المعجزة أن تكون خاتمة معجزات المسيح ، لأن حجتها أقوى من الحجة الناطقة بها معجزة إقامة ابنة بايرس [1] ، وإقامة ابن أرملة نايين [2] ، ولأن ابنة بايرس كانت ميتة ولم تكفن بعد وابن أرملة نايين كان مكفنًا ، ولم يكن قد دفن بعد ، وأما لعازر فكان قد مات . وكفن ودفن وأنتن . . . » [3] .

ولايتأتى الإدعاء أن لعازر (الذي مضى عليه أربعة أيام حتى أنتن في هذه القصة) كان مغشيًا عليه ، وإنما المقبول أن يكون ذلك القول في حق ابنة بايرس ، وابن الأرملة، والمعقول أن يكون ذلك هو السبب الذي دفع مؤلف الانجيل إلى تأليف هذه القصة الفريدة ، ومن العجب العجاب أن يكون تلاميذ المسيح معه حسب رواية هذا الإنجيل ، ولايذكر شيء عنها في الأناجيل الثلاثة في الوقت الذي ذكرت فيه قصة ابنة بايرس ، وابن الأرملة ، فإن قصة لعازر بهذا الوصف الذي نراه أقوى ألف مرة منهما في بابها. ولاندري كيف غفل الثلاثة عن أقوى القصص وأشدها إثارة ، ويعني مؤلفوها بما هو أدنى منها بكثير !

وربما كان أهم دافع لمؤلف الإنجيل الرابع إلى نسج هذه القصة هو ما شاع من إنكار إشاعة قيامة المسيح بعد دفنه ، فجاء المؤلف بها همزة وصل بين الحوادث الخارقة التي قام بنسبتها للمسيح ، وبين ما تلا ذلك من قوله بصلبه وقيامته . وذلك كما قال متى هنري :

« قصد بقيامة لعازر في العهد الجديد ، أن تكون لتأييد عقيدة قيامة الأموات » [4]

واهتم بأن ينص فيها : على أربعة أيام ، لئلا يكذب القول بالقيامة بعد ثلاثة ، وبالنص على بعده عن المنطقة وجهله بمكان الدفن لكي ينفي أي شبهة في القول بأنها مدبرة وبأن الجميع كانوا يعاينون خروج الميت بعد أن أنتن ، ولايخفى ما فيها من تكلف مصطنع .

---

(١) [لوقا ٨ : ٤٩ – ٥٥] . (٢) [لوقا ٧ : ١١ – ١٧] .

(٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٧٠. (٤) متى هنري : تفسير إنجيل يوحنا . جـ ٣ . ص ٧٦.

كذلك لايخفى قصده من نصه على لسان مرثا أخت لعازر الميت قائلة للمسيح :

« يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي »[1] وكذلك على لسان أختها مريم[2] . وذلك لكي يوحي بأن ذلك كان مؤكداً لديهم . ولايخفى أيضاً قصده من النص على لسان المسيح حين بلغه نبأ مرض لعازر : « هذا المرض ليس للموت بل لأجل أن يتمجد ابن الله به »[3] وكذلك من قوله : « سيقوم أخوك[4] » و« أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا »[5] وذلك لكي يؤكد أن المسيح عليم بالمستقبل خبير بوقائعه .

ويقول أحد مفسري هذا الإنجيل ما نصه : « لقد تمت آيتا إقامة موتى قبل ذلك ، إقامة ابن أرملة نايين وابنة يايرس . أما الأولى فكان الميت محمولاً وفي الطريق إلى القبر . وكانت إقامته مفاجأة مذهلة للناس . ولكن لعل بعضهم بعد ذلك تشككوا في المعجزة وتصوروا أن الشاب لم يكن قد مات وأن القصة كلها كانت تمثيلية مرتبة .

وفي الحالة الثانية كان الجمع يضجون حول الصبية ، وكانوا متأكدين أنها قد ماتت حتى أنهم ضحكوا على الرب حين قال « لم تمت الصبية لكنها نائمة » غير أنه من المرجح أن يعود الناس فيتشككون في المعجزة ويتصورون أن الصبية لم تكن قد لفظت أنفاسها ، وتتصور إحدى السيدات أنها قد رأت عيني الصبية تتحركان ، أو أنها وضعت يدها في يدها فأمسكت الميتة بيده إلى غير ذلك من التصورات خصوصاً وأن السيد أقام الصبية بعد دقائق من موتها .

أما في إقامة لعازر . فلقد مات ودفن أربعة أيام ، وصدرت من القبر رائحة قوية جداً تأكد الجمع معها أنه لو أن لعازر دفن حيا في هذا القبر مع جثة أخرى لها هذه الرائحة ، فلقد مات من الوجود معها فلم تكن هناك فرصة للتشكك . . . .

وحين أمر الرب لعازر أن يخرج من القبر وصل هذا الأمر إلى أقصى الكون فجاءت الروح ، وفنى الدود ، وخلق اللحم جديداً ، وامتنعت الرائحة وحدثت القيامة ، لأن الذي أصدر الأمر هو رب الحياة وله الحق حين قال لمرثا « أنا هو القيامة والحياة .... »[6] .

---

(١) [١١ : ٢١] .
(٢) [١١ : ٣٢] .
(٣) [١١ : ٤] .
(٤) [١١ : ٢٣] .
(٥) [١١ : ٢٥] .
(٦) الأنبا اثناسيوس : أسقف بني سويف والبهنسا : دراسات في إنجيل يوحنا ـ ص ١٨٤ .

ولا مانع من حدوث هذا الشك بعد مضي القرن الأول ، أو قرب نهايته ولذلك حرص مؤلف الإنجيل الرابع علي نسج هذه القصة التي انفرد بها ، وهو متأكد أن أحداً لن يكذبه في دعواه بأنها لم تحدث لأن التلاميذ جميعًا كانوا قد فارقوا الحياة ، وبذلك لايتأتى لأحد أن يكذبه .

مواضع في هذه القصة تحتاج إلى إمعان النظر :

أولاً : في قوله على لسان المسيح : « إني لم أكن هناك لتؤمنوا » [1] ما يؤيد ماذهبنا إليه من أن المقصود بهذه القصة أن يتوصل بها إلى تمجيد المسيح ، وأن يتفادى ما يوجه من طعون إليها كما وجه لقصة ابن الأرملة . كما وضح ذلك من قول المفسر السابق .

ثانيًا : في قوله عن المسيح وعلى لسانه « ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي ، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني » [2] .

في هذا النص دليل على بشرية المسيح الرسول « الذي أرسله الله . وفي رفع عينيه إلى فوق . دليل على أن الله أسمى منه منزلة ومكانة ، لأنه عبده والله تعالى هو الخالق الذي يمنح عباده وقت الحاجة من غناه ما يذهب بحاجتهم ، وفي اتجاهه إليه بالخطاب دليل على التثنية والمغايرة فالأب هو الله ، والمسيح عبده ورسوله . وفي قوله أشكرك دليل ينفي عن المسيح كل شبهة مما يدعيه من يؤلهه .

وذلك من أقوى الأدلة التي تكذب ما ادعاه المؤلف في الاصحاح الأول : من أن «الكلمة الله . . . . صار جسداً وحل بيننا » . . . وأنه هو المسيح . إلى غير ذلك مما ادعاه فيما بعد .

ثالثًا : في قوله يصف المسيح بأنه « انزعج بالروح ، واضطرب . . . وبكى » ما يدل على بشرية المسيح ونفى ألوهيته التي ادعاها له لأن ذلك من شأن البشر ، وهو يدل على صفات الجهل والضعف ، والإنفعال . . . إلخ والله تعالى منزه عن ذلك .

---

(١) [١١ : ١٥] .   (٢) [١١ : ٤١] .

ولذلك فقد وقف هذا الوصف حجر عثرة أمام المفسرين الذين تناولوا هذا الإنجيل العجيب مما جعل كل محاولاتهم للتبرير تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى .

قال الدكتور إبراهيم سعيد في تفسيره لهذا النص :

« إن كل محاولة يراد بها تحليل هذه التأثرات القدسية مقضي عليها بالفشل ، فلسنا ندري : أنحن أمام ناسوت المسيح المتأثر ، أم أمام لاهوته المقتدر المؤثر أو أمام الإثنين معًا . . . . »[1] ثم انتهى بعد كلام طويل إلى التساؤل :

« هل بكى يسوع متأثرًا مما رآه ؟ أم بكى عطفًا على الباكين الذين لم يبكوا على أنفسهم ؟ أم بكى منفعلاً بسبب الأجرة القاسية التي نقدتها الخطية لحبيبه لعازر بالموت ؟ أم بكى إشفاقًا على لعازر ؟ إذ علم أنه بهذه المعجزة سيعيده إلى « حياة الشقاء والهوان بعد أن كان ناعمًا في جوار ربه ؟ أم بكى لأسباب لانعلمها ؟؟[2] »[3] .

ونحن لانعلم معه على وجه اليقين سببًا لبكاء المسيح إلا لكي ينطق هذا النص رغمًا عن المؤلف المؤله للبشر بأنه بشر لا ألوهية فيه . ومن أراد تتبع المحاولات المقضي عليها بالفشل -كما قال المفسر السابق- فليراجع أقوال من تعرض لها من المفسرين .

وربما كان سبب الفشل أن تعليلهم بأن ذلك مما يخص الناسوت . لايجوز هنا كما يجوز في تعليل الطعام والشراب وغيره من حاجات الجسد . فإن هذا الإنزعاج وأخويه حالة وجدان ونفس وروح ، وقد كان الحال في جسد المسيح عند القائلين بألوهيته من هذا القبيل ، ولا يتأتى القول بحدوث ذلك من ناسوت المسيح – أي من وجدانه ونفسه وروحه – دون روح الله بحال المستقر فيه . لأن ذلك القول مرفوض عند العقول بصورة أشد ، لأنه يستلزم تعطيل اللاهوت وقد جرهم ذلك إلى محاولات كثيرة للتبرير نعرض بعضًا منها كنماذج للاستدلال على تناقضها وفشلها :

قال بعضهم : « لاعلة لبكائه سوى بكاء أولئك الناس لأنه علم أن لعازر سيقوم والمسيح لم يزل إلهًا وإنسانًا في السماء يشعر مع شعبه وهو على يمين الله في كل أحزانهم وهو كرئيس أحبار شفوق يشفع عند الله فينا » . . انزعج بالروح : هذا يدل على انفعال شديد في قلبه عرفه البشير من دموعه وسائر أمارات الحزن على وجهه ،

---

(١) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٩٢ .(٢) المرجع السابق . ص ٤٩٧ .

(٣) لعل الصواب أن يكون العطف بـ (أو) دون (أم) لأن أو هي التي تفيد الشك وهو ظاهر في الكلام .

وعلة هذا الانزعاج شعوره مع غيره من الحاضرين بحزنهم وحزنه الذي لم يخل من الغيظ »[1] .

وهذا كما يرى : أنه بكى متأثرًا من بكاء غيره وأنه انفعل بشدة وبكى وظهرت أمارات الحزن على وجهه ولم يخل من الغيظ ، وهذه كلها أدلة على أنه بشر لا ألوهية فيه . ولايخفى تخبطه من وصفه بأنه إله ، وإنسان ، وأنه شفوق يشفع عند الله كرئيس أحبار مع إصراره على أنه هو الله .

وقال آخر : « ويجب أن نلاحظ أن ما قيل عن الرب هنا من اضطراب الروح ليس هو ارتباك الخوف الذي يعترينا كبشر عندما يكون زمام الأمور قد أفلت من أيدينا ، ولكن بالنسبة للرب فإن اضطراب الروح هو ثورة عواطفه المُحِبَّة لقدسيته . . . وعواطفه كانت ملك إرادته وما كان الظروف أن تضغط عليه رغماً عنه بل هو بإرادته وسلطانه كان يضع نفسه وعواطفه تحت ثقل الظروف والتجارب . . . . »[2] .

وصاحب هذا الرأي يرى أنه باختياره وضع عواطفه تحت ثقل الظروف التي ضغطت عليها فثارت .

وفي رأي آخر : ما نصه :

« أن الروح الإنسانية في المسيح قد ملكها التأثر حين رأى الفادي دموع الباكين ، ولكن الروح اللاهوتية فيه ، قد حجزت تأثرات الروح الإنسانية ، فحدث هذا الاهتزاز . كما تحدث الهزات الطبيعية نتيجة احتباس قوات ثائرة . . »[3] .

وهو هنا بعضه حاجز وبعضه محتجز ، بينما هو في سابقه مضغوط باختياره .

رابعًا : وقد جاء في هذا النص على لسان المسيح أنه سألهم عن الموضع الذي دفن فيه لعازر . . « وقال أين وضعتموه ؟ قالوا له يا سيد تعال وانظر »[4] .

ولايمكن أن يكون ذلك السائل إلهًا ؟ لأن الإله علام الغيوب . ولايمكن لمن يسأل مثل هذا السؤال إلا أن يكون إنساناً يجهل ما يسأل عنه ؟

---

(١) وليم إدي : الكنز : شرح إنجيل يوحنا . ص ١٩١ .

(٢) هلال موسى : تفسير إنجيل يوحنا . ص ١٦٥ . (٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا . ص ٤٩٣ .

(٤) [١١ : ٣٤] .

ولايمكن لمؤله للمسيح هنا أن يعتذر لأن الله عالم بكل شيء كما ادعي المؤلف لهذا الإنجيل فيما تقدم من محاولاته لتأليه المسيح . إلا أن يعترف بأن المسيح عالم ، وجاهل، عالم باعتبار اللاهوت ، وجاهل باعتبار الناسوت فهل يقبل ذلك لدى عاقل . أن يجتمع في المسيح وصفان متناقضان لايجتمعان في محل واحد ولايرتفعان عنه . لكن القائل بتأليه البشر يقبل كل شيء حتى عبادة الإله المنزعج المضطرب الباكي الذي لايعلم مكان القبر .

خامسًا : وينبغي أن نلاحظ ربط المؤلف بين نصه في معجزة تحويل الخمر التي جعلها أولى معجزات المسيح وبين هذه التي جعلها آخر ما روى عن المسيح من معجزاته أنه قال في الأولى على لسان المسيح ردًا على أمه . « مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد »[1] وكذلك قال في شأن لعازر عن المسيح : « فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب إلى اليهودية »[2] ثم أبطأ حتى أنه لما أتى « وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر »[3] وهدفه من ذلك يتضح من قول وليم باركلي في تفسيره : « السبب الأساسي الذي يهدف إليه البشير من تقرير هذه الحقيقة ، ليصور لنا أن « يسوع » يعمل بميعاده هو ، وبحسابه هو ، وليس بحساب أو إغراء أي إنسان آخر »[4] وذلك يعني أنه فاعل باختياره ، وذلك يتناقض مع تعرضه لله الأب الذي طلب منه أن يسمع له وشكره كما سبق .

موقف النقاد من هذه القصة الفريدة :

وعمدتنا هنا هو الدكتور وليم باركلي ليحدثنا عن موقف النقاد وأدلتهم . ونوجز من نصه :

أولاً : « أنهم يقولون إنها لم تحدث مطلقًا » بدليل أن البشائر الثلاث الأخرى صمتت عن الإشارة إليها ، فكيف يمكن أن يصمت البشيرون الثلاثة عن كتابة ولو ملخص موجز لها ، أو مجرد الإشارة لحدوثها ؟

---

(١) [٢ : ٤] .   (٢) [١١ : ٦ ، ٧] .

(٣) [١١ : ١٧] .

(٤) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ١٦٨ .

يجيب بعض المفسرين : بأن السبب هو أن « بطرس » الذي استقي منه مرقس بشارته وهي أقدم البشائر ، لم يكن حاضراً أثناء حدوث المعجزة . وهذا واضح من أن «سمعان بطرس» لايرد له ذكر في الإصحاحات الخامس والسابع إلي الثاني عشر .

ويبدو أن الدكتور وليم باركلي لم يقتنع مثلنا بهذه الإجابة الواهية فقال : « ولكن حتي وإن لم يكن (بطرس) أحد الحضور عند حدوث هذه المعجزة الفريدة ، ألم يسمع بخبرها من غيره من التلاميذ ، وكيف يمكن أن يغفل ذكر معجزة مذهلة نظير هذه ؟ »[1] أ.هـ .

ونحن نقول : وليس بطرس الذي كان ملهم مرقس بالذي كان يلزم لمتى الذي ينسب إليه الإنجيل المعروف . فإن متى في رأي الكنيسة كان أحد التلاميذ بخلاف مرقس الذي لم يكن من بينهم فكيف يغفل متى أيضاً ذكر هذه المعجزة الفريدة المذهلة (تاج المعجزات) ؟ ؟

ثانيًا : ويقول باركلي : « على أن أعظم صعوبة تكمن في هذه المعجزة هي أنها كما يؤكد « يوحنا » كانت السبب المباشر ، الذي دفع رؤساء الكهنة لحبك مؤامراتهم والإسراع بالقبض على يسوع لإزاحته من طريقهم[2] . أي أن إقامة « لعازر » من الموت كانت السبب لصلب المسيح - بينما في البشائر الثلاث الأولى » نجد أن السبب الأساسي للقبض على المسيح ، حادثة تطهير الهيكل ، فلو كانت هذه المعجزة قد حدثت بالفعل . وكانت السبب في اشتعال نار العداوة ضد المسيح بصورة رهيبة كان يجدر بالبشارين الثلاثة أن يشيروا إلى ذلك ؟ »[3] أ . هـ .

ثالثًا : يقول باركلي :

« وقال آخرون : إن القصة مثل رائع رمزي يدور حول قول يسوع (أنا هو القيامة والحق والحياة) وهكذا ألفت هذه القصة لتوضح هذا القول ولكن تصبح إطارًا جذابًا له »[4] .

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٢٠٣ .

(٢) [يوحنا ١١ : ٤٧ - ٥٤] .

(٣) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٢٠٤ .

(٤) المرجع السابق . ص ٢٠٥ .

رابعًا : ويقول باركلي أيضًا : « وقال غيرهم : إن القصة ملحقة بمثل الغني ولعازر [١] . فنهاية ذلك المثل : « إن لم يؤمنوا بموسى والأنبياء ، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون » وهكذا نسجت هذه القصة لتظهر أن لعازر قد قام من الأموات بالفعل ، حتى يحذر إخوته من المصير القاسي ، ولكن إخوته - أي اليهود - لم يؤمنوا بما قال بل استمروا في عناد قلبهم حتى يومنا الحاضر . . . فإقامة « لعازر » تخريج رمزي ، ونسيج تطوري للمثل الذي نادى به المسيح قبل ذلك » [٢] .

أما موقفنا نحن من هذه القصة فقد وضح فيما أسلفنا . ونؤكد هنا أن هذه القصة من نسج المؤلف واختراعه . بدليل تفرده وحده بها ، وأنه كان يهدف من ورائها إلى تلافي ما وجه إلى غيرها مما جاء في بابها ، وأن الظروف ساعدته فلم يكن أحد التلاميذ على قيد الحياة ليخشى من إنكاره لها ، كما أن البيئة التي وجد هذا الإنجيل بها لم تكن بالتي ترفض مثل تلك القصة المذهلة الغريبة التي لاتزال تعد عند مؤلهي المسيح « تاج المعجزات » في « تاج الأناجيل » . .

الخلاصة :

انتهينا في القسم الأول من المبحث الأول وهو الذي بحثنا فيه :

قصص الواقع المعالج . الذي تناول المؤلف فيه ثلاثة موضوعات ترتب نتائجها كما يلي :

ففي الصورة التي قدمها عن « يوحنا المعمدان » مجانبة للصواب ومبالغة كبيرة . وذلك لأنه حاول تغيير الكثير من صورة الرجل وذلك لأن المؤلف كان يهدف إلى الحط من قدر المعمدان وجعله مجرد شاهد لصحة عقيدة الكنيسة في قولها بألوهية المسيح وصلبه وأنه جاء مقدمًا لكي يتنبأ بذلك . وأنه بذلك تحامل عليه ، وقد أنقصه حقه فلم يرو شيئًا عن إشادة المسيح به ورفعه لذكره ، وأنه بذلك يتعارض مع الأناجيل الأخرى وأنه جرد المعمدان من أن يكون هو « إيليا » المرجح أنه المقصود بإيليا المنتظر ، وقد توصلنا إلى : أن المؤلف لم يتوخ الحقيقة بل انساق وراء هواه لكي يستقطب أتباع المعمدان الخادم المقدم لكي يعبدوا المسيح الإله .

---

(١) [لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١] .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا ...

وكان الموضوع الثاني موضوع الصلاة المعطلة وقد عالجه المؤلف : فجعل المسيح فيه داعيًا لكي يتحد أتباعه مثل وحدته مع الله ليكونوا جميعًا في واحد كما أنه هو والأب واحد . . وقد توصل البحث بنا إلى نتائج مؤكدة . أن هذه الصلاة لا أثر لها في روايات مؤلفي الأناجيل الثلاثة : الذين قدموا صورة مغايرة لصورة المسيح في الصلاة المعطلة . وأنها معطلة منذ اختلاف تلاميذ المسيح على الزعامة إلى يومنا هذا . وأنها وقد مر عليها ألفا عام ولم تتحقق دليل على أن الانجيل الرابع كاذب أو أن إله مؤلفه هو الكاذب لأنها بنيت على مثال الوحدة التي تولى كبرها المؤلف وحده . وكذلك استنتجنا من بحثنا لها أن المؤلف اصطنعها لكي يحقق بها ما كان يستهدفه من الوحدة بين رجال الكنيسة وأتباعها فخاب ظنه وضاع أمله وبقى نصه يكشفه .

وكان الموضوع الثالث عن البشارة (بالفارقليط) المعبر عنه بالمعزي ، ولاشك عندنا في أن النص له واقع أصلي يرتبط بشخص المسيح الذي بشر به وذلك لأن اليهود كانوا ينتظرون ثلاثة إيليا الذي كان رمزًا للمعمدان لما بينهما من تشابه والثاني : هو المسيح وقد تحققتا حتى وقت تأليف الإنجيل وبقيت النبوءة عن النبي الثالث وهو الذي يوضح المقصود بها ، ولكن الذي عالج النص بإضافة لفظ « الروح القدس » فاته ذلك فزاد النص غموضًا ، ومع ذلك فليس الإنجيل ببعيد عن مثل تلك الزيادة . وقد وضح لنا أن الفارقليط في اليونانية يقابل من العربية معنى آخر غير معنى المعزي وهو معنى «الذي له حمد كثير» كما قال الدكتور « كارنلينو » وهو يوافق أفعل التفضيل من «حمد» بمعنى « أحمد » والمقصود بالبشارة ليس في حاجة إلى مثل هذه الإشارة إليه فإن محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، ولايزال القرآن الكريم دليلاً حيًا ملموسًا يتحدى المنكرين أن يأتوا بمثله ، أو بسورة من مثله ، ولايزال هو المعجزة الحية الباقية إلي قيام الساعة بمشيئة الله ولايزال القرآن يتحدى .

وكانت النتائج التي توصلنا إليها في القسم الثاني وهو « القصص المشكوك في واقعيته » وهو القصص المخترع والمقول برمزيته أن « نثنائيل » مختلف في واقعيته والرأي الأرجح أنه اسم لشخصية رمزية خيالية ليست حقيقية وأنه علي حد تعبير البعض » ليس إنسانًا فعليًا على الإطلاق .

وكذلك فإن الذي رأيناه في قصة الزانية أنها قصة لا أساس لها ، وأنها مخترعة بهدف إرضاء الذين تركوا عبادة أرطاميس وانضموا إلى كنيسة بولس في أفسس

وطلبوا تأليف إنجيل يؤله المسيح . وأنه اخترعها ليزيل بها ما كان عالقًا بالأذهان من تشدد موسى وعيسى إزاء جريمة الزنى . كما لاحظنا أن القصة بها خلل في نسيجها الروائي لإغفالها موقف اليهود من الذي شاركها في الجريمة بل إنها لم تشر إليه أدنى إشارة . كما أن هناك تناقضًا صارخًا بين صورة المسيح التي تبدو فيها إباحية على عكس الصورة المقابلة لها في الأناجيل الثلاثة المعترف بها لدى الكنيسة التي تجمع بين المتناقضات في العقائد والكتب . وربما لم تكن موجودة إلا لأفسس وفي أفسس وذلك على خلاف النسخ القديمة التي لم تكن موجودة بها .

وكذلك قصة السامرية التي يرمز بها إلى الأمة السامرية ، أمة الآلهة الخمسة ، التي تدعي عبادتها لله الحي الذي رمز إليه بالزوج السادس ونحن مع القائلين بأنها رمزية لتفرده بها على طريقته ، وربما قصد بها محاكاة قصة « أناندا » مع المرأة «مناجي» الكندلاسية .

أما قصة قيام المسيح بغسل أرجل التلاميذ فإن أحدًا من الأناجيل الثلاثة لم يتعرض لها لا من قريب ولا من بعيد ، لا بالنفي ولا بالإثبات ، ذلك التنكر الذي تبديه الأناجيل الثلاثة حيالها ليس له ما يبرره إلا أن المؤلف على طريقته يحاول المحاكاة لقصة « كرشنه » عند الهنود القدامى . وربما قصد بها تحقيق أهداف أخلاقية للحث على التواضع والمحبة .

ثم أنهينا هذا القسم من المبحث الأول ببحث موضوع السمك الكثير الذي حدد عدده إننا نراه اختراعًا من عند المؤلف ، وربما كان للقصة أصل وصل المؤلف من خلال الروايات الشفهية لذكريات التلاميذ ، ثم عالج المؤلف القصة بأكملها ، واخترع هذا العدد ليرمز به ، والعدد هو المقصود من القصة ولذلك بحثناه في القصص المشكوك في واقعيته والمقول برمزيته . وهذه خلاصة المبحث الأول .

أما خلاصة المبحث الثاني : عن المعجزات ومفهومها عند المؤلف وأسلوبه في استخدامها . فإن محور إنجيله كما سبق أن رأينا هو « تأليه المسيح » وهي دعواه التي من أجلها ألف هذا النص . ولذلك فإن مفهوم المعجزة عنده أنها دليل على ألوهية المسيح ، وهو لايفعلها تحت ضغط أي ظروف ليراعي بها حاجة محتاج ، وإنما يفعلها لإظهار مجده الإلهي ، وهي عنده موقوتة في ميعادها المحدد لها حسب مشيئته الإلهية وخاضعة لإرادته هو ، وهو بذلك يخالف مفهومها عند المؤلفين الثلاثة الذين يرون أن الله هو رب المسيح ، على خلاف ما يدعيه هو من أن الله هو المسيح . ومما يعبر عنها

بنصه قوله على لسان المسيح : « الأعمال التى أعملها باسم أبي هي تشهد لي » . . «إني في الآب والآب في » .

ونحن نرى أن هذا الهدف هو التفسير لسكوت المؤلفين الثلاثة عما تفرد هو به على طريقته في رواياته ومعجزاته ، فإن من المستبعد أن يسكت أحد الثلاثة عن معجزة خطيرة مثل تحويل الماء إلي خمر ، أو مثل إقامة ميت بعد أن دفن وصار له في القبر أربعة أيام ، ثم يذكر الساكت عن ذلك ما هو أقل منها شأنًا وأهون خطرًا . ويزداد الأمر إذا وجدنا أن ذلك موقف المؤلفين الثلاثة الذين عنوا بكتابة قصة دعوة المسيح . وهذا ما يجعلنا على يقين من أن المعجزات التي تناولها بعضها لم يقع وإنما افتعله هو على طريقته وذلك في قصتي تحويل الماء خمراً وإقامة لعازر .

وقد كان هدفه من الأولى أن يصرف عُبَّاد « ديونسيوس » إله الخمر اليوناني إلى عبادة المسيح الذي جعله إله الخمر الحقيقي الذي يحولها بكميات وفيرة دون أن يلمسها. ويدفع بنا إلى اليقين مما نقول تفرده بها . في الوقت الذي لاتنسجم فيه هذه الحكاية مع روايات الثلاثة عن موقف المسيح من الخمر التي امتنع عن شربها ، ونهى عن السكر منها واعتبره منقصة . وأن طريقته الرمزية واضحة فيها بالمقارنة بثاني معجزات موسى وهي تحويل الماء إلى دم إلى غير ذلك . . ولأنها تشجيع لمدمني الخمر على السكر وما يترتب عليه .

أما هدفه من حكاية لعازر فهو تأييد عقيدة القيامة للمسيح – المصلوب زعم المؤلف ومن شاكله – بعد الدفن الذي أعقب الصلب . ونكرر التأكيد هنا بأن القصة صناعية ، بدليل تفرده بها على عادته فيما سكت عنه المؤلفون الثلاثة . وذلك كما ذهب إليه كثير من علماء الكتاب المقدس الذين اهتم باركلي بالإشارة إلى مواقفهم ، ويكفي أنه جعلها السبب المباشر الذي دفع رؤساء الكهنة إلى الإسراع في تنفيذ عملية القبض والمحاكمة ، بينما يخالفه الثلاثة في السبب ، ويجعلونه حادثة تطهير الهيكل ونحن أيضاً مع القائلين بأنها مَثَلٌ رائع رمزي يدور حول قول يسوع « أنا هو القيامة والحق والحياة » وهكذا ألفت هذه القصة لتوضح هذا القول ولكي تصبح إطارًا جذابًا له »[١] . كما نضيف بأن الظروف ساعدت المؤلف فلم يكن أحد من التلاميذ حيًا ليخشى من إنكاره لها ، كما أن البيئة التي وجد هذا الإنجيل بها ولها لم تكن بالتي ترفض مثل تلك القصة المذهلة الغريبة .

---

(١) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا . جـ ٢ . ص ٢٠٤ .

أما بقية معجزاته التي وقعت فيما بينهما من ترتيبنا هنا ومن ترتيبه لها بحسب حياة المسيح فيما يراه أول وآخر معجزاته . فقد تناولنا معجزة شفاء المحموم وهي بالأسلوب الذي رواها به لاغبار عليها ولايتأتى لمؤمن بالله ورسوله إلا أن لايعترض عليها ونحن كمسلمين نؤمن بتأييد الله لرسله بالمعجزات وأنه تعالى هو الفعال لما يريد ولو شاء الله ما فعلوه .

وفي نفس المستوى ما يماثلها من شفاء المشلول المقعد ببيت حسدا . . لاننكر أن يحدث من المسيح ذلك بتأييد الله له وهذا جائز عقلاً ، وإن كان الواقع أننا لانصدق القصة برمتها لما جاء بها من أمور تاريخية مشكوك فيها مما دفع العلماء إلى القول بأنها رمزية . وربما كان لها أصل تاريخي واقعي عالجه المؤلف على طريقته بالزيادة فيه مما أنكره الذين يتشككون فيها .

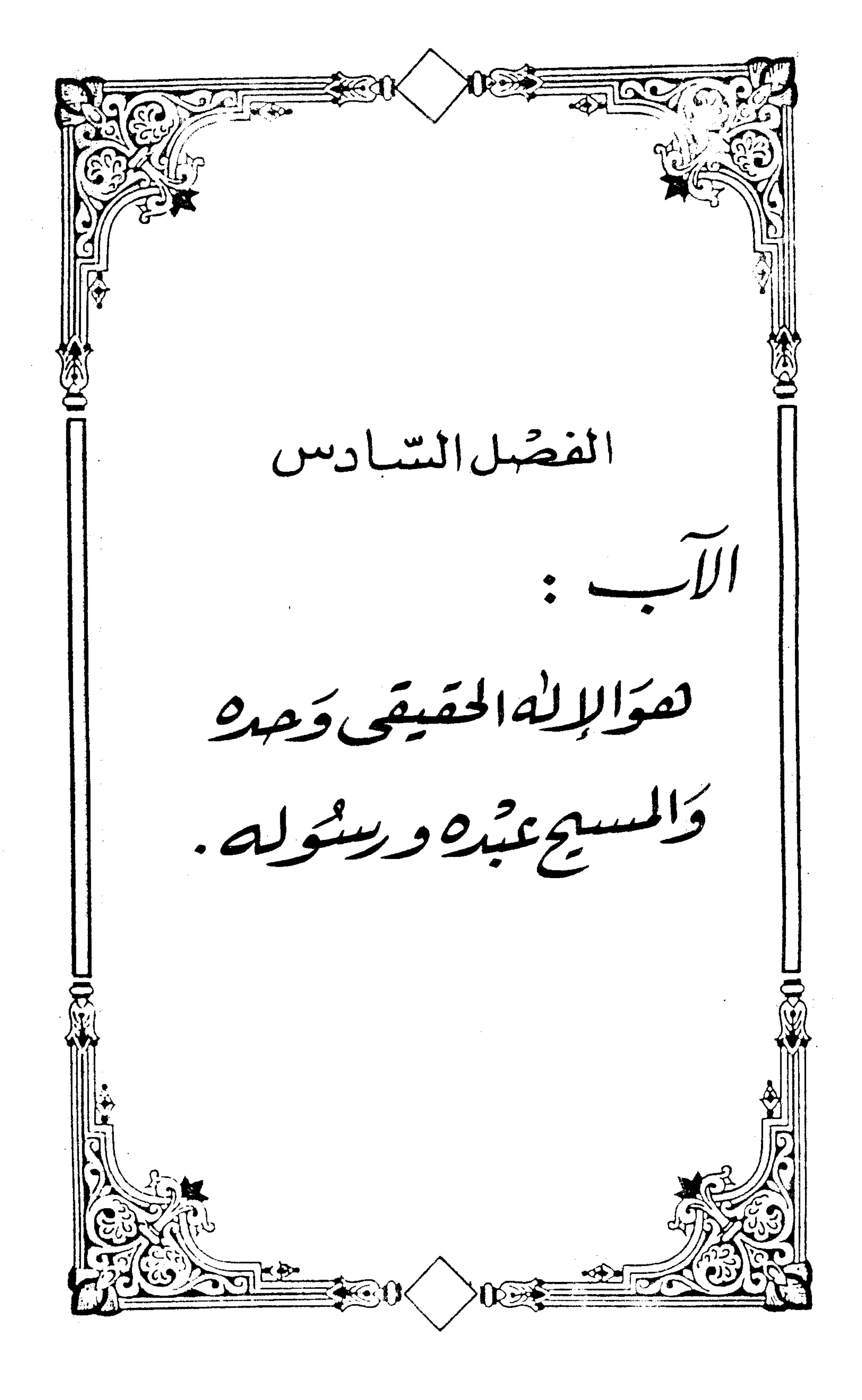
أما المعجزة الرابعة الخاصة باشباع الجموع فنحن لانرى مانعًا من حدوث ذلك من المسيح بتأييد الله له لأنه عبده ورسوله .

وكذلك معجزة المشي على الماء فلا مانع عقلاً من حدوثها ، ولكننا ننكر ما جاء من تعليقه عليها على لسان المسيح . وهي بهذا أصل تاريخي عالجة المؤلف على عادته بطريقته .

أما المعجزة السادسة وهي الخاصة بالأعمى الذي رد الله له بصره على يد المسيح عبده ورسوله فلا نشك في وقوع أمثالها على يد المسيح لأنه عبد الله ورسوله ، مع اعتقادنا بأن المعجزة إنما هي تأييد من الله لمن يرسله إلى خلقه .

ولكننا ننكر معالجته الفلسفية لها في ذلك الثوب الذي تظهر به في النص وما جاء من تعليل لذلك ، ونظراً لسكوت الثلاثة عنها بل عن شفاء مريض منذ ولادته ولما عهدناه في أهدافه الفلسفية فإنه جاء بها للرد بلسان المسيح عن السؤال عن « سبب الخطايا – أو البلايا » وأنه جعل ذلك منفذاً لتأييد دعواه في تأليه المسيح ، وأنه تمادى حتى تطاول على رسل الله المصطفين الأخيار موسى ويوحنا المعمان (يحيى بن زكريا) إلى غيرهما ممن وصفهم بأنهم سراق ولصوص ، وقد أدار هذا الحوار على لسان المسيح مما يجعلنا نميل إلى الشك في أصالتها التاريخية بصورتها الحالية في النص . وإن كنا لاننكر وقوع أمثالها وأعظم منها على يد الأنبياء والمرسلين .

وننتقل الآن إلى الفصل السادس .



الفصل السّادس

الآب :

هوَ الإله الحقيقي وَحده

وَالمسيح عبْده ورسُوله .

الفصل السادس

الآب هو الإله الحقيقي وحده والمسيح عبده ورسوله

مقدمة :

من حق البحث العلمي على الباحث أن يستوفي الباحث جوانب موضوعه بالدراسة استكمالا لجوانب الموضوع ، وقد رأينا في نص الإنجيل الرابع نصوصا كثيرة تدل دلالة قاطعة وواضحة على أن الله - الآب - هو الإله الحقيقي وحده ، وأن المسيح عبده ورسوله ، وذلك على خلاف وتناقض مع النصوص التي حاول بها تأليه المسيح . فعقدنا هذا الفصل لبحث موضوع هذه النصوص .

ونحب أن نوضح قبل أن نبدأ عرضها والتعليق عليها بعض الأمور التي لا نرانا في غني عنها :

أولها : أن الأصل في المسيح بن مريم أنه بشر ليس إلها ولا شبه إله حتي يقوم الدليل على خلافه، وعلي من يدعي تأليهه أن يقيم الدليل . والقائل بأنه بشر قائل بالأصل لا يطالب بالدليل بل المطالب بالدليل هو من يقول بخلاف الأصل المعهود . ودليل الأول موفور بينما لا دليل لمن يحاول تأليه المسيح كما رأينا فيما سبق في محاولة التأليه .

وثانيها : أن ما ينسب إلى المسيح مما يدل على بشريته ، وألوهية الله الآب ، وتمييز كل منهما عن الآخر بما يجوز له من الصفات وما يجب وما يمتنع ، أقوى حجة ، مما ينسب إلى أيهماخلافا لذلك . كما ذهبنا إلى ذلك في الأمر السابق . لأن الأول معتاد ومستساغ والثاني غريب شاذ . وكل ذلك في نص الإنجيل الرابع .

وثالثها : أن هذا التناقض في نص هذا الإنجيل دليل على :

أ - فشل واستحالة محاولة تأليه البشر ادعاءاً أو اعتقادا .

ب- أن النصوص التي نقدمها هنا أقوى لأنها الفاصلة فى الأصل ، والأصيلة في الفصل ، ولأنها تسير في خط الأناجيل الثلاثة ضد تأليه المسيح أو بعيدا عنه وفي نفس الوقت فإن هذا الخط غير خارج عن مضمون الرسالات الإلهية إن لم يكن مؤيدا منها . وهذه النصوص لا تتناقض مع العهد القديم على الأقل . ولا القرآن الكريم كنطقها بما

يناقض بدعة تأليه المسيح . وإثباتها لألوهية الله الآب الإله الحقيقي وحده وأن المسيح عبده المحتاج ورسوله المبلغ رسالته فقط .

ونبدأ **بعرض** : النصوص التي تتحدث عن الله ، ثم نتبعها بالنصوص التي تتحدث عن المسيح عبده ورسوله ، ثم نختم الفصل بالنصوص التي تنطق بالفارق بين المخلوق والخالق وذلك لإظهار الحق بنص هذا المؤلف .

أولا: الإله الحقيقي وحده

أ - النصوص عن ذاته :

وبدون مقدمات نترك للنص أن يعرفنا بالإله الحقيقي الذي أرسل عبده ورسوله المسيح الذي قال بالنص : « أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله » ما هو الله أو من هو ؟؟

١ - الله الآب . كما جاء بالنص على لسان المسيح :

« اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذي يعطيكم ابن الإنسان لأن هذا الله الآب قد ختمه ، فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله - أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله »[١] .

فقد عرف الله بالآب ثم سألوه عن أعمال الله الذي هو الآب ، فقال لهم أعمال الله.... فالله والآب بمعني واحد . وغير خفي ما عبر به المسيح عن نفسه من أنه " ابن الإنسان " وأن وظيفته أنه رسول ، وأن الله هو الذي أرسله [وقد سبق لنا في مناقشة محاولة التأليه أن تعرضنا لمعنى الآب] . ونزيد هنا بالنص .

٢ - أب الكل وإله الكل : كما جاء بالنص على لسان المسيح :

« إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم[١] » .

ولم يفرق في النص بين أبوة الله للمسيح وغيره ، ولا في ألوهية الله له ولهم . وذلك لا يتأتي إلا ممن كان مثلهم بشرا محتاجا ، وعابدا لله ، وانظر إلى لفظ أصعد الذي يعبر به عن الارتفاع واللحوق بالله . ولا يتأتي ذلك إلا إذا كان غيره . ولو كان

---

(١) [٦ : ٢٧ - ٢٩] .   (٢) [٢٠ : ١٧] .

القائل هو : الله - الكلمة - الذي صار جسدا " لما كان لكلامه معني يدرك إلا أن يكون كاذبا دجالا . فأنى من يصعد وهو هو الصاعد والمصعد إليه . ولا يصدق إلا إذا كان غيره ولا يصدق حتى يكون الله أبا رحيما للكل ، وإلها للكل .

٣- الحي : كما جاء بالنص على لسان المسيح :

« أرسلني الآب الحي ، وأنا حي بالآب »[١] .

ومعنى : الحي : أي الحي بنفسه « الآب له حياة في ذاته »[٢] .

وهي المحيي الذي يحيي من يشاء ، ويحتاج كل حي إليه لأنه الذي يحيي الأحياء والأموات ، والذي إذا شاء سلَبَ الحياة من خلقه جعله ميتا بعد أن كان بقدرة الله حيا. ويعترف المسيح بحسب النص أنه « حي بالآب » لا بنفسه ، وفي ذلك نفي للألوهية التي يدعيها أولئك الذين يقولون بأنَّها من صفاته . وفي ذلك اعتراف من بحاجته وعجزه وافتقاره للحي الذي لا يموت . فأيهما نصدق المسيح الذي يصورونه هنا؟ أم الذي يؤلهونه هناك ؟؟ لا شك عندنا أن العقل الذي فضلنا به كبشر من خلق الله لمعرفته على خلقه هو الحكم والفيصل . إن العقل يقبل هذه الصورة التي تلائم حقيقة المسيح البشر المحتاج والتي توضح في جلاء ، أن الله الاب الحي بذاته هو مانح الحياة لمن شاء ولمن يشاء ، وأن المسيح سواء قال أو لم يقل فهو كغيره من الخلق الأحياء «حي بالآب » وهذا هو عنوان الفقر وبرهان الاحتياج .

٤ - الله لم يره أحد قط : كما جاء على لسان المعمدان بالنص :

« الله لم يره أحد قط »[٣] .

وهذا حق وصدق وليس فيه افتراء ، وهو نفي لدعوى تأليه المسيح الذي كان في تصورالمؤلهين هو الله المتحول الذي صار جسدا . فهل كان كما يدعون . أو أن الله لم يره أحد قط ؟؟ نحن لا نذهب إلى أبعد مما يفيد النص . أن الله منزه عن ذلك التجسد ، لأنه لم يره أحد كما جاء بهذا النص .

---

(١) [٦ : ٥٧] .

(٢) [٥ : ٢٦] .

(٣) [١ : ١٨] .

٥ – الله . لم يسمعوا صوته ، ولم يبصروا هيئته :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« إن الآب قد أرسلني ، والآب الذي أرسلني يشهد لي ، لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته »[١] .

والمغايرة واضحة بين المسيح المرسل المرئى المنظور عبد الله ورسوله وبين الله الآب الذى أرسله ، وقد وصف الله بأنه : لم يسمعوا صوته قط ولم يبصروا هيئته ، وهذا حق وعدل وهو نفى لدعوى تأليه المسيح لأنه كان مسموعا ومنظورا ، والله منزه عن ذلك .

ب – النصوص عن صفاته :

١ – الوحدانية : كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« أيها الآب . . . . الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته »[٢] .

ومعنى الحقيقى من الحق أى الثابت المؤكد ، ومعنى وحدك إثبات أن الله واحد لا تتركب ذاته من أجزاء ، لا متساوية ، ولا متفاوته ، ولا متفاضلة ، لأن المركب المكون مما تركب منه لا يكون أحدا، ولا واحدا فضلا عن احتياجه لما تركب منه وهو ما يلزم القائلين بالتثليث ، ومعني الوحدانية تفرد ذاته بالألوهية بمعني نفي الشريك والشبيه والنظير . وهذا نفي لما يقال من أن كل أقنوم إله كامل .

ومن معاني الوحدانية أيضا تفرد ذات الله في صفاته عن صفات الخلق فلا يشاركه فيها غيره لأن ما سوى الخالق خلق مخلوق ، وهو منزه عن مماثلة الحوادث التي خلقها ، وليس من ذلك تشابه بعض الصفات في الأسماء دون المعني المقصود من كل صفة . فالله حي ويوصف غيره بأنه حي ، ولكن الفرق ظاهر في الصفة بحسب ذات الموصوف ، فالله حي دائم أزلا وأبدا ، وغيره حي زائل حياة محدودة بزمن وجدت فيه من العدم موقوتة بما له من أجل ، وحياة الله بذاته . أما غيره فحياته بالله الحي الخالق القيوم . وهذا ما أعرب عنه النص فيما جاء على لسان المسيح من قوله :

---

(١) [٥ : ٣٦ ، ٣٧] .   (٢) [١٧ : ٣] .

« الآب الحي ، وأنا حي بالآب » ؛ وهذا معنى وحدانية الله في صفاته .

ومعنى أن تكون الآب هو الإله الحقيقي وحده ، أن الإبن والروح لا حقيقة لألوهية أي منهما ، لأن الاب وحده هو الإله الحقيقي ، وذلك كما سبق أن أكدناه مرارا من أن التثليث لم يكن من عقيدة المؤلف لأنه لو كان لما نص على اختصاص الآب وحده بالألوهية الحقيقية .

ومن العجيب ما يدعيه المثلثون من قولهم بوحدة الثالوث إلى حد القول إن الثلاثة في واحد يكونون ذات الله الواحد ، مع مناقضة ذلك للعقل فإن الواحد غير الثلاثة ، والثلاثة - التي كل منها إله كامل - لا تكون واحداً ومن ذلك ما قاله أحد المؤلفين المثلثين في كتابه الذي أسماه « الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه » وهو كتاب معتمد صدر عن : « دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة سنة ١٩٧٦ » قال المؤلف في الباب الخامس عن « وحدانية الأقانيم الكاملة » ما يلي :

« إن الأقانيم هم ذات الله الواحد ، لأنهم تعينات اللاهوت أو تعينه الخاص ، واللاهوت واحد ووحيد ولا ينقسم أو يتجزأ على الإطلاق ، ومن ثم يكونون واحدا في كل الخواص والصفات الإلهية ، ولا ينفصل أحدهم عن الآخر على الإطلاق ، ولأهميةهذه الحقيقة نسجل فيما يلي ما قاله الكتاب المقدس ....

شهادة الكتاب المقدس ، عن وحدانية الأقانيم في الذات الإلهية بكل خواصها :

١ - وحدانية الأقانيم في الألوهية : قال الوحي عن الآب إنه الله (١) .

وعن الإبن إنه (الله) (٢) . وعن الروح القدس أيضا إنه (الله) (٣) . ولذلك فإن الاسم « يهوه » الذي أطلقه الله على نفسه وأراد أن يعرف تعالى به لدى بني اسرائيل، يطلق على الآب (٤) وعلي الابن (٥) ، وعلي الروح القدس (٦) معا (٧) » أهـ . وقبل أن نناقش ذلك نبدأ بمراجعة ما أشار إليه من النصوص .

أما ذكره من أن الآب هو الله فنصه : « الله أبونا (٨) » كما أشار إليه .

---

(١) [٢ تسالونيكي ٢ : ١٦] .
(٢) [مزمور ٤٥ : ٦ - ٧] .
(٣) [أعمال ٥ : ٣ - ٥] .
(٤) [مزمور ١١٠ : ١] .
(٥) [أشعياء ٦ : ٣ ويوحنا ١٢ : ٤١] .
(٦) [حزقيال ٨ : ١] .
(٧) عوض سمعان : الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه [ص ١٠٠] .
(٨) [٢ تسالونيكي ٢ : ١٦] .

وأما ما ذكره عن الابن وأنه الله كنص المزمور [١] ، فها هو النص الذي أشار إليه:

« كرسيك يا ألله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر ، وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك » ، ونحن نعجب لأن لفظ « الابن » أو « ابن الله » لم يرد في هذا المزمور كله من أوله إلى آخره .

وخطاب المرنّم ظاهر لله في الفقرة الأولى ، وفي الثانية للملك الذي مسحه الله إلهه . وربما كان المقصود من صاحب الكرسي في الفقرة الأولي هو الملك وسماه « الله » من باب أنه خليفة الله . والمرنم يقصد الملك من بداية المزمور « متكلم أنا بإنشائي للملك [٢] » وقد كان ذلك جائزا إن صح نص مؤلف الإنجيل الرابع : « في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة » [٣] .

فأين إذن ما زعم صاحب وحدانية الأقانيم في الألوهية من أن الإبن هو الله كما زعم أنه جاء بالنص ؟؟

وأما ما ذكره من أن الروح القدس أطلق عليه في نص الأعمال فهو أيضا مغالطة فالنص يقول :

« ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس .... أنت لم تكذب على الناس بل على الله » [٤] .

فهذا المختلس جاء بجزء من المال وأمسك جزءا فانكشف أمره ، فقال له بطرس تريد أن تكذب ! أعلى الروح القدس أم على الناس ؟ بل أنت كذبت على الله ، وهذا زجر وتخويف من باب (من صدق مع الناس صدق على الله ، ومن كذب على الخلق فكأنما كذب على الله) . والسبب أن هذا المال كان في مصلحة عامة للجماعة . فلما اختلس اعتبر كاذبا على الله .

أما قوله : إن اسم « يهوه » كان يطلق على الله فهذا مشهور . لكن قوله إنه كان يطلق على الإبن فهذا مردود . وفي إشارته إلى نص أشعياء لا يلزمنا أكثر من إلقاء نظرة على ما أشار إليه . ونلاحظ أنّ الإصحاح المشار إليه لم يرد به اسم « يهوه » ولا « الإبن » ولا « ابن الله » لا من قريب ولا من بعيد . وإنما فيه صورة فجة لخيال بربري

---

(١) [٤٥ : ٦ – ٧] .

(٢) [٤٥ – ١] .

(٣) [١٠ : ٣٤] .

(٤) [أعمال الرسل ٥ : ٣ – ٥] .

وها هي : « في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي » عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل ، السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه ، وباثنين يطير وهذا نادي ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض ، فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا [1] » فأين إذن « يهوه » وأين « الابن » الذي أطلق عليه هذا الاسم ؟؟ كما يزعم صاحب وحدانية الأقانيم في الألوهية ؟؟

وقد أشار إلى نص يوحنا [2] فها هو :

« قال أشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه » فهل هو هذا السيد الذي رآه أشعياء لا ؟؟ تلك قضية ، وهي غير قوله : إن اسم « يهوه » أطلق على « الابن » .

وأما نص حزقيال الذي زعم أنه يطلق علي الروح القدس اسم « يهوه فهو كما يلي » :

« فكان في السنة السادسة .... وأنا جالس في بيتي ومشايخ يهوذا جالسون أمامي أن يد السيد الرب وقعت عليّ هناك فنظرت . وإذا شبه كمنظر نار من منظر حقويه إلى تحت نار ، ومن حقويه إلى فوق كمنظر لمعان كشبه النحاس اللامع ومد شبه يد وأخذني ...... [3] » فلم يرد هنا اسم « يهوه » ولا اسم « الروح القدس » .

وينبغي لمن ينظر بإنصاف أن يتمعن في هذا الاعتساف ويترفع عن الإسفاف .

ونعود لنؤكد أن « الله » أو « يهوه » لم يطلق إلا على « الآب » وحده . وهذا ما نؤكده لأنه هو الإله الحقيقي وحده دون غيره مما يدعي أصحاب الأقانيم المثلثون . ومن أراد مزيدا من الاختراعات الوهمية فليرجع إلى الكتاب المذكور في الفصل المشار إليه ليرى العجب العجاب مما قدمنا منه أنموذجا لتحري الحقائق التي يستعان بها لمعرفة الإله الخالق .

وأما من ناحية ما ذكر المؤلف صاحب وحدانية الأقانيم الثلاثة في الألوهية الواحدة الذات المثلثة الآلهة والتي كل منها إله ويتكون منها إلهه . فإن أبلغ رد عليه هو هذا الإنجيل الذي معنا هنا بما أورده على لسان المسيح من قوله يخاطب الله الآب :

---

(١) [أشعياء ٦ : ١ - ٤] .   (٢) [١٢ : ٤١] .

(٣) [٨ : ١ - ٣] .

« أنت الإله الحقيقي وحدك » لا شريك لك . « ويسوع المسيح الذي أرسلته » هو عبدك وابن أمتك إنسان وابن إنسان وجسد من جسد .

٢ - الله أعظم من الكل :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي »[١] .

وهذا النص يثبت لله تعالى العظمة ، وينطق بأنه أعظم من الكل . وذلك من حديث المسيح عن الله الآب . ومعني ذلك أنه أعظم من كل ما سواه وجميع من عداه حتي من الابن والروح القدس . أعظم منهم مجتمعين أو متفرقين ، وذلك لأنه الله الآب .

وكان آريوس يجهر قديما بما يفهم من هذا النص كان يقول : « إن الآب وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود ، أما الابن والروح القدس فهماكائنان خلقهما الله في الأزل لكي يكونا وسيطين بينه وبين العالم ، وهما مشابهان له في الجوهر ، ولكن ليس واحد منهما فيه ، وأنه لا فضل ولا قيمة للإبن والروح القدس إلا بما تفضل به الآب عليهما [٢] » ومع وضوح الحق فيما يقول إلا أن التيار الذي تحكم في الكنيسة في بداية الربع الثاني من القرن الرابع من بعد ميلاد المسيح لم يقبل ذلك في عهد قسطنطين كما أسلفنا .

وقد كان أحد الأساقفة وهو أبي ليناريس يقول :

« إن الأقانيم الثلاثة الموجودة في الله متفاوتة القدر ، فالروح القدس عظيم ، والابن أعظم ، والآب هو الأعظم . أي أن الآب هو أعظم الثلاثة ذلك أن الآب ليس محدود القوة ولا الجوهر . أما الابن فهو محدود القوة والجوهر [٣] » .

ولعل هذا النص الذي يفيد أن الآب أعظم من الكل بالإضافة إلى النص الذي يقول على لسان المسيح " أبي أعظم مني " هما السبب من وراء هذه المواقف لآريوس ومن تابعه ، وكم كنا نود أن يترك لكل من المجتمعين في مجمع نيقية أن يقول رأيه وأن تصل

---

(١) [١٠ : ٢٩] .

(٢) نقلا عن : محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالوث - [ص٣٨] .

(٣) المصدر السابق .

أقوالهم إلينا . إن ذلك لو حدث فإنه مما لا ريب فيه أننا كنا سنرى حقا كثيرا مما يؤيد ما نذهب إليه بشأن هذا النص وأمثاله . ذلك أن العقيدة التي تحكمت في الكنيسة من يومها كانت عقيدة عدد أقل من سدس عدد المجتمعين « ٣١٨ من ٢٠٤٨ » .

ونعود لصاحب العظمة لأنه الآب وحده من دون الكل . لأنه الإله الحقيقي وحده الذي لا شريك له .

٣ - الله ...... المعطي :

جاء بالنص على لسان المسيح في مخاطبة الله :

« أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم ، كانوا لك وأعطيتهم لي وقد حفظوا كلامك .

والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك ، لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم وهم قبلو وعلموا يقينا »[(١)] .

وجاء أيضا بالنص على لسان المسيح :

« كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم إني أسأل الآب من أجلكم »[(٢)] .

كما جاء بالنص أيضا على لسانه :

« الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم »[(٣)] .

كما جاء بالنص على لسانه :

« لا يقدر أحد أن يأتي إلي إن لم يعط من أبي »[(٤)] .

كما جاء بالنص أيضا على لسانه :

« أبي يعطيكم الخبز الحقيقي .. »[(٥)] .

وعن أعماله التي كان يعملها باسم الآب جاء على لسانه أن الله أعطاها له :

« الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني »[(٦)] .

ولا يخفى ظهور الفارق هنا بين الخالق المعطي في كل هذه النصوص وبين

---

(١) [١٧ : ٦ - ٨] .
(٢) [١٦ : ٢٣] .
(٣) [١٢ : ٤٩] .
(٤) [٦ : ٦٥] .
(٥) [٦ : ٣٢] .
(٦) [٥ : ٣٦] .

المخلوق الآخذ . المعطي غني ، والآخذ محتاج سواء في ذلك المسيح وغيره من الخلق .

٤ – الله ...... الحق :

كما جاء بالنص على لسان المسيح :

« من نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق [١] » .

وذلك لأن الحق ثابت لا يتغير ، ولا يحول ولا يزول . والذي استمد من تأييده كل صاحب حق النصر .

وهذا يعني حق الألوهية والربوبية وما سواه تعالى باطل لعجزه ، ولاحتياجه لله .

٥ – يستجيب للمتقين من عباده :

كما جاء بالنص على لسان الأعمى قوله :

« إن الله لا يسمع للخطاة ، ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » [٢] .

والمقصود من السمع هنا في هذا النص . هو الاستجابة المترتبة على قبول الله دعاء عبده الصالح الذي يدعوه ، أما إن كان خاطئا شريرا يدعو دون توبة ورجوع عن المعصية فإن الله لا يستجيب له .

ولعل من الملاحظ أن النص عبر عن السَّامع هنا بلفظ « الله » وهو : الآب كما سبق توضيح ذلك دون الابن والروح . ولكن الذي يتابع موقع هذا النص مما قبله وبعده، يرى أن الداعي الذي يتقي الله ويفعل مشيئته . والذي يسمع الله له ويستجيب هو المسيح . فإن الأعمى الذي أبصر على يدي المسيح – الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق عند الحديث عن المعجزة السادسة – كان اليهود يستجوبونه وقالوا له : « أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فإننا تلاميذ موسى ، نحن نعلم أن موسى كلمة الله ، وأما هذا فما نعلم من أين هو . أجاب الرجل وقال لهم « إن في هذا عجبا ، إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عيني ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » [٣] .

والله السامع المستجيب غير المسيح الذي يدعوه ويرجوه، والذي يتقي الله ويفعل

---

(١) [٧ : ٢٨] .

(٢) [٩ : ٣١] .

(٣) [٩ : ٢٨ – ٣١] .

مشيئته ومن أجل ذلك يقبل الله دعاءه ، كما يقبل من جميع المؤمنين وهو غير المسيح ، والله المستجيب غني وجواد وكريم وهذه صفة الله التي لا يشاركه فيها غيره . ويؤيد هذا النص ما ذهبنا إليه في وقوع الصلب على يهوذا بدلا من المسيح الذي نجاه الله منه واستجاب له دعاءه . أن يجيز عنه الكأس التي كان أعداؤه يريدون له أن يشربها بمكرهم ، وعاونهم يهوذا الخائن ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله .

ونجي الله المسيح الذي كان يفعل مشيئته ويبلغ رسالته ويتقيه .

٦ - الآب .... القدوس الحافظ :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله يخاطب الله الآب :

« أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني .... لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير [(١)] » .

ومعنى القدوس المنزه وقد طلب المسيح منه أن يحفظ تلاميذه من الشرير ، ولا مانع أن يكون ذلك قد حدث ، ونجا الله تلاميذه من الفتنة بعده ، ولقوا ربهم على مبدأ معلمهم ، وما حدث من بعدهم مما نسب إليهم من المؤلفات التي سميت أناجيل وبلغ عددها ما بلغ لم تثبت نسبتها إليهم . وقد يكون ذلك لم يحدث ، لكن المغايرة بين المخلوق والخالق لا تخفي .

وننتقل الآن إلى النصوص التي تتحدث عن عبد الله ورسوله لنري حقيقة المسيح..

ثانيا: المسيح عبد الله ورسوله

ولا يلزمنا هنا الاستدلال على هذه الحقيقة فهي ثابتة بواقع حياة المسيح . فهو مولود من أمرأة كما يولد سائر بني آدم ، وكان يأكل ويشرب ، ويستريح ويتعب ، وينمو ويكبر ، ويفرح ويحزن ، ويطمئن ويفزع ، ويجهل ما لا يعلم ، ويعلم ما كان يجهل، وينام ويستقظ ، ويدعو ربه ويصلي ، وكان يظهر للتلاميذ ويهرب كثيرا من اليهود ويختفي ، وكل هذا من دلائل بشريته كفيرد من بني جنسه والإله منزه عن ذلك كله وبعضه ، وذلك لأنه مخالف للحوادث . وليس كمثله شئ .

وعلى القائل بألوهية المسيح أن يقيم الدليل على دعواه . ولا يطالب القائل بأن

---

(١) [١٧ : ١١ ، ١٥] .

المسيح بشر فقط بدليل على ثبوت ذلك للمسيح أكثر من الاحتكام لواقع حياته ، وفي ذلك نفي لدعوى محاولة تأليهه وذلك من واقع النصوص التي تعترف الكنيسة بها . ويهمنا هنا نصوص الإنجيل الرابع موضوع بحثنا . مع ملاحظة ما لا نراه بعيدا عن الأذهان أنه الوحيد الذي ادعى ألوهية المسيح . ومعني ذلك أن المسيح في نصوص الثلاثة بشر رسول ، ليس إلها ولا شبه إله ، ومعني ذلك من ناحية ثانية وهي الأهم بخصوص موضوع بحثنا : أن نص الإنجيل الرابع متناقض مفكك لأنه تارة يحاول تأليه المسيح ، وتارة أخرى يرضخ للواقع حيث يفرض الواقع نفسه ، ولا يجد مناصا من العدول عنه. وهذه الظاهرة تفقد الإنجيل الرابع قيمته الذاتية ، والوحدة الموضوعية ، لما يبدو به من تناقض .

وهذا مما يوجب التدبر والتأني والصبر على من يتعرض له بالدراسة الجادة المحايدة المنصفة البعيدة عن التعصب له أو ضده ، وذلك لكي تخرج الدراسة بنتيجة مقبولة معقولة لدى جميع العقلاء الذي يحترمون عقولهم .

وقد سبق لنا القول في مقدمة الفصل الثاني « محور الإنجيل اللاهوتي ومحاولة تأليه المسيح » أنه :

مما يدعونا للعجب من أمرهذا النص العجيب أنه جمع بين نقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان إذا ارتفع أحدهما ثبت الآخر ، وإذا صدق أحدهما كذب الآخر ، عند كل من يحترم عقله ، هذان النقيضان هما القول بأن المسيح عبد الله ورسوله ، ونقيضه القول بأنه هو الله المتجسد ، وكذا القول بأن الله الآب أعظم من المسيح ونقيضه القول بأنهما متساويان .

.... إلى أن قلنا .... وهذا التناقض في نص الإنجيل الرابع ومثله معه من التناقضات الكثيرة في النصوص التي يتكون منها كتاب العهد الجديد مما أوقع أتباعها في حيرة بالغة فظهرت بينهم مذاهب كثيرة أخذ كل منها مأخذا حتي بداية القرن الرابع فلم تتفق الكلمة حول طبيعة المسيح . هل هو بشر ؟ أم إله ؟ وهل هو مساو لله ؟ أم أن الله أعظم منه ؟ حتي ظهرت الدعوة إلى عقد مجمع مسكوني عام وعقد في نيقية عام ٣٢٥م وقد كان عدد أعضائه ٢٠٤٨ وكان اجتماعهم بقصد وضع حد لهذه الاختلافات والاتفاق على تقرير حقيقة المسيح .

وفي هذا الاجتماع صاح عالم مصري اسمه آريوس صيحته التي كان يردده

دائما : إن الآب وحده الله ، والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذا لم يكن الإبن . وكان ذلك هو السبب في الاختلاف بين المؤتمرين لدرجة التشابك بالأيدي . وأن القائلين بالتثليث وتأليه المسيح في هذا المؤتمر لم يزد عددهم عن ٣١٨ وهم الذين قرروا فيما بعد تأليه المسيح .

ثم قلنا : لكن التناقض الذي وقع بين نصوصه - نصوص الإنجيل الرابع - في موضوع الألوهية لم يحسم الموقف . بل جعل موضوع ألوهية المسيح مثارا للجدل - بين القبول والرد .

إلى أن قلنا عن اختلاف النصوص : إنَّها تمكن من القول بالمذهب ومخالفه ، والمذهب ونقيضه ، لدرجة دفعت بعض رجال الكنيسة المصرية إلى الإعراب عن مبلغ الصعوبة في استخلاص العقيدة من نصوص الأناجيل الحالية . وأنه يحتاج إلى إلهام لا يقل عن إلهام واضع النص نفسه ، وذلك بسبب مجافاتها للعقل وتنكره لها كما قال الأب متى المسكين :

« واستخلاص العقيدة من نصوص الإنجيل عمل إلهامي لا يقل عن وضع الإنجيل نفسه ، لأن في كليهما يبلغ العقل إلى مواجهة الحق ، والحق الذي يقصده هو العقيدة والنصوص هي التي يواجهها العقل ويتحداها

ونحن نرى في نصوص هذا الإنجيل الذي هو موضوع بحثنا هذا . أساساً لاتجاهات كثيرة . بل نكاد نقول : لو لم يكن بين أيدي المختلفين إلا هذا الإنجيل لأوقع بينهم مثل هذاالاختلاف الذي حدث في مجمع نيقية عام (٣٢٥) م .

وكم يعجب الإنسان من اتجاه الذين يأخذون تأليه المسيح الذي يجدونه في بعض نصوص الإنجيل الرابع ومحاولتهم في صرف نصوص هذا الإنجيل الدالة على بشريته ونفى ألوهيته ، لدرجة تدفع بالكثير منهم إلى ضروب من اللغو الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، وذلك في رأينا عبث عقلي وازدراء للعقل ، وبعضهم يتجاهل هذه النصوص ويمر عليها كأنه لم يرها ، وقد تقدم في بحثنا هذا نماذج كثيرة لهذه المواجهات بين العقل والعقيدة التي تقول بتأليه البشر . ونقدم هنا أنموذجا واحدا لمحاولة بعض القائلين بألوهية المسيح . وهي محاولة اختراع معنى لقول المسيح « الآب ... أرسلني » كما جاء بنص الإنجيل الرابع قال الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي ما نصه :

« حقا إن المسيح صاحب رسالة جاء ليبلغها ويحققها ، لكنه مع ذلك ليس رسولا كما كانت الرسل من قبله أو من بعده .

وحقا كثيرا ما قال المسيح إن « الآب ... أرسلني » ولكن ما أبعد الفرق بين الإرسالية بهذا المعنى ، والإرسال بالمفهوم السائد بالنسبة للأنبياء والرسل من بين الناس . تلك الأولي إرسالية باطنية من داخل الوحدة الثالوثية :

(الآب والابن والروح القدس) . وأما الأخري فإرسالية خارجية ، إرسالية من الخالق للمخلوق .

ولقد قال المسيح عن نفسه « الآب ..... أرسلني » ليؤكد الوحدانية وينفي وجود جوهرين أو إلهين وليطمئن اليهود من بني اسرائيل - وهم أهل توحيد - أنه لا يدعي الألوهة لنفسه مفترقا عن الآب السماوي كأنه إله جديد ذو كيان مستقل عن كيان الآب وجوهره .

فالمسيح كان دائما يؤكد على مبدأ الوحدانية ، وأنه ليس يوجد غير إله واحد والمسيح ليس إلها آخر . إنه والآب جوهر واحد ، كيان واحد ، ذات إلهيـة واحدة ، فالآب والإبن والروح القدس جوهر واحد غير منقسم وذات واحدة غير متجزئة لأنه ليس في الوجود غير إله واحد .

إذن لقد قال المسيح عن نفسه أن « الآب ... أرسلني ليؤكد على حقيقة الوحدانية، وأن في السماء جوهرا واحدا ، وأصلا واحدا ، وذاتا إلهية واحدة [(1)] " أ هـ

وعجيب قوله الآب والابن والروح القدس جوهر واحد غير منقسم وذات واحدة غير متجزئة .... مع إيمانه بنص متى على أن المسيح حين كان يعمد على الأرض بالماء ، هبط الروح المذكور مثل الحمامة عليه من السماء ، وأن صوت الآب سمع من السماء يقول هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت . ومع إيمانه بمثل ذلك ومنه ماجاء بالإنجيل الرابع ، ومثله أن المسيح كان يصلي ويبتهل ويناجي الله فيرد عليه من السماء ، فأحدهما عبد سائل والآخر معبود مسئول ، الأول رسول والثاني مرسل إلخ .

وهذا محل عجبنا منه في نفس الوقت الذي يقول فيه : ليس في الوجود غير إله واحد .

---

(١) غريغوريوس : أنت المسيح ابن الله الحي ص [٥ ، ٦] .

وما يهمنا هنا هو تفريقه بين إرسالية المسيح وغيرها ، بأنها إرسالية باطنية في داخل الوحدة الثالوثية . فإن القول بالوحدة الإلهية لذات الله المرسل يستلزم أن يكون رسوله غيره ، وليس غيره إلا من خلقه ، فإذا كان الله الواحد المرسل قد أرسل المسيح فإن المسيح غيره لأن العقل يحكم بالبداهة بمغايرة الرسول للمرسل .

وكذلك فإن التثليث الذي يقولون به ينتفي بإثبات أن المسيح رسول الله لأن المسيح كان بشرا ذا جسد على الأرض ، والله أعز من أن يحل أو يتجسد وهو في السماء – على حد قولهم – حين كان يرد على المسيح : " مجدت وأمجد " . وحين قال من السماء: هذا هو ابني الحبيب . فقد تغاير بالمكان وبذلك تنتفي الوحدة الثالوثية والبشر بشر والله أعز وأكرم .

وأما عن القول بالتجسد والحلول الذي اخترعه مؤلف الإنجيل الرابع فإن الرسالة التي كان المسيح يدعيها تصبح لغوا وكذبا على الناس ، فإذا كان هو هو الله فما معنى أن يقول : « الآب ... أرسلني » بل كان الأولى له أن يقول « أنا الآب » أرسلت لكم من قبل رسلا ، فلم تستقيموا ولم تعرفوني لهذا جئتكم بنفسي . أما أن يكون قوله : « الآب ... أرسلني » فذلك ادعاء يكذبه من يقول بأنه هو هو الله المتجسد . ومعني ذلك تكذيب المسيح .

فإما أن يكون كاذبا في ادعاء الرسالة وإما أن يكون صادقا ؟؟ . ومعنى ثبوت أنه رسول الله انتفاء الألوهية التي يدعيها مؤلهوه . لأن الرسول غير المرسل .

ونحن نقول : بأن الرسالة كانت دعواه هو ، وذلك لما جاء عنها بالنص كما سنوضح ذلك إن شاء الله .

ونقول بأن التأليه دعواهم لمخالفته لما يثبت رسالته ، ولأن دعوي التأليه كما مر الحديث عنها لم تكن محل إجماع ، وذلك لضعف النصوص التي يتمسكون بها مع خفائها ، وغموضها ، وغرابتها ، وشذوذها عن ما ألفوه من نصوص الثلاثة فضلا عن نصوص العهد القديم ومخالفتها للمعقول والمنقول في كل وقت وحين .

ونقول ونؤكد بأن التأليه دعواهم لأنه لو كان دعوي المسيح لقالت به – على الأقل– الأناجيل الثلاثة كما قال به الرابع ، ولكنه لم يكن من دعواه فلم تأت به الأناجيل الثلاثة، ولولا رغبة أهل أفسس من عباد أرطاميس ، ومن منبت أول الفلاسفة الذين قالوا باللوجوس الإلهي نقول لولا رغبة هؤلاء لما جرؤ أحد على كتابة مؤلف يقول فيه

بتأليه المسيح ولذلك فإن المؤلهين المحدثين يخترعون المبررات لعدم توضيح المسيح لهذه الحقيقة في زعمهم .

يقول الأنبا غريغوريوس :

" كان لا بد للرب يسوع أن يخفي لاهوته عن الشيطان وعملائه من الناس الأشرار، حتى لا يفشل تدبير الفداء للإنسان ، إذ لو كشف الرب يسوع لاهوته كاملا كيف كان يمكن للشيطان الذي يريد هلاك الناس لاخلاصهم أن يساعد على خلاص الناس بتحقيق صلب المسيح وموته ؟

يقينا لو عرف الشيطان ذلك لما هيج قادة اليهود ليطلبوا صلب المسيح ، ولكان على العكس سعى لتعطيل الصلب " (١) .

وهذا التبرير ظاهر في أن المسيح الذي هو الله أخفى حقيقة لاهوته حتي لا يحال بينه وبين الصلب لأن الشيطان لو علم لما هيج اليهود على الله لكي يصلبوه ، ولكن الله كان ممكنا له أن يصلب نفسه بيده ، أو يطلب من تلاميذه الخلص أن يصلبوه وليس ذلك مشكلا . بل إنهم لو امتنعوا فرضا ولو لم يقدر هو على صلب ذاته لكان من الممكن أن يستعين ببعض ملائكته لكي يقتلوه على أي وضع يشاء ، وليس ذلك ببعيد على إله يريد أن يصلب ، وهذا الفكر قليل يظهر من كثير نخفي ، نحاور به مؤلهي المصلوب المهين . ويمنعنا العقل من أن نرضي بأن تكون هذه أحوال إله عزيز قوي . ويظهر في هذا التبرير الاعتراف بخفاء اللاهوت وأن ذلك كان مقصود المسيح . لكن هل كان المؤلفون الثلاثة الذي كتبوا الأناجيل الأخرى من عملاء الشيطان الأشرار لأن اللاهوت خفي عليهم .

وهذا الخفاء كان حقا لأن النصوص التي توهم التأليه في الإنجيل الرابع غير مقبولة في العقل ويناقضها فيه ما هو أشد منها وضوحا وجلاء ، والمسألة متوقفة على الناظر في هذا الإنجيل . فمن كان هواه التأليه قال به ، وحاول اختراع الحيل والخيالات لكي يفلت من بين براثن الحقيقة المؤكدة التي تنطق ببشرية المسيح عبد الله ورسوله .

ومع ذلك فلا يزالون مختلفين . يناقض بعضهم بعضا . يقول الأنبا غريغوريوس

---

(١) غريغوريوس : أنت المسيح ابن الله الحي [ص ٢٧] .

إن « الله الظاهر في الجسد . هو الله ذاته لابسا صورة إنسان ، الله نفسه مختفيا في شكل إنسان هو الله .

وقد صار له بالتجسد كيان جسدي معروف وملموس في المكان من دون أن يحده مكان . فقد كان على الأرض وفي السماء في وقت واحد » أ هـ ....[1] .

وقوله من دون أن يحده مكان قول منقوض بالواقع الذي يحكم بفساده . فهو في فترة حمل مريم به ، لم يكن خارج الرحم الذي كان محدودا به ، وحين خرج منه لم يعد إليه بعد أن خلا منه فإن كل جسم يتحيز بحيز محدود ومكان معلوم ، وهكذا يقال في الأماكن التي كان يحل بها . ولا يقبل أن يصدق العقل أنه كان على الأرض، وفي السماء وداخل رحم أمه وخارجه في وقت واحد ، فهذه كلها دعوى يعوزها الدليل . لكن الذي نقصده من هذا النص هو قوله « إن الله الظاهر في الجسد هو الله ذاته لابسا صورة إنسان . الله نفسه مختفيا في مشكل إنسان هو الله » ومقصوده بالله هنا هو : الله ذاته ونفسه أي الوحدة الثالوثية الآب والابن والروح القدس

وهذا كما جاء بنص الإنجيل الرابع . « الكلمة - الله - صار جسدا » .

وهذا القول يتناقض مع ما ذهب إليه مؤله آخر من نفي حلول الآب وتجسده . وكذلك من نفي حلول الروح القدس وتجسده ، فقد ذهب الأستاذ حبيب سعيد إلى حد القول بالنص :

« الروح مثل الاب لم يتجسد أبدا [2] . » كما ذهب إلى ذلك الأستاذ عوض سمعان في قوله بالنص :

إن « الآب والروح القدس ...... لم يتجسد، إذ أن الذي تجسد هو الإبن وحده » [3].

فإذا كان الذي تجسد على الأرض من رحم مريم هو الابن ، فلم التمسك بالقول بثالوث متحد الجوهر والذات وبينه وبين الآب والروح ما بين السماء والأرض من تباعد؟ وما قولهما ومن تابعهما في نص الإنجيل الرابع الذي يقول :

الكلة الله - الكلمة صار جسدا وحل بيننا - الآب الحال في - أنا في الآب والآب في - وقولهم و في الحمامة التي نزلت على المسيح وقت العماد وهي الروح القدس كما جاء بالإنجيل الرابع وغيره ؟ !

---

(١) المرجع السابق [ص١٩] .

(٢) حبيب سعيد : الروح القدس في العصر الحديث [ص٤٨] .

(٣) عوض سمعان : الله ثالوث بوحدانيته ، ووحدانية ثالوثه [ص١٦٣]

والحق يقال : إن مؤلف الإنجيل الرابع من وراء ذلك كله بتناقضانه . فمن خشي على النصوص التي قالت بأن المسيح كان على الأرض يناجي الله في السماء ، وأن الله كان يرد عليه ، وأنه كان يعترف بأنه رسول الله والرسول غير المرسل . قال بأن الآب لم يتجسد وكذلك الروح .

ومع ذلك فهو يتناقض مع القول بأن الله – بوحدته الثالوثية – كان حالاً ومتجسداً، كما يتناقض مع القول بحلول الله الآب في المسيح ، والنقيضان في نص الإنجيل الرابع .

ومن خشى على الوحدة الثالوثية ، وخاف عليها من التفكك ، والتفرقة قال بحلول الله . بوحدته الثالوثية الآب والابن والروح – في المسيح وتجسده فيه .

لكنه مع ذلك يتناقض مع النصوص المفرقة بالمناجاه والرسالة وحمامة العماد والنقيضان في نص الإنجيل الرابع . وهذا ما نراه .

ونحن نعتقد أن الله جلت عنايته أراد أن يكشف أمر مؤلف الإنجيل الرابع فأوقعه في هذا التناقض حتى يجئ الحق على يدي العقل الذي خلقه الله لمعرفته ويريد الله أن يتم نوره ولو كره المشركون . ليحق الحق ويبطل الباطل إن الباطل كان زهوقا .

ونعود لموضوعنا فقد بعدنا عن قرب ، لنعالج قضية " حقيقة المسيح في الإنجيل الرابع " أهو إله خالق أم إنسان مخلوق ؟؟ .

ويدور حديثنا هنا في تقديم النصوص تحت قسمين : عن ذاته وصفاته :

أ – النصوص التي تؤكد حقيقة ذاته :

١ – أنا إنسان :

جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله [١] ». والأركان في هذا النص ثلاثة : كلام مسموع وهو الحق ، الله الذي أسمع هذا الحق للمتكلم به ، والإنسان الذي تكلم بالحق الذي سمعه من الله . وكل من الثلاثة غير الآخر ، وانظر إلى تعريفه إياهم بنفسه في قوله : « أنا إنسان وهذا بيان ما بعده من بيان ، فلو كان غير ذلك لوضح وقال ، ولكنه لم يقل ، ولو كان غير ذلك ولم يوضح لكان كاذبا. ومخادعا لأنه تكلم بغير الحق الذي أخفاه » .

---

(١) [٨ : ٤٠] .

ونحن نعتقد أنه صادق في التعريف بنفسه « أنا إنسان » ما دام ذلك مما يتفق مع حقيقة ماهيته كإنسان . وهكذا كان في نظر غيره من معاصريه " فخرج بيلاطس إليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان [1] » هو ذا الإنسان [2] » . وقد أجاب الأعمي الذي أبصر على يدي المسيح سائليه عمن شفاه بقوله : « إنسان يقال له يسوع » [3] .

٢ - ابن الإنسان :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« من الآن تـرون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» [4].

وقد وصف نفسه هنا بأنه ابن إنسان ، وذلك بالإضافة إلى النص السابق الذي وصف فيه نفسه بأنه إنسان وقد تكرر وصفه لنفسه بأنه ابن إنسان في أماكن متفرقة من هذا النص أيضا .

٣ - إنسان ابن إنسان جسد من جسد :

كما جاء بالنص قوله على لسان المسيح :

« المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح[5] » وهو مولود من مخلوق له جسد وهي أمه مريم . وهو جسد لهذا السبب أي أنه بشر مثلها في بشريته وآدميته .

ولا يمكن المصير إلى غير هذا والقول بأنه روح من روح ، أو روح الله ، أو من الله بمعنى الألوهية الذي يقولون به كما سبق . وذلك لأن النص يدخل مع المسيح غيره من الناس ، فلله أولاد كثيرون ولدوا من الله بالمعنى المجازي ، وذلك بحسب التعبير الذي انبثق عن الفيلسوف القدير ، « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه ، الذين ولدوا ليس من دم ولا مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله [6] » ولا يمكن أن يكون ذلك ومثله في المسيح « من الله » و « من عند الله » حقيقة لا تؤول . بل يحمل ذلك على المبالغة والمجاز وذلك لكي يحمل كل نص بما لا

---

(١) [١٨ : ٢٩] .
(٢) [١٩ : ٥] .
(٣) [٩ : ١٠] .
(٤) [١ : ٥١] .
(٥) [٣ : ٦] .
(٦) [١ : ١٢ ، ١٣] .

يتعارض مع غيره وهذا ممكن هنا فيكون معناه المولود من الجسد جسد ، والمسيح مولود من مريم وهي بشر فهو بشر مثلها . وإذا قيل بأنه روح لأنه روح وجسد ، فكل بني آدم مثله ، وإذا قيل بأنه يمتاز في روحانيته بأنه من الله فإنا نقول إن النص يقول ذلك في حق جميع الذين قبلوه أي المؤمنون باسمه والنتيجة : أن المولود من الجسد جسد هو ، والمسيح كذلك جسد من جسد مريم . إنسان وابن إنسان .

٤ - يناله التعب ويجلس ليستريح :

كما جاء بالنص عن المسيح قوله :

« فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر [(١)] » .

والأركان التي نهتم بها في هذا النص ثلاثة :

أ - يسوع الإنسان الذي هو جسد من جسد .

ب - التعب الذي وقع بجسده .

جـ - الجلوس على البئر بسبب التعب الذي أدركه .

وهذا يؤيد عجزه وضعفه ، وأنه عرضة كغيره للإرهاق والتعب وينفي ألوهيته المزعومة . لأن الله القوي لا يتعب ولا يضعف ، ولو كان حالا فيه وهو هو ما ناله ما أدركه " وإنما تعب المسيح وجلس بعد التعب ليستريح لأنه إنسان جسد من جسد .

٥ - يدركه العطش ويحتاج شربة ماء :

كما جاء بالنص أن المسيح طلب من السامرية أن تعطيه شربة ماء « فقال لها يسوع أعطيني لأشرب » [(٢)] .

وفي طلبه من السامرية أن تعطيه ليشرب ، دليل عجزه عن مقاومة العطش واحتياجه لشربة ماء والمحتاج ليس إلها ، بل مخلوق عاجز . يحتاج إلى كسرة خبز كما يحتاج شربة ماء ، وقد جاء في مواطن كثيرة أنه كان يأكل في نص الرابع وغيره من الثلاثة ، وكانت تصنع له الولائم [(٣)] . وذلك ما فعلته أختا لعازر الميت الذي أقامه .

ويستلزم ذلك امتلاء البطن بالأخلاط والغازات واحتياج الإنسان إلى قضاء الحاجة لإخراج فضلات طعامه ، وهذا دليل العجز والضعف ، فهو في حاجته إلى الطعام

---

(١) [٤ : ٦] .

(٢) [٤ : ٧] . والصواب « أعطني » لأنه فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة .

(٣) [يوحنا ١٢ : ٢] .

يطلب نفع نفسه ، وفي حالة حاجته الثانية لا يملك أن يدفع الضر عن نفسه ، والطعام ونحوه دليل ذو جناحين حاجته للجلب ، وحاجته لدفع فضلاته ، وذلك لأن المسيح إنسان، وابن إنسان ، جسد من جسد ، ويناله التعب ، ويدركه الجوع والعطش ويحتاج لإخراج الفضلات كما يحتاج لغيرها .

ب - النصوص التي تدل على صفاته :

١ - حياته من الله الآب :

جاء بالنص على لسان المسيح :

« أنا حي بالآب[1] » ، ومما يوضح هذه السببية التي تبدو من النص في استمداد حياته من الآب ما جاء في موضع آخر بالنص من قوله :

« الآب ..... أعطي الابن أيضا أن تكون له حياة في ذاته[2] » وهنا يظهر احتياج الإبن للحياة التي أعطاها له الله الآب ، والتي بدونها . ، ما كانت تتأتي له حياة أي حياة ولكان في غمرة العدم الذي منه بدأ . وهذا دليل الاحتياج الذي يلزم كل الخلق ..

وانظر إلى التعبير عن الآخر بأنه « الابن » وهو ما يقول المؤلهون المثلثون بأنه إله.. من إله . الذي هو أحد أفراد الشركة الثالوثية المقدسة في داخل الوحدة الثالوثية (الآب والإبن والروح) فيظهر للناظر بكل وضوح تام أن الآب أفضل وأعظم من الابن المحتاج . اذا لولا الآب لما كانت له حياة ، فهل يقبل بعد ذلك القول بأنه إله من إله في الإله الواحد المثث والثلاثة الموحدة التي كل من أفرادها إله كامل .

وقد قلنا في أكثر من موضع سابق . إن عقيدة التثليث لم تكن عقيدة مؤلف الإنجيل الرابع ، ولا من تصوره لأنها لو كانت من تصور المؤلف لعدل عن التعبير عن الأخذ المحتاج بلفظ « الإبن » إلى لفظ آخر ولقال مثلا : « الآب أعطي المسيح » أو «يسوع » لكن الذي دفعه إلى ذلك هو خلو ذهنه عن التثليث الذي بدأ تقريره من مجمع نيقية في بداية الربع الثاني من القرن الرابع بعد ميلاد المسيح .

وهذاالنص دليل ضد القول بتأليه الإبن لأنه يثبت احتياجه كما أنه مع النص الأول « أنا حي بالآب » ينفي عن المسيح شبهة الألوهية . فأنه حين عبر عن نفسه قائلا « أنا » كان يعني ذاته المشخصة التي تتميز عن غيرها من الموجودات .

---

(١) [٦ : ٥٧] .　　(٢) [٥ : ٢٦] .

فلو كان هو « الله الكلمة الذي صار جسدا » وقا ل « أنا » فإن ذلك يدل على ذاته التي هي « الله الكلمة الذي صار جسدا » ومعناه أنه محتاج للآب . فيكون المحتاج مخلوقا ، والذي منحه وأعطاه هو الله .

ولو كان هو « الله الكلمة ..... » حقا ، ثم عبر عن ذاته بما يفيد الاحتياج لكان كاذبا ومخادعاً ، وهذا لا ينفي ألوهيته المزعومة فقط ، بل ينفي رسالته لأن الكاذب على الله لا يؤمن على رسالته ، ويكون فضلاء الناس ممن يترفعون عن الكذب خير منه .

ولا يبقى إلا افتراض واحد هو الذي يقبله العقل المحترم ، وهو أنه حين عبر عن ذاته وشخصه بقوله « أنا » كان إنسانًا ولم يكن إلها ، وكان صادقا في الإعراب عن حاجته للحياة التي أعطاها له الله الغني المانح للحياه ، وفي قوله « أنا حي بالآب » ، . الآب أعطى الإبن أن تكون له حياة " دليل قاطع على فساد مذهب تثليث الله وتأليه الإبن ، وصدق مذهبنا ومذهب جميع العقلاء في تأييد مذهب آريوس الذي جاهر مؤلهي البشر في مجمع نيقيه (٣٢٥ م) بقول الحق :

« إن الآب وحده الله ، والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن » .

٢ - عدم قدرته على فعل شئ :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا [(١)] » وكذلك قوله : « لست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي [(٢)] » .

فهو هنا يقول « أن لا أقدر أن أفعل .. » : وأنا بمفهومها الذي يعنيه ويميزه عمن سواه ، دليل قاطع على بشريته فإن نفي القدرة يستلزم العجز والضعف وذلك من صفات البشر ، وهو بذلك يعرب عن ذاته ويعرفنا بقدرته المحدودة بمشيئة الله ، كبشر لا يملك فعل شئ إلا إذا شاء الله القوى القادر على كل شئ وكذلك قوله في النص الثاني « لست أفعل شيئا من نفسي » .

ولو كان الله هو المسيح لما جاز له أن يقول ذلك بحال . لأن الله قوي يفعل كل شئ باختياره ومن نفسه وهو على كل شئ قدير . ومع ذلك فلو كان هو الله وقال ذلك

---

(١) [٥ : ٣٠] .　　(٢) [٨ : ٢٨] .

كان كاذبا ومجدفا ومخادعا ، لأنه يقول بخلاف حقيقته وعكس صفاته ويستلزم ذلك كذب المسيح لو كان الله فيه كله أو بعضه .

ولكن القائل بذلك لا يكون صادقا إلا إذا كان قوله مطابقا للواقع عن بينة وبرهان، وهو صادق عندنا لأن هذا القول الصادر منه مطابق للواقع عن بينة وبرهان وهو أنه إنسان .

٣ - احتياجه للتعليم :

كما جاء على لسان المسيح بنفس النص قوله :

« علمني أبي [1] » . وأركان هذا النص ثلاثة هي :

الأول : المعلم وهو الله الآب .

الثاني : العلم الذي منحه وجاد به

الثالث : المتعلم الذي تلقى . وهوالمسيح الذي كان يجهل قبل أن يعلم ما علمه الآب المعلم .

هل ترى نصا في مثل هذا الوضوح : فالمعلم بعلمه أكمل علما وأوفر ممن يعلمه ولا سيما إذا كان هو الله العليم بكل شئ العليم الحكيم .

والمتعلم في حاجة إلى العلم الذي أزال به ظلمات الجهل بماعلم وهو محتاج للعلم وحاجته للمعلم أشد . ولا يزل المتعلم في حاجة إلى العلم وزيادته طالما بقى حيا لأن ما يجهل أكثر مما يتعلم . وأما العلم فهل هو كل علم الله المعلم أو بعضه . الواضح أنه بعضه ولذلك قلنا بوفرة علم المعلم عن المتعلم . ويمكن للمسيح لو كان هو الله كما يدعي المؤلهون أن يقول .. علمي من ذاتي . أو لم يعلمني أحد لأنني المعلم الأكبر أنا الله الآب . لكنه لم يقل وإنما أثبت بهذاالنص أن الآب علمه . وأنه تلقى منه ما لم يكن يعلم مماكان قبلا يجهل . وذلك لأنه إنسان وابن إنسان ، مخلوق عاجز ، كان من قبل غير عالم حتى تعلم وهو بذلك حادث بعد أن لم يكن ، وغير ثابت لأنه متغير ، وكل ذلك من صفات المخلوقات التي يتنزه الخالق عنها .

---

(١) [٨ : ٢٨] .

٤ – تعليمه لهم من الله ليس منه :

جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني ، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي ، ومن يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم »[(١)] .

وها هو المسيح ينفي نسبة التعليم الذي كان يقوم به لهم عن نفسه وقال : « تعليمي ليس لي » ثم أقر واعترف بأن هذا التعليم ليس إلا من الذي أرسله وهو الله الآب . ثم وضح أنه لو كان دجالا كذابا يطلب مجد نفسه لما قال ذلك ، ولكنه صادق ليس كذابا ولا ظالما لأنه يطلب مجد الله العظيم الذي علمه وأرسله .

ومع هذاالوضوح . في نفي ذلك عن نفسه ، يفتري بعضهم عليه كذبا أنه الله العالم بكل شئ مع تناقضهم مع هذاالنص وأمثاله مما يدل على حاجته للعلم والمعلم وما ذلك إلا لأنه إنسان وابن انسان جسد من جسد لا يملك أن يفعل شيئا إلا بإذن الله شأنه شأن كل بشر .

ومن ذلك قوله : « أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله[(٢)] » وقوله : « لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم .. فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم[(٣)] » .

وانظر إلى مقدار أدبه مع ربه ، أنه صرح وأقر بأنه لم يكلمهم من نفسه بل كما علمه الله الآب الذي أرسله وإذن له فهو يتكلم ، وأنه لا يتكلم إلا بما أذن الله له به .

إنه لو كان الآب لم يتجسد كما قال من قال منهم بذلك . وكان الحال فيه هو الإبن وكان المسيح يقول ذلك باعتبار الناسوت وأنه هوالذي تعلم . لكان الأولى أن يقول : علمني الإبن لأنه هو الحال فيه . مع أنه خلاف ما ذهب إليه صاحب الإنجيل الرابع من ادعاء حلول الآب . لأن المنطقي أن يكون الإبن الحال هو الذي يقوم بتعليم الجسد الذي حل فيه ، ولا يتعدي الآب عليه بتعليم الناسوت الذي يتحدث بأنه تعلم . ولو كان هو الابن الذي تعلم لكان جاهلا قبل أن يتعلم وهذا نقص بمقام الإبن وضعة عن مقام

---

(١) [٧ : ١٦ – ١٨] .   (٢) [٨ : ٤٠] .

(٣) [١٢ : ٤٩] .

ولكن أن يعرف بنفسه بنصوص تجعله رسولا أرسله الله ، ويؤكد ذلك في أكثر من موضع ، في الوقت الذي يحمل نفس النص أن يوحنا كان رسولا من الله ، وفي الوقت نفسه يحمل نفس النص تشبيه إرسال الله للمسيح ، بإرسال المسيح بعض تلاميذه فذلك يفيد أن شخصية المسيح رسول أرسله الله كغيره من الرسل لا إلها ولا شبه إله

ونظرا لكثرة النصوص التي جاءت بخصوص تأكيد هذه الحقيقة فقد فضلنا أن نوليها بعض العناية التي تليق بها لأنها هي حقيقة المسيح التي بعثه الله بها وكلفه ، والتي خلقه من أجلها وشرفه بالتكليف بها .

جاء منها عن يوحنا المعمدان لفظان في ثلاثة مواضع قول النص :

١ - « كان إنسان مرسل من الله إسمه يوحنا » [١].

٢ - « لست أنا المسيح بل إني مرسل أمامه » [٢] .

٣ - «الذي أرسلني قال لي .... » [٣] ولم يأت من ألفاظها للمعمدان غير ذلك .

أما النصوص التي جاءت عن المسيح على لسانه بالنص فهي كما يلي :

أ - لفظ « أرسلني » :

١ - « أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله » [٤] .

٢ - « منْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية » [٥] .

٣ - « لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الذي أرسلني » [٦] .

٤ - « الأعمال التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » [٧] .

٥ - « الآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى » [٨] .

٦ - « ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » [٩] .

٧ - « هذه مشيئة الآب الذى أرسلنى » [١٠] .

٨ - « هذه هى مشيئة الذى أرسلنى » [١١] .

---

(١) [١ : ٦].
(٢) [٣ : ٢٨].
(٣) [١ : ٣٣].
(٤) [٤ : ٣٤].
(٥) [٥ : ٢٤].
(٦) [٥ : ٣٠].
(٧) [٥ : ٣٦].
(٨) [٥ : ٣٧].
(٩) [٦ : ٣٨].
(١٠) [٦ : ٣٩].
(١١) [٦ : ٤٠].

٩ - « أرسلنى الآب الحى وأنا حى بالآب »[١] .

١٠- « لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذ به الآب الذي أرسلني .... »[٢] .

١١- « تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني ...... »[٣] .

١٢- « من نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق »[٤] .

١٣- « أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني »[٥] .

١٤- « أمضي إلى الذي أرسلني »[٦] .

١٥- « لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني »[٧] .

١٦- « في ناموسكم شهادة رجلين حق ، أنا هو الشاهد لنفسي ، ويشهد لي الآب الذي أرسلني »[٨] .

١٧- « الذي أرسلني هو حق وأناما سمعته منه فهذا أقوله »[٩] .

١٨- « الذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي »[١٠] .

١٩- « خرجت من قبل الله وأتيت لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني »[١١] .

٢٠- « ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني »[١٢] .

٢١- « أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي ....

لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني »[١٣] .

٢٢- « الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني »[١٤] .

٢٣- « الذي يراني يري الذي أرسلني »[١٥].

٢٤- « لم أتكلم من نفسي لكن الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول .... »[١٦] .

٢٥- « الذي يقبلني يقبل الذي أرسلني »[١٧].

---

(١) [٦ : ٥٧] .
(٢) [٦ : ٤٤] .
(٣) [٧ : ١٦] .
(٤) [٧ : ٢٨] .
(٥) [٧ : ٢٩] .
(٦) [٧ : ٣٣] .
(٧) [٨ : ١٦] .
(٨) [٨ : ١٧ ، ١٨] .
(٩) [٨ : ٢٦] .
(١٠) [٨ : ٢٩] .
(١١) [٨ : ٤٢] .
(١٢) [٩ : ٤] .
(١٣) [١١ : ٤٢] .
(١٤) [١٢ : ٤٤]
(١٥) [١٢ : ٤٥] .
(١٦) [١٢ : ٤٩]
(١٧) [١٣ : ٢٠] .

« لا يقدر أحد أن يأتي إلى إن لم يعط من أبي »[1] .

« كل ما يعطيني الآب فإلى يقبل »[2] .

والأركان هنا أربعة :

١ - الله الآب . ٢ - المسيح المتحدث . ٣ - المؤمنون به .

٤ - عطية الله أي هدايته ، والنص ظاهر في نفي قدرة أحد - كل أحد - عن اتباع المسيح . إلا إذا أعطي الله الآب له هداه . ولو أن أحدا أراد اتباعه فإنه لا يستطيع ذلك ما لم يأذن الله وأن المؤمنين بالمسيح هم عطية الله له ، فما شاء الله الاب له الهدى كان. وما لم يشأ لم يكن . وما على المسيح إلا الدعوة للإيمان بما أرسله الله به ، شأن كل رسول يرسله الله .

وانظر إلى قوله « يعطيني الآب » فالله هو الفاعل والمعطي . وليس للمسيح من ذلك شئ فإن الهادي هو الله . من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فما له من هاد . لا المسيح ولا غيره وهذا اعتراف المسيح بعجزه عن هداية الخلق ما لم يشأ الخالق ويأذن.

٧ - لم يأت رسولاً من نفسه :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« من نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق[3] » . وقد نفى عن نفسه هنا أنه أتي من قبل نفسه ، وأثبت لنفسه أنه رسول الله الذي وصفه بأنه الحق ولو كان هو الله كما يدعي المؤلهون لقال : أتيت من نفسي . ولَمَّا لم يقل فقد انتفت الألوهية التي يحاول المؤلهون أن يلصقوها به .

ولا يملك المؤلهون أن يعارضوا حجتنا هذه التي تدل على بشريته . فهو يتحدث عن نفسه بقوله (نفسي) بصيغة المتكلم ، وتحدث عن الله بقوله : « الذي أرسلني هو » وذلك دليل على أن الرسول غير المرسل . والمرسل هو الله الذي أرسله ولولا أنه أرسله لما أتاهم ولا كان له مقدرة على ذلك وهذا كناية عن عجزه . فكما أنه لم يأت من نفسه لا يملك أن يهدي غيره . إلا أن يشاء الله رب العالمين الذي له الخلق والأمر . وليس للمسيح شئ من الأمر لا ما يخصه ولا ما يخص غيره .

---

(١) [٦ : ٣٣] . (٢) [٦ : ٣٧] .

(٣) [٧ : ٢٨] .

٨ - أعماله باسم الله :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي [(١)] »

والأركان هنا ثلاثة :

(١) الأعمال - والمقصود بها المعجزات . وقد جاء ذلك تعليقا على معجزة الأعمى الذي أبصر .

(٢) العامل المستعين وهوالمسيح .

(٣) المستعان باسمه على الأعمال . ومعنى باسم أبي - الله - أنه كان يستعين باسم الله ويستفتح به هذه الأعمال التي ما كانت تتأتي لولا هذه الإستعانة بالله والتي هي في نفس الوقت دليل صدقه .

وهذا إقرار بعجزه واحتياجه إلى قدرة الله وتأييده ، وهذا واضح في قصة إقامة لعازر كما سبق لنا توضيحه . ونعيد هنا من النص قول المؤلف : « فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي . وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا فخرج الميت »[(٢)] .

بل إن الذي يبدو لنا من سياق النص ما يلي :

(١) أنه طلب من الله أن يقيم لعازر قبل أن يرفعوا الحجر بدليل أنه شكر الله بقوله « أشكرك لأنك سمعت » .

(٢) أنه أُعْلِمَ من قبل الله بالإستجابة فذهب إلى القبر وقال ارفعوا الحجر .

(٣) فلما رفعوا الحجر قدم الشكر لله قبل أن ينادي الميت ليخرج .

(٤) ثم خرج الميت . وبحسب النص وما نراه من خلاله فإنه طلب من الله ثم شكره قبل تنفيذه ، وهذا معني الاستعانة بالله .

وهذا النص من الخطورة بحيث جعل المثلثين يقولون بأن الذي تجسد لم يكن الآب. بل جزء منه وهو الابن وهو الذي تجسد ، وأن بعض الوحدة الثالوثية كان على الأرض

---

(١) [١٠ : ٢٥] .

(٢) [١١ : ٤١ - ٤٤] .

يدعو ويرجو ، والبعض الآخر الأعظم كان في السماء يستجيب ، وليس هذا النص وحيدا بل له نظائر كنص الحمامة التي نزلت من السماء .

وهذاالنص بخصوص لعازر - يناقض النص القائل في بداية هذا المؤلف العجيب. « الكلمة - الله - صار جسدا » .

والنص الذي معناهنا دليل عجز المسيح وحاجته للإستعانة بالله واسم الله في أعماله . والمستعين عاجز عن الإنجاز بمفرده . محتاج لمن يستعين به .

٩ - ينزعج ، ويضطرب ، ويبكي :

كما جاء بالنص في وصف المسيح قوله :

« انزعج بالروح واضطرب ... بكى يسوع »(١) .

وهذه المشاعر والانفعالات دلائل على الغرائز التي ركبت في الطبيعة البشرية مثل الخوف والضعف والتأثر .... إلخ وهذا من أقوى الأدلة على بشريته الثابتة بالأقوال الصادرة عنه ، والأفعال والانفعالات الصادرة عنه . هل يبكي الله ؟؟ أو ابن الله ؟ وكيف ينزعج ويضطرب إذا كان هو الله الذات المثلثة أو أحد أقانيمه ؟؟ إن الله منزه عن كل ذلك وعن بعضه ، وهذا قول المنطق الذي يقبله العقل البشري السوي . بل كيف يحزن الذي يحل الله أو بعض الله فيه ؟؟ وبأي شئ تثبت بشرية المسيح وتنتفي دعوي ألوهيته إن لم تكن هذه الأدلة بالتي تكفي .

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن هذا الانزعاج وأخويه في قصة لعازر بما يكفي للدلالة على بشرية المسيح وعجزه وضعفه فارجع إليه .

وجاء في موضع آخر من النص أنه اضطرب حين استشعر خيانة يهوذا قال مؤلف النص : « لماقال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم : إن واحدا منكم سيسلمني (٢) » وهذا الاضطراب دليل واضح على بشريته . وأنه لم يكن يعلم بما سيصير إليه حال الخائن من إرشاده اليهود عن المسيح ولم يكن عالما من قبل بما سيكشف عنه المستقبل ، وهذا الاضطراب إنما جاء نتيجة لعلمه بما كان يجهله أصلا ولم يكن يتوقعه . فضلا عن معاني : الخوف والارتباك والانفعال . وذلك جائز في

---

(١) [١١ : ٣٣ - ٣٥] .

(٢) [١٣ : ١١] .

حق البشر ولا يجوز في حق الله لأنه عالم أزلاً وأبدا بما كان وما هو كائن وبما سيكون وفق مشيئته ، ولذلك فهو منزه عن الانفعال الناتج عن الجهل وما يستتبعه من صفات البشر.

١٠ – يسأل الله ، ويشكره ، ويناجيه ::

جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

(١) « **أنا أسأل الآب فيعطيكم** ...." [١] . وفي بداهة العقول ما يؤكد هذا النص المنقول أن السائل غير المسئول ، وأن السائل محتاج ، والمسئول المعطي غني. السائل مخلوق هو المسيح والمسئول هو الله الآب .

والإصحاح السابع عشر من أوله إلى آخره في هذا النص كله دعوات ومناجاة لله. طلب لنفسه " أيها الآب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا ...." [٢] . والساعة المقصودةهي التي طلب من الله فيها أن ينقذه من شرهم ومكرهم .

وكذلك طلب من الله لتلاميذه أن يحفظهم ، ولعامة المؤمنين ، كما تحدثناعن ذلك في موضوع الصلاة المعطلة . وسواء كان هذاالطلب وقع فعلا من المسيح أم لم يقع أو كان مطلوبه لهم من الله وهو غيره ، فإننا هنا نتحدث عن احتياجه لله . ومن البداهة أنه ما دام قد طلب مجرد طلب فهو محتاج لله سواء طلب لنفسه أم لغيره .

وقد تكرر على لسان المسيح بالنص في الإصحاح المشار إليه فقط لفظ « أسأل » أربع مرات ، وقد طلب بغير هذا اللفظ أربعا مثلها فيه أيضا .

(٢) يشكر المسيح الآب :

« ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني ... " [٣].

والنص واضح الدلالة في المسيح الرسول الذي يشكر الله الذي أرسله وأيده وقد تقدم لهذا النص مزيد من التفصيل عند الحديث عن قصة لعازر .

(٣) ومن خلال **مناجاته** في الاصحاح السابع عشر نلاحظ أنه كان ينهي لله ما قام به من تبليغ أمره ورسالته للذين بعثه إليهم .

---

(١) [١٤ : ١٦] .   (٢) [١٧: ١] .

(٣) [١١ : ٤١ ، ٤٢] .

فقد جاء بالنص على لسانه قوله : " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته . أنا مجدتك على الأرض العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته ....

أنا ظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم ....

الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم وهم قبلوا وعلموا ....» (١) .

فهذه صورة العبد الذي يخشى لقاء السيد ويستعد له ، فهو من موطن التكليف يقدم تقريره الختامي عن المهمة التي كلف بها ، وسوف يسأل عنها ، وهو بذلك يؤكد أنه بلغ الرسالة التي كلفه بها مولاه لمن أرسله الله إليهم وهم قبلوا وعلموا يقينا ، أن الله يأمرهم بكذا وينهاهم عن كذا ، فإن استقاموا فأمرهم إلى الله وإن ضلوا فأمرهم أيضا إلى الله إن شاء عذبهم لأنهم عباده ، وإن غفر لهم فهو الغفور الرحيم ولا تبعة بعد البلاغ على الرسول لأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة .

وهذا شبيه بموقف محمد ﷺ حين قال في خطبة حجة الوداع : « قد بلغت اللهم فاشهد » وذلك لأن كلا الرجلين مكلف ومسؤل يستعد للقاء الله الذي كلفه ويحاسبه ، وهذا النص الذي بين أيدينا عن المسيح ظاهر الوضوح والدلالة على ما نذهب إليه ، ولا يتأتى من المسيح أن يقول ذلك لو كان إلها أو بعض إله ، فإذا كان المسيح هو الله فهل كان الناسوت يخاطب اللاهوت الحال بصوت مسموع دون أن يكون لهذا الكلام فائدة؟! وإذا كان المتحدث الناسوت والمتحدث إليه هو أقنوم الآب فلم ترك أقنوم الروح ولم يتوجه له ؟! وإذا كان الحال فيه هو الإبن فلم لم يتحدث إليه على القول بوحدانية الذات والجوهر . للحال في الأرض ولمن بقيا في السماء ؟! . إلى غير ذلك من المتاهات والمتناقضات ، وهل المتحدث هو المسيح بناسوته ولا هوته الذي هو الله كله ؟! فلمن كان يوجه الخطاب ؟ ومن الذي رد عليه بما لا يتأتى إلامن الله المخاطب ؟؟

فقد جاء بالنص على لسان المؤلف أن المسيح طلب من الآب فرد عليه : « أيها الآب مجد اسمك ، فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضا »(٢) .

---

(١) [١٧ : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨] .   (٢) [١٢ : ٢٨] .

غير معقول أن يكون الآب المتجسد هو المتكلم والمخاطب ، فلا يبقى إلا أن يكون كلاهما غير الآخر ؟؟ فإن كان الذي على الأرض الإبن والذي في السماء الآب فهل كلاهما واحد - كما يزعمون - أو كلاهما إله . وهل الإله الإبن يخشي على نفسه من حساب الإله الآب ؟؟

ولا يبقى إلا مخرج واحد أن المتحدث بشر ، والآب هو الله والمتحدث يشهده أنه قد أدى ما عليه من واجب التبليغ وأنه أصبح خالي الذمة من العهدة ، والمكلّف أدنى والمحاسب أعلي

المكلّف إذا احتاج سأل ، وإذا أُعطي شكر ، وإذا وفّى أشهد ، لأنه سيُسأل

١١ - يزيد وينقص :

كما جاء بالنص على لسان يوحنا - المعمدان - قوله عن المسيح :

« ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص [١] » ولو لم يكن في نص هذا المؤلف الفلسفي غير هذه الكلمة لكان فيها الكفاية لمن نظر وتدبر، بعقل هادئ ، وفكر موزون، ذلك أن العقل يري في هذه الكلمة القول الفصل في موضوع طبيعة المسيح .

فقد وصفه المعمدان بأنه ينبغي أن يزيد ، وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص ويكون عرضة له ، وهو دائما متغير ، لا ثبات له ، وذلك لأنه كان بالأمس غير اليوم . فقد كان قبل الزيادة أقل ، وهو غداً على غير ما هو عليه اليوم باعتبار ما سيكون بعد الزيادة ، فهو دائما متغير ، والمتغير حادث ولا تجنح إلى الإغراق في أدلة المنطق بل نكتفي بالقول بأن الزيادة التي طرأت عليه اليوم لم تكن منه بالأمس ، فهي حادثة ، والمركب من الحادث مثله ، لأنه محتاج للحادث والمحدث ، وهو نهاية المطاف بالنسبة لمن يزيد .

وانظر إلى قول المعمدان عن نفسه : " ينبغي .... أني أنا أنقص " ويقال فيه ما يناسب مقام صفته على نحو ما ذكرنا في زيادة المزيد الذي يؤدي به في النهاية إلى أنه محدث . وما يقبل الزيادة يقبل النقص ، والقابل للنقص يقبل الزيادة ، وكلا الرجلين بذلك مخلوق ، والمزيد اليوم ناقص بالأمس ، وعكسه ناقص اليوم زائد بالأمس، والمزيد ناقص والناقص مزيد ، وذلك دليل التغير والحدوث ، والحاجة ، والله تعالى

---

(١) [٣ . ٣٠] .

منزه عن ذلك ، وهذاالوصف في حق كل من المسيح ويوحنا المعمدان دليل على بشريتهما وتغير حال الواحد منهما إلى الآخر .

١٢ - يترك ويذهب :

وجاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« خرجت من عند الآب وأتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب »[1].

وأركان هذا النص ثلاثة :

١ - الآب .   ٢ - العالم .

٣ - المسيح . الذي أتى إلى العالم رسولا من عند الله ، والذي قال بأنه يترك العالم ويغادره ، ويذهب إلى الله الآب ، وذلك يقتضي المغايرة بين الآتي ومن خرج الآتي من عنده كما بين التارك والمتروك ، والذاهب والذي يذهب إليه .

ولا شك أن الخروج ، والترك والذهاب ، كلها من صفات الحوادث واتصاف أي موجود بها أو ببعضها دليل حدوثه وتغيره ، وتحيزه ، واحتياجه ، وعجزه ، وانظر إلى قول المسيح : خرجت ، وأتيت ، وأترك ، وأذهب ، أنَّه كان يقصد ذاته الكاملة المشخصة التي كانت أمامهم بما فيهم من جسد وروح ، وقوي مدركة . وهو هنا في هذاالنص غيرالآب الخالق الثابت ، الذي لا يتحول ولا يزول .

وهذه النصوص التي عرضنا لها تؤكد لنا حقيقة المسيح ابتداء من النص الذي يقول فيه المسيح عن نفسه " أنا إنسان " وما تلاه من النصوص في سياق تأكيد إنسانية المسيح وعبوديته لله الآب الخالق المحيي .

ونلخصها هنا بمحل الشاهد من كل نص كما يلي على لسان المسيح :

أنا إنسان - ابن الإنسان - جسد من جسد - يناله التعب ويدركه العطش ويحتاج شربة ماء .

ومن صفاته :

أنا حي بالآب- لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا- علمني أبي- تعليمي ليس لي بل للآب الذي أرسلني - حمل الله - لا أملك هداية من لم يهـده أبي - من نفسي لم آت بل

---

(١) [١٦ : ٢٨] .

الذي أرسلني هو حق - الأعمال التي أعملها باسم أبي تشهد لي- وهو [أي المسيح]: ينزعج ويضطرب ويبكي - ويسأل الآب فيعطيه - يزيد وينقص - ويترك ويذهب .

وهذه النصوص كلها دلائل قاطعة وبراهين ساطعة تؤكد بشريته وعبوديته لله ، كم أنها تنفي شبهة التأليه التي يحاول المؤلهون إثارتها وعلى ذلك فإن من يصف المسيح بأنه عبد الله ورسوله فقط . يكون صادقا أيما صدق ، وذلك نقض لكل ما يخالف ذلك .

وننتقل إلى الرسالة والرسول المسيح لكي نري حقيقة رسالته ، وهل هي رسالة طبيعية في معناها - كجميع الرسل السابقين - أم أنها رسالة داخلية باطنية داخل الوحدة الثالوثية كما يقول بعض المؤلهين للبشر ، والمثلثين في الوحدة الإلهية .

جـ - المسيح رسول أرسله الله :

من الأمورالبديهية أن الرسالة بلفظها أو ما يدل عليه تفيد صدورها عن مرسل هو مصدرها ، وأن لفظ الرسول يقتضي مرسلا أرسله ، وكلفه بالرسالة .

والرسول غير المرسل الذي كلفه وأرسله ، وكلاهما غير الطرف المرسل إليه . فإذا بعث ملك من الملوك رسالة مع رسول من رجاله إلى ملك آخر أو شخص آخر أو جماعة من الجماعات ، فإن الملك الذي أرسله هو المصدر المرسل ، والرسول المكلف بالتبليغ هو الواسطة بين الطرفين وهو غيرهما بدون لبس .

وهذا مثل نسوقه لتوضيح معني الرسالة في حد ذاتها، لكي نناقش معنى الرسالة الإلهية ، فإن الله تعالى أرسل رسلا كثيرين إلى خلقه ليبلغوا رسالته إلى عباده ، فالمرسل هو الله تعالي ، والمرسل إليهم هم الخلق ، والرسل مثل موسى ، أو غيره هم من جملة الخلق . والخلق كثير والخالق هو الله وحده ، والخالق مغاير لخلقه .

ولو أن الله تعالى تجسد وكان هو الشخص الذي يبلغ رسالته لخلقه ، لوجب أن يصدق في كل ما يصدر عنه لأن الله تعالى صادق ، فكان ينبغي أن يعرف خلقه بنفسه، فإذا قال : « أنا » فالواجب أن يتحقق صدقه في التعريف إذا قال : « أنا إله » ، أما أن يقول : «أنا إنسان » وهو غير ذلك فيكون القائل كاذبا .

والصادق لا يقول إلا الحق ، فإذا قال : أنا إنسان . كان ذلك دليلا على حقيقته الإنسانية وطبيعته البشرية التي يشترك فيا مع بقية أفراد جنسه ونوعه .

الآب وتنتفي المساواه المزعومة وينتصر لذلك النص القائل بأن الآب أعظم .

وإن كان تعليمه غير مسبوق بجهل ماتعلمه فهذا يعني أن علمه وتعليمه من الآب كان عبثا فيما لا فائدة فيه . وإن كان عن غير جهل بل للإستزادة فهذا معناه أنه غير ثابت .

وإن كان هو الآب والإبن والروح فهذا معناه أنه علم نفسه ويعني أيضا كذبه في أنه جعل من نفسه متعلما في الوقت الذي هو فيه كلا من المعلم والمتعلم .

ولو استطردنا في مناقشة التثليث والتأليه مع هذا النص لطال المقام بنا ولكننا نكتفي بالقول :

إن المعلم - الله الآب غير المتعلم وهو المسيح الذي قال : « علمني أبي » و «تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني » أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ؛ الآب المعلم . ولا يقبل في العقل أن يكون المتغايران علما وذاتا ، ذاتا واحدة إلا عند من أهدر عقله واعتقد بما لا يعقل ولايقبل .

٥ - مخلوق مملوك لله الواحد :

كما جاء بالنص على لسان يوحنا المعمدان - يحيي بن زكريا - أنه وصف المسيح بأنه «حمل الله [١] » أي خروف الله .

وفي هذا النص ثلاثة أركان : اثنان ظاهران والثالث خفي :

الأول : الحمل - الخروف - ولا جدال في أنه مخلوق ، وهذا ظاهر .

الثاني : الله . ولا مشاحة في أنه الخالق لكل شئ . وهذا أشد ظهورا .

الثالث : النسبة التي يظهر معناها ولا يخفي (وإن خفي لفظها) بين الله ، والحمل فقد أضيف الحمل إلى الله . وهذه الإضافة تعني الخلق لأن الحمل مخلوق ولا خالق إلا الله ، وتعني الملك أي أن الخروف مملوك والله هو المالك .

والفارق واضح وجلي بين المخلوق المملوك ، والخالق المالك .

ومما يلفت النظر في شهادة المعمدان هذه في المكان الذي أشرنا إليه قوله: « هذا هو الذي يأتي بعدي رجل .... لم أكن أعرفه » فهل كان هو الله ولم يعرف المعمدان ربه وإلهه ؟! ومن كان المعمدان إنه على حد تعبير المسيح عنه : « أفضل من نبي [٢]

---

(١) [١ : ٩].   (٢) [لوقا ٧ : ٢٦].

و « ليس نبي أفضل من يوحنا المعمدان » [1] . وذلك بحسب نص المؤلف لوقا . ومن العجب أن تخفي حقيقة المسيح على مثل المعمدان ومن دونه من مؤلفي الأناجيل ، ولا تظهر إلا على يد يوحنا الشيخ المؤلف للإنجيل اللاهوتي استجابة لرغبة أهل أفسس .

ومما جاء أيضا أن الله الذي أرسل المعمدان أعطاه علامة يتعرف بها على المسيح أنه يري الروح القدس نازلا مثل حمامة من السماء ليستقر عليه : « وشهد يوحنا قائلا إني قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي تري الروح نازلا ومتسقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس » [2] .

فهذا المسيح كما وصفه المعمدان حمل الله ، رجل .

فهل بعد هذا النص يقبل من المؤلهين أن يعبدوا رجلا يوصف بأنه خروف الله . وشتان ما بين الخروف وصاحبه ؟!

وهل ضلت العقول عن كل معقول حتى تعبد ثلاثة أحدهم رجل والثاني حمامة والثالث في السماء وفي الأرض في آن واحد ، وجميع ذلك ذات واحدة ؟! . إن الرجل إنسان، والحمامة طائر ، والله سبحانه هو الخالق المتعال . ومع ذلك يقولون بوحدة الثالوث في الذات والجوهر .

وإذا أراد الله فتنة معشر   وأضلهم رأو القبيح جميلا

وكما أن الخروف غير خالقه ، كذلك من واقع شهادة يوحنا الذي أرسله هو الله الذي يعرفه يوحنا غير المسيح الرجل - الخروف على حد تعبير النص - الذي لم يكن المعمدان يعرفه ، ولم يعرفه إلا بالحمامة . وقد وصف المعمدان المسيح بهذا الوصف « حمل الله » مرة أخري في هذا النص [3] . وقد وصف المسيح نفسه بأنه « خبز الله [4] » والمغايرة واضحة .

٦ - لا يملك هداية أحد :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

---

(١) [لوقا ٧ : ٢٨] .   (٢) [١ : ٣٢ ، ٣٣] .

(٣) [١ : ٣٦] .   (٤) [٦ : ٣٣] .

٢٦- « الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني »[١] .

٢٧- « لا يعرفون الذي أرسلني »[٢] .

٢٨- « أنا ماض إلى الذي أرسلني »[٣] .

٢٩- « آمنوا أنك أنت أرسلتني »[٤] .

٣٠- « كلامك هو حق كما أرسلتني إلى العالم »[٥] .

٣١- « ليؤمن العالم أنك أنت أرسلتني »[٦] .

٣٢- « ليعلم العالم أنك أرسلتني »[٧].

٣٣- « هؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني »[٨] .

٣٤- « كما أرسلني الآب أرسلكم أنا »[٩] .

ويلاحظ هنا أنه تحدث إلى الله في ستة من هذه النصوص وكان يخاطبه قائلا أرسلتني . ومن الواضح ثبوت الفارق بين المتكلم الذي هو المسيح الرسول ، والمخاطب وهو الله الذي أرسله ، كما عبر في بقية هذه النصوص بقوله " أرسلني " والمتكلم ذات متميزة بالعقل والإدراك ، ولا يتأتي خطاب ذات لا تميز عن غيرها ، وكلاهما في النص غير الآخر فالآب هو الذي أرسل ، والمسيح هو الرسول .

ب - ألفاظ أخرى :

وإذا كانت رسالة المعمدان قد تأكدت بنصوص ثلاثة ، فإن رسالة المسيح قد تأكدت بالحشد الكثير الذي نراه هنا ، وإذا كان المعمدان قد أبان عن ذلك بلفظ «أرسلني » مرة واحدة فإن المسيح كما جاء بنفس النص قد أفاض بتوكيد هذه الحقيقة في ٢٨ ثمان وعشرين مرة ، بالإضافة إلى مخاطبته لله ٦ ست مرات « أرسلتني » أنت أرسلتني « و » إنك أنت أرسلتني « ليؤكد حقيقة مغايرة ذاته كرسول مخلوق لذات الخالق الذي أرسله » .

---

(١) [١٤ : ٢٤] .
(٢) [١٥ : ٢١] .
(٣) [١٦ : ٥] .
(٤) [١٧ : ٨] .
(٥) [١٧ : ١٨] .
(٦) [١٧ : ٢١] .
(٧) [١٧ : ٢٣] .
(٨) [١٧ : ٢٥] .
(٩) [٢٠ : ٢١] .

كما جاء بالنص الحديث عن المسيح الرسول بلفظ " الذي أرسله " بمعني الرسول المرسَل . في أربعة مواضع :

(١) « الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله [١] » بمعني الرسول الذي أرسله .

(٢) « الآب ...... ليست لكم كلمته .... لأن الذي أرسله هو لستم تؤمنون به »[٢] .

(٣) « عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله »[٣] بمعنى الرسول .

(٤) « الذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف »[٤] .

كما جاء بالنص التعبير بلفظ « الذي أرسله » بمعني الفاعل المرسِل وهو الله الآب في موضعين :

(١) « من لا يكرم الإبن لا يكرم الآب الذي أرسله[٥] .

(٢) « من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق »[٦] .

وقد اجتمع الرسول والمرسل مع العبد والسيد في موضع واحد وهو قوله :

« ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله [٧] » وقد وضع النص العبد والرسول في الدرجة الأدنى ، ورفع السيد والمرسِل في الدرجة الأعلى ، والمرسِل الذي أرسل المسيح هو الله الآب أعظم من رسوله ، كما أن السيد أعظم من العبد . كما صرح بقوله : « أبي أعظم مني » .

كما جاء لفظ « يرسل » مرة واحدة وهي على لسان المسيح عنه وعن الله الذي أرسله وذلك قوله :

« لم يرسل الله ابنه ليدين به العالم بل ليخلص به العالم »[٨] .

وهذا واضح في الدلالة على المرسل وهو الله . ولم يعبر النص بالآب فقط . وهذا النص يفيد أن المرسل هو الله وأن الرسول هو الإبن ، وأن كلاهما مغاير للآخر ، الأول هو الله الخالق المرسل ، والثاني هو الرسول المخلوق المسيح : عيسى ابن مريم .

كما يفيد هذاالنص بطلان التثليث فهو يفيد أن المرسل هو الله ، والله في زعم

---

(١) [٣٤ : ٣]
(٢) [٥ : ٣٨] .
(٣) [٦ : ٢٩] .
(٤) [١٠ : ٣٦] .
(٥) [٥ : ٢٣] .
(٦) [٧ : ١٨] .
(٧) [١٣ : ١٦]
(٨) [٣ : ١٧] .

القائلين بالتثليث (هو الآب والابن والروح القدس)؛ فلو كان الله ثلاثة لتحتم أن يكون الله المرسل هو مجموع الثلاثة (الآب والابن والروح القدس) وهو ما ينفي أن يكون الإبن هو الرسول ؛ لأنه في زعم القائلين به لا ينفصل عن رفيقيه في الثالوث ، ولو كان من الممكن انفصاله لكان مرسله هو الرفيقان الآب والروح ويكون بعض الإله حينئذ أفضل من بعض لأن الرسول أعظم من المرسل . وذلك يقتضي المغايرة مع الانفصال والمفاضلة ، فيكون المنفصل الأدني ليس إلها ولا جزءا من الذات المركبة . فضلا عن الذات الوحيدة الجوهر .

ويقتضي من ناحية أخرى أن يكون لفظ الإبن مما وصف به المسيح من باب المجاز كما استخدم في حق غيره من الكثيرين الذين كانوا يطلق عليهم ، وأن قولهم بالبنوة الطبيعية إله من إله لا حقيقة له ولا حظ له من الواقع .

كما يؤيد ما يذهب إليه جميع العقلاء من أن الله هو الله الواحد الأحد ، وهو المسمى في بعض هذه النصوص باسم الآب ، أو الله ، أو الله الآب ، وأن الابن هو المسيح المخلوق الذي ليس إلها ولا جزءا من الإله . الأول خالق والثاني مخلوق ، الأول الإله ، والثاني إنسان ابن انسان جسد من جسد .

كما جاء لفظ (أرسله) مرة واحدة على لسان المسيح بالنص :

« الذي يقبل من أُرسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني [(١)] » .

فقد تحدث عن الذين يرسلهم هو ، وأن من يقبل من يرسله المسيح فكأنما قبل المسيح ، ومن قبل المسيح فكأنما قبل الله الذي أرسل المسيح .

والمغايرة واضحة بحسب النص . فالله مرسِل والمسيح رسوله الذي أرسله ، والمسيح في نفس الوقت مُرْسِلٌ تلاميذه . والتلاميذ رسل أرسلهم المسيح .

وجاء لفظ « أرسلته » مرة واحدة فقط على لسان المسيح بالنص :

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك . ويسوع المسيح الذي أرسلته » [(٢)] .

ومن الواضح المغايرة بين المسيح المتكلم والله الآب المخاطب الإله الحقيقي وحده. أما المسيح فهو رسوله الذي أرسله .

---

(١) [١٣ : ٢٠] .   (٢) [١٧ : ٣] .

وقد جاء عن المعزي منسوبا إرساله لله مرة واحدة . فيما ورد على لسان المسيح بالنص :

« وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شئ » (١)

ومن الواضح مغايرة الرسول - المعزي - للمرسل وهو الآب الذي هو الله ، كما سنوضح أن لفظ الله والآب بمعني واحد فيما سيأتي - وذلك ما ينقض زعم المثلثين القائلين بالوحدة الثالوثية ، ويؤيد ما نذهب إليه من أن مؤلف نص الإنجيل الرابع لم يكن الثالوث من تصوره ولا من عقيدته . لأنه لو كان عقيدته لما جعل أحد أفراد الثالوث رسولا ، والآخر مرسلا . فهذه مغايرة وفضلا عن ذلك حكم بالإنفصال ، والمفاضلة . لأن الرسول ليس أعظم من مرسله .

كما نسب إرسال المعزي إلى المسيح وذلك كما جاء بالنص :

« ومتي جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب .... » (٢) .

والمغايرة أيضا واضحة بين المرسل والرسول ، الأول المسيح المخلوق والثاني هو المعزي الذي سيرسله من الآب .

وقد جاء مثل هذا في موضع آخر بالنص :

« إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » (٣) .

والمغايرة واضحة بين الرسول والمرسل . ولا يخفى تناقض هذا النص وما سبقه مع الثالوث المزعوم والوحدة الثالوثية التي لا تنفصل أقانيمها ولا تتفاضل ، كما لا يخفى تناقض ذلك مع القول بأن الله الكلمة صار جسدا " وهو ما سبق توضيحه .

كما خاطبهم المسيح بقوله " أرسلتم " مرة واحدة كما جاء بالنص :

« أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق (٤) » . ومن الملاحظ بوضوح المغايرة بين المخاطبين الذي أرسلوا ، وبين رسلهم ، ومن أرسل إليه وهو المعمدان .

وقد خاطب المسيح تلاميذه كما جاء بالنص قائلا :

« أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه » (٥) والمغايرة واضحة بين المسيح المرسل ، وتلاميذه الذي أرسلهم .

---

(١) [١٤ : ٢٦] . (٢) [١٥ : ٢٦] . (٣) [١٦ : ٧] .
(٤) [٥ : ٣٣] . (٥) [٤ : ٣٨] .

ويبقى من ألفاظ مادة الرسالة التي جاءت بنص الإنجيل الرابع نصان :

شبه المسيح إرساله تلاميذه بإرسال الله للمسيح . وذلك كما جاء بالنص :

قال في مخاطبة الله « كلامك هو حق ، كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم »(١) . فقد شبه إرساله تلاميذه ، بإرسال الله له والمغايرة واضحة بين الرسول والمرسل في الإرسالين .

وقد خاطب تلاميذه قائلا :

« كما أرسلني الآب أرسلكم أنا »(٢) . والمغايرة واضحة بين الرسول والمرسل ، والآب الذي أرسله ، والتلاميذ الذي أرسلهم المسيح .

وهو في هذا النص يخاطب التلاميذ الذين أرسلهم ، بينما هو في سابقه يخاطب الآب الذي أرسله .

وها نحن قد طوفنا بالنص كله من أوله إلى آخره لكي نتناول ما جاء بالنص من مادة لفظ الرسالة ومشتقاتها . لنؤكد حقيقة مغايرة ذات الرسول لذات المرسل . وقد ثبت بما لا يقبل مجالا للشك :

أن المسيح رسول الله ، كما أن المعمدان رسول الله .

وكما أرسل الله رسوله المسيح ، أرسل المسيح تلاميذه .

وبعد : فهل يسمح الفضلاء من أهل العلم والكتاب أن يقولوا لنا :

هل يوجد في نص هذا الإنجيل إله مثلث الأقانيم ؟؟

وهل المسيح رسول الله بالمعني الذي يقال في عرف الأديان السماوية كلها إن الرسول غير المرسل ؟ وأن الإرسال بمعني واحد في قولنا المسيح رسول الله ، والمعمدان رسول الله ؟ أو أن الإرسال والرسالة بالنسبة للمسيح مغاير لأنه كما لا يفهم : « إرسالية باطنية في داخل الوحدة الثالوثية » ؟!

ومن فضلة القول أن نقول : هذا نص الإنجيل الرابع فأرونا ما علمتم مما بطن من الإرسالية الداخلية في داخل الوحدة الثالوثية . اللهم لا إله إلا أنت الإله الحقيقي وحدك لا شريك لك ، بهذا نشهد ونشهد أن المسيح عبدك ورسولك . وهذه هي شهادة الحق والحياة الأبدية . وهذا ما نراه في نص الإنجيل الرابع العجيب ..

---

(١) [١٧ : ١٨] . (٢) [٢٠ : ٢١] .

ثالثا: الفارق بين المخلوق والخالق

١ - المثل المثلث :

جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

" أنا الكرمة الحقيقية ، وأبي الكرام ...... وأنتم الأغصان [١] . وهو مثلث لأن التثليث في تشبيهه حقيقي . فالأول : له حيث شبه نفسه بالكرمة والمقصود بها هنا شجرة العنب ، والثاني : للآب حيث أنه شبهه بصاحب الكرمة الذي يمتلكها ويتعهدها، والثالث : للتلاميذ إذ شبههم بالأغصان التي توجد في شجرة الكرمة وتحمل الثمار والأوراق .

والكرمة وأغصانها وما تحمل جنس واحد ونوع واحد بل إن هذه الكرمة تعد شجرة واحدة الذات . أما صاحبها ومالكها فالبون شاسع بينه وبين جنسها ولا وجه لمماثلة ذاته لخشبها وما تحمل ، فهو إنسان وهي نبات .

وما يملكه الكرام في كرمه من حرية التصرف ليس مثل الكرمة التي لا حرية ولا اختيار لها ، فهو إن شاء أبقاها ، وإن شاء اقتلعها أو أتلفها ، وهي لا تملك أن تدفع عن نفسهاوهذا شأنها وشأن أغصانها .

ولله در بلاغة النص الذي نطق بالمغايرة بين الله وخلقه في هذا المثل البسيط الوجيز كما بين الكرام وكرمه ، والمسيح وتلاميذه مثلهم هذه الكرمة ولا يمانع العقل أن يكون للمالك كروم أخرى غيرها ، وحدائق بها أنواع أخري مثل النخلة . وهذه وتلك مملوكة للمالك الأوحد .

أما لو سرنا وراء قول مؤلف الإنجيل الرابع « الكلمة الله - صار جسدا وحل بيننا.......... » فإننا نجدنا في النهاية كأننا نقول : « في البدء كان الكرمة ، والكرمة كان عند الكرام ، وكان الكرمة الكرام ... والكرام صار كرمة وحل بيننا في البستان وذقنا من عنبه .... » ولا نخالنا نرتضي النطق بمثل ذلك .

٢ - الحياة الأبدية :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

---

(١) [١٥ : ١ ، ٥]

« تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب .... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ، أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته .... »(١) .

وهنا في هذا النص أيضا ثلاثة :

أ - شخص المبتهل الداعي يسوع المسيح رسول الله ، يرفع عينيه إلى السماء يناجي .

ب - الآب الإله الحقيقي وحده - لا ثاني ولا شريك له . لا في ذاته ولا في ملكه ولا في صفاته وهو الواحد الأحد في كل ذلك - الذي يتجه إليه جميع الخلق كالمسيح .

جـ - وغني عن التعليق ظهور الفارق بين المخلوق والخالق . المخلوق على الأرض يناجي ، والخالق هو المقصود وهو الذي أرسله ليعرفهم بالآب كما قال : وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك :

أنت الإله الحقيقي وحدك - لا شريك لك - وأن يعرفوا أن يسوع - هو - المسيح الذي أرسلته .

أما قوله : أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته فهذا معناه : أنت أرسلتني لأبلغ ، وقد بلغت اللهم فاشهد أني أبلغهم ليعرفوك :

أنت الإله الحقيقي وحدك ، وأنا رسولك يسوع المسيح الذي أرسلته ويشبه هذا أن يقول أحد اليهود إن موسى ناجى يهوه :

بلغت رسالتك ليعرفوك :

أنت الإله الحقيقي وحدك وموسى الكليم الذي أرسلته .

ويشبه هذا أن يقول المسلم . أمرت أن أشهد أن : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله .

٣ - المسيح إنسان أرسله الله :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله »(٢) .

---

(١) [١٧ : ١، ٣، ٤] .

(٢) [٨ : ٤٠] .

والأركان في هذا النص أيضا ثلاثة :

أ – رسالة . ب – رسول . جـ – مرسل .

والرسول هو المسيح يسوع وهو كما قال عن نفسه : أنا إنسان ... الخ ، والمرسل هو الله الواحد الذي أرسل جميع الرسل وأسمعهم رسالته ليبلغوها عنه . ولا شك في وضوح هذا الدليل على بشرية المسيح المخلوق والفرق بينه وبين الله الذي خلقه .

ومع كل فلا يملك من يحاول تأليه المسيح دليلا في مثل هذا الوضوح فلم يأت بالنص أنه قال : أنا الله ، أو إله ، أو بعض إله وهو أعلم بنفسه من المؤلف فقال : أنا إنسان ، ونحن لا نكذب المسيح في ذلك ولا في قول يأتي به مثل ذلك عنه أو عن مثله .

٤ – شهادة حق . من شاهدين . الله ورسوله :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« أنا هو الشاهد لنفسي ، ويشهد لي الآب الذي أرسلني » (١) .

والأركان هنا ثلاثة أيضا :

أ – شهادة ب– شاهد لنفسه وهو المسيح .

جـ– الله الآب الذي أرسله .

ومحل الشهادة : هو الرسالة ، ومعنى شهادة الله – تأييده له بالمعجزات التي تقوم دليلا على تصديقه مقام أن يقول الله : صدق عبدي فيما يبلغ عني . وغني عن البيان ظهور الفارق بين المخلوق والخالق .

٥ – ومن الفارق أنه لا مشيئة لمخلوق إلا مشيئة الخالق :

فقد جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني » (٢) .

والأركان هنا أربعة : المسيح ومشيئته ، والآب ومشيئته ، ومن الواضح بالنص اعتراف المسيح المخلوق بالفارق بينه وبين الخالق ، ويمكن هنا تثليث الأركان باعتبار خضوع المسيح لمشيئة الله الذي أرسله فكأنه لا مشيئة له إلا تنفيذ مشيئة الله الآب

---

(١) [٨ : ١٨] . (٢) [٥ : ٣٠] .

الذي أرسله ، أو كأن المشيئتين مشيئة واحدة من باب ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ وهذا يعني بوضوح الفارق بين المخلوق والخالق .

٦ - ومن الفارق . أن الآب يحب الإبن :

فقد جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« الآب يحب الإبن ويريه جميع ما هو يعمله »[١] .

وأركان هذا النص ثلاثة : الآب المحب ، والابن المحبوب ، والحب المذكور ويمكن أن يضم رابع وهو العمل الذي يريه إياه . ويمكن أن يكون هذا دليل الحب ويلحق بركنه ويهمنا هنا النظر إلى الطرفين الآب المحب ، والإبن المحبوب وهذا الفارق بين المخلوق والخالق .

٧ - ومن الفارق . أن الأعمال التي أعطاها له الآب . تشهد له أنه رسول :

« كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله » :

« الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب أرسلني »[٢] .

والأركان هنا ثلاثة : الأعمال المعطاة لتشهد وتؤيد ، والله الآب الذي أعطى هذه الأعمال . والمسيح الذي أرسله الآب وأعطاه هذه الأعمال التي تشهد له بأنه أرسله . وفي هذا أعظم فارق بين المخلوق والخالق .

٨ - ومن الفارق . أن الرسول يبلغ كلام الله :

وكذلك جاء بالنص على لسان المعمدان عن المسيح قوله :

« الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله »[٣] .

والأركان هنا ثلاثة : الرسول الذي أرسله الله ، والله الذي أرسله ، والكلام الذي يبلغه الرسول عن ربه . وهذا النص كسابقه في وضوح الفارق بين المخلوق والخالق .

---

(١) [٦ : ٥٧] .   (٢) [٥ : ٣٦] .

(٣) [٣ : ٣٤] .

٩ - ومن الفارق . أن الآب - الله - أعطي الإبن - المسيح - الحياة :

كما جاء بالنص على لسان المسيح قوله :

« كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطي الإبن أيضا أن تكون له حياة في ذاته »(١) .

وأركان هذا النص ثلاثة . الحياة ، ومعطيها، والذي أعطيت له . والسؤال الواجب هنا : ماذا وكيف كان الإبن قبل أن يعطيه الآب الحياة التي صار بها حيا ؟؟ ومهما يقال بالأزلية فهي أزلية غير حقيقية لأنها مسبوقة بأزلية الآب الذي كان حيا قبل أن يقوم بمنح الآب تلك الحياة ولو للحظة !! وإذن فالآب أقدم والإبن حادث . والآب مانح والإبن آخذ . وهذا هو الفارق بين المخلوق والخالق

يقول الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي ما نصه :

« وهذا يشكل فارقا فاصلا بين المخلوق والخالق ، فالمخلوق صار حيا بالحياة التي بعثها فيه للخالق ، ولم يكن قبل البعث والخلق حيا ، أما الخالق فحي منذ الأزل ، وهو الحي الأول والحياة فيه من ذاته وإلا كان مخلوقا ، والحياة فيه كائنة منذ الأزل لأنه هو نفسه الحياة ، ولو لم تكن الحياة فيه من ذاته لكان شأنه شأن كل مخلوق ، ولم يكن بالتالي خالقا ، ولن يكون أبدا لأن فاقد الشئ لا يعطيه ، فالخالق وحده هو باعث الحياة وأصلها ومنشئها وهو الحي بذاته ، وفي ذاته ، وهو الحياة ، وكل الحياة »(٢) .

ومن حق أمانة البحث علينا أن نقول إن صاحب هذا النص قال قبله : إن الإبن هو الآب الخالق، ثم قال ما نقلناه بنصه ، ومن حق احترام العقل الإنساني علينا أن نقول : إن الإبن الذي أعطاه الآب الحياة مخلوق محتاج كسائر المخلوقات ، وإن الخالق هو الله الآب ، وهذا هو الفارق بين المخلوق والخالق .

١٠ - ومن الفارق . حب الآب للمسيح ، وحب المسيح تلاميذه :

كما جاء بالنص على لسان المسيح من قوله :

« كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا »(٣) .

---

(١) [٥ : ٢٦] .

(٢) غريغوريوس : أنت المسيح ابن الله الحى [ص ٥٠] .

(٣) [١٥ : ٩]

والأركان في هذا النص ثلاثة أيضا : الآب الذي أحب المسيح ، والتلاميذ الذين أحبهم المسيح ، والمسيح الذي يحبه الله الآب ، ويحب تلاميذه .

الركن الأول محب ، والركن الثاني محبوب ، والركن الثالث حبيب الأول محب للثاني . وهذه مغايرة للتمييز والفارق بين المخلوقين والخالق .

١١ - ومن الفارق . أن الآب والإبن كلاهما يعرف الآخر :

وقد جاء في النص على لسان المسيح قوله :

« الآب يعرفني وأنا أعرف الآب »[١] .

والأركان هنا ثلاثة : الآب ، والمسيح ، والمعرفة المتبادلة ، أو المتغيرة لأن معرفة الآب غير معرفة المسيح ، وهي باعتبار التغاير تجعل الأركان أربعة ، الآب ، ومعرفته ، والمسيح ، ومعرفته ، والمغايرة ثابتة بين الأربعة كما هي واقعة بين الثلاثة والمعرفتان متغايرتان فالأولي كاملة لأنها معرفة الله الاب ، والثانية محددة لأنها معرفة بشرية . وهذا الفارق بين المخلوق والخالق .

١٢ - ومن الفارق. اعتقاد أتباعه أن كل ما يطلبه من الله يعطيه إياه:

كما جاء بالنص على لسان مرثا من قولها للمسيح :

« أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه »[٢] .

وهذا الإعتقاد يقوم أيضا على أركان ثلاثة : المطلوب ، والطالب ، والمعطي . الأول فِعْلٌ يُفْعَل والثانى سائل محتاج ، والثالث الله المعطى الفاعل على التحقيق، الغنى وما سواه محتاج الخالق وما سواه مخلوق . وهذا دليل الفارق بين المسيح المخلوق ، والإله الخالق .

١٣ - ومن الفارق . أن السيد أعظم من العبد . والمرسل أعظم من الرسول :

كما جاء بالنص على لسان المسيح من قوله :

« الحق الحق أقول لكم ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله »[٣].

---

(١) [١٠ : ١٥] .   (٢) [١١ : ٢٢] .   (٣) [١٣ : ١٦] .

والأركان هنا ثلاثة : العظمة ، والطرفان ، ولما كان النص يفيد السلب فنحن لا نستطيع القول بأن السيد أعظم من العبد ، كما لا نقول أن المرسل أعظم من الرسول . وإنما نقول : إن العبد ليس أعظم من سيده ، وكذلك فإن الرسول ليس أعظم من مرسله. فهل يكون العبد مساويا لسيده أو أقل ؟؟ كلاهما وارد . والرسول يقال فيه ما يقال في العبد ولكي نصل إلى الفارق بين المخلوق والخالق نقول : إن مجرد المفاضلة يقتضي وجود طرفين يفضل بينهما وهما هنا العبد ، والسيد ، وكلاهما مغاير للآخر وكذلك يقال في الرسول المرسل فكلاهما مغاير للآخر ، وهذه المغايرة بين المتفاضلين دليل قوي على وجود الفارق بين المخلوق والخالق .

١٤ - ومن الفارق . أن أبي أعظم مني :

كما جاء بالنص على لسان السيد المسيح قوله :

« أبي أعظم مني »[(١)] .

وهذا النص مثلث الألفاظ مثلث الأركان ، في غير حاجة إلى بيان ولو سئل المسيح عن السبب لقال كما جاء على لسانه : أنا الكرمة المخلوقة ، وأبي الكرام الخالق ، هو الإله الحقيقي وحده لا شريك له ، وأنا عبده ورسوله ، فأنا إنسان مرسل ، وهذه شهادة حق مني لنفسي ، ويشهد لي الآب الذي أرسلني ، وأنا لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الله الذي أرسلني وهو يحبني ، وقد أيدني بالأعمال التي تشهد لي أنه أرسلني ، وهو الذي أعطاني حياتي وأحياني وكما أحبني أحببت من آمن معي ، وهو يعرفني وأنا أعرفه ، وكان اعتقاد من آمن معي أني محتاج لربي الذي يعطيني ما أطلب ، وليس العبد أعظم من سيده ، ولا الرسول من مرسله لأن أبي أعظم مني . وبذلك يتأكد الفارق بين المخلوق والخالق ..

وهذا الذي نراه في النصوص التي قدمناها في هذا الفصل دلائل واضحة وبراهين ساطعة على أن الله هو الإله الحقيقي الذي سمي في هذا الإنجيل وغيره من أسفار الكتاب المقدس « الآب » و « الله » ، وهما اسمان لذات الله الواحد الأحد . كما أن هذه النصوص حجج دامغة للفارق بين المسيح المخلوق والإنسان ابن الإنسان وبين الله الآب الأعظم الخالق . وربما كانت تلك الرؤية من وجهة نظر الموحد المؤمن بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له والذي لا تعدد ولا تركب في ذاته ، والذي لا يجوز أن يتحيز بمكان ويستحيل أن يتجسد لئلا يكون متحيزا محدودا . وأن المسيح عبده ورسوله

---

(١) [١٤ : ٢٨] .

فنحن نرى التوحيد حقيقة تتنافي مع ما يقول به المؤلهون للبشر المثلثون لإلههم .

لكن النص الذي نعتمده دليلا هو من واقع نص هذا الإنجيل الذي نعني بدراسته في هذا البحث ، وينتصر لهذه النصوص التي قدمناها هنا الأناجيل الثلاثة بأكملها وبقية أسفار الكتاب الذي يقدسونه ، كما أن حقيقة التوحيد لا زالت تضغط عليهم وعلى بدعة مؤلف الإنجيل الرابع في تأليه الإنسان ولا زلنا نتعجب من المثلثين الذي يذعنون لحقيقة التوحيد ويعترفون بها ولا يجدون منها مهربا وذلك تصديق لقول القائل عن الله عز وجل :

وفي كل شئ له شاهد　　　　يدل على أنه الواحد

وبين يدينا كتاب : « مطالعات في الكتاب المقدس » للأستاذ حنا جرجس عبد السيد . كتب يقول : « مقدمة عن وحدانية الله » :

« إن الله الواحد الخالق هو ذات خارجة عن حدود المخلوقات فالله لا يحد ولا يوصف بخلاف المخلوقات كالإنسان فإن له حدودا ثلاثة : حد الزمان ، وحد المكان ، وحد الصفة ، فحد الزمان بالنسبة للإنسان يدل على أن له زمانا معينا ابتدأ وجوده فيه في عالم الوجود . وحد المكان يدل على أن له مكانا معينا إذا حل فيه لا يمكن أن يوجد في غيره .

وحد الصفة أن يخضع للتوصيف كأن تقول عنه إنه أبيض أو أحمر أو .... الخ . والمخلوقات على نوعين مادية وروحانية . فالمادية كالإنسان والحيوان والنبات والأشياء الملموسة .

والروحانية كالملائكة والشياطين وأنفس البشر الذين ماتوا وفارقوا الحياة ، والمخلوقات المادية هي التي لها ثلاثة حدود ، أما الروحانية فلها حدان فقط حد الزمان أي أن وجودها له زمان معين ابتدأت منه ، وحد المكان أي إذا وجدت في مكان لا يمكن أن توجد في غيره .

أما حد التوصيف أو الصفة فإن هذه المخلوقات الروحانية لا ينطبق عليها هذا الحد لكونها مخلوقات لطيفة لا تري .

أما الله الخالق فلا يخضع لحد من هذه الحدود :

فلا يخضع لحد الزمان لأنه أزلي لا بداية ولا نهاية له ، ولا يخضع لحد المكان لأنه

يوجد في كل مكان ولا يخلو منه مكان [1] ، ولا يخضع لحد التوصيف لأنه أكبر من أن يوصف ثم هو ألطف من كل لطيف . والمخلوق المادي لا يمكنه معرفة المخلوق الروحاني إلا بالعقل المجرد لأنه غير ملموس .

كذلك لا يستطيع المخلوق الروحاني أن يعرف الخالق وطبيعته وجوهره لأنه أي الخالق لا يرى ولا يحد .

« أما معرفة كنه الله فلا يبلغها مخلوق لا من الناس ولا من الملائكة لأن الله لا يحد ولا يوصف ولا يرى » [2] .

حقاً . ولله في كل شئ شاهد يدل على أنه الواحد .



---

(١) التعليل الذي علل به عدم خضوع ذات الله العلية لحد المكان غير سديد . فإنه تعالي لا يخضع لحد المكان مطلقا ولو كان كما يقول لكان كل مكان يحل فيه ويوجد . مما يخضع ذاته لحده . والصحيح أنه يوجد في كل مكان بقدرته وعلمه .... لا بذاته . فإن ذاته لا تخضع لحد المكان مطلقا .

(٢) حنا جرجس عبد السيد : مطالعات في الكتاب المقدس – [ص.٢٤] .

نتائج هذا الفصل:

أولا : أن الله تعالى وحده لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله الذي يطلق عليه هذا المؤلف اسم « الآب » ، ويقصد به أنه «أب الكل وإله الكل » :

تعبيرا عن الرحمة وصفه المؤلف بالنصوص التي نراها في كتابه الذي نراه والمعروف بإنجيل يوحنا .

١ - أنه « حي بنفسه » .
٢ - « لم يره أحد قط » .
٣ - « أنهم لم يسمعوا صوته ولم يبصروا هيئته » .
٤ - « واحد لا شريك له. كما خاطبه المسيح » أيها الآب ..... « أنت الإله الحقيقي وحدك .... »
٥ - « أعظم من الكل ولا يقدر أحد عليه » .
٦ - هو « المعطي » .
٧ - هو « حق » .
٨ - يستجيب للمتقين من عباده .
٩ - « القدوس الحافظ » .

ثانيا : أن المسيح عبد الله ورسوله . كما جاء بالنص من قوله :

١ - « أنا إنسان » .
٢ - « ابن إنسان » .
٣ - « جسد من جسد » .
٤ - « يناله التعب : ويعتريه ما يعتري البشر » .
٥ - « يدركه العطش » .
٦ - « حي بالآب » الذي أحياه .
٧ - « لا يقدر أن يفعل من نفسه شيئا » .
٨ - « يعلمه الله » من العلم ما يحتاج .
٩ - لم يعلم تلاميذه من عنده بل مما علمه الله .
١٠- « مملوك لله » كما قيل « حمل الله » .
١١- « لا يملك هداية أحد ، بل لا يملك أحد أن يهتدي إلا من الله » .

١٢- « لم يأت رسولا من نفسه بل أرسله الله الحق » .

١٣- «أعماله باسم الله » .

١٤- « ينزعج ويضطرب ويبكي » في بعض المواقف ، لأنه بشر خاضع للإنفعالات.

١٥- « يسأل الله فيعطيه » ويشكره على الإجابة » .

١٦- « يزيد وينقص » .

١٧- « يترك ويذهب » .

١٨- وهو رسول الله . فالمعمدان رسول الله ، والمسيح رسول الله كما جاء بالنص المؤكد لذلك في نيف وأربعين موضعا . وأنه بذلك تتأكد المغايرة بين الرسول والمرسل كما كان يناجيه « إنك أنت أرسلتني » والفرق واضح بين المتكلم والمخاطب .

ثالثا : أن الفارق واضح بين المسيح المخلوق وبين الله الخالق . ومما يؤكد هذا ما جاء بالنص مما يفيد :

١ - قال : « أنا الكرمة وأبي الكرام وأنتم الأغصان » .

٢ - ابتهاله لله ومناجاته إياه كقوله : « أيها الآب .. أنت الإله الحقيقي وحدك ...»

٣ - أنه رسول إليهم بالحق الذي أرسله الله به .

٤ - أنه يشهد لنفسه ويشهد الله له .

٥ - لا يطلب مشيئته هو بل مشيئة الله .

٦ - والآب يحبه ويلهمه الصواب ليعمل .

٧ - والأعمال التي يعملها ليست من نفسه بل من الله .

٨ - وصفه المعمدان بأنه رسول يبلغ كلام الله .

٩ - أن الله هو الذي منحه الحياة .

١٠- أن الله يحبه ، كما يحب المسيح تلاميذه .

١١- أنه يعرف الله ، وكذلك يعرفه الله .

١٢- اعتقاد أتباعه الصحيح أن كل ما يطلبه من الله يعطيه الله إياه .

١٣- أن السيد أعظم من العبد ، والمرسل أعظم من الرسول .

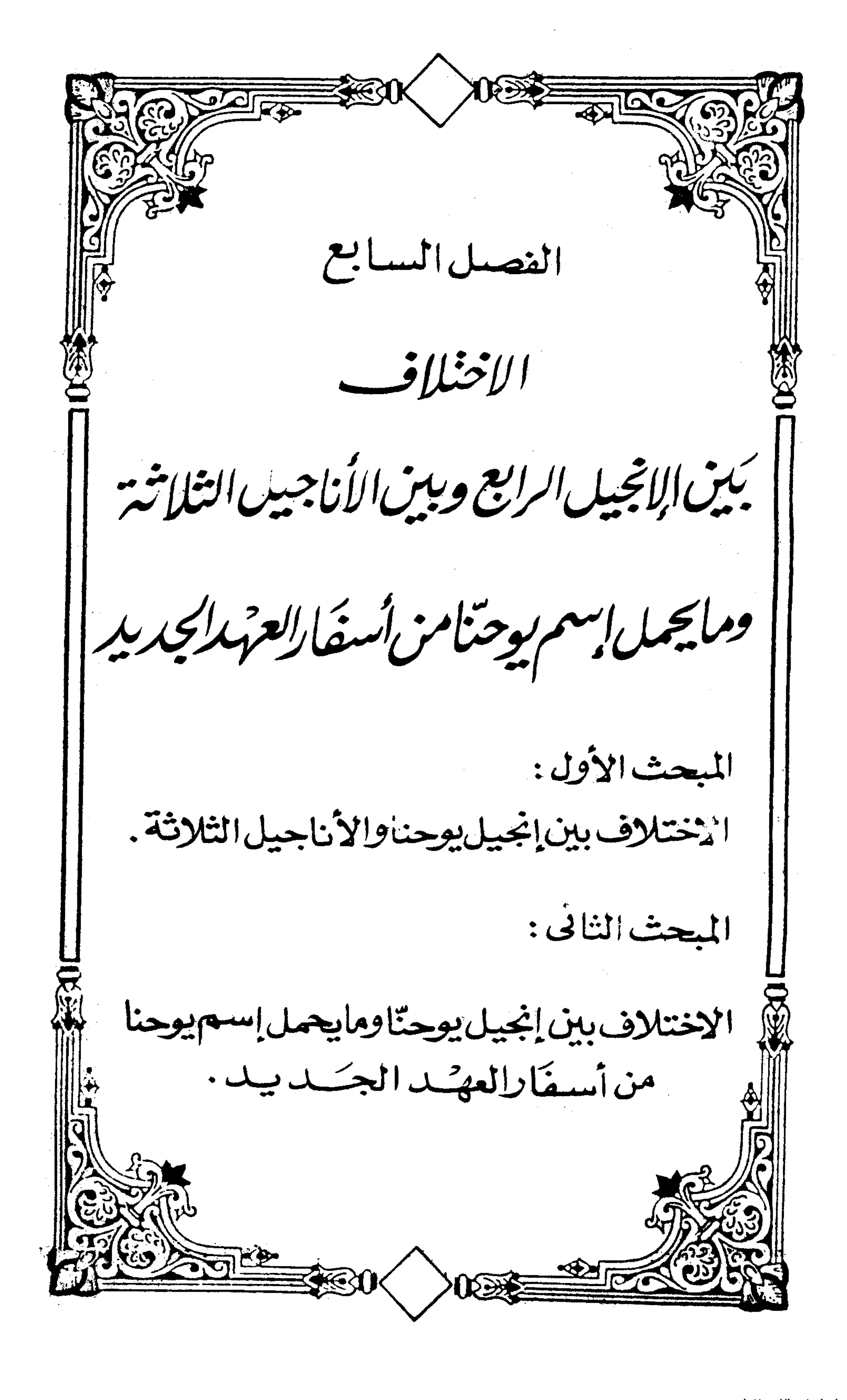
١٤- وكما جاء باعترافه وعلى لسانه من قوله : « أبي أعظم مني » وبذلك يتأكد الفارق بين المخلوق والخالق ، ويثبت إظهار الحق فوق ميزان الحق .

رابعا : أن هذه النصوص تدل دلالة واضحة على عقيدة التوحيد الصحيحة في جانب الله تعالى ، وصفاته ، وتنزهه عمالا يليق بذاته ، وفي جانب المسيح المخلوق عبد الله ورسوله الذي لا يملك من الأمر شيئا حتى ولا هداية أي أحد . وكذلك تدل على مدى الفارق بين العبد المخلوق وبين الله الخالق .

خامسا : أن هذه النصوص تقوم شاهدا على براءة المسيح عليه السلام من الشبهة التي توهمها من يعبده من دون الله ، كما تقوم بينة على مدى غفلة من يتعامي عنها لينصرف عن عبادة الخالق إلى تأليه المخلوق .

سادسا : أن هذه النصوص توجد بنفس النص الذي ألف خصيصا لتأليه المسيح، وهذا من أبين الأدلة على قهر الله وهيمنته على المعاند الذي ألّف وأله .





الفصل السابع

الاختلاف

بين الإنجيل الرابع وبين الأناجيل الثلاثة

وما يحمل إسم يوحنّا من أسفار العهد الجديد

المبحث الأول :

الاختلاف بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة .

المبحث الثانى :

الاختلاف بين إنجيل يوحنّا وما يحمل إسم يوحنا من أسفار العهد الجديد .

الفصل السابع

الاختلاف بين الإنجيل الرابع وبين الاناجيل الثلاثة
وما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد

مقدمة :

وموضوع هذا الفصل يحتاج إلى مجلدات حتى يمكن الفصل فيما تضارب من النصوص المتعارضة ، ولا يكفي فيه فصل كهذا الذي نقدمه هنا ، وليس موضوعنا هنا للمقارنة بين الأناجيل الثلاثة والانجيل الرابع من ناحية وبينه وبين ما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد . وإنما يلزمنا ما لا بد منه لإعطاء فكرة عن الإنجيل الرابع من جهة مخالفته لما ذكرنا فيما تفرد به . ونكتفي بالقدر الذي يوضح لنا هذه الفكرة ويؤكدها اتباعا للحكمة القائلة بأنه :

« يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق » .

فإن مالا يدرك كله لا يترك كله ، قال القسيس ابراهيم خليل عن إنجيل يوحنا :

« وهو يناقض الأناجيل الأخرى في مئات من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها عن المسيح ، وخلاصة القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الأناجيل وبعضها الآخر ، وأن فيها نقطا تاريخية . مشكوك في صحتها ، وفيها من القصص الباعثة على الشبهة والريبة تماثل مماثلة واضحة ما يروى عن آلهة الوثنيين »[(1)] أ هـ .

وسوف يكون منهجنا في هذا الفصل أن نوضح مخالفة الأناجيل الثلاثة له أو بعضهم في موضوعها ، وسيكون ذلك في المبحث الأول ويتناول موضوعين :

الأول : حقيقة المسيح وطبيعته .

الثاني : الجانب التاريخي للروايات التفصيلية .

---

(1) نقلا عن : فاضل صالح السامرائي . نبوة محمد من الشك إلى اليقين [ص ٢٢١] .
ولعل الصواب في التعبير : « وفيها من القصص الباعثة على الشبهة والريبة ما يماثل مماثلة واضحة ..... إلخ » .

ونقدم في المبحث الثاني : لمحة عن الاختلاف بين إنجيل يوحنا وما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد .

وبما أن موضوع البحث هوالإنجيل الرابع ، وقد وضح لنا من خلال الفصول السابقة الكثير من نصوصــه التي نتناولهــا هنــا أما النصوص التي نختارها من الثلاثة فسنوليها توضيحا أكثر من نصوصه ، إلا إذا كانت نصوصه لم نتعرض لها فيما سبق .



المبحث الأول

« الإختلاف بين إنجيل يوحنا والاناجيل الثلاثة »

أولا: حقيقة المسيح

وموقفه من حقيقة المسيح وطبيعته واضح مما قدمنا في الفصل الثاني من الدراسة الموضوعية والتي ناقشنا فيها محاولة المؤلف تأليه المسيح وكذلك الفصل الثالث الذي بحثنا فيه نظرية الكلمة – اللوجوس اليونانية – ونظرية المثل الأفلاطونية اللتين استعارهما المؤلف وحورهما لكي يؤله المسيح .

وواضح كذلك من الفصل السابق عن حقيقة المسيح من واقع نصوصه في انجيل الفلسفة حيث رأينا الأدلة الفائقة الدالة على أن الآب هو الله . الإله الحقيقي وحده لا شريك له ، وأن المسيح عبد الله ورسوله وأن حقيقته أنه إنسان ابن إنسان كما عرف بنفسه .

صورة المسيح العامة من خلال نصوص الثلاثة :

قال مؤلف كتاب « المسيح في جميع الكتب » :

« يوجد شبه بين البشراء الأربعة والكاروبيم الأربعة الذين رآهم حزقيال أو الحيوانات الأربعة الذين رآهم يوحنا »[(١)] .

إن متى يرينا المسيح في مقامه المملوكي كأسد سبط يهوذا وهو الكروب الأول .

ويرينا إياه مرقس في مقام خادم لأن الثور معد للخدمة ، كما للتقدمة وهو الكروب الثاني .

ويرينا إياه لوقا في مقام ابن الإنسان « قلبه فائض بالعطف والحنان » وهو الكروب الثالث .

« ويرينا إياه يوحنا في مقامه الإلهي كالنسر الذي يخترق طبقات الهواء وهو الكروب الرابع »[(٢)] .

---

(١) يقصد مؤلف رؤيا يوحنا ، وقد تقدم لهذا النص نظير في مقدمة بحثنا عن الحيوانات الأربعة التي سطرها مؤلف سفر رؤيا يوحنا .

(٢) أ . م . هود جكن : المسيح في جميع الكتب [ص٣٨٢] .

وقد أعطى المؤلف المذكور عنوانا لصورة المسيح في كل إنجيل على حدة .
فالصورة التي توجد في متى « المسيح كملك » والتي توجد في مرقس « المسيح خادم » وفي لوقا « المسيح ابن الإنسان » وكل ذلك مخلوق .

أما في الإنجيل الرابع . فهو الكلمة - الله - المتجسد - وهذا يعني أنه الخالق الذي به كل شئ كان ، وبغيره لم يكن شئ مما كان .

الصورة التي اتفق الثلاثة عليهاهي أن المسيح مخلوق ليس إلها ، ولا شبه إله ولا بعضا من إله . وهي بذلك مغايرة ومخالفة لصورة المسيح المخترعة لتأليهه . ونحن حين نقول الصورة المخترعة فإنما نعني بذلك الصورة التي حاول رسمهامؤلف الإنجيل الرابع لتأليه لمسيح . ومما يدخل مع الثلاثة في بابها تلك النصوص التي تدل على بشرية المسيح وعجزه ، ونفى الألوهية عنه لأن الله واحد لا شريك له ، وهي أيضا من الإنجيل الرابع .

والنصوص التي نقدمها جزء من كل يثبت ما ليس في حاجة إلى إثبات لأنه من قبيل الحقائق البديهية التى يسلم العقل بها لتوافقها مع الفطرة السليمة للعقول المستقيمة . وسوف نقدمها هنا تحت أنواع ثلاثة :

الأول : ما اتفقت نصوص الثلاثة عليه .

والثاني : ما اتفق عليه اثنان .

والثالث : ما انفرد به أحدهم فنقول وبالله التوفيق .

أ - الأدلة التي تنفي دعوي تأليه المسيح باتفاق الأناجيل الثلاثة :

وهي في ذات الوقت دلائل واضحة على نفي تجسد الله ، وتنزيهه عن ذلك ، وكذلك هي براهين ساطعة على أن المسيح بشر مخلوق أرسله الله لا يملك من الأمر ما يملكه الله . ويمكن للناظر فيها هنا أن يرى فيها الفارق بين المسيح المخلوق العاجز وبين الله الآب الخالق القادر على كل شئ ، كما يمكن للناظر أن يلحق من هذه النصوص ما لله بالله وما للمسيح بالمسيح . وسوف نعتمد من هذه النصوص المتفق عليها الرواية الأوفى والأشمل في أي من روايات الثلاثة ثم نشير إلى مواضعها عند من وافقه ما لم نرى حاجتنا إلى نص في الرواية المتروكة غفل عنه نص الأوفى فنشير إليه .

١ - ابليس يجرب ايمان المسيح :

رواها مؤلف متى [(١)] ، ومرقس [(٢)] ، ولوقا [(٣)] ، وهاك نص متى :

« ثم أصعد يسوع إلى البرية ليجرب من إبليس ، فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا ، فتقدم إليه المجرب وقال له : إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا ، فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك ، قال له يسوع أيضا : لا تجرب الرب إلهك، ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي .

حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم تركه إبليس ، وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه » [(٤)]

وأركان هذا النص ثلاثة :

(١) المجرَّب - بالفتح - وهو المسيح بعد أن عمده يوحنا ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية كحمامة .

(٢) المجرِّب - بالكسر- وهو إبليس . وقد أعطى إبليس سلطانا عظيما لكي يفتنه.

(٣) التجربة أو محاولة الفتنة ، وهي واضحة في هذا النص على نواحي الإغراء والفتنة ، وفي نص لوقا أنه أصعد المسيح إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان وقال له إبليس :

لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلى قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد فإن سجدت أمامي يكون لك الجميع [(٥)] " وهي تجربة لا تجوز إلاعلي البشر إن وقعت .

ولا يقبل العقل أن تكون هذه التجربة قد وقعت إلا على إنسان لأن المسيح تعرض للجوع الشديد فهل يستمر إيمانه ثابتا أم يتحول إذا عرضت عليه المغريات . وقد نجح

---

(١) [٤ : ١ - ١١]
(٢) [١ : ١٢ - ١٣] .
(٣) [٤ : ١ - ١٣] .
(٤) [متى ٤ : ١ - ١١] .
(٥) [لوقا ٤ : ٥ - ٧] .

المسيح ، وجاز التجربة وفي نجاحه دليل على أصالة ثقته بربه وإيمانه ويقينه .

وفي النص على حدوث هذه التجربة للمسيح من إبليس دليل نفي دعوي تأليهه ، لأن الله تعالي أعز من ذلك وأجل وأكرم ، ولا يقبل عقل عاقل أن يتصور أن إبليس يقف أمام الله ويطلب منه أن يسجد الله له . وهذا يلزم القائلين بالتأليه ، وذلك لأن المسيح فيما يدعون هو الله الكلمة الذي صار جسدا . ويلزم القائلين بتجسد أقنوم الإبن دون الآخرين . فإن كل أقنوم بمفرده فيما يدعون هو الله ، ومجموع الثلاثة هو الله. ولا يمكن لهم أن يتعللوا بأي تعلة لأن التجربة كانت بعد هبوط روح القدس – الحمامة عليه . وبعد أن زكاه الآب من فوق بما سمعته الآذان من قوله : هذا هو ابني الحبيب .

لا يقبل العقل إلا الإعتراف ببشرية المسيح فقط لخضوعه كغيره للإغراء والفتن في عالم الاختيار بين الكفر والإيمان .

ولعل ذلك من وراء إغفال مؤلف الإنجيل الرابع لذكر هذه الحادثة التي أجمع عليها الثلاثة . أنه لو رواها لهدمت عليه هيكل دعواه وبِنَاها . فأغفلها وكأنه ما سمع بها ، وجاء نص مؤلفه خاليا من أي إشارة إليها .

٢ – ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله :

جاء بنص متى (١) ، وبنص مرقس (٢) ، وبنص لوقا (٣) . وهاك نص متى :

« وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له : لماذا تدعوني صالحا . ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله ، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ... » (٤) .

وفي هذا النص أنكر المسيح نسبة الصلاح إلى نفسه في صورة استفهام ولم يفعل مثل ذلك في دعوته « معلما » .

قال الأستاذ محمد بكير الأمين في كتابه « مائة دليل على أن المسيح عبد الله ورسوله » : « في هذا الحديث أكد المسيح عليه السلام أنه ليس صالحا ، وأنه لا يوجد أحد صالح إلا واحد وهو الله ، ومعنى ذلك أن المسيح لم يكن يعتبر نفسه إلها » (٥) .

---

(١) [١٩ : ١٦ ، ١٧] .
(٢) [١٠ : ١٧ ، ١٨] .
(٣) [١٨ : ١٨ – ٢٠] .
(٤) [١٩ : ١٦ ، ١٧] .
(٥) محمد بكير الأمين : مائة دليل على أن المسيح عبد الله ورسوله [ص ١٠] .

وفي ذلك رد على ما ادعاه المؤلهون من ثبوت الصلاح الإلهي له في تعليقهم على نص الإنجيل الرابع على لسانه في قوله : « من منكم يبكتني على خطية » وقد سبق لنا مناقشة هذا النص في محاولة التأليه .

ومعنى صلاح الله أن ذاته منزهة عن مشابهة الحوادث ومماثلتها في شئ من صفاتها كما في نص متى على لسان المسيح : « إن أباكم الذي في السموات هو كامل »(١) .

٣ - الذي أرسلني :

جاء بنص متى (٢) ، وبنص مرقس ، (٣) ، وبنص لوقا (٤) حديث المسيح عن الله الذي أرسله ففي نص متى :

« من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني (٥) » . وهذا اعتراف منه بأنه لا يزيد عن كونه رسولا مبلغا رسالة الله الذي أرسله . وأن من يرفضه ولا يقبل دعوته فكأنه رفض دعوة الله ولم يؤمن به ، وفي نص لوقا يقول :

« الذي يسمع منكم يسمع مني ، والذي يرذلكم يرذلني ، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني (٦) » . وهذه دلائل واضحة على أن الرسول غير المرسل ، وأن المسيح رسول فقط ، وكما أنه رسول فقد أرسل من تلاميذه رسلا ليبلغوا الرسالة إلى غيرهم من قومهم . ومن المعلوم ببداهة العقول أن قبول الرسول يعني قبول الرسالة والذي أرسلهامعه ، وأن رفضها يعني عكس ذلك . وفي الأناجيل الثلاثة نصوص كثيرة تؤكد هذا المعنى .

٤ كان المسيح يصلي لله ، وكان يأمرهم بالصلاة لله :

جاء بنص مرقس أن المسيح منذ بدأ الدعوة كان يصلي لله في الصبح المبكر : «وفي الصبح باكرا جدا قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلي هناك »(٧) .

---

(١) [متى ٥ : ٤٨] .
(٢) [١٠ : ٤٠] .
(٣) [٩ : ٣٧] .
(٤) [١٠ : ١٦] .
(٥) [١٠ : ٤٠] .
(٦) [١٠ : ١٦] .
(٧) [مرقس ١ : ٣٥] .

وهذه صورة عابد مجتهد في الصلاة المبكرة التي يكسل عنها كثير من الناس ويشغلون عنها . أما نص لوقا فهو أشد دلالة وصراحة إذ قال :

« وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي . وقضى الوقت كله في الصلاة لله . ولما كان النهار دعا تلاميذه (١) » وعلمهم أن يصلوا لله « وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يا رب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا أيضا تلاميذه ، فقال لهم: متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك .... » (٢) .

وقد عبر عن الذي كان يتوجه إليه في صلاته ، وسمّاه الله ، ولم يسمه الآب وإنما سماه الله بالإسم الذي يعهد للبشر على اختلاف أديانهم . في نص لوقا الأول ثم أسماه الآب في النص الثاني .

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن اسم – الله – يطلق عند القائلين بالتثليث على مجموعة الأقانيم الثلاثة . وهذا يعني أن المسيح لم يكن الله المتجسد ولا بعضه . ويلزم القائلين بأن المسيح هو الإبن فقط . أن يقبلواعبادة الابن المخلوق لله الآب الخالق .

أما نص متي فقد أفاد أن المسيح كان يعلمهم هذه الصلاة لله بصدق وهو نص لا ريب في صدقه : جاء على لسان المسيح من قوله لهم :

« ومتى صليت فلا تكن كالمرائين .... »

فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصلّ إلى أبيك الذي في الخفاء يجازيك علانية ...

فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما في السماء ، كذلك على الأرض خبزنا كفانا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ، ولاتدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد ... آمين » (٣) .

والصلاة هنا لله وهوالآب – كما سبق إثبات ذلك بالبحث – والمسيح الذي علم غيره هذه الصلاة ، كان أيضا مصليا لله لأنه عبد مخلوق محتاج لله شأنه شأن جميع المصلين العابدين .

---

(١) [لوقا ٦ : ١٢ ، ١٣] .   (٢) [لوقا ١١ : ١ – ٢]

(٣) [متى ٦ : ٥ ، ٦ ، ٩ – ١٣] .

وليس بالذي يخفي على أحد السبب الذي جعل مؤلف الإنجيل الرابع يغفل مثل هذه الصلاة ولا يذكرها . وإن كنا نستطيع أن نلمح من خلال نصه على لسان المسيح في مخاطبة الله قائلا :

« أيها الآب ...... الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ... »[1] ، صورة خفية عبر عنها بالمعرفة التي سماها الحياة الأبدية ، وهي بلا شك المعرفة التي قام بها وعلمهم إياها أن يتوجهوا لله الآب وحده لأنه الإله الحقيقي الذي له الملك والقوة والمجد إلى الأبد ، ومن الأزل لا شريك له .

٥ - صلاة المسيح الأخيرة لله دليل عجزه واحتياجه لله :

جاء وصف هذه الصلاة في نص متى[2] ، وفي نص مرقص[3] وفي نص لوقا[4] وهذا نص متي :

« فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عَنّي هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ، ثم جاء إلي التلاميذ فوجدهم نياما فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة ، اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف .

فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك ، ثم جاء فوجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة .

فتركهم ومضي أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا واستريحوا . هو ذا الساعة قد اقتربت »[5] .

وقد تقدم الحديث عن هذه الصلاة في الصلاة المعطلة - ودلالتها واضحة على شدة حاجة المسيح المصلي لانقاذ الله له من كيد اليهود وقد وصف نص لوقا هذه الصلاة وهذا المصلي بقوله :

---

(١) [١٧ : ٣] .

(٢) [٢٦ : ٣٩ - ٤٥] .

(٣) [١٤ : ٣٥ - ٤١] .

(٤) [٢٢ : ٤١ - ٤٥] .

(٥) [متى ٢٦ : ٣٨ - ٤٥] .

« وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك ، وظهر له ملاك من السماء يقويه ، وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن ...... »[1] .

ولذلك فإن صورة المسيح في الأناجيل الثلاثة مناقضة لصورته في الإنجيل الرابع الذي حاول تأليهه رغم المعقول والمنقول .

وهذه الصلاة كما ترى ناطقة بضعف المسيح وعجزه وخوفه وحاجته لله الذي له الملك والقوة والمجد ، وهي أيضا من الأدلة على نجاته من مكيدة الصلب التي دبرها اليهود له ونجاه الله منها .

٦ - كل شئ مستطاع عند الله :

اتفقت نصوص الثلاثة على وصف المسيح بالعجز والحاجة كما وضح مما سبق ، وفي نفس النصوص اتفاق على وصف الله بالقوة التي لا تغلب وأنه لا شيئ يقف أمام ارادته . فقد نص متى[2] ، وكذلك نص مرقس[3] ، وكذا نص لوقا[4] على ذلك وهناك نص متى على لسان المسيح في معرض حديث له معهم :

« فنظر إليهم يسوع وقال لهم هذا عند الناس غير مستطاع ، ولكن عند الله كل شئ مستطاع »[5] وفي نفس المناسبة وهي التعليق على سؤال الذي سأله : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية - جاء نص مرقس هكذا .

« عند الناس غير مستطاع ولكن ليس عند الله، لأن كل شئ مستطاع عندالله »[6]

ونص لوقا في نفس المناسبة « فقال غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله »[7]

وهذه النصوص مع سابقتها دلائل واضحة على بعد شبح محاولة التأليه عن أذهان الكتاب الثلاثة ، ففي الوقت الذي تتفق فيه نصوصهم على نسبة العجز والافتقار إلى ذات المسيح ؛ ترفع من شأن ذات الله عز وجل . وهي بهذا تنقض محاولة التأليه .

كما تدل أشد دلالة على أن محاولة التأليه غريبة شاذة وهي كما سبق لنا وضوحه

---

(١) [لوقا ٢٢ : ٤١ - ٤٥] .
(٢) [١٩ : ٢٦] .
(٣) [١٠ : ٢٧] .
(٤) [١٨ : ٢٧] .
(٥) [١٩ : ٢٦] .
(٦) [١٠ : ٢٧] .
(٧) [١٨ : ٢٧] .

محاولة فلسفية إذعانا لأمر من طلبوا من أهل أفسس جعل المسيح المخلوق إلها خالقا وشريكا .

وهذه نماذج اخترناها مما اتفق عليه الثلاثة في نصوصهم التي خرج عليها نص الإنجيل الرابع في محاولته . وننتقل الان إلى النصوص الثنائية التي اتفق عليها اثنان من الثلاثة .

ب - الأدلة التي تناقض دعوى تأليه المسيح بإتفاق اثنين من مؤلفي الأناجيل الثلاثة :

الأول - ما اتفق عليه نص متى مع نص مرقس :

١ - علم الساعة خاص بالآب وحده :

جاء بنص متي قوله على لسان المسيح :

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده »[1] .

أما نص مرقس فهو على لسان المسيح أيضا هكذا :

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الإبن إلا الآب »[2]

وهذا النص في وضوحه غني عن البيان ، ولكن باستطاعتنا أن نقول إن الأركان فيه ثلاثة :

أ - علم بوقت معين وهو المشار إليه بميقات اليوم والساعة .

ب - عالم به ، وهو الآب وحده .

جـ - جاهل به وهو ما سوي الآب ، حتى الإبن أيضا جاهل كغيره من الخلق كالملائكة والروح القدس .

وكأنما أراد الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون . أن يقيم الدليل على وحدانيته بهذين النصّين وأن يفرق بهما بين ما يدعون أنّ الله يتركب ويتألف منه .

يقول المثلثون : الأب والإبن والروح إله واحد ...

---

(١) [٢٤ : ٣٦] .

(٢) [١٣ : ٣٢] .

وهذا النص يقول : الآب عالم والابن جاهل . فهل يكون الجاهل إلها أو مساويا لله أو أقنوما من الثلاثة التي يؤلفون منها ذات الله ؟؟

ثم ما معني الوحدة الثالوثية ؟؟ هل بعض الله عالم وبعض ذاته الاخر جاهل ؟!

ثم لم سكت المؤلفان عن الروح وهو الأقنوم أو الإله الثالث ؟؟

فإن الذي يفيده النص أنه داخل في دائرة الجهل والجهلاء . لأن المستثنى واحد هو الذي اختص ذاته بالعلم . وهو الآب العالم بمفرده .

ولم يقل النص على لسان المسيح تعبيرا آخر مثل « ولا أنا » ولكنه قال : « ولا الإبن » وهو ثاني الثلاثة . وحقا ما نقول : إن الله هو الذي أراد هذه التفرقة بين الشركاء الثلاثة ، وما فرقه الله لا يجمعه بشر حتى ولوكان فيلسوف إنجيل أفسس !!

عناء المؤلهين للمسيح من صعوبة هذا الدليل دفع بعضهم إلى إنكار صحة هذا النص :

ولعل من الملاحظ أننا قد خففنا من كثرة النقل عن علماء الكتاب المقدس واللاهوتيين من بداية الفصل السابق . وأننا نكتفي في الكثير الغالب بأن نواجه نصوص الفصلين وجها لوجه . ذلك أننا نراها أقرب قبولا لدى العقل لاعتمادها على البديهيات التي لا يماري عاقل في التسليم بها . هذا من جانب . ومن جانب آخر فإننا نرى الكثير من علماء الكتاب المقدس يتغافلون هذه النصوص ويمر الواحد منهم بها وكأنه لم يرها ولم يسمع بها . وأما أولئك الذين يتناولون بحثها ممن غلب عليهم الطابع اللاهوتي والجدل العقيم فإنهم يطيلون المقدمات ويجنحون إلى ضروب من المعميات بما لا يفيد في الدفاع عن العقيدة التي يتمسكون بها من تثليث الله الواحد ، وتأليه البشر المخلوق ، فإن الحق غالب ومحاولاتهم عبث ، ولذلك يعترف البعض منهم بصعوبة ما يحاولون ، وعناء ما يلقون . وبين يدينا الآن كتاب : « التجسد » تأليف الأب فرنسيس فرييه تعريب وتصرف الآب لويس أبادير . يقول بما يفيد كذب المسيح وأنه كان يعلم ما أنكر أنه يعلمه . لأنه تحدث بصفته إنسانا ، وكان يعلم بصفته إلها . وهاك ما قال صاحب التجسد فيه :

« وهنا تأتي الصعوبة التقليدية التي أثارها أتباع آريوس في أوائل المسيحية :

« عدم معرفة المسيح باليوم الأخير » التي ورد ذكرها ....[1] لقد عانى بعض المفسرين الكثير في شرح هذا النص . حتى إن بعض العصريين أخذوا يشكون في صحة هذه الآية .

أما الآريسيون في أوائل المسيحية فكانوا بالعكس يتمسكون بصحتها ليقيموا الدليل على أن الابن أقل مرتبة من الآب .

وقد أجاب الآباء على هذه الصعوبة . فالبعض منهم قال : إن الآية صحيحة وإنما يتكلم المسيح بصفته إنسانا لا بصفته إلهًا .

وفريق آخر رد على الأريوسيين بإنكار صحة النص " أ هـ .

تهرب وتحذلق يقوم به اللاهوتيون :

ثم يقول صاحب « التجسد » مواصلا حديثه الذي قطعناه بالعنوان وهذا النص ما نصه :

« أما معظم الآباء واللاهوتيين فقالـوا : إن النص صحيح ويجب قبوله كما هو مذكور في الكتاب .هذا من جانب ومن جانب آخر ليس المقصود في هذا النص المسيح من حيث أنه إنسان كما قال البعض لأن المسيح يعرف يوم الدين ليس فقط بالمعرفة الإلهية وإنما بالمعرفة البشرية .

أما إذا قيل « إن هذه الساعة لا يعرفها الإبن » فذلك لأنه ليس من رسالة المسيح إذاعة هذه الساعة ، وفي هذاالمعني يجوز القول بأن المسيح لا يعرف يوم الدين ،

وقد يعد البعض هذا التفسير تهربا أو تحذلقا " أ هـ .

وهو تهرب وتحذلق وسفسطة ؛ لأن " الآب " في لغة الكتاب هو الله

ثم يقول صاحب « التجسد » مواصلا ما قطعناه من حديثه بالعنوان . وهذا النص ما نصه .

« وقد يعد البعض هذا التفسير تهربا أو تحذلقا، وانما هو في الواقع هو التفسير

---

(١) وضعنا نقط إشارة إلى نص أسقطناه وهو الخاص بالإشارة إلى مواطنها فقد قال : ورد ذكرها في إنجيل القديس مرقس ولوقا [مرقس ١٣ : ٣٢ - لوقا ٢ : ٥٢] ولعل هذا الخطأ مطبعي أو من سهو الكاتب . والصحيح ما ذكرناه كما أشرنا إليه . ولم يتعرض لوقا لذكرها .

الثابت ولا سيما إذا عرفنا أن لفظ الآب في لغة الكتاب يشير عادة إلى الله الذي لم يره أحد قط ، ولا يدنى منه »(١) .

فلا يعطي ذاته للبشر إلا بواسطة الإبن ولا يكلمهم إلا بواسطة الملائكة فما يجب أن يكون سرا خفيا فليس للإبن ولا للملائكة أن يذيعوه لأنه ليس من رسالتهم .

وخلاصة القول : يجب التمييز بين الآب وبين الابن المرسل منه إلى البشر لخلاصهم " أ هـ .

ونحن نرى ذلك تهربا وتحذلقا لنفس الحجة التي أبداها وهي أن لفظ الآب في لغة الكتاب يشير إلى « الله » الذي يره أحد قط ، ولا يدني منه .

أما السفسطة التي نعنيها فهي فيما نقله صاحب « التجسد » من قول القديس غريغوريوس في هذا الصدد :

« لقد عرف المسيح يوم الدين في طبيعته البشرية وليس بطبيعته البشرية . عرفه من حيث هو إله وإنسان . عرفه كإنسان لأنه إله »(٢) .

وليس بعد ذلك من سفسطة .

ولعل نص متي ومرقس ، وهي تلك البينة الواضحة بلغ من الخطورة إلى الحد الذي جعل بعض الذين يصرون على تأليه المسيح يذهب إلى إنكار صحة هذا النص ، والأولى بهؤلاء المنكرين أن ينكروا ما نصت عليه بعض نصوص الإنجيل الرابع التي تؤله المسيح . لأن هذا النص الفارق بين الإبن المخلوق والإله الخالق ليس وحده في بابه، وهناك الكثير من النصوص التي تدعمه وتؤيده ، ولو فتح عليهم باب الإنكار لما يقف حجر عثرة في مخاضة التأليه لوجب عليهم أن ينكروا الأناجيل الثلاثة وأكثر نصوص يوحنا مما تركنا وما قدمنا .

والأولى بهم أن ينبذوا فلسفة كلمة هيراكليتوس فيلسوف أفسس مدينة الإنجيل الرابع والمثل الأفلاطونية اليونانية . فهذا النبت هو الغريب الشاذ يجب أن يقلع ويرمي به إلى ما منه جاء . لأنه ليس من وحي السماء، ولا من كلام الأنبياء ، فمنطق السماء في

---

(١) [يوحنا ١ : ١٨]
يشير إلى نص الإنجيل الرابع « الله لم يره أحد قط » .

(٢) فرنسيس فرييه « التجسد » [ص ١١٠] تعريف الآب لويس أبادير .

وضوحه يأبي هذه الفلسفة لأنها صناعة بشر محدود الفكر سقيم الإدراك عرضة للخطأ والصواب . وما لأفسس وما للسماء للسماء .

ولا يزال كل محترم لعقله يؤيد آريوس وأتباعه فيما نادي به من أن هذا الدليل الفارق واضح قاطع في أن الابن أقل مرتبة من الآب . ولا يزال كل محترم لعقله يقول مع آريوس : إن الآب وحده هو الله والإبن مخلوق مصنوع .

أما ما زعمه بعض اللاهوتيين من أن المسيح يتحدث بصفته الانسانية فهذا قول مرفوض لأنه لم يقل « ولا أنا » أو « ولا المسيح الذي ترونه » وإنما قال : « ولا الإبن » والابن هو : الأقنوم الإلهي الأوسط في الثالوث الذي حل في المسيح . كما يقول بعض منهم . وهذايستلزم جهله وهو أحد الثلاثة . أو الإبن هو الآب وهو الروح لأن الوحدة الثالوثية تقول بأن الثلاثة - الآب والابن والروح - إله واحد .

وهذا الجاهل يستلزم جهله جهل الآخَرَيْن عند القائلين بالإله الواحد الذي تتساوى أقانيمه .

أما القائلون بأن المسيح يعرف يوم الدين ليس فقط بالمعرفة الإلهية وإنما أيضا بالمعرفة البشرية ، وأنه لم يدع ذلك ، فهؤلاء يكذبون النص ، أو يكذبون المسيح القائل: « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما ... الابن » ..

فإذا كان الحال في المسيح هو الأقنوم الثاني - الابن - جاهلا وهو أشرف الطبيعتين في المتجسد فكيف يعرف العنصر الأدنى وهو العنصر البشري ما لا يعرفه العنصر الأعلى الإلهي ؟؟

وإذا كان الحال المتجسد هو الآب على خلاف ما يقولون ويعتقدون - إن صح ما يزعمون فيما نقرأ لهم - فأين كان الجاهل إذن؟ إذا كان العالم الذي كان يصفه « أبانا الذي في السموات » . فإن كان الذي في السموات- على حد تعبيرهم- أصبح متجسدا على الأرض ؟؟ أكان الجاهل في السماء وهو غيره ؟؟ أم كان معه في الجسد العجيب الذي اجتمع فيه الجاهل والعالم والجاهل الثالث وكلهم إله كامل ؟؟

وخلاصة القول . إن لفظ الآب كما قال فريبه هو المرادف المساوي للفظ الله في لغة الكتاب . وأن الله وحده يعلم وأن الإبن جاهل مخلوق ، ليس إلها ، ولا شبيها لله ، ولا شريكا ، وكذلك الروح الأقنوم ، وهذا النص فاصل فارق بين الابن المخلوق والروح المخلوق وبين الله الخالق .

وأما القائل بأنه كان يعرف ثم أخفى ، فهو مكذب للنص لأنه نفى العلم عمن يعلم. وكان من الممكن أن يدل على ذلك بأيسر الألفاظ .

أو هو مكذب للمسيح القائل بما يفيد نفي العلم عنه في الوقت الذي كان يعلم فيه. وكأنه مخادع .

ولا يمكن المصير إلى هذا لأن قولهم هذا مناقض للنص ولا دليل لهم عليه ، والعقل المحترم لا يرى مانعا في قبول هذا الفارق الذي فرق به كل من مؤلف متى ومرقس بين المخلوق والخالق .

كما أن العقل المميز يرفض تكذيب النص فيما جاء به من نفي العلم عن الإبن ، وكذلك عن كل الخلق كالروح والملائكة لأن الله وحده هو العليم الخبير بكل شئ . وننتقل الآن إلى مفسر آخر لم يستطع الدفاع من الكتاب المقدس على اتساعه ، واضطر تحت وطأة هذا الدليل الفارق إلى محاولة اللجوء للقرآن الكريم عله يجد مهربا ولات حين مناص .

مفسر من أهل التثليث يلجأ إلى القرآن :

وإذا كان ما قدمنا مصدقا لقول القائل عن الله عز وجل :

وفي كل شئ له شاهد ... يدل على أنه هو الواحد

فإن التثليث الذي يقولون به يرفضه الكتاب الذي يقدسونه ، ولا يعظمون من الكتب غيره . وأن إرادة الله اقتضت أن تقوم أدلة التوحيد بدور فعال في داخل كتبهم كما نرى ، لأنّ من المؤكد أن الذي يفر منها إلى القرآن لا يجد مناه أو مبتغاه ، إلا على فرض صحة نسبة القرآن إلى الله . كما يؤيد ذلك الواقع ، وكذلك لا يجد في القران ما يستطيع أن يقيم به دليلا على دعواه على فرض عدم إيمانه بصحة نسبة القرآن إلى الله ، وكأن هذا المفسر يفر من قضاء الله إلى قضاء الله، وهذا اختياره لنفسه، وقضاء الله عليه . وذلك ما قام به صاحب كتاب : المرشد الأمين في شرح الإنجيل المبين - شرح بشارة متى [١] .

---

(١) الكتاب المشار إليه تاليف المستر چورج أسوان: وقد نقحه وأضاف إليه شروحات وافية : القس ابراهيم سعيد مؤلف شرح بشارة لوقا. ولا يوجد بالكتاب علامة فارقة بين قول المؤلف وبين إضافات وشروح المنقح =

ماذا قال ؟

قال معلقا على نص متى « لا يعرف أحد موعد قيام الساعة إلا الله نفسه » في كتابه المشار إليه ما نصه :

« يشرح لنا بولس ما جاء هنا - وأشار إلى نص متى [1] ، وما ورد في بشارة مرقس [2] ، حيث يقول عن المسيح :

« لكنه أخلي نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس [3] » . فكان لا بد من إخلاء نفسه من بعض خصائص اللاهوت الغير المحدود .

إن هذا الاتضاع من مستلزمات ناسوته التام . ولايؤخذ منه قط عدم علم المسيح بالغيب .

فقد جاء عنه في القرآن : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾. وكم رأيناه في غير موضع واحد من الإنجيل يعلم خفايا القلوب . فيجب علينا أن نسهر منتظرين إياه انتظار العبيد الأمناء لسيدهم .

ومما يستلفت الأنظار ما جاء في عدد (٣٥) - وهو العدد السابق الذي يقول على لسانه : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول » ، فينبغي على منكري لاهوت المسيح أن يتأملوا جيدا ، لأنه لا يجسر على قول كهذا إلا الله . فلو لم يكن المسيح هو الله ظاهرا في الجسد لكان مجدًفا في هذا الكلام على أنه لا يسع أحدا من المسلمين والمسيحيين اتهامه بذلك [4] أهـ .

مناقشتـــه :

ونحن ننكر لاهوت المسيح وسوف نتأمل جيداً . ونحن كمسلمين لا يسعنا إلا أن نصدق المسيح لأنه عندنا رسول يجب علينا تصديقه ، فيما يجب أن نصدق فيه جميع الرسل من دعوتهم الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا نظير ولا

= وهل المؤلف المستتر جورج ألفه بالعربية أم أن المنقح معرب . ولذلك فقد آثرنا أن يكون تعبيرنا عن الكاتب بصاحب المرشد حتى لا نعدو الصواب . ونحن نعجب لتساهل القوم إلى هذا الحد .

(١) [٢٤ : ٣٦] . (٢) [١٣ : ٣٢] . (٣) [فيلبي ٢ : ٧] .

(٤) المرجع السابق . شرح عدد (٣٦) من الإصحاح (٢٤) [ص ٢٥٧] . والكتاب صدر من مطبعة النيل المسيحية ، بالقاهرة سنة ١٩٣١ الطبعة الثانية .

شبيه ولا ولد ولا والد ولم يكن له كفؤا أحد . وأن جميع المرسلين عبيده وعباده وهو السيد الأعظم والمعبود الأوحد .

ونحن لا نكذب المسيح ولا غيره من الرسل إذا بلغ إلينا أنه كان يقول لنا عن نفسه « أنا إنسان – ابن انسان – لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا .... » ولا نكذبه فيما يبلغنا من قوله « الذي أرسلني هو حق – الله – الآب – الله لم يره أحد قط – أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم – رب السماء والأرض – هو وحده الصالح – له أصلي وعليكم أن تصلوا له هكذا ..... » ونحن نصدقه كغيره من الرسل في ذلك سواء بلغنا أنه قال أو لم يبلغنا ، لأن هذه هي الحدود الصحيحة لدائرة النبوة والرسالة .

أما إذا بلغنا نسبة شئ إليه مما ليس له بحق فنحن ننظر في مقدار صحة الواسطة التي بلغنا بهاوهي الكتاب . هل هي صحيحة الإسناد معلومة النزاهة واضحة في استحقاق الثقة وتوفر الصيانة من التدليس والتحريف . ثم ننظر بعقولنا ونقلب الأمر على وجوهه بما لا يتعارض مع العقل ، فإن أمكن التأويل فبها ونعمت وإلا فوضنا الأمر لله . وذلك في حالة سلامة نقل النص . وهذا هو العزيز المفقود في أمر هذه الكتب .

أما إذ جاء على لسانه قول لا يجسرعلي قول مثله إلا الله . فنحن نرده . ونعني برده أننا نكذب المؤلف الذي سطر في كتابه ودلس . لا أننا نكذب المسيح ، بل ولا أحدا من تلاميذ المسيح؛ لأن الخط الإلهي الرسالات الإلهية واحد في الدعوة إلى عبادة الله وحده لا خلاف في ذلك بين رسول وآخر سواء المتقدم منهم والمتأخر ، وقد أوضح الله لنا في القرآن سمات الرسل وأحوالهم مع أقوامهم وتلاميذهم ، وذلك نقوله باعتبار عقيدتنا ، ولذلك فإن جاء بهذه الكتب أن المسيح ادعى الألوهية فإن أمكن تأويله كان بها ، وإلا فنحن نرد ما جاء بهذه الكتب وحالها من الجهالة والنكران ما نعلم .

وربما كان مقصود المسيح في قوله – إن كان قد قال – : السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد .. أن ذلك حق لا يتغير ولا يزول وها نحن قد رأينا من أقوال فريبه قوما أرادوا إنكار هذا النص لا لشئ إلا لأنه ينطق بالحق الذي لا يتفق وأهواءهم في تأليه المسيح . ولكنهم لم يستطيعوا إزالة ما يكرهون . ولا زال كل محب للحق يتمسك بصحة مثل هذه الأقوال لاتساقها مع غيرها من المنقول ، والمعقول . ويكفي أنها تجعل كل مدع للتأليه يراجع نفسه

فبعض يذعن كصاحب « المرشد » الذي قال : « لا يعرف أحد موعد قيام الساعة إلا الله نفسه » والفقرة المذكورة تحدثت عن الآب وهو الذي يطلق في لغة هذا الكتاب وحده على الله الآب . دون الإبن وأما الذين لا يذعنون فيغمضون أبصارهم ويصمون آذانهم وكأنهم لا يبصرون ولا يسمعون .

أما قوله تعليقا على نص بولس بأن المسيح « أخلى نفسه آخذا صور عبد » وأنه لم يجد بدا من إخلاء نفسه من بعض خصائص اللاهوت الغير المحدود . فإن هذا لا يفهم إلا بمعنى أنه أخلى نفسه أي ذاته الإلهية من العلم وهو أحد خصائص اللاهوت الغير المحدود . وإذا أخلى نفسه من هذا العلم فمعنى ذلك أنه كان جاهلا لخلوه من العلم . فمن كان يعلم إذن ؟؟ وكأن هذا القائل عز عليه أن يكون الإبن جاهلاً فأراد أن يجرد بقية لاهوته من العلم ولذلك قال بأنه أخلى نفسه .

أما قوله : « لا يؤخذ منه قط عدم علم المسيح بالغيب » فهو قول مناقض للنص ومكذب له لأن النص يفيد القطع بأن أحدا لا يعلم ذلك إلا الآب وحده وأن الإبن لا يعلم شأنه في هذا الجهل شأن الملائكة . وهذا بخصوص علم الساعة وهو غيب من كل وجه غيب من المكان والزمان والوجود ، لأنه لم يقع بعد ولا يدري أين ومتي يكون وقوعه . وهو دليل على « عدم علم المسيح بالغيب » .

أما استدلاله بما جاء في القرآن الكريم عن المسيح على لسانه مخاطبا اليهود بقوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » فإن المأكول والمدُّخر ليس غيبا بالنسبة للآكِل والمُدَّخِر منهم ، وهو ليس غيبا بالمكان ، لأن ما يؤكل ينزل البطون ، وما يُدَّخَرُ يُودَعُ في البيوت ، ومعلوم الوقت فليس غيبا مطلقا .

ونقصد بالغيب المطلق ما كان مجهولا من كل وجه وجودا، وزمانا، ومكانا، ومجهولا للجميع ما عدا الخالق وحده الذي استأثر بعلمه .

ولا ندري كيف استباح صاحب المرشد لنفسه أن يلجأ للقرآن . هل يؤمن بما جاء بالقرآن عن المسيح بخصوص هذا النص فقط ؟ أم يؤمن بما جاء بالقرآن كله ؟؟ أم أن الأمر لا يزيد على كونه ذرا للرماد في العيون .

إن القرآن الكريم صريح في القطع بيقين أن علم الساعة مما استأثر الله تعالى به وعلى سبيل المثال .

﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾[1] " وكذا : ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ﴾[2] وذلك أن قوما كانوا يسألون رسول الله ﷺ وسلم عن موعدها فأجابهم الله : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرسها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ﴾[3] .

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها ﴾[4] .

وهذا بخصوص علم الساعة الذي استأثر الله تعالى به ، ولم يعلم به غيره بالغا ما بلغ شأنه عند ربه لا محمدا ولا المسيح ولا غيرهما فإن علمها عند الله .

أما بالنسبة للمسيح في القرآن فهو بشر مخلوق فقط . وقد حكم الله في القرآن بكفر القائلين بأن الله هو المسيح ، وكذا القائلين بتثليث الله :

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنَّه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون ، قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثير وضلوا عن سواء السبيل ﴾[5] .

---

(١) قرآن كريم : [لقمان ٦٣] .
(٢) قرآن كريم : [الأحزاب : ٦٣] .
(٣) قرآن كريم : [الأعراف : ١٨٧] .
(٤) قرآن كريم : [النازعات : ٤٢ – ٤٥] .
(٥) قرآن كريم : [المائدة : ٧٢ – ٧٧] .

وها نحن قد رأينا أن نصي متى ومرقس السابقين قد فَرَّقا بين الآب العالم وبين الابن الذي لا يعلم ، وهذا دليل لنا على أن التثليث لم يكن عقيدة لدى القوم ، والذين يصدر عنهم مثل هذا النص لا يملك الواحد منهم إلا تأييد ماجهر به آريوس فيما بعد قائلا « إن الآب وحده هو الله ، والإبن مخلوق مصنوع .... إلخ » .

ولذلك يهرب كثير من مفسري الأناجيل عند التعرض لهذا النص أو ذاك ، وذلك كما فعل الدكتور وليم باركلي وهو من هو فقد قال : « هذا الإصحاح صعب ولكن لنا فيه حقائق مجيدة [1] » . ولم يتعرض لحل هذا المشكل العسير ، ولو بدا له شبه حل لحاول ، ولكنه آثر التصريح بالصعوبة كعهدنا به .

٢ - ليس للمسيح أن يعطي فإن المعطي هو الله الآب :

ومما اتفق عليه نص متى [2] ، ونص مرقس [3] ، ما أجاب به ابني زبدي إذ طلبا منه أن يجلس واحد منهما عن يمينه ، والآخر عن يساره يوم القيامة فقال لهما :

« أما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي » [4] .

وهذا واضح في أن المسيح لا يملك أن يمنحهما ما يطلبانه منه ، لأن هذا موكول إلى الآب وهو الله وحده لا شريك له الذي يملك أن يمنح كما يملك أن يمنع .

قال الدكتور وليم باركلي في تفسيره إنجيل مرقس :

« أخبرهم يسوع أن نهاية الأشياء كلها في يد الله . إن تقرير مصير كل إنسان من عمله هو . ونلاحظ هنا أن يسوع لم يشأ أن يتعدى على عمل الآب بل كانت حياته خضوعا مستمرا له . وأعلن أن إرادة الآب هي التي يجب أن تكون على الأرض كما في السماء [5] » أهـ .

---

(١) وليم باركلي « تفسيرالعهد الجديد » . إنجيل مرقص [ص ٣٧٢] ترجمة القس عزيز فهيم .

(٢) [٢٠ : ٢٣] .

(٣) [١٠ : ٤٠] .

(٤) [متى ٢٠ : ٢٣] .

(٥) وليم باركلي « تفسير العهد الجديد » . إنجيل مرقس [ص ٣٠٤] . ترجمة القس عزيز فهيم .

الثاني – ما اتفق عليه نص متى مع نص لوقا :

٣ – الآب رب السماء والأرض :

ومما اتفق عليه نص متى [١] ، مع نص لوقا [٢] ، ما جاء على لسان المسيح في مخاطبة الله الآب رب السماء والأرض حامدا له :

« أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض » (اتفق النصان) .

فها نحن نرى :

١ – عابدا حامدا مناجيا من أدنى .

٢ – معبودا محمودا وهو الآب رب السماء والأض وهو الأعلى سبحانه وتعالى . وهذه الصفة (رب السماء والأرض) لا تطلق إلى على الله سبحانه ولا يتأتي لأحد أن يدعيها أو ينكرها على الله الحق ، ولذلك نطق المسيح بها في مخاطبته لربه سبحانه .

ما اتفق عليه نص مرقص مع نص لوقا :

٤ – أنهم لم يدعوا تأليهه ... بل كان اعتقادهم فقط أنه المسيح :

ومما اتفق عليه مرقس[٣] ، ولوقا [٤] أنه سألهم عن رأيهم في من يكون هو ؟ وهذا نص مرقص :

« ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس . وفي الطريق سأل تلاميذه قائلا : من يقول الناس أني أنا فأجابوا : يوحنا المعمدان ، وآخرون واحد من الأنبياء ، فقال لهم وأنتم من تقولون إني أنا فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح . فانتهرهم أن يقولوا لأحد عنه » .

وقد جاءت إجابة بطرس في لوقا بتعبير « مسيح الله » أي المبارك الممسوح من الله . ولم يجب أحدهم المسيح بأنه الكلمة الذي صار جسدا ، أو الله المتجسد أو الأقنوم الثاني المتجسد .... إلخ ذلك .

وهذا إقرار تلاميذه وهم أولى الناس بمعرفة معلمهم الذي أرسله الله إليهم ، وذلك ينفي دعوى مؤلهيه ممن جاءوا بعدهم في أفسس مدينة هيراكلتوس وفي مؤتمر تأليه الإبن الذي عقد سنة (٣٢٥ م) في نيقيه بآسيا الصغرى .

---

(١) [١١ : ٢٥] .
(٢) [١٠ : ٢١] .
(٣) [٨ : ٢٧ – ٢٩] .
(٤) [٩ : ١٨ – ٢٠] .

جـ - الأدلة التي تنقض دعوى تأليه المسيح فيما تفرد به كل من الثلاثة :

أ - ما تفرد به متى : وهي نصوصه التي يستفاد منها :

١ - أن الله الآب لا شريك له في الملك ولا في القوة ولا في المجد :

فقد جاء بنص مؤلف متى على لسان المسيح في مخاطبة الله الآب :

« أبانا الذي في السموات .... » .

« لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد [١] » وقد تقدم لنا حديث عن هذه الصلاة - في الدليل الرابع من الأدلة التي اتفق عليها الثلاثة من هذا الفصل وواضح من نصوصها هناك احتياج الداعي لله الآب وقد كان المسيح يصلي ويدعو ويعلمهم ذلك لأنهم جميعا محتاجون لله الآب .

والنص الذي معنا هنا هو اعتراف المسيح ومناجاته لله بهذا اللفظ الذي يفيد الاختصاص والتملك بما ذكره وهو الملك الشامل لكل ما يتأتي أن يملك لله الخالق وهو ما سواه من الذوات والأفعال لأن الكل خلقه ، وكذلك القوة التي لا تحد والمجد الدائم .

والمسيح عبد الله كسائر العباد وانظر إلى أقواله السابقة الدالة على عجزه وافتقاره سواء بالحال كما يظهر من تضرعاته وصلاته ، أو باللفظ كقوله « لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا » أو كقوله « ليس لي أن أعطي » أو كقوله « علمني أبي » أو كقوله : « الآب ...... أعطي الابن » .... إلخ من النصوص التي تعرضنا لها في هذا الفصل وما سبقه .

٢ - أن الآب يعلم ما يحتاجه عبده قبل أن يسأله :

كما جاء بنص متي على لسان المسيح قوله لتلاميذه :

« إن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه » [٢] .

وواضح أنه يعرفهم بالله الآب : وأن هذه صفة من صفاته التي لا يشاركه فيها أحد من خلقه لا المسيح ولا غيره .

---

(١) [٦ : ١٣] .　　(٢) [٦ : ٨] .

الثاني – ما تفرد به مرقس :

١ – الله واحد لا شريك له :

ويستفاد ذلك من نصه على لسان المسيح مخاطبا من سأله : آية وصية هي أول الكل : « فجاء واحد من الكتبة .... » سأله : أية وصية هي أول الكل ، فأجابه يسوع : أن أول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل :

الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك .... فقال له الكاتب « جيدا يا معلم ، بالحق قلت لأنه :

الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب .... فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له . لست بعيدا عن ملكوت الله »(١) .

وواضح أن المسيح يعترف بوحدانية الله وأنه واحد ، وقد استحسن رد السائل مصدقا له ومفيدا أن الله واحد وليس له شريك بل ليس هناك آخر .

فأين الثلاثة والثالوث وأين المسيح الذي يجعلونه إلها في هذا المحاورة بين السائل والمسئول ! وغني عن الذكر أن النص يفيد الوحدانية وهي ضد التعدد الثالوثي وينفي الشريك وهو ما يزعمونه من الابن والروح لأن لفظ الله والآب بمعني واحد في لغة الكتاب كما سبق توضيح ذلك . والآب هو المقصود هنا بالرب الإله الواحد الذي لا شريك له ولا آخر سواه .

٢ – المسيح خادم جاء ليخدم :

وذلك لا جدال فيه وهوسمة بشارة مرقس وعلامتها المميزة فقد جاء على لسان المسيح في إحدى مواعظه لهم قوله :

« من أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا ، لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت لِيُخْدَم بل لِيَخْدِم ... »(٢) .

---

(١) [١٢ . ٢٨ – ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) ولم نجتزئ النص إلا للاختصار لأن النص جاء السؤال به عن الوصية الأولى . وجاءت الإجابة عنها كما هو واضح مما نقلنا،وعن الوصية الثانية وهي محبة القريب . وليس من خصوص موضوعنا هنا أن نتعرض لها فلذلك اختصرنا .

(٢) [١٠ : ٤٤ ، ٤٥] .

وهو يعني نفسه بابن الإنسان وواضح أنه جاء خادما ليخدمهم ، وليس هناك خدمة أعظم من الرسالة التي يجعلهم بها مؤمنين بالله ويعبدوه ويطيعوا أمره . وهو بشر مثلهم عبد مثلهم .

وهذا الخادم لا يتأتى منه أن يجعل نفسه إلها ، ولا يتأتى من الله أن يكون هو نفسه وذلك من أعظم الأدلة التي تنفي تأليه المسيح .

الثالث – ما تفرد به لوقا :

١ – أن المسيح أرسل ليبشر :

فقد جاء بنص مؤلف لوقا على لسان المسيح قوله لهم :

« إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخرى أيضا بملكوت الله لأني لهذا قد أرسلت» [1].

والبشارة هي الدعوة بالرسالة التي أرسله الله بها . وواضح مما تقدم أن المغايرة ثابتة بين الرسول والمرسل ، والله الذي أرسله إنما أرسله ليبشر الطائعين بالرحمة أو الجنة التي عبر عنها في النص بملكوت الله . وهذه خدمة جليلة لكل من يؤمن بحقيقة رسالته ولم يدع ألوهيته . فإن الذي يدعيها له مُغَالٍ في دعواه ، مُسْتَعْبَدٌ لهواه ، يبرأ منه المسيح وسيده ومولاه وهو الله الآب رب السماء والأرض الذي له الملك والقوة والمجد من الأزل وإلى الأبد .

٢ – كان المسيح إنسانا نبيا :

كما جاء بنص لوقا إقرار بحقيقة المسيح وطبيعته الأصلية وهي أنه انسان أرسله الله وأيده . وذلك على لسان اثنين من أتباعه يعرفان بالمسيح بعد حادثة الصلب حيث قال :

« يسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب » [2] .

فقد وصفاه هنا بوصفين :

الأول : أنه إنسان .

الثاني : أنه نبي مؤيد من الله قولا وفعلا . ولا يستطيع العقل إلا أن يصيخ السمع إلى

---

(١) [٤ : ٤٣] .
(٢) [٢٤ : ١٩] .

هذه الشهادة الحقة التي نطق فيهاالشاهدان بالحق والعدل في أجلي صورة وأوضح بيان أنه إنسان .

ولا نبعد عن الصواب إذا نحن رفعنا اسم (يسوع الناصري) من هذا النص ووضعنا اسم نبي من الأنبياء كأن نقول مثلا :

« موسى » أو « إبراهيم » أو غيرهما : كان إنسان نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب .

وبعد : فهذه النصوص نماذج فقط للاستدلال على بطلان دعوى المؤلف اللاهوتي يوحنا الشيخ مؤلف الإنجيل ، وهي تلك الدعوي التي ناقض فيها نفسه بما حمله نصه والتي ناقض فيها غيره من مؤلفي الأناجيل الثلاثة . وناقض فيها كل معقول ومعلوم .

ونحب أن نلخص هناما وضح لنا عن عقيدة المؤلفين الثلاثة في المسيح ومخالفتها لعقيدة تأليه المسيح التي اخترعها مؤلف الإنجيل الرابع :

١ - فقد اتفق الثلاثة على أن المسيح جُرِّبَ من إبليس . وأنه لم يقبل أن يدعي صالحا لأن الصالح واحد فقط هو الله الذي أرسله . وأن المسيح كان كثير الصلاة والعبادة والابتهال لله وكان يأمر تلاميذه بذلك ويطلب منه ما يحتاجه ، وأن صلاة المسيح الأخيرة لله دليل عجز المسيح وافتقاره لله وعونه ، وأن ذلك لثقته الفائقة في أن كل شئ مستطاع عند الله . وهذه خلاصة النماذج الستة التي اخترناها مما اتفق عليه الثلاثة .

٢ - كما اتفق متي ومرقس على النص على لسان المسيح أن : علم الساعة خاص بالله الآب وحده ، وأن ماعدا الله جاهل بذلك حتى الابن والملائكة . وأن هذا الدليل لصعوبته يتهرب منه كثر من فحول مفسري الكتاب المقدس . وأن بعضهم يحاول الحل بدون جدوى ، وأنه ما زال وسيظل - بمشيئة الله الواحد - حجر عثرة كما كان مما دفع ويدفع البعض منهم إلى إنكار هذه الفقرة . ذلك أن « الآب » في لغة الكتاب هو الله الواحد . ولو انتهوا عما يقولون به من التثليث لما وهنوا ولا تعبوا في سفسطة المحال والجدل العقيم .

كما أن ذلك المفسرالذي لجأ إلى القرآن كان مثل الحاطب بليل ، لأن النص الذي أتى به من القرآن ليس في موضوع الساعة ، كما أن القرآن أكد حقيقتين فيما يخص الموضوع . أن الله استأثر بعلم الساعة ، وأن المسيح بشر رسول ، وأن القائل بألوهية

المسيح كافر . وأن الإجابة التي قدمها من كتابه المقدس تتلخص في أن المسيح كان إلها مُعَطَّلاً عن العلم في ذلك الحين لأنه أخلى ذاته من بعض خصائصه على حد تعبيره.

٣ - كما اتفق متي ولوقا بالنص على لسان المسيح أنه لا يملك رفع منزلة أحد لأن ذلك حق الله ، الآب رب السماء والأرض .

٤ - كما اتفق مرقس ولوقا على أن اعتقاد التلاميذ في معلمهم أنه كان المسيح فقط أي : ليس إلها كما ادعى من جاء بعدهم بقرون في نيقية سنة (٣٢٥م)- وكان ذلك فيما اخترناه من النصوص الثنائية . وهي كسابقتها تنفي ما يزعمون من الألوهية وتؤكد حقيقة المسيح البشرية .

٥ - ومما اخترناه من النصوص دعما لهذا الموقف الذي يقفه الثلاثة في وجه محاولة التأليه ما تفرد به متى من النص على لسان المسيح مخاطبا ومناجيا لله قائلا : لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد . وأن الله الآب يعلم حاجة المحتاج قبل أن يسأله .

وما تفرد به مرقس من النص على لسان المسيح أن الله واحد لا شريك له ، وأن المسيح خادم جاء ليخدم . وماتفرد به لوقا من النص أيضا على لسان المسيح أنه إنما أرسل ليبشر ، وأن هذه كانت عقيدة التلاميذ فيه . أنه إنما كان إنسانا نبيا .

وخلاصة القول : أن النصوص الثلاثة تنطق بصريح اللفظ الواضح الجلي أن المسيح كان إنسانا نبيا وأنها تصفه بالعجز والإفتقار في الوقت الذي ترفع فيه من شأن ذات الله عز وجل رب السماء والأرض الذي لا شريك له .

وهي بهذا تناقض دعوي محاولة التأليه التي حاولها إنجيل الفلسفة الذي ألف اشباعا لرغبة أفسس .

ومن الدعاوى العارية عن الصحة والتي لا محل في العقل لقبولها قولهم : « إن صور المسيح تختلف بإختلاف المؤلفين المصورين » . لأنه من غير المعقول أن يكون المؤلفون الأربعة جميعا تلاميذ لمعلم واحد ، أو بعض من تلاميذ التلاميذ ويختلفون إلى هذا الحد . ثلاثة يقولون بأنه بشر فقط . ثم يأتي الإنجيل الأخير زمنا بعد رحيلهم ليقول بأنه إله متجسد .

وليس هذا خلافا صوريا شكليا كاختلاف صورالمصورين وإنما هو خلاف حقيقي طبيعي في تفسير ماهية المسيح وطبيعته وحقيقته .

ومن المسلم به : أنه في حال الخلاف يكون للأكثر حكم الكل ، والثلاثة قضاة على الرابع وحكام عليه ، وأن الشاذ الغريب يرفض ولا يعول عليه ، ويرد بالأحرى إلى الفلسفة التي حمل منها وبها وكان هو أيضا والدها ومولودها في المسيحية ، لأنه حمل كما تحمل كتبها اسم إنجيل واسم المسيح .

وليس من شك في صحة مذهب الثلاثة المناقض لدعوى تأليه المسيح المتناقضة من نفسها والمنقوضة بقول مخترعها قبل الثلاثة .

فإن الله بعث المسيح رسولا برسالة سماوية ليبلغها وكان إنسانا ورسولا نبيا . ولم يكن فيلسوفا يونانيا ، لم يقل أنا إله ، وإنما قال أنا إنسان قد كلملكم بالحق الذي سمعه من الله الذي له الملك والقوة والمجد إلى الأبد .



ثانيا: الجانب التاريخي

ونعني هنا بالاختلاف بين الإنجيل الرابع من جهة وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى وتقضي القسمة العقلية بتمييز هذا الاختلاف إلى أنواع ثلاثة كما يلي :

النوع الأول : ما خالف فيه الثلاثة سواء أجمع الثلاثة على رأى واحد ، أم اختلفوا على رأيين ، أم اختلفوا على ثلاثة آراء وفيه ثلاث صور .

النوع الثاني : ما خالف فيه اثنين سواء خالف إجماعها مع سكوت الثالث أم مع موافقة الثالث له ، أم خالف اثنين مختلفين مع سكوت الثالث أو مع موافقة الثالث له وفيه أربع صور .

النوع الثالث : ما خالف فيه أحد الثلاثة . وذلك إما أن يوافقه اثنان ، أو يسكتا ، أو يوافقه أحدهما ويسكت الاخر وفيه ثلاث صور .

النوع الأول ما خالف فيه الثلاثة

أ - ما خالف ما أجمع عليه الثلاثة :

١ - اختلاف الفترة الزمنية لبعثة المسيح :

لا تتجاوز مدة بعثة المسيح سنة واحدة حسب روايات الثلاثة بينما تمتد في الإنجيل الرابع إلى أكثر من عامين ؛ حيث نجد فيه ذكرا لثلاثة أعياد من أعياد الفصح وهو عيد سنوي . وبين الأعيادالثلاثة عامان .

فقد ذكر العيد الأول في الإصحاح الثاني من النص :

« وكان فصح اليهود قريبا فصعد إلى أورشليم » [١] .

وذكر العيد الثاني في الاصحاح السادس من النص :

« وكان الفصح عيد اليهود قريبا » [٢] .

وذكرالعيد الثالث في الاصحاح الحادي عشر من النص :

« وكان فصح اليهود قريبا .. » [٣] وهو بهذا يومئ إلى أن بعثة المسيح قد امتدت

---

(١) [٢ : ١٣] .
(٢) [٦ : ٤] .
(٣) [١١ : ٥٥] .

إلى أكثر من عامين . ويتناقض بهذا مع ما يفهم من الثلاثة وهذا التناقض مشهور بين علماء الكتاب المقدس ولا جدال فيه .

٢ - اختلاف البيئة التي قام المسيح فيها بدعوته :

يفهم من الأناجيل الثلاثة أن المدة التي قام المسيح فيها بنشر دعوته كانت مركزة في منطقة الجليل معظم الوقت .

ويفهم من الرابع خلاف ذلك أنه قضي معظم المدة في اليهودية .

وهذا التناقض أيضا مشهور كسابقه .

قال القس چورچ أبلتون :

« عندما نحاول أن نقابل الإنجيل الرابع مع الأناجيل الثلاثة الأخرى نجد فارقا عظيما بينهما .

فإذا ما اقتصرنا على الثلاثة الأناجيل الأولى فإن خدمة المسيح لا تتجاوز السنة ويكون معظمها في الجليل .

بيد أنا في هذا الإنجيل نجد ذكرا لثلاثة أعياد من الفصح - وأشار إلى النصوص التي نقلناها في الاختلاف السابق - وهكذا تكون خدمة المسيح قد استغرقت ثلاث سنوات ، ومعظمها قد صرف في اليهودية »(١) .

ويقول موريس بوكاي :

" هناك اختلافات على جانب كبير من الأهمية بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى ، ومنها اختلاف خاص بالفترة الزمنية لبعثة المسيح .

إذ يحددها مرقص ومتي ولوقا بعام واحد . أما بالنسبة ليوحنا فهي تمتد إلى أكثر من عامين . ويشير كولمان إلى هذا الأمر .

وأما الترجمة المسكونية فهي تصرح عن هذا الموضوع بما يلي :

على حين تحدثنا الأناجيل الثلاثة المتوافقة عن فترة طويلة بالجليل تتبعها مسيرة نحو الناصره تمتد قليلا أو قد تقصر ثم يليها أخيرا المكوث فترة قصيرة بالقدس فإن يوحنا على العكس ، يسرد انتقالات عدة للمسيح من منطقة إلى أخرى ويتحدث عن

---

(١) چورچ أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا . ترجمة إبراهيم مطر [ص١١] .

مكوثه فترة طويلة بأرض الناصرة وبالقدس على وجه خاص (١). ويشير إلى احتفالات فُصْحِيَّة متعدده – وأشار إلى النصوص التي نقلناها في الاختلاف الأول الزمني – وهو بهذا يوحي بأن بعثة المسيح قد دامت أكثر من عامين ....(٢) أهـ .

إذن فمن يجب أن نصدق ؟؟

وقال وليم باركلي في تفسيره :

« هنا نلاحظ أمرا جديرا بالذكر. فبشارة . يوحنا هي الوحيدة وسط البشائر الأربع التي تنفرد بذكر عديد من الرحلات قام بها السيد في أكثر من فرصة من أعياد الفصح.

البشائر الثلاثة تقتصر على ذكر تفاصيل زيارته الأخيرة إلى أورشليم في الفصح الأخير الذي تم فيه القبض عليه ، وبشارة لوقا تتحدث عدا ذلك عن زيارته لأورشليم في الفصح حينما كان صبيا تقرب سنه من الاثنى عشر عاما .

ولكن بشارة يوحنا هي الوحيدة التي تذكر لنا أكثر من فصح واحد قام فيه السيد بزيارته لأورشليم على الأقل ثلاث فرص – وأشار إلى النصوص التي نقلناها في الاختلاف السابق – وبالإضافة إلى ذلك نري يسوع في زيارته لأورشليم في عيد لم يذكر (٣) اسمه ، وفي عيد المظال (٤). وفي عيد التجديد (٥) .....

البشائر الثلاثة ترينا مسرح خدمة المسيح دائرة الجليل ، وتركز الأضواء عليها ، والبشارة الرابعة تظهر لنا أن خدمة السيد في الجليل كانت قصيرة محدودة (٦) ، أما مجال خدمته الرئيسي فكان في أورشليم (٧) . أهـ .

هل من تفسير مقبول ؟

لا تخرج إجابة المحاولين عن نظرية الجوانب الأربعة للذات الواحدة وهي التي أشرنا إليها في المقدمة – والتي يرمـز لها بالمخلوقـات الأربعة في رؤيا يوحنـا – كما

---

(١) أشار إلى نصوص من إنجيل يوحنا وهي : [١ : ١٩ ، ٢ : ١٣ إلى ٣ . ٣٦ . ٥ : ١] .

(٢) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة [ص ٩٢] .

(٣) [٥ : ١]   (٤) [٧ : ٢ – ١٠] .   (٥) [١٠ : ٢٢]

(٦) النصوص التي أشار إليها : [٢ : ١ – ١٢ ، ٤ : ٣٤ و ٥ : ١ ، ٦ : ١ و ٧ : ١٤] .

(٧) وليم باركلي تفسير يوحنا [ص.١٥ جـ٢] .

يحاول وليم باركلي بقوله :

« كل بشارة تتقدم بالحق في جانب من الجوانب . البشيرون متى ومرقص ولوقا يركزون دراستهم على خدمة المسيح في الجليل ويوحنا يركز دراسته على خدمته في أورشليم » .

ثم أشار باركلي إلى إشارة ضمنية جاءت في نص متى وهي قوله يخاطب أورشليم « .... كم مرة أردت أن أجمع أولادك .... »[١] .

إلى أن المسيح حاول نصحها مرارا .

ثم عاد إلى حديث عن اختلاف الصورة التي يحاول كل مؤلف أن يرسمها للمسيح فقال : « إن كل بشير ينظر إلى يسوع من زاويته الخاصة ليرسم الصورة التي يتمثلها، وهذه الصور الأربع التي بين أيدينا تتكامل معا لتقدم صورة المسيح الخالد »[٢] .

مناقشـــة :

وأول ما يلاحظ الناظر في هذه المحاولة التي قام بها باركلي .

أن القول باختلاف صورة المسيح الواحد تبعا لاختلاف زوايا الرسامين لا ينطبق هنا على أي معنى يمكن أن يكون إجابة .

فإنهم يقولون بزوايا أربع بعدد المؤلفين الذين ألفوا الأناجيل الأربعة وهي ما يرونه في الأسد والثور والإنسان والنسر- حسب رؤيا يوحنا- بينما لا يوجد هنا غير صورتين اثنتين للمسيح :

الأولى :

(أ) الصورة عند الثلاثة للمسيح المخلوق الضعيف المحتاج لله الذي لا يزيد على كونه رسولا نبيا - كما سبق توضيح ذلك ويتفق مع اتجاه الثلاثة هذا بعض نصوص يوحنا التي تحدثنا عنهافي الفصل السابق .

(ب) المدة الزمنية للبعثة عام من الزمن تقريبا .

(جـ) المكان يتركز في الجليل ما عدا زيارته الأخيرة لأورشليم .

---

(١) [متى ٢٣ : ٣٧] .

(٢) وليم باركلي : تفسير يوحنا [جـ١ ص١٥١] .

أما الثانية :

(أ) فالمسيح هو الكلمة - اللوجوس اليوناني - المتجسد .

(ب) المدة الزمنية للبعثة تزيد عن عامين .

(جـ) المكان يتركز في اليهوديـة وأورشليم . ما عدا فترات قليلة في مدن الجليل .

فهاتان صورتان . الأولي حسب تصور الثلاثة وتصويرهم . الثانية كما رسم إنجيل أفسس .

وكان من الممكن أن يقبل كلام باركلي لو أن الزوايا فعلا أربع ولو أن الصور كانت أربع . فلو قال أحدهم إنه كان بشرا ، وجاء الثاني فخالف وقال كان مَلاكًا ، وخالف الثالث فقال كان إلها فقط وجاء الرابع فقال كان إلها متجسدا مثلا - لصدق ما يدعون من الصور المختلفة . لكنك تري أن الثلاثة يجمعون على بشريته ويؤيدهم بعض نصوص الرابع وأنه خالفهم فرسم صورة إله متأنس . وهاتان صورتان لا تزيدان ولا تنقصان .

ولا مراء في أن ما اتفق عليه الثلاثة في شأن زمان ومكان دعوة المسيح يعطي صورة واحدة . تخالف ما خرج به الرابع من الشذوذ والغرابة في التصوير .

أما ما تعلل به باركلي من نص متى « كم مرة أردت أن أجمع » فهو لا يدل صراحة على ما حاول أن يستشفه ضمنيا . لأن نصوص الثلاثة لا تعطي أورشليم غير زيارة واحدة وهي الأخيرة والوحيدة منذ بداية الدعوة . وربما حاول فيها أن يجمع في أكثر من موعظة ألقاها في نفس الزيارة .

ما نراه :

وما نراه . يبدو من اتجاه مؤلف الإنجيل الرابع إلى جعل دعوة المسيح عالمية لكل الأمم في العالم الوثني حينئذ . وذلك واضح من خلال مناقشتنا لموضوعاته في باب الدراسة مثل إباحة الخمر (١) ، والمرأة الزانية (٢) ، والمرأة السامرية (٣) .

---

(١) الفصل الخامس من بحثنا هذا من الباب الثاني .

(٢) الفصل الخامس من بحثنا هذا من الباب الثاني .

(٣) الفصل الخامس من بحثنا هذا من الباب الثاني .

وذلك هو الدافع الذي يفسر قيام المؤلف بتطويل المدة الزمنية ، لتتسع للرحلات المتعددة ، والتركيز على اليهودية وأورشليم في الأعياد الكثيرة المختلفة وذلك لأنها فرصة للالتقاء بوفود الحجاج من يهود الشتات وغيرهم من التجار والمنتفعين .

وذلك بخلاف ما تدل عليه نصوص الثلاثة من قِصَرِ مدة الدعوة ، وقَصْرِ مكانها على المنطقة التي نشأ فيها - ما عدا الزيارة الأخيرة - من أن المسيح كان نبيا محليا أو قوميا غير عالمي . وهذا ما يبدو لنا في دعوة المسيح . وزمانها ومكانها كما يستفاد من نصوص الثلاثة .

٣ - توقيت حادثة تطهير الهيكل :

ويمثل توقيت هذه الحادثة تناقضا خطيرا بين الإنجيل الرابع من جهة وبين الأناجيل الثلاثة من جهة أخري بحيث لا يمكن الجمع بين النقيضين ولا بين الطرفين المتناقضين .

لقد أشرنا في الاختلاف الأول الزمني إلى أن مؤلف الإنجيل الرابع نص على أن المسيح حضر أعياد فصح سنوية ثلاثة في أورشليم ، وأنه نص على أولها في الإصحاح الثاني من إنجيله [١] ، وقد نص على أن المسيح قام في هذه الزيارة للهكيل بتطهيره . إذ قام بطرد الباعة والصيارفة منه .

« وكان فصح اليهود قريبا فصعد إلى أورشليم . ووجد في الهكيل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما والصيارف جلوسا . فصنع سوطا من حبال وطرد الجميع من الهيكل الغنم والبقر وكب دارهم الصيارف وقلب موائدهم وقال لباعة الحمام ارفعوا هذه من ههنا . لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة [٢] ..... »

وهذا يعني أن هذا الحادث وقع في بداية الدعوة لأنه في أول الأعياد الثلاثة وفي بداية روايته للأحداث التي يسردها في إنجيله .

أما المؤلفون الثلاثة فقد أوردوها قبيل حادثة القبض عليه ليصلبوه فقد أوردها مؤلف متي في الإصحاح الحادي والعشرين [٣] ، وأوردها مؤلـف مرقـص في الإصحاح

---

(١) [٢ : ١٣] .   (٢) [٢ : ١٣ - ١٦] .

(٣) [٢١ : ١٢ - ١٣] .

الحادي عشر [١] ، وأوردها مؤلف لوقا في الإصحاح التاسع عشر [٢] ، وهذه الحادثة بحسب نصوص الثلاثة هي السبب في عداوة اليهود للمسيح ونقمتهم عليه .

قال القس چورچ ابلتون :

« يورد يوحنا هذه الحادثة في بدء خدمة السيد في حين أن الأناجيل الثلاثة الأخرى تضعها في النهاية وهم يعزون إليها سبب نقمة رجال السلطة والمسئولين وأن تكون هي التي مهدت إلى موته » [٣] .

هل من تفسير مقبول لهذا المشكل ؟ :

يقول الدكتور وليم باركلي في تفسيره :

« هناك مشكلة أخرى ؛ نرى يوحنا يضع حادثة التطهير في بداية خدمة يسوع الجهارية بينما البشائر الثلاث تضع الحادث قبيل صلبه – وأشار إلى مواضع النصوص التي أشرنا إليها –

ولقد تقدم بعض المفسرين بحلول لهذا المشكل نوردها فيما يلي :

١ – قال البعض ممن شط بهم التفكير : إن يوحنا كتب إنجيله الذي لم ينشر في حياته على قطع من ورق البردي جمعت ورتبت بعد وفاته وإنه اتفق أن ذاك الذي قام بجمعها وترتيبها اختلط عليه الأمر فقام بوضع إحدى الصفحات الأخيرة التي تحوي حادثة التطهير في بداية الإنجيل ! ثم رفض هذا الرأي .

٢ – وقال آخرون ممن يتحررون في تفكيرهم من التمسك بعصمة الوحي : إن يوحنا على صواب في وضع هذا الفصل في بداية خدمة يسوع وأن البشائر الأولي قد خانها التوفيق .

ولكننا نري ... أن حادثة تطهير الهيكل تتفق مع الترتيب المنطقي لو جاءت في نهاية خدمة يسوع فهي تمثل الحلقة المناسبة التي تربط دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم بحادثة الصلب ، إن التتابع الطبيعي التاريخي يقتضي هذا الدخول الإنتصاري ثم تطهير الهيكل ، ثم النتيجة الحتمية – الصلب .

---

(١) [١١ : ١٥ – ١٨] .　　(٢) [١٩ : ٤٥ – ٤٨] .

(٣) چورچ أبلتون : شهادة إنجيل يوحنا [ص ٣٠] .

٣ – وقال آخرون : ان يوحنا يهتم بالحق أكثر من تقصيه للحقيقة فهو لم يوجه اهتمامه إلى كتابة تاريخ مسلسل لحياة المسيح في تتابع منطقي بقدر ما وجه اهتمامه لحوادث معينة يستخلص منها دروسا خالدة " إلى أن قال باركلي :

" ومع كل هذا يبقى المشكل قائما أمامنا أن البشير الرابع أهمل الترتيب المنطقي للأحداث ، وأن هناك تعارضا بينه وبين كافة البشائر الأخرى .

٤ – على أن الحل الأخير الذي نعتقد أنه الحل المنطقي هو : أن السيد قام بتطهير الهيكل مرتين مرة في بداية خدمته ، ومرة في نهايتها ، والفترة ما بين هذه وتلك هي فترة خدمة المسيح بأكملها ....

ولقد اعترض البعض على مثل هذاالحل بأنه إن كان يسوع قد قام في البداية بمثل هذا العمل الحازم الذي تحدى سلطة الكهنوت في عقر دارهم ، فلماذا لا يتخذ الكهنة كافة الاحتياطات الممكنة لمنع تكرار وقوع مثل هذا العمل المهين لهم في قلب دارهم وخاصة في أيام العيد . التي تكون فيها أورشليم مكتظة بالحجاج الوافدين من كل مكان والتي يخشى فيهامن إثارة الفتن والمتاعب ؟ ألم يكن هناك حرس الهيكل الذين هم رهن إشارتهم ؟

ونحن نجيب بأن هنا تكمن قوة يسوع المعجزية وسلطانه على الآخرين فلم تمتد إليه يد بسوء لا في هذه المرة ولا في المرة التي تلتها لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد »[1] أ هـ .

ما نراه :

ونحن نري أن ما ذهب إليه باركلي – وإن كان جائزا عنده – غير جائز . فإن ما سطره الأربعة ليس فيه ما يشير إلى ذلك وهم الذين اهتموا بتسطير سيرة المسيح وإن كان المسيح على رواية الثلاثة لم يظهر في الهيكل إلا في هذا العيد وهو الذي أدى إلى تدبيرهم مكيدة القبض والصلب . فإن من غير المعقول أن يعيش المسيح بعده عامان . دون أن يتعرض للهيكل ، وسنزيد ذلك إيضاحا فيما بعد .

---

(١) وليم باركلي : تفسير يوحنا [جـ١ ص١٥٤] .

٤ - سبب القبض على المسيح لصلبه :

ونقصد السبب المباشر الذي قرر الكهنة بعده أن يوقعوا بالمسيح . وقد خالف مؤلف الإنجيل الرابع المؤلفين الثلاثة في ذلك :

فقد نص مؤلف الرابع على أن معجزة إقامةلعازر الميت من القبر كانت السبب المباشر لتحرك الهيود ضده في تنفيذ مؤامرة القبض عليه وتسليمه لرجال السلطة . وقد عقب بعد الحادثة المذكورة قائلا بالنص :

ورفع يسوع عينيه إلى السماء وقال أيها الآب أشكرك ....ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلما خارجا . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع دعوه وحلوه يذهب .

فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا مافعل يسوع آمنوا به . وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة إن تركناه هكذا يؤمن به الجميع فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعناوأمتنا فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيسا للكهنة في تلك السنة . أنتم لستم تعرفون شيئًا ولا تفكرون إن خيرا لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها ....

فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه فلم يكن يسوع أيضا يمشى بين اليهود علانية بل مضي من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال ها أفرايم ومكث هناك مع تلاميذه .

وكان فصح اليهود قريبا (١) .

وقد استغرقت مشاورتهم فترة وجيزة لأن الفصح كان قريبا وهوالعيد الثالث المشار إليه في الخلاف الزمني وواضح أن إقامة لعازر كانت هي السبب المباشر الذي جعلهم يعقدون مجمعا ليتشاوروا في أمره ليقتلوه .

وقد سبق حديثنا عن المعجزات التي رواها مؤلف الإنجيل الرابع وقد أشرنا إلى أن قصة إقامة لعازر من القبر لا أثر لذكرها عند الثلاثة ولا أي منهم .

---

(١) [١١ : ٤١ ، ٤٣ و٥٠ ، ٥٣ - ٥٥] .

ومنطقي أنه ما دام قد جعلها السبب المباشر للقبض على المسيح فإن السبب عند الثلاثة يكون غيرها وهذا ما يؤكده واقع النصوص الثلاثة .

والذي تفيده نصوص الثلاثة أن السبب المباشر الذي حَرَّك رؤساء الكهنة والكتبة ضده هو حادث الهيكل .

قال نص متي : " ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام وقال لهم مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعي ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ، وتقدم إليه عمى وعرج في الهيكل فشفاهم ، فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التي صنع والأولاد يصرخون في الهيكل أوصنا لابن داود غضبوا وقالوا له أتسمع ما يقوله هؤلاء فقال لهم يسوع نعم ....

ولما جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم قائلين بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان فأجاب يسوع ....

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي " (١).

وقال نص مرقس بعد رواية واقعة طرد الباعة والصيارفة مباشرة : « .... وأنتم جعلتموه مغارة لصوص وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه (٢) » . وبحسب نص مرقس : التقوا به في اليوم التالي وكان معهم الشيوخ : « وقالوا له بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل (٣) ».

وبمثله قال لوقا ثم زاد فقال :

« وطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيدي عليه في تلك الساعة ولكنهم خافوا الشعب .....

فراقبوا وأرسلوا جواسيس يترائون أنهم أبـرار لكي يمسكوه بكلمة حتي يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه » (٤) .

---

(١) [٢١ : ١٢ – ١٥ ، ٢٣ ، ٤٥ ، ٤٦] .

(٤) [١١ : ١٧ ، ١٨] . (٣) [١١ : ٢٨] .

(٤) [٢٠ : ١٩ – ٢٠] .

وتفيد نصوص الثلاثة أن ذلك كان قبل يوم الفصح بأيام قلائل . وهذا التناقض يؤكد سابقه في اختلاف كل من نص الرابع والنصوص الثلاثة .

لابد مما ليس منه بد :

والمسألة إذن أعمق مما يحاول الدكتور وليم باركلي أن يصورها . وان كان في تسميته لها بالمشكلة والحلول التي تعرض لذكرها ونقدها ما يَـدلّ على أنها ذات وزن حتى أصبحت في نظره مشكله .

أما قوله في حادثتي تطهير للهيكل أولهما في البداية لدعوة المسيح ، والثانية في النهاية . فكيف غفل الثلاثة عن ذكر الأولى ولم غفل الرابع عن الثانية ؟ وربما يبدوا لهم أن فيما يقدمون حلولا لهذه المشكلة .

ولكن التناقض الذي لا يمكن رفعه هوالخلاف في سبب القبض عليه فإنه عند الرابع قصة إقامة لعازر . وعند الثلاثة حادث الهيكل ؟؟

وإنما قاموا بعملية قبض واحدة أسلموا المقبوض عليه فيها للمحاكمة والصلب ، فإما أن يكون السبب هذا أو ذلك ؟؟ أو يكون هناك مسيحان للرابع واحد . وللثلاثة الآخر لاختلاف السببين ؟؟ أو يكون المقبوض عليه واحد قبض عليه مرتان ؟؟ .

وواضح أنه ليس هناك من تعدد في الصور ، وأنهماصورتان فقط الصورة التي اتفق عليها الثلاثة وهي أقرب للمعقولية . من تلك التي لا توجد إلا في مخيلة أفسس التي طلبت تاليه البشر .

٥ - الاختلاف حول إشباع المسيح الجموع من أرغفة خمسة وسمكتان:

سبق لنا الحديث عن المعجزات في الفصل الخامس من الباب الثاني .

تناولنا فيه إشباع المسيح لهذه الجموع من خمسة أرغفة وسمكتان لأنها ثانية اثنتين لم يتفق مؤلف يوحنا مع مؤلفي الثلاثة على غيرهما .

وبمقارنة نصوص الأربعة يتضح لناتفرد مؤلف يوحنا بأمور لم ترد في نصوص أحد منهم . ونقدم نصوص الثلاثة ثم نتبع ذلك بنصه ثم نوضح ما خالفهم فيه .

أولا : نصوص الثلاثة :

أ - قال مؤلف متى :

« فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم وشفى مرضاهم ولما صارالمساء تقدم إليه تلاميذه قائلين : الموضع خلاء والوقت قد مضى اصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم يسوع : لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أنتم ليأكلوا ، فقالوا له : ليس ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتوني بها إلى هنا ، فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطي الأرغفة للتلاميذ ، والتلاميذ للجموع فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد »(١) .

ب - وقال مؤلف مرقس :

« فلما خرج يسوع رأي جمعا كثيرا فتحنن عليهم إذ كانوا كخراف لا راعي لها فابتدأ يعلمهم كثيرا ، وبعد ساعات كثيرة تقدم إليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت مضي اصرفهم لكي يمضوا إلى الضياع والقرى حوالينا ويبتاعوا لهم خبزا لأنه ليس عندهم ما يأكلون ، فأجاب وقال لهم اعطوهم أنتم ليأكلوا ، فقالوا له أنمضي ونبتاع خبزا بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا ، فقال لهم كم رغيفا عندكم اذهبوا وانظروا . ولما علموا قالوا خمسة وسمكتان . فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقا رفاقا على العشب الأخضر فاتكئوا صفوفا صفوفا مئة مئة وخمسين خمسين فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك ، ثم كسّر الأرغفة ، وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم وقسم السمكتين للجميع ، فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوة ومن السمك ، وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل »(٢) .

جـ وقال مؤلف لوقا :

« فابتدأ النهار يميل فتقدم الاثنا عشر وقالوا له : اصرف الجمع ليذهبوا إلى

---

(١) [١٤ : ١٤ - ٢١] .   (٢) [٦ : ٣٤ - ٤٤] .

القرى والضياع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاما لأننا ههنا في موضع خلاء فقال لهم : أعطوهم أنتم ليأكلوا فقالوا ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين إلا أن نذهب ونبتاع طعاما لهذا الشعب كله لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف فقال لتلاميذه اتكئوهم فرقا خمسين خمسين ففعلوا هكذا واتكأوا الجميع ، فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وباركهن ثم كسر وأعطى التلاميذ ليقدموا للجمع فأكلوا وشبعوا جميعا ثم دفع ما فضل عنهم من الكسر اثنتا عشرة قفة »[1] .

ثانيا : أما مؤلف يوحنا فقد قال مانصه :

« بعد هذا مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وتبعه جمع كثر لأنهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى ، فصعد يسوع إلى جبل وجلس هناك مع تلاميذه ، وكان الفصح عيد اليهود قريبا . فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل إليه فقال لفيلبس : من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء وانما قال هذا ليمتحنه لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل . أجابه فيلبس : لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا ، فقال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان . . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟

فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون وكان في المكان عشب كثير ، فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ والتلاميذ أعطوا المتكئين وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شئ . فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم ، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا إلى الجبل وحده »[2] .

---

(١) [٩ : ١٢ - ١٧] .

(٢) [٦ : ١ - ١٥] .

ثالثا : المقارنة بين نص مؤلف يوحنا والنصوص الثلاثة ليتضح ما خالفهم فيه وهو ظاهر كما يأتي :

١ – انفرد مؤلف يوحنا بتعيين المكان « وعبر بحر الجليل وهو بحر طبرية وأنه صعد إلى جبل » وذلك بخلاف الثلاثة .

٢ – كذلك انفرد مؤلف يوحنا بادّعاء أن ذلك كان من المسيح على طريق قصد إظهار المعجزة ، وهذا مخالف للثلاثة .

٣ – كذلك انفرد مؤلف يوحنا بادّعاء أن المسيح لم يفعل ذلك كإنسان بل لأنه الله، وذلك من خلال نصه على أن سؤال المسيح لفيلبس لم يكن عاديا كما يدل الموقف بل كان امتحانا له لأن المسيح كان يعلم مسبقا بما سيحدث : « وإنما قال هذا ليمتحنه لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل » وذلك لا أثر له في رواية الثلاثة .

٤ – كذلك انفرد بتخصيص فيلبس واندراوس بالذكر وذلك بخلاف الثلاثة فقد رووا عن التلاميذ عموما بدون تخصيص .

٥ – كذلك انفرد بتخصيص وجود الأرغفة الخمسة والسمكتين عند غلام بينما يفيد الثلاثة أن هذا الطعام كان عند التلاميذ .

٦ – كذلك انفرد بإغفاله رفع المسيح نظره إلى السماء حين ناولوه ذلك الطعام قبل دعائه لربه أن يبارك . وذلك بخلاف ما نص عليه الثلاثة . مما يتماشى مع نظرتهم للمسيح من أنه لا يزيد عن كونه رسولا مخلوقا محتاجا لتأييد خالقه الذي أرسله .

٧ – كذلك انفرد باغفاله تكسير المسيح للخبز وذلك مخالف لإجماع الثلاثة .

٨ – كذلك انفرد بتعيين الأرغفة أنها من الشعير وذلك مما أغفله الثلاثة .

٩ – كذلك انفرد بما ذكر عن الحاضرين أنهم قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم . وذلك مما سكت عنه الثلاثة .

١٠– كذلك انفرد بقوله : وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف إلى الجبل وحده [١] وذلك مخالف للسكوت الذي التزم به الثلاثة.

٦ – الاختلاف في العشاء الذي كشف المسيح فيه يهوذا الخائن :

وهو ذلك العشاء الذي يسمى العشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه . نص مؤلف يوحنا على أنه كان قبل يوم الفصح بقوله :

---

(١) لمزيد من التعليق راجع : عبد الرحمن باجه جي : الفارق بين المخلوق والخالق في التعليق على رواية متى للقصة [ص١٠١] وما بعدها .

« أما يسوع قبل عيد الفصح .... فحين كان العشاء وقد ألقي الشيطان في قلب يهوذا سمعان الأسخريوطي أنه يسلمه ... »[1] .

كما نص مؤلف يوحنا على أن محاكمة المقبوض عليه – بتوهم أنه المسيح تمت قبل أن يأكل اليهود الفصح بقوله :

« ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ، ولم يدخلوا إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا [2] فيأكلون الفصح ، فخرج بيلاطس إليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان »[3] .

ومفاد ذلك أنه حتي تلك اللحظة التي خرج إليهم فيها بيلاطس . لم يكن موعد أكل الفصح قد جاء ، ولذلك بقوا حريصين على طهارتهم حتي يأكلوا الفصح . بينما يفيد المؤلفون الثلاثة الآخرون : أن المسيح تناول عشاء الفصح مع التلاميذ في بداية الليلة التي تم القبض فيها على المصلوب .

قال مؤلف متى :

« وفي أول أيام الفطير تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له إلى أين تريد أن نعد لك لنأكل الفصح فقال اذهبوا في المدينة إلى فلان وقولوا له : المعلم يقول إن وقتي قريب عندك أصنع الفصح مع تلاميذي . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح . ولما كان المساء اتكأ مع اثني عشر وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني فحزنوا جدا ...... »[4] .

ومفاد ذلك أنه أكل معهم الفصح في أول أيام العيد . تناول معهم طعامه في العشاء الأخير عينه كما يسمون .

« وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضي ونعد لنأكل الفصح فأرسل اثنين من تلامـيذه ..... فأعدا الفصح . ولما كـان

---

(١) [١٣ : ١ – ٢] .

(٢) سبب امتناعهم عن الدخول هو ما ورد عندهم في التعاليم الشفهية من أن مسكن الأمم نجس ، وخوفا من وجود خمير في دار الولاية فيتنجس اليهودي الداخل لهذا أيضا ، لأن الخمير رمز الشر ويتحتم على الداخل المخالف أن يجتاز بعد الدخول في فرائض خاصة حتي يستعيد طهارته قبل الدخول [وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا [جـ ٤ : ص ٤٦٦] .

(٣) [١٨ : ٢٨ – ٢٩] .

(٤) [٢٦ : ١٧ – ٢٢] .

المساء جاء مع الاثني عشر وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع : الحق أقول لكم أن واحدا منكم يسلمني .... »[1] .

والمماثلة بين المؤلفين في التوقيت الذي نحن بصدده ، وتابعهما على ذلك مؤلف لوقا فقال :

« وجاء يوم الفطيرالذي كان ينبغي أن يذبح فيه الفصح فأرسل بطرس ويوحنا قائلا اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل فقالا له ، أين تريد أن نعد فقال لهما ....

وأعدا الفصح . ولما كانت الساعة اتكأ والاثني عشر رسولا معه ، وقال لهم : شهوة اشتهيت أن أكل الفصح معكم قبل أن أتألم ....

ولكن هو ذا يد الذي يسلمني هو معي على هذه المائدة .... »[2] .

وقد اشتد هذا الاختلاف لدرجة كبيرة حتي أن كثيرين من مفسري نص مؤلف يوحنا يتهربون منه ويتغافلون ، وذلك كما فعل الدكتور وليم باركلي والدكتور وليم إدي عند تعرضهما لذلك من نص يوحنا .

بعض آخر منهم يرجح رأي يوحنا وذلك كما فعل الدكتور ابراهيم سعيد الذي ذهب إلى أن : « المسيح قد أكل الفصح مع تلاميذه قبل موعد الفصح المعتاد بيوم واحد[3] » وذلك يعني تكذيبه لرواية الثلاثة القائلة بأنه تناول معهم العشاء الأخير في أول أيام العيد .

وهذا الرأي يلزم القائل بأن المسيح بفعله هذا نقض الناموس مع أنه إنما جاء ليكمل لا لينقض . فضلا عن تكذيب رواية الثلاثة .

وبعض آخر منهم يرجح رأي الثلاثة ويتهم يوحنا بأنه غير وبدل وذلك كما نقل الأستاذ المهندس أحمد عبد الوهاب عن كتاب " تفسير انجيل متى : لجون فنتون عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بانجلترا من قوله :

« يتفق متى مع مرقس[4] ، في أن العشاء الأخير كان هو الفصح وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل في المساء بعد موت يسوع ....

---

(١) [مرقس ١٤ : ١٢ – ١٧] . (٢) [لوقا ٢٢ : ٧ – ٢١] .

(٣) إبراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا [ص٥٥٩] .

(٤) وكذلك لوقا [٢٢ : ٨] .

ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقس صحيح ، وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائديه » [١] .

والتغيير والتبديل بمعنى واحد . ومعنى ذلك أن مؤلف يوحنا لم يراع في روايته جانب الصدق والواقع ولكنه آثر اتباع هواه . لكي يجعل يوم الفصح هو اليوم الذي تم فيه صلب المسيح الذي لقبه « حمل الله الذي يرفع خطية العالم » أي خروف الفصح ولا احترام للتاريخ ولا لغير التاريخ عند مؤلف إنجيل الفلسفة وعقائد الوثنية .

تساؤل عن يوحنا ابن زبدي تلميذ المسيح :

والمتأمل في نص مرقس السابق يلاحظ أن المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ليعدا له الفصح ، وفي نص لوقا تحديد التلميذين بأنهما بطرس ويوحنا ، فكيف كان يوحنا حاضرا في روايتهماكمايظهرهنا ثم يخالفهما في روايته التي يزعمون أنها من تأليفه ؟؟

مع أن الاثنين فضلا عن الثلاثة أفضل من الرابع بمفرده ، وأقرب منه زمنا للمسيح، وأقرب منه للتصديق والمعقولية فكيف خالف إلى رواية شاذة عن روايتهم وغاب عنه ما كان يحضره . وليس ذلك بدعته الوحيدة في الرواية التي معنافقد ابتدع فيها غسل المسيح لأرجل التلاميذ - كما تحدثنا سابقا عن ذلك .

ولا يتأتى ذلك من يوحنا بن زبدي لو كان هو المؤلف الحقيقي للإنجيل الرابع ، وهذا مما يؤكد أن المؤلف ليس ابن زبدي تلميذ المسيح وانما هو يوحنا الشيخ اللاهوتي تلميذ الفلسفة وربيب بولس .

بعض أسماء هذا العشاء في الكنيسة المعاصرة :

وهذا العشاء الأخير والذي ناول المسيح الخبز والشراب لتلاميذه فيه وهو يقول عنهما هذا هو جسدي وهذا هو دمي - وذلك بحسب رواية الثلاثة ، وإن كان الرابع قد أغفل هذه العبارة ثم زاد غسل الأرجل - وهو بحسب رواية الثلاثة قد وقع مساء يوم الخميس ليلة صباح يوم الجمعة الذي حدث فيه الصلب ، أما بحسب رواية مؤلف الرابع فقد حدث هذا العشاء مساء يوم الأربعاء ليلة صباح يوم الخميس الذي حدث

---

(١) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية [ص١٣٤] = نقلا عن مرجع فنتون المشار إليه [ص٤١٥] .

فيه المحاكمة والصلب ، لأن الخميس في تلك السنة كان هو أول أيام العيد ، وما يزال أتباع الكنيسة يحتفظون بهذه الذكرى على ما بها من هذا الخلاف بين أناجيلهم المقدسة ، ومؤلفيها الذين يزعمون أنهم كتاب الوحى الأمناء المعصومون . فهل يا ترى أخطأ الكاتب الملهم فتسقط عصمته ويصبح مؤلفا أقل من حاذق دقيق ؟؟ أم هو معصوم والوحى هو المخطئ كما ذهب إلى ذلك بعض منهم ؟؟

ومن أسماء هذا العشاء المختلف فيه ما ذكره الأستاذ حبيب جرجس مديرالكلية الاكليركية للأقباط الأرثوذكس سابقا في كتابه « أسرار الكنيسة » قال : « سمى هذا السِّر منذ القدم بأسماء متعددة فدعى » : « سر الشكر » و « العشاء الربانى » و «العشاء السري » و « العشاء الإلهى » و « مائدة الرب » و « المائدة المقدسة » و «المائدة السرية » و « سر المذبح » و « خبز الرب » و « خبز الله » و « الخبز السماوي » و «الخبز الجوهري » و « جسد المسيح » و « الجسد الربانى » و « الخلاص المقدس » و «دم المسيح » و « الدم الكريم » وسمى أيضا : « شركة » و « اتحاد » و « كأس الحياة الخلاصية » و « الأسرار المقدسة » و « الأسرار الإلهية » و «الأسرار المخوفة السماوية» و « النبيحة المقدسة السرية " وهكذا من الأسماء الرهيبة [1] » أهـ .

وهذا السر هو أسمى أسرار الكنيسة السبعة . قال حبيب جرجس أيضا فى كتابه معرفا به :

« تعريف السر وسموه على باقى الأسرار :

سر الشكر هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس ويشرب دمه الزكى تحت أعراض الخبز والخمر . ولهذا السر المقام الأسمى بين الأسرار السبعة المقدسة ....

أما فى السر الأقدس فيستحيل جوهرالمادة لأن الخبز والخمرمع حفظهما شكليهما وأعراضهما يستحيلان بوجه سري عجيب إلى جسد المسيح ودمه [2] » .

ولا بد من الإيمان بإستحالة جميع الخبز والخمر فى مختلف الكنائس إلى جسد المسيح ودمه حقيقة مع مناقضة ذلك للعقل .

والقائل بأن الخبز والخمر اللذان يتناولهما أتباع الصليب فى البقاع المختلفة كل عام إنما هما رمز لجسد المسيح ودمه الحقيقيين يعتبر كافرا - هرطوقيا - ومن هؤلاء

---

(١) حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة [ص٥٧] .

(٢) المرجع السابق [ص٦٠] ويقصد بقوله : (يستحيلان) أنهما : يَتَحَوَّلان والاستحالة على هذا هي : تحول الخبز والخمر إلى لحم المسيح ودمه .... وهذا يستحيل بل هو عين الاستحالة لأنه : محال مستحيل .

« زونكل وكالفن ويوحنا ويكلف الإنجليزي » من زعماء الإصلاح الديني في العصر الحديث ومن قبلهم . البطرسيون (تلاميذ بطرس دي بريز بفرنسا في القرن الثاني عشر وأتباع هنريكوس الايطالي) وكذلك طائفة الالبيجنسيين في القرن الثالث عشر ، وغيرهم كثير. وجميع هؤلاء متبعون ليوحنا أريجانا الإيرلندي في القرن التاسع الميلادي الذي أعلن في أحد كتبه « بأن هذا السر لا يحوي جسد المسيح ودمه حقيقة »[1] .

واستمداد المسيحية من العقائد الوثنية السابقة عليها واضح في استعارتها هذه العقيدة وليس هذا من شأن الديانات السماوية وليس مما نهتم هنا بمناقشته .

ويهمنا هنا موقف يوحنا من تحديد موعد هذا العشاء الرهيب السر الذي ناقض فيه إجماع الثلاثة الآخرين . ويتبع ذلك الخلاف في تحديد اليوم الذي حدث فيه الصلب.

٧ - الاختلاف في تحديد يوم الصلب :

كان عشاء الفصح المقصود هو العشاء الذي تناوله اليهود مساء يوم الخميس ليلة صباح يوم الجمعة ، وقد تمت المحاكمة للمقبوض عليه في صباح اليوم ولم يكن اليهود قد أكلوا الفصح لأن المساء لم يكن قد حل ، ولذلك لم يدخلوا إلى دار الوالي الأجنبي (الأممي) لكي لا يتنجسوا حسب شريعتهم .

وقد صلب المسيح حسب رواية مؤلف يوحنا قبل حلول المساء الذي يتناول فيه عشاء الفصح وذلك يعني أنه صلب يوم الخميس .

أما رواية الثلاثة فتفيد أن المسيح تناول عشاء الفصح مع تلاميذه في الموعد المعتاد - أول أيام العيد - أي مساء الخميس ليلة صباح الجمعة ثم قبض عليه في تلك الليلة ثم حوكم وصلب في اليوم التالي لها أي يوم الجمعة .

فعلى رواية المؤلف الرابع يكون المسيح قد صلب يوم الخميس وعلي رواية الثلاثة يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة .

ومن حق القارئ الكريم الفاضل أن يوجه معنا هذا السؤال الحائر :

هل حدث الصلب يوم الخميس حسب رواية مؤلف يوحنا ؟؟

أم أنه حدث يوم الجمعة حسب رواية الثلاثة ؟؟

---

(١) المرجع السابق [ص ٦٠] .

وأي الروايتين نصدق ؟؟ [1] .

٨ - الاختلاف في تعيين حالة المسيح النفسية حين أحس خيانة يهوذا:

اتفقت نصوص الثلاثة على أن المسيح حين أحس الخيانة دعا ربه بعدها أن يصرف عنه كأس الموت الذي يريده الأعداء له . وأنه كان مكتئبا حزينا لتيقنه بالموت وهو في تلك الليلة، وأنه انفرد عنهم وابتهل إلى الله أن ينقذه وينجيه. لكن مؤلف الرابع خالف إجماع الثلاثة حيث أفاد بنصه أن المسيح طلب من يهوذا أن يعجل الخيانة .

« فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي فبعد اللقمة دخله الشيطان فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة » [2] .

ولم يقبض عليه وهو يرى الشيطان يدخله بين يديه ، وكان هذا مقتضي الكياسة حتى تجهض الفتنة لساعتها .

لكن المؤلف النحرير خالف فقال بأنه أرسله واستعجله :

« فلما خرج قال يسوع : الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه إن كان الله قد تمجد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعا » [3] .

قال صاحب كتاب الفارق تعليقا على هذا الاختلاف :

« مقتضى هذه الروايات أن يهوذا إنما فعل ذلك إن صح فهو بأمر عيسى ، وأن المسيح استبشر بموته لخلاص العالم ، فكيف يصح على رواية الثلاثة أنه طلب من الله تعالي أن ينجيه من تلك الساعة ويأمر التلاميذ بشراء السيوف ؟

فقد جاء في نص لوقا أن المسيح حين أحس بالغدر أمرهم بشراء السيوف « من له كيس فليأخذه ومزود كذلك . ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا » [4] .

مع أنه لم يأت إلى هذا العالم إلا لغاية أن يصلب ويموت . كما هو نص الأناجيل الأربعة فهل بعد هذا التناقض يقدر المسيحي أن يقول : إن الوحي قد ألقى مضمون الإنجيل في قلوب الإنجيليين وهم أفرغوه بعبارات شتى لا تختلف في المعنى وإن اختلفت في اللفظ ....

---

(١) للمزيد راجع : أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية [ص١٣٥] .

(٢) [يوحنا ١٣ : ٢٦ ، ٢٧] . (٣) [يوحنا ١٣ : ٣١ ، ٣٢] .

(٤) [لوقا ٢٢ : ٣٦] .

وقد ظهر لك اختلاف المعني ظهورالشمس في رابعة النهار»[1] .

يقول الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

(أما رواية لوقاعن آلام المسيح فنجد فيها ما يجعلنا نعرضها إذ أنها تقول :

وخرج ومضي كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ولما صلى قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة . وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا : يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك وظهر له ملاك من السماء يقويه ، وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض .

ثم قام عن الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم : لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربه [2] .

ويقول چورچ كيرد [3] في تفسيره لهذه الفقرات :

حسب رواية مرقس (الذي كان مصدرا للوقا) نجد أن يسوع بدأ يكتنفه الآن الفزع والذهول ، وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذي صحب استنزاف حياته وتلاشيها ، ولماكان غير قادر على رفقة أعز أصحابه (تلاميذه) فإنه قضي الليل في تشنجات متتالية من صلاة المكروب .

لكن رواية لوقا المختصرة (بالنسبة لرواية مرقس) تعطينا بقدر الإمكان انطباعا أقوى عن حالة الاضطراب التي حلّتْ بيسوع . فلقد أخبرنا أن يسوع هو الذي انتزع نفسه بعيدا عن أصحابه وأنه كان في ألم مبرح ، وأن عرقه صار مثل قطرات دم .

وعندما نتذكرالشجاعة والثبات التي واجه بها الموت رجال آخرون شجعان . بكل أشكاله البربرية وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التي كان يرجو الله في صلاته أن يجيزها عنه .

---

(١) عبد الرحمن باجه : الفارق بين المخلوق والخالق [ص٢٢٢] .

(٢) [لوقا ٢٢ : ٣٩ - ٤٦] .

(٣) دكتور چورچ فورد كيرد : مؤلف كتاب : تفسير إنجيل لوقا ، الذي رجع إليه المهندس أحمد عبد الوهاب وكان كيرد استاذ دراسات العهد الجديد بجامعة مكجيل بكندا ثم عميدا لكلية اللاهوت المتحدة وكذلك عمل أستاذا لجامعة أكسفورد ورئيسا للجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس .

إن صلاة يسوع ترينا أن عذاب الشك كان أحد عناصر محنته المعقدة فلكم تنبأبآلامه لكنه الان عشية حدوثها ، نجده ينكص على عقبيه ولم يكن هذا مصحوبا فقط بالتقلص الطبيعي الذي ينشأ عن التعذيب البدني بل كان يصحب ذلك الخوف من أن لا تكون تلك المعاناة بعد كل ذلك هي مشيئة الله .

إن تحذير يسوع لتلاميذه من خطر التجربة يكشف لنا عن شعوره بأنه شخصيا وتلاميذه قد أحاطت بهم سلطات الظلمة الروحية ، التي جاهدها في مستهل دعوته ، ولقد كان من بواعث محنته ما شعربه من أن جهاده وما كان يمثله من طهر وكمال يتعرض آنذاك بصورة مروعة لعملية اغتصاب نهائي على يد سلطات الظلمة .

هذا ولما كانت بعض المراجع القديمة تحذف العددين : (٤٣ ، ٤٤) وهما (وظهر له ملاك من السماء - إلى قوله - وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض (رغم وجودها في أغلب النسخ ، والمام علماء المسيحية في القرن الثاني بهما « فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا (التي رسمتها هذه الفقرة) وقد اكتنفها الضعف البشري ، كان يتضارب مع اعتقاده في الإبن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهره » .

(انتهي قول كيرد ثم قال الأستاذ أحمد عبد الوهاب مكملا) :

وأما رواية يوحنا فإنها تذكر أن يسوع استنفذ الفترة ما بين خروج يهوذا لتنفيذ مؤامرته ، وعودته مع القوة التي جاءت للقبض على معلمه في جعل يسوع يلقي محاضرة طويلة على تلاميذه استغرقت أكثر من أربعة إصحاحات هي :

بقية الإصحاح ١٣ ثم الاصحاحات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ فكانت تمثل بذلك نحو ٢٠٪ من حجم إنجيل يوحنا وقد تخلل تلك المحاضرة حوار بين يسوع وتلاميذه . وفي كل هذا نجد يوحنا يركز على ما اعتبره البعض فيما بعد تأكيداً على لاهوت المسيح .

ففي هذه المحاضرة الطويلة قال يوحنا على لسان المسيح :

" الذي رآني فقد رأى الآب .... أنا في الآب والآب في ...... الآب الحال في هو يعمل الأعمال ... ليكن الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ..... أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد ....

ولما قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه .

فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلي هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون »[1] أ هـ[2] .

ولا شك في أن مؤلف يوحنا ماهر في تحويل الواقع وتحويره لدرجة القول على لسان المسيح واستنطاقه بما طلبه أهل أفسس . وقد كان سَتْرُ صنيعه من الممكن أن لا ينكشف لولا المؤلفون الثلاثة ....

٩ - الاختلاف في أول محاكمة ليسوع أمام اليهود :

اتفقت كلمة الثلاثة على أنهم حين قبضواعلي يسوع أوثقوه ومضوا به إلى دار رئيس الكهنة وهو قيافا . قال مؤلف متي :

« والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ[3] » . وتابعه مؤلف مرقس فقال :

« فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة[4] » .

وتابعهما مؤلف لوقا فقال : « فأخذوه وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة[5] » . أما مؤلف يوحنا فخالفهم فقد ذكرأنهم ذهبوا به إلى حنان وهذا نصه :

« ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا الذي كان رئيسا للكهنة[6] » .

وكذا نص أيضا على أن :

« حنان قد أرسله موثقا إلى قيافا رئيس الكهنة[7] » وذلك بعد أن حكى ما حدث بينه وبين قيافا قال : وكان حنان قد أرسله ومفاد النص أنهم بعد القبض عليه ذهبوا به إلي حنان أولا ثم أرسله هذا إلى قيافاحيث كان الكهنة والكتبة مجتمعون هناك .

---

(١) [يوحنا ١٨ : ١ - ٤] .

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية [ص١٣٥] وما بعدها .

(٣) [٢٦ : ٥٧] .

(٤) [١٤ : ٥٣] .

(٥) [٢٢ : ٥٤] .

(٦) [١٨ : ١٢ ، ١٣] .

(٧) [١٨ : ٢٤] .

وواضح أنه تفرد بهذه المخالفة في الذهاب إلى حنان قبل قيافا ولا مبرر لذلك ولم يذكر أحد من الثلاثة حنان هذا لا في هذا الموضوع ولا في غيره كما نقل صاحب كتاب الفارق [١] .

١٠ - الاختلاف في حامل الصليب :

ومما اتفقت فيه نصوص الثلاثة وخالفهم فيه نص يوحنامسألة حمل الصليب من دار الولاية إلى مكان الصلب .

فقد اتفق الثلاثة على أن الجنود سخروا رجلا قيروانيا هو سمعان ليحمل صليب يسوع إلى المكان الذي سيصلب فيه . قال متى :

« فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتبة . فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ، وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكان يجثون قدامه ويستهزئون قائلين : السلام يا ملك اليهود ، وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسو ثيابه ومضوا به للصلب. وفيماهم خارجون وجدوا إنسانا قيروانيا فسخروه لحيمل صليبه.... إلى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة [٢] » .

وقال مؤلف مرقس : « ثم خرجوا به ليصلبوه فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني .... ليحمل صليبه وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره موضع جمجمة » [٣] .

وكذا قال مؤلف لوقا : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » [٤] .

لكن مؤلف يوحنا خالف الثلاثة فقال : « فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثه » [٥] .

---

(١) عبد الرحمن باجه جي : الفارق بين المخلوق والخالق [ص ٢٢٢] .

(٢) [٢٧ : ٢٧ - ٣٣] . (٣) [١٥ : ٢١] .

(٤) [٢٣ : ٢٦] .

(٥) [١٩ : ١٦ ، ١٧] .

وهذه الاختلافات بين مؤلف يوحنا من جهه وبين مؤلفي الثلاثة ليست وحدها فقط، فقد سبق خلال بحثنا كثير من اختلافه عنهم فيما تفرد به من الحكايات تأييدا لعقائده ورغبات طالبي إنجيل لتأليه المسيح من أهل أفسس وغيرهم ، وهذه الاختلافات التسعة إنما قدمناها هنا كأنموذج لهذا النوع من الخلاف الذي يظهر من نصه في مواجهة الثلاثة والمتأمل في هذه الاختلافات يجد منها كثيرا وهي التي تنتج رأيين متقابلين أحدهما لمؤلف يوحنا والآخر للثلاثة .

وننتقل الآن إلى ما اختلف فيه الأربعة على ثلاثة آراء ....

ب - ما اختلف فيه الأربعة على ثلاثة آراء : أحدها لمؤلف يوحنا :

١ - الاختلاف في المسح بالطيب :

مفاده أن امرأة جاءت المسيح بطيب مسحته به . ولكنهم اختلفوا في تفاصيلها ونعني هنا بخلافهم الذي ينتج ثلاثة آراء . وقد وقع في نقاط ثلاث :

الأولى : اختلافهم في مكان الحادث . قال متي ومرقس أنه بيت سمعان الأبرص وهو من أتباع المسيح .

وقال لوقا أنه بيت رجل فريسي . وأما مؤلف يوحنا فقد جعل المكان بيت الإخوة الثلاثة لعازر ومريم ومرثا .

والثانية : شخصية المرأة مجهولة عند متي ومرقس ومعلومة عند لوقا بأنها خاطئة ، وأما مؤلف يوحنا فقد قال إنها مريم أخت لعازر ومرثا وكانت من أتباعه

الثالثة : المعترض على فعلها هم جماعة على رواية متي ومرقس ، وهو الفريسي فقط على رواية لوقا وهو يهوذا الأسخريوطي فقط في نص مؤلف يوحنا .

وهذه نصوصهم . قال مؤلف متى :

« وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ فلما رأي تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الإتلاف لأنّه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطي للفقراء ، فعلم يسوع وقال لهم : لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بي عملاً حسنا لأن الفقراء معكم في كل حين وأما أنا فلست معكم في كل حين ، فإنها إذ سكبت هذا الطيب على

جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني ، الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر بما فعلته هذه تذكارا لها » [١] .

وواضح بالنص أن المكان هو بيت سمعان الأبرص وأن شخصية المرأة مجهولة وأن المعترضين هم جماعة التلاميذ . ووافقه نص مرقص بخصوص هذه الثلاثة [٢] .

وأما لوقا فقد خالفهما وهذا نصه :

« وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ ، وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنَّه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكيه وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، فلما رأى الفريسي الذي دعاه ذلك تكلم في نفسه قائلا لو كان هذا نبيا لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي إنها خاطئة ، فأجاب يسوع وقال له : يا سمعان عندي شئ أقوله لك . فقال قل يا معلم :

كان لمداين مديونان على الواحد خمسمائة دينار وعلي الآخر خمسون ، وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعا فقل : أيهما يكون أكثر حبا له .

فأجاب سمعان وقال : أظن الذي سامحه بالأكثر فقال له : بالصواب حكمت ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة .

إني دخلت بيتك وماء لأجل رجلي لم تعط وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع مسحتهما بشعر رأسها ، قبلة لم تقبلني . وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي . بزيت لم تدهن رأسي ، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا والذي يغفر له قليل يحب قليلا ثم قال لها: مغفورة لك خطاياك فابتدأ المتكئون معه يقولون في أنفسهم : من هذا الذي يغفر خطايا أيضا فقال للمرأة : إيمانك قد خلصك . اذهبي بسلام [٣] .

ومخالفة لوقا لكل من متى ومرقس واضحة بخصوص المكان حيث نص على أنه بيت فريسي ، وبخصوص المرأة فقد حددها بأنه خاطئة ، وأما بخصوص المعترض فقد حدده بأنه سمعان الفريسي .

---

(١) [٢٦ : ٦ - ١٤] .
(٢) [١٤ : ٣ - ١٠] .
(٣) [٧ : ٣٦ - ٥٠] .

وأما مؤلف يوحنا فقد جاء نصه كما يأتي :

" ثم قبل الفصح بستة أيام أتي يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي أقامه من الأموات . فصنعوا له هناك عشاء .وكانت مرثا تخدم وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه .

فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فامتلأ البيت من رائحة الطيب فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطي المزمع أن يسلمه لماذا لم يبع هذ الطيب بثلثمائة دينار ويعط للفقراء .... " [1] .

والمكان حسب هذا بيت لعازر وأختيه والمرأة هي مريم أخت لعازر والمعترض هو يهوذا سمعان الاسخريوطي .

وفي هذه جوانب خلافية أخري سنتعرض لها في مكا آخر لأن تناولنا للخلافات إنما هو بحسب المختلفين كما هو ظاهر .

ونحن نري في إجماع المولفين على ذلك تبريرا للإباحية التي كانت رائجة في أزمنة تأليف هذه الأناجيل . والتي رأى المؤلفون مسايرتها فبالغوا في القصة التي لا شك في أن لها نواة هيكلية لم تكن لتخرج على المألوف من عادات اليهود وديانتهم والتي لا نشك في أن المسيح لم يكن خارجا على آدابها وأخلاقياتها .

ويعلق الدكتور وليم باركلي فيقول :

« ولقد مسحت مريم قدمي يسوع بشعر رأسها أمام أنظار الجميع . لقد جرت العادة في فلسطين في زمن المسيح ، ألا تكشف المرأة الوقورة عن شعرها أمام الجميع . فحالما تصبح الفتاة عروسا تلف طيات شعرها وتربطه ، فلا يشاهد إنسان شعرها محلولا في مكان عام . لقد كان حل الشعر وتركه سائبا دليلا على أن صاحبته امرأة مستهترة وزانية .

ولكن مريم لم تفكر في كل هذا لقد نسيت مشاعرها وكرامتها وحديث الناس عنها. لقد كانت تحب يسوع ، وفي جو الحب عاشت معه في ذهول عن أي شئ آخر أو أي مشاعر أخرى » [2] .

---

(١) [يوحنا ١٢ : ١ - ٥] .

(٢) وليم باركلي : شرح بشارة يوحنا [جـ١٢ ص٢٢٣].

ونحن نعتقد أن مقام المقربين للمسيح أرفع من هذه الصورة المتبذلة وأنها لو جاز أن تنسى كرامتها – على حد تعبير باركلي – لذكرها المسيح بها حفاظا على الشريعة التي جاء مكملا لها ملتزمة بناموسها وكتب أنبيائها .

ونرى في هذه الإضافات أغراضا واضحة لمسايرة الناس الذين كان المؤلفون يرغبون في تأييدهم وتأليفهم . كما تقدم في حديثنا عن التي قدموها للمسيح بتهمة الزنى .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن باجه جي مؤلف كتاب : « الفارق بين المخلوق والخالق» في تعليقه على هذه القصة :

« كيف يقبل المسيح أن تمسح قدميه بشعرها وهي أجنبية عنه وخائطة ولم يكفه ذلك حتى نسب للمسيح ضرب الأمثال استحسانا لما فعلته وأنها قد أحبته كما أنه أحبها كثيرا حتي صرح بغفـران خطاياها وملاطفتها وأنه ودعها بسلام .

ولله در هذا المفتري حيث أراد بدسيسته هذه أن يجعل للرؤساء الروحانية حظا من جواز خدمة النساء الأجنبيات لهم فيتخذوها من بعده سنة متبعه . ويجعلوها دستورا للعمل ليصطادوا بذلك الغانيات ويتمتعوا بهن في الخلوات ....

فيجب على كل مسيحي مؤمن بالمسيح أن يرفض صحة هذا الخبر لما فيه من تلويث شرف عيسي عليه السلام »[1] .

ونحن لا نذهب بعيدا إلى هذا الحد في الطعن ونكتفي بالقول إن ذلك إنما كان مسايرة من المؤلفين لما شاع في أبناء عصرهم . وذلك اتباعا لبولس الذي رخص في الختان وغيره وقد كتبت هذه الأناجيل بعد مناقشة بولس للتلاميذ بخصوص بدعة لم يستطيعوا صده عنها .

ونحن مع صاحب الفارق في أن الواجب على كل مسيحي مؤمن بالمسيح أن يرفض صحة هذاالخبر صيانة لشرف المسيح برأه الله .

---

(١) عبد الرحمن باجه جي : الفارق بين المخلوق والخالق – [ص٢٠٤] .

٢ - الاختلاف في اعتزال المسيح للتلاميذ في الصلاة الأخيرة ليلة القبض عليه :

وهذا مما اختلف فيه الأربعة على ثلاث روايات اتفق متى ومرقس وخالفهما كل من مؤلف لوقا ومؤلف يوحنا برأي خالف صاحبه فيه بالإضافة إلى مخالفته لما اتفق الإثنان عليه :

أولا : رأي مؤلفي متى ومرقس :

أن المسيح أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا - ابني زبدي - وأمر بقية التلاميذ بالجلوس وذهب مع الثلاثة ليصلي لله .

وهذا نص مؤلف متي :

« حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيماني فقال للتلاميذ » : اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك .

« ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ، فقال لهم نفسي حزينة جدا حتي الموت امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس .... »[١] .

وهذا نص مؤلف مرقس :

« وجاء إلى ضيعة اسمها جثسيماني فقال لتلاميذه » : اجلسوا ههنا حتي أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جدا حتي الموت امكثوا ههنا واسهروا ثم تقدم قليلا وخرعلى الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن .

وقال أيها الآب كل شئ مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس ....[٢] .

ومحل الشاهد في هذين النصين اتفاقهما على أن المسيح ترك تلاميذه وأمرهم بالجلوس ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا - ابن زبدي - ومضى لكي يصلي لله لكي يصرف عنه كأس الموت بيد اليهود وينقذه منهم .

---

(١) [٢٦ : ٣٦ - ٣٩] .   (٢) [١٤ : ٣٢ - ٣٦] .

ثانيا : رأي مؤلف لوقا :

أن المسيح أمر التلاميذ بالصلاة وانفصل عنهم نحو رمية حجر ومضى منفردا لكي يصلي لله ولم يأخذ معه أي أحد منهم لا بطرس ولا غيره .

قال مؤلف لوقا بالنص :

« وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى قائلا : يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكني لتكن لا إرادتي بل إرادتك ...... »(١) .

وهذا النص واضح في الدلالة على انفصاله منفردا دون استصحاب أحد من التلاميذ أو غيرهم .

ثالثا : رأي مؤلف يوحنا :

أن المسيح دخل مع تلاميذه وأنه لم ينفصل عنهم لا لصلاة ولا لغيرها - لأنه رواها في الإصحاح الثامن عشر والإصحاحات الأربعة التي قبله بالإضافة إلى جزء من الإصحاح الثالث عشر هي عبارة عن محاضرة طويلة - قال بالنص :

« قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه ، فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه .... »(٢) .

ومؤلف يوحنابذلك يضيف رأيا ثالثا وهو أنه بعد دخوله ذلك البستان لم ينفصل عنهم ولم يصل . في الوقت الذي أفاد لوقا فيه أنه انفصل عن جميع تلاميذه . وهما بذلك يتناقضان ، ويناقضان ما اتفق عليه مؤلفا متى ومرقس من أنه أخذ معه بطرس وابني زبدي .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أمر ذي بال . وهو أنه على فرض صدق كل من مؤلفي متى ومرقس في حضور يوحنا بن زبدي هذه الصلاه التي صلى المسيح فيها لله لكي

---

(١) [٢٢ : ٣٩ - ٤٢] . (٢) [٨ : ١ - ٤] .

يطلب منه أن ينقذه فيها . كان المنتظر من يوحنا لو كان هو مؤلف الإنجيل الرابع أن يتحدث عنها . وفى غيابها عن إنجيله ما يجعل إنجيله محل شك فى مواجهة هاتين الروايتين . وكذلك في مواجهة رواية لوقا وهو من غير التلاميذ أيضا . وفي تفرد يوحنا ما يقوي دواعي الشك ويحمل على الأعتقاد في صحة ما ذهبنا إليه في أن هذا الإنجيل إنما هو تأليف يوحنا الشيخ اللاهوتي تلميذ الفلسفة وقسيس أفسس .

٣ - الاختلاف في اسم المكان الذي كان المسيح فيه مع التلاميذ وقت محاولة القبض عليه :

وهو واضح من النصوص التي قدمناها في الاختلاف السابق .

لقد اتفقت روايتا مؤلفي متي ومرقس على أنها ضيعة « جثسيماني » بينما قال لوقا إنه « جبل الزيتون » فخالفهما بذلك . كما خالف مؤلف يوحنا الذي جعل الضيعة والجبل « بستانا » والنتيجة لاختلاف الأربعة آراء ثلاثة لا تخفي .

٤ - الاختلاف فيمن تبع المقبوض عليه - المسيح في زعمهم - من تلاميذه :

قد اختلف الأربعة في هذا الأمر على روايات ثلاث :

الأولى : رواية مؤلفي متي ولوقا :

أن بطرس وحده هو الذي تبعه فقط . قال مؤلف متي :

« حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا . والذي أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنه ....

وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى الداخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية »(١) .

ولم يرد في متى أي إشارة إلى أحد آخرغير بطرس تبع يسوع منذ لحظة القبض عليه ويمثله قال مولف لوقا :

« فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة ، وأما بطرس فتبعه من بعيد ،

---

(١) [٢٦ : ٥٦-٥٨] .

ولما أضرموا نارا في وسط الدار وجلسوا معا وجلس بطرس بينهم .... »[1] .
وهو مثل مؤلف متي لم يشر أي إشارة إلى أن أحدا تبعه غير بطرس .

الثانية : رواية مرقس :

أن شابا تبعه لفترة ثم هرب وأن بطرس تبعه لكنه بقى ولم يهرب .
قال بالنص :

« فتركه الجميع وهربوا وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه فأمسكه الشبان فترك الإزار وهرب منهم عريانا فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنه وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار »[2] .

وواضح أن هذا الشاب هرب قبل أن يمضوا بيسوع . وأنه ترك لهم إزاره وهرب عاريا . وأن بطرس هو الذي تبعه من بعيد ووصل إلى دار رئيس الكهنة .

الثالثة : رواية مؤلف يوحنا :

أن بطرس وتلميذا آخر تبعاه وأن هذا التلميذ الاخر كان معروفا عند رئيس الكهنه، حتى أنه دخل إلى دار رئيس الكهنه ، وتوسط حتى أدخل بطرس .
قال بالنص :

« وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع ، وكان ذلك التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة . وأما يسوع فكان واقفا عند الباب خارجا ، فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس »[3] .

والخلاف بين الروايات الثلاثة واضح ظاهر فالأولي تقول إن بطرس تبعه ولم تشر إلى آخر والثانية تقول بطرس وأن شابا آخر حاول ثم هرب حين أمسك وترك ثوبه وأما رواية مؤلف يوحنا فقالت بأن الذي تبعه بطرس وتلميذ آخر كان معروفا عند رئيس الكهنة وأن هذه المعرفة مكنته من الدخول بنفسه والاستئذان لإدخال بطرس من البوابة إلى الفناء حيث جلس مع الخدم .

---

(١) [٢٢ : ٥٤ ، ٥٥] . (٢) [١٨ : ١٥ - ١٧] . (٣) [١٨ : ١٥ - ١٧] .

والصنعة بادية على رواية مؤلف يوحنا لكي يكون لروايات المحاكمة التي تمت بالداخل مستند روائي فإن بطرس لم يبرح مكان جلوس الخدم بجوار البوابة باتفاق رواية مؤلفي الثلاثة .

ولا شك أن من حق العقل أن يتساءل من أي مصدر استقى تلاميذ المسيح تفاصيل ما حدث في الداخل ؟ فجاء مؤلف الإنجيل الرابع وهو المتأخر زمنا عن الثلاثة ليقول بالتلميذ الآخر وأنه كان معروفا ... إلخ لكي يسد هذه الثغرة ، ومع ذلك فقد ازدادت الهوة اتساعا لأنه لم يحدد من هوهذا المعروف ولم يكن بين التلاميذ من تسمح له ظروفه بمثل هذه المعرفة ولذلك فإنه ما زال محل خلاف شديد واضطراب كبير ولا زال اتفاق الثلاثة يقف حجر عثرة في طريقه ، ودليلاً صلبا على خلافه ، فلا هو بالذي ضيق الخرق بعمله ولا هو بالذي استراح وأراح ، وإنما كان بمثابة المُنْبَتِ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقي ؛ فهو بهذا الادعاء يُكَذِّبُ الثلاثة عامداً لأنهم ألفوا أناجيلهم من قبله ، ولم يستطع أن يثبت ذلك الوصول لهذا التلميذ . وقد اضطرب أتباعه اضطرابا شديدا حتى قال بعضهم إنه : « نيقوديموس » أو « يوسف الرامي » وَرُدَّ هذا الرأي لأنهما ليسا من التلاميذ وقال بعض : إنه يهوذا الإسخريوطي الخائن ورد أيضا ، وبعض الآراء أنه يوحنا بن زبدي وهو مردود ، ولا يخترع رأي من ذلك وله مستند تاريخي وإنما هو افتراض وهمي إلا وينهض التاريخ ضده وكتب المفسرين والشراح مليئة بالشواهد على صدق ما نقول .

٥ - الاختلاف في صرخة المصلوب الأخيرة :

وقد اختلفت نصوص الأربعة فيها على روايات ثلاث :

الأولى : رواية مؤلفي متى ومرقس :

« إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني . »

قال نص متي :

« ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة ، ونحو الساعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني .... وأسلم الروح »[1] .

---

(١) [٢٧ : ٤٥ - ٥٠] .

وقال نص مرقس :

« ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إلوي إلوي لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني ...... وأسلم الروح » (١) .

الثانية : رواية مؤلف لوقا :

« يا أبتاه في يديك أستودع روحي » .

وهذا نصه :

« وكان نحو الساعة السادسة . فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ....

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودع روحي ولما قال هذا أسلم الروح » (٢) .

الثالثة : رواية مؤلف يوحنا :

« قد أكمل » . وهذا نصه :

« فلما أخذ يسوع الخل قال : قد أكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح » (٣) .

وواضح اختلاف المؤلفين الأربعة في نقل عبارة موجزة هي صرخة اليأس الأخيرة التي خرجت من فم المصلوب والتي أسلم الروح بعدها . وأن هذا الاختلاف والتناقض نتج عنه روايات ثلاث للمؤلفين الأربعه .

وننتقل الآن إلى ما اختلف فيه الأربعة على أربعة آراء :

جـ - ما اختلف فيه الأربعة على أربعة آراء :

وهذا النوع من الخلاف خاص بالقصص والأحداث التي استقل فيها كل من المؤلفين الأربعة برواية مغايرة لروايات الآخرين المختلفين .

---

(١) [١٥ : ٣٣ - ٣٧] .
(٢) [٢٣ : ٤٤ - ٤٦] .
(٣) [١٩ : ٣٠] .

١ - اختلافهم في ركوب المسيح الجحش ودخوله أورشليم :

وقد اختلف مؤلفوا الأناجيل الأربعة فيما بين أيدينا من نصوص العهد الجديد ، وتضاربت رواياتهم إلى الحد الذي نوضحه كما يأتي :

أولا - رواية مؤلف يوحنا :

« وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آت إلى أورشليم فأخذوا سعوف النّخل وخرجوا للقائه وكانوا يصرخون أوصنا مبارك الآتي باسم الرب ملك اسرائيل .

ووجد يسوع جحشا فجلس عليه كما هو مكتوب ، لا تخافي يا ابنة صهيون ، هوذا ملكك يأتي جالسا على جحش أتان وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولا ولكن لماتمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له .

وكان الجمع الذي معه يشهد أنه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات ، لهذا أيضا لاقاه الجمع لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية ، فقال الفريسيون بعضهم لبعض انظروا إنكم لا تنفعون شيئا هوذا العالم قد ذهب وراءه »[(١)] .

ويعنينا من هذا النص :

(أ) خروج الجمع الكثير من المعيدين للقائه ومعهم سعوف النخل .

(ب) هتافهم « أوصنا مبارك الآتي باسم الرب » .

(جـ) أن يسوع وجد جحشا- اتفاقا - فجلس عليه وكان ذلك تحقيقا للنبوءة المذكورة.

(د) أن ذلك كان بعد إقامة لعازر التي كانت سببا في احتفاء الجمع به .

(هـ) أن ذلك أثار حقد الفريسيين لأن العالم ذهب وراءه .

ثانيا رواية مؤلف متى :

« ولما قربوا من أورشليم وجاء إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين ، قائلا لهما : اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما واتياني بهما ، وإن قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج إليهما فللوقت يرسلهما .

---

(١) [١٢ : ١١ - ١٩] .

فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان ، فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما . والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر ، وفرشوها في الطريق ، والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا : لابن داود مبارك الآتي باسم الرب ، أوصنا في الأعالي ، ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل(١) .

ومخالفة نص مؤلف متى لنص مؤلف يوحنا سابقة واضحة كما يلي:

١ - أن المسيح ركب الجحش والأتان معا ؛ لا الجحش فقط كما نص يوحنا .

٢ - أن ركوبه لم يكن اتفاقا بل إنه طلب ذلك وأرسل تلميذين ليقولا إنه محتاج . وهذا بخلاف نص يوحنا .

٣ - أن الطريق كان مفروشا بالثياب وأغصان الشجر .

٤ - أن هتافهم كان أوصنا لابن داود. مبارك الاتي باسم الرب«أوصنا في الأعالي»

٥ - لم يرد بنص متى أي ذكر مطلقا لقصة لعازر التي جعلها مؤلف يوحنا سببا لهياج الجموع وفرحتهم .

ثالثا : رواية مؤلف مرقس :

« ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجي وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا إلى القرية التي أمامكما فللوقت وأنتما داخلان اليها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه وأتيا به ، وإن قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا : الرب محتاج إليه فللوقت يرسله إلى هنا ، فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك : ماذا تفعلان تحلان الجحش فقالا لهم : كما أوصي يسوع فتركوهما ، فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه ، وكثيرون فرشوا ثيابهم في الطريق وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق .

(١) [٢١ : ١ - ١١].

والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون أوصنا . مبارك الآتي باسم الرب ، مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب . أوصنا في الأعالي »[١] .

واختلاف هذه الرواية عن سابقتيها يظهر فيما نشير إليه من أنها :

١ - تختلف عن الرواية الأولى في أن ذلك كان بطلب المسيح ، وأنه محتاج وهي تتفق في ذلك مع الثانية .

٢ - تختلف عن الرواية الثانية في أن المركوب فيها جحش منفرد . وهي في ذلك تتفق مع الأولى .

٣ - تختلف عن الأولى في أنها لم تربط بين فرح الجمهور به وبين إقامة لعازر لأن نص مرقس كله لا ذكر فيه لإحياء لعازر . وهي في ذلك تتفق مع الرواية الثانية .

٤ - تختلف مع الاثنتين في عبارة الهتاف .

رابعا : رواية مؤلف لوقا :

« تقدم صاعدا إلى أورشليم ، وإذ قرب من بيت فاجي وبيت عنيا عند الجبل الذي يدعي جبل الزيتون أرسل اثنين من تلاميذه قائلا : اذهبا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاه وأتيا به ، وإن سألكما أحد لماذا تحلانه فقولا له هكذا :

إن الرب محتاج إليه فمضى المرسلان ووجدا كما قال لهما ، وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه لماذا تحلان الجحش فقالا الرب محتاج إليه وأتيا به إلى يسوع وطرحا ثيابهما على الجحش وأركبا يسوع ، وفيما هو سائر فرشوا ثيابهم في الطريق ، ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل القوات التي نظروا قائلين : مبارك الملك الآتي باسم الرب سلام في السماء ومجد في الأعالي . وأما بعض الفريسيين فقالوا له يا معلم انتهر تلاميذك »[٢] .

واختلاف هذه الرواية عن روايتي يوحنا ومتي ظاهر ، وهو يخالفهما فيما خالفهما مرقس فيه . ويخالف الجميع في صيغة الهتاف الذي انفرد به عن غيره .

---

(١) [١١ : ١ - ١٠] .

(٢) [١٩ : ٢٨ - ٣٩] .

وخالف مرقس فيما يأتي :

١ – أن الذين اعترضوا التلميذين وهما يحلان الجحش هم أصحابه ، وليسوا قوما من الواقفين هناك .

٢ – أنه لم يذكر فرش الطريق بأغصان الشجر كما ذكر مؤلف مرقس . ولعل ذلك من لوقا لعلمه أن ذلك يوعر الطريق .

٣ – أنه ذكر أن الذين قاموا بالهتاف هم جمهور التلاميذ وليست كل الجموع .

٤ – أن الجميع لم يرتضوا الهتاف ، بل كان بعض الجمع من الفريسيين قالوا له انتهر تلاميذك .

ولعل مؤلف يوحنا أراد بإخفاء طلب المسيح ذلك من تلاميذه أن يجعل الأمر بمثابة التصرف الطبيعي ، وأن ذلك تفسير للنبوءة التي لا دخل لأحد في قصد تحقيقها إلا المشيئة الإلهية وأن تلاميذه لم يفهموا ذلك إلا بعد رحيل المسيح . وربما كان مما يقال داخل الكنائس وقت تحرير هذا الإنجيل من أصحاب الاتجاهات . إن هذا الموكب كان افتعالا وتصنعا حتي يضاهي نص نبوءة زكريا [1] في العهد القديم . لكن يسوع لم يكن في يوم من الأيام ملكا ، وحتي آخر اللحظات كان المقبوض عليه ينفي عن نفسه هذه التهمة الباطلة ولا يخفى أنه أخفى ما يفيد احتياج المسيح لأنه يدعي تأليهه فكيف يحتاج الله المتجسد ، ويعترف بحاجته ، ويعلم بها تلاميذه ويأمرهم بإذاعتها للناس . ولا يخفي أن لفظ الرب لا يقصد به التأليه بل هو يطلق في لغة الإنجيل على الشخص المكرم .

ولم يتمكن المؤلف من السيطرة على نفسه في الانصياع لداعي العقل والاختيار بين الجحش والأتان كما فعل مؤلفا مرقس ولوقا . فقد نص كل منهما على ركوبه الجحش فقط ، ومهما يكن أمر مؤلف يوحنا فهو أهون في روايته من مؤلف متي الذي خالف المألوف من المنقول والمعقول ، وقال بما لا تقبله العقول . ولصاحب « الفارق » تعليق طويل على هذا الاختلاف نختار منه قوله :

« إن الثلاثة كتموا ذكر الأتان فإذا جاز وقوع الزيادة والنقصان انخرمت الثقة ولزم القول بالتحريف ، وما جاز على البعض جاز على الكل ، ولا أظن أن من يعقل من النصارى يدافع عن مثل ذلك .

---

(١) [زكريا ٩ : ٩] .

ثم إننا نسأله كيف يمكن الإنسان أن يركب حمارين معا ؟ فهذا لا يتصوره جاهل فضلا عن العاقل . نعم إذا قلنا إنه وضع إحدى رجليه على الأتان ، والأخري على الجحش فيمكن ذلك بشرط أن يتساويا في السير وأن لا يفترقا أو أن يكون واقفا عليهما غير جالس كما ذكروا . وأنت تعلم أن تكبد مشاق المشي أسهل وأجمل له من هذه الصورة ، وإن قلنا قرنوا الجحش بالأتان كما يقرن الفلاح بهائم الحرث بعد أن أوثقوهما بحبال ووضعوا عليها الثياب ، فهذه الصورة كذلك صعبة الركوب والسلوك ليست مسموعة ولا مسبوقة من أحد .

فالأولى تصوير هيئـة هذا الركوب إلى القائلين بأن هـذه الترجمة [١] من الإلهام »[٢]. أ هـ .

وقال الشيخ عبد الوهاب النجار : « وأنا لا أدري ولا مؤلف الإنجيل المذكور يدري ، ولا المنجـم يدري ، كيف يركب المسيح الأتان والجحش معا وينتظمهما في جلسة واحدة » . ثم قال عن هذا الاختلاف إنه :

« يدعو القارئ إلى اعتقاد أحد أمرين ، إما أن تكون هذه المسألة لم تحصل ، ولكن المسيحيين رأوا هذه العبارة في كتاب نبي من الأنبياء فأتوا بها ليدلوا على أن المسيح تكلم عنه الأنبياء بشيء وتم ما أخبروا به على الوجه الذي نَصُّوهُ ، وإما أن يكون المسيح قد صنع الأمر على وجه من تلك الوجوه التي ذكروها ، ويكون أحد الإنجيلين المتناقضين صادقا والاخر كاذبا »[٣] .

---

(١) يقصد مؤلف الفارق بلفظ « الترجمة » نص متى باليونانية كما يوجد في أقدم النسخ الذي يجهل مترجمه، والذي لم يعثر على مقابله من النص العبري مع قولهم بأن متى تلميذ المسيح لم يكن يعرف اليونانية . وقد سبق لنا توضيح ذلك .

(٢) عبد الرحمن باجة جي – الفارق بين المخلوق والخالق ، [ص١٥٤] .

(٣) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء [ص ٤٦٤] .

٢ - الإختلاف في قصة إنكار بطرس :

ونوضح في الجدول الآتي اختلاف نصوص الأربعة في رواية إنكار بطرس للمسيح قبل صياح الديك :

مؤلف الرواية	السؤال الأول		السؤال الثاني		السؤال الثالث		عدد مرات صياح الديك	وقته من الإنكار
	السائل	المكان	السائل	المكان	السائل	المكان		
متى	جارية	داخل الدار	جارية أخرى	الدهليز	القيام	الدهليز	١	بعد الإنكار الثالث
مرقس	جارية	أسفل	نفس الجارية	الدهليز	الحاضرون	الدهليز	٢	بعد الإنكار الأول بعد الإنكار الثالث
لوقا	جارية	وسط الدار	رجل	وسط الدار	رجل آخر	وسط الدار	١	بعد الإنكار الثالث
يوحنا	الجارية البوابة	البوابة	الحاضرون	وسط الدار	عبد رئيس الكهنة	وسط الدار	١	بعد الإنكار الثالث

أولا : نص مؤلف متى :

« أما بطرس فكان جالسا خارجا في الدار . فجاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي ، فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدري ما تقولين ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري فأنكر أيضا بقسم إني لست أعرف الرجل » .

وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فإن لغتك تظهرك فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل . وللوقت صاح الديك .

فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج إلى خارج وبكى بكاء مرا »[١] .

---

١ - [٢٦ : ٦٩ - ٧٥] .

ثانيا : نص مؤلف مرقس :

« وبينما كان بطرس في الدار أسفل جاءت إحدى جواري رئيس الكهنة فلما رأت بطرس يستدفئ نظرت إليه وقالت : وأنت كنت مع يسوع الناصري ، فأنكر قائلا لست أدري ولا أفهم ما تقولين . وخرج خارجا إلى الدهليز .

فصاح الديك . فرأته الجارية أيضا وابتدأت تقول للحاضرين إن هذا منهم فأنكر أيضا .

وبعد قليل أيضا قال الحاضرون لبطرس حقا أنت منهم لأنك جليلي أيضا . ولغتك تشبه لغتهم ، فابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه . وصاح الديك ثانية فتذكر بطرس القول الذي قاله له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات » (١) .

ثالثا : نص مؤلف لوقا :

« وأما بطرس فتبعه من بعيد ، ولما أضرموا نارا في وسط الدار وجلسوا معا جلس بطرس بينهم .

فرأته جارية جالسا عند النار فتفرست فيه ، وقالت وهذا كان معه ، فأنكره قائلا لست أعرفه يا امرأة .

وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم ، فقال بطرس يا إنسان لست أنا . ولما مضي نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلا بالحق إن هذا أيضا كان معه لأنه جليلي أيضا . فقال بطرس يا إنسان لست أعرف ما تقول .

وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . فالتفت الرب ونظر إلي بطرس فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج بطرس إلي خارج ويكى بكاء مرا » (٢) .

---

(١) [١٤ : ٦٦ - ٧٢] .
(٢) [٢٢ : ٥٤ - ٦٢] ٦٠ .

رابعا : نص مؤلف يوحنا :

«وأما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجا.. فخرج التلميذ الآخر الذي كان معروفا عند رئيس الكهنة . وكلم البوابة فأدخل بطرس فقالت الجارية البوابة لبطرس ألست أنت أيضا من تلاميذ هذا الإنسان قال ذاك لست أنا ....

وسمعان بطرس كان واقفا يصطلي فقالوا له ألست أنت أيضا من تلاميذه فأنكر ذاك وقال لست أنا .

قال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذي قطع أذنه أما رأيتك أنا معه في البستان . فأنكر بطرس أيضا وللوقت صاح الديك »[1].

ونحن نضع صيغ إنكار بطرس في الجدول الآتي لكي تظهر لنا بالمقارنة :

مؤلف الرواية	الإنكار الأول	الإنكار الثاني	الإنكار الثالث	نبوءة المسيح	ما تذكره بطرس بعدها
متى	لست أدري ما تقولين.	أقسم أني لست أعرف الرجل.	لعن و حلف إني لست أعرف الرجل.	قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات	قبل أن يصيح الديك . تنكرني ثلاث مرات
مرقس	لست أدري ولا أفهم ما تقولين	أنكر أيضا	ابتدأ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل الذي تقولون عنه	قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات	قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات
لوقا	لست أعرفه	لست أنا	لست أعرف ما تقول	لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني .	قبل أن يصيح الديك . تنكرني ثلاث مرات
يوحنا	لست أنا	لست أنا	أنكر أيضا	لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات	قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات

(١) [١٨ : ١٦، ١٧ - ٢٥ - ٢٧]

وهذه بعض الجوانب الظاهرة من قضية إنكار بطرس وإنما اخترناها لشدة ظهورها عن غيرها ونكتفي بها دليلا على وجودها مع غيرها .

ونكتفي بما نقله الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن الأستاذ : دنيس أريك نينهام أستاذ اللاهوت بجامعة لندن من قوله :

« إن قصة انكار بطرس تثير عددا من المشاكل، ويرى بولتمان : أنها أسطورية [(١)]»، وللمزيد من التعليق يراجع « إظهار الحق [(٢)] » و« الفارق بين المخلوق والخالق »[(٣)].

٣ - عنوان المصلوب وعلته :

أولا : نص مؤلف متي :

« وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة :هذا هو يسوع ملك اليهود »[(٤)] .

ثانيا : ونص مؤلف مرقس :

« وكان عنوان علته مكتوبا : ملك اليهود »[(٥)] .

ثالثا : ونص مؤلف لوقا :

« وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود »[(٦)].

رابعا : ونص مؤلف يوحنا :

« وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب وكان مكتوبا : يسوع الناصري ملك اليهود »[(٧)] .

---

(١) أحمد عبد الوهاب :المسيح في مصادر العقائد المسيحية [ص١٥٥] .
نقلا عن كتاب " تفسيرانجيل مرقس " لنينهام [ص٤٠١] .

(٢) رحمة الله الهندي :اظهار الحق [ص١٠٩] .

(٣) عبد الرحمن باجه جي : الفارق بين المخلوق والخالق [ص٢٤٠] .

(٤) [٢٧ : ٣٧] . (٥) [١٥ : ٢٦] .

(٦) [٢٣ : ٣٨] .

(٧) [١٩ : ١٩] .

ولا يعقل بحال أن يدافع أتباع هذه النصوص بنظرية الزوايا الأربع بحسب مواقع المؤلفين الذين ينظرون إلى المسيح الواحد فيراه كل منهم بحسب ميله وهواه .

ولا يقبل ادعاء أنهم كتبوا في ذلك وحيا وإلهاما من الله . فإن بيلاطس لم يكتب ولم يعلق على الصليب غير عنوان واحد . لا عناوين أربعة كماهو واضح في نص كل من الأربعة .

ولا يمكن القول هنا أن العنوان الواحد اختلف باختلاف الرواة الأربعة الذين ناقض كل واحد منهم زملاءه وعارضهم . وذلك في الوقت الذي يعارضه الثلاثة . ولا يمكن الوصول إلى حقيقة مؤكدة في الألفاظ البسيطة التي كتبها بيلاطس وعلقت على الصليب .

نقل الأستاذ أحمد عبد الوهاب عن نينهام قوله :

« لقد اختلفت الآراء بشدة حول صحة ماكتب عن علته فيرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان بينما يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد استخدموا مثل تلك الصيغة الجافة ، وأنَّ ما ذكره القديس مرقس بوجه عن علته إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد أعدم باعتباره ملك اليهود »(١) .

ثم يقول هو :

« إن اختلاف الأناجيل في عنوان علة المصلوب ، وهو لا يزيد عن بضع كلمات معينة كتبت على لوحة قرأها المشاهدون ، وانما هو مقياس لدرجة الدقة لما ترويه الأناجيل .... »(٢) .

ويقول الشيخ رحمة الله الهندي :

« والعجب أن هذا الأمر القليل ما بقى محفوظاً لهؤلاء الإنجيليين ، فكيف يعتمد على حفظهم في الأخبار الطويلة ؟ ولو رآه أحد من طلبة المدرسة مرة واحدة لما نسيه »(٣) .

لا مراء في أن كل مؤلف كتب تأييدا لعقيدته في المسيح ، دون تمكن من دقة نصه في إصابة الحقيقة الموافقة للتاريخ .

---

(١) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية [ص١٦٨] نقلا عن نينهام " تفسيرانجيل مرقس [ص٤٢٤] .

(٢) المصدر السابق [ص١٦٨] .

(٣) رحمة الله الهندي : إظهار الحق [ص١١٦] .

٤ - زيارة قبر المصلوب :

وهذه القضية أيضا اختلف فيها المؤلفون الأربعة ، واستقل كل برأيه فيها كما يلي :

أولا : قال مؤلف متى :

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر وإذا زلزلة عظيمة حدثت ، لأن ملاك الرّب نزل من السماء جاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات .

فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما »(١) .

ويهمنا من النص :

١ - شخصية الزائر : مريم المجدلية ، ومريم الأخرى .

٢ - من دحرج الحجر : ملاك الرب النازل من السماء .

٣ - من لقى الزائر وأين : ملاك الرب خارج القبر .

ثانيا : ونص مؤلف مرقس :

« وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ليأتين ويدهنه .

وباكرا جدا في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا ، ولما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين لابسا حلة بيضاء فاندهشن فقال لهن لا تندهشن ، أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب . قد قام ليس هو ههنا .... »(٢)

ويهمنا من هذا النص كسابقه :

١ - شخصية الزائر : مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة .

٢ - من دحرج الحجر : لا يعلم .

٣ - من لقى الزائر وأين : شاب داخل القبر جهة اليمين .

---

(١) [٢٨ : ١-٥] .

ثالثا : ونص مؤلف لوقا :

« وتبعته نساءٌ كُنَّ قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده فرجعن وأعددن حنوطا وأطيابا ، وفي السبت استرحن حسب الوصية .

ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهن أناس ، فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر .

فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع ، وفيما هن محتارات في ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثيات براقة ، وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن : لماذا تطلبن الحي بين الأموات ليس هو ههنا لكنه قام ....

وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قلن هذا للرسل .... »[1] .

ويهمنا منه كسابقيه :

١ - شخصية الزائر : جماعة من النساء المجدلية ويونا ، ومريم أم يعقوب وأخريات .

٢ - من دحرج الحجر : لا يعلم .

٣ - من لقى الزائر وأين : رجلان بثياب براقة - يبدو أنهما ملاكان ، داخل القبر .

رابعا : ونص مؤلف يوحنا :

« وفي أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر ..... وقالت لهما أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه .

فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر وكان الاثنان يركضان معا .

فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولا إلى القبر ، وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة ....

فمضى التلميذان إلى موضعهما .

---

(١) [٢٣ : ٥٥ ، ٥٦ و ٢٤ : ١ - ٦ ، ١٠] .

أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكي ، وفيماهي تبكي أنحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعا .

فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين ، قالت لهما إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه ، ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا ، ولم تعلم أنه يسوع فقال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين ......(١) .

ويهمنا منه كسابقيه :

١ – شخصية الزائر : مريم المجدلية أولا .

٢ – من دحرج الحجر : لا يعلم .

٣ – من لقى الزائر وأين : ملاكين في القبر ، وكانت خارجة تبكي في عودتها مع بطرس وزميله ، ثم لقيها المسيح يسوع خارج القبر .

ونوضح هذا الخلاف في الجدول الآتي :

مؤلف الرواية	الزائر الأول	الذي دحرج الحجر	بمن التقى الزائر
متى	مريم المجدلية ومريم الأخرى	ملاك الرب من السماء .	نفس الملاك خارج القبر
مرقس	مريم المجدلية وأم يعقوب وسالومة .	لا يعلم	شاب داخل القبر جهة اليمين
لوقا	جماعة كثيرة من النساء	لا يعلم	رجلان بثياب براقة داخل القبر
يوحنا	المجدلية فقط	لا يعلم	ملاكين في القبر ، والمسيح خارجه .

وبين يدينا الآن كتاب « المسيح في مصادر العقائد المسيحية – خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب » للأستاذ أحمد عبد الوهاب . نختار منه بعض تعليقات علماء ومفسري الكتاب المقدس ممن تعرضوا لموضوع قضية هذه الزيارة .

(١) [يوحنا ٢٠ : ١ – ٦ ، ١٠ – ١٥] .

يقول جون فنتون عميد كليةاللاهوت بليتشفيلد بانجلترا في كتابه « تفسير إنجيل متي » ما ترجمته :

« إن حدوث الزلزلة ، ونزول الملاك من السماء ودحرجة الحجر بعيدا وخوف الحراس كلها إضافات من عمل متى »[1] .

ويقول نينهام أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة « بليكان » لتفسير الإنجيل في كتابه : « تفسير إنجيل مرقس » ما ترجمته :

« إن كثيرا من القرّاء سيتفقون في الرأي مع ما انتهى إليه فنسنت تيلور من أنه : من المحتمل أن يكون وصف مرقس محض خيال ، إذا أنه يصور لنا في وصفه بما يعتقد أنه قد حدث[2] » .

ونقل عن فرانك موريسون تعليقا على زيارة النسوة إلى القبر وما اختلط بها من روايات قوله :

" إننا نستطيع أن نرى كحقيقة تاريخية أن مغامرة النساء عند القبر قد غاصت نسبيا في ثنايا النسيان حيث طغت عليها القضايا الأخرى الأكثر حيوية والتي فرضتها الأحداث . لقد حفظت ذكراها في مخيلة النساء أنفسهن .

وما من شك في أنها أضيفت إلى تعاليم الكنيسة عندما هدأت الأمور واستقرت ، ثم ما لبث أن خرج من تلك القضية التي تناثرت على نطاق واسع في الكنائس المسيحية في أوربا وآسيا كل تلك الروايات التي تطورت واختلفت ، والتي نقل عنها كل من القديسين لوقا ومتى .

وهكذا فإن الشاب الواحد الذي كان عند المقبرة - والذي كان في الحقيقة شابا واحدا حسب القصة الأصلية - قد أصبح بمرور الزمن : الملاك العظيم في انجيل متى ، والزائرين السماويين بثيات براقة في إنجيل لوقا .

وهكذا فإن دحرجة الحجر بعيدا (عن القبر)

قد أصبحت موضوعا للكثير من الحدس والتخمين فقد قال بعضهم إن الحجر دحرج نفسه بعيداً ، بينما قال آخرون قد دحرجته الملائكة "[3] .

وهذا القول يبدو معقولا وأولى قبولا لأنه يستند إلى واقع الأحداث فإن الأناجيل

---

(١) نقلا عن أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية .. [ص٢٨٨] .

(٢) المرجع السابق [ص٢٨٧] . (٣) المرجع السابق [ص٢٩١] .

لم يبدأ تدوين أقدمها إلا بعد فترة طويلة من غياب المسيح تقرب من ثلث قرن أو تزيد قليلا . وهذه الفترة ليست بالأمر السهل بالنسبة لنصوص لم تكن محفوظة بل كان جل اعتماد مؤلفيها على الذكريات المنقولة إليهم ممن عايشوا المسيح أو ممن تلاهم .

ولا يخفي الأثر الذي أحدثه بولس بعد تحوله إلى المسيحية فقد أصبحت عقائده هي الأمر الواقع والملجأ الأوحد لمن أراد أن يكتب عن المسيح ، وكانت كتاباته ورسائله، ورحلاته ومواعظه قد أكسبت عقائده أكبر قدر من الانقياد لها والسير في ركابها . ولم يملك أحد لنفسه أن يختار . والقول . بما يسمونه « قيامة المسيح » لا أساس له إلا رسائل بولس التي حملت عقائده وهي أقدم كثيرا في تاريخ التدوين عما لحقها من سيرة المسيح التي سميت « أناجيل » والتي حملت من عقائد بولس ما حملت مما تعاني منه حتى الآن .

ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس – الاصحاح ١٥ – خير شاهد فقد جاء بها أول شهادة عما يسمى القيامة – وهذه الرسالة كتبت قبل أقدم الأناجيل بعشر سنوات على الأقل كما ذهب إلى ذلك چورچ كيرد أستاذ دراسات العهد الجديد بجامعة مكجيل بكندا وعميد كلية اللاهوت المتحدة ، والذي عمل أستاذا بجامعة أوكسفورد ورئيسا للجمعية الكندية لدراسة الكتاب المقدس . كما نقل عنه الأستاذ أحمد عبد الوهاب [(١)] .

ولعل مسلك مؤلف يوحنا تجاه هذه القصة الخيالية هو أنه حاول أن يعالجها بإضافة قدر من المعقولية إليها ، وذلك فيما تفرد به من أن المجدلية حين رأت القبر فارغا ذهبت فاستدعت بطرس والتلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه . لكي يكونا شاهدين على فراغ القبر في وجه من يحاول نقد القصة الخيالية . ولكن السؤال يبقى من أين جاء بذلك ؟؟ ولم غاب حضورهما عن المؤلفين الثلاثة ؟؟ وهم أسبق منه زمنا فكانوا أولى بتأسيس القصة ، وفيهم من قيل أنه كان لسان حال بطرس الذي كان شاهدا من الشاهدين ؟؟ ولا يخفى مسلكه أيضا من ضمه لبطرس في تتبع المسيح ودخول دار رئيس الكهنة حتى لا تبقى حادثة خطيرة كحادثة هذا الاستجواب دون شاهد غير بطرس الذي فقد الشجاعة وأنكر سيده .

والصنعة ظاهرة ويبقى على المستقبل تبعة الإجابة على السؤال القائم : أين الحقيقة فيما ذكرت الأناجيل ؟؟

---

(١) المرجع السابق [ص٢٨٦] .

النوع الثاني: ما خالف فيه اثنين

وهو أنواع لأنهما إما أن يكونا متفقين أو مختلفين ، وفي كل إما أن يكون الثالث موافقًا لمؤلف يوحنا أو ساكتا ، ونبدأ بما خالف فيه متفقين مع سكوت الثالث ، ثم ما خالف فيه اثنين متفقين مع موافقة الثالث له ، ثم بما خالف فيه مختلفين مع سكوت الثالث ، ثم ننهى هذا النوع بما خالف فيه مختلفين مع موافقة الثالث له .

أ - ما خالف فيه ما أجمع عليه اثنان مع سكوت الثالث :

١ - أول من اتبعه من التلاميذ :

ذكر مؤلف يوحنا أن المعمدان أرشد اثنين من تلاميذه إلى المسيح فتبعاه ، وصرح مؤلف يوحنا بأن أحد التلميذين هو أندراوس ويعتقد أن الثانى هو يوحنا بن زبدى ثم إن أندراوس جاء بأخيه سمعان للمسيح الذى أسماه المسيح « صفا » أى « بطرس » وعرف بهذا الإسم من يومها . ثم آمن به بعد هؤلاء الثلاثة فى اليوم التالي فيلبس ونثنائيل الذى سبق الحديث عنه ببحثنا هذا . وهذا نص مؤلف يوحنا :

« وفى الغد أيضًا كان يوحنا واقفًا هو واثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع ماشيًا فقال هو ذا حمل الله فسمعه التلميذان فتبعا يسوع ... فقال لهما تعاليا وانظرا ... فأتيا ونظرا أين كان يمكث ، ومكثا عنده ذلك اليوم ... كان اندراوس أخو سمعان بطرس واحدا من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه ، هذا وجد أولا أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيًا الذى تفسيره : المسيح ، فجاء به إلى يسوع وقال أنت ابن يونا ، أنت تدعى صفا الذى تفسيره بطرس »[١] .

« هذا كان فى بيت عبرة فى عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد »[٢] .

« وفى الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له اتبعنى ، وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة أندراوس وبطرس فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذي من الناصرة فقال له نثنائيل أمِنَ الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ، قال له فيلبس تعال وأنظر ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه هوذا إسرائيلي حقًا لا غش فيه ، قال له نثنائيل من

---

(١) [يوحنا ١ : ٣٥ - ٤٢] .　　(٢) [يوحنا ١ : ٢٩] .

أين تعرفني أجاب يسوع وقال له قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك ، أجاب نثنائيل ، وقال له يا معلم أنت ابن الله ، أنت ملك اسرائيل[1] .

وهذا النص واضح الدلالة على المكان لأنه كان في عبر الأردن ، وأن الذين آمنوا به كانوا على الترتيب :

التلميذين يوحنا وأندراوس ثم بطرس ثم فيلبس ثم نثنائيل .

وقد خالف بذلك كلا من مؤلف متى ومؤلف مرقس ، فقد نصا على أنه كان يمر عند بحر الجليل فوجد الأخوين سمعان بطرس وأندراوس فدعاهما فتركا شباكهما وتبعاه ، ثم اجتاز قليلاً فدعا الأخوين يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه فترك هذان أباهما في السفينة وتبعاه . وهذا نص متى :

« وإذ كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فإنهما كانا صيادين فقال لهما يسوع هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس فللوقت تركا الشباك وتبعاه ثم اجتاز من هناك ، فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه »[2] .

ويكاد نص مرقس يوافقه حرفيًا دون تغيير في المعنى[3] ، وهذان خالفا نص مؤلف يوحنا في المكان فقد جعلاه بحر الجليل ، وخالفاه ثانيًا في أنه دعا بطرس وأندراوس معا ، وأن الذين تبعوه بعد ذلك مباشرة هما ابني زبدي ، والخلاف بين الرأيين واضح من النصين .

وأما مؤلف لوقا فقد سكت سكوتًا مدهشا عن وصف قصة بداية دخول هؤلاء التلاميذ في دين الله واتباع المسيح .

٢ - موقف المسيح من الجموع بعد حادث الأرغفة الخمسة والسمكتين :

وقد اختلف مؤلف يوحنا مع مؤلفى متى ومرقس . مع سكوت مؤلف لوقا. فقد ذكر مؤلف يوحنا أن الناس لما رأوا أنه أطعم نحو خمسة آلاف رجل من سمكتين وخمسة

---

(١) [يوحنا ١ : ٤٣ - ٤٩] .

(٢) [متى ٤ : ١٨ - ٢٢] .

(٣) [مرقس ١ : ١٦ - ٢٠] .

أرغفة . أراد الناس اختطافه ليجعلوه ملكاً فهرب وحده . ولحق بعد ذلك بتلاميذه في البحر .

وهذا نصه :

« فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم ، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده .

ولما كان المساء نزل تلاميذه إلي عبر البحر إلى كفر ناحوم ، وكان الظلام قد أقبل ولم يكن يسوع قد أتي إليهم ... »(١) .

وواضح من هذا النص أنه انصرف وحده إلي الجبل من وسط أولئك الذين أرادوا اختطافه أي أنه هرب حتى أقبل المساء وأظلم ، فلحق بتلاميذه بعد أن كانوا قد ابتعدوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة لأنه أتاهم ماشياً على الماء كما يفيد النص .

أما مؤلفي متى ومرقس فلم يتعرض أحد منهما لذكر نية الناس في اختطافه ولا لهربه ، وأنه ألزم تلاميذه بعد رفع بقايا الطعام بأن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يقوم بصرف الجموع . وهذا نص مؤلف متى :

« فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد .

وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلي العبر حتى يصرف الجموع وبعد ما صرف الجموع صعد الي الجبل منفرداً ليصلي ، ولما صار المساء كان هناك وحده ، وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر ... »(٢) وبمثله أفاد نص مرقس (٣) .

والاختلاف بين الرأيين واضح .

فقد ذكر مؤلف يوحنا هروبه من الاختطاف ولم يذكر ذلك الآخران . ولم يذكر أنه ألزم تلاميذه بالدخول الي السفينة ، وقد ذكراه .

قال صاحب كتاب « الفارق بين المخلوق والخالق » معلقاً على هذا الاختلاف :

---

(١) [يوحنا ٦ : ١٤ – ١٧] .

(٢) [متى ١٤ : ٢٠ – ٢٤] .

(٣) [مرقس ٦ : ٤٢ – ٤٧] .

«ولعلهم يجعلون هذا التحريف من غلط الوحي فإن المسيحيين ينزهون الأناجيل عن التحريف ويكفرون من يقول بذلك فلذلك أحالوه على غلط الوحي كما هو مذهب بنيامين بنكرتن أحد المفسرين وهو من أفحش *الكفر*»(١) . ولا أثر لشيء من ذلك عند مؤلف لوقا فهو لم يتعرض لنزول تلاميذه البحر ، ولحوقه بهم ماشيًا على الماء وله ترتيب مخالف للأحداث التالية. وبمجرد إلقاء نظرة عليه يتأكد للناظر سكوته عن المسألة وما تلاها (٢)

ب - ما خالف فيه اثنين متفقين مع تأييد الثالث له :

أي أن المؤلفين الأربعة يختلفون على رأيين ، كل رأي يقول به اثنان منهم . ونقدم هنا أنموذجًا لهذا النوع من الخلاف يؤيد مؤلف لوقا فيه مؤلف يوحنا ضد كل من مؤلف متى ومؤلف مرقس .

وهو خلاف دقيق ذا خطر بالغ لأنه يدل على نتائج بالغة الخطورة تأتي على دعاوي توثيق شهادة هؤلاء المؤلفين أو عدالتهم فيما ألفوه من سيرة المسيح . وتدل على غياب الوحي والإلهام عن هؤلاء المؤلفين مجتمعين أو مختلفين لأن النص الذي يتطرق الخلل إلى بعضه لا يسلم من الشك كله وما جاز على بعضه جاز على بعضه الآخر .

١ - مسح الطيب أيضًا :

والخلاف هنا خاص بحادثة مسح المسيح بالطيب من المرأة . فقد نص مؤلف يوحنا على أن المرأة دهنت قدمي المسيح بالطيب ، وأيده في ذلك مؤلف مرقس .

أولاً : هذا نص مؤلف يوحنا :

« فأخذت مريم منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ، ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها فامتلأ البيت من رائحة الطيب ... » (٣) ولم ينكر شيئًا عن مسح الرأس . ويمثله جاء نص مؤلف لوقا :

«وإذا امرأة ... جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب» (٤) .

---

(١) عبد الرحمن باجة جي · الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٠٤ - والمفسر المذكور ذكره صاحب الفارق عند التعرض لشرح القصة كما رواها متى . (٢) [لوقا ٩ : ١٦ - وما بعده] . .

(٣) [يوحنا ١٢ : ٣] . (٤) [لوقا ٧ : ٣٧ - ٣٨] .

وجاء في نفس رواية المؤلف على لسان المسيح رداً على المعترض على فعلها :
« إني دخلت بيتك وماء لأجل رجلي لم تعط ، وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها ، قبلة لم تقبلني ، وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي ، بزيت لم تدهن رأسي ، وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي ... »[1] ، ولم يذكر أنها فعلت بالرأس شيئاً .

وواضح أن موضع المسح حسب الروايتين هو القدمان فقط .

ثانيًا : وأما نص المؤلفين الآخرين القائلين بمسح الرأس فقط :

فهذا نص مؤلف متى :

« تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكيء ، فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا ... »[2] ولم يذكر شيئاً عن الدموع والمسح بشعر رأسها كما فعل مؤلف يوحنا وموافقه ، وإنما اكتفي بهذه الجملة فقط لوصف كيفية فعل المرأة وأنها سكبت وليس كما قال السابقان دهنت .

وهذا نصه :

« وفيما هو في بيت ...... وهو متكيء جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه ، وكان قوم مغتاظين في أنفسهم فقالوا ... »[3] .

وهو واضح الموافقة في النص على الكيفية وأنها سكب وعلى المكان وأنه الرأس. ولم يتعرض لشيء مما نص عليه مخالفاهما من الدهن والغسل والمسح . وربما لم يقولا بذلك هنا لأن الرأس عادة يكون نظيفاً ولا يلقي ما يلقي القدمان من الأتربة وغيرها في مثل ذلك العصر .

ولكن صورة المرأة عند القائلين بالسكب على الرأس صورة امرأة محبة عفيفة ساذجة .

وذلك بعكس الصورة السابقة فإنها تدل على استهتارها بالآداب الدينية اليهودية ، وتبذلها .

---

(1) [لوقا ٧ : ٤٤ – ٤٦] .
(2) [متى ٢٦ : ٧ – ٨] .
(3) [مرقس ١٤ : ٣ – ٤] .

وقد يجاب عن اختلافهم في حادثة المسح بالطيب بأنها حدثت للمسيح مرتين في حياته ويمكن حينئذ أن يقال إن اختلاف النصوص راجع إلي اختلاف الواقعة !! .

وقد أجاب عن ذلك صاحب الفارق فقال :

« وعليه فيكون تصويب يسوع لإسرافها في إضاعة ستمائة دينار على رأسه وقدميه عين السرف وصدور ذلك منه محال ثم لوصح ذلك لما اعترضوا عليه مرتين بل كان يلزمهم السكوت عنه في المرة الثانية ، لأنه أجاب عن اعتراضهم بالمرة الأولي وتكرار ذلك منهم خلاف الأدب »[1] .

٢ – هل حوكم بدون شهود أم وجد في المحاكمة شهود ؟ :

تمت محاكمة يسوع أمام اليهود وأمام بيلاطس الوالي بدون أن يشهد ضده أحد وذلك بحسب نص مؤلفي يوحنا ولوقا فلم يذكرا ولا أحدهما أن أحداً تقدم للشهادة عليه[2] .

وبعكس ذلك نص المؤلفان الآخران فقد جاء بنص متى ما يلي :

« وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا ، ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ، ولكن أخيراً تقدم شاهدا زور وقالا : هذا قال : إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء ، ماذا يشهد به هذان عليك »[3] .

وقد وافقه مؤلف مرقس إلا أنه جعل الشاهدين جماعة شهود وهذا نصه : « وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا ، لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهاداتهم ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيدي . وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيد ... »[3] .

وهذا النوع من الخلاف كان من الممكن أن يكون له موضع سابق فيما اختلف الأربعة فيه على ثلاثة آراء ، أو موضع لاحق فيما خالف نص مؤلف يوحنا فيه مؤلفان

---

(١) عبد الرحمن باجة جي : الفارق بين المخلوق والخالق ص ٢٠٤ .

(٢) [يوحنا ١٨ : ١٩ – وما بعده] ، [لوقا ٢٢ : ٥٤ – وما بعده] .

(٣) [متى ٢٦ : ٥٩ – ٦٢] . (٤) [مرقس ١٤ : ٥٥ – ٥٨] .

مختلفان مع تأييد الثالث له ، وذلك بالنظر إلي الخلاف بين مؤلف متى ومؤلف مرقس ، في أن الشهادة تمت من أثنين فقط أو من قوم . ولكنا نعرض لأصل الخلاف فإن الذي يحكي محاكمة دون ذكر للشهود وشهادتهم بجعل المحاكمة جائزة ظالمة إلا أن يقر فيها المتهم على نفسه والإقرار سيد الأدلة .

والذي يجعل المحاكمة بشهادة شهود يجعل للمحاكمة معنى آخر ، وهو أن القانون الذي حوكم في ظله المتهم لا يأخذ المتهم بدون بينة ، ويعطي احتمالاً لأن المتهم لم يقر بما نسب إليه . ومعني ذلك أن الذي روي بشهادة يناقض من روي بدون شهادة. وأنظر فيما قاله مؤلف يوحنا من أن الذي تبع المسيح إلى دار رئيس الكهنة كان تلميذان بطرس والتلميذ الآخر الذي كان معروفاً لدي رئيس الكهنة ومن في داره ، والذي دخل وأدخل بطرس وأن كثيرين من علماء الكتاب المقدس يعتقدون أنه هو يوحنا بن زيدي ، مؤلف الإنجيل الرابع فيما يزعمون . أتري كل ذلك صحيحاً ؟؟؟ .

إنه لو حضر لأثبت الشهادة لو كان هو المؤلف لهذا الإنجيل .

ومعنى أن يثبت هذه الشهادة المؤلفان الآخران فذلك يعنى أن كلا منهما لا يغفل أمراً مهما كذا .

ومع ذلك فإن الناظر فيما جاء بنص من ذكرا الشهادة يجد وصفاً مغايراً لحقيقة الأمر المشهود به .

فقد وصف الشاهدان فى نص مؤلف متى بأنهما شاهدا زور ، ووصف القوم النين شهدوا في نص مرقس بأنهم شهود زور . مع أن مضمون الشهادة لا زور فيه لأنهم شهدوا أنه قال :

انقضوا هذا الهيكل ... الخ . ولا زور فى ذلك لأنه قاله حقا . وهذا نص مؤلف يوحنا يتحدث عن حادثة طرد الباعة والصيارف في الإصحاح الثاني بقوله :

« فأجاب اليهود وقالوا له آية ترينا حتى تفعل هذا أجاب يسوع وقال لهم انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه »[1] .

---

(١) يوحنا [٢ : ١٨ – ٢٠] .

وهؤلاء الشهود الذين شهدوا على يسوع في المحاكمة حسب هذه النصوص ليسوا شهود زور بل هم شهود حق ويزيدهم في ذلك نص مؤلف يوحنا هذا . فكيف أطلق المؤلفان عليهم تهمة التزوير ؟؟؟ .

جـ - ما خالف فيه اثنين مختلفين مع سكوت الثالث :

وهذا النوع من الاختلاف يختلف عن النوع الذي سبق لنا تقديمه وهو ما اختلف فيه الأربعة على ثلاثة آراء لأنه هناك ينفرد برأي في مواجهة رأيين مختلفين أحدهما لمؤلف واحد والآخر لمؤلفين فيعتبر بذلك مخالفاً للثلاثة . أما هنا فإنه يواجه مختلفين مع سكوت الثالث . ومدار التفرقة هو المخالف فإن الثالث هنا ساكت أما هناك فإنه مؤيد لأحد مخالفي يوحنا من هذه النصوص ما يأتي .

محل تشكيل محكمة بيلاطس :

وفي تحديد مكان هذه المحاكمة يختلف مؤلف يوحنا مع كل من مؤلف متى ومؤلف مرقس والساكت عن موضوع الخلاف هو مؤلف لوقا . فقد ذكر مؤلف يوحنا أن محاكمة بيلاطس المسيح بحضور رؤساء الكهنة تمت خارج دار الولاية وهذا نصه :

« ثم جاءوا بيسوع من عند قيافاً إلى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجسوا فيأكلوا الفصح ، فخرج بيلاطس إليهم وقال أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ... »[1] .

ومعنى ذلك أنهم لم يدخلوا دار الولاية ولا كذلك دار الوالي لئلا يتنجسوا لوجود خمير فيها كما سبق أن وضحنا ذلك ، وكان المكان الذي دارت فيه مواجهة بيلاطس للكهنة ومن معهم بيسوع هو خارج الدار .

وقد خالف مؤلف متى في ذلك فأفاد بأنهم أسلموه إلي بيلاطس فسأله بحضورهم واستجوبه أمامهم في التهم التي كانوا يوجهونها إليه وهذا نصه :

« فوقف يسوع أمام الوالي فسأله الوالي قائلاً أأنت ملك اليهود فقال له يسوع أنت تقول وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء . فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك ، فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً ...

---

(١) [يوحنا ١٨ : ٢٨ ، ٢٩] .

ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذي يدعي المسيح؟ لأنه علم أنهم أسلموه حسداً ، وإذ كان جالساً على كرسي الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله، ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع . فأجاب الوالي وقال لهم من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ فقالوا : باراباس ، قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعي المسيح ، قال له الجميع ليصلب .

فقال الوالي وأى شر عمل فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليصلب فلما رأي بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً : إني بريء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب

فأخذ عسكر الوالي يسوع إلي دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة فعروه وألبسوه رداءاً قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعدما استهزؤا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ، ومضوا به للصلب (١) .

وواضح أن الاجتماع كان فى مكان غير دار الولاية لأنه بعد أن قرر بيلاطس صلبه استجابة لرغبتهم أسلمه إلى العسكر فأخذوه إلي دار الولاية حيث جمعوا عليه كل الكتيبة وسخروا منه واستهزؤا به على حد وصفه .

وذلك يعنى أن المجلس كان في دار الوالي بحضور الكهنة وغيرهم لأن امرأته أرسلت إليه ، وطلب فيه ماء للغسل ، وأنه كان واقفاً أمامه .

وها نحن ننظر فلا نرى أثراً للنجاسة التي ذكرت في نص يوحنا سبباً في عدم دخولهم ، فإما أنهم دخلوا غير عابئين بوجودها استهتاراً بالشريعة ، أو أنهم لم يكونوا يهوداً . أو أن مؤلف يوحنا قد اخترع ذلك من نفسه .

وقد خالفهما مؤلف مرقس . فبعد أن ذكر القصة التي انتهت إلى قرار بيلاطس الذي انتهى بجلد يسوع وتسليمه للعسكر لكي يصلب قال مؤلف مرقس بالنص :

---

(١) [متى ٢٧ : ١١ – ٣١] .

« فمضى به العسكر إلي داخل الدار التي هي دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة وألبسوه أرجوانا وضفروا إكليلاً من شوك وضعوه عليه وابتدءوا يسلمون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم (١) .

وهذا المؤلف يفيد بنصه هذا أن المحاكمة تمت فى دار الولاية وذلك بحضور المشتكين ، ثم أخذه العسكر إلى داخلها .

فهذا الخلاف كما بسطناه ونوجزه في أن مؤلف يوحنا نص على أن المواجهة بين أطراف المحاكمة الثلاثة - بيلاطس ، الكهنة ، يسوع - تمت خارج الدارين لئلا يتنجس اليهود وهم في طهارة العيد .

أما مؤلف متى فيفيد بأنها تمت في دار لبيلاطس غير دار الولاية ، وأما مؤلف مرقس فيقول بأنها تمت في دار الولاية .

وأما مؤلف لوقا فقد سكت عن تحديد المكان مطلقاً ، ونظرة على روايته تؤكد سكوته (٢) .

د - ما خالف فيه اثنين مختلفين مع تأييد الثالث له :

والفرق ظاهر بين هذا النوع من المخالفة وسابقه . فالثالث هنا مؤيد له ، ساكت في سابقة ، كذلك فالفارق بين هذا النوع من الخلاف وبين ما قدمناه فيما خالف فيه الثالث، مما اختلف فيه الأربعة على ثلاثة آراء أن الثالث هناك مؤيد لغيره ومخالف له . وأما هنا فهو مؤيد له .

١ - المكان الذى توجه إليه المسيح بعد إشباع الجموع :

فقد أفاد مؤلف يوحنا أنه توجه إلى عبر بحر الجليل إلى كفر ناحوم ووافقه مؤلف متى فقال بأنه توجه إلى العبر إلى أرض جنيسارت .

وذلك مخالف لما ذكره مؤلف مرقس حيث ذكر أنه توجه إلى بيت صيدا ، وكذلك مخالف لما نص عليه مؤلف لوقا من أن معجزة إشباع الجموع كانت في بيت صيدا

---

(١) [مرقس ١٥ : ١٦ - ١٩] .

(٢) [لوقا ٢٣ : ١ - ٢٥] .

نفسها . وهو وإن كان لم يذكر ركوب التلاميذ السفينة ولا لحوق المسيح بهم ماشياً على الماء إلا أنه جعل بيت صيدا المكان الذي حدثت فيه معجزة إشباع الجموع . فهي عنده منقول منه لا منقول إليه . وهذا نص مؤلف يوحنا :

« ولما كان المساء نزل تلاميذه إلى البحر ، فدخلوا السفينة ، وكانوا يذهبون إلى عبر البحر إلى كفر ناحوم ، وكان الظلام قد أقبل . ولم يكن يسوع قد أتى إليهم »[1] ، وكفر ناحوم على الشاطيء الغربي لبحر الجيليل .

وقد أيده مؤلف متى في أن وجهتهم كانت العبر وإن كان قد سكت عن ذكر كفر ناحوم وهذا نصه :

« وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرفوا الجموع »[2] .

وقد خالف مرقس فقال بأنه أمرهم أن يسبقوه إلى العبر إلى بيت صيدا وهذا نصه :

« وللوقت ألزم تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر إلي بيت صيدا حتى يكونوا قد صرفوا الجمع »[3] .

وبيت صيدا على الشاطيء الشرقي لبحر الجليل . والخلاف بين الروايتين ظاهر فالأولى تقول الغرب والثانية تقول الشرق .

أما مؤلف لوقا الذي قال يزكي نفسه فى أول مؤلفه بأنه تتبع كل شيء من الأول بتدقيق وأن أمور القصة متيقنة عنده . فقد أفاد في نصه بأن مكان معجزة الإشباع كان هو بيت صيدا :

« ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا فأخذهم وانصرف إلى موضع خلاء لمدينة تسمى بيت صيدا فالجموع إذ علموا تبعوه ... »[4] .

★ ★ ★

---

(١) [يوحنا ٦ : ١٦ ، ١٧] .

(٢) [متى ١٤ : ٢٢] .

(٣) [مرقس ٦ : ٤٥] .

(٤) [لوقا ٩ : ١٠ ، ١١] .

النوع الثالث: ما خالف فيه أحد الثلاثة

وهذا النوع من الخلاف ينقسم إلي ثلاثة أقسام :

لأنه إما أن يوافقه فيه أحد الثلاثة ويسكت واحد عن الخلاف، وإما أن يوافقه اثنان، وإما أن يسكت الإثنان عن الخلاف .

ونبدأ الآن بالأول :

أ - ما وافقه فيه أحد الثلاثة مع سكوت واحد :

هل جعل المسيح بطرس يمشي معه على الماء ، كما أفاد نص مؤلف متى ؟؟ .

أ - مشى المسيح وحده كما أفاد كل من مؤلفي يوحنا ومرقس .

يقول نص مؤلف يوحنا :

« وهاج البحر من ريح عظيمة تهب ، فلما كانوا قد جدفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشياً على البحر مقترباً من السفينة فخافوا فقال لهم أنا هو لا تخافوا فرضوا أن يقبلوه في السفينة وللوقت صارت السفينة إلى الأرض التى كانوا ذاهبين إليها ... »[1] .

ووافقه نص مرقس فقال :

« ولما صار المساء كانت السفينة في وسط البحر وهو على البر وحده ورآهم معذبين في الجذف لأن الريح ضدهم ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر ، وأراد أن يتجاوزهم ، فلما رأوه ماشياً على البحر ظنوه خيالاً فصرخوا لأن رأوه واضطربوا فللوقت كلمهم وقال لهم : ثقوا أنا هو لا تخافوا فصعد إليهم إلى السفينة فسكتت الريح . فبهتوا وتعجبوا ... »[2] .

فما نص عليه مؤلف يوحنا مؤيد بما نص عليه مؤلف مرقس ، وهما بذلك يؤكدان مشى المسيح على صفحة ماء البحر . ويختلفان مع وصف نص مؤلف متى في روايته لتلك الحادثة لأنه زاد ما أنقصاه فقد نص على أن بطرس خرج من السفينة أيضاً ماشياً على الماء حتى التقى بالمسيح ثم عاد معه إلي الى السفينة وهذا نصه :

« وأما السفينة فكانت قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج لأن الريح

---

(١) [يوحنا ٦ : ١٨ : ٢١] .   (٢) [مرقس ٦ : ٤٧ - ٥١)

كانت مضادة ، وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر ، فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر ، اضطربوا قائلين أنه خيال ، ومن الخوف صرخوا ، فللوقت كلمهم يسوع قائلاً أنا هو لا تخافوا .

فأجاب بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء ، فقال تعال فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى يسوع ، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً : يا رب نجني ففي الحال مدّ يسوع يده وأمسك به وقال له يا قليل الإيمان لماذا شككت . ولما دخلا السفينة سكنت الريح »(١) .

وهذا النص واضح فيما زاده من إجابة بطرس للمسيح ، ونزوله إلى الماء ماشياً إلى يسوع، وخوفه، وبداية غرقه، وإنقاذ يسوع له وتأنيبه إياه ودخولهما السفينة معا.

وعلى فرض صحة هذا النص فإن التساؤل يثور حول مؤلف يوحنا على الأقل هل هو تلميذ من تلاميذ يسوع حقاً ، وهل يغفل عن خروج بطرس من السفينة وما حدث له إلى هذا الحد ؟ ذلك أمر مستغرب .

وبفرض عدم صدق ما عدا رواية مؤلف يوحنا ومرقس للحادثة وهي واحدة بلا أدنى شك . فإن معنى ذلك طعن رواية مؤلف متى التي زادها على هيكل الحادثة الأصلي . وهذه الزيادة من عنده بلا شك . فإن من غير المعقول أن يغفل عنها مؤلفان وينفرد بها واحد ، وهي أشد دلالة من الهيكل الأصلي على المراد من روايته وفحواه .

وذلك يعني تأييد وجهة نظر كثير من المحققين الذين يطعنون في مؤلف متى ويصفونه بالمبالغة والجنوح إلى الخيال والتخريف . وإن نظرة واحدة إلى مؤلفه في وصف الساعة التي خرجت روح المصلوب فيها إلى خالقها تكفي للتدليل على صحة ما نقول وهذا نصه :

« فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين ... »(٢) .

---

(١) [متى ١٤ : ٢٤ – ٣٢] .

(٢) [متى ٢٧ : ٥٠ – ٥٣] .

وليس مثل هذا النص في حاجة إلى تعليق ولكننا نعقب بكلمتين :

الأولى : أنه تفرد دون جميع المؤلفات المسيحية بذكر ذلك . سواء منها الذى يقدس أو غير المقدس ، وكذلك لا يوجد أثر في المولفات التاريخية من تلك الفترة عن هذا الذي ذكره .

الثانية : أن ذلك لو حدث لما بقي على الأقل في المدينة المقدسة وما حولها من بشر إلا ويؤمن بالمسيح ، وهو ما لم يحدث .

ونعود إلى الساكت عن ذكر المشى على الماء فنجده مؤلف لوقا الذي سكت عن القصة برمتها أصلا وفصلا . ولعله تتبع بتدقيق ما صح لديه من أخبار المسيح الذي لم يره ولم يسمعه ، فلم يصح فيما وصل إليه من أخباره تلك القصة أو لم يصل إليه مطلقاً شيء منها . فلم يكتب شيئاً عن مشى المسيح على الماء ولم يكتب عن بطرس أيضاً أنه مشى على الماء .

والخلاف ظاهر فمؤلفان يقولان بمشى المسيح فقط على الماء والثالث يقول بمشى بطرس معه على الماء أيضاً ، والرابع لا يكتب عن الشي على الماء مطلقاً لا لهذا ولا لذاك ، ولا لكليهما ولا لغيرهما وهو الذي يقول أنه يكتب بتدقيق ويقين .

ب - ما وافقه فيه اثنان :

١ - عدد الذين أطعمهم ونوعهم - فى معجزة السمكتين والأرغفة الخمسة بحسب رواية مؤلف يوحنا :

العدد : نحو خمسة آلاف .   النوع : رجال ونصه .

« فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف »(١)

وقد وافقه مؤلف مرقس فى نصه :

« وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل »(٢) .

وكذلك وافقه لوقا فقال بنصه :

« لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل »(٣) .

ومؤلف يوحنا فيما نص عليه هنا مؤيد من مؤلفي مرقس، لكنه بذلك مخالف لما نص

---

(١) [يوحنا ٦ : ١٠] .
(٢) [مرقس ٦ : ٤٤] .
(٣) [مرقس ٦ : ١٤] .

عليه مؤلف متى من أن عددهم كان نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد . وهذا نصه :

« والآكلون كانوا خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد »[1] .

والخلاف واضح لأنه إما أن يكون مؤلف متى مبالغاً في ذكر النساء والأولاد على عادته في المبالغة ، وإما أن يكون الثلاثة قد غفلوا عن ذكر النساء والأولاد وهو أمر يقلل من شأن هذه المعجزة . ولا شك في أنهم زيادة على عدد الرجال الذين اتفق الأربعة على أنه نحو خمسة آلاف .

فأيهما نصدق إذن ؟! . والأمر في شأن هذه المؤلفات إذن أمر تقريبي شأن مؤلف بشرى ، ولو كان ذلك وحياً من الله لهؤلاء المؤلفين لا تفقوا وما اختلفوا . لأن الاختلاف إنما يرجع إلى اختلاف شخصية كل مؤلف عن الآخرين .

٢ – متى تمت المحاكمة أمام اليهود ؟؟ :

يفيد نص مؤلف يوحنا أن المحاكمة أمام اليهود تمت ليلاً[2] ، وأنها انتهت كما جاء بالنص قبلما « صاح الديك » أي قرب الفجر .

« ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح »[3] .

ويتفق معه في ذلك مؤلف مرقس[4] ، وأن المحاكمة تمت وانتهى الاستجواب قبلما « صاح الديك » « وللوقت في الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس »[5] .

وبمثل ما قال هذا قال مؤلف متى ان المحاكمة تمت وانتهى الاستجواب قبلما « صاح الديك » « ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه ، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس »[6] .

أما المؤلف الذي يقول إنه كتب بتدقيق ويقين . فإن نصه يفيد أن الذين قبضوا على يسوع أخذوه وساقوه إلى بيت رئيس الكهنة وأنه مكث معهم تلك الليلة وهم

---

(١) [متى ١٤ : ٢١] .
(٢) [يوحنا ١٨ : ١٢ – ٢٧] .
(٣) [يوحنا ١٨ : ٢٨] .
(٤) [مرقس ١٤ : ٥٣ – ٧٢] .
(٥) [مرقس ١٥ : ١] .
(٦) [متى ٢٧ : ١] .

يستهزئون به ويجلدونه حتى أصبحوا . ولم يسأل ولم يستجوب .

فلما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم ثم بدأوا يستجوبونه . أى أنهم لم يستجوبوه ليلاً لأنهم لم يكونوا قد اجتمعوا بعد . وهو أمر معقول إلى حد كبير فإنه في مثل ظروف ذلك العيد الذي قبض عليه فيه يكون روساء الكهنة والكتبة في شغل كبير يصعب معه أن يجتمعوا في المجمع الذي لا ينعقد قانوناً إلا بحضور عدد كبير منهم . قبل أن يصبح الصباح . وهذا نص مؤلف لوقا :

« فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له إنك قبل أن يصبح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج بطرس إلى خارج وبكي بكاءاً مراً .

والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه ، وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ من هو الذي ضربك وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين .

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم : ان قلت لكم لا تصدقون ، وإن سألت تجيبوني ولا تطلقونني منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله »(١) .

ونظرة واحدة لنص هذا المؤلف من أول قصة القبض على المصلوب إلى نهاية المحاكمة تكفي لتوضيح ذلك . فلم يرد أنه حوكم بالليل أو سئل حتى اجتمعت مشيخة الشعب نهاراً »(٢) .

فهل يعقل أن تختلف الزوايا الأربع عند القائلين بها حتى تنتج هنا زاويتين ، بحيث يرى المصور لوقا ليل الثلاثة نهارا ..

أو يرى الثلاثة نهاره ليلاً ! وأين بقية الزوايا الأربعة ؟! .

جـ - ما لم يوافقه فيه أحد لسكوت اثنين عن الدخول فى الخلاف :

وهذا النوع من الاختلاف « الأخير في جميع أنواع الاختلافات وهو ما عارض فيه

---

(١) [لوقا ٢٢ : ٦١ - ٦٩] .
(٢) [لوقا ٢٢ : ٥٢ - ٧٣] .

مؤلف يوحنا مؤلفا آخر ، وسكت المؤلفان الآخران فلم يشتركا فيه .

متى جاءت النساء إلى القبر ؟ :

ويهمنا من الخلاف هنا وقت الوصول إلى القبر بصرف النظر عن الخلاف في شخص من وصل إليه .

فقد أفاد نص مؤلف يوحنا : « أن الوقت كان مبكراً ، والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر »(1) .

وخالفه نص مرقس إذ أنه جعل مجيئها بعد طلوع الشمس وهذا نصه :

« وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه ، وباكرا جداً في أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس »(2) .

ولا مشاحة في وضوح هذا الخلاف . فأين طلوع الشمس من بقاء الظلام ؟! وليت أحدهما نص على البكور دون التحديد ببقاء الظلام أو طلوع الشمس لكان من الممكن تفادي ذلك بتعلة أو بأخرى ، وذلك كما فعل المؤلفان الآخران فقد نصا على ما يفيد البكور دون تعلق ببقاء الظلام أو طلوع الشمس .

وقد تسول للمجيب نفسه أن يجمع بين بقاء الظلام وطلوع الشمس في مخيلته فله ما يرى وللناس الحق .

ويحضرني في هذه المناسبة قصة سمعتها من أحد أساتذتنا الأجلاء حكاها لنا أن الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان كان من عادته وهو جالس بدرسه أن يحترم العلم ويجل طلابه إلا من كان جاهلاً بليداً .

فاتفق أنه كان يتحدث في الدرس عن أوقات الصلوات الخمسة ، وكان يتحدث لمن له سؤال في نهاية درسه وانصرف من لا سؤال له . ففوجيء بطالب يسأله عن وقت الفجر . فقال له : إنه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فبادره الطالب قائلاً : ماذا يحدث لو أن الشمس طلعت قبل الفجر . فما كان من أبي حنيفة إلا أن رد : إذن يمد أبو حنيفة رجليه .

ونحن بعد هذا التطواف في هذا المبحث على مذهب أبي حنيفة ، بعد أن امتدت أيدينا لتلك النصوص بالبحث والدراسة والتحليل ، ولا حرج إذا مددنا رجلينا ولا علينا ..

---

(1) [يوحنا ٢٠ : ١] .

(2) [مرقس ١٦ : ١ – ٢] .

« المبحث الثانى »

الاختلاف بين انجيل يوحنا وما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد

وهذا المبحث على إيجازه نقدمه هنا لأهميته ولأنه قائم على جانب من الدراسة الموضوعية ، بالنظر في النصوص المختلفة ، وقد تحدثنا في المبحث السابق عن الاختلافات بين إنجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة في جانب العقيدة ، وفي الجانب التاريخي وقد آثرنا أن نقدم هنا هذه المقارنة بين هذا الإنجيل وبين ما ينسب لاسم يوحنا من مؤلفات العهد الجديد .

وبالنظرة الأولى إلى العهد الجديد نجد هناك ما ينسب إلى اسم « يوحنا » فقط مجرداً من أي وصف . وإلى هذا ينسب الإنجيل . ونجد أيضًا ما ينسب إلى «يوحنا الرسول» وهو الذي تنسب إليه الرسائل الثلاث ، وكذلك نجد أيضًا ما ينسب إلى «يوحنا اللاهوتي» وهو الذي ينسب إليه سفر الرؤيا . وهذه تفرقة وتمييز بين «يوحنا» و«يوحنا الرسول» و «يوحنا اللاهوتي» .

وأول ما يستفاد منها أن كل واحد من الثلاثة مغاير للآخر ، فالأول ليس له لقب وإنما عرفه باسمه المجرد ، والثاني كان يلقب «بالرسول» والثالث كان يلقب «باللاهوتي» . ولو كانت كل هذه الأسفار تنسب إلى شخص واحد فقط لما حدث التمييز لا بلقب ولا بأكثر . وهذا التمييز موجود بطبعة الكتاب المقدس التي بين أيدينا .

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من تأكيد وجود شخصين في مدينة أفسس كان كل منهما يحمل اسم « يوحنا » وهما اللذان تحدث عنهما يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة ، وكذلك يؤيد ما رجحناه من احتمال وجود ثالث أو أكثر يحمل كل منهم هذا الاسم .

ولا يمكن الفصل في هذا الأمر دون دراسة موضوعية أو نظرة فاحصة على الأقل لهذه المؤلفات التي تحمل اسم يوحنا المجرد أو المميز من بين هذه الأسفار ، فعندئذ يمكن الفصل بيقين في هذه القضية .

ونقابل أولاً بين الإنجيل وسفر الرؤيا

أول الفروق : أن الإنجيل فلسفة يونانية ، والرؤيا سفر عبرى . قال ول ديورانت : في كتابه : « قصة الحضارة » :

« يبدو من غير المعقول أن يكون كاتب سفر الرؤيا هو نفسه كاتب الإنجيل الرابع . ذلك أن سفر الرؤيا سفر يهودي وأن الإنجيل فلسفة يونانية »[1] . ويشبه سفر الرؤيا سفرى دانيال وأخنوخ من حيث الشكل »[2] .

الفرق الثاني : أن كاتب الإنجيل لم يصرح بذكر اسمه ، بعكس ما صرح به كاتب الرؤيا في التعريف بنفسه بقوله :

« أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيقة وفي ملكوت المسيح وصبره كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح »[3] . وهذا ما حدث ليوحنا تلميذ المسيح المعروف بابن زبدي ، ولا داعي لتكذيب الكاتب في الوقت الذي صدر عنه ما يليق بثقافته اليهودية البسيطة .

وقد جاء بكتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري ما نصه :

« أستطيع الحكم من طبيعة كليهما - أي الأنجيل والرؤيا - ومن صيغة التعابير ومن مضمون كل السفر أنه ليس من تصنيفه ، لأن الأنجيلي لم يذكر اسمه في أي مكان ، ولم يعلن عن ذاته لا في الإنجيل ولا في الرسالة ...

ويوحنا لم يتحدث قط مشيراً إلى نفسه أو إلى شخص آخر ، أما كاتب سفر الرؤيا فيقدم نفسه في البداية »[4] .

الفرق الثالث : أن الإنجيل بأسلوب بليغ في التعبير ، خال من الأخطاء اللغوية في التراكيب ، وذلك بعكس الرؤيا .

وكذلك جاء بكتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ما نصه :

« أن أسلوب الإنجيل والرسالة يختلف عن أسلوب سفر الرؤيا

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة . ص ٢٧٤ جـ ٣ من المجلد الثالث ترجمة محمد بدران .

(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ .

(٣) [رؤيا يوحنا ١ : ٩] .

(٤) يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ي ٧ ف ٨ ، ٩ ترجمة مرقس داود ص ٣٣٩ - طبعة ماهر نسيم .

لأنهما لم يكتبا فقط دون أي خطأ في اللغة اليونانية بل أيضاً بسمو في التعبير وفي فحواهما بكليته . إنهما أبعد ما يكون عن إعثار أي بربري أو عامي .

لأن الكاتب – أي كاتب الإنجيل والرسالة – كانت له على ما يظهر موهبتا الحديث ، أي موهبة العلم وموهبة التعبير ، اللتين وهبه الرب إياهما . وأنا لا أنكر أن الكاتب الآخر رأي رؤيا ونال علما ونبوة ، ولكنني مع ذلك أن لهجته ولغته لا تتفقان مع اللغة اليونانية الفصحى، بل هو يستعمل اصطلاحات بربرية ، وفي بعض المواضع أغلاط نحوية . ولا يعنينا الإشارة إليها ، لأنني لا أريد أن يظن أي واحد أنني أذكر هذه الأمور بروح التهكم ، وإنما قلت هذا بقصد ايضاح الخلاف بين الكتابات المختلفة [1] .

وقد تقدم ما نقلناه من رأي الدكتور باركلي في الباب الأول في هذا الموضوع ونحن نحيل إلى الترجمة العربية وهي تحمل أدلة صدق ذلك لما يظهر من فروق التعبير ، وإن كانت أخطاء الرؤيا النحوية في اليونانية دون الترجمات .

الفرق الرابع : وهو فرق موضوعي : بين الإنجيل والرسالة من جهة وبين موضوع الرؤيا من جهة أخرى .

« من مجموعة الآراء . ومن الكلمات وترتيبها نستنتج أن هذا يختلف عن ذاك .

لأن الإنجيل والرسالة يتفقان مع بعضهما ويبدآن بأسلوب واحد ، الأول يقول : في البدء كان الكلمة ، والثاني يقول : الذي كان من البدء، الأول يقول : والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب ، والثاني يقرر نفس الأمر مع تغيير طفيف : الذى سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة فإن الحياة أظهرت ...

---

(١) المرجع السابق ك ٧ ف ٢٥ ص ٣٤١ .

ثم إنه يتمسك بهذا ولا يتحول عن موضوعه ، بل يناقش كل شيء تحت نفس رؤوس المواضيع والأسماء سوف نذكر بعضها بإيجاز .

والباحث المدقق يجد هذه التعابير تتردد مراراً في كليهما : الحياة والنور ، الانتقال من الظلمة ، وبصفة مستمرة أيضاً ترد هذه العبارات : الحق ، والنعمة ، والفرح ، جسد ودم الرب ، الدينونة ومغفرة الخطايا ، محبة الله من نحونا ، الوصية أن نحب بعضنا بعضا ، وأن نحفظ كل الوصايا ، دينونة العالم ، وابليس ، ضد المسيح ، موعد الروح القدس ، التبني لله ، الإيمان المطلوب منا بصفة مستمرة ، الآب والإبن ، هذه وردت في كل مكان ، والواقع أنه يمكن بوضوح أن يرى نفسه الطابع الواحد الذي يحمله الإنجيل والرسالة .

أما سفر الرؤيا فيختلف عن هذه الكتابات وغريب عنها ولا يمس موضوع السفرين من قريب أو بعيد ، ويكاد يخلو من أي تعبير يوجد فيهما »[1] ، ونحن نحيل إلى سفر الرؤيا فإن نظرة إليه تكفي لتصديق هذا القول الذي نؤيده بعد التأكد من صدقه

ولعل من فضلة القول التساؤل أين تقف الرسائل الثلاث التي تنسب إلى اسم « يوحنا الرسول » ؟ لأن المتبادر الصحيح أن الرسالة الأولى تقف مع الإنجيل في مواجهة الرؤيا فيما ذكرنا من الفروق الأربعة فالرسالة الأولى مثل الإنجيل تماماً لأنها :

١ - فلسفة يونانية .

٢ - لم يذكر كاتبها اسمه ولم يشر إليه .

٣ - بلاغة أسلوبها وسلامته من الأخطاء .

٤ - تناولت ذات الموضوعات الفلسفية التي تناولها الإنجيل .

أما الرسالتان الثانية والثالثة فكل منها تتكون من إصحاح صغير جداً لا يعدو ١٥ خمس عشرة آية أو فقرة . وتشبهان الرسائل الشخصية أولا هما إلى سيدة تدعي كيرية والثانية إلى رجل يدعى

---

(١) المرجع السابق ك ٧ ف ٢٥ ص ٣٤١ .

غايس وفيهما بعض الدعوة إلى مبادىء مما تضمنته الرسالة الأولى والإنجيل .

والرسائل الثلاث بهذا تقف مع الإنجيل في مواجهة الرؤيا ومن الملاحظ أن الرسالة الثانية -رسالة كيرية- محررة من : « الشيخ » ، وكذا الرسالة الثالثة - رسالة غايس من : « الشيخ » وهاك نص كيرية :

« الشيخ إلى كيرية المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق ولست أنا فقط بل أيضاً جميع الذين قد عرفوا الحق ... »[1] .

وهذا نص رسالة غايس :

« الشيخ إلى غايس الحبيب الذي أنا أحبه بالحق »[2] .

ولعل من حقنا هنا أن نتسائل من هو هذا الكاتب ؟؟

إنه يلقب نفسه « الشيخ » والتقليد يقول : إن اسمه يوحنا . ولا نشك في أنه هو « يوحنا الشيخ » أي : القسيس . صاحب القبر الثاني في أفسس .

وطابع الثقافة الذي يبدو لنا من رسالتي الشيخ على قصرهما يؤكد أن كاتبهما هو نفس كاتب الإنجيل والرسالة الأولى . الذي كان بابياس واحداً من تلاميذه كما ذكر يوسابيوس في كتابه تاريخ الكنيسة في قوله :

« وكلما أتى واحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عما قاله أندراوس أو بطرس عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أي واحد آخر من تلاميذ الرب أو عما قاله أريستيون أو القس يوحنا » . انتهى قول بابياس ثم يضيف يوسابيوس قائلاً :

« ومما هو جدير بالذكر هنا أنه كرر اسم يوحنا مرتين . فالاسم الأول يذكره مع بطرس ويعقوب ومتى وسائر الرسل ، ومن هذا يتبين بوضوح أنه يقصد يوحنا الإنجيلي ، أما يوحنا الآخر فإنه يذكره بعد

---

(١) [٢ يوحنا : ١]   (٢) [٣ يوحنا : ١] .

فترة معينة ، ويضعه ضمن أشخاص آخرين ليسوا من عداد الرسل واضعا أريستيون قبله وبكل وضوح يدعوه قسا .

هذا يبين صحة ما يقرره مَنْ يقولون إنه كان هناك شخصان في آسيا يحملان نفس الإسم وهناك قبران في أفسس لا يزال إلى الآن كل منهما يدعى « قبر يوحنا » ..

هذه ملاحظة جديرة بالأهمية لأنه يحتمل أن يكون يوحنا الثاني هو الذي رأى الرؤيا المنسوبة إلى يوحنا ان كان أحد لا يميل أن يكون الأول هو الذي رآها »[1] أهـ . يوسابيوس .

وليس بخفي أن دافع يوسابيوس إلى الاعتراف بذلك أنه كان يدافع عن الإنجيل في مواجهة منكريه ولذلك اعترف وكأنه يريد أن يضحى بالرويا لكي يسلم الإنجيل .

هذا ولا يخفي الفارق الجلي بين الإنجيل الرابع وغيره لتغافله لجانب الأخلاق والسلوك ، فقد أغفل نواحي الأخلاق والتهذيب ومباديء السلوك القويم والحض عليها ، وهذه رسالة كتاب الدين في كل وقت وحين . إذا يبدأ لينظم للناس حياتهم وينتهي بإقناعهم بما شرع من عبادة وسلوك . ولكن إنجيل أفسس لم يظهر لنا فيه أي عناية بالأخلاق أو السلوك وذلك باستثناء نتف يسيرة لا تسمن ولا تغني . ذلك لأنه اهتم من بدايته بالهدف الذي انتدب لتحقيقه وهو إرضاء أهل الكنيسة في أفسس بتأليه المسيح .

أما الآن فلا حرج من التسليم بالحقائق المؤكدة التى توصل إليها البحث ، وما لقيصر لقيصر وما لله لله ..

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٣٩ ، ص ١٥٦ .

« خاتمة البحث »

لقد دار بحثنا حول إنجيل يوحنا من زاويتين : تاريخياً وموضوعياً . وهما موضوع البحث في بابيه الأول والثاني ، سبقتهما مقدمة موضوعية ، عرفنا فيها بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وبيان منزلة هذا الإنجيل بين أسفاره ، وأنه أفضلها ، كما سماه بعض علماء الكتاب من المسيحيين تاج الأناجيل ، وإنجيل الأناجيل ، وكما شبه بعضهم منزلته بينها بمنزلة الروح من الجسد . كما قمنا فيه بدراسة وصفية لبيئة الإنجيل الرابع وأحوالها خلال القرن الأول وقد توصلنا في وصف تلك الأحوال إلى أنه لا خلاف بين المؤرخين أن الحالة السياسية في فلسطين خاصة كانت على أسوأ ما تكون ، ولكنها على افراطها في السوء لم تبلغ مبلغ الحالة الاجتماعية في الدلالة على القنوط وعموم البلاء ، وذلك نتيجة للاستعمار الروماني ، وأن غير فلسطين من بقية الأقاليم المستعمرة لم يكن بأفضل حالاً منها إلا في القليل النادر ، وأن فلسطين بحكم موقعها كانت مكاناً صالحاً لا ختلاط الأجناس .

وكانت أنطاكية مركز الإشعاع المسيحي بعد سقوط أورشليم وكانت في عصر الحواريين تعد مع الاسكندرية وأفسس مدينة الإنجيل الرابع بين مدن الشرق العظمى.

كما أن مدينة الإنجيل الرابع كانت ذات موقع فريد ، وكذلك اشتهرت بهيكل أرطاميس التي عد معبدها بين عجائب الدنيا السبع ، وكذلك بمسرحها الكبير ، وكان كل ذلك مما جعلها تشتهر بألقاب كثيرة مثل : نور آسيا ، وسوق أباطيل العالم . وهى تلك المدينة التي طلبت تأليف إنجيل لتأليه المسيح ، والتي وجد بها قبران كل منها يحمل اسم يوحنا .

ثم تناولنا الحالة الفكرية بأشهر ما عرف من المذاهب الفلسفية ، والمدارس التي اشتهرت خلال القرن . وقد وضحنا مكانة مدرسة فيلون بالإسكندرية وكان معاصراً للمسيح ، وقد مزج في فلسفته بين عقائد عصره ومذاهبه الفلسفية من كل منبت ، وقد كان له دور في القول بالكلمة « اللوجوس » من الرواقيين عن هيراكلتوس أول القائلين بها ، ثم قال بأنها واسطة الله في علاقته بهذا العالم ، كما أخذ تفسير الرموز الدينية من العبادات السرية كعبادة إيزيس وغيرها .

ثم تناولنا بعد ذلك ظهور المسيح ، الذي كان جوهر دعوته هو نفس جوهر دعوة

من سبقه من الأنبياء لبني اسرائيل . كما جاء عنه من قوله : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل »[1]. وأنه كان محباً للفقراء والمساكين ، كما كان يكره تسلط الكهنة باسم الدين ، وأنه لم يلبث أن اصطدم بالشعب العنيد الذي كان يعيش على أمل أن المسيح المنتظر قائد ظافر ، سيرد الملك إلى الشعب المختار ويحرر أرضهم من تسلط الاستعمار ، ولكن دعوة المسيح كانت أخلاقية تدعو إلى الزهد والاستقامة على الشريعة .

من أجل ذلك حاولوا قتله والإيقاع به مرات كثيرة وقد نجاه الله في آخر محاولة، وهي تلك التي خانه فيها يهوذا . ثم جاء دورنا في الحديث عن تلاميذه ، وقد اتضح لنا أنهم تمكنت منهم الحيرة بعد رحيله المفاجيء ، وذلك نظراً لتفرقهم من ليلة القبض ، وأنه ظهر لهم بعد حادثة الصلب ، والتقي بهم مراراً في الخفاء وأنه أكد لهم أنه بلحمه وعظمه ، وقد ذهب بعد آخر لقاء ولم يعد ، خوفاً على حياته التي نجاه الله تعالى بها من كيد أعدائه ، وربما كان وعدهم بلقاء لم يتمكن من تنفيذه ولعل هذا يفسر انتظارهم لرجعته ، وأنهم ظلوا كما علمهم محافظين على الشريعة إلا أن اليهود كانوا فيما يبدو يحيطونهم بحزام من الكراهية لأنهم تلاميذ المسيح . ثم ظهر بولس بشخصيته ، ونشاطه ، وفلسفته فتضاءلت جهودهم ، وأعيتهم الحيلة ، وطوى النسيان أكثرهم ، وأصبح بولس مركز الدائرة الجديدة التي اتخذ من اسم المسيح أرضاً أقام عليها صرح بنيانه .

وهذا البنيان هو المسيحية التي عرفها الناس من بعد ظهوره . وليس للمسيح فيها إلا مجرد الاسم، أما عقيدتها ، وعبادتها وما بها من شعائر وطقوس فكله لبولس.

وخلاصة ما فعله أنه نادى بأن الصلب كان فداء ، وأن المسيح كان ابنا لله ، وقد ساعدته ثقافته الواسعة على الترويج لذلك ، كما ساعدته على إدخال كثير من الطقوس والعبادات الوثنية في مسيحيته الجديدة ، كما كان له من عبقريته سند قوي للوصول إلى فرض آرائه وبسط سلطانه .

كما أن بولس لم يكن فرداً فريداً بل كان رمزاً لتيار جارف حفل بالكثيرين من أمثاله في المؤهلات والعمل دون الشهرة التي كانت رسائله الأربع عشرة بالعهد

---

(١) [متى ٥ : ١٧] .

الجديد من دعائمها . وقد سبقت رسائله هذه الأناجيل الأربعة في زمن التأليف والشهرة لنشاطه .

ثم تناولنا التيارات المناهضة لعقيدة الكنيسة ، والتى ظهرت بين أتباعها خلال القرن الأول ، والتي كانت تتمثل في فرق كثيرة اختلفت في عقائد كثيرة ، وان كانت تلتقي على مبدأ رفض ألوهية المسيح وأزليته .

وقد تناولنا الحالة الدينية آخر ما تناولنا في التمهيد ، وتحدثنا هناك عن عبادة القيصر التي كان الرومان يحملون الشعوب عليها حملاً ، كما تتبعنا موقف القياصرة منها خلال القرن الأول الميلادي .

كما بينا من معبودات الشعوب الآلهية التي كانت تحظى بشهرة عريضة والتي يوجد تشابه بين عقائد أتباعها فيها وبين عقائد أتباع المسيح في عبادته ، ومنها (مثرا) الفارسي ، وعقيدة أتباعه فيه ، وشعائر عبادته ، وتناولنا عبادة « ايزيس المصرية » و « أورفيوس » اليونانية ، ثم عبادة « أتيس » الفريجية كمثل لآلهة الإنقاذ والخلاص .

ولا يفوتنا ما تناوله به عبادة « أرطاميس » التى تحدثنا عنها عند الكلام عن أفسس ، وذلك بالإضافة إلى ديانة بني إسرائيل .

وقد بحثنا هذا الإنجيل تاريخياً في الفصل الأول والثاني من الباب الأول وتوصلنا إلى النتائج التاريخية الآتية :

إن هذا الإنجيل ألف استجابة لرغبة الأساقفة والخدام في آسيا في تاليه المسيح، وللرد على أتباع يوحنا المعمدان بتفضيل المسيح عليه ، وكذلك للرد على منكري تاليه المسيح ، و للرد على منكري عقيدة الفداء ، ومنكري الصلب ، ومنكري بشرية المسيح . وهذا سبب تأليفه ، والمكان هو مدينة أفسس . واللغة التي كتب بها هي اليونانية . وأقدم النسخ التي يوجد بها كاملاً هي النسخة الفاتيكانية التي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي ، وأن الزمن الذي ألف فيه هو آخر القرن الأول ، والربع الأول من القرن الثاني الميلادي .

أما مؤلفه فقد اختلف فيه رجال دين الكنيسة مع علماء الكتاب المقدس إلى رأيين متقابلين . وقد استوفينا بحث هذا الخلاف في الفصل الثاني من الباب الأول . فقد ذهب رجال دين الكنيسة إلى أن المؤلف هو يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح وهو رأى التقليد والمقلدين . وقد ناقشنا ما استدل به المقلدون من أقوال تدل على تأييد ما درج

عنيه التقليد . فلم نجد بين من نسبت إليهم تلك الأقوال أحداً من تلاميذ يوحنا بن زبدي الذي عرف بكثرة المريدين لطول عمره وأن هذا الإنجيل انكرته فرق الألوجيين في حياة تلميذه بوليكاربوس فلم ينكر عليهم ، ولم يتعرض للقضية لا إثباتاً ولا نفياً . وكان ذلك في منتصف القرن الثاني الميلادي الذي لم يجمع أهله على صحة النسبة . كما أن مثل تلك الأقوال التي تتمسك بها الكنيسة وكذلك مصادرها التاريخية ليست معصومة من الخطأ ، بل تردها الكنيسة إذا لم توافق هواها . وهذه الأقوال لا تنهض بتلك الدعوى العريضة التي يدعيها رجال دين الكنيسة .

أما الرأى الثاني فهو رأى علماء الكتاب المقدس ، وهو رأى علمي قائم على مجموعة متساندة من الأدلة التي تدعمه وتؤكد صحته في الوقت الذي تدحض فيه الرأي السابق للكنيسة :

مؤلف الإنجيل الرابع ليس هو يوحنا بن زبدي الذي كان رجلاً « عديم العلم ، عامياً » والإنجيل فلسفة يونانية مركزة ، كما أنه بأسلوب سليم بليغ .

أما مؤلفه الحقيقي فهو يوحنا الشيخ الذي ثبت في مصادر تاريخ الكنيسة أنه كان قسيس أفسس والذي كان يلقب بلقب « الشيخ » الذي هو ولقب القسيس بمعنى واحد . وكذلك فإن وجوده ثابت بوجود مؤلف سفر الرؤيا الذي لقب بلقب « اللاهوتي » في الوقت الذي لم يميز فيه مؤلف الإنجيل بأي لقب ، كما أن تناقض سفر الرؤيا مع الإنجيل دليل على تغاير الكاتبين ، وأن الرؤيا بما تحويه في نصها اليوناني القديم من أخطاء نحوية ، وكذلك بما تتضمنه من خيال فج وتعبير وحشي تتطابق مع شخصيته « عديم العلم العامي » وهو ابن زبدي، وتتنافر مع شخصية الفيلسوف البليغ اللاهوتي، وهو الشيخ يوحنا قسيس أفسس والذي كان له بها قبر بجوار قبر يوحنا .

كما ثبت أن الذين طلبوا إنجيلاً لتأليه المسيح لا يتوقع منهم أن يتلقوا مثل هذا الإنجيل إلا بالترحاب والقبول ، وأن الإنجيل بطابعه الفلسفي يؤكد ذلك ، كما يؤكد شخصية كاتبه الفيلسوف اللاهوتي قسيس أفسس .

كما تناولنا في الباب الثاني هذا الإنجيل من ناحية مادته الموضوعية ، وقد وجدنا أنه تأثر تبعاً لمؤلفه بالبيئة التي أنتج فيها ولها ، وأنه « بحث فلسفي أفرغ في قالب تاريخي » لخدمة هدف طالبيه ليؤله لهم المسيح ، وقد ظهر لنا في التلخيص الذي قدمناه لنص الإنجيل في الفصل الأول من الباب .

ثم تلاه الفصل الثاني الذي تناولنا فيه ما قام به المؤلف في محاولة تأليه المسيح، وقد ناقشنا جميع النصوص التي جاءت بهذا الإنجيل والتي يتمسك بها مؤلهوا المسيح اتباعاً للمؤلف ، فوجدنا أنها لا تنهض بتلك الدعوى التي يدعونها . وأنها محاولة فاشلة .

ثم تناولنا في الفصل الثالث النظريات الفلسفية التي استعارها المؤلف من الفلسفة اليونانية ، وقد ثبت أن النظريات الأولي هي نظرية الكلمة « اللوغوس » التي تنسب إلى الفيلسوف اليونانى القديم « هيراكلتوس » من قبل أن يستعيرها يوحنا الشيخ بنحو سبعة قرون . وكان هيراكلتوس أيضاً من أبناء أفسس ، وأن المقصود بلفظ « لوغوس » هو معنى مجرد لا ذاتا مجسمة ، وكان معناها مجرداً أيضاً في النصوص اليهودية ، وأن فكر اليونان عن اللوغوس التقى بالفكر اليهودي في مدرسة فيلون بالإسكندرية وامتزجا ، وكانت النتيجة القول بأن اللوجوس كائن أزلى هو الوسيط بين الله والعالم ، وأن الله خلق به الخلق .

كما أنه لا جهد في النظرية بعد ذلك ليوحنا الشيخ إلا إضافة اسم المسيح ، والقول بتجسد الكلمة له وحلول الله فيه . وهذا ما يؤيد أنه كان تلميذاً من مدرسة أفلاطون الذي كان معاصراً للمسيح . كما لا يخفي أن العهد الجديد لم يرد فيه هذا الفكر الذي انفرد به الإنجيل الرابع .

وقد ثبت أنه استعار نظرية « المثل » التي تنسب للفيلسوف اليوناني أفلاطون ، والتي استعارها يوحنا الشيخ وقال بها بعده بنحو من خمسة قرون ، وأن كل ما فعله يوحنا الشيخ هو إضافة اسم المسيح والقول بأنه مثال المثل . وأن هذه النظرية لم يقل بها غيره بين مؤلفي العهد الجديد . وذلك بالإضافة إلى ما تبع ذلك من القول بالحلول ، والتجسد .

وفي الفصل الرابع تناولنا الأفكار المشتركة بين المسيحية وما سبقها من عقائد الوثنية في صورة الإله المنقذ المخلص والذي ظهر في أوجه الشبه بين قصة الفداء بالصلب في النصرانية وما ظهر في محاكمة الإله بعل قبل ميلاد المسيح بتسعة قرون ، وكذلك في عقيدة أتباع الإله - مثرا - الفارسي قبل ميلاد المسيح بستة قرون ، وفي عقيدة أتباع بوذا المعبود الهندي ، وما ظهر من أوجه الشبه الكثيرة بين عقيدة النصاري في المسيح وعقيدة الهنود في كرشنه التي ظهرت من قبل ميلاد المسيح بنحو

خمسة عشر قرناً من الزمن .

أما من حيث حادثة الصلب فهي قضية لها مؤيدون ومنكرون ، وقد ثبت أن كثيراً من النصارى الأوائل اعتقدوا بنجاة المسيح ووقوع الصلب على غيره ، وأن هذه العقيدة على خلاف عقيدة الكنيسة التي عرفت باضطهادها لمخالفي عقيدتها ولولا ما عرفت به من قسوة التنكيل ومحاكم تفتيش الصدور عن العقائد ، لكان عالم المسيحية يزخر الآن بما يناقض عقائد الكنيسة .

وقد ثبت لنا أن المسيح لم يصلب وأنه كان حياً بلحمه وعظمه بعد حادثة الصلب ، وقد أكل وشرب وأكد أنه لا زال حياً يرزق وأرى تلاميذه يديه ورجليه ليتاكدوا بالجس واللمس أنه حيٌّ يرزق ، وطلب منهم طعاماً ليأكل فناولوه سمكاً وعسلاً فأخذ وأكل قدامهم، وقد اختفى بعد ذلك خوفاً على حياته كما توحي بذلك روايات الأناجيل الأربعة.

وأما المصلوب فهو بدون شك لدينا يهوذا الاسخريوطي وأنه وقع القبض عليه ليلة ذهابه أمام الجنود عند باب البستان ، وهي تلك اللحظة التي أذهلتهم بما وقع أمامهم وهي عينها التي اختفى فيها المسيح بعناية الله ، وأن اليهود والحاكم حاكموا يهوذا الذي لم يعترف بأنه المسيح ، وهو الذي رفع على خشبة الصلب حياً ، ونزل أيضاً حياً من فوقها ، وأفاق من الأطياب في القبر وخرج لاكتشاف خلو القبر من المدفون فيه .

وجاء بعد ذلك الفصل الخامس الذي دار حول : قصص يوحنا بين الحقيقة والرمز. وقد تناولنا قصصه تحت مبحثين أولهما للقصص ، والثاني للمعجزات ، وقد انقسم القصص في المبحث الأول إلى قسمين : الأول عن القصص الذي له واقع معالج ، والثاني عن القصص المشكوك في واقعيته .

وقد ثبت لنا أنه تناول ثلاث قصص عالجها على طريقته ، تناول يوحنا - المعمدان وهو يحيى بن زكريا - في الأولى فحط من قدره ولم يعترف له بفضله الذي اعترف له به المسيح كما جاء برواية غيره من الأناجيل . وذلك لمحاولة أتباع يوحنا - المعمدان - وكذلك يجعله معترفاً بأن المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم ، وكذا بجعله معترفاً بما ادعاه المؤلف من تأليه للمسيح ، وذلك لتاكيد ما يدعو إليه .

وتناول بعد ذلك موضوع الصلاة التي وصفت بالمطلة . لأنه عطلها بفلسفته التى أفرغها في قالب تاريخي ، وألبسها ثوب المسيح وقد ثبت لنا أن عدم تحقق ما نكره فيها منسوبا للمسيح دليل على بطلان ما ادعاه تاريخيا وموضوعيا .

وثالثة هذه القصص هى قصة حديث المعزى التى وردت على لسان المسيح ، وهو أيضا معالج إما بيده أو بيد غيره ممن جاء بعده من النساخ ، وأنه أفقد النبؤة مضمونها ، ويبقى التساؤل قائما عن النبى المنتظر ، الذى كان اليهود يتساءلون عنه ، وينتظروونه بالإضافة إلى المسيح، وإيليا الذي فسره المسيح بأنه إشارة إلى المعمدان.

أما القسم الثاني فكان عن القصص المشكوك في واقعيته . وذلك في القصص الخمس التي انفرد بها عن كتاب الأناجيل فقد ذكر في أولاها شخصاً يدعى نثنائيل بين أول المؤمنين بالمسيح ، مما حدا ببعض علماء الكتاب إلى القول بأنه ليس إنساناً فعلياً على الاطلاق ، وأنه لا يعدو أن يكون صورة لكل غيور من بني إسرائيل .

أما الثانية فهي المرأة الزانية التي ذكر أنهم قدموها للمسيح فإنها لم ترد ببعض النسخ القديمة من قبل القرن السادس الميلادي خوفاً من أن يتذرع بها للإباحة ، ولذلك قال كثير من المفسرين إنها إلحاقية ، وقد اتضح لنا أنها كتبت بغرض إرضاء طالبي الإنجيل من أهل أفسس التي كان يتقرب إلى أرطاميس فيها بالدعارة مع فتيات المعبد المخصصات لذلك . والمسيح بريء من هذه الإباحية بدليل تغاير صورة هذا الموقف لما جاء عنه بالأناجيل الأخرى. وكذلك لتناقضها مع حكم الشريعة التى أعلن التزامه بها .

وكانت القصة الثالثة عن المرأة السامرية ، وهي مشكوكة في واقعيتها كما ثبت لنا من خلال بحثها ، وأهدافه منها تظهر في تدعيم فكرة عالمية الفداء ، وربما كان يحاكي قصة « بوذا » مع المرأة الكندلاسية « مناجي » والرمزية فيها ظاهرة فالمرأة رمز للأمة ، والأزواج الخمسة رمز للأمم الخمسة التي تتكون منها السامرة والتي لكل منها إلهها الخاص ، والزوج السادس رمز للإله الحقيقي الذي تدعى الانتساب إليه .

وكانت القصة الرابعة عن قيام المسيح بغسل أرجل التلاميذ ، وهي دليل على نقض ما يدعون من ألوهية المسيح ، ولا نمانع من حدوثها ، ولكن وجه الغرابة هو تفرده بها مع اهتمام المؤلفين الثلاثة برواية ما حدث في ليلة هذا العشاء ، وهذا الذي رواه وحده لو وقع فعلاً لنقلوه .

وآخر هذا النوع من القصص قصة السمك الكثير ، ونحن أيضاً نشك في واقعيتها لعدم ذكر الثلاثة لها ولغرابتها كذلك ، ونحن مع الانبا اثناسيوس في قوله : « للصور الرمزية دور كبير في إنجيل يوحنا ، وهي تعاون على تكوين الفكرة التي يعطيها الإنجيل عن الألوهية »[1] .

(١) اثناسيوس بني سويف والبهنسا : دراسات في انجيل يوحنا ص ٧٣ .

وكان المبحث الثاني من هذا الفصل عن المعجزات التي رواها بأسلوبه الفريد، فالمسيح الذي يدعى له الألوهية ، إنما يصنع المعجزات إظهاراً لمجده الإلهي ، وهي عنده موقوتة ذات ميعاد محدد لها من قبل المسيح نفسه ، ومن هنا فيوحنا الشيخ يخالف مفهوم المعجزات عند الثلاثة لأن نظرتهم لها واقعية فهي عندهم تأييد من الله للمسيح لأنه رسوله . وهذا هو السبب الذي رأيناه من وراء تفرده بما ذكره .

فقد ثبت لنا أن معجزة تحويل الماء خمراً على خطورتها لم يكن من اللائق أن يغفلها الثلاثة ، وهي عنده فقط لجذب عباد إله الخمر اليوناني (ديونسيوس) وكذلك لتفضيل المسيح على موسى الذي تحول الماء على عهده إلى دم .

وكذلك ما تفرد به من النص على إقامة لعازر بعد أربعة أيام ، وما كان الثلاثة ليغفلوا هذه المعجزة الخطيرة في الوقت الذي اهتموا فيه بذكر الأقل منها . وهي بلا شك للرد على منكري قيام المسيح من القبر . وكذلك للرد على منكري إقامة الشاب والفتاة كما سبق توضيح ذلك .

أما بقية المعجزات فهي مما لا نمانع عقلاً من وقوعها على يد الأنبياء والرسل تأييداً من الله تعالى لهم، ولو شاء الله تعالى ما فعلوها ولكنه شاء أن يفعلوها فكانت.

وإن كان من المفسرين من ذهب إلى القول بأن قصة معجزة شفاء مشلول بيت حسدا إنما هي قصة رمزية .

أما معجزة شفاء الأعمى فلا ننكر وقوعها على يد المسيح تأييداً من الله الذي أرسله . ولكننا ننكر معالجة يوحنا الشيخ لها بأسلوبه الفلسفي . وبالشكل الذي جعلها مدخلاً للتطاول على رسل الله مثل موسى ويوحنا المعمدان عليهما السلام .

أما الفصل السادس فكان موضوعه يدور حول العقيدة الصحيحة وهي أن « الآب هو الإله الحقيقي وحده ، والمسيح عبده ورسوله ، وقد ثبت من خلال الفصل أن حقيقة التوحيد غالبة وذلك كما وضح من النصوص الكثيرة التي وجدناها بالنص والتي تقوم شاهداً على وحدانية الله تعالى وعلى عبودية المسيح ونفي ما يدعيه مؤلهوه . ولو تأمل عابد البشر ، الغافل عن عبادة ربه لرأى حقيقة التوحيد الصحيحة كما جاءت بهذا الفصل على لسان المسيح .

وذلك على خلاف دعوى التأليه التى جاءت نصوص ركائزها. كما استقل المؤلف بتأسيسها من نفسه بقوله « في البدء كانت الكلمة ... » .

وكذلك جاء بصفات المسيح على لسان غيره مثل المعمدان أو التلاميذ . مع أن الأناجيل الثلاثة كتبت عن المعمدان والتلاميذ غير ذلك .

وعقيدة توحيد الله سبحانه ونفي ألوهية غيره ، عقيدة صادقة على أي لسان ينطقها، ولا يضير التبر وجوده في التراب ، فالحكمة ضالة المومن يأخذها أني وجدها .

وأن هذا التناقض دليل عجز الكاتب الأفسسي عن جعل البشر إلهاً ، ومن أجل هذا فنحن نراها محاولة للتأليه ، وهي مجرد محاولة لفشلها وعدم نجاحها ، بل لو اجتمعت الجن والإنس على مساعدته ما استطاعوا أن يغيروا طبيعة البشر ليجعلوه إلها .

وينبغي للغافل أن يعمل عقله فليس المسيح أول بشر يؤله ، بل لقد سبقه كثير وكثير فهل صاروا آلهة ؟ وينبغي أن تترفع العقول والأفهام عن هذا الهوان .

وآخر ما بحثنا هو موضوع الاختلاف بين الإنجيل الرابع وبين الأناجيل الثلاثة وما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد . وقد ثبت لنا في المبحث الأول اختلاف عقيدة مؤلف الإنجيل الرابع عن عقيدة مؤلفي الأناجيل الثلاثة في حقيقة المسيح .

فإن عقيدة الثلاثة كما تظهر من نصوصهم تنطق بأن المسيح ليس إلا بشراً مخلوقاً وعبداً محتاجاً لرب السماء والأرض وهو الله وحده لا شريك له ، وأن المسيح عبده ورسوله فقط . وهي بذلك قاضية على بدعة أهل أفسس ، الذين طلبوا من قسيسهم الفيلسوف تأليف إنجيل لتأليه المسيح ، فاستوحى نظرية هيراكلتوس التي أملاها في معبد أرطاميس .

وهذا التناقض يجعل الخلاف حقيقياً لا شكلياً ، وللأكثر حكم الكل ، بل ان حقيقة التوحيد غالبت الفيلسوف المؤلف وظهرت واضحة جلية في إنجيله رغماً عنه .

وكان الموضوع الثاني عن الجانب التاريخي ، وقد ثبت أن مؤلف أفسس خالف الثلاثة فيما أجمعوا عليه ، وفيما اختلفوا فيه سواء كان خلافهم على رأيين أم ثلاثة ، كما ثبت أنه لم يقع بينه وبين الثلاثة هذا النوع فقط بل إنه خالف اثنين متفقين مع سكوت الثالث حينا ، وموافقته له حيناً اخر .

وكذلك ثبت خلافه لواحد من الثلاثة وذلك على ثلاث حالات . وما وافقه فيه اثنان ، وما سكت عنه اثنان وما وافقه أحداهما وسكت عنه الآخر .

ثم تناولنا في نهاية الفصل الاختلاف بين الإنجيل الرابع وبين الأسفار التي تحمل

اسم يوحنا بالعهد الجديد ، وقد ثبت لنا من خلال ما استعرضنا من أقوال أن الإنجيل يختلف مع سفر الرؤيا بحيث لا يقبل عقلاً صدورهما عن يوحنا واحد ، ولعل هذا هو السبب في أن جامعي العهد الجديد من قديم قاموا بالتمييز بين المؤلفين بذلك اللقب « اللاهوتي » الذي لقب به مؤلف الرؤيا ، كما ثبت أن الرسالة الأولى تسير في خط الإنجيل ، أما الرسالتان الثانية والثالثة فلا تستحقان إلحاقاً لأنهما بمثابة الرسائل المتبادلة بين الناس عادة ، ومع ذلك فهما على خلاف الإنجيل . في النسبة ولذلك فنحن نرى أن الإنجيل ينبغي أن يلقب مؤلفه بلقب « اللاهوتي » لأنه فعلاً فيلسوف لاهوتي ، وأن يؤتي بهذا اللقب من عنوان الرؤيا إلى يوحنا الإنجيل لكي ينطبق مع أسلوب مؤلفه وأفكاره فيه .

. كما نرى أن يعيد مؤلهوا المسيح البشر نظرهم في عقيدتهم التي يأخذونها من إنجيل أفسس الذي ألف لتأليه المسيح .

ولعل من الواجب علينا هنا أن تنجز ما وعدنا به من العدل في إصدار حكم بشأن الإنجيل موضوع البحث . وأن يكون حكمنا عليه في نفس المحكمة التي تحكم أيضاً في القرآن .

فنجد أن وجهة نظر المسلمين في الكتب الدينية التي تكون حجة مقدسة كما وضحها الشيخ محمد أبو زهرة تتطلب أن يتوفر في الكتاب الشروط التالية :

١ – أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك ، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة مشهورة بالتواتر .

٢ – أن يدعى ذلك الرسول أنه أوحى إليه ، ويدعم ذلك الإدعاء بالبينات الثابتة وهي المعجزة التي بعث بها ، وأن يثبت ذلك الأدعاء بالتواتر أو بالكتاب نفسه .

٣ – أن يكون هذا الكتاب خالياً من التناقض والإضطراب فلا تتعارض تعليماته ولا تتناقض أخباره .

٤ – أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي المتواتر جيلاً بعد جيل .

والتواتر المقصود هو : أن يروى جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، حتى تصل الرواية إلى الرسول بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوي الذي سبقه ، والذي سبقه كذلك ، حتى تصل الرواية إلى الرسول الذي أسند

إليه الكتاب ، ونسب إليه ونزل الوحي عليه [1] .

ويضيف أستاذنا الدكتور أحمد غلوش شرطاً خامساً هو : أن يحافظ ذلك الكتاب على قداسة الله وصفاته وعلى كمالات الرسل حينما يخبر عنهم [2] .

ونحن نضيف سادساً وهو : أن يكون الكتاب بلغة الرسول الذي ينسب إليه ، والقوم الذي أرسل إليهم وقت الرسالة .

ونحن لا نضيف هذا الشرط من باب العنت وإنما لأن هذا الشرط لازم حتى تخرج الكتب التي تنسب إلى من لم يكن يتكلم بلغتها .

ومع ذلك فنحن لا نرى مانعاً في أن نطبق هذه الشروط على كتابنا نحن المسلمين قبل كتب غيرنا ، ولا ينبغي أن يكون هذا العمل منا إلا من القبول بمكان عظيم ، فلسنا نقصد أن نهبط بالقرآن الكريم إلى هذا المستوى الذي توصلنا إليه بهذا البحث . معاذ الله ، وإنما نقصد إلى إثبات نزاهة أبحاثنا نحن المسلمين عن الهوى أو التعصب . وأن المنهج الذي نتبعه علمي أصيل ، وأننا نأخذ أنفسنا وكتبنا بما نطالب به غيرنا . بل نبدأ بأنفسنا وكتابنا .

أما عن الشرط الأول . فإنه موفور في القرآن بما يربو ويزيد .

لأنه ينسب إلى الرسول العظيم خاتم النبيين محمد ﷺ وهو صادق أمين ، وقد اختبر قومه قبل أن يبلغهم بأن الله اختاره رسولاً إليهم إذ اجتمعوا على إثر ندائه فسألهم : « أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً » [3] .

وأما المعجزة التي أيده الله بها فليست واحدة فقط بل هي معجزات كثيرة ونكتفي بأظهرها ، وهي معجزة المعجزات الخالدة القرآن الكريم الذي بين أيدينا الآن

---

(1) محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية – ص ٨٦ باختصار

(2) أحمد أحمد غلوش : محاضرات في الملل والنحل – مذكرة استنسل ص ١٢ .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٦ كتاب التفسير : باب تفسير سورة ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ ص ٢٢١ ، عن ابن عباس . واللفظ له .
ومسلم في صحيحه جـ ١ كتاب الإيمان : باب في قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ص ١٩٤ ، عن ابن عباس .
وأحمد في مسنده : جـ ١ ص ٣٠٧ ، عن ابن عباس .

والذي تحدى الله به المنكرين والمعاندين لرسالة محمد ﷺ . ولا يزال التحدي قائماً أن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثله ، ونحن نؤكد أن ذلك مستحيل على الخلق حاضراً ومستقبلاً كما كان في الماضي مصداقاً لقوله تعالى :

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1] .

وكقوله :

﴿ وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[2] .

أمّا الشرط الثاني فهو مضمون الإجابة عن هذا السؤال : هل ادعى محمد ﷺ أن الله أوحى إليه القرآن ، ودعم ادعاءه بالبينات الثابتة بالتواتر ؟؟..

والاجابة : نعم . لقد ادعى محمد ﷺ أنه رسول الله وأن الله أوحى إليه القرآن الذى جاء به :

﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾[3] وكذلك قوله :

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾[4] .

قال أستاذنا الجليل المغفور له الشيخ الدكتور سيد أحمد المسير :

« إنه لما ادعى ذلك دعمه بالبينة الثابتة : وهي أنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يجلس إلى معلم ليتعلم منه، فلما أعجز بالقرآن بلاغة بلغائهم ، وفصاحة فصحائهم ، تحداهم فما استطاعوا مجاراته لزمتهم الحجة »[5] .

والبينة المتواترة التى سجلت ذلك لمحمد ﷺ هى أيضاً القرآن الكريم كلام الله رب العالمين الذي خاطبه فيه بقوله تعالى :

﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به

---

(١) قرآن كريم : الاسراء : ٨٨ .

(٢) قرآن كريم : البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) قرآن كريم : الحجر : ٨٧ .

(٤) قرآن كريم : الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥ .

(٥) مذكرة : دراسات قرآنية ص ٥ .

ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ، وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ، وقالوا لولا نزل عليه آيات من ربه ، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ، قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾[1] .

وهذه الآيات غيض من فيض . يزخر بالحقيقة حتى تقترب ماثلة للعيان كأنها للناظر محسوسة ملموسة منظورة .

وأما الشرط الثالث فيلزمنا أن نتساءل عن القرآن هل يوجد ترابط بين تعاليمه وأخباره ؟ أو أنه متعارض متناقض ؟ .

والإجابة : أن القرآن الكريم مترابط التعاليم ، صحيح الأخبار . لأنه كلام الله الواحد الأحد . ونزل على نبي واحد هو الرسول الخاتم محمد ﷺ . وهو معجز في أسلوبه ، وتراكيبه ، ونظامه ككتاب ، ولا تنقضي وجوه إعجازه حتى أنها تناولت طريقة نزوله ، فلقد تنزل على مدى فترة زمنية تربو على ثلاث وعشرين سنة ، ومع شموله وتفوقه على جوانب الحياة بحقائقه التي لا تحد فلا يزال غضا نضراً كيوم نزوله ، ونحن نعرضه على بساط البحث ، والمناقشة ، والدرس ، والتحليل فما وقعت يد دارس له على أي تناقض أو أختلاف أو اضطراب . ذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وهو الله رب العالمين ، وهذا وجه إعجازه فليس الكمال إلا لله وحده ، وما زال القرآن يتحدى بقوله تعالى :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا ﴾[2] .

وعلى المنكر للقرآن أن يأتي منه بأي تناقض . أو اختلاف فإن لم يفعل ولن يفعل ، لزمه الإقرار بأن القرآن هو كلام الله الحق ، الذي لا اختلاف فيه ولا تناقض ، ومن يوم

---

(١) قرآن كريم : العنكبوت : ٤٧ – ٥٢ .

(٢) قرآن كريم : النساء : ٨٢ .

نزوله وهو يتحدى ، ولو كان من عند غير الله لوجد المنكرون فيه اختلافاً كثيراً .

أما الشرط الرابع فنسأل عنه : هل نسبة القرآن إلى الرسول محمد ﷺ ثابتة بطريق التواتر والقطع ؟ أو لا ؟؟ .

والإجابة على هذا السؤال نتركها لأستاذنا الجليل الشيخ محمد الغزالي في سطور من كتابه القيم : « نظرات في القرآن » قال تحت عنوان : ثبوت القرآن :

« إن هذا القرآن قد اختصه الله بالحفظ والخلود ، فهو حقيقة محضة من التحريف ، وهو حقيقة تغالب الفناء وتغلبه ... !! .

وليست هذه دعوى تقوم على حماس العاطفة وتعصب الإيمان ، فإن الذي نقوله هو منطق التاريخ ، ومنطق التاريخ هنا يستقر في الأذهان لا بالاستنتاج والحدس واستنطاق الاثار ، بل بالحس القائم على الرؤية والسماع ... !! .

ان الأدلة التاريخية قد ترشح ببعض الحق ، أما الحالة بالنسبة للقران فإن الشواهد على صدقه تجيء سيلاً غدقاً ينفي بطبيعته الشبه، ويؤسس اليقين تأسيساً .

والطريق الأول فى أخذ القرآن عن صاحب الوحي، ثم في انتشاره بعد بين الناس، هو التلقي بالمشافهة على سبيل التواتر والاستفاضة ، فالنبي ﷺ يقرأ ما يجيئه من عند الله ، والصحابة يسمعون منه بآذانهم فيعرفون منه حقيقة النظم القرآني ، وأسلوب أدائه معا كأنواع المدود ومخارج الحروف وما إلى ذلك .

وهذا الضرب من التلقي لم ينتقل به القرآن الكريم من الرسول إلى أصحابه مرة واحدة أعقبها صمت طويل .

كلا . فإن تكرار القراءة جعل تداول الوحي الأعلى أمراً مفروضاً ، فالرسول يحفظه ، وأصحابه الآخذون عنه يحفظون ، ثم يعود هذا المحفوظ إلى الظهور فى الصلوات الموقوتة ، فالرسول يقرر والصحابة يستمعون .

وإذا أراد مسلم أن يتعبد قرأ في جوف الليل أو فى وضح النهار وإذا أراد أن يتغنى بالقران فعل ، وإذا أراد أن يخطب به فعل ، وإذا أراد أن يدرسه فعل ، وهكذا .

ما إن ينزل شيء من القرآن حتى تستوعبه الصدور ، ثم تردده في كل أفق لا في يوم أو عام بل في قرابة ربع قرن ، ولا مع رجل واحد ، أو قبيلة واحدة ، بل بين الألوف المؤلفة من الناس .

وبهذا التواتر الرائع ثبت القرآن ثبوتاً لا مجال فيه لظنون أو أوهام ... !! .

وعلماء المسلمين يعتمدون على طريقة التلقي هذه ، ويرجعون إليها وحدها في علوم التجويد . قال السيوطي : والأمة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن وأحكامه ، متعبدة بتصحيح ألفاظه ، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء ، وهي المتصلة بالحضرة النبوية ، أي أنه لا يكفي الأخذ من المصاحف بدون تلق عن أفواه المشايخ المتقنين للتلاوة .. ! .

يدل لذلك ما رواه الطبراني وغيره عن مسعود بن زيد الكندي ، قال : « كان عبدالله بن مسعود يقرىء رجلاً ، فقرأ الرجل الآية ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها .... الاية** ﴾[1] . قراءة مرسلة خطف فيها المدود فلم يشبعها كما ينبغي . فقال عبدالله ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها ، ثم تلاها مرة أخرى ﴿ **إنما الصدقات للفقراء ...** ﴾ ومد الفقراء المد اللازم المعروف .

إن القرآن هو هو كما قرأه صاحب الرسالة من أربعة عشر قرناً ، يرويه عن جبريل عن الله جل شأنه .. !! .

أما الطريق الثاني فهو الكتابة ، ذلك أن الكلام الإلهي كما استوعبته صدور الحفاظ استوعبته سطور الصحف .

كانت الآيات تنزل فيبادر الكتبة إلى تسجيلها ، ويحفظون في صحائفهم معالمها ، وإن كان هذا التسجيل يجيء كتوثيقات العقود في عصرنا ، أي بعد إتمامها علمياً أو عمليا » .

وقد استدل فضيلته على أن هذين الطريقين بدان من أول الدعوة في « مكة » فإن اسم « الكتاب » علم يرادف اسم « القرآن » ويدل كلاهما على الوحي الإلهي العزيز . وقد عرف الوحي بهما في مكة والمدينة على السواء . إلى أن قال فضيلته :

والذي يعنينا إظهار المدى الواسع الذي انتشرت فيه صحف الوحي ، فإن القرآن المكتوب كان متداولاً في دائرة رحبة ، وكان معروفاً في كثير من البيوت التي يتقن أصحابها الكتابة وقد شرعت له أحكام فقهية خاصة ، منها ألا يمسه جنب وأن لا يسافر به إلى أرض العدو المحارب مخافة امتهانه .

فلما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى كان القرآن كله محفوظاً في الصدور وكان كذلك مثبتاً في السطور .

---

(١) قرآن كريم : التوبة : ٦٠ .

ثم أصبح القرآن بعد ذلك في عهد الصديق رضي الله عنه وما تلاه . روح شعب ومراسيم حكومة في طول الجزيرة وعرضها وعلى اتساع رقعة الدول الإسلامية كانت الجموع تنصت له في خشوع وتدين له ، والحياة السياسية والاجتماعية تقوم عليه .

أي أن الأمة والدولة كلاهما سناد لهذا القرآن وأشباع وحراس . وإلى يومنا هذا والأمة تتلقاه بالاجلال حفظاً في الصدور ، ومسطوراً في الصحف خلفاً عن سلف وسنورثه نحن من ذرياتنا وأبنائنا جيلاً بعد جيل باذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حيث قال فيه :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[1][2] أ هـ .

هذا السند العظيم الذي ثبت به القرآن يسمى بالتواتر ، وهو يفيد اليقين والقطع ويصلح للأخذ به في أصول الدين وعقائده ، لأنه رواه جمع كثير يؤمن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم ... وهكذا حتى تصل الرواية إلى الرسول الصادق المؤيد بالمعجزة الذي قامت الأدلة الساطعة والحجج الدامغة على إثبات صدقه في رسالته وهو ما يؤكد صحة نسبة القرآن إلى الله تعالى . ويفيد اليقين والقطع .

وهناك فرق بين هذا النوع من السند وبين سند الآحاد . وذلك مثل أن يروي عدل تام الضبط ، غير معل ولا شاذ عن مثله أن الرسول ﷺ قال كذا أو فعل كذا . وإذا صح سند هذا النوع ننظر بعد ذلك إلى نفس الكلام . فقد تكون به علل قادحة يستبينها النقدة على طول التأمل ، وقد يكون فيه شذوذ عما استراح إليه العقل والنقل من طرق أخرى ، فإن وجد شيء من ذلك رفض الحديث .

أما إذا لم يكن بالسند علة ، ولم يكن بالنص علة ، فإننا نقبل الحديث لكن الأحاديث الصحيحة لا تفيد أكثر من الظن العلمي .

وأصول الأديان من العقائد ، والشعائر والأحكام والقواعد لا تقبل إلا من مصدر يقيني الثبوت قطعي الدلالة . والمسلمون لا يعرفون هذه المنزلة إلا للقرآن الكريم [3] .

أما الشرط الخامس : أن يحافظ الكتاب على قداسة الله وصفاته ، وعلى كمالات الرسل حينما يخبر عنهم .

---

(١) قرآن كريم : الحجر : ٩ (٢) محمد الغزالي : نظرات في القرآن ص ٢٧ وما بعدها بتصرف .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩ وما بعدها بتصرف .

فإننا لا نجد كتاباً يماثل القرآن أو يقترب منه في سموه على تعريف الله لخلقه بصفاته وأفعاله ، واتصاف ذاته بكل كمال وتنزهه عن كل نقص . في بساطة تتجاوب أصداؤها مع الفطرة السليمة بعيداً عن أي غموض .

ويطول بنا استعراض نصوص القرآن الدالة علي ما ذكرنا ونكتفي من القرآن بقوله تعالى :

﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴾[١] .

وأما كمالات الرسل فهي ثابتة لهم جميعاً بلا تفرقة بين رسول ورسول قال تعالى :

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[٢] .

وقال تعالى :

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾[٣] .

وقال أيضاً :

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾[٤] .

وقد أخبرنا الله تعالى أن من يفرق بين الله ورسله ، أو بين بعض الرسل وبعضهم الآخر كافر ، وأن ذلك ليس سبيل المؤمنين بحال :

﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف

---

(١) قرآن كريم : سورة الإخلاص .
(٢) قرآن كريم : البقرة : ٢٨٥ .
(٣) قرآن كريم : الأنعام : ٩٠ .
(٤) قرآن كريم : الصافات : ١٨٠ .

يوتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1] .

بل أن القرآن هو الوثيقة العلمية الوحيدة الباقية لاثبات نبوة موسى وعيسى وغيرهما . وهو بهذا يعتبر كتاب جميع الرسل لأنه كتاب ربهم الذي خلقهم وأرسلهم .

والشرط الأخير : هو أن يكون الكتاب المنسوب إلى الرسول بلغته ولغة من أرسل إليهم وقت الرسالة والقرآن الكريم كما هو ثابت به بلسان مبين وهو لسان محمد ﷺ ولسان قومه .

قال تعالى :

﴿ وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين . وإنه لفي زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل . ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴾[2] .

وبذلك نكون قد وفينا بما وعدنا به من العدل والإنصاف ويقى أن نضع الإنجيل الرابع في مواجهة هذه الشروط التي طلبناها لثبوت القرآن ليتحقق العدل في الوزن بالقسط .

الشرط الأول : هل هذا الرسول الذي ينسب إليه السفر صادق مؤيد بمعجزة مشهورة ؟؟ .

والإجابة بالنفي . فإن يوحنا الشيخ اللاهوتي لم يكن رسولاً لله ، وإنما كان قسيساً لاهوتيا . ولم يكن مؤيداً بمعجزة مشهورة .

والشرط الثاني : هل ادعى ذلك المؤلف أن الله أوحى إليه ذلك السفر ودعم ادعاءه بالبينات الثابتة بالتواتر ؟ .

والإجابة أيضاً بالنفي فهو لم يكتب وحياً ، ولم يدع ذلك ، وإنما ألف استجابة لطلب أهل كنيسة أفسس .

والشرط الثالث : هل هناك ترابط بين تعاليمه وأخباره . أم أن هناك خلاف ذلك من التعارض والتناقض ؟ .

---

(1) قرآن كريم : النساء : ١٥٢ .

(2) قرآن كريم : الشعراء : ١٩٢ – ١٩٩ .

والإجابة تؤكد وجود التناقض ويكفى أن يتصفح المرء نصوصه ليقف على ذلك . كما وضح من تعارض النصوص التي أراد صاحبها تأليه المسيح بها ، والتي تتناقض مع النصوص التي التقينا بها في الفصل السادس وهي الناطقة بوحدانية الله سبحانه وعبودية المسيح له . وكذلك ما وضح من خلال دراستنا الموضوعية له .

والشرط الرابع : هل نسبة السفر إلى صاحبه ثابتة بطريقة التواتر والقطع ؟ أو لا ؟ .

والإجابة بدون شك : لا قطع بالنسبة ، فإن مسألة المؤلف قد ثار حولها جدل كبير وذلك ما وضح في الفصل الثاني من الباب الأول .

أما الشرط الخامس : الخاص بمحافظة الكتاب على قداسة الله وعلى كمالات الرسل . حينما يخبر عنهم . فإن ذلك الإنجيل افتقد فيه ذلك ، ويكفى تأليهه للمسيح لتناقضه مع ما يجب من صفات الله تعالى وقداسته وكماله . فأي نقص هو أكبر من تجسد الله في بشر . تعالى الله ، وأما الرسل فموقفه منهم واضح وموقفه من يحيى بن زكريا لا يزال واضحاً ، وكذلك قوله : جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص .

وأما الشرط الأخير الخاص باللغة : فهو أبلغ دليل على نفي نسبة هذا الإنجيل للمسيح عليه السلام فالإنجيل يوناني ، والمسيح فلسطيني ، والمسيح بعث ليكمل الشريعة اليهودية ، والإنجيل فلسفة يونانية لتأليه البشر المخلوق .

ومؤلف الإنجيل لاهوتي كتبه ارضاء لأهل أفسس . وأعتقد أننا قد وفينا ما وعدنا به من العدل وقول كلمة الحق وهي كما نراها .

إن هذا الإنجيل مزور ، أراد به صاحبه تأليه المسيح وجعل المخلوق خالقاً ، وهو فلسفة يونانية لا تكملة الشريعة اليهودية . وإن على كل منصف أن يعيد النظر في هذا الإنجيل الشاذ وعقائده الوثنية ...

مراجـع البحـث

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح البخاري .

٣ - صحيح مسلم .

٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل .

٥ - معجم اللغة العربية .. إخراج أحمد حسن الزيات وآخرين .

٦ - المعجم الوسيط .

٧ - العهد القديم .

٨ - العهد الجديد .

٩ - قاموس الكتاب المقدس لجنة دار كنائس الشرق الأدنى .

١٠- ابراهيم سعيد : شرح بشارة يوحنا ، دار الثقافة المسيحية .

١١- إثناسيوس (الرسولي) : التجسد ، تعريب / حافظ داود ، جمعية نشر المعارف المسيحية ببولاق بمصر ، سنة ١٩٤٢ م .

١٢- إثناسيوس (أسقف بني سويف والبهنسا) : انجيل يوحنا ، دراسات في الكتاب المقدس ، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف .

١٣- أحمد أحمد غلوش : أديان العالم القديم ، دراسات في الأديان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ م .

١٤- أحمد أحمد غلوش : محاضرات في الملل والنحل ، مذكرة استنسل، القاهرة، سنة ١٩٧١ م .

١٥- أحمد السقا : الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام ، دار النهضة العربية بمصر ، الطبعة الأولى .

١٦- أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) المتوفي ٧٢٨ هـ : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جزئين ، مطبعة المدني بالقاهرة ، سنة ١٩٦٠ م .

١٧- أحمد شلبي : اليهودية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة النهضة المصرية ، سنة ١٩٧٣ م .

١٨- أحمد شلبي : المسيحية ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية .

١٩- أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، خلاصة أبحاث علماء الغرب ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

٢٠- أميل زكي - وآخرين : إيماني الانجيلي : دار الثقافة المسيحية بالقاهرة ، دار الجيل للطباعة .

٢١- أ.م هود جكن : المسيح في جميع الكتب .

٢٢- السيد سابق : العقائد الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار النصر للطباعة بالدرب الأحمر بالقاهرة ، دار الكتب الحديثة يوليو ١٩٦٧ م .

٢٣- بيت التكريس : الباراكليت الروح القدس في حياة الناس الطبعة الثانية .

٢٤- بيت الشمامسة القبطي عقيدة التجسد، بيت الشمامسة القبطي بالجيزة .

٢٥- توفيق جيد : سر الأزل

٢٦- چورج أسوان المرشد الأمير في شرح الإنجيل المبين - شرح بشارة متى ، تعريب / إبراهيم سعيد . الطبعة الثانية ، مطبعة النيل المسيحية ، سنة ١٩٣١ م .

٢٧- چورج أبلتون : شهادة انجيل يوحنا ، تعريب / إبراهيم مطر الكتاب المسيحي ، مكتبة المشعل ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

٢٨- چوش مكدويل : برهان يتطلب قراراً .

٢٩- چون إلدر : الأحجار تتكلم .

٣٠- حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة .

٣١- حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس

٣٢- حبيب سعيد : أديان العالم الكبرى

٣٣- حبيب سعيد : الروح القدس في العصر الحديث .

٣٤- حبيب سعيد : أديان العالم الكبرى (الملخص المعرب) ، دار الشرق والغرب ببولاق بمصر .

٣٥- حسن ضياء الدين عتر : نبوة محمد ﷺ في القرآن ، الطبعة الأولى ، دار النصر ، حلب ، سوريا ، سنة ١٩٧٣ م .

٣٦- حنا جرجس عبد السيد : مطالعات في الكتاب المقدس .

٣٧- رحمة الله بن خليل الرحمن (الهندي) : إظهار الحق ، طبعة المغرب ، الدار البيضاء ، تحقيق / عمر الدسوقي .

٣٨- زكريا بطرس : صلب المسيح ، مطبعة النيل بالمنصورة ، مكتبة نوار بطنطا ، سنة ١٩٦٤ م .

٣٩- زكي شنوده : تاريخ الأقباط عدة أجزاء ، الطبعة الأولى .

٤٠- سبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة ، تعريب / حسن حنفي الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧١ م .

٤١- سيكل سيل : المرشد إلى الكتاب المقدس .

٤٢- شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ، تعريب / الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية بصيدا .

٤٣- عباس محمود العقاد : الله .

٤٤- عباس محمود العقاد : حياة المسيح ، دار الهلال

٤٥- عبدالله العلمي : سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٠ م .

٤٦- عبد الرحمن السيوطي - جلال الدين المتوفي سنة ٩١١ هـ : الإتقان في علوم القرآن ، طبع دار المعرفة بلبنان .

٤٧- عبد الرحمن باجه جي : الفارق بين المخلوق والخالق .

٤٨- عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوارة والإنجيل ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٦ م .

٤٩- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان .

٥٠- على بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي (المتوفي ٤٥٦ هـ) : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، طبعة محمد على صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر ، القاهرة .

٥١- على سامي النشار - وآخرين : ديموقريطس ، طبعة شركة الاسكندرية للطباعة والنشر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالاسكندرية ، أول ابريل ١٩٧٢ م .

٥٢- عوض سمعان : صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين .

٥٣- عوض سمعان : الله ثالوث وحدانيته ، ووحدانية ثالوثه .

٥٤- عوض سمعان : قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة .

٥٥- عوض سمعان : قيامة المسيح والأدلة على صدقها ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة .

٥٦- غريغوريوس : أنت المسيح بن الله الحي ، المباحث اللاهوتية والعقائدية ، أسقفية الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي ، دار العالم العربي ، عدد ١٩ فبراير ١٩٧٥ م .

٥٧- فاضل صالح السامرائي : نبوة محمد - ﷺ - من الشك إلى اليقين ، الطبعة الأولى ، مكتبة القدس ، بغداد ، العراق ، سنة ١٩٧٨ م .

٥٨- فرنسيس فرييه (الأب) : التجسد، معهد المعادى، القاهرة، سنة ١٩٦٢ م .

٥٩- ليف جلليه : أبانا ، دار مجلة مرقس .

٦٠- متى المسكين (الأب) : الباركليت الروح القدس في حياة الناس ، رسالة بيت التكريس ، طبعة ثانية ، دار العالم العربي ، سنة ١٩٧٣ م .

٦١- متى هنري : انجيل يوحنا ، تعريب / مرقس داود ، ٤ أجزاء ، من تفسير الكتاب المقدس للمؤلف ، مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة .

٦٢- محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٦٧ م .

٦٣- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ هـ : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، سنة ١٣٩٦ هـ .

٦٤- محمد أبو زهرة : الديانات القديمة ، مقارنة الأديان ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٦٥- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، الطبعة الثالثة مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

٦٦- محمد الغزالي : نظرات في القرآن .

٦٧- محمود بن الشريف : الأديان في القرآن .

٦٨- محمد بكير الأمين : مائة دليل على أن المسيح عبدالله ورسوله ، دار الأنوار بالحمزاوي بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٥ م .

٦٩- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، الطبعة الثامنة ، المكتب الإسلامي ، توزيع الشركة المتحدة للتوزيع ببيروت ، ١٩٧١ م .

٧٠- محمد عزت الطهطاوي : النصرانية والإسلام ، مطبعة التقدم بالمنيرة ، دار الأنصار بالقاهرة .

٧١- محمد غلاب : الفلسفة الاغريقية ، جـ ١ .

٧٢- محمد مجدي مرجان : الله واحد أم ثالثوث .

٧٣- منصور حسين عبد العزيز : دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام .

٧٤- ونيس عبد النور : دراسة في رسائل يوحنا الثلاث .

٧٥- موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، دار المعارف الحديثة ، مصر .

٧٦- موريس تاوضروس مقدمة انجيل القديس يوحنا (مذكرة استنسل لطلاب كلية اللاهوت بالكنيسة الأرثوذكسية بالعباسية) ، القاهرة .

٧٧- نظمي لوقا : محمد الرسالة والرسول .

٧٨- هاني رزق : يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته

٧٩- هلال أمين موسى : تفسير انجيل يوحنا .

٨٠- ول ديورانت : قصة الحضارة ، تعريب / محمد بدران ، المجلد الثالث ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة .

٨١- وليم ادي : الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - تفسير انجيل يوحنا

٨٢- وليم باركلي : تفسير العهد الجديد - انجيل يوحنا ، جزئين ، تعريب / عزت زكي ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة .

٨٣- وليم باركلي : تفسير - إنجيل - مرقس .

٨٤- وليم باركلي : تفسير سفر الرؤيا .

٨٥- يؤانس (الأنبا) : الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ، مكتبة مارقس بالكنيسة المرقسية بالأزبكية .

٨٦- يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ، تعريب / مرقس داود ، نشر ماهر نسيم .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الباب الثاني

انجيل يوحنا موضوعيا

الفصل الأول :

محتوى النص

الفصل الثاني :

محور الإنجيل اللاهوتي - محاولة تاليه المسيح

المبحث الثاني :

موقفنا من قضية الصلب

القسم الثاني: القصص المشكوك في واقعيته

المبحث الثاني :

المعجزات ومفهومها عنده

الفصل السادس :

الآب هو الإله الحقيقي وحده والمسيح عبده ورسوله

الفصل السابع

الإختلاف بين الإنجيل الرابع وبين الأناجيل الثلاثة وما يحمل اسم يوحنا من أسفار العهد الجديد

المبحث الأول :

الاختلاف بين انجيل يوحنا والاناجيل الثلاثة

رقم الإيداع ٩٨٩١ / ١٩٩١
I . S . B . N 977 - 5101 - 30 1

هـــذا الكتـــاب

لبنة أساسية في بناء الحوار العلمي الهادئ بين الإسلام والنصرانية بهدف دعوة أهل الكتاب من النصارى إلى كلمة سواء .

- فقد حاول الكاتب أن يستلفت الأنظار بشدة إلى أخطر أناجيل العهد الجديد وهو «انجيل يوحنا» الذي انفرد من بين الأناجيل الأربعة بتقرير عقيدة تأليه «عيسى بن مريم» .
- والكاتب يعتمد في بحثه على المنهج العلمي النزيه ، حيث يستند في كل أحكامه ونتائجه على البراهين العلمية ، وعلى اعترافات المنصفين من الكُتَّاب النصارى .
- ويتسم هـذا السفر القيم بالموضوعية والبعد عن التعصب والهوى ، كما يتسم صاحبه بالأمانة والعدل ورائده في هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . المائدة [٨] .

وقد بلغت أمانة الكاتب ونزاهته في معالجة هذا الموضوع إلى حد قوله «إنني لن أطلب في هذا الإنجيل الذي نحن بصدد بحثه شرطًا نعفي القرآن منه حتى نعامل الناس بما نحب أن يعاملونا به ولن أخاصم هذا الإنجيل أمام قاض أرفض مثول القرآن أمامه» .

- بهذا المنهج عالج الكاتب انجيل يوحنا تاريخيًا ، فكشف لنا عن سبب تأليفه ، وهدفه ، والزمان ، والمكان واللغة التي أُلِفَ بها ، والشكوك التي دارت حول شخصية مؤلفه .
- كما عالجه موضوعيًا حيث بَيَّنَ لنا من أين استقى كاتبه عقيدة تأليه المسيح التي لم ينطق بها المسيح نفسه ولا مرة واحدة ، كما بَيَّنَ كيف تأثر مؤلفه بالنظريات الفلسفية التي استعارها من الفلسفة اليونانية .
- هذا بالإضافة إلى المقارنة العلمية التي أبرزت الخلاف الجذري بين انجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأخرى .

فهذا سفر ينبغي أن يقرأه المسلمون والنصارى معًا

الناشر



للطباعة والنشر والتوزيع
١٦ شارع منصور (مولد النبي) الزقازيق
ص . ب : ٢٠٣ ☎ ٣٢٠٦٨٣ (٠٥٥)

